

فهرسة الجزء الاول من شرح سيدى محمد الزرقانى على المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى

صحيفه

تمت فهرسة الجزء الاول من شرح الزرقاني على المواهب

بيان مالابد من التنبيه عليه من الخطا الواقع فى الجزء الاول من شرح الزرقانى على المواهب

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٤	١٦	مفصلا	معضلا
٥	١	حديث	حيث
١٠	٥	اولاوأمر	او لاوامر
١٢	٢٤	لرسول صلى	لرسول الله صلى
١٤	١٩	مقيد	مفيد
٢١	١٩	المدود	الممدود
٣٣	٢٣	ردّ	رد
٣٥	١٥	فالافاضة	فالاضافة
٣٥	٣٢	عشرين	عشرون
٣٨	٨	مخلوق	مخلوقا
٧٦	٢٨	وفاء	وفى
٧٦	٣٠	سنةوسبع	سنةسبع
٨٧	٣٠	أربعةوأربعين مائةومن	مائةوأربعةوأربعين من
١٦٨	٣٠	ابن الجوزى	ابن الجزرى
١٧٧	١٢	تشبه	فشبه
١٩٩	٤	لتقدمة	لتقدمه
٢٠٨	١١	العقليين	العقليان
٢٠٩	١٣	فترضا قال من رضى	فترضى قال من رضا
٢١٢	١١	المتهجدين	المجتهدين
٢٢٢	٢	لا ألهم	لا ألهتهم
٢٢٣	٣	صفره	صغره
٢٤٠	٢٦	فقيلة	ثقيلة
٢٥٥	١٤	له	قاله
٢٥٧	١٥	عتبة	عقبة
٢٧١	٢	محفوفا	محفوظا
٢٧٥	٢٠	المذكور	المذكورة
٢٧٧	١	راه	رواه
٢٧٨	٢	اقرائة	اقرائه
٢٩٠	١٣	رسول الملك	رسول الله الملك
٣٠٦	٥	رراه	رواه

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٣٠٩	٦	مخزو	مخزوم
٣١٠	٨	اللفاعل	للفاعل
٣١٥	١٢	جريد	جريدة
٣٢٣	٤	خلاف	خلافا
٣٢٥	١٥	افتسبقتنا	افتسبقنا
٣٢٧	٧	فيها	فيهما
٣٣٨	١٣	لآلهتم	لا آلهتهم
٣٥٠	١١	اتيتم	اتيتكم
٣٥٠	٢٥	واحدى عشر	واحد عشر
٣٥٦	٢١	الحكيم	الحليم
٣٧٢	٣٢	مستخفا	مستخفيا
٣٧٨	١٥	مراقفة	موافقة
٣٧٩	١٤	نزرل	نزول
٣٧٠	٢١	تغابر	تغاير
٣٨٠	١٤	صلى عليه	صلى الله عليه
٤٠٢	٣	اثباب	اثبات
٤٠٢	٢٦	الصـ*ـديق	الـ*ـصديق
٤٠٤	٣٢	فانقطت	فانقطعت
٤٢٠	٢	غبر	عبر
٤٣٤	٢٠	لارخائة	لارخائه
٤٣٤	٢٥	لابن سعد	لابى سعد
٤٤٩	١٤	لعمروالله	لعمرالله
٤٨١	٣	به و البيت السادس هو	به و مفعول سقينا الثانى دما في البيت السادس وهو
٤٩٤	٢٠	قال ماندرى	قالا ماندرى
٤٩٧	٢٣	البلاد*فأولها	البلا * دفأولها
٥٠٨	٣٣	وتضرعة	وتضرعه
٥٢٤	٢٥	يسمون	يسمعون
٥٣٠	٣٣	لئن	لأن
٥٤٠	٣١	وأتر	وأمر

الجزء الاول من شرح الامام العلامة محمد بن عبد الباقى الزرقانى المالكى على المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى

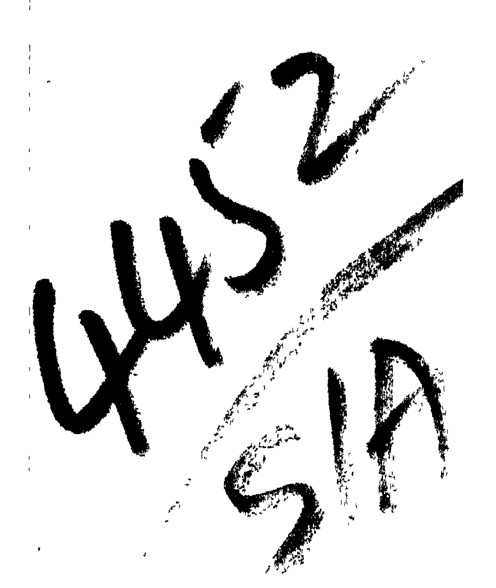
نفع الله المسلمين

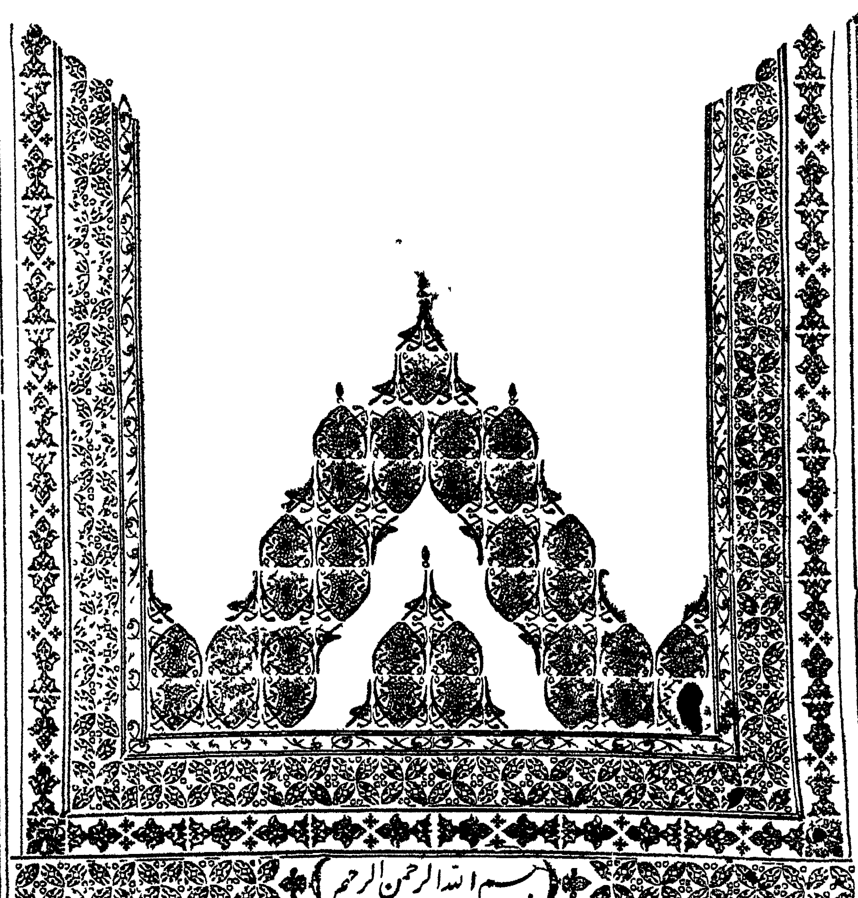
بعلومهما

امين

م

وهو أحد ثمانية أجزاء والله المعين





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعلنا خير أمة أخرجت للناس * ورفع منابر تشريفنا على منابر صفحات الدهور ثابتة الاساس * ووضع عنا الاصر والاغلال ومنعنا الاجتماع على الضلال وقدمنا تقديم البسملة فى القرطاس * فنحن الآخرون السابقون تبجيلا وتكريما لمن أرسله فينا رؤفا رحيما فأقام دعائم الدين بعد طول تناس * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له تعالى عما يقول الظالمون الارجاس * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله الامين المأمون الطيب الانفاس * ألا وهو أجل من أن يحيط به وصف وأشرف من ان ينضم جواهره نظم أو رصف زكى المنابت طيب الاغراس * اضاءت قبل كونه ارهاصاته اضاءة المقباس * وأزهرت فى حمله وولادته ورضاعه زهر آى اقتبس منها النبراس * وأشرقت أعلام نبوته ولمعت لوامع براهين رسالته فشيدت منار الهدى بعد ما كان فى ابلاس * وبهر بالآيات البينات فشق له البدر فى دجى الاغلاس * وغلب بمعجزات بدورها فى التمام وجواهرها تروق فى الترصيع والانتظام ورياضها تتأرج بنسمات سماته وتنشق عن نور زهر شمايله ونور زهر صفاته التى كل عن احصاء راموزها المقياس * صلى الله وسلم عليه وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحابته وأزواجه وذريته الطيبين الطاهرين الاكياس * الناهضين بأعباء المناقب الراقين فى علياء المناصب البالغين فى نصر الدين

النجوم

النجوم الثواقب الهادين من الكفر الجبال الرواس * حتى نسفوها نسفا وحكموا بالعدل وأقاموا القسطاس

(أما بعد) فهذا الكتاب لم يطلبه منى طالب ولا رغب الى فى تصنيفه راغب وانما تطلبت نفسى فيه مزج المواهب فأودعته نفائس بها يتنافس فى شرح السنة النبويه وعرائس استجليتها من مخدرات خدور السيرة المحمديه وجواهر استخرجتها من قاموس الحكم المصطفويه وزواهر اقتبستها من أرقعة السيرة الهاشميه وزهور اجتنيتها من جنات وجنات الروضة المدنيه يبهر من عقد نظامها الناظر وينادى من أين هذا لهذا القاصر فيجيبه حال اللسان الوهاب قوى قادر أما العيوب وان كثرت فما لا سبيل الى السلامة منها لغير المعصوم وقد قال

من ذا الذى ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط

وقد قال ابن عبدوس النيسابورى لا أعلم فى الدنيا كتابا سلم الى مؤلفه ولم يتتبعه من يليه ذكيف وفهمى فاتر ونظرى قاصر ووجودى فى الزمان الآخر مع ما أقاسيه من تلاطم أمواج الهموم وأقاومه من ترادف جيوش الغموم لكنى أنتظر الفرج من الحى القيوم مستعيذا به من حسود ظلوم والله أسأل العون على اتمامه والتوفيق من امتنانه وهو حسبنا ونعم الوكيل (هذا) وجامعه الحقير الفانى محمد بن عبد الباقى الزرقانى قد أخذ الكتاب رواية ودراية عن علامة الدنيا الآخذ من بحار التحقيق بالغايتين القصوى والدنيا الاصولى النحوى النظار الفقيه النحرير الجهبذ الفهامة النبيه الشيخ على الشمرلسى شيخ الاسلام فسح الله له وأدام به نفع الانام وكم بحمد الله صغى لى وسمع ما أقول وكتب أنقالى وحثنى على احضار ما أراه من النقول اذا رأى ملالى ولم أزل عنده من نعم الله بالمحل الارفع العالى والله يعلم انى لم أقل ذلك للفخر وأى فخر لمن لا يعلم ما حاله فى القبر بل امتثالا للامر بالتحدث بالنعمه كشف الله عنا كل غمه بحق روايته له عن شيخ الاسلام أحمد بن خليل السبكى اجازة عن السيد يوسف الارميونى عن المؤلف * وعن البرهان ابراهيم اللقانى عن العارفين المجدين البنوفرى وابن الترجمان عن العارف الشعرانى عن مؤلفها * وعن الفقيه النور الاجهورى عن البدر القرافى والبنوفرى عن عبد الرحمن الاجهورى عن مؤلفه * وقد وضع عليه حال القراءة هاتيك الحاشية الرقيقه الحاوية لجواهر المعانى الدقيقه وبدور الانقال الانيقه وهو مرادى بشيخنا فى الاطلاق وربما عبرت عنه بالشارح لغرض صحيح لدى الحذاق (ح) وأخبرنا به اجازة أبو عبد الله الحافظ محمد العلائى البابلى قال أخبرنا بها سماعا لبعضها واجازة لباقيها شيخ الاسلام على الزيادى عن قطب الوجود أبى الحسن البكرى عن مؤلفها وهو أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك ابن أحمد القسطلانى القتيبى المصرى الشافعى ولد كما ذكره شيخه الحافظ السخاوى فى الضوء بمصر ثانى عشر ذى القعدة سنة احدى وخمسين وثمانمائة وأخذ عن الشهاب العبادى والبرهان العجلونى والفخر المقسى والشيخ خالد الازهرى النحوى والسخاوى وغيرهم وقرأ البخارى على الشهاوى فى خمسة مجالس وحج مرارا وجاور بمكة مرتين وروى عن جمع منهم

هذا البيت للحريرى وقد ترنم به ابن الفارض فى خلوته فسمع هاتفا يجيبه بهذا البيت وهو
لا يرى شخصه
محمد الهادى الذى
عليه جبريل هبط
ا ه من شرح السيوطى على البائيه

النجم بن فهد وكان يعظ بالغمرى وغيره للجم الغفير ولم يكن له فى الوعظ نظير انتهى * وتوفى ليلة الجمعة بالقاهرة سابع محرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بالازهر ودفن بمدرسة العينى وله عدة مؤلفات أعظمها هذه المواهب اللدنية التى أشرقت من سطورها أنوار الابهة والجلاله وقطرت من أديمها ألفاظ النبوة والرساله أحسن فيها ترتيبا وصنعا وأحكمها ترصيعا ووضعا وكساه الله نهار رداء القبول ففاقت على كثير مما سواها عند ذوى العقول قال رحمه الله (بسم الله الرحمن الرحيم) بدأ بها عملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع رواه الخطيب وغيره من حديث أبى هريرة وأصله فى سنن أبى داود وابن ماجه والنسائى فى عمل يوم وليلة وابن حبان فى صحيحه بلفظ بالحمد وفى لفظ أبتر وآخر أجذم بجيم وذال معجمة تشبيه بليغ فى العيب المنفر واقتداء بأشرف الكتب السماوية فان العلماء متفقون على استحباب ابتدائه بالبسملة فى غير الصلاة وان لم يقل بأنها منه كما قاله الحطاب فسقط اعتراض مالكى على من قال ذلك من المالكية والاصح انها بهذه الالفاظ العربية على هذا الترتيب من خصائص المصطفى وأمته المحمدية ومافى سورة النمل جاء على جهة الترجمة عما فى ذلك الكتاب فانه لم يكن عربيا كما أتقنه بعض المحققين وعند الطبرانى عن بريدة رفعه أنزل على آية لم تنزل على نبى بعد سليمان غيرى بسم الله الرحمن الرحيم وحديث بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كل كتاب رواه الخطيب فى الجامع مفصلا فيه وجهان أحدهما ان لفظ البسملة قد افتتح به كل كتاب من الكتب السماوية المنزلة على الانبياء والثانى ان حقها أن تكون فى مفتتح كل كتاب استعانة وتيمنا بها وهذا أقرب وان زعم ان المتبادر الاول فلا ينافى الخصوصية ولئن سلم فهو معضل لا حجة فيه وفى الاسم لغات معلومة وفى انه عين المسمى أو غيره كلام سيجىء ان شاء الله تعالى فى أول المقصد الثانى واضافته الى الله من اضافة العام للخاص كخاتم حديد واتفق على انه أعرف المعارف وان كان علما انفرد به سبحانه فقال هل تعلم له سميا وهو عربى ونطق غير العرب به من توافق اللغات مرتجل جامد عند المحققين وقيل مشتق وعليه جمهور النحاة وهو اسم الله الاعظم كما قال جماعة لانه الاصل فى الاسماء الحسنى لان سائر الاسماء تضاف اليه وعدم اجابة الدعاء به لكثير لفقد شروط الدعاء التى منها أكل الحلال البحت وحفظ اللسان والفرج * والرحمن المبالغ فى الرحمة والانعام صفة الله تعالى وعورض بوروده غير تابع لاسم قبله قال تعالى الرحمن على العرش استوى والرحمن علم القرآن وأجيب بانه وصف يراد به الثناء وقيل عطف بيان ورده السهيلى بأن اسم الجلالة الشريفة غير مفتقر لانه أعرف المعارف كلها ولذا قالوا وما الرحمن ولم يقولوا وما الله * والرحيم فعيل حول من فاعل للمبالغة والاسمان مشتقان من الرحمة وقرن بينهما للمناسبة ومعناهما واحد عند المحققين الا ان الرحمن مختص به تعالى ولذا قدم على الرحيم لانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره وقول بنى حنيفة فى مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم لازلت رحمانا تعنت فى الكفر أو شاذ أو المختص بالله تعالى المعرف باللام فالرحمن خاص لفظا لحرمة اطلاقه على غير الله عام معنى من حيث انه يشمل جميع الموجودات والرحيم

عامّ من حديث الاشتراك في التسمي به خاص معنى لرجوعه الى اللطف والتوفيق وقد قال صلى الله عليه وسلم الله رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما رواه الحاكم وقيل اسم الله الاعظم هو الاسماء الثلاثة الله الرحمن الرحيم * وروى الحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس ان عثمان بن عفان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من أسماء الله تعالى وما بينه وبين اسم الله الاكبر الا كما بين سواد العين وبياضها من القرب ولكون الحمد من افرادها اقتصر عليها امامنا في الموطأ والبخاري وأبو داود ومن لا يحصى وأيده الحافظ بأن أول ما نزل اقرأ باسم ربك فطريق التاسي به الافتتاح بها والاقتصار عليها وبأن كتبه صلى الله عليه وسلم الى الملوك وغيرهم مفتتحة بها دون حمدلة وغيرها لكن المصنف كالاكثر أردفها به لان المقتصر عليها لا يسمى حامدا عرفا فقال (الحمد لله) وللاقتداء بالكتاب العزيز ولقوله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب أن يحمد رواه الطبراني وغيره * وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا لا أحد أحب اليه الحمد من الله عز وجل وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحمد يحمد به ليثيب حامده وجعل الحمد لنفسه ذكرا ولعباده ذخرا رواه الديلمي عن الاسود بن سريع وقوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما وصححه ابن حبان وأبو عوانة وان كان في سنده قرة بن عبد الرحمن تكلم فيه لانه لم ينفرد به بل تابعه سعيد بن عبد العزيز أخرجه النسائي وفي رواية أحمد لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر وأقطع تشبيه بليغ في العيب المنفر بحذف الاداة والاصل هو كالابتر والاقطع في عدم حصول المقصود منه أو استعارة ولا يضر الجمع فيه بين المشبه والمشبه به لان امتناعه اذا كان على وجه ينبئ عن التشبيه لا مطلقا للتصريح بكونه استعارة في نحو * قد زر أزراره على القمر * على ان المشبه في هذا التركيب محذوف والاصل هو ناقص كالاقطع فحذف المشبه وهو الناقص وعبر عنه باسم المشبه به فصار المراد من الاقطع الناقص وعليه فلا جمع بين الطرفين بل المذكور اسم المشبه به فقط (الذي اطلع) نعت لله والجملة الفعلية صلة الموصول وهو وصلته كالشئ الواحد وهما في معنى المشتق لان الصلة هي التي حصلت بها الفائدة وترتيب الحكم على المشتق يؤذن بعلية ما منه الاشتقاق فكأنه قال لاطلاع الى آخره فيكون حمده تعالى لذاته ولصفاته فهو واجب أي يثاب عليه ثوابه لا أنه يأثم بتركه لا لفظا ولا نية وقد قام البرهان عقلا ونقلا على وجوب حمده سبحانه لان شكر المنعم واجب به للآيات والاخبار الآمرة بالتدبر الموجبة للتفكر وهو سبحانه وتعالى قد أفاض نعمه على كل موجود ظاهرة وباطنة وان كان قد فاوت بينهم فيها ولذا قيل نعمتان ما خلا موجود عنهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد (في سماء الازل) بالتحريك القدم فهو استعارة بالكناية شبه الازل من حيث وجوده قبل العالم بمكان يعلوه سماء وأثبت له السماء استعارة تخييلية والسماء المظلة للارض قال ابن الانباري تذكر وتؤنث وقال الفراء التذكير قليل وهو على السقف وكأنه جمع سماوة كسحاب وسحابة وجمعت على سموات (شمس أنوار) جمع نور أي اضواء (معارف النبوة المحمدية) ولكونها قبل العالم عبر بأطلع المشعر بأنها لم تكن موجودة ثم كانت لانتفاء القدم لغير

البارى ثم بعد وجوده واشراقه بمظاهر الصفات وهى كائنة فى عالم المشاهدة عبر بالاشراق الذى هو الاضاءة لهذا العالم فقال (وأشرق) أى أضاء وهو لازم كما قال تعالى وأشرقت الارض بنور ربها ويعدّى فى كلام المولدين حملا على أضاء لانه بمعناه والشئ يحمل على نظيره وضده وأضاء جاء متعدّيا ولازما أو بتضمين معناه أو بمعنى التصيير كما قيل به فى ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * واستعماله مزيدا أكثر وثبت ثلاثيه فقيل هما بمعنى وقيل أشرقت أضاءت وشرقت طلعت (من أفق) بضم فسكون وبضمتين كما فى القاموس وغيره أى ناحية (أسرار مظاهر الرسالة) جمع مظهر اسم موضع الظهور قال فى لطائف الاعلام الافق فى اصطلاح القوم يكنى به عن الغاية التى ينتهى اليها سلوك المقربين وكل من حصل منهم الى الله على مرتبة قرب اليه فتلك المرتبة هى أفقه ومعراجه (تجلى الصفات) هو عند الصوفية ما يكون مبدؤه صفة من الصفات من حيث تعينها وامتيازها عن الذات كذا فى التوقيف وقال صاحب لطائف الاعلام فى اشارات أهل الالهام يعنون بالتجلى الصفاتى تجريد القوى والصفات عن نسبتها الى الخلق باضافتها الى الحق وذلك ان العبد اذا تحقق بالفقر الحقيقى وهو انتفاء الملك بشهود العزلة تعالى صار قلبه قبلة للتجلى الصفاتى بحيث يصير هذا القلب التقى النقى مرآة ومجلى للتجلى الوحدانى الصفاتى الشامل حكمه بجميع القوى والمدارك كما اليه الاشارة بالحديث القدسى فاذا أحببته كنت سمعه الحديث وأطال فى بيان ذلك (الاحدية) المنسوبة الى أحمد صلى الله عليه وسلم وهو اسم لم يتسم به أحد قبله قال الحافظ والمشهور ان أوّل من سمى به بعده صلى الله عليه وسلم والد الخليل بن أحمد لكن زعم الواقدى انه كان لجعفر بن أبى طالب ابن اسمه أحمد * وحكى ابن فتحون فى ذيل الاستيعاب ان اسم أبى حفص بن المغيرة الصحابىّ أحمد ويقال فى والد أبى السفر ان اسمه أحمد قال الترمذى أبو السفر هو سعيد بن يحمد ويقال ابن أحمد انتهى (أحمده على ان وضع أساس) أصل (نبوّته) أى النبىّ المفهوم من نبوّة أو نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم المستفاد من المحمدية والاحمدية (على سوابق أزليته) أى على الامور التى اعتبرها فى الازل سابقة على غيرها قال محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى وليس هو الفخر صاحب التفسير فى كتابه مختار الصحاح الازل القدم يقال أزلىّ ذكر بعض أهل العلم ان أصل هذه الكلمة قولهم للقديم لم يزل ثم نسب الى هذا فلم يستقم الا باختصار فقالوا يزلى ثم أبدلت الياء ألفا لانها أخف فقالوا أزلىّ كما قالوا فى الرمح المنسوب الى ذى يزن أزنى (ورفع دعائم رسالته) أى المعجزات عبر عنها بذلك لمشابهتها لها فى اثبات رسالته وتقويتها كتقوية الجدار بما يدعم به ثم هو استعارة تصريحية شبه المعجزات بالدعائم واستعار اسمها لها أو مكنية شبه الرسالة المؤيدة بالمعجزة ببيت مشيد الاركان مدعم بما يمنع تطرق الخلل له وأثبت الدعائم تخييلا ولم تزل البلغاء تستعير الدعائم كقول ابن زيدون

أين البناء الذى أرسوا قواعده * على دعائم من عز ومن ظفر

ويقال للسيد فى قومه هو دعامة القوم كما يقال هو عمادهم قال الراغب الرسالة سفارة العبد بين الله وبين خلقه وقيل ازاحة علل ذوى العقول فيما تقصر عنه عقولهم من مصالح

المعاش

المعاش والمعاد وجمع بعض المحققين بينهما فقال سفارة بين الله وبين ذوى الالباب لازاحة عللهم فيما يحتاجونه من مصالح الدارين وهذا حد كامل جامع بين المبدأ المقصود بالرسالة وهى الخصوصية وبين منتهاها وهو ازاحة عللهم انتهى (على لواحق أبديته) أى دهوره التى لا انقضاء لها فالابد الدهر الذى لا نهاية له أو الدهر وعبر هنا بلواحق لانه محل المعجزات وهى انما تكون بعد وجوده فى ذا العالم فناسب أن تكون على الامور اللاحقة الخارقة للعادة وفيما قبل بسوابق لانه مظهر لاساس النبوة وهو معتبر قبل وجود العالم (وأشهد) أقر وأعلم وأبين والشهادة الاخبار عن أمر متيقن قطعا (أن لا اله) لا معبود بحق (الا الله) أتى به لخبر أبى داود والترمذى والبيهقى وصححه مرفوعا كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء أى القليلة البركة وأن المخففة من الثقيلة لا الناصبة للفعل اذ لا فعل هنا ولان أشهد من أفعال اليقين فيجب أن يكون بعدها أن المؤكدة لتناسب اليقين (وحده) نصب على الحال بمعنى متوحدا وهو توكيد لتوحيد الذات * (لا شريك) لا مشارك (له) تأكيد لتوحيد الافعال ردا على نحو المعتزلة وقد روى مالك وغيره مرفوعا أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له (الفرد) قال الراغب الفرد الذى لا يختلط بغيره وهو أعم من الوتر وأخص من الواحد وجمعه فرادى قال تعالى لا تذرنى فردا أى وحيدا ويقال فى الله فرد تنبيها على انه مخالف للاشياء كلها فى الازدواج المنبه عليها بقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين وقيل معناه انه المستغنى عما عداه فهو كقوله تعالى ان الله لغنى عن العالمين فاذا قيل هو فرد فمعناه منفرد بوحدانيته مستغن عن كل تركيب مخالف للموجودات كلها (المنفرد) من باب الانفعال للمطاوعة والمراد بدون صنع بل بذاته واطلاقه على الله اما لثبوته كما يشعر به كلامهم أولا اكتفاء بورود ما يشاركه فى مادته ومعناه أو بناء على جواز اطلاق ما لا يوهم نقصا مطلقا أو على سبيل التوصيف دون التسمية كما ذهب اليه الغزالى (فى فردانيته بالعظمة والجلال) مرادف لجلال الله عظمته والعظمة هى جلاله وكبرياؤه لكن قال الرازى الجليل الكامل فى الصفات والكبير الكامل فى الذات والعظيم الكامل فيهما فالجليل يفيد كمال الصفات السلبية والثبوتية وقد ذهب الاصمعى الى ان الجلال لا يوصف به غير الله لغة وأكثر اللغويين على خلافه وانه يوصف به غيره كقوله

ألم على أرض تقادم عهدها * بالجزع واستلب الزمان جلالها

وكقول هدبة

فلا ذا جلال هبنه لجلاله * ولا ذا ضياع هن يتركن للفقد

(الواحد) فى ذاته وصفاته وأفعاله من الاسماء الحسنى كما فى رواية الترمذى وفى رواية ابن ماجه الاحد قال الازهرى الفرق بينهما ان الاحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد تقول ما جاءنى أحد والواحد اسم بنى لمفتتح العدد تقول ما جاءنى واحد من الناس ولا تقول جاءنى أحد فالواحد منفرد بالذات فى عدم المثل والنظير والاحد منفرد بالمعنى وقال غيره الاحد الذى ليس بمنقسم ولا متحيز فهو اسم لمعنى الذات فيه سلب الكثرة عن ذاته والواحد

وصف لذاته فيه سلب النظير والشريك عنه فافترقا وقال السهيلي أحد أبلغ وأعم ألا ترى أن مافي الدار أحد أعم وأبلغ من مافيها واحد وقال بعضهم قد يقال انه الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله والاحد في وحدانيته اذ لا يقبل التغير ولا التشبيه بحال (المتوحد) فيه ما مر في المنفرد ولو أبدله بالاحد لكان فيه تلميح بالروايتين (في وحدانيته باستحقاق الكمال) اذ الكمال الخالص المطلق ليس الا لله فلا يتغير سبحانه وتعالى ولما كان الواسطة في وصول الفيض من الله الينا هو النبي صلى الله عليه وسلم وتطابق العقل والنقل على وجوب شكر المنعم عقب الشهادة لله بالشهادة لرسوله فقال (وأشهد أن سيدنا وحبيبنا) طبعا وشرعا لحب الله (محمدا عبده ورسوله) صلى الله عليه وسلم ولدخوله في قوله كل خطبة الحديث قال تعالى ورفعنا لك ذكرك أي لا أذكر الا وتذكر معي كما ورد مفسرا عن جبريل عن الله تعالى والمصطفى هو الذي علمنا شكر المنعم وكان السبب في كمال هذا النوع اذ لا بد من القابل والمفيد وأجسامنا في غاية الكدورة وصفات البارى في غاية العلو والصفاء والضياء فاقتضت الحكمة الالهية توسط ذي جهتين تكون له صفات عالية جدا وهو من جنس البشر ليقبل عن الله بصفاته الكمالية ونقبل عنه بصفاتنا البشرية فلهذا استوجب قرن شكره بشكره ومحمدا عطف بيان لا صفة لتصريحهم بأن العلم ينعت ولا ينعت به ولا بدل لان البدلية وان جوزت في ذكر رحمة ربك عبده زكريا لكن القصد الاصلي هنا ايضاح الصفة السابقة وتقرير النسبة تبع والبدلية تستدعي العكس وقدم العبودية المضافة لله لكونها أشرف أوصافه وله بها كمال اختصاص ولان العبد يتكفله مولاه باصلاح شأنه والرسول يتكفل لمولاه باصلاح شأن الامة وكم بينهما وايماء الى ان النبوة وهبية ولان العبودية في الرسول لكونها انصرافا من الخلق الى الحق أجل من رسالته لكونها بالعكس (أشرف) أفراد (نوع الانسان) ذاتا وصفات والاضافة بيانية (وانسان) أي حدقة (عيون الاعيان المستخلص) المنتخب (من خالص خلاصة) قال في المصباح خلاصة الشئ بالضم ماصفا منه مأخوذ من خلاصة السمن وهو ما يلقى فيه تمر أو سويق ليخلص به من بقايا اللبن انتهى (ولد) بفتحتين وبضم فسكون يكون واحدا وجمعا (عدنان) أحد أجداده (الممنوح) المخصوص وأصل المنحة العطية ويتعدى بنفسه وضمنه هنا معنى المخصوص فعداه بالباء في قوله (ببدائع الآيات) جمع آية ولها معان منها العلامة الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم (المخصوص بعموم الرسالة) للعالمين ومنهم الملائكة على ما رجحه جمع محققون وردوا على من حكى الاجماع على انفكاكهم عن شرعه بل زاد بعضهم والجمادات كما سيأتي ان شاء الله تعالى تفصيله في محله (وغرائب المعجزات) من اضافة الصفة للموصوف والآية والمعجزة مشتركان في الدلالة على صدقه لكن الآية أعم لانه لا يشترط فيها مقارنة النبوة والتحدي فكل معجزة آية ولا عكس فشق صدره وتسليم الحجر عليه قبل البعثة ونحوه آية لا معجزة (السر الجامع) بين ما تفرق في غيره وبين الحكم بالظاهر والباطن والشريعة والحقيقة ولم يكن للانبياء الا احدهما بدليل قصة موسى مع الخضر وقد نص عليه البدر ابن الصاحب في تذكرته وأيد بحديث السارق والمصلي الذي أمر

بقتلهما (الفرقانى) نسبة الى الفرقان لفرقه بين الحق والباطل (المخصص بمواهب القرب) من ربه تبارك وتعالى قرب مكانة زيادة على من سواه (من النوع الانسانى) فان المقربين منه لهم قرب دون قربه عليه السلام (مورد الحقائق الازلية) جمع حقيقة وهى عند أرباب السلوك العلوم المدركة بتصفية الباطن (ومصدرها) يعنى ان ذاته محل لورود الحقائق عليها من الحق ومحل لصدورها عنها الى الخلق (وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها * وخطيبها اذا حضر فى حظائر قدسها) بضمتين وتسكن داله أى مواضع طهارتها جمع حظيرة وهى فى الاصل ما حظرته على الغنم وغيرها من الشجر للحفظ والقدس أصل معناه الطهر سمى به جبل المقدس لطهارته بالعبادة فيه وقدس الله وحظيرة قدسه الجنة قال التبريزى فى شرح ديوان الحماسة واسم الجبل يقال انه غير منصرف وأنشدوا لكثير

كالمصرخىّ غدا فأصبح واقفا * فى قدس بين مجاثم الاوعال

(ومحضرها) أى محل حضورها (بيت الله المعمور) بما أورده عليه فوعاه مما لا يطيقه غيره ولم ينزله على أحد قبله وسماه بيتا على التشبيه وما يروى القلب بيت الرب لا أصل له كما فى المقاصد (الذى اتخذه لنفسه) مجاز عن ادخال علومه فيه وأطلق النفس على الله كقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله أنت كما أثنيت على نفسك وقيل انما يرد للمشاكلة كقوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك (وجعله ناظما) أى جامعا (لحقائق أنسه) جمع حقيقة وهى ما أقر فى الاستعمال على أصل وضعه فى اللغة قاله ابن جنىّ وابن فارس وزاد من قولنا حق الشئ اذا وجب واشتقاقه من الشئ المحقق وهو المحكم وقال المرزوقىّ هى فى كلام العرب الامور التى يحق حمايتها * والانفة من تركها عن الرؤساء وقال الخليل هى ما يصير اليه حق الامر ووجوبه كما قيل

ألم ترأنى قد حميت حقيقتى * وباشرت حدّ الموت والموت دونها

(مدّة) بالنصب والرفع أى أصل (مداد نقطة الاكوان) أى مركزه الذى يدور عليه (ومنبع) بفتح الميم والباء مخرج (ينابيع) جمع ينبوع وهى فى الاصل العين التى يخرج منها الماء فشبه بها (الحكم) جمع حكمة وهى تحقيق العلم واتقان العمل كما فى الانوار وقال النووىّ فيها أقوال كثيرة صفا لنا منها انها العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم من حاز ذلك انتهى ملخصا قال الحافظ وقد تطلق الحكمة على القران وهو مشتمل على ذلك كله وعلى النبوّة كذلك وقد تطلق على العلم فقط وعلى المعرفة فقط انتهى (والعرفان) أى العلم مصدر عرف (الممد) اسم فاعل (من بحر مدد الوفا على القائل من أهل المعارف والاصطفا) الاختيار وعال كونه من أهاهما بقوله (حيث خاطب) القائل (ذاته) صلى الله عليه وسلم (بالمنح) العطايا (الانفسية) أى الشريفة (بشعر من بحر الطويل) أحد بحور الشعر المعروفة (فأنت رسول الله) نداء والخبر (أعظم كائن موجود (وأنت لكل الخلق بالحق) أى الامور المطابقة للواقع (مرسل) من الله (عليك مدار) مصدر ميمىّ أى دوران (الخلق اذ أنت قطبه) أى أصل الخلق الذى

يرجع اليه (وأنت منار الحق تعلو) ترتفع على غيرك (وتعدل) فى قضاياك بين الناس (فؤادك) قلبك أوغشاؤه وقوى بحديث أرق أفئدة وألين قلوبا (بيت الله) اضافة لامية على مجاز الحذف أى بيت علوم الله كما أوضحه بقوله (دار علومه) وهى لامية أيضا وقد أعلمه الله تعالى ماعدا مفاتح الغيب الخمسة وقيل حتى هى وأمر بكتمها كما فى الخصائص (و) أنت (باب عليه منه للحق) أى للامور المطابقة للواقع فحذف الموصوف أولا وأمر الله فحذف المضاف (يدخل ينابيع) جمع ينبوع وهو فى الاصل العين التى تورد (علم الله منه تفجرت ففى كل حى منه لله منهل) بفتح الميم والهاء أى عين تورد (منحت) أى خصصت (بفيض الفضل كل مفضل فكل له فضل) أى كل انسان ثبت له فضل فهو (به منك يفضل) فالبيت على حد قول البوصيرى

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم

(نظمت نثار) بكسر النون بعدها مثلثة بمعنى المنثور ككتاب بمعنى مكتوب (الانبياء) أى شرائعهم (فتاجهم) مفرد تيجان وهو مايصاغ للملوك من الذهب والجوهر وقد توجته اذا ألبسته التاج كما فى النهاية (لديك) أى عندك (بأنواع الكمال مكلل) بلا مين خبر تاج أى مرصع ونسخة مكمل بالميم يأباها الطبع (فيامدة) أى زيادة (الامداد نقطة خطه ويا ذروة الاطلاق اذ يتسلسل محال) باطل غير ممكن الوقوع انه (يحول) يتغير (القلب عنك وانى وحقك لا اسلو) اصبر (ولا أتحول عن حبك (عليك صلاة الله منه) متعلق بقوله (تواصلت صلاة اتصال) مفعول مطلق (عنك لا تنفصل) أى لاتزول عنك (شخصت) بفتحات نظرت (أبصار بصائر) جمع بصيرة وهى للنفس كالعين للشخص (سكان سدرة المنتهى) وهم الملائكة الكرام * روى أبو يعلى والبزار وابن جرير وابن ماجه عن أبى سعيد رفعه فى حديث المعراج وغشيها من الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر وعند الحاكم وغيره عن أبى هريرة رفعه ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة (الجلال) عظمة (جماله) حسنه وفى جعله الشخوص للجلال الجمال دون الجمال نفسه لطف وايماء الى ان هؤلاء وان كانوا مقربين ما استطاعوا النظر لنفس الحسن بل شخصوا فى الجلال الحاجب له فكيف بغيرهم ولذا قال على يقول ناعته أى عند العجز عن وصفه لم أر قبله ولا بعده مثله ومن ثم لم يفتتن به مع انه أوتى كل الحسن كما قال

بجمال حجبته بجلال * طاب واستعذب العذاب هناكا

(وحنت) اشتاقت (أرواح رؤساء الانبياء) أكابرهم وهم الذين رأوه فى السموات ليلة المعراج (الى مشاهدة) أى رؤية (كماله) هو التمام فيما يفضل به الشئ على غيره فيشمل الظاهر والباطن لكن المراد هنا الظاهر لانه المشاهد بالحاسة لا الباطن لعدم تعلقها به وان تعلقت بما دل عليه وتخصيص الارواح بالذكر لان الادراك بها وان نسب للجسد فهو بواسطتها فلا يشكل بما فى تنوير الحلك من انه لا يمتنع رؤية ذاته عليه السلام بجسده وروحه وذلك لانه وسائر الانبياء صلى الله عليهم وسلم ردت اليهم أرواحهم بعد

ماقبضوا وأذن لهم فى الخروج من قبورهم للتصرّف فى الملكوت العلوى والسفلى" انتهى
ونحوه يأتى للمصنف فى غيره موضع من هذا الكتاب وقد روى الحاكم فى تاريخه والبيهقى
فى حياة الانبياء عن أنس انّ النبى صلى الله عليه وسلم قال انّ الانبياء لا يتركون
فى قبورهم أربعين ليلة ولكن يصلون بين يدى الله تعالى حتى ينفخ فى الصور قال البيهقى
فعلى هذا يصيرون أى يكونون حيث ينزلهم الله تعالى انتهى وهذا لا يشكل
بأن الانبياء فى قبورهم وانّ المصطفى أول من تنشق عنه الارض وأول من يقوم من قبره لان
معناه لا يتركون على حالة بحيث لا يقوى تعلق روحهم بجسدهم على وجه يمنع من ذهاب
الروح بعد تعلقها بالجسد حيث شاءت متشكلة بصورة الجسد وان بقى الجسد نفسه الى يوم
القيامة فى القبر وبهذا لا تعارض بين الاخبار وطاح زعم من ادّعى بطلان كونهم لا يتركون
فى نفسه (وتلفتت لفتات أنفس الملأ الاعلى) أى ذواتهم وأرواحهم (الى نفائس
نفحاته) أى روائحه الطيبة (وتطاولت) امتدت (أعناق) ذوى (العقول) فهو
مجاز بالحذف أو مرسل باستعمال العقول فى أهلها أو شبه العقول بالذوات المدركة استعارة
بالكناية وأثبت لها ماهو من خواصها وهى الاعناق تخييلا وقد جوّزت الاوجه الثلاثة
فى نحو اسأل القرية (الى أعين لمحاته) من اضافة الموصوف الى صفته أى الاعين اللامحة
واللمح النظر باختلاس البصر ولمح البصر امتدّ الى الشئ ويمكن تنوين أعين ولمحاته
(ولحظاته) بدل اشتمال واللحظ المراقبة أو النظر بمؤخر العين عن يمين وشمال (فعرج به
الى المستوى) بفتح الواو الموضع المشرف وهو المصعد وقيل المكان المستوى (الاقدس
وأطلعه على السرّ الانفس) كما قال فأوحى الى عبده ما أوحى فأبهمه للتعظيم فى أحد
الاقوال فلا يطلع عليه بل يتعبد بالايمان به كما قيل

بين المحبين سرّ ليس يفشيه * قول ولا قلم فى الكون يحكيه

(فى احاطته الجامعه) متعلق باطلع أى فيما تتعلق احاطته أى علمه به (وحضرات
بالضاد المعجمة (حظيرة) بالظاء المعجمة المشالة (قدسه الواسعه) وليس المراد بها هنا الجنة
فانّ اطلاعه على السرّ كان حين العروج الى المستوى كما كلمه ربه وهو بعد رفعه الى السدرة
ورفعه اليها كان بعد دخوله الجنة وعرض النار عليه كما فصل فى المعراج (فوقفت أشخاص
الانبياء) صورهم (فى حرم الحرمة) التعظيم (على أقدام) جمع قدم مؤنث
(الخدمه وقامت أشباح الملائكة) اضافة بيانية جمع شبح وهو الشخص كما فى المصباح فغاير
تفننا وللاشارة الى مغايرتها الاجسام البشر وانما هى أجسام لطيفة نورانية على الصحيح
(فى معارج الجلال) جمع معرج ومعراج وهو المصعد والمرقى كلاهما بمعنى (على أرجل)
جمع رجل الانسان التى يمشى بها مؤنثة ولا جمع لها غيره كما فى المصباح (الاجلال وهامت
أرواح العشاق) خرجت على وجهها فلم تدر أين تتوجه (فى مهامه الاشواق) جمع
شوق وهو نزاع النفس الى الشئ والحنين وشوقنى الى كذا هيجنى وأنشد لغيره قوله
(كل) استغراقية كقوله والله بكل شئ عليم وكل راع مسئول عن رعيته ولا يستعمل
الا مضافا لفظا كما رأيت أو تقديرا كقوله كل يجرى قال الاخفش المعنى كلهم يجرى

كما تقول كل منطلق أى كلهم ومنه ما هنا أى كل الشاخصين ومن بعدهم (اليك بكله) بجملته روحا وجسما (مشتاق وعليه من رقبانه) جمع رقيب (أحداق) عيون (بهوالك) تميل نفسه اليك (ما ناح الحمام بأيكة) مفرد أيك كتمر وتمرة شجر كما فى المصباح أو هو مضاف للضمير لادنى ملابسة فيكون جمعا (أولاح برق) ما يلمع من السحاب مصدر (فى الدجى) الظلم (خفاق) والدجى لا يكاد ينفك عن برق وان لم يعم فان فقد فى مكان وجد فى غيره (شوقى) فاعل يهوى (اليه) باشباع الهاء للوزن وفيه التفات عن الخطاب وفى نسخ اليك (لا يزال يديره) يحرك الهوى (لجميعه) أى كل أو الشوق والاول أولى لانه المحدث عنه ولفظ كل واحد ومعناه متعدد فيجوز عود الضمير على اللفظ وعلى المعنى (لجميعه) أى النبى صلى الله عليه وسلم وان لم يتقدم له ذكر لدلالة الكلام عليه فكانه مذكور كقوله ولابويه لكل واحد منهما السدس أى الميت أى كل محب (عشاق) بفتح المهملة أى كثير العشق لجميع أجزاء المصطفى لجميع متعلق به مقدم عليه (انشاق القمر) سمى بذلك لبياضه قال الفارابى وتبعه الجوهرى الهلال ثلاث ليال أول الشهر ثم هو قمر بعد ذلك وقال الازهرى القمر يسمى ليلتين أول الشهر هلالا كليلتى ست وسبع وعشرين ويسمى قمرا فيما بين ذلك وقال غيره الهلال ثلاث ليال ثم هو قمر الى ثلاثة عشر ثم يستوى ليلة ثلاثة عشر فتسمى تلك الليلة ليلة السواء ثم تليها ليلة البدر لانه اذا بدرت الشمس بالغروب بادرها بالطلوع وقيل من البدرة وهى ألف دينار لتمام عدده ثم يسمى ليلة النصف قمرا وزبرقانا بكسر الزاى ومنه

تضىء بك المنابر حين ترقى * عليها مثل ضوء الزبرقان

(لمشاهدته فانشق) لما سأله أهل مكة آية قبل الهجرة بنحو خمس سنين فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه (فشق مرائر الاشقياء) الكفار (الشاقين) عليه باقتراح الآيات وفى جعله انشقاقه مفرعا على اشتياقه وقفة اذ الثابت انه انشق لطلب الكفار آية وقد تدفع الوقفة (وحن) اشتاق (لمفارقته الجذع) الذى كان يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر (فتصدع) الجذع وانشق كما فى حديث أبى بن كعب عند الشافعى وغيره بلفظ فلما صنع أى المنبر وضعه موضعه الذى هو فيه فكان اذا بدا الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخطب عليه تجاوز الجذع الذى كان يخطب عليه فلما جاوزه خار حتى تصدع وانشق فنزل لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده وفى حديث أنس عند الموصلى لما قعد على المنبر خار كخوار الثور وارتج المسجد لخواره حزنا عليه فنزل اليه فالتزمه وهو يخور فسكت فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لولم ألتزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة فأمر به فدفن وفى حديث أحمد والدارمى وابن ماجه فأخذ أبى بن كعب ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلى وعاد رفاتا قال الحافظ وهذا لا ينافى انه دفن لاحتمال انه ظهر بعد الهدم عند التنظيف انتهى كان الحسن البصرى اذا حدث هذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه من الله فأنتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه (فانصدعت قلوب الاغبياء) الجهال جمع غبى (المنافقين) غيظا من هذه المعجزة الباهرة

قوله الشاقين كذا فى النسخة المنقولة من خط المؤلف والمشهور فى المتون المشاقين بالميم ورأيت فى نسخة الشيخ الشبراوى بخطه المقروءة على العلامة الشرقاوى الشاقين ولا وجه لفك الادغام الا ان يكون للمزاوجة بالمنافقين اهـ قاله نصر

التى

التى قال فيها الشافعى انها أعظم من احياء عيسى الموتى (وبرقت) لمعت (من مشكاة) هى القنديل أو موضع الفتيلة منه أو معلاقه أو كوة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها اسم مالا ينفذ قيل انها معربة من الحبشية (بعثته بوارق طلائع الحقائق وانقادت لدعوته العامة) بالجر نعت وفاعل انقاد (خاصة خلاصة الخلائق) ماصفا منهم (ولم يزل يجاهد فى الله) بالسيف والحجة (بصدق عزماته وينظم) يجمع (أشتات الاسلام بعد افتراق جهاته حتى كملت) بتثليث الميم والكسر اردأها كما فى الصحاح (كمالات دينه وحججه البالغه) بيناته الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة (وتمت على سائر) أى جميع (امته) والاكثر استعماله بمعنى الباقى مطلقا على الاصح أو الباقى القليل مشتق من السؤر بالهمز البقية حتى قال الازهرى اتفق أهل اللغة على ان سائر الشئ باقيه قل أو كثر واستعماله بمعنى الجميع ذهب اليه الجوهرى والجواليقى وجماعة وخطأهم فيه كثير كابن قتيبة والحريرى فى الدرة لانه مخالف للسماع ففى الحديث أمسك أربعا وفارق سائرهن أى باقيهن والاشتقاق فانه من السور فلا يصح كونه بمعنى الجميع وقال الصغانى سائر الناس باقيهم وليس معناه جميعهم كما زعم من قصر فى اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لفظ العوام انتهى ولكن انتصر للجوهرى والجماعة قوم بانه سمع من الفصحاء كقوله

ألزم العالمون حبك طرا * فهو فرض فى سائر الاديان

وقول عنترة

انى امرؤ من خير عبس منصبا * شطرى واحمى سائرى بالمنصل

وقول ذى الرمة معرسا فى بياض الصبح وقعته وسائر السير الا ذلك السير

واشتقاقه عندهم من اليسير أى يسير فيه هذا الاسم ويطلق عليه لا البقية (الامية) المنسوبة لى النبى الامى صلى الله عليه وسلم (نعمته السابغه) الكثيرة التامة وهو فى الاصل صفة للدرع والثوب الطويل استعير من الطول والسعة لما ذكر ثم صار حقيقة فيه لشيوعه (وخير بين الحياة والممات (فاختار الرفيق الاعلى) أى الجماعة من الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين اسم جاء على فعيل كصديق وخليط أو الله تعالى فانه الرفيق بعباده وعند مسلم مرفوعا ان الله رفيق يحب الرفق فهو فعيل بمعنى فاعل أو المراد حظيرة القدس وعند النسائى وصححه ابن حبان فقال صلى الله عليه وسلم اسأل الله الرفيق الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل وظاهره ان الرفيق المكان الذى يحصل فيه المرافقة مع المذكورين (وآثر الآخرة على الاولى) أى الدنيا لانها أحق بالايثار منها كما قال بعض الاماجد لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لآثر العاقل الباقى على الفانى فكيف والنعيم السرمدى الذى لم يخطر على قلب بشر انما هو فى الاخرى (فنقله الله قائما على قدم السلامه) حسا ومعنى (الى دار السلام) الجنة لسلام الله وملائكته على من يدخلها أو لسلامتهم من الافات (وفردوس الكرامه) التكريم والتبجيل له صلى الله عليه وسلم (وبوأه اسنى) انزله اشرف (مراقى التكريم فى دار المقامة) بالضم الاقامة وقد تكون بمعنى القيام لانك اذا جعلته من قام يقوم فمفتوح أو من أقام يقيم فمضموم وقوله تعالى لامقام لكم

أى لا موضع لكم وقرئ لا مقام لكم بالضم أى لا اقامة لكم قاله الجوهرى (ومنحه) أعطاه اعلى (مواهب الشرف فى اليوم المشهود) يوم القيامة بحضرة جميع الخلائق (فهو الشاهد) كما قال تعالى انا أرسلناك شاهدا أى على امته بتبليغه اليهم وعلى الامم بان انبياءهم بلغتهم (المشهود) المنظور اليه من جميع الرسل (المحمود) الذى يحمد (بالمحامد التى يلهمها) بالبناء للفاعل فى ذلك اليوم ولم يلهمها قبل (للحامد) الذى هو النبى صلى الله عليه وسلم (المحمود) أى الله سبحانه وتعالى فاعل يلهمها (و) بوّأه ومنحه (المنزلة) المرتبة (العليه) كقيامه عن يمين العرش وفى نسخ ذو المنزلة (والدرجة السنيه) واحدة الدرجات وهى الوسيلة التى هى أعلى درجة فى الجنة (فى حظائر القدس الاقدسيه) الجنة (والمشاهد الانفسيه) ولما ذكر أن المصطفى وصل الى أعلى مراتب الكمال فى الدارين وكمال غيره انما هو بهدايته والاقتباس من نور شريعته ناسب ان يعظمه ويدعو له اداء لبعض حقه وتوسلا الى الله تعالى فى قبول حمده واتمام قصده فقال (واصل الله عليه فضائل الصلوات) قال السهيلى أصل الصلاة انحناء وانعطاف من الصلوين وهما عرقان فى الظهر ثم قالوا صلى عليه أى انحنى له رحمة له ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة اذا أرادوا المبالغة فيها فقوله صلى الله عليه أرق وابلغ من رحمه فى الحنو والعطف فالصلاة أصلها من المحسوسات ثم عبر بها عن هذا المعنى للمبالغة ومنه قيل صليت على الميت أى دعوت له دعاء من يحنو عليه ويعطف ولهذا لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الاطلاق انتهى والصلاة من الله رحمة ومن العبد دعاء ومن الملائكة استغفار كما جاء عن الحبر ترجمان القرآن واعتراضه بقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة رد بانه اخص من مطلق الرحمة وعطف العام على الخاص مقيد وخص المعصوم بلفظها تعظيما له وتمييزا (وشرائف التسليم) مصدر وجمع بين الصلاة والسلام للآية ولما رواه أحمد والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف قال خرج صلى الله عليه وسلم فاتبعته حتى دخل نخلا فسجد فاطال السجود حتى خفت أو خشيت ان يكون الله قد توفاه قال فجئت انظر فرفع رأسه فقال مالك يا عبد الرحمن قال فذكرت ذلك له فقال ان جبريل قال لى الا ابشرك ان الله تعالى قال من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه والاحاديث فى هذا الباب كثيرة جدا (ونوامى البركات) زوائد والاضافة بيانية فالبركة الزيادة (وعلى آله الاطهار) أصل معناه الاتباع ولم يضف فى الاكثر المطرد الا الى العقلاء الاشراف وزيد قيد الذكور والكل اغلبى لقولهم آل الله وآل البيت قال

وانصر على آل الصليب * وعابديه اليوم آلك

وفى انهم بنو هاشم أو والمطلب أو عترته وأهل بيته أو بنو غالب أو اتقياء امته واختير فى مقام الدعاء وايد بانه اذا أطلق فى التعاريف شمل الصحب والتابعين لهم باحسان اقوال ويجوز اضافته الى الضمير على الصحيح وان زعم المبرد انه من لحن العامة (وأصحابه) جمع قلة لصاحب وان كانوا الوفا لان جمع القلة والكثرة انما يعتبران فى نكرات الجموع أما فى المعارف فلا فرق بينهما (الابرار) روى البخارى فى الادب المفرد والطبرانى فى الكبير عن ابن عمر رفعه انما سماهم الله تعالى الابرار لانهم بروا الاباء والامهات والابناء كما ان لوالديك عليك حقا كذلك

قوله (صلاة وسلاما) اسما مصدرين منصوبان على المفعولية المطلقة مفيدان التقوية عاملهما المؤكدان لمعناه (لا ينقطع عنهما امد الامد) أى زمانه والامد الغاية (ولا يحصيهما) يطيقهما (المدد) لكثرتهما (ابد الابد) أى آخر الدهر كما فى الصحاح قال الراغب والامد والابد متقاربان لكن الابد عبارة عن مدة الزمان التى لا حد لها ولا تتقيد ولا يقال ابد كذا والامد لها حد مجهول اذا اطلق وقد ينحصر فيقال امد كذا كما يقال زمن كذا والفرق بين الزمان والامد أن الامد يقال باعتبار الغاية والزمن عام فى المبدأ والغاية ولذا قيل المدا والامد متقاربان (وبعد) ظرف مبنى على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن الاضافة واجاز هشام فتحه من غير تنوين وقال ابن النحاس انه غير معروف وروى عن سيبويه رفعها ونصبها ظرف زمان كثيرا كجا زيد بعد عمرو ومكان قليلا كدار زيد بعد دار عمرو وهى هنا كما قيل صالحة للزمان باعتبار اللفظ وللمكان باعتبار الرقم (فهذه) الفاء على توهم الناظر وجود أما فى الكلام البليغ لان الشئ اذا كثر الاتيان به ترك وتوهم وجوده كقوله

بدا لى انى لست مدرك ما مضى * ولا سابق شيئا اذا كان جائيا

وقد كثر مصاحبة اما لبعد فاذا تركت توهم وجودها أو على تقديرها فى نظم الكلام والواو عوض عنها أو دون تعويض أو لاجراء الظرف مجرى الشرط قيل وهو الوجه الوجيه فلا يشكل بان الفاء انما تدخل فى جواب الشرط وذكر الدماميني ان بعد معمول لمحذوف تقديره واقول بعد هذا الكلام ومقول القول محذوف أى تنبه لكذا فالفاء سببية وهى هنا فصيحة والاشارة الى موجود ذهنا ان كانت قبل التأليف هذا وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اما بعد فى خطبه وشبهها كما روى ذلك أربعون صحابيا كما افاده الرهاوى فى اربعينه المتباينة الاسانيد وما ادرى ما وجه اقتصار كثيرين على الظرف كالمصنف ولا يكفى الاعتذار بان المدار عليه أو روما للاختصار لان المطلوب اتباع ما جاءت به السنة لاسيما والاطناب مطلوب فى الخطب وكون المدار عليه يحتاج لوحى يسفر عنه وفى ان أول من نطق باما بعد داود وكانت له فصل الخطاب أو كعب أو يعرب أو قس أو سحبان أو يعقوب أو ايوب اقوال وفى غرائب مالك للدارقطنى ان يعقوب أول من قالها قال الحافظ فان ثبت وقلنا ان قحطان من ذرية اسمعيل فيعقوب أول من قالها مطلقا وان قلنا ان قحطان قبل ابراهيم فيعرب أول من قالها انتهى (لطيفة) من اللطافة ضد الكثافة (من لطائف نفحات) عطايا (العواطف الرحمانية) المنسوبة الى الرحمن تبارك وتعالى (ومنحة) عطية (من منح مواهب) من اضافة الاعم الى الاخص (العطايا) بمعنى الاعطاآت ففيه انه قيل منحة هى بعض المنح التى هى مواهب حاصلة باعطاء الله (الربانية) المنسوبة الى الرب المربى لعباده بنعم لا تحصى (تنبى) تخبر (عن نبذة) بضم النون وقد تفتح يقال ذهب ماله وبقى منه نبذة أى قليل لان القليل ينبذ أى يطرح ولا يبالى به لقلته أى عن خواص قليلة (من كمال شرف نبينا محمد عليه أفضل الصلوات وأنمى التسليم واسنى) ارفع (الصلات) بكسر الصاد جمع صلة بمعنى الاحسان من وصل والهاء عوض من الواو

المحذوفة كما فى النهاية وهذه النبذة وان كانت قليلة فى نفسها لكنها محيطة فى نوعها فريدة فى فنها جامعة فى شأنها (و) تنبئ عن (سبق نبوته فى الازمان الازليه) القديمة وآدم بين الروح والجسد (وثبوت رسالته فى الغايات الاحديه) المنسوبة للاحد قال الكاشى فى لطائفه الغايات يعنى بها مايتم به ظهور الكمال المختص بكل شئ بالنسبة الى ما كان له من ذلك الكمال فى حضرة العلم الازلى كما هو الحال من كون الغاية من السرير الجلوس عليه والقلم الكتابة به قال وهكذا الكل موجود انسانا أو غيره غايات انتهى (والتبشير باحمديته) أى صفاته المحمودة ومنها ان اسمه أحمد (فى الازمان الخاليه) وقد روى أبو نعيم والطبرانى ان فى التوراة عبدى احمد المختار وفى التنزيل عن عيسى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (والتذكير بمحمديته فى الامم الماضيه) المتبادر بان اسمه محمد عليه السلام (و) تنبئ عن (اشراق بوارق) جمع بارق قال المجد سحاب ذو برق (لوامع انوار آيات ولادته) من نار ينور اذا نفر ومنه نوار للظبية وبه سميت المرأة فوضع له لانتشاره أو لازالة الظلام كأنه ينفر منه ويطلق على الله والمصطفى والقرآن (التى سار ضوء فجرها) قيل الضوء ابلغ من النور لقوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وعليه الزمخشرى اذ قال الاضاءة فرط الانارة ورد بأن ابن السكيت سوى بينهما واجيب بان كلامه بحسب أصل الوضع وماذكر بحسب الاستعمال كما فى الاساس والتحقيق ما فى الكشف ان الضوء فرع النور وهو الشعاع المنتشر ولذا اطلق النور على الذوات دون الضوء وفى الروض الانف فى قول ورقة

ويظهر فى البلاد ضياء نور * يقيم به البرية ان تموجا

ما يوضح الفرق بينهما وان الضياء الشعاع المنتشر عن النور فالنور أصله ومنه مبدؤه وعنه يصدر قال تعالى فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وجعل الشمس ضياء لان القمر لا ينتشر عنه ما ينتشر عنها لاسيما فى طرفى الشهر ولذا سمى الله القمر نورا دون ضياء فعلم ان بينهما فرقا لغة واستعمالا وأصل الفجر الشق الواسع قال الراغب ومنه قيل للصبح فجر لكونه فاجر الليل (فى سائر بريته) خليقته من برأ النسمة فيجوز همزه وتخفيفه وهو افصح واكثر وهو يدل على انه غير معتل من البرى بمعنى التراب كما ذهب اليه بعض اللغويين (ودار بدر) اسم القمر ليلة الرابع عشر لمبادرته بالطلوع غروب الشمس أو لتمام عدده من البدرة كما مر (فخرها) بفاء وخاء معجمة مصدر كالفخار أى المباهاة (فى اقطار) نواحى (ملته) قال الراغب هى اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه ليتوصلوا به الى جواره والفرق بينها وبين الدين ان الملة لا تضاف الى الذى تستند اليه ولا تكاد توجد مضافة الى الله ولا الى احاد الامة ولا تستعمل الا فى جملة الشرائع دون آحادها كذا قال (و) تنبئ عن (عواطف لطائف رضاعه وحضانته) بفتح الحاء وكسرها كما فى المصباح (وينابيع) عيون (اسرار سرى مسراه وبعثته وهجرته) من مكة الى طيبة (وعوارف معارف عوديته السارى عرف) أى ريح (شذاها) جمع شذاة وهو فى الاصل كسر العود بكسر ففتح أى العود الذى يتبخر به وهو مكسر لكونه اقوى فى الرائحة

ويطلق على الرائحة نفسها والمراد هنا المعنى الاول لئلا يتحد المضاف والمضاف اليه (فى آفاق) نواحى (قلوب أهل ولايته) الموالين له باتباع أوامره واجتناب نواهيه واقتباس هداه (و) تنبى عن (نفائس) جمع نفيس أى جلائل (انفاس أحواله الزكيه) التى لا يدانيه فيها مخلوق (ودقائق) جمع دقيقة من الدقة خلاف الغلظة أوصغر الجرم (حقائق سيرته العليه) هى هيئة السير جمعها سير ثم خصت بحاله فى غزواته ونحوها (الى حين نقلته لروضة قدسه) الجنة (الاحديه) المنسوبة للاحد سبحانه لابتداعه لها وجعلها مختصة بالموحدين محرمة على غيرهم (و) تنبى عن (تشريفه بشرائف الآيات) العلامات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم (و) عن (تكريمه بكرائم المعجزات) الامور المعجزة للبشر الخارقة للعادة (وترفيعه فى آى التنزيل) بمد الهمزة وتخفيف الياء جمع آية أواسم جنس جمعى لها (برفعة ذكره وعلو خطره) بفتح الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة قدره ومنزلته (وتعظيم) توقير وتكريم (محاسن) جمع حسن على خلاف القياس أوجمع مفرد مقدر لم يسمع كمحسن بزنة مقعد أولا واحد له وهى الامر الحسن مطلقا أو الحسن الخفى (شمائله) جمع شمال بالكسر أى اخلاقه وصفاته المحمودة (وخلائقه) جمع خلق كقول حسان * ان الخلائق فاعلم شرها البدع ولم يذكره صاحب القاموس فى جموع خليقة (وتخصيصه بعموم رسالته) مع الجواب عن نوح وآدم عليهما السلام (و) تنبى عن (وجوب محبته و) وجوب (اتباع طريقته) فى غيرما اختص به (و) تنبى عن (سيادته الجامعة لجوامع السودد) بالضم أنواع السيادة (فى مشهد مشاهد المرسلين) فى الدنيا كاقتدائهم به ليلة الاسراء والاخرى فآدم فمن سواه تحت لوائه (وتفضيله بالشفاعة العظمى) فى فصل القضاء بين الخلق (العامة لعموم الاولين والآخرين) التى يتنصل منها رؤساء الانبياء حتى يقوم لها (الى غير ذلك من عجائب آياته) جمع آية وهى العلامة (ومنحه) بكسر ففتح جمع أى عطاياه (وغرائب أعلام) جمع علم بفتحتين العلامة المنصوبة فى الطريق ليعرف بها ولذا سميت نصبا ويكون بمعنى الجبل أيضا لانه يهتدى به كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كانه علم فى رأسه نار

وفى قولها صخر وهو اسم اخيها الطيفة اتفاقية لمناسبة الجبل (نبوته) عرفها امام الحرمين بانها صفة كلامية هى قول الله تعالى هو رسولى وتصديقه بالامر الخارق ولا تكون عن قوة فى النفس كما قاله الحكماء ولا عن رياضة يحصل بها الصفاء فيحصل التجلى فى النفس كما قاله بعض الصوفية ولا عن قربان الهياكل السبعة كما زعمه المنجمون ولا هى بالارث كما قال بعض أهل البيت وأتباعهم ولا هى علم الانسان بربه لانه عام ولا علم النبى بكونه نبيا لتأخره بالذات انتهى (وحججه) براهينه (أوردتها حججا قاهرة) صفة لحجج أى مانعة لهم من المعارضة (على الملحدين) متعلق بحجج فلا حاجة لدعوى التضمين فى قاهرة (وذكرى نافعة) أى اسبابا مذكرة (للموحدين) خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها كما فى قوله فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين (وتنبيها) ايقاظا (لعزائم) جمع عزيمة وعزمة اجتهاد (المهتدين) جمع

مهتدى (ولم اكن والله اهلا) أى مستحقا (لذلك) التأليف من قولهم هو أهل للاكرام أى مستحق له (ولم أرنفسى فيما هنالك لصعوبة) مصدر صعب (هذا المسلك ومشقة السير فى طريق) يذكر فى لغة نجد وبه جاء القرآن فى قوله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا ويؤنث فى لغة الحجاز (لم يكن لمثلى يسلك) يقال سلكه وأسلكه قال وهم سلكوك فى أمر عصيب وهذا من تواضع المصنف والافهو من العلماء العاملين أصحاب التصانيف المفيدة والباع العالى واليد المديدة الاان عادتهم جرت بمثل هذا فى التأليف خصوصا فى باب السنة (وانما هو نكتة) كنقطة جمعها نكت كنقط ويجمع أيضا على نكات كبقعة وبقاع وعليه اقتصر القاموس وسمع أيضا نكات بالضم وهى فى الاصل فعلة من النكت وهو النبش الخفيف فى التراب بعود ونحوه وتفعل اذا فكر فى أمر خفى فنقلت للمعنى الدقيق النادر والكلام القليل الحسن لتاثيره فى النفس أو احتياجه لفكر وتامل (سر) أى خالص (قراءتى كتاب الشفا) بتعريف حقوق المصطفى للامام الشهير المجتهد العلامة الفقيه المفسر الحافظ البليغ الاديب عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى المالكى وشهرته تغنى عن ترجمته رحمه الله وكتابه هذا ذكر ابن المقرى اليمنى فى ديوانه انه شوهد بركته حتى لايقع ضرر لمكان هو فيه ولا تغرق سفينة كان فيها واذا قرأه مريض شفى وقال غيره انه جرب قراءته لشفاء الامراض وفك عقد الشدائد وفيه امان من الغرق والحرق والطاعون ببركة المصطفى واذا صح الاعتقاد حصل المراد (بحضرة) ذى (التخصيص) قال الراغب هو تفرد بعض الشئ بما لا تشاركه فيه الجملة (والاصطفا) صلى الله عليه وسلم افتعال من الصفوة بالفتح والكسر وهى الاختيار قال فى النهاية حضرة الرجل قربه وتكون بمعنى المجلس والفناء وفى النسيم استعمله الكتاب فى الانشاء للتعظيم كالمقام العالى وحضرة الخليفة تادبا باضافة ماله لمحله (فى مكتب التاديب والتعليم) قال شيخنا أى بين روضة النبى صلى الله عليه وسلم ومنبره وكان المصنف يقرأه للناس هنالك (فى مشهد مشاهد المؤانسة والتكريم) ولقد صدق المصنف رحمه الله فانه فى هذا الكتاب اقتبس من انوار الشفا وتعلق باذياله فى غالب التقسيم والابواب حتى انه اقتفى اثره فى صدر الخطبة فقال المنفرد مع مافيه من النزاع منشدا بلسان حال الاتباع

وهل انا الامن غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

(مستجليا) أى مستكشفا (فى مجالى تجليات الانوار الاحمدية محاسن صفات خلقته وعظم اخلاقه الزكية) فانها قاطعة بانه حائز لجميع صفات الحسن متصفا بها على اكمل وجه يليق به خلقا وخلقا وما بعد قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم مطلب (سائرا بسر سيرته) طريقته وهيئته وحالته (فى منهاج مانه) النهج والمنهج والمنهاج الطريق الواضح (الى سماء هديه الاسنى) الارفع (راتعا) منبسطا أولاهيا أو متسعا من الرتعة قال الهروى بسكون التاء وفتحها اتساع فى الخصب وكل مخصب مرتع يقال رتعت الابل وأرتعها صاحبها وقوله تعالى نرتع ونلعب قال أبو عبيد نلهو وابن الانبارى أى هو مخصب لا يعدم ما يريده وغيره نسعى وننبسط وقيل نأكل انتهى ملخصا (فى رياض روضة) هو الموضع

المجب

المحبب بالزهور وجمعها ما اضيف اليها وروضات بسكون الواو للتخفيف كما في قوله تعالى في روضات الجنات وهذيل بفتح الواو على القياس قيل سميت بذلك لاستراضة المياه السائلة اليها أي لسكونها بها وفي الغريبين الروضة أي في الاصل الموضع الذي يستنقع فيه الماء ويقال للماء نفسه روضة قال وروضة سقيت منها نضرتي أراد ما اجتمع في غدير انتهى (سننه) جمع سنة وهي الطريقة والسيرة حميدة كانت أو ذميمة (النزهة) قال الزمخشري أرض نزهة ذات نزهة وخرجوا يتنزهون يطلبون الاماكن النزهة والنزه مثل غرفة وغرف ذكره في المصباح (الحسنا) تانيث الاحسن (مستمدا من فتح) مصدر فتح (البارى) أي من عطاء الله تعالى وفيه تورية بذكر اسم الكتاب الذي هو شرح الحافظ ابن حجر على البخاري فالاخذ منه من جملة عطاء الله ولا يشك من احاط بهذا الكتاب وبشرح البخاري للحافظ أن نحو نصف ذا الكتاب منه بعزو ودونه (فيض) مصدر فاض الماء كثر حتى سال كالوادي (فضله السارى فنحى صاحب هذه المنح من مصون) وزنه مفول على نقص العين كما في المصباح أي محفوظ (حقائقه) جمع حقيقة وقدمر معناها لغة وانها عند ارباب السلوك العلوم المدركة بتصفية الباطن (وأبرز) اظهر ظهورا تاما وأصله جعله على براز بالفتح أي مكان مرتفع (لي مما اكنه) اخفاه (من مكنون رقائقه) جمع رقيقة وهي اللطيفة الروحانية وتطلق على الواسطة اللطيفة الرابطة بين الشيئين كالمدد الواصل من الحق الى العبد وتطلق الرقائق على علوم الطريقة والسلوك وما يلطف به سر العبد وتزول كثافة النفس (فانفتحت بالفتح المحمدى عين بصيرة الاستبصار) قال ابن الكمال البصيرة قوة للقلب المنور بنور القدس ترى حقائق الاشياء وبواطنها بمثابة البصر للعين ترى به صورة الاشياء وظاهرها وقال الراغب البصر الجارحة كلمح البصر والقوة التي فيها ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة انتهى (وتنزه الناظر في رياض) أصل التنزه التباعد عن المياه والارياف ومنه فلان يتنزه عن الاقذار أي يباعد نفسه عنها ولذا قال ابن السكيت قول الناس اذا خرجوا الى البساتين خرجنا نتنزه غلط قال ابن قتيبة وليس بغلط لان البساتين في كل بلدة انما تكون خارج البلد فاذا أراد أحد أن ياتيها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت ثم كثر هذا حتى استعملت النزهة في الخضر والجنان انتهى (ارتياض رقائق الاسرار) جمع سر وهو الحديث المكتتم في النفس وكني به عن النكاح السر من حيث انه يكتم واستعير للخالص فقيل هو في سر قومه (فاستجليت من ابكار) جمع بكر خلاف الثيب رجلا كان أو امرأة كما في المصباح (مخدرات) مستورات (السنة النبوية من كل صورة) تمثال (معناها واقتبست) اصبت (من تلالؤ مصباح) القنديل أو الفتيلة ماخوذ من الصباح أو الصباحة (مشكاة المعارف من كل بارقة أضواها) اكثرها ضوءا والبارقة لغة كل مالمع والسيف للمعانه وفي اصطلاح الصوفية لائحة ترد من جانب القدس وتنطفي سريعا وهو من أوائل الكشف ومباديه ذكره في التوقيف (واستنشقت) شممت (من كل عبقة) أي نكتة تشبه الطيب (صوفية) كلمة مولدة كما في المصباح (شذاها) رائحتها وفي المصباح قالوا ولا يكون

العبق الا الرائحة الطيبة الذكية انتهى منسوبة الى التصوف وهو تجريد القلب لله واحتقار ما عداه بالنسبة لعظمته والا فاحتقار نبي كفر وقيل فيه غير ذلك مما عبر فيه كل على مقداره وقد الف الاستاذ أبو منصور البغدادي كتابا في معنى التصوف والصوفي جمع فيه من أقوال الطريق زهاء ألف قول مرتبة على حروف المعجم (واجتنيت) بمعنى جنيت الثمرة كما في المصباح (من أفنان) اغصان جمع فنن محركة وجمع الجمع أفانين كما في القاموس (لطائف تاويل) قال ابن الكمال هو صرف الآية عن معناها الظاهر الى معنى يحتمله اذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة كقوله يخرج الحي من الميت ان اريد به اخراج الطير من البيضة كان تفسيرا أو اخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا انتهى (آي الكتاب العزيز) القوي الغالب على كل كتاب بمعانيه واعجازه ونسخه احكامها أو العظيم الشريف أو الذي لا نظير له في الكتب أو الممتنع من مضاهاته لاعجازه أو التغيير والتحريف لحفظ الله له (من كل ثمرة) مؤنثة مفردة ثمرات مثل قصبة وقصبات (مشتهاها) مشتاقها (ولازات) معناه ملازمة الشئ (في جنات) جمع جنة على لفظها وتجمع أيضا على جنان أي حدائق (لطائف هذه المنح) العطايا (أغدو) اذهب وقت الغدوة وفي الاصل ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق أي وقت كان ومنه الحديث اغد يا انيس أي انطلق (وأروح) قال ابن فارس الرواح رواح العشي وهو من الزوال الى الليل (في غبوق) بمعجمة قال في القاموس كصبور ما يشرب بالعشي (وصبوح) بالفتح شرب الغداة (حتى انهلت غمائم) جمع غمامة أي سحائب (المعاني على أرباض) جمع ربض بفتحتين وهو ما حول المدينة وفي نسخة على أرض (رياض المباني) ونسخة أرض انسب بقوله (فأينعت) بالالف اكثر استعمالا من ينعت أي ادركت (ازهارها) جمع زهر قالوا ولا يسمى زهرا حتى ينفتح وقال ابن قتيبة حتى يصفر (وتكللت بنفائس جواهر) جمع جوهر على زنة فوعل (العلوم أوراقها) جمع ورق بفتحتين (وطابت) لذت وحلت (لمجتني رقائق الحقائق ثمارها) جمع ثمر بفتحتين مذكر وجمع الجمع اثمار (وتدفقت) انصبت بشدة (حياض) جمع حوض الماء ويجمع أيضا على احواض وأصل حياض الواو لكن قلبت ياء للكسرة قبلها كما في المصباح (بدائع الفاظها بزلال كلماتها) في القاموس ماء زلال كغراب الى ان قال سريع المر في الحلق بارد عذب صاف سهل (وخطب) بابه قتل وعظ (خطيب) مفرد خطباء (قلوب أبناء الهوى) بالقصر مصدر هويته اذا احببته وعلقت به (على منبر) بكسر الميم على التشبيه باسم الآلة من النبر قال ابن فارس النبر في الكلام الهمز وكل شئ رفع فقد نبر ومنه المنبر لارتفاعه (الغرام) هو ما يصيب الانسان من شدة ومصيبة (الاقدس) الاطهر (يدعو) ينادي ويطلب الاقبال (لكمال محاسن الحبيب) في المصباح يستعمل الكمال في الذوات وفي الصفات يقال كمل اذا تمت اجزاؤه وكملت محاسنه (الارأس) بالهمز أي الشريف القدر (فترنحت) تمايلت (بسلاف) بالضم بخمر (راح) هو أيضا الخمر فالاضافة بيانية (الارتياح) الراحة (نفائس الارواح) جمع روح يذكر

ويؤنث

ويؤنث قاله ابن سيده والجوهري وقال ابن الاعرابي وابن الانباري الروح والنفس واحد غير ان العرب تذكر الروح وتؤنث النفس (وتمايلت بطربات) من الطرب وهو الخفة لشدة حزن أو سرور (ألحان) جمع لحن قال في القاموس من الاصوات المصوغة الموضوعة ويجمع أيضا على لحون (الحنين) المشتاق (الى جمال المحبوب كرائم) جمع كريمة أى نفائس (الاشباح) الاشخاص (ورمزم) في القاموس الزمزمة الصوت البعيد له دوى (مزمزم الصفا) الخلوص من الكدر (بحضرة خلاصة) بالضم (أولى الوفا فانشدا) انشاد الشعر قراءته (مرددا * حضر الحبيب وغاب عنه رقيبه *) مو الحافظ اما المراعاة رقبة المحفوظ واما رفعة رقبته وغيبته من أجل المخ ونهاية الصفا فان ملازمته أمريض ني ومرض يفنى مع انه هو المبتلى لانه سهر وتعب وضاع زمانه وذاب فؤاده بلا فائده والعاشق يجد في الغرام لذة عليه عائده ولذا قال

أحب العذول لترديده * حديث الحبيب على مسمعي
وأهوى الرقيب لان الرقيب * أراه اذا كان حبي معي

(حسبي) كافي (نعيم زال) ذهب (عنه حبيبه) عاده (داوى فؤادى الوصل) ضد الهجر (من أدوائه) متعلق بفؤادى جمع داء مثل باب وأبواب (طوبى) فعلى من الطيب أى فرح وقرة عين (لقلبي والحبيب طبيبه) مداويه (صدق المحب حبيبه في حبه) بضم الحاء قال الحرالي هو احساس بوصلة لا يدرى كنهها (فحباه) أعطاه (صدق الحب منه حبيبه) فاعل حبي (لبابه) خالص (فؤاده) في المصباح لب كل شئ خالصه ولبابه مثله (فاجابه لما دعاه الى الغرام وجيبه) بالجيم أى سببه القوى وهو ميل قلبه ومحبته (وبجامع الاهواء) جمع هوى مقصور وجمع الممدود أهوية وقد تطرف من قال

جمع الهواء مع الهوى في أضلعي * فتكاملت في مهجتي نيراني
فقصرت بالممدود عن وصل الظبا * ومددت بالمقصور في أكفاني

(حيعل حبه) الحاء والعين لا يجتمعان في كلمة واحدة الا ان تؤلف من كلمتين كالحيعلة قاله الدميري ونقل المازري عن المطرزي في كتاب اليواقيت وغيره ان الافعال التي أخذت من أسمائها سبعة بسمل اذا قال باسم الله وسبحل اذا قال سبحان الله وحوقل اذا قال لا حول ولا قوة الا بالله وحيعل اذا قال حي على الفلاح وحمدل اذا قال الحمد لله وهيلل اذا قال لا اله الا الله وجعفل اذا قال جعلت فداك زاد الثعلبي طبقل اذا قال أطال الله بقاءك ودمعز اذا قال أدام الله عزك انتهى وفي قصيدة الشاطبي حسبل وقبله شر احه وظاهرهم انها مسموعة وقول المازري حيصل اذا قال حي على الصلاة قياسا على حيعل رده عياض بان حيعل يطلق عليهما معا لانها من حي على كذا ولو صح قياسه لقيل في حي على الفلاح الحيفلة فكيف وهذا باب مسموع لا يقاس عليه انتهى (ولحسنه خطب القلوب خطيبه * فلما سمعت هذه المواهب آذان) جمع أذن بضمتين ويسكن تخفيفا مؤنثة (قلوب) ذكر ابن العماد في كشف الاسرار ان للقلب أذنين يسمع بهما كما في الرأس أذنان (أولى الالباب) جمع لب

قال الراغب وهو العقل الخالص من الشوائب سمي به لكونه خالص ما في الانسان من قواه كاللباب من الشيء وقيل هو ما زكا من العقل فكل لب عقل ولا عكس ولهذا علق الله الاحكام التي لا يدركها الا العقول الزكية بأولي الالباب نحو ومن يؤت الحكمة الى وما يذكر الا أولوا الالباب وقال الحرالي" اللب باطن العقل الذي شأنه أن يلحظ الحقائق من المحسوطات وقال ابن الكمال هو العقل المنور بنور القدس الصافي عن قشور الاوهام والتخيلات واللب عند الصوفية قال بعضهم ما صين من العلوم عن القلوب المعلقة بالكون (تلفتت) عطفت وصرفت قال الزمخشري" لفت رداءه على عنقه عطفه (عيون أعيانهم) جمع عين أي أعين القلوب فللقلب عين كما ان للبدن عينا قاله الراغب (لتلخيص) هو استيفاء المقاصد بكلام وجيز (خلاصة جوهر هذا الخطاب) وهو القول الذي يفهم المخاطب بالكسر المخاطب به شيئا وما أحسن جعله تلفت العيون بعد السماع فهو على حد قوله

ياقوم أذني لبعض الحي" عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهوى فقلت لهم * الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

(في سفر) بالكسر كتاب كبير جمعه اسفار، سفر الكتاب كتبه والسفرة الكتبة ذكره الزمخشري" وقال الراغب السفر الكتاب الذي يسفر عن الحقائق انتهى (يسفر) من أسفر كشف مطلقا وقول القاموس سفرت المرأة تمثيل لا تقييد كما في النسيم أي يكشف (عن وجه المنح النبوية") الوجه الذي به المواجهة ويكون بمعنى الجهة المقصودة ويستعار لخيار الشيء وأوله ورئيسه ومفعول يسفر هو (منيع النقاب) ككتاب جمعه نقب ككتب من اضافة الصفة للموصوف أي النقاب المنيع (فأطلقت) من اطلقت الاسير اذا خليت عنه فذهب في سبيله أي أرسلت (عنان) ككتاب لجام الدابة من عن يعن اعترض سمي به لانه يعن أي يعترض الفم فلا يدخله الا بمحاولة الادخال ويقال جاء ثانيا عنانه اذا قضى وطره وهو ذليل العنان منقاد وفلان طويل العنان اذا لم يرد عما يرومه لشرفه (القلم) الذي يكتب فعل بمعنى مفعول ككفر ونفض وخبط ولذا قالوا لا يسمى قلما الا بعد البري وقبله قصبة قال الازهري" وسمي السهم قلما لانه يقلم أي يبرى وكل ما قطعت منه شيئا بعد شيء فقد قلمته انتهى وفي كثير النسخ بدل فأطلقت فثنيت وفي المصباح ثنيته عن مراده اذا صرفته فالمعنى هنا صرفت عنان القلم عما كان مشغولا به (الى تحصيل) قال ابن فارس أصل التحصيل استخراج الذهب من المعدن انتهى وقال أبو البقا التحصيل الادراك من حصلت الشيء أدركته وقال غيره هو اخراج اللب من القشر ومنه حصل ما في الصدور أي أظهر ما فيها (مآربهم) حاجتهم جمع مأربة بفتح الراء وضمها وهي والارب بفتحتين والارب بالكسر الحاجة (وتسطير) كتابة (مطالبهم) جمع مطلب في المصباح يكون المطلب مصدرا وموضع الطلب (جانحا) مائلا (صوب) هو المطر تسمية بالمصدر وصاب المطر صوبا من باب قال كما في المصباح وفي غيره صوب الشيء جهته (الصواب) قال الدماميني" كأن المراد به الاستقامة من صاب السهم اذا قصد ولم يحد عن الغرض والصوب المطر أو نزوله ويمكن ان

يرادا هما على الاستعارة فامّا ان الصواب مشبه بالسحاب فهو استعارة بالكناية واثبات
الصوب له استعارة تخييلية وامّا انه مشبه بالمطر وأثبت له الصوب المراد به نزول المطر ووجه
التشبيه حصول النفع المبهج للنفوس وفى صوب الصواب ما يشبه جناس الاشتقاق انتهى
(مودعا) بالكسر (ما كان مستودعا) بالفتح (لى فى غيابات) القاموس غيابة كل
شئ ما سترك منه ومنه غيابات الجب انتهى أى فى مستورات (الغيب) وهو ما غاب عنك جمعه
غيوب وغياب كما فى القاموس (فى هذا الكتاب) الحاضر فى الذهن ان كانت الخطبة قبل
تأليفه والكتاب لغة يدور على الضم والجمع من جميع وجوهه وسمى الخط كتابة لجمع الحروف
وضم بعضها الى بعض ويطلق على اسم الفاعل واسم المفعول قال الاردبيلى يطلق الكتاب
على مطلق الخط وعلى الكلام المكتوب تسمية لاسم المفعول بالمصدر وعلى مطلق الكلام
اتساعا كما فى قوله تعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ثم شاع استعماله فى التعارف فيما جمع
فيه الالفاظ الدالة على نوع من المعنى أو أكثر لما بين المصدر والمكان من التعلق الخاص
فيقال أتانى كتاب عن فلان وسيرت الى فلان كتابا ومنه اذهب بكتابى هذا وأمّا فى عرف
المؤلفين فيطلق تارة على مكتوب مشتمل على حكم أمر مستقل منفرد عن غيره وعن آثاره
ولواحقه وتوابعه وأسبابه وشروطه وتارة على مكتوب مشتمل على مسائل علم أو أكثر وقد
يسمى ذلك المكتوب باسم خاص وهو المراد هنا (مستعينا فى ذلك بالقوى) الذى لا يلحقه
ضعف فى ذاته ولا صفاته ولا أفعاله ولا يمسه نصب ولا لغب ولا يدركه قصور ولا تعب
(الوهاب) كثير النعم ذى العطايا سبحانه من الهبة وهى العطية بلا سبب سابق ولا استحقاق
ولا مقابلة ولا جزاء (حتى أتاح) بفتح الهمزة والفوقية فالف فحاء مهملة أى يسر الله
(لى ذلك وتمم ما هنالك فأوضحت) كشفت وجليت (ما خفى) استتر (من الدليل)
اسم فاعل وهو فى الاصل المرشد والكاشف (ومهدت) سهلت (ما توعر) صعب
(من السبيل) الطريق يذكر ويؤنث (وعينت المواهب اللدنيه) المنسوبة للدن أى
المواهب التى هى من الله لا ينسب منها لغيره شئ لان ما جرت العادة بحصول مثله من كسب
العبد ينسب له وما كان بالغا فى النفاسة ينسب الى الله اشارة الى انه لا يمكن حصوله من غيره
عادة لعزته على نحو قول العرب لله دره قال الطوفى وعلمناه من لدنا علما أى من عندنا وهذا
هو متعلق الصوفية وأهل السلوك فى اثبات العلم اللدنى نسبة الى لدن وهو الهام المعرفه
بالحقائق الغيبية وغيرها وقال غيره العلم اللدنى يراد به العلم الحاصل بلا كسب ولا عمل للعبد
فيه سمى لدنيا لحصوله من لدن ربنا لا من كسبنا وقد صنف الغزالى كتابا فى بيان هذا وبين فيه
كيفية حصوله وانه لا يمكن ان يحصل بكسب وذكر فيه قول على لو طويت لى وسادة
لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم ولقلت فى الباء من بسم الله
وقر سبعين جملا قال ومعلوم ان عليا كرّم الله وجهه انما أخذه من لدن ربه لا من تعليم بشر
انتهى ولا يشكل بقوله صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم رواه ابن أبى عاصم والطبرانى
والعسكرى وغيرهم وسنده حسن كما قال الحافظ وجزم به البخارى تعليقا لجواز أن المراد
علم الاحكام والقران والاحاديث النبوية اذ لا طريق الى معرفتها الا بالتعلم فان عهدية

ولا شك ان عليا كان قد تعلم القران والسنة والاحكام قبل أن يقول ذلك (بالمنح) الكاملة (المحديه) قال للكمال فالتعبير بها أولى بالمدح فلا يرد انه يوهم استيعابه بجميعها هنا ولا كذلك (ورتبته) أى الكتاب أى المقصود منه بالذات فلا ينافى ان الخطبة مقصودة والترتيب لغة جعل كل شئ فى مرتبته وعرفا جعل الاشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد ويكون لبعض أجزائه نسبة الى بعضها بالتقدم والتأخر والمراد ألفته مرتبا حال كونه مشتملا (على عشرة مقاصد) جمع مقصد بالكسر المقصود من مكان أوغيره وبما ذكر لا يرد أن ترتيبه عليها يبعد أنه غيرها ضرورة ان المرتب على شئ يغاير مارتب عليه (تسهيلا تلذيذا) (للسالك والقاصد) اسم فاعل أى الآتى أى الشارع فى قراءة ذا الكتاب والطالب للوقوف عليه *

(المقصد الاول فى) بيان (تشريف الله تعالى) حال لازمة أى متعاليا عما لا يليق بعلى جناب قدسه قال العكبرى وهو تفاعل من علو القدر والمنزلة هنا وأصل تفاعل لتعاطى الفعل كتخاشع وكذا تفعل كتكبر وهما فى حقه تعالى بمعنى التفرد لا بمعنى التعالى انتهى (له عليه الصلاة والسلام) أى فيما يدل على شرفه من الاحاديث وغيرها (بسبق نبوته) أى تقدمها ولم يشتغل الا كثر بتعريف النبوة والرسالة بل بالنبى والرسول وقد عرفها امام الحرمين بانها صفة كلامية هى قول الله تعالى هو رسولى وتصديقه بالامر الخارق كما مر وقال الغزالى النبوة عبارة عما يختص به النبى ويفارق به غيره وهو يختص بأنواع من الخواص أحدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته وملائكته والدار الآخرة علما مخالفا لعلم غيره بكثرة المعلومات وزيادة الكشف والتحقيق ثانيها ان له فى نفسه صفة بها تتم الافعال الخارقة للعادة كما أن لنا صفة تتم بها الحركات المقرونة بارادتنا وهى القدرة ثالثها أن له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى رابعها ان له صفة بها يدرك ماسيكون فى الغيب فهذه كمالات وصفات ينقسم كل منها الى أقسام انتهى (فى سابق أزليته) قال فى التوقيف الازل القدم ليس له ابتداء ويطلق مجازا على ماطال عمره والازل استمرار الوجود فى أزمنة مقدرة غير متناهية فى جانب الماضى كما ان الابد استمراره كذلك فى المآل والازلى ماليس مسبوقا بالقدم وللوجود ثلاثة لا رابع لها أزلى أبدى وهو الحق سبحانه وتعالى ولا أزلى ولا أبدى وهو الدنيا وأبدى غير أزلى وهو الآخرة وعكسه محال اذ ماثبت قدمه استحال عدمه انتهى (ونشره) بوزن نصر مصدر نشر أى اظهاره (منشور رسالته) أى أثرها من الاحكام التى هى حياة للعالم وبهذا التفسير لا يرد أن نشر المنشور من تحصيل الحاصل أو يراد بالمنشور ما من شأنه ان ينشر فنشره عبارة عن اخراجه من القوة الى الفعل (فى مجالس مؤانسته) أى مقام رحمته لعباده فى الملأ الاعلى بجعلهم امنين غير مستوحشين فالمراد لازم المؤانسة وبالمجلس أيضا لازمه وهو مطلق الوجود لتعاليه سبحانه عن الحسى وهو موضع الجلوس جمعه مجالس ويطلق على أهله مجازا تسمية للحال باسم المحل (وكتبه) أى اثباته (توقيع) تعلق عنايته ومنه قولهم مواقع الغيث مساقطه (فى حظائر قدس كرامته) أى مواضع طهارته (وطهارة نسبه) عما

كان فى الجاهلية من نحو السفاح (وبراهين) جمع (أعلام آيات) اضافة بيانية (حمله وولادته) وضعه (ورضاعه) بفتح الراء كرضاعة مصدرا وضع يرضع بفتحتين لغة كما فى المصباح قال ولغة نجد رضع رضعا من باب تعب ولغة تهامة من باب ضرب وأهل مكة يتكلمون بها (وحضانته ودقائق حقائق بعثته وهجرته) من مكة الى طابة بكسر الهاء لغة مفارقة بلد الى غيره فان كانت قربة لله فهى الشرعية كما وقع لكثير من الانبياء (ولطائف معارف مغازيه) جمع مغزاة (وسراياه) جمع سرية وتجمع أيضا على سريات كعطية وعطايا وعطيات وهى قطعة من الجيش تخرج منه وتعود اليه (وبعوثه) جمع بعث تسمية بالمصدر وهو الجيش كما فى القاموس وغيره وفى كلام المصنف الآتى انه ما افترق من السرية (وسيرته) أى طريقته وهيئته لا ما اصطلح عليه لكونه قدمه حال كونى (مرتبا) بالكسر اسم فاعل أو حال كونه مرتبا بالفتح اسم مفعول أو هو مفعول ثان لجعل مقدرة أى وجعلته مرتبا (على السنين) فيقدم ما وقع فى الاولى ثم الثانية وهكذا وان كان الانسب ذكره من حيث ما ينضم اليه فى غيره وهذا أغلبى لذكره كفاية المستهزئين بعد الامر بالصدع لمناسبة كون آيته بعد تلك الآية وان كان غيره انما ذكره قبل انشقاق القمر وكذكره بعض ما وقع للمسلمين من أذى الكفار بعد اسلام حمزة وبعث المشركين الى اليهود (من حين نشأته) أى وجوده (الى وقت) زمن (وفاته) أى موته (ونقلته) تحوله (لرياض روضته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأزواجه) جمع زوج على اللغة العالية التى جاء بها القرآن نحو اسكن أنت وزوجك الجنة وبالهاء لغة نجدية تكلم بها أهل الحرم قاله أبو حاتم وغيره وجمعها زوجات وقول ابن السكيت أهل الحجاز بلا هاء وباقى العرب بالهاء فيه نظر فقد قال الاصمعى لا تكاد العرب تقول زوجة (وأصحابه) كذا فى النسخ والمناسب للسجع وصحابته

(المقصد الثانى فى ذكر أسمائه) فى الفصل الاول منه (الشريفة) مع شرح بعضها (المنبئة) صفة لازمة بين بها دلالة جميعها (على) وفى نسخة عن (كمال أخلاقه) سجاياه (المنيفة) الزائدة فى الكمال على غيرها من قولهم انافت الدراهم على المائة زادت ووجه انبائها من الاسماء التى هى صفات ان أريد بها معنى الوصفية كالمزمل والمتوكل ظاهر وأما الاعلام المنقولة كمحمد فباعتبار المعنى اللغوى لاسيما وقد لوحظ ذلك فى الوضع اذ جعل سبب التسمية أو باعتبار انه يفهم ذلك المعنى منها عند الاستعمال بالنظر لخصوص أسماء المصطفى وان كانت الاعلام بحسب الوضع انما تدل على مجرد الذات (و) الفصل الثانى فى ذكر (أولاده الكرام الطاهرين) صفتان كاشفتان (وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين) مع بيان هل يقال لهن أمهات المؤمنات وهو الفصل الثالث وفيه ذكر سراريه أيضا (وأعمامه) جمع عم (وعماته) جمع عمة (واخوته) آثر جمع المذكر تغليبا كما فى قوله وان كان له اخوة اذ المراد ما يشمل الاناث كما يأتى فى كلامه (من الرضاعة) قيد لبيان الواقع اذ ليس له أخ ولا أخت من النسب وقد قال الواقدى المعروف عندنا وعند أهل العلم ان آمنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (وجداته) وهو الفصل

الرابع (وخدمه) جمع خادم غلاما كان أو جارية وبالها فيها قليل (وموالية وحرسه) وهو الفصل الخامس (وكتابه) جمع كاتب (وكتبه الى أهل الاسلام في الشرائع) جمع شريعة سميت باسم الشريعة وهي مورد الناس للاستقاء لوضوحها وظهورها (والاحكام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام) وهو الفصل السادس وفيه ذكر أمرائه ورسله (و) في ذكر (مؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه) وهو الفصل السابع (وآلات حروبه) جمع آلة وهو الفصل الثامن (و) في ذكر (دوابه) وهو التاسع (والوافدين اليه صلى الله وسلم عليه) وهو الفصل العاشر (وفيه عشرة فصول) قد علمتها واسترحت من الكشف

(المقصد الثالث فيما فضله الله تعالى به) أي في صفات صيره بها أفضل من غيره من فضل مخففا على غيره زاد (من كمال خلقته) ايجاد أجزاء بدنه تامة معتدلة المقادير (وجمال صورته) أي حسنها الظاهر في جسده بتناسب أعضائه وصفاء لونه واعتدال قده وقيل المراد حسن وجهه وحسن الصورة أمر محمود يدل على حسن السريرة ويمدح به كمل الرجال ولذا خطأ الآمدي من اعترض على أبي تمام في وصف ممدوحه بالجمال لانه يليق بالغزل لما ذكر فقال في كتاب الموازنة جمال الوجه وحسنه مما يتمدح به لانه يتميز به ويدل على الخصال الممدوحة ويزيد في الهيبة والدمامة يذم بها العكس ذلك وقد غلط فيه من توهم انه لا يدخل في مدح العظماء انتهى وهذا هو الفصل الاول (و) الثاني فيما (كرمه) أي عظمه وميزه على غيره (سبحانه به من الاخلاق الزكية) جمع خلق وهو الوصف الذي طبع عليه واكتسبه وجمعه بناء على تعدده كما صار اليه كثيرون أو باعتبار ما ينشأ عنه من حميد الاوصاف (وشرفه) أعلاه (به) على غيره في الكتاب العزيز وغيره (من الاوصاف المرضية) القائمة به مساو في المعنى لما قبله (و) الفصل الثالث في (ماتدعو ضرورة حياته اليه) متعلق بتدعو أو بضرورة أو بهما على التنازع والضرورة شدة الاحتياج باعتبار العادة البشرية وفي عبارته لطف لايمائه الى انه ليس مضطرا اليه كغيره وانما الضرورة هي التي دعته وطلبته كما قال البوصيري

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

(صلى الله وسلم عليه * وفيه ثلاثة فصول) علمت

(المقصد الرابع في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته) صفة لازمة لا مخصصة لان معجزاته كلها دالة على الثبوت (وصدق رسالته) أي قوتها في القاموس الصدق بالكسر الشدة فهو مساو للثبوت فغاير تفننا أو المراد صدقه في ادعاء الرسالة وهذا الفصل الاول (و) الثاني في (ما خص به) أي ثبت له دون غيره من الانبياء أو أممهم وهو عطف على معجزاته عطف عام على خاص (من خصائص آياته) من اضافة الصفة للموصوف أي آياته الخاصة به أي الفاضلة في الشرف على غيرها فلا يرد ان شرط المبين أن يزيد على المبين اسم مفعول (وبدائع كراماته) أي كراماته البديعة التي تفرد بها من بين الكرامات فالصفة مضافة لموصوفها والكرامات أمر أكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين بدون

تحدّ ودعوى نبوة فتكون للنبي والولي وأعمّ من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدي بالقوة أو بالفعل فخرج بقولهم أكرم الى آخره السحر وما يصدر عن الكهنة والشياطين (وفيه فصلان) علما.

(المقصد الخامس في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بلطائف) وفي نسخة بخصائص والتخصيص قال الراغب تفرّد بعض الشيء بما لا تشاركه فيه الجملة والاصوليون قصر العام على بعض أفراده بدليل مستقل مقترن به وجله عليه شيخنا فقال أي قصره عليها يعني قصرا اضافيا دون غيره من الانبياء فلا يشكل عليه بكثرة المعجزات فالصواب التعبير بقصرها عليه لان يجعله اضافيا يساوي ذلك (المعراج) بكسر الميم وتفتح المصعد مفعال من العروج (والاسراء) قال الحافظ الدمياطي الاسراء عبارة عن سيره صلى الله عليه وسلم من مكة للمسجد الاقصى والمعراج سلم من نور أو من جوهر تصعد فيه الارواح الى السماء ويطلق كل منهما على ما يشمل الآخر (وتعميمه) تسويده من عمم الرجل بالبناء للمفعول سوّد أي جعل سيدا لان العمائم تيجان العرب كما في الصحاح وهو لفظ حديث مرفوع أخرجه الديلمي عن ابن عباس والقضاعي عن علي بزيادة والاحتباء حيطانها وجلوس المؤمن في المسجد رباطه وهو ضعيف وفي نسخة تكريمه (بعموم) أي كثرة (لطائف التكريم في حضرة التقريب) هي عند الصوفية مقام للكامل المكمل بغير واسطة بشر وهو النبي يأخذ عن الحق ما به يحصل كمال الحق المخلوق كما في لطائف الكاشي (بالمكالمة والمشاهدة) لله سبحانه على القول بأنه رآه وهما من أعظم الآيات فعطفه (والآيات الكبرى) عام على خاص وأتى بهذا الثلاثة يتوهم نفي أن المراد القرب المكاني

(المقصد السادس فيما ورد في آي التنزيل) القرآن جمع آية وهي ألفاظ منه ذات مقطع ومبدأ مندرجة في سورة (من عظيم قدره) أي مقداره وشرف رتبته وتكون بمعنى التعظيم كما في قوله وما قدروا الله حق قدره أي عظموه حق تعظيمه في أحد الوجوه فيه (ورفعة) بكسر الراء آخره تاء تأنيث مضاف الى (ذكره) وان قرئ رفع بفتح الراء والضمير للتنزيل فذكره بالنصب (وشهادته تعالى) عما لا يليق بعلي كماله (له بصدق نبوته) والشهادة خبر قاطع كما في القاموس (وثبوت بعثته وقسمه) بفتحتين (تعالى على تحقيق رسالته وعلوّ منصبه) بفتح الميم وكسر الصاد المهملة في كلام العرب بمعنى الحسب والشرف كما ذكره اللغويون واستفاض في كلام الفصحاء وفي المصباح يقال له منصب وزان مسجد أي علوّ ورفعة وفلان له منصب صدق يراد به المنبت والمحتد وامرأة ذات منصب انتهى وأما المنصب بمعنى الولايات ففي النسيم انه مولد لم يرد في كلامهم أصلا كقوله

نصب المنصب أوهى جلدي * وعنائي من مداراة السفل

فكأنه للنصب فيه للنظر في الامور أو هو من النصب والحيلة وكذا اطلاقه على ما يوضع عليه القدر مولد (الجليل) العظيم (ومكانته) عظمته عنده من قولهم كما في المصباح مكن فلان عند السلطان مكانة وزان ضخم ضخامة عظم عنده وارتفع فهو مكين انتهى أو استقامته يقال الناس على مكانتهم أي على استقامتهم كما في المختار وفي النسيم المكان

معروف فاذا زيد فيه الهاء أريد به المرتبة المعنوية كالمنزل والمنزلة (ووجوب طاعته واتباع سنته) طريقته (وأخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلا منه ان ادركوه ليؤمنن به ولينصرنه والتنويه به) بالجر أى بذكره يقال ناه بالشئ نوها من باب قال ونوه به تنويها رفع ذكره وعظمه وفى حديث عمر أنا أول من نوه بالعرب أى رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء كما فى المصباح (فى الكتب السالفة) الماضية (كالتوراة والانجيل) قيل مشتقان من الورى والنجل ووزنهما تفعلة وافعيل ورد بانه تعسف لانهما أعجميان ويؤيده انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من أبنية العرب

بانه صاحب الرسالة) العامة على وجه لم يوجد لغيره (والتبجيل) التعظيم والتوقير (وفيه عشرة أنواع) الاول فى آيات تتضمن عظم قدره الى آخره والثانى فى أخذ الله له الميثاق على النبيين فضلا والثالث فى وصفه له بالشهادة وشهادته له بالرسالة والرابع فى التنويه به فى الكتب السالفة والخامس فى اقسامه على تحقيق رسالته وفيه خمسة فصول والسادس فى وصفه له بالنور والسراج المنير والسابع فى وجوب طاعته والثامن فيما يتضمن الادب معه والتاسع فى رده تعالى على عدوه والعاشر فى ازالة الشبهات عن ايات وردت فى حقه متشابهات وهذا وان لم يكن شيئا ففيه اراحة للخاطر ولئلا يتوهم انه على نسق ما قبله وعبر هنا وفى التاسع بأنواع تفننا اذ المراد من الانواع والفصول واحد

(المقصد السابع فى وجوب محبته و) وجوب (اتباع سنته و) وجوب (الاهتداء بهديه) ومعنى الوجوب اعتقاد حقية ما أمر به عن الله تعالى وأما مباشرة الفعل فتختلف فى الوجوب والندب والاباحة ولا يشكل بان المندوب يجب بالنذر لامره صلى الله عليه وسلم بالوفاء بالنذر كالقرآن فهو من سنته وهديه (وطريقته) وهذا هو الفصل الاول (وفرض محبة آله وأصحابه وقرابته وعترته) بكسر العين وسكون الفوقية أى نسله قال الازهرى وروى ثعلب عن ابن الاعرابى ان العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه ولا تعرف العرب من العترة غير ذلك ويقال رهطه الادنون ويقال أقرباؤه ومنه قول أبى بكر نحن عترة رسول الله التى خرج منها وبيضته التى تفقأت عنه وعليه قول ابن السكيت العترة والرهط بمعنى ورهط الرجل قومه وقبيلته الاقربون وكأنه ذكر فرض للاهتمام بطول الفصل وغاير فى التعبير فلم يقل وجوب تفننا لانهما بمعنى عند الاكثرين ولا يصح حمله هنا على مذهب الفارقين لان المقام يأباه اذ يصير معناه محبة المصطفى بدليل ظنى وآله وما عطف عليه بدليل قطعى وهذا الفصل الثالث باللام والفصل الثانى بالنون فى حكم (الصلاة والتسليم عليه) فرضية وسنية وفضيلة وصفة ومحلا (زاده الله فضلا وشرفا لديه) عنده (وفيه ثلاثة فصول)

(المقصد الثامن فى طبه صلى الله عليه وسلم لذوى الامراض) جمع مرض وهو كما فى المصباح حالة خارجة عن الطبع ضارة بالفعل ويعلم من هذا ان الآلام والاورام اعراض عن المرض وقال ابن فارس المرض كل ما خرج به الانسان عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير فى أمر (والعاهات) جمع عاهة فى تقدير فعلة بفتح العين أى الآفات وهذا الفصل الاول

والثانى

والثانى فى (تعبيره) تفعيل من عبرت الرؤيا مشددا للمبالغة وأنكرها الا كثرون وقالوا الوارد التخفيف كما فى قوله ان كنتم للرؤيا تعبرون لكن أثبتها الزمخشرى اعتمادا على بيت أنشده المبرد فى الكامل حيث قال

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

أى تفسيره (الرؤيا) بوزن فعلى وقد تسهل الهمزة مايراه الشخص فى منامه (و) الفصل الثالث فى (انبائه بالانباء) اخباره بالاخبار (المغيبات) بالهام أو وحى (وفيه ثلاثة فصول)

(المقصد التاسع فى لطيفة) من لطف بالضم صغر جسمه لا بالفتح اذا رفق (من حقائق عباداته ويشتمل على سبعة أنواع) الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والاعتكاف والحج والسابع نبذة من أدعيته وذكره وقراءته

(المقصد العاشر فى اتمامه تعالى نعمته عليه) قال الامام الرازى النعمة المنفعة على جهة الاحسان الى الغير فخرج بالمنفعة المضرة المحضة والمنفعة المفعولة لا على جهة الاحسان الى الغير كان قصد الفاعل نفسه كمن أحسن الى جاريته ليربح فيها أو أراد استدراجه بمحبوب الى ألم أو أطعم غيره نحو سكر أو خبيص مسموم ليهلك فليس بنعمة وقال الراغب النعمة ماقصد به الاحسان والنفع (بوفاته) موته وأصله من توفيت الشئ اذا أخذته كله قاله أبو البقاء (ونقلته اليه) وهو الفصل الاول (و) الثانى فى (زيارة قبره) هو مقر الميت وهو فى الاصل مصدر قبرته اذا دفنته وهو هنا بمعنى المقبور فيه كما فى التوقيف (الشريف) شرفا ماناله غيره بحيث صار أفضل البقاع اجماعا (ومسجده المنيف) المرتفع فى الشرف على غيره حتى المسجد الحرام أو الا المسجد الحرام على القولين (و) الفصل الثالث فى (تفضيله فى الآخرة بفضائل الاوليات) أى بالامور التى يتقدم وصفه بها على جميع الخلق ككونه أول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول من يقرع باب الجنة (الجامعة لمزايا) فضائل (التكريم والدرجات) جمع درجة أى المراتب (العليات وتشريفه بخصائص الزلفى) فعلى من أزلف أى القربى (فى مشاهد الانبياء والمرسلين وتحميده بالشفاعة) العظمى العامة (والمقام المحمود) وهو مقام يقوم فيه للشفاعة العظمى فيحمده فيه الاولون والآخرون ولا شك انه مغاير للشفاعة وان احتوى عليها على كلام فيه مبين (وانفراده بالسودد) بالضم المجد والشرف (فى مجمع) بكسر الميم وفتحها وجمعه (مجامع) يطلق على الجمع وعلى موضع الاجتماع كما فى المصباح (الاولين والآخرين وترقيه فى جنة عدن) اقامة (أرقى معارج) جمع معرج ومعراج كما مر (السعادة) وهى كما فى التوقيف معاونة الامور الالهية للانسان على نيل الخير ويضادها الشقاوة (وتعاليه فى يوم المزيد) وهو يوم الجمعة فى الجنة كما فى مسند الشافعى عن المصطفى عن جبريل (أعلى معالى الحسنى وزيادة) قال الراغب الزيادة ان ينضم الى ماعليه الشئ فى نفسه شئ آخر وقد تكون زيادة مذمومة كالزيادة على الكفاية كزائد الاصابع أو قوائم الدابة وقد تكون محمودة نحو للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وهى النظر الى وجه الله (وفيه

الائمة فصول) قد علمتها (والله تعالى جل جده) بفتح الجيم وشد الدال تكون بمعنى الحظ والغنى ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد يقال جد بمعنى عظم واسناد التعالى للمبالغة كجد جده فهو اسناد مجازى أو استعارة مكنية (وعز) غلب (مجده) المجد العز والشرف ففى اسناد العز له المبالغة والله بالنصب قدم على عامله للتخصيص عند البيانيين والحصر عند النحاة أى والله لا غيره (أسال بوجاهة) هى الحظ والرتبة (وجيه الوجيه) قال بعض العلماء وجه الله مجاز عن ذاته عز وجل تقول العرب أكرم الله وجهك بمعنى أكرمك وفى التوقيف الوجيه من فيه خصال حميدة من شأنه أن يعرف ولا ينكر (ونبيه النبيه) الشريف فى المصباح نبه بالضم نباهة شرف فهو نبيه (ان يمدنى) يعيننى (فى هذا الكتاب بمدد) بزيادة (الاقبال والقبول) بفتح القاف وضمها لغة حكاها ابن الاعرابى وهو كما فى التوقيف ترتب الغرض المطلوب من الشئ على الشئ (وينيلنى) يبلغنى (ومن كتبه أو قرأه أو سمعه والمسلمين) وان لم يقع منهم ذلك (من لطائف العواطف المحمدية لطائف السول ونهاية المأمول) قال أبو البقاء النهاية ما به يصير الشئ ذا كمية أى حيث لا يوجد وراءه شئ منه وقيل نهاية الشئ آخره أصلا من النهى وهو المنع والشئ ان بلغ آخره امتنع من الزيادة فان قيل قد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يسأل بوجه الله الا الجنة رواه أبو داود وقال ملعون من سأل بوجه الله رواه الطبرانى قلت لما كان ما سأله يرجع الى سؤال الجنة ساغ له ذلك وقد استظهر أن النهى للتنزيه (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق أو اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا (وهو حسبنا) محسبنا وكافينا من أحسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو ذكره فى الانوار وهذا اقتباس وهو جائز عند المالكية والشافعية باتفاق غير انهم كرهوه فى الشعر خاصة هكذا حكى اتفاق المذهبين الشيخ داود الشاذلى الباهلى وقد نص على جوازه القاضى عياض وابن عبد البر وابن رشيق والباقلانى وهم من أجلة المالكية والنووى شيخ الشافعية ورواه الخطيب البغدادى وغيره بالاسناد الى الامام مالك انه كان يستعمله قال السيوطى وهذه أكبر حجة على من يزعم أن مذهب مالك تحريمه وقد نفى الخلاف فى مذهبه الشيخ داود وهو أعرف بمذهبه وأما مذهبنا فانا أعرف ان أئمته مجمعون على جوازه والاحاديث الصحيحة والآثار عن الصحابة والتابعين تشهد لهم فمن نسب الى مذهبنا تحريمه فقد فشر وأبان عن انه أجهل الجاهلين انتهى وهذا منه يقضى بغلطه فيما أورده فى عقود الجمان

(المقصد الاول)

اعلم ان فى أسماء الكتب وألفاظ التراجم احتمالات أقربها ان المراد بها الالفاظ والمعروف انها ظروف وقوالب للمعانى فاذا عكس كما هنا فهو بتقدير مضاف أى (فى) بيان (تشريف الله تعالى له عليه الصلاة والسلام) وبيان بمعنى مبين أى ما من شأنه ان يبين به ولا شك ان ما ذكره بعض ما يمكن به البيان فهو من ظرفية الكل لجزئه ويجوز انه استعارة أو تشبيه للمعانى بالظروف بجامع ان الالفاظ لا تزيد على المعانى المرادة منها كما لا يزيد المظروف على

ظرفه المشتمل عليه أو فى بمعنى على والتقدير هذه ألفاظ مخصوصة دالة على تشريف أو بمعنى اللام والمراد بكونه فيه انه مقصود منه فلا ينافى ذكر غيره بطريق التبع (بسبق) تقدم (نبوته) وذلك السبق موجود (فى سابق أزليته) أى ماهو عليه قبل خلق الاشياء فلا يقال السبق لا يكون مظروفا فى السبق أو جعل الازلية ظرفا يستدعى عدم مسبوق تقدم نبوته بالاولية فيلزم ان لا أول لتقدم نبوته كما انه لا أول للازلى كذا قال شيخنا قال فى المجمل الازل القدم يقال هو أزلى والكلمة ليست بمشهورة فى كلام العرب واحسب انهم قالوا فى القديم لم يزل ثم نسب اليه فلم يستقم الا باختصار فقالوا ازلى ثم أبدلوا الياء ألفا وقيل الازل اسم لما يضيق القلب عن بدايته من الازل وهو الضيق فهمزته أصلية (ونشره) اظهاره واذاعته (منشور رسالته فى مجلس مؤانسته) أى الله سبحانه أو النبى صلى الله عليه وسلم (وكتبه) اثباته (توقيع) تعلق (عنايته فى حظائر قدس كرامته) أى فى المواضع التى تظهر فيها كرامته المنزهة عن النقائص ككتبها على كل موضع فى الجنة وعلى نحور العين وساق العرش كما يجىء (وطهارة نسبه) نزاهته عن دنس الجاهلية وسفساف الامور وتعاطيه الهمم العلية (وبراهين) جمع برهان وهو الدليل القوى الذى يحصل به اليقين لا المنطقى لمباوانيا وان شمله (اعلام آيات) اضافة بيانية أى براهين الاعلام التى هى آيات دالة على (حمله) واضافة براهين الى اعلام حقيقية أى البراهين الدالة على ان ما أدركته أمه من الآيات هى امارات على الحمل حقيقة (وولادته ورضاعه وحضانته ودقائق حقائق بعثته) أراد بها مالا يفهم انه من آثار الرسالة الا بعد النظر الدقيق كرؤية الملك فى ابتداء الوحى فانه انما يدل على ذلك بعد التأمل واعمان النظر فيه (وهجرته) هى فى اللغة الترك ثم خصت بترك مكان لآخر وغالب الانبياء وقع لهم الهجرة لعداوة الناس لهم (ولطائف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته) هيئته وحالته وطريقته لا ماغلب فى لسان الفقهاء من انها المغازى لكونه قدمها (مرتبا على السنين) غالبا (من حين نشأته الى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته اعلم) أمر من العلم يصدر به مايعتنى به من الكلام تقوية وتأكيدا وحثا على القاء البال لما بعده تنبيها على انه مما ينبغى ان يعلم ولا يترك وقد ورد فى القرآن وكلام العرب كقوله فاعلم انه لا اله الا الله اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو ولذا التزم بعده فى الغالب أن المؤكدة كقوله

فاعلم فعلم المرء ينفعه * ان سوف يأتى كل ماقدرا

(ياذا العقل) مشتق من العقل بمعنى المنع ومنه العقال لمنعه الانسان عما لا يليق ولذا تطرف فى التلميح لاصله القائل

قد عقلنا والعقل أى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق

(السليم) من شوائب الكدورات وانما خص ذوى العقول بالنداء لان شرف الانسان انما هو بالعقل وبه يميز الحسن من القبيح قال أبو الطيب

لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان

وفى حقيقته ومحله كلام ألم المصنف فيما يأتى بشئ منه (والمتصف) بالنصب لان تابع المنادى

المعرب منصوب لاغير سواء كان التابع معرفة أم نكرة محلى باللام أم لا وأجاز الاخفش رفعه (بأوصاف الكمال) لنفسه (والتميم) لغيره وغاير تفننا ورعاية للسجع والافهما بمعنى كما فى الصحاح والقاموس وغيرهما وقال الزركشى تفسير الكمال بالتمام خطأ لقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى وقد فرق بينهما الشيخ عبد القاهر بان الاتمام لازالة نقصان الاصل والاكمال لازالة نقصان العوارض بعد تمام الاصل وأيضا التمام يشعر بحصول نقص قبل ذلك والكمال لايشعر به وتعقب بان الاكمال فى الآية للدين والاتمام للنعمة التى من جملتها ذلك الاكمال والنصر العام على كل معاند فلم يتعاورا على شئ واحد ووظيفة اللغوى بيان أصل اللغة وأهل التفسير والمعانى النظر الى كل مقام بحسبه ولو معنى مجازيا وقد جزم ابن أبى الاصبع بانه قد يطلق كل منهما على الآخر ومنه اليوم أكملت لكم الآية (وفقنى الله واياك) جملة دعائية والتوفيق الهداية الى وفق الشئ وقدره وما يوافقه قاله أبو البقاء وفيه تفاسير معلومة (بالهداية) الثبات عليها أوزيادتها أوحصول المراتب المرتبة عليها اذ المسلم مهتد والمراد خلق الاهتداء لا الدلالة هنا والباء للتصوير والتحقيق أى وفقنا بهدايتنا أو للسببية أى رزقنا مباشرة الطاعات بسبب هدايته لنا (الى الصراط المستقيم) المستوى يعنى طريق الخير أودين الاسلام قال صاحب الانوار والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل فى الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكم ومنه الهدية وهوادى الوحش مقدماتها والفعل منه هدى وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لايحصيها عد لكنها تنحصر فى أجناس مترتبة الاول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه أشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى أوالالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه أوحصول المراتب المترتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط به غواشى أبداننا لنستضئ بنورك فنراك بنورك انتهى وفى الاساس يقال هداه للسبيل والى السبيل هداية وهدى وظاهره عدم الفرق بين المتعدى بنفسه والمتعدى بالحرف قال ابن كمال ومنهم من فرق بينهما بان هداه لكذا أو الى كذا انما يقال اذا لم يكن فى ذلك فيصل بالهداية اليه وهداه كذا لمن يكون فيه فيزداد ويثبت ولمن لا يكون فيصل والقول بأن ما تعدى بنفسه معناه الايصال الى المطلوب ولايكون الا فعل الله تعالى فلا يسند الا اليه كقوله لنهدينهم وما تعدى بالحرف معناه الدلالة على مايوصل اليه فيسند تارة الى القرآن كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم وتارة للنبى كقوله تعالى

وانك لتهدى الى صراط مستقيم ليس بتمام لمجىء المتعدى بنفسه فى القرآن كثيرا مسندا الى غير الله تعالى كقوله ياقوم اتبعونى اهدكم سبيل الرشاد وقوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد انتهى وفى البيضاوى أصله ان يعدى باللام اوالى فعومل فى اهدنا الصراط معاملة اختار فى قوله واختار موسى قومه انتهى والخلاف فى انها الدلالة على مايوصل الى المطلوب وان لم يصل وهو مذهب أهل السنة أو الموصلة عند المعتزلة مشهور كادلتهم (انه لما تعلقت ارادة الحق) الثابت الوجود على وجه لايقبل الزوال ولا العدم ولم يقل لما أراد لان الارادة ازلية والحادث انما هو التعلق (بايجاد خلقه) أى مخلوقه لانه الذى يتعلق به الايجاد نحو هذا خلق الله أى مخلوقه (وتقدير رزقه) أى الله أو الخلق فالمصدر مضاف للفاعل أو المفعول قال السمين والرزق لغة العطاء وهو مصدر قال تعالى ومن رزقناه منا رزقا حسنا وقيل يجوز انه فعل بمعنى مفعول كذبح بمعنى مذبوح وقيل الرزق بالفتح مصدر وبالكسر اسم للمرزوق واقتصر على الثانى فى المختار والمصباح (ابرز الحقيقة المحمدية) هى الذات مع التعين الاول كما فى التوقيف وفى لطائف الكاشى يشيرون بالحقيقة المحمدية الى الحقيقة المسماة بحقيقة الحقائق الشاملة لها أى للحقائق والسارية بكليتها فى كلها سريان الكلى فى جزئياته قال وانما كانت الحقيقة المحمدية هى صورة لحقيقة الحقائق لاجل ثبوت الحقيقة المحمدية فى خلق الوسطية والبرزخية والعدالة بحيث لم يغلب عليه صلى الله عليه وسلم حكم اسم أو وصفه أصلا فكانت هذه البرزخية الوسطية هى عين النور الاحدى المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام أول ماخلق الله نورى أى قدره على أصل الوضع اللغوى وبهذا الاعتبار سمى المصطفى بنور الانوار وبأبى الارواح ثم انه آخر كل كامل اذ لا يخلق الله بعده مثله انتهى (من الانوار الصمدية) المنسوبة للصمد والاضافة للتشريف كما فى حديث جابر عند عبد الرزاق مرفوعا يا جابر ان الله قد خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره (فى الحضرة الاحدية) هى أول تعينات الذات وأول رتبها الذى لا اعتبار فيه لغير الذات كما هو المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام كان الله ولا شىء معه ذكره الكاشى (ثم سلخ) اخرج (منها العوالم كلها) بكسر اللام جمع عالم بفتحها سماعا وقياسا (علوها) بضم العين وكسرها وسكون اللام (وسفلها) بضم السين وكسرها وسكون الفاء أى عاليها وسافلها يشير الى العالم العلوى والسفلى فهو مجاز من اطلاق اسم الكل وارادة اسم الجزء (على صورة حكمه) أى التى تعلق بها خطابه الازلى لا صورة نفس الحكم لانه قديم وفى نسخ حكمته أى على الصورة التى اقتضتها حكمته وارادته والاولى انسب بالسجعة فى قوله (كما سبق فى سابق ارادته وعلمه) على ماسيجىء بيانه فى حديث عبد الرزاق (ثم اعلمه بنبوته وبشره برسالته هذا وآدم) الواو للحال (لم يكن الا كما قال) صلى الله عليه وسلم (بين الروح والجسد ثم انبجست) تفجرت (منه صلى الله عليه وسلم عيون الارواح) أى خالصها كارواح الانبياء والمراد بالعيون الكمالات المفرغة من نوره على أرواح الانبياء عبر عنها بالعيون مجازا لشابهتها بعيون الانسان للكمال فلا يرد تاخر الاعلام والبشارة عن سلخ العوالم منه (فظهر) عليه السلام

أى حقيقته (بالملأ) أى الخلق (الاعلى) وصفهم به اشارة الى أن المراد المقربون (وهو بالمنظر الاجلى) بالجيم أى الاتم فى الظهور (وكان لهم المورد) وزن مسجد تشبيه بليغ أى كالمورد الذى يرده الناس ليرتووا منه (الاحلى) بالحاء الاعذب (فهو صلى الله عليه وسلم الجنس) أى كالجنس (العالى) المرتفع (على جميع الاجناس) لتقدمه خلقا على غيره (والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس) من حيث ان الجميع خلقوا من نوره على ما يأتى فى حديث عبد الرزاق واما ماذكران الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر اليها فعرقت وذاقت فخلق الله من كل نقطة نبيا وان القبضة كانت هى النبى صلى الله عليه وسلم وانه كان كوكبا دريا وان العالم كله خلق منه وانه كان موجودا قبل ان يخلق ابواه وانه كان يحفظ القرآن قبل ان يأتيه جبريل وامثال هذه الامور فقال الحافظ أبو العباس أحمد بن تيمية فى فتاويه ونقله الحافظ ابن كثير فى تاريخه واقره كل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بحديثه والانبياء كلهم لم يخلقوا من النبى صلى الله عليه وسلم بل خلق كل واحد من ابويه انتهى (ولما انتهى) أى بلغ النهاية (الزمان) الحال التى كان عليها قبل خلق السموات والارض (بالاسم) متعلق بانتهى (الباطن) أى عالم الملكوت المشار اليه بقوله ابرز الحقيقة الى آخره (فى حقه صلى الله عليه وسلم) متعلق بباطن (الى وجود جسمه وارتباط الروح به) متعلق بانتهى أيضا (انتقل حكم الزمان الى الاسم الظاهر) يعنى عالم الملك وهو الموجود فى العناصر والباطن والظاهر وصفان للمصطفى ويجوز وهو المناسب هنا انهما وصفان لله أى الظاهر وجوده لكثرة دلائله أو الغالب على كل شئ من ظهر اذا غلب والباطن حقيقة ذاته فلا يعرف أصلا كما قال الصديق غاية معرفته القصور عن وصفه أو العالم بالخفيات والمعنى انه تعالى تصرف فيه بمقتضى علمه الخفى على جميع الكائنات الذى هو صفة الباطن الى تعلق الارادة بظهوره الى عالم العناصر فربط روحه الشريفة بجسمه فاظهره (فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته) أى بجملته (جسما وروحا) تمييز او حال قال شيخنا ولو قال بكله كان أوضح فان الكل هو الذات المجتمعة من الاجزاء والكلية امكان الاشتراك وهى صفة الكلى وهو مالا يمنع تصور مفهومه من وقوع الشركة فيه ويمكن توجيهه بأنه من نسبة الفرد الى كله من جهة تحقق الكل من حيث هو كل فى الواحد للشخص من حيث تشخصه فيساوى التعبير به التعبير بالكل (فهو صلى الله عليه وسلم وان تأخرت طينته) أى خلقته (فقد عرفت قيمته) أى اعتداله وحسن قوامه وطوله حسا ومعنى فى الجميع ففى القاموس القيمة الشطاط وفيه أيضا الشطاط كسحاب وكتاب الطول وحسن القوام او اعتداله (فهو خزانة) بكسر الخاء (السر) أى محل لاسراره تعالى وكمالاته حيث أفاض الله عليه مالا يوجد فى غيره من الخلق (وموضع نفوذ الامر) أى الموضع الذى يظهر منه الكمالات التى تفاض على خاصة خلقه (فلا ينفذ أمر) شئ جمعه امور (الامنه ولا ينقل خبر) مفرد خبور وخبار أو هو بوحدة مفرد أخبار (الاعنه) اذ هو واسطة العقد وانشد المؤلف لغيره (ألا) بفتح الهمزة والتخفيف حرف استفتاح يؤتى به للتنبيه والدلالة على تحقق ما بعده

(بأبي) بكسر الباء بينهما همزة مفتوحة قال ابن الانباري معناها بأبي هو فحذف هو لكثرة الاستعمال وأصله أفديه بأبي (من كان ملكا) بفتح الميم وسكون اللام تخفيفا لان البيت لا يتزن الا به في المصباح ملك على الناس أمرهم اذا تولى السلطنة فهو ملك بكسر اللام وتخفف بالسكون انتهى وكذا كل ما كان على وزن فعل وتوهم انها لغة قرئ بها غلط لان ذلك في مصدر ملك قال ما اخلفنا موعدك بملكنا قرئ بتثليث الميم وهي في الاصل لغات في مصدر ملكت الشئ (وسيدا * وآدم بين الماء والطين) أي بين العلم والجسم كذا في انوار المشكاة (واقف) ولما لم يستقم للناظم لفظ الوارد بتمامه عدل الى معناه الذى اشتهر فان معناهما واحد كما جزم به صاحب النسيم فلا يقال لو قال بين الروح والجسم طابقه (فذلك الرسول) فعول بمعنى مفعل وهو المرسل أي المبعوث الى غيره وقد يأتي بمعنى الرسالة كقوله الا أبلغ أبا عمرو رسولا * فدى لك من أخى ثقة ازارى (الابطحى) المنسوب الى بطحاء مكة على ما يفيده الجوهرى أو الى أبطح مكة وهو مسيل واديها وهو ما بين مكة ومنى ومبتداه المحصب كما صرح به غيره وهو القياس (محمد له في العلا) الارتفاع (مجد) عز وشرف (تليد) قديم (وطارف) حادث (أتى بزمان السعد) الباء للآلة (في آخر المدى) بفتحتين يعني الزمان الاخير من ازمنة الانبياء وهو زمن عيسى وبعثة المصطفى في آخر زمان عيسى فالاضافة حقيقية فلا يشكل اضافة آخر للمدى مع انه الغاية أو مطلق الزمان مجازا من تسمية الكل باسم الجزء (وكان له في كل عصر مواقف) أحوال لتقدم خلقه (أتى لانكسار الدهر) وفي نسخة الدين من اضافة الصفة للموصوف أي الدين او الدهر المنكسر بعبادة غير الله (يجبر صدعه) شقه أي يصلحه ويزيل فساده (فأثنت عليه ألسن) جمع لسان مذكر وهو الاكثر لغة وبه جاء القرآن قاله أبو حاتم (وعوارف) جمع عارف ومعناه ان الامور المعروفة في الشرع اثنت عليه لاظهاره لها وذبه عن معارضتها وهو استعارة مكنية شبه امور الشرع في دلالتها على صدقه وكماله بنفوس ناطقة واثبت لها ما هو من لوازم النفوس الناطقة اذ فعل معهم الجميل وهو الثناء تخييلا (اذا رام امرا لا يكون) يوجد (خلافه * وليس لذلك الامر في الكون) أراد الوجود وله تعاريف معلومة (صارف *) مانع ثم شرع في المقصود وحسن معه تصديره بحديث صحيح فقال (خرج مسلم) ابن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى أحد الاعلام مناقبه شهيرة أخذ عن البخارى وشاركه في كثير من شيوخه وأحمد وخلف وروى عنه كثيرون روى له الترمذى حديثا واحدا مات سنة احدى وستين ومائتين في رجب (في صحيحه) الذى صنفه من ثلاثمائة ألف حديث كما نقلوه عنه وهو يلي صحيح البخارى وتفضيله عليه مردود وفي ألفية السيوطي

ومن يفضل مسلما فانما * ترتيبه وصنعه قد أحكما

(من حديث) أحد العبادلة (عبد الله بن عمرو بن العاصى) بن وائل السهمى الصحابى ابن الصحابى أبي محمد عند الاكثر أو أبي عبد الرحمن الزاهد العابد أحد المكثرين الفقهاء اسلم قبل أبيه قيل بين مولدهما اثنتا عشرة سنة ويقال عشرين سنة روى ابن سميع والعسكرى عنه انه قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل ومن ثم ذكر العسكرى

فى كتاب الامثال ألف مثل عن المصطفى وحسبك أن أحفظ الصحابة أبا هريرة شهد له بأنه اكثر حديثا منه لانه كان يكتب وأبا هريرة لا يكتب ولا يشكل بان المروى عنه دون المروى عن أبى هريرة بكثير لانه سكن مصر والواردون اليها قليل وأبو هريرة سكن المدينة والمسلمون يقصدونها من كل وجهة وفى انه مات بالشام أو مكة أو الطائف وعصر اقوال وهل عام خمس وستين أو ثمان وستين أو تسع وستين أو ثنتين وسبعين أو تسع وسبعين خلاف بسطه فى الاصابة وقال فى تقريبه مات فى ذى الحجة ليالى الحرة على الاصح بالطائف على الراجح والعاصى بالياء وحذفها والصحيح الاول عند أهل العربية وهو قول الجمهور كما قال النووى وغيره وفى تبصير المنتبه قال النحاس سمعت الاخفش يقول سمعت المبرد يقول هو بالياء لا يجوز حذفها وقد لهجت العامة بحذفها قال النحاس هذا مخالف لجميع النحاة يعنى انه من الاسماء المنقوصة فيجوز فيه اثبات الياء وحذفها والمبرد لم يخالف النحويين فى هذا وانما زعم انه سمى العاصى لانه اعتص بالسيف أى أقام السيف مقام العصا وليس هو من العصيان كذا حكاه الآمدى عنه قلت وهذا ان مشى فى العاصى بن وائل لكنه لا يطرد لان النبى صلى الله عليه وسلم غير اسم العاصى بن الاسود والد عبد الله فسماه مطيعا فهذا يدل على انه من العصيان وقال جماعة لم يسلم من عصاة قريش غيره فهذا يدل لذلك أيضا انتهى (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق) قال البيضاوى فى شرح المصابيح أى اجرى القلم على اللوح المحفوظ واثبت فيه مقادير الخلائق ما كان وما يكون وما هو كائن الى الابد على وفق ما تعلقت به ارادته أزلا وقال الابى المقادير بمعنى القدر وهو عبارة عن تعلق علم الله وارادته ازلا بالكائنات قبل وجودها وهو سبحانه وتعالى بجميع صفاته أزلى لا يتقيد وجوده بزمان (قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة) قال القاضى عياض حد لكتب ذلك فى اللوح المحفوظ أو فيما شاء الله لا للمقادير فان ذلك ازلى لا اول له وهى كناية عن الكثرة كقوله وارسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال ويحتمل انها حقيقة ورده القرطبى وتبعه الابى بأنه لا يتقرر كونها حقيقة بوجه لان السنين يقدر بها الزمان والزمان تابع لخلق السموات لانه عبارة عن حركات الافلاك وسير الشمس فيها فقبل خلق الزمان لا سموات فالخمسون ألف سنة تقديرية أى بعدة فى علم الله لو كانت السموات موجودة فيها العدت بذلك العدد انتهى وهو متعقب بقول البيضاوى وغيره فى شرح المصابيح معناه ان طول الامد وتمادى الازمان بين التقدير والخلق من المدة خمسون ألف سنة مما تعدون فان قيل كيف يحمل على الزمان وهو مقدار حركة الفلك الذى لم يخلق حينئذ اجيب بأنه ان سلم ان الزمان ذلك فان مقدار حركة الفلك الاعظم الذى هو العرش موجود حينئذ بدليل قوله (وكان عرشه على الماء) أى ما كان تحته قبل خلق السموات والارض الا الماء والماء على متن الريح كما روى عن ابن عباس وهو يدل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض انتهى وفى حديث أبى رزين الآتى ان الماء قبل خلق العرش وروى أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه عن أبى رزين العقيلى انه قال يا رسول الله أين كان ربنا قبل ان يخلق السموات والارض قال فى عماء ما فوقه هواء ثم خلق

عرشه على الماء وحكى في المفهم ان أول ما خلق الله ياقوتة حمراء ونظر اليها بالهيبة فصارت ماء فوضع عرشه على الماء وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن سعد الطائي قال العرش ياقوتة حمراء وأخرج أبو الشيخ عن حامد قال خلق الله العرش من زمردة خضراء وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء وخلق له ألف لسان وخلق في الارض ألف أمة كل أمة تسبح بلسان من ألسن العرش وذكر الحافظ محمد بن أبي شيبة في كتاب صفة العرش عن بعض السلف ان العرش مخلوق من ياقوتة حمراء بعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة واتساعه خمسون ألف سنة وبعد ما بين العرش الى الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وذهبت طائفة من أهل الكلام الى ان العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة وربما سموه الفلك التاسع والفلك الاطلس قال ابن كثير وليس بجيد لانه قد ثبت في الشرع ان له قوائم تحمله الملائكة والفلك لا يكون له قوائم ولا يحمل وأيضا فالعرش في اللغة سرير الملك وليس هو فلك والقرآن انما نزل بلغة العرب فهو سرير وقوائم تحمله الملائكة كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات انتهى والصحيح كما قال النعماني انه غير الكرسي وما روي عن الحسن انه عينه فضعيف بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين انه غيره انتهى كيف وقد روى ابن جرير وابن مردوية وأبو الشيخ عن أبي ذر قال قال صلى الله عليه وسلم يا أباذر ما السموات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة (ومن جملة ما كتب في الذكر) وبينه بقوله (وهو أم الكتاب) أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وفي انه حقيقي أو تمثيل والمراد علم الله قولان الاكثر انه حقيقي وهو الاسعد بصريح الاحاديث والآثار فقد أخرج الطبراني بطريقين رجال احداهما ثقات والحاكم والحكيم الترمذي عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور وفي الطبراني أيضا ان عرضه ما بين السماء والارض وفي كنز الاسرار ان طوله كذلك وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ بسند جيد عن ابن عباس قال خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام وأخرج ابو الشيخ عن أنس رفعه ان لله لوحا أحد وجهيه من ياقوتة والوجه الثاني من زمردة خضراء وأخرج ايضا عن ابن عباس رفعه خلق الله لوحا من درة بيضاء وقفاه من زبرجدة خضراء كتابه نور يلحظ اليه في كل يوم ثلثمائة وستين لحظة يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويفعل ما يشاء وأخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الاخلاق وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الشعب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله لوحا من زبرجدة خضراء تحت العرش يكتب فيه اني أنا الله لا اله الا أنا أرحم وأترحم جعلت بضعة عشرة وثلثمائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا اله الا الله دخل الجنة وقد جمع بين هذا الاختلاف في لونه بجواز أنه يتلون والبياض لونه الاصلي (ان محمدا خاتم النبيين) في الوجود فان قيل الحديث يفيد سبق العرش على التقدير وعلى كتابة محمد خاتم النبيين فيشكل بأن نوره صلى الله عليه وسلم خلق قبل العرش وغيره أجاب شيخنا بجواز ان نوره خلق قبل العرش وكتابته لذلك واظهاره كان وقت التقدير

وهو بعد خلق العرش وقبل خلق السموات انتهى وفى ذا الحديث اشارة الى ان الماء والعرش مبتدأ العالم لكونهما خلقا قبل كل شئ وعند أحمد وابن حبان والحاكم وصححاه عن أبى هريرة قلت يارسول الله انى اذا رأيتك طابت نفسى وقرت عينى انبئنى عن أصل كل شئ قال كل شئ خلق من الماء وهذا يدل على ان الماء أصل لجميع المخلوقات ومادتها وانها كلها خلقت منه وقال الله تعالى والله خلق كل دابة من ماء قال فى اللطائف والقول بأن المراد النطفة التى يخلق منها الحيوانات بعيد لان النطفة لا تسمى ماء مطلقا بل مقيدا نحو من ماء دافق وقوله ألم نخلقكم من ماء مهين وأيضا من الحيوانات ما يتولد من غير نطفة كدود الخل والفاكهة فليس كل حيوان مخلوق من نطفة فدل القرآن على ان كل ما يدب وكل ما فيه حياة من الماء ولا ينافى هذا قوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقوله صلى الله عليه وسلم وخلقت الملائكة من نور لان أصل النور والنار الماء ولا يستنكر خلق النار من الماء فقد جمع الله بقدرته بين الماء والنار فى الشجر الاخضر وذكر الطبائعيون أن الماء بانحداره يصير بخارا والبخار ينقلب هواء والهواء ينقلب نارا وزعم مقاتل ان الماء خلق من النور وهو مردود بحديث أبى هريرة المتقدم وبغيره انتهى ملخصا وذكر نحوه المؤلف فى الارشاد (وعن العرباض) بكسر العين وسكون الراء بعدها موحدة فألف فمعجمة (ابن سارية) السلمى قديم الاسلام جدا من البكائين ومن أهل الصفة ونزل حمص روى عنه خالد بن معدان وأبو امامة الباهلى وخلق مات سنة خمس وسبعين وقيل قبلها زمن فتنة ابن الزبير رضى الله عنهم (عن النبى صلى الله عليه وسلم) انه (قال انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم) قال الطيبى الواو وما بعدها فى محل نصب على الحال من المكتوب والمراد الاخبار عن كون ذلك مكتوبا فى أم الكتاب فى ذلك الحال قبل نفخ الروح فى آدم لانه حينئذ كتب فى أم الكتاب ختمه للنبيين انتهى وبه اندفع ما يرد أن هذا ينافى رواية مسلم بخمسين ألف سنة المفيد سبق نبوته على جميع الموجودات (لمجدل) بضم الميم وسكون النون مطاوع جدله مخففا اتباعا عن جدله مشددا أى ألقاه على الجدالة وهى الارض الصلبة لا مطاوع جدل مخففا لفساد المعنى اذ معناه أخذه من الجدالة وليس بمراد هنا أشار له الطيبى قائلا (فى طينته) خبر ثان لان لا متعلق بمجدل والالزم ان آدم مظروف فى طينته مع انه ظرف له وهو حاصل فيه (رواه الامام (أحمد) بن محمد بن حنبل الشيبانى أبو عبد الله المروزى ثم البغدادى أحد كبار الائمة الحفاظ الطوافين الصابر على البلوى الذى من الله به على الامة ولولاه لكفر الناس فى المحنة ذو المناقب الشهيرة وحسبك قول الشافعى شيخه خرجت من بغداد فما خلفت بها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم منه وقال أبو زرعة الرازى كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث قيل وما يدريك قال ذاكرته ولد سنة أربع وستين ومائة ومات سنة احدى وأربعين ومائتين قال ابن خلكان وحزر من حضر جنازته من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ومن النساء ستون ألفا وأسلم يوم موته عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى وفى تهذيب النووى أمر المتوكل ان يقاس الموضع الذى وقف الناس للصلاة فيه على أحمد

فبلغ

فبلغ مقام ألفي ألف وخمسمائة ووقع المأتم في أربعة أصناف في المسلمين واليهود والنصارى والمجوس (والبيهقي) نسبة الى بيهق قرية بناحية نيسابور أحمد بن الحسين الامام الحافظ المشهور بالفصاحة والبراعة سمع الحاكم وغيره وتصانيفه نحو ألف قال الذهبي ودائرته في الحديث ليست كبيرة بل بورك له في مروياته وحسن تصرفه فيها لحذقه وخبرته بالابواب والرجال وأفتى بجميع نصوص الشافعي وخرج أحاديثها حتى قال امام الحرمين ما من شافعي الا وللشافعي عليه منة الا البيهقي فله على الشافعي منة ولد سنة أربع وثمانين وثلثمائة وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة (والحاكم) الامام الحافظ الكبير محمد بن عبد الله الضبي أبو عبد الله النيسابوري الثقة الثبت المجمع على صدقه ومعرفته بالحديث حق معرفته أكثر الرحلة والسماع حتى سمع بنيسابور من نحو ألف شيخ وفي غيرها أكثر ولد سنة احدى وعشرين وثلثمائة ومات بنيسابور سنة خمس وأربعمائة وتصانيفه نحو خمسمائة قاله الذهبي أو ألف قاله عبد الغافر الفارسي وقال غيرهما ألف وخمسمائة وعنه شربت ماء زمزم وسألت الله أن يرزقني حسن التصنيف (وقال) الحاكم (صحيح الاسناد) ورواه ابن حبان في صحيحه أيضا (وقوله صلى الله عليه وسلم لمنجدل يعني طريحا ملقى على الارض قبل نفخ الروح فيه) لا مأخوذ من الارض كما قد يتبادر من بقاء منجدل على أصله كما مر (وعن ميسرة) بفتح الميم وسكون التحتية (الضبي) كذا في النسخ والذي في العيون والاصابة والسبل كالنور والمقاصد عن مسند أحمد ميسرة الفجر بفتح الفاء وسكون الجيم جزم به السبل وقال في النور كذا ضبط في نسخة صحيحة من الاستيعاب بالقلم لكن بهامشه بخط ابن الامين الفجر بفتح الجيم قيده البخاري في التاريخ وهو العطاء وفي الصحاح الفجر بالفتح الكرم قال الذهبي صحابي من اعراب البصرة وزعم ابن الفرضي ان ميسرة لقبه واسمه عبد الله بن أبي الجدعاء والذي أفاده صنيع الحسيني انه غيره وهو الظاهر انتهى فيحتمل انه ضبي ويلقب بالفجر فعدل المصنف عما في المسند لبيان نسبته وقول الشارح ينافيه قول الاصابة انه تميمي وما ذكر في اللب ان ضبة في تميم فيه انه لم يذكر أن ميسرة تميمي انما قاله في ابن أبي الجدعاء وذكر في ميسرة ما يفيد انهما اثنان لانه ترجم به ثم قال وقيل انه ابن أبي الجدعا الماضي فحكاه مقابلا أو انه ضبي حلفا ونحو ذلك (قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد) فان ورد أن حقيقة آدم هذا الهيكل المخلوق من طين المنفوخ فيه الروح فمجموعهما هو آدم فما معنى البينية أجيب بانه مجاز عما قبل تمام خلقه قريبا منه كما يقال فلان بين الصحة والمرض أي في حالة تقرب منهما وقال في النسيم الظاهر انه ظرف زمان بمعنى ان نبوته محكوم بها ظاهرة بين خلق روح آدم وخلق جسده حيث نبأه في عالم الارواح وأطلعها على ذلك وأمرها بمعرفة نبوته والاقرار بها وهذا المعنى يفيده قوله بين الماء والطين أي بعد خلق عناصره غير مركبة ولا منفوخ فيها الروح فهو بمعنى الحديث الذي صححوه فتكون رواية بالمعنى اذ لم يثبت بهذا اللفظ وهذا مما لم يحم أحد حول حماه انتهى (هذا لفظ رواية الامام أحمد) في المسند من طريق بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر وأخرجه من وجه آخر بلفظ متى جعلت (ورواه البخاري) امام الفن محمد بن اسمعيل

الجعفي مناقبه كالشمس (في تاريخه) الكبير صنفه وعمره ثمان عشرة سنة عند قبره صلى الله عليه وسلم قال ابن عقدة لو كتب الرجل ثلاثين ألفا ما استغنى عن تاريخ البخاري وقال السبكي تاريخه لم يسبق اليه ومن ألف بعده في التاريخ أو الاسماء أو الكنى فعيال عليه (وأبو نعيم) بالتصغير أحمد بن عبد الله الاصفهاني الحافظ المكثر أخذ عن الطبراني وغيره وعنه الخطيب وغيره مات بأصفهان سنة ثلاثين وأربعمائة عن أربع وتسعين سنة ذكره الذهبي (في الحلية) أي في كتاب حلية الاولياء وطبقات الاصفياء قالوا لما صنفه بيع في حياته بأربعمائة دينار ورواه البغوي وابن السكن وغيرهم كلهم من هذا الوجه (وصححه الحاكم) وفي الاصابة سنده قوي لكن اختلف فيه على بديل بن ميسرة فرواه منصور بن سعد عنه هكذا وخالفه حماد بن زيد فرواه عن بديل عن عبد الله بن شقيق قال قيل يا رسول الله ولم يذكر ميسرة وكذا رواه حماد عن والده وعن خالد الحذاء كلاهما عن عبد الله بن شقيق اخرجه البغوي وكذا رواه حماد بن سلمة عن خالد عن عبد الله بن شقيق عن رجل قال قلت يا رسول الله وأخرجه من هذا الوجه أحمد وسنده صحيح انتهى قلت هذا الاختلاف لا يقدح في الحديث لان رواية حماد بن زيد وموافقيه المرسلة غير قادحة في رواية من وصل لصحة الاسناد وقد تابع منصورا على وصله عن بديل ابراهيم بن طهمان أخرجه ابن نجيد وهي متابعة تامة وتابعه أيضا في شيخه خالد الحذاء عند أحمد ورواية ابن سلمة غاية ما فيها ابهام الصحابي ولا ضير فيه لعدالة جميعهم واستظهر البرهان في النور أنه ميسرة قائلا لم يذكره الحسيني في مبهمات المسند (وأما ما اشتهر على الالسنة) ألسنة من لا خبرة له بالحديث من انه مروي (بلفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فقال شيخنا العلامة الحافظ أبو الخير) محمد بن عبد الرحمن (السخاوي) نسبة الى سخا قرية من اعمال مصر على غير قياس (في كتابه المقاصد الحسنه) في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنه (لم نقف عليه بهذا اللفظ انتهى) ما نقله من كلام شيخه وبقيته فضلا عن زيادة وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين وقد قال شيخنا يعني الحافظ ابن حجر في بعض الاجوبة عن الزيادة انها ضعيفة والذي قبلها قوي انتهى ولعله اراد بالمعنى والا فقد صرح السيوطي في الدرر بأنه لا أصل لهما والثاني من زيادة العوام وسبقه لذلك الحافظ ابن تيمية فأفتى ببطلان اللفظين وأنهما كذب وأقره في النور والسخاوي نفسه في فتاويه أجاب باعتماد كلام ابن تيمية في وضع اللفظين قائلا وناهيك به اطلاعا وحفظا أقر له بذلك المخالف والموافق قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا وقد قال فيه الحافظ الذهبي ما رأيت أشد استحضارا للمتون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة انتهى (وقال العلامة الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (بن رجب) الحنبلي الواعظ المحدث الفقيه البغدادي ثم الدمشقي أكثر الاشتغال حتى مهر وشرح الترمذي والعلل له وقطعة من البخاري وله طبقات الحنابلة مات في رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة (في اللطائف وبعضهم يرويه) أي حديث ميسرة (متى كتبت نبيا) أي متى كتبت نبوتك أي ثبتت وحصلت (من الكتابة) لا من الكون (انتهى قلت وكذا رويناه في جزء من حديث أبي عمرو) بفتح العين

وزيادة واوكما في النور (اسمعيل بن نجيد) بضم النون وفتح الجيم فتحتية ساكنة فدال
مهملة ابن أحمد بن يوسف النيسابوري السلمي أحد الائمة الفصيح البارع الصوفي الشافعي
حدث عن محمد بن أيوب الرازي وأبي مسلم الكجي والامام أحمد وغيرهم وصحب من أئمة
الحقائق الجنيد والخبري حدث عنه خلق منهم سبطه أبو عبد الرحمن السلمي والحاكم
والقشيري ومات سنة ست وستين وثلاثمائة عن ثلاث وتسعين سنة (ولفظه) يعني باسناده
الى ميسرة وهو حدثنا محمد بن ايوب الرازي انبأنا أبو محمد بن سنان العوقي حدثنا ابراهيم بن
طهمان عن بديل عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال قلت يارسول الله (متى كتبت
نبيا قال كتبت نبيا وآدم بين الروح والجسد) كذا ساقه على انه من الكتابة والمذكور
في العيون عنه متى كنت قال كنت من الكون كالاول لا الكتابة وهو الذي وقع لنا في جزء ابن
نجيد وهو ستة وخمسون حديثا بخط جرامرد التركي الناصري الحنفي تلميذ السيوطي وعليه
خط السيوطي ولكن مثل هذا لا يرد على المصنف لان روايته هو وقعت كما قال الم تر قوله
رويناه (فتحمل هذه الرواية مع رواية العرباض على وجوب نبوته وثبوتها) عطف تفسير
وعلل الحمل بقوله (فان الكتابة تستعمل فيما هو واجب) اما شرعا (كما قال تعالى كتب
عليكم الصيام) واما تقديرا كقوله (كتب الله لاغلبن) أي قدر (وعن أبي هريرة)
تصغير هرة قيل كناه بها المصطفى لانه رآه وفي كمه هرة وقيل المكنى له غيره قال ابن عبد البر
لم يختلف في اسم في الجاهلية والاسلام مثل ما اختلف في اسمه على عشرين قولا وسرد ابن
الجوزي في التلقيح منها ثمانية عشر وقال النووي تبلغ اكثر من ثلاثين قال الحافظ في الفتح
وقد جمعتها في تهذيب التهذيب فلم تبلغ ذلك فيحمل كلامه على الخلاف في اسمه واسم
أبيه معا انتهى واختلف في ارجحها فذهب جمع الى انه عمرو بن عامر وذهب كثيرون وصححه
النووي الى انه عبد الرحمن بن صخر الدوسي اسلم عام خيبر وشهدها مع المصطفى ثم لزمه
وواظبه حتى كان أحفظ أصحابه واكثر المكثرين ذكر بقي بن مخلد أنه روى عنه صلى الله
عليه وسلم خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعة وسبعين حديثا وتوفي بالمدينة سنة تسع
أو ثمان أو سبع وخمسين وامه اسمها ميمونة قاله الطبراني وقال أبو موسى المديني اميمة وقال
ابن قتيبة في المعارف اميمة بنت صفيح بن الحارث من دوس اسلمت فدعا لها المصطفى
وحديث اسلامها مشهور (انهم قالوا يارسول الله متى وجبت لك النبوة) أي حصلت
وثبتت (قال وآدم بين الروح والجسد) أي وجبت في هذه الحالة فعامل الحال وصاحبها
محذوفان قاله الطيبي (رواه الترمذي) بكسر التاء والميم وضمهما وبفتح التاء وكسر الميم
أبو عيسى محمد بن عيسى احد أوعية العلم والحفاظ الكبار كان يضرب به المثل في الحفظ أخذ
عن البخاري وشاركه في شيوخه بل قال ابن عساكر كتب عنه البخاري وحسبه بذلك
فخرا مات سنة تسع وثمانين ومائتين (وقال حديث حسن وروينا في جزء من امالي أبي سهل
القطان عن سهل بن صالح الهمداني) بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة نسبة الى
همدان شعب من قحطان قال في التبصير منها الصحابة والتابعون وتابعوهم (قال سألت
أبا جعفر محمد بن علي) بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالباقر قال النووي لانه بقر

العلم أى شقه فعرف أصله وخفيه ولد سنة ست وخمسين وروى عنه خلق كالزهرى وعمرو بن دينار وكان سيد بنى هاشم فى زمانه علما وفضلا وسوددا ونبلا قال ابن سعد ثقة كثير الحديث مات سنة ثمان عشرة ومائة (كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الانبياء وهو آخر من بعث قال ان الله تعالى لما أخذ الميثاق) فى عالم الذر (من بنى آدم من ظهورهم) بدل اشتمال مما قبله باعادة الجار (ذرياتهم) بأن اخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلا بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان بفتح النون يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا والاخبار والآثار شاهدة بهذا فتعسف من جعل الآية للتمثيل (وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم) قالوا بلى (كان محمد صلى الله عليه وسلم أول من قال بلى) أنت ربنا (ولذلك صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الانبياء وهو آخر من بعث) وأورد على قوله وآدم بين الروح والجسد قوله (فان قلت ان النبوة وصف) أى معنى يقوم بالمحل وهو كونه موحى اليه بأمر يعمل به فالمراد بالوصف الاثر وهو فى الاصل مصدر (ولا بد ان يكون الموصوف به موجودا وانما يكون) الوصف بالنبوة (بعد بلوغ الموصوف بها (أربعين سنة) اذ هو سن الكمال ولها تبعث الرسل ومفاد هذا الحصر الشامل لجميع الانبياء حتى يحيى وعيسى هو الصحيح ففى زاد المعاد ما يذكر أن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة لا يعرف به اثر متصل يجب المصير اليه قال الشامى وهو كما قال فان ذلك انما يروى عن النصارى والمصرح به فى الاحاديث النبوية انه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة اخرج الطبرانى فى الكبير بسند رجاله ثقات عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه الذى توفى فيه لفاطمة ان جبريل كان يعارضنى القرآن فى كل عام مرة وانه عارضنى بالقرآن العام مرتين وأخبرنى انه لم يكن نبى الا عاش نصف الذى قبله وأخبرنى ان عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا ارانى الا ذاهبا على رأس الستين انتهى ملخصا وروى أبو يعلى عن فاطمة مرفوعا ان عيسى بن مريم مكث فى بنى اسرائيل أربعين سنة فهذا مما يؤيد ذلك ولا يرد عليه قوله تعالى فى حق عيسى وجعلنى نبيا لان معناه جعلنى مباركا نفاعا للخير والتعبير بلفظ الماضى باعتبار ما سبق فى قضائه أو لجعل المحقق وقوعه كالواقع ولا قوله فى يحيى وآتيناه الحكم صبيا لان معناه الحكمة وفهم التوراة ومن فسره بالنبوة فهو مجاز لانه لظهور آثارها كانه أوتيها ولا ما فى تهذيب النووى وعرائس الثعلبى ان صالحا بعثه الله الى قومه وهو شاب وأقام فيهم عشرين سنة وتوفى بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة لجواز أنه على التقريب باسقاط عامى الولادة والموت فلا ينافى انه ارسل على رأس الاربعين وكونه فى ذلك السن لا ينافى اطلاق الشاب عليه كما اطلق انس لفظ الشاب على المصطفى فى حديث الهجرة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقد روى ابن مردويه والضياء فى المختارة عن ابن عباس رفعه ما بعث الله نبيا الا شابا * مهمة * وقع للحافظ الجلال السيوطى فى تكملة تفسير المحلى وشرح النقاية وغيرهما من كتبه الجزم بان عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين ويمكث بعد نزوله سبع سنين وما زلت اتعجب منه مع مزيد حفظه واتقانه وجمعه للمعقول والمنقول حتى رأيته فى مرقاة الصعود رجع عن ذلك فقال فى شرح حديث فيمكث

فى الارض أربعين سنة قال ابن كثير يشكل عليه ما فى مسلم انه يمكث سبع سنين الا ان يحمل على اقامته بعد نزوله ويكون ذلك مضافا الى مكثه قبل رفعه الى السماء وكان عمره حينئذ ثلاثا وثلاثين سنة على المشهور قلت وقد أقمت سنين اجمع بذلك ثم رأيت البيهقى قال فى كتاب البعث والنشور هكذا فى هذا الحديث ان عيسى يمكث فى الارض أربعين سنة وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو فى قصة الدجال فيبعث الله عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عداوة قال البيهقى ويحتمل ان قوله ثم يلبث الناس بعده أى بعد موته فلا يكون مخالفا للاول انتهى فترجح عندى هذا التأويل لوجوه احدها ان حديث مسلم ليس نصا فى الاخبار عن مدة لبث عيسى وذلك نص فيها والثانى ان ثم تؤيد هذا التأويل لانها للتراخى والثالث قوله يلبث الناس بعده فيتجه ان الضمير فيه لعيسى لانه اقرب مذكور والرابع انه لم يرد فى ذلك سوى هذا الحديث المحتمل ولا ثانى له وورد مكث عيسى اربعين سنة فى عدة احاديث من طرق مختلفة منها هذا الحديث الذى اخرجه أبو داود وهو صحيح ومنها ما اخرجه الطبرانى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم فيمكث فى الناس اربعين سنة ومنها ما اخرجه أحمد فى الزهد عن أبى هريرة قال يلبث عيسى بن مريم فى الارض أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلى عسلا لسالت ومنها ما اخرجه أحمد فى مسنده عن عائشة مرفوعا فى حديث الدجال فينزل عيسى بن مريم فيقتله ثم يمكث عيسى فى الارض اربعين سنة اماما عادلا وحكما مقسطا وورد أيضا من حديث ابن مسعود عند الطبرانى فهذه الاحاديث الصريحة أولى من ذلك الحديث الواحد المحتمل انتهى (أيضا) أى كما انه لا بد للنبوة من محل يقوم به والمتعاطفان هنا اتفقا فى الاشتراط فصح لفظ أيضا (فكيف يوصف به) أى بوصف النبوة (قبل وجوده) صلى الله عليه وسلم فى الخارج (وارساله) فى ذكره مع ان فرض السؤال فى النبوة اشعار بأنهما متقاربان وهو الصحيح وقيل نبوته سابقة على ارساله (اجاب) كذا فى نسخ بلا فاء وفى اخرى بها والاولى اولى اذ الفعل هنا ماض متصرف وليس مما تدخل عليه الفاء فانها تدخل فى سبعة مواضع جمعها القائل

اسمية طلبية وبجامد * وبما وقد وبلن وبالتنفيس

وقد اشتهر أن ذا البيت للفقيه العلامة الاجهورى وله عزاه شيخنا لكنه قال لنا فى قراءة المغنى انه رآه لاقدم منه وهو كما قال فقد ذكره الشيخ عمر بن نجيم الحنفى فى شرح الكنز فى باب تعليق الطلاق فقال جواب الشرط يجب اقترانه بالفاء حيث لم يصلح جعله شرطا وذلك فى مواضع جمعت فى قوله طلبية واسمية الخ فلعله من توافق الخاطر (العلامة) أبو حامد حجة الاسلام محمد بن محمد بن محمد (الغزالى) بفتح الغين المعجمة وشد الزاى على المشهور كما قال ابن الاثير وفى التبيان عن الغزالى انه انكر التشديد وقال انما انا الغزالى بالتخفيف نسبة الى غزالة من قرى طوس وفى المصباح عن بعض ذريته اخطأ الناس فى تشديد جدنا لكن قال ابن الاثير انه خلاف المشهور قال وأظن انه نسبة الى الغزال على عادة أهل جرجان وخوارزم كالعصارى الى العصار قال وحكى لى بعض من ينسب اليه من أهل طوس

انه منسوب الى غزالة بنت كعب الاحبار انتهى وفى طبقات السبكى كان والده يغزل الصوف ويبيعه بدكان بطوس (رحمه الله) ذكر له الاسنوى فى المهمات ترجمة حسنة منها هو قطب الوجود والبركة الشاملة لكل موجود وروح خلاصة أهل الايمان والطريق الموصل الى رضا الرحمن يتقرب به الى الله تعالى كل صديق ولا يبغضه الا ملحد وزنديق قد انفرد فى ذلك العصر عن الزمان كما انفرد فى هذا الباب فلا يترجم معه فيه لانسان انتهى وله كتب نافعة مفيدة خصوصا الاحياء فلا يستغنى عنه طالب الآخرة مات بطوس سنة خمس وخمسمائة (فى كتابه النفخ والتسوية عن هذا) المتقدم وهو قوله كنت نبيا وآدم الخ (وعن قوله) صلى الله عليه وسلم (كنت أول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا) رواه بهذا اللفظ ابن أبى حاتم فى تفسيره وأبو اسحاق الجوزقانى فى تاريخه عن أبى هريرة رفعه بلفظ كنت وما يقع فى نسخ بلفظ انا فتحريف أو رواية بالمعنى (بأن المراد بالخلق هنا التقدير دون الايجاد) اذ هو خلاف الواقع (فانه قبل ان ولدته امه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات والكمالات سابقة فى التقدير لاحقة فى الوجود قال وهو معنى قولهم) أى المتقدمين (أول الفكرة آخر العمل وآخر العمل أول الفكرة) كذا فى النسخ الفكرة بالهاء فى الموضعين والمذكور فى كتاب الغزالى المزبور بدون هاء فيهما ونظمه القائل

نعم ما قال زمرة الدول * أول الفكر آخر العمل

(وبيانه) أى ايضاح قولهم المذكور (ان المهندس) قال الجوهرى المهندز الذى يقدر مجارى القنا والابنية والعرب صيرو الزاى سينا فقالوا مهندس لانه ليس فى كلام العرب زاى قبلها دال وفى القاموس هندوس الامر بالضم العالم به جمعه هنادسة والمهندس مقدر مجارى القنا حين تحفر والاسم الهندسة مشتق من الهنداز معرب اندازه فأبدلت الزاى لانهم ليس لهم دال بعده زاى انتهى (المقدر للدار أول ما يمثل فى نفسه صورة الدار فيحصل فى تقديره دارا كاملة وآخره) وزان قصبة كما فى المصباح وغيره وحكى فى القاموس ضم اوله أى آخر (ما يوجد فى اعماله هى الدار الكاملة فالدار الكاملة هى أول الاشياء فى حقه تقديرا وآخرها وجودا لان ما قبلها من ضرب اللبنات) بكسر الموحدة جمع لبنة بالكسر وتسكن للتخفيف ما يعمل من الطين ويبنى به (وبناء الحيطان) جمع حائط الجدار قال القاموس والقياس حوطان (وتركيب الجذوع) جمع جذع وهو ساق النخلة (وسيلة الى غاية) أى نهاية (وكمال) عطف تفسير (وهى الدار الكاملة فالغاية هى الدار ولاجلها تقوم) بضم الفوقية وفتح القاف والواو المشددة أى توجد (الآلات والاعمال ثم قال) الغزالى بعد كلام (وأما قوله عليه الصلاة والسلام كنت نبيا) وآدم بين الروح والجسد (فاشارة) أى فهو اشارة (الى ما ذكرناه وانه كان نبيا فى التقدير قبل تمام خلقة) بكسر فسكون (آدم عليه الصلاة والسلام لانه) أى الحال والشان (لم ينشأ خلق آدم الا لينتزع من ذريته محمد) صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى لآدم لولاه ما خلقتك (ويستصفى) أى يستخلص من الكدورات كاخراج العلقة وشق الصدر (تدريجا) أى شيئا فشيئا (الى ان يبلغ كمال الصفات) من اضافة الصفة للموصوف

أى الصفات الكاملة أو بمعنى الكامل من الصفات وهو أعلاها وهذا على ما فى النسخ الصفات بالتاء والذى فى كتاب الغزالى المذكور الصفا بلا تاء (قال ولا تفهم هذه الحقيقة الا بأن يعلم أن للدار وجودين وجودا) بالنصب بدل مفصل من مجمل (فى ذهن المهندس ودماغه) عطف تفسير لبيان محله عند الحكماء اذ الذهن القوى المدركة الباطنة وهى حاصلة فى مقدم الدماغ وذكره لبيان تصويره فى حد ذاته فلا ينافى أن الغزالى كغيره من أهل السنة لا يقول به (والوجود الثانى انه) أى المهندس (ينظر الى صورة الدار خارج الذهن فى الاعيان والوجود الذهنى سبب الوجود الخارج للعين فهو سابق لا محالة) بفتح الميم أى لا بد كما فى المختار (وكذلك) مبتدأ حذف خبره أى كهذين الوجودين فعل الله وتصرفه فى خلقه كما أشار اليه بقوله (فاعلم) وهذا جواب شرط مقدر نشأ من قوله وكذلك أى واذا أردت معرفة ذلك فى حقه تعالى وفيه اشارة الى استحالة الوجود الذهنى فى حقه تعالى وأن التشبيه انما هو من حيث سبق التقدم ثم الايجاد فقط (ان الله تعالى يقدر) الاشياء قبل ايجادها (ثم يوجد) ذلك الذى قدره (على وفق التقدير ثانيا انتهى) واقتصر على هذين الوجودين لانهما الصالحان فى مادة جوابه والا فللشئ من حيث هو وجودان آخران وجود فى الكتابة ووجود فى العبارة صرح به الجعبرى مقدما العينى على الذهنى نظرا الى الاخبار بالشئ بعد تحصيله وتعقله عند المخبر بالكسر والغزالى قدم الذهنى نظرا الى صورة تحصيل الشئ فى نفسه وللقرافى فى شرح تنقيحه قال الغزالى المختار عندى أن للشئ فى الوجود أربع مراتب حقيقة فى نفسه وثبوت مثاله فى الذهن و يعبر عنه بالعلم التصورى الثالثة تأليف أصوات بحروف تدل عليه الرابعة تأليف رقوم تدرك بحاسة البصر دالة على اللفظ وهى الكتابة فالكتابة تبع للفظ اذ تدل عليه واللفظ تبع للعلم والعلم تبع للمعلوم فهذه الاربعة متطابقة متوازنة الا أن الاولين وجودان حقيقيان لا يختلفان فى الاعصار والامم واللفظ والكتابة مختلفان فيهما لوضعهما بالاختيار (وهو) أى ما قاله الغزالى (متعقب) أى مردود (بقول الشيخ) الامام العلامة أبى الحسن على بن عبد الكافى الملقب (تقى الدين السبكى) الفقيه الحافظ المفسر الاصولى المتكلم النحوى اللغوى الجدلى الخلافى النظار شيخ الاسلام بقية المجتهدين ولد بسبك من أعمال المنوفية فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة وبرع فى العلوم وانتهت اليه الرياسة بمصر وصنف تصانيف عديدة وتوفى بجزيرة الفيل على شاطئ النيل يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة (انه قد جاء ان الله خلق الارواح قبل الاجساد) واذا كان كذلك (فقد تكون الاشارة بقوله) صلى الله عليه وسلم (كنت نبيا الى روحه الشريفة أو الى حقيقة من الحقائق) فيكون لنبوته محل قامت به وهذا جواب قول السائل لا بد للوصف من محل يقوم به وترك جواب انها انما تكون بعد الاربعين وأجاب شيخنا بجواز أن محله فى النبوة المتعلقة بالجسد بعد ارتباط الروح به فلا ينافى أن افاضة النبوة على الروح ووصفها به حقيقة لعدم اشتراط المحل الذى تقوم به النبوة خارجا عن هذا قال وقد يؤخذ ذلك من اقتصاره على افاضة النبوة على روحه اذ من لازم حصولها

قوله مبتدأ الخ لعل الاولى العكس فتأمل اه مصححه

على الروح عدم اشتراط وجود الجسد فى الاعيان فضلا عن بلوغ أربعين ولما استشعر سؤال ماتلك الحقائق قال مجيبا (والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده الله بنور الهى) يدرك به مايخفى على من لم يمده (ثم ان تلك الحقائق يؤتى الله كل حقيقة منها مايشاء فى الوقت الذى يشاء فحقيقة النبى صلى الله عليه وسلم قد تكون من حين خلق آدم) أى من وقت ابتدائه وقبل تمامه (آتاها الله) بالمد أعطاها (ذلك الوصف) وصور الاعطاء بقوله (بأن يكون خلقها متهيئة لذلك) أى لقبول النبوة (وأفاضه) أى ذلك الوصف (عليها من ذلك الوقت) فحقيقته سابقة على خلق آدم وحصول النبوة عند خلقه وفى اللطائف والسبل وهذه أى الصفة التى هى النبوة الثابتة مرتبة ثالثة وهى انتقاله من مرتبة العلم والكتابة الى مرتبة الوجود العينى الخارجى قال شيخنا فافاد أن نبوته مقدرة فى العلم أولا ثم تعلقت بها الكتابة ثم تعلق بها الابراز والايجاد للملائكة فى الوجود العينى وقضية مامر من ابراز حقيقته قبل سائر الموجودات أن المراتب أربع تعلق العلم بانه يصير نبيا ثم خلق نوره ثم كتبه فى أم الكتاب ثم اظهاره للملائكة وقد يشعر بهذا قوله وهى انتقاله الخ (فصار) عليه السلام أى حقيقته أو روحه (نبيا وكتب) الله تعالى (اسمه) عليه السلام (على العرش وأخبر) الله (عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم) من العالم الموجود حينئذ أو الذى سيوجد من بنى آدم (كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تاخر جسده الشريف) أى ايجاده (المتصف بها) وقوله (واتصاف حقيقته) مبتدأ (بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه) صفتان للاوصاف (من الحضرة الالهية) متعلقة بمفاضة بلا ريب وجعله خبرا اتصاف يمجه السمع ويأباه الطبع فليس القصد الاخبار بأن اتصافه كائن من الحضرة بل حصوله من ذلك الوقت وانما سقط خبرا لابتداء من قلم المصنف سهوا وهو ثابت فى كلام السبكى الناقل عنه المصنف ولفظه واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية حاصل من ذلك الوقت (وانما يتأخر البعث والتبليغ) فلا حاجة أيضا لجعل اتصاف عطفا على جسده أى تأخر اتصافه بالاوصاف فى الوجود العينى لجسده وأنه أقرب بل هو تعسف أيضا يأباه قوله بعد وانما المتأخر تكونه وتنقله ويبعده الحصر فى قوله انما يتأخر الخ اذ يصير معناه عسرا ولكن قد علمت أن منشأ هذا التمحل سقوط الخبر وانه موجود فى كلام من عزا اليه فلا معدل عنه وبه استقام الكلام بلا تعسف (وكل ماله من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لاتأخر فيه) جملة خبرية كالمفسرة لما قبلها كقوله (وكذلك استنباؤه) أى جعله نبيا فالسين للتوكيد لا للطلب (وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة) متقدم على ذاته (وانما المتأخر تكونه وتنقله الى أن ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا) الخبر الذى هو ان الله خلق الارواح قبل الاجساد (ان من فسره) أى الكون نبيا وآدم بين الروح والجسد كالغزالى (بعلم الله بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله محيط بجميع الاشياء ووصف النبى صلى الله عليه وسلم بالنبوة فى ذلك الوقت ينبغى أن يفهم منه انه أمر ثابت له فى ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم) أى علم الله (بما سيصير

في

في المستقبل لم يكن له) عليه السلام (خصوصية) بضم الخاء وفتحها وهو أفصح كذا في المختار كأصله الصحاح وفي المصباح والفتح لغة وكذا افاده القاموس بقوله وتفتح (بأنه نبيّ وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء يعلم الله تعالى نبوّتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بدّ من خصوصية) أمر ثابت (للنبي صلى الله عليه وسلم) دون غيره (لاجلها أخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله تعالى) الى هنا كلام السبكي بتقديم وتأخير حسبما ذكره في رسالة لطيفة سماها التعظيم والمنه في لتؤمننّ به ولتنصرنه وفهمه المصنف ردّا على الغزالي بقوله وهو متعقب وفيه انه انما عبر بالتقدير وهو مرتبة غير العلم فيجوز انه أمر اختص به قبل خلق آدم دون بقية الانبياء فلا يتمّ ردّه به ويحتمل أن مراد السبكي الردّ على غير الغزالي وهو ظاهر قوله ومن فسر دون من قدر وفي نسيم الرياض قد يقال من فسره بالعلم مراده علم أظهره الله لغيره من الملائكة والارواح تشريفا له وتعظيما وكونه إشارة الى حقيقته ان أراد به روحه رجع الى ماقبله وان أراد غيره فلا يعقل عند من خلع ربقة التقليد من جيده انتهى (وعن الشعبي) بفتح المعجمة وسكون المهملة فموحدة نسبة الى شعب بطن من همدان بسكون الميم كما في الكواكب وصدّر به في اللب وقال ابن الاثير بطن من حمير عامر بن شراحيل الكوفي أبي عمرو التابعيّ الوسط ولد لست مضين من خلافة عمر على المشهور وروى عن عليّ والسبطين وسعد وسعيد وابن عباس وعمر وغيرهم وقال أدركت خمسمائة صحابيّ وما كتبت سوداء في بيضاء قط ولا حدّثني أحد بحديث الا حفظته مرّ به ابن عمر وهو يحدّث بالمغازي فقال شهدت القوم فلهو أحفظها واعلم بها مني قال مكحول مارأيت أفقه منه وابن عيينة كان أكبر الناس في زمانه مات بالكوفة سنة ثلاث ومائة أو أربع أو سبع أو عشر ومائة (قال رجل) يحتمل انه عمر (يارسول الله متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق) وعند أبي نعيم عن الصنابحيّ عن عمر بن الخطاب انه قال يارسول الله متى جعلت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد (رواه) أبو عبد الله محمد (بن سعد) بن منيع الهاشمي مولاهم البصري كاتب الواقدي روى عنه كثيرا وعن هشيم وابن عيينة وابن علية وطبقتهم وكتب الفقه والحديث والغريب والعربية وصنف الطبقات الكبير والصغير والتاريخ قال أبو حاتم وغيره صدوق مات في جمادى الآخرة سنة ثلاثين أو خمس وثلاثين ومائتين عن اثنتين وستين سنة (من رواية جابر) بن يزيد بن الحرث (الجعفي) بضم الجيم وسكون العين أبي عبد الله الكوفي عن الشعبي وأبي الطفيل وعنه شعبة والسفيانان ضعيف شيعي تركه الحفاظ ووثقه شعبة فشذ قال أبو داود ليس له في كتابي سوى حديث السهو مات سنة ثمان وعشرين ومائة (فيما ذكره ابن رجب) الحافظ عبد الرحمن (فهذا) أي مرسل الشعبيّ على ضعفه المعتضد بحديث عمر السابق (يدل على انه من حين صوّر آدم طينا استخرج منه محمد صلى الله عليه وسلم ونبئ وأخذ منه الميثاق ثم أعيد الى ظهر آدم حتى يخرج وقت خروجه الذي قدّر الله خروجه فيه فهو أوّلهم خلقا لا يقال يلزم) على ماتقدّم (خلق آدم قبله) لانه استخرج من طينته فينافي خبر كنت أوّل الانبياء خلقا (لان آدم) تعليل لنفي القول لا للقول المنفيّ فهو نفس الجواب

(كان حينئذ) أى حين نبئ النبى وأخذ منه الميثاق (مواتا) بفتح الميم (لاروح له) صفة كاشفة ففى الصحاح الموات بالضم الموت وبالفتح مالا روح فيه (ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حيا حين استخرج) من طينة آدم (ونبئ وأخذ منه ميثاقه فهو أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا) كما قال (فان قلت ان استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه كما دل عليه أكثر الاحاديث) وأقلها انه استخرج قبل نفخ الروح روى عن سلمان وغيره قال فى اللطائف ويدل له ظاهر قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية على ما فسر به مجاهد وغيره ان المراد اخراج ذرية آدم من ظهره قبل أمر الملائكة بالسجود له ويحتمل أن يدل له أيضا قوله وآدم بين الروح والجسد جوابا لمتى استنبئت (والذى تقرر هنا انه استخرج ونبئ وأخذ منه الميثاق قبل نفخ الروح فى آدم عليه الصلاة والسلام) فهل هذا خصوصية للمصطفى أم مبنى على خلاف مادل عليه أكثر الاحاديث (أجاب بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم خص باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح فيه فان محمدا صلى الله عليه وسلم هو المقصود من خلق النوع الانسانى) اذ لولاه ما خلق (وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده) بكسر العين أى الجوهر الذى فى وسط القلادة وهو أجودها (والاحاديث السابقة صريحة فى ذلك) الذى قلنا انه خصوصية له (والله أعلم) قال العلامة الشهاب القرافى لفظ والله أعلم لا ينبغى أن توضع هى ونحوها الا وينوى بها ذكر الله فان استعمال ألفاظ الاذكار لا على وجه الذكر والتعظيم قلة أدب مع الله تعالى ينهى عنه بل ينوى بها معناها الذى وضعت له لغة وشرعا انتهى (وروى) عند ابن جرير وابن كثير (عن على بن أبى طالب) أمير المؤمنين زوج البتول الزهراء تربية من خص بالنظر ليلة الاسراء القائل فى حقه من كنت مولاه فعلى مولاه رواه الترمذى والنسائى وغيرهما بأسانيد صحيحة وعند مسلم وأحمد لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق مناقبه شهيرة كثيرة جدا حتى قال أحمد والنسائى واسمعيل القاضى لم يرد فى حق أحد من الصحابة بالاسانيد الجياد أكثر مما جاء فى حق على رضى الله عنه (انه قال) فى تفسير قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده) الى عيسى ان قلنا بالمشهور من انه ليس بينه وبين المصطفى نبى أو الى من بعده أيضا كخالد بن سنان (الا أخذ عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه) المبعوث فيهم الرواية بنصب يأخذ عن عياض كما أفاده الشمنى والمصنف فى حواشيهما للشفاء قائلين عطفا على يؤمنن بتقدير نون التوكيد الخفيفة ورد بانه حينئذ يكون من جزاء الشرط فيلزم أن الاخذ من الامة بعد بعثة المصطفى وليس المراد فالعطف على جملة لئن بعث الخ على انها فى موضع مفرد والوجه أن التقدير وأمر أن يأخذ نحو علفتها تبنا (وهو مروى عن ابن عباس أيضا) موقوف عليهما لفظا مرفوع حكما لانه لا مجال للرأى فيه (كما ذكره العماد) الحافظ ذو الفضائل اسمعيل ابن عمر (بن كثير) القيسى المفتى المحدث البارع المتقن كثير الاستحضار سارت تصانيفه فى البلاد فى حياته مات سنة أربع وسبعين وسبعمائة عن أربع وسبعين سنة (فى تفسيره) الذى لم يؤلف على نمطه مثله ورواه ابن عساكر والبغوى بنحوه ووقع للزركشى وابن

كثير

كثير والحافظ فى الفتح عزوه لصحيح البخارى قال الشامى ولم أظفر به فيه انتهى وقال البغوى اختلف فى معنى الآية فقيل أخذ الميثاق من النبيين أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته وأن يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبى أن يؤمن بمن يأتى بعده وينصره ان أدركه والا يأمر قومه بنصره فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد وقيل انما أخذ الميثاق عليهم فى محمد صلى الله عليه وسلم واختلف على هذا فقيل الاخذ على النبيين وأممهم كلهم واكتفى بذكر الانبياء لان العهد على المتبوع عهد على التابع وهو معنى قول على وابن عباس وقال مجاهد والربيع أخذ الميثاق انما هو على اهل الكتاب الذين ارسل منهم النبيون ألا ترى قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم الخ وانما كان مبعوثا لاهل الكتاب دون النبيين يدل عليه قراءة ابن مسعود وأبى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب وأما القراءة المعروفة فالمراد منها أن الله أخذ عهد النبيين أن يأخذوا الميثاق على اممهم بذلك انتهى ملخصا (وقيل ان الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) أى اكمل خلقه بافاضة الكمالات والنبوة على نوره (أمره أن ينظر الى انوار الانبياء عليهم الصلاة والسلام) لا خلق نفس النور فلا يرد ان قضاءه خلق نور الانبياء قبل نوره لان تعليق الحكم على شئ يستدعى وجوده قبله أو المراد لما خلق نوره أخرج منه انوار بقية الانبياء ثم أمرهم بذلك ولو قيل افاضة النبوة على ذلك النور لكن الاول أوفق بقولهم آمنا به وبنبوته اذ المتبادر افاضة النبوة عليه بالفعل (فغشيهم من نوره ما) أى الذى (انطقهم الله به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم انبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى) لهم أ (أشهد عليكم) بحذف همزة الاستفهام المقدرة (قالوا نعم) اشهد علينا (فذلك قوله تعالى و) اذكر (اذ) حين (أخذ الله ميثاق النبيين) عهدهم (لما) بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذى فى أخذ الميثاق وكسرها متعلق بأخذ وما موصولة على الوجهين أى للذى (آتيتكم) اياه وقرئ آتيناكم (من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) من الكتاب والحكمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب القسم وأممهم تبع لهم فى ذلك (الى قوله وأنا معكم من الشاهدين) عليكم وعلى اممكم (قال الشيخ تقى الدين السبكى) فى رسالة صغيرة له سماها التعظيم والمنه فى لتؤمنن به ولتنصرنه (فى هذه الآية اشريفه من التنويه بالنبى صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلى مالا يخفى وفيه) كأنه ذكر على معنى نظم الآية والاقتباس سابقه وفيها (مع ذلك انه على تقدير مجيئه فى زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من آدم الى يوم القيامة) بهذا التقدير (ويكون الانبياء وأممهم كلهم من امته) مع بقاء الانبياء على نبوتهم (ويكون قوله) صلى الله عليه وسلم فى أثناء حديث رواه الشيخان وغيرهما (وبعثت الى الناس كافة) قومى وغيرهم من العرب والعجم والاسود والاحمر وفى رواية لمسلم الى الخلق كافة وهو يتناول الجن اجماعا والملائكة فى أحد القولين ورجحه ابن حزم والبارزى والسبكى وغيرهم ويأتى بسطه ان شاء الله فى الخصائص (لا يختص به الناس) الكائنون (من زمنه الى يوم القيامة بل يتناول

قوله ثم أمرهم الخ هكذا فى النسخ ولعل الانسب بما فى المصنف امره بافراد الضمير تأمل اه مصححه

من قبلهم أيضا) ونحوه للبارزي في توثيق عرى الايمان وادّعى بعضهم أن ماذكره السبكي غريب لا يوافقه عليه من يعتدّ به فالجمهور على أن المراد بالكافة ناس زمنه فمن بعدهم الى يوم القيامة ودفعه شيخنا المذكرته له بأنه لا ينافي كلام الجمهور الا اذا اريد التبليغ بالفعل أمّا اذا اريد بالبعث اتصافه صلى الله عليه وسلم بكونهم مأمورين في الازل بتبعيته اذا وجد كما هو صريح كلامه فلا يخالفه واحد فضلا عن الجمهور (ويتبين بذلك) وفي نسخة بهذا أي المذكور من انه نبي وأخذ الميثاق عليهم باتباعه وأن الارواح قبل الاجساد (معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) فقد يكون اشارة الى روحه أو حقيقة من الحقائق الخ مامرّ ومعناه أنّ حقيقته ظهرت بالنبوة قبل خلق آدم وحلول الروح في جسده (ثم قال) بعد نحو ورقة من جملتها ماقدّمه عنه قريبا (فاذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء) أي مرسل الى الجميع مع بقائهم على نبوتهم (ولهذا) أي كونه نبي الانبياء (ظهر في الآخرة جميع الانبياء تحت لوائه) كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث انس عند أحمد وبيدي لواء الحمد آدم فمن دونه تحت لوائي وهو معنوي وهو انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته به على رؤس الخلائق كما جزم به الطيبي والسيوطي أو حقيقي مسمى بذلك وعند الله علم حقيقته ودونه تنتهي جميع المقامات ولما كان المصطفى أحمد الخلق في الدارين اعطيه ليأوي اليه الاولون والآخرون ولذا قال آدم فمن دونه الخ كما قاله التوربشتي والطيبي وأمّا ماروا ه ابن منيع والطبري وغيرهما في صفته فقال الطبري موضوع بين الوضع (وفي الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم) اماما (ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح) سمي به لنوحه على ذنوب امته واسمه عبد الجبار كما في حياة الحيوان أو عبد الغفار كما في الانس الجليل أو يشكر أو لكثرة بكائه على نفسه من قوله في كلب ماأوحشه فأوحى اليه اخلق أنت أحسن منه فكان يبكي اعتذارا من تلك المقالة فأوحى الله اليه يانوح الى كم تنوح فسماه بذلك الله كما في تفسير القشيري وفي ربيع الابرار بكى نوح ثلثمائة سنة على قوله ان ابني من أهلي (وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك أخذ الله عليهم الميثاق انتهى وسيأتي ان شاء الله تعالى مزيد لذلك في المقصد السادس) وهو نقل رسالة السبكي برمّتها ومن جملتها ان الانبياء نواب له بشرائعهم وأنه شرعه لاولئك القوم وقد عاب عليه وشنع صاحب نسيم الرياض بأن النصوص العقلية والنقلية ناطقان بخلافه كقوله انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومافي معناها من الآيات والانبياء مع تعظيمهم له ومحبتهم غير مكلفين بأحكام شرعه والالم يكونوا أصحاب شرع فما تبجح به السبكي واستحسنه هو ومن بعده لاوجه له عند من له ادنى بصيرة وكيف يتأتى قوله مع قوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد طلب موسى أن يكون من امته فأجابه الله بقوله استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال انتهى وتعسفه لا يخفى فان قوله ذلك من جملة مدخول لو في قوله لو اتفق مجيئه الخ كما هو صريح رسالته فسقط جميع ماقاله ومن اقوى تعسفه قوله غير مكلفين باحكام شرعه فانه لم يدّع تكليفهم به بل أن شرائعهم على تقدير

وجوده فى ازمانهم شرع له فيهم فاعتبروا يا أولى الابصار (وذكر) الامام (العارف الربانى) بشد الموحدة فألف فنون ينسب هذه النسبة من يوصف بسعة العلم والديانة قاله فى التبصير (عبد الله بن أبى جمرة) المقرى المالكى العالم البارع الناسك قال ابن كثير كان قوالا بالحق أمارا بالمعروف مات بمصر فى ذى القعدة سنة خمس وتسعين وستمائة وفى التبصير فى تعداد من هو بجيم وراء ما لفظه والشيخ أبو محمد عبد الله بن أبى جمرة المغربى نزيل مصر كان عالما عابدا خيرا شهير الذكر شرح منتخبا له من البخارى نفع الله ببركته وهو من بيت كبير بالمغرب شهير الذكر انتهى (فى كتابه بهجة النفوس) وتحليها بمعرفة ما لها وعليها وهو اسم شرحه على ما انتخبه من البخارى (ومن قبله) الامام أبو الربيع (بن سبع) باسكان الموحدة وقد تضم كما فى التبصير (فى شفاء الصدور) ورواه أبو سعد فى شرف المصطفى وابن الجوزى فى الوفاء (عن كعب الاحبار) جمع حبر بفتح الحاء وكسرها واليه يضاف كالاول لكثرة كتابته بالحبر حكاه أبو عبيد والازهرى عن الفراء وقال ابن قتيبة وغيره كعب الاحبار كعب العلماء واحدهم حبر كما فى مشارق القاضى وتهذيب النووى ومثلثات ابن السيد والنور وغيرهم وأغرب صاحب القاموس فى قوله كعب الحبر ولا تقل الاحبار فانها دعوى نفى غير مسموعة مع مزيد عدالة المثبتين بل اضافته الى الجمع سواء قلنا انه المداد أو العلماء أى ملجؤهم اقوى فى المدح وهو كعب بن ماتع بالفوقية أبو اسحق الحميرى التابعى المخضرم ادرك المصطفى وما رآه المتفق على علمه وتوثيقه سمع عمر وجماعة وعنه العبادلة الاربعة وأبو هريرة وأنس ومعاوية وهذا من رواية الاكابر عن الاصاغر وكان يهوديا يسكن اليمن وأسلم زمن الصديق وقيل عمر وشهر وقيل زمن المصطفى على يد على حكاه المصنف وسكن الشام وتوفى فيما ذكره ابن الجوزى والحفاظ سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان وقد جاوز المائة وما وقع فى الكشاف وغيره من أنه ادرك زمن معاوية فلا عبرة به روى له الستة الا البخارى فانما له فيه حكاية لمعاوية عنه (قال لما أراد الله أن يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التى هى قلب الارض وبهاؤه) هو الحسن كما فى القاموس (ونورها قال فهبط جبريل فى ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع) بالراء والقاف السماء السابعة كما اشار اليه بقوله (الاعلى) لانها العليا وذكر مع أن السماء مؤنثة لانتفاء علامة التأنيث فى الرقيع فكأنه قال الجرم أو المكان الاعلى (فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهى بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم) وهو أرفع شراب الجنة ويقال تسنيم عين تجرى من فوقهم تسنمهم فى منازلهم أى تنزل عليهم من عال يقال سنم الفحل الناقة اذا علاها قاله العزيزى بضم العين المهملة وزاءين معجمتين صاحب غريب القرآن هكذا سار فى الآفاق ومر الكلام فيه فى الاسماء قاله فى التبصير وملخص ما قاله فى الاسماء عزيز بالضم الى أن قال ومحمد بن عزيز السجستانى المفسر صاحب الغريب المشهور ضبطه الدارقطنى وخلق بزاى مكررة وتعقبهم ابن ناصر وخلق بأنه بزاى فراء مهملة لكنهم لم يستندوا الى ضبط بالحروف وانما عولوا على الخط وضبط القلم ولا يفيد القلم بأن آخره راء اذ الكاتب قد يذهل عن نقط الزاى فكيف يقطع بالوهم على الدارقطنى مع

انه لقيه وأخذ عنه ثم قال وبالفتح فذكر جماعة فلا يتوهم أحد أنه لم يتعرض لكونه مكبرا أو مصغرا وانما نشأ من عدم استيفاء الكلام وفي القاموس أن كونه بالراء تصحيف (في معين انهار الجنة حتى صارت كالدرة) بضم الدال المهملة اللؤلؤة العظيمة (البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش و) حول (الكرسي وفي السموات والارض والجبال والبحار) التي في الارض وغيرها (فعرفت الملائكة وجميع الخلق) عطف عام على خاص (سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وفضله قبل أن تعرف آدم عليه الصلاة والسلام) قال بعض العلماء وهذا لا يقال من قبل الرأي انتهى يعني فهو اما عن الكتب القديمة لانه حبرها أو عن المصطفى بواسطة فهو مرسل وتضعيف بعض المتأخرين جدا له باحتمال أنه من الكتب القديمة وقد بدلت غير مسموع فان التضعيف انما هو من جهة السند لانه المرقاة كما هو معلوم عند من له ادنى المام بالفن وليس كل ما ينقل عن الكتب القديمة مردودا بمثل هذا الاحتمال (وقيل لما خاطب الله تعالى السموات والارض بقوله ائتيا طوعا أو كرها) الى مرادي منكما (قالتا أتينا) بمن فينا (طائعين أجاب) أي كان المجيب من الارض (موضع الكعبة الشريفة ومن السماء ما يحاذيها) ووافقهما على الجواب البقية فلا ينافي أتينا طائعين وقال السهيلي لم يجبه الا أرض الحرم أي من الارض وهو أعم مما هنا ووجه ذكره لهذا قوله (وقد قال ابن عباس) عبد الله الحبر البحر ترجمان القرآن كان الفاروق يجله ويدخله مع اشياخ بدر (أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة) وهذا حكمه الرفع اذ لا يقال رأيا (فقال بعض العلماء) هو السهروردي صاحب العوارف (هذا) الذي قاله ابن عباس مع ما قبله (يشعر بأن ما أجاب من الارض الادرة) بضم الدال المهملة اللؤلؤة العظيمة جمعها درّ ودرر ودرّات كما في القاموس عبر بها عن طينة (المصطفى صلى الله عليه وسلم) لنفاستها وقراءته بذال معجمة تصحيف غير لائق بالمقام فانها النملة الصغيرة جدا وقد مرّ قريبا قوله صارت كالدرة البيضاء ويجيء التعبير عنها بجوهرة (ومن موضع الكعبة دحيت) مدت (الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل في التكوين) أي الاحداث القاموس كونه احدثه والله الاشياء أوجدها (والكائنات تبع له) حذف من كلام السهروردي ما لفظه واليه الاشارة بقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفي رواية بين الروح والجسد قال (وقيل لذلك) الذي قاله ابن عباس (سمي اميا لان مكة أم القرى ودرته ام الخليقة) وانما حذف ذلك من كلامه لانه قدم انه لم يرد اللفظ الاول (فان قلت تربة الشخص مدفنه فكان مقتضى هذا أن يكون مدفنه عليه الصلاة والسلام بمكة حيث كانت تربته منها) فلا تقل ذلك وتذهل عن جوابه (فقد أجاب عنه صاحب عوارف المعارف) هو العلامة عمر شهاب الدين بن محمد بن عمر السهروردي بضم السين المهملة وسكون الهاء وضم الراء وفتح الواو وسكون الراء الثانية فدال مهملة نسبة الى سهرورد بلد عند زنجان كما في التبصير وغيره الفقيه الشافعي الزاهد الامام الورع الصوفي أخذ عن الكيلاني وغيره وسمع الحديث من جماعة وقرأ الفقه والخلاف ثم انقطع ولازم الخلوة والصوم والذكر ثم تكلم على الناس عند

علو

علوسنه ثم كف وأقعد ومع ذلك ما اخل بذكر ولا حضور جمع ولازم الحج الى أن دخل في عشر المائة ووصل الى الله به خلق كثير وتاب على يديه كثيرون من العصاة وكانت محفته تحمل على أعناق الرجال من العراق الى البيت الحرام ورأى من الجاه عند الملوك مالم يره أحد ولما حج آخر حجاته ورأى ازدحام الناس عليه في المطاف واقتداءهم بأقواله وأفعاله قال في سره ياترى انا عند الله كما يظن هؤلاء في فكاشفه ابن الفارض وخاطبه بقوله

لك البشارة فاخلع ماعليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

فصرخ وخلع ما عليه وألقاه فخلع المشايخ والفقراء ماعليهم وألقوه وكان أربعمائة خلعة ولد سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وتوفي ببغداد مستهل محرم سنة اثنتين وثلاثين وستمائة (افاض الله علينا من عوارفه) أي الله أو السهروردي فهو من التوجيه (وتعطف علينا بعواطفه بأنه قيل ان الماء) الذي كان عليه العرش (لما تموج رمى الزبد الى النواحي فوقعت جوهرة) واحدة جوهر معرب كما في الصحاح أي طينة (النبي صلى الله عليه وسلم) وفي القاموس الجوهر كل حجر يستخرج منه شئ ينتفع به انتهى وبه يعلم حسن تسميته الطينة الشريفة جوهرة كما لا يخفى (الى مايحاذي تربته بالمدينة) أي وبقي منها بمكة ما أخذه جبريل حين أراد الله ابراز المصطفى (فكان صلى الله عليه وسلم مكيا) لان طينته من مكة (مدنيا) لدفنه بالمدينة كما اشار له بقوله (حنينه) أي شوقه (الى مكة وتربته بالمدينة انتهى) ووقع لبعض بعد نحو هذا فهبط جبريل في ملائكة الفردوس والرفيع الاعلى فقبضها من محل قبره الشريف وأصلها من مكة موجها الطوفان الى هنالك فعجنت بماء التسنيم ويتعين أن المراد بالطوفان الماء الكثير الذي كان عليه العرش فانه يطلق لغة على المطر الغالب والماء الغالب يغشى كل شئ كقوله تعالى في قوم موسى فأرسلنا عليهم الطوفان لا الكائن في زمن نوح لان أمر جبريل كان قبل وجود آدم (وفي) كتاب (المولد الشريف) المسمى بالدر النظيم في مولد النبي الكريم (لابن طغربك) بطاء مهملة مضمومة وغين معجمة ساكنة وراء مضمومة وفتح الموحدة وكانه علم مركب من طغروبك لقب للامام العلامة المحدث سيف الدين أبي جعفر عمر بن ايوب بن عمر الحميري التركماني الدمشقي الحنفي لم أرله في ابن خلكان ترجمة انما فيه آخر من الامراء بهذا الضبط وزيادة لام ساكنة بعد الراء (ويروى انه لما خلق الله تعالى آدم ألهمه) قبل أن يناديه أحد من الملائكة به فيكون ألهمه القول والكنية معا أو بعد علمه بأنه كنى بذلك بطريق آخر على مايشعر به ألهمه (أن قال) اذ معناه قول (يارب لم كنيتني أبا محمد) بالتشديد والتخفيف كما في القاموس واقتصر المختار على أن الكنية بالتشديد لاغير وأن المخفف انما هو فيمن تكلم بشئ مريدا غيره (قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد) أي النور الذي هو صورته فالاضافة بيانية لما مر من جعل نوره صورة روحانية (في سرادق العرش) شبهه من حيث الدلالة على كمال العظمة بسرادق حول الخباء مثلا دلالة على عظمة صاحبه فالمعنى رأى نوره في العرش الذي هو كالسرادق فهو من اضافة المشبه به الى المشبه أوهي بيانية أو المعنى رأى نوره حول العرش وسمى ما حوله سرادقا على التشبيه فشبه المحيط به بمحيط بخباء فسماه باسمه كما قال القاضي في احاطه

بهم سرادقها فيه طاطها اشبه به ما يحيط بهم من النار قال شيخنا والاول اقرب (فقال يارب ماهذا النور قال هذا نور نبي من ذريتك اسمه) المشهور به (في السماء) بين الملائكة (أحمد و) اسمه المشهور به (في الارض) بين أهلها (محمد) ولا ينافي أن كتابة محمد على قوائم العرش واطلاع الملائكة عليها كما يجيء صريح في تسميته في السماء بمحمد أيضا (لولاه ماخلقتك ولا خلقت سماء ولا ارضا ويشهد لهذا) المروي المنقول من المولد من أوله في الجملة أي يقويه (مارواه الحاكم في صحيحه) المستدرك عن عمر رفعه (ان آدم عليه الصلاة والسلام رأى اسم محمد مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لآدم لولا محمد ماخلقتك) وروى أبو الشيخ في طبقات الاصفهانيين والحاكم عن ابن عباس أوحى الله الى عيسى آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن صححه الحاكم وأقره السبكي في شفاء السقام والبلقيني في فتاويه ومثله لا يقال رأيا فحكمه الرفع وقال الذهبي في سنده عمرو بن اوس لا يدري من هو وعند الديلمي عن ابن عباس رفعه أتاني جبريل فقال ان الله يقول لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار وذكر ابن سبع والعزفي بمهملة وزاي مفتوحتين وفاء عن علي ان الله قال لنبيه من اجلك اسطح البطحاء وأموج الموج وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب قيل وهذا لم يرد لغيره من نبي ولا ملك

وما عجب اكرام ألف لواحد * لعين تفدى ألف عين وتكرم

(ولله در) أي عمل مجازا استعمل في المدح تعظيما أي ان اللبن الذي ربي به لا ينسب لغير الله لخروج كمال الممدوح به عن العادة (من قال) مضمنا هذا الخبر وتوسل آدم بالمصطفى في قبول توبته وهو صالح بن حسين الشاعر قال بعض ما عمل مثلها في عصره (وكان) آدم (لدى الفردوس في زمن الصبا) أي في أول أمره بعد ارتباط الروح بجسده لا المعنى اللغوي وفي نسخ كالشامي الرضا أي زمن كونه في الجنة قبل هبوطه (وأثواب شمل الانس محكمة السدى) كناية عن قربه من الله والسدى وزان الحصى من الثوب خلاف اللحمة (يشاهد) آدم (في عدن) الجنة وعبر به وفي سابقه بالفردوس اشارة لتعدد أسمائها والجار والمجرور حال من فاعل يشاهد أو من ضياء بناء على انه في الاصل نعت له ونعت النكرة اذا تقدم عليها أعرب حالا (ضياء) أي نورا قويا (مشعشعا) أي منتشرا كما في الشامي (يزيد على الانوار) المتعارفة (في الضوء والهدى) أي زيادة النور والاهتداء فلا ينافي أن الضوء من جملة النور كما في الانوار (فقال) آدم (الهي ما) هذا (الضياء) بالنسبة لبقية الاضواء (الذي ارى * جنود السما) بالقصر للوزن (تعشو) بعين مهملة تقصده للاستضاءة به (اليه ترددا) مترددين اليه مرة بعد اخرى (فقال) الله تعالى هو (نبي) أي ضياؤه (خير من وطئ الثرى) بمثلثة التراب الندى فان لم يكن نديا فتراب لكن المراد هنا الارض مطلقا وسماها ثرى من اطلاق الجزء على الكل (وأفضل من في) طرق (الخير راح أو اغتدى) أي أخذ فيه وحصله أي وقت ليلا أو نهارا لاستعمال العرب الغدو والرواح في السير مطلقا على نقل الازهري أي مجازا (تخيرته من قبل خلقك)

يا آدم (سيدا) حال من المفعول فى تخيرته (وألبسته قبل النبيين سوددا) بالضم سيادة فذكره بعد سيدا اطناب اذ حيث ثبتت قبل آدم علم ثبوتها قبل الانبياء أو المراد اخترته بتقديم السيادة له قبل خلقك ثم ألبستها له بالفعل قبل النبيين فهو كما مر فى أن افاضة النبوة عليه بعد النقل من التقدير الى الكتابة ثم الى النبوة وبقى من القصيدة ابيات هى .

وأعددته يوم القيامة شافعا * مطاعا اذا ما الغير حاد وحيدا

فيشفع فى انقاذ كل موحد * ويدخله جنات عدن مخلدا

وان له اسماء سميته بها * ولكنى احببت منها محمدا

فقال الهى امنن على بتوبة * تكون على غسل الخطيئة مسعدا

بحرمة هذا الاسم والزلفة التى * خصصت بها دون الخليقة احمدا

أقلنى عثارى يا الهى فان لى * عدوا لعينا جار فى القصد واعتدى

فتاب عليه ربه وحباه من * جناية ما اخطاه لا متعمدا .

ذكرها بتمامها صاحب مصباح الظلام وغيره ثم أورد على قوله لولاه ما خلقتك (فان قلت مذهب الاشاعرة) يعنى أهل السنة القائلين بما عليه امامهم أبو الحسن الاشعرى من ذرية أبى موسى نسبة الى اشعر وهو نبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا لان امه ولدته والشعر على بدنه (ان افعال الله تعالى ليست معللة بالاغراض فكيف تكون خلقة محمد) اسم مصدر أى وجود وفى نسخة خلقه محمدا أى ايجاده (علة فى خلق آدم صلى الله عليه وسلم) اذ لولا حرف امتناع لوجود فتدل على امتناع جوابها لوجود شرطها وجوابها هنا وهو ما خلقتك نفى وامتناعه ثبوت فكأنه قال خلقتك لاجل خلق محمد قلت (اجيب بأن الظاهر من الادلة تعليل بعض الافعال بالحكم والمصالح التى هى غايات) أى ثمرات (ومنافع) عطف تفسير (لافعاله تعالى) أى تترتب عليها فاللام بمعنى على والغاية بمعنى الترتب (لا بواعث على اقدامه) أى اسباب حاملة على الفعل (ولا عالى مقتضية) مستلزمة (لفاعليته) بحيث يلزم من وجودها كونه فاعلا (لان ذلك محال فى حقه تعالى) علة لقوله لا بواعث الخ وعلل الاستحالة بقوله (لما فيه من استكماله) أى الله أى التكمل بمعنى صيرورته كاملا أو طالب الكمال (بغيره) وهو محال (والنصوص شاهدة بذلك) أى بتعليل بعض الافعال بالحكم والمصالح يعنى على سبيل الظهور فلا يخالف قوله بأن الظاهر وذكره توطئة لقوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ولا ينافيه أن كثيرا لا يعبدون لانها عام خص بمؤمنيهم كما قيل أو لما ذكره بقوله (أى قرنت الخلق بالعبادة أى خلقتهم وفرضت عليهم العبادة) ولا يلزم من الفرض قيامهم بها (فالتعليل لفظى لا حقيقى) وحاصله تسليم كونها لا تعلل بالمعنى السابق وما وقع من صورة تعليل ليس المراد به ذلك (لان الله تعالى مستغن عن المنافع) علة لقوله لا حقيقى (فلا يكون فعله) تعالى (لمنفعة راجعة) أى واصلة (اليه ولا الى غيره لان الله تعالى قادر على ايصال المنفعة الى الغير من غير واسطة العمل) فلا يتوقف عليه وصول المنفعة وفى نسخة فلا يكون فعله لمنفعته لان الله قادر باسقاط راجعة اليه ولا الى غيره

والظاهر أن ضمير منفعته عائد للعبد المفهوم من وما خلقت الجن والانس كما يدل عليه لان الله قادر الخ (وروى عبد الرزاق) بن همام بن نافع الحميرى مولاهم الحافظ أبو بكر الصنعانى أحد الاعلام روى عن معمر وابن جريج ومالك والسفيانين والاوزاعى وخلق وعنه أحمد واسحق وغيرهما مات سنة احدى عشرة ومائتين ببغداد عن خمس وثمانين سنة (بسنده) ايضاح والافهو مدلول روى (عن جابر بن عبد الله) بن عمرو بن حرام بمهملة وراء الانصارى الخزرجى السلمى بفتحتين الصحابى ابن الصحابى غزا تسع عشرة غزوة ومات بالمدينة بعد السبعين وهو ابن احدى وتسعين سنة (قال قلت يارسول الله) افديك (بأبى أنت وأمى) كلمة تستعملها العرب لتعظيم المفدى بهما (أخبرنى عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال) صلى الله عليه وسلم (ياجابر ان الله تعالى قد خلق قبل الاشياء نور نبيك) لم يقل نورى وان كان مقتضى الظاهر للتفخيم ولا يشكل بأن النور عرض لا يقوم بذاته لان هذا من خرق العوائد (من نوره) اضافة تشريف واشعار بأنه خلق عجيب وأن له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية على حد قوله تعالى ونفخ فيه من روحه وهى بيانية أى من نور هو ذاته لا بمعنى انها مادة خلق نوره منها بل بمعنى تعلق الارادة به بلا واسطة شئ فى وجوده وهذا اولى من احتمال أن المراد من نور مخلوق له تعالى قبل خلق نور المصطفى واضافه اليه لتوليه خلقه وايجاده لما يلزم عليه من سبق مخلوق على نور المصطفى وهو خلاف المنصوص والمراد ومن تجويز أنه معنى عبر عنه بالنور مشابهة أى خلق نور المصطفى من معنى يشبه النور موجود أزلا كوجود الصفات القديمة القائمة به تعالى فانها لا أول لوجودها لما فيه من اثبات مالم يرد والقلاقة بايهامه تعدد القدماء وان كان المراد التشبيه فى مطلق الوجود (فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار) وانما خلقوا بعد وخلقت الجنة قبل النار كما رواه أبو الشيخ عن ابن عباس موقوفا وحكمه الرفع (ولا ملك) بفتح اللام (ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنى ولا انسى) ولم يقل ولم يكن فى ذلك الوقت شئ وان شمل المذكورات وغيرها لئلا يتوهم اختصاصه ببعضها فأدار النص على سبق وجوده على جميعها ولان الشئ يشمل صفاته تعالى وهى موجودة قائمة بذاته لا أول لها (فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة اجزاء) أى زاد فيه لانه قسم ذلك النور الذى هو نور المصطفى اذ الظاهر أنه حيث صوره بصورة مماثلة لصورته التى سيصير عليها لا يقسمه اليه والى غيره (فخلق من الجزء الاول القلم) فهو من نور وبه صرح فى غير ما حديث كخبر ابن عباس قلمه نور وعند أبى الشيخ عن مجاهد أول ما خلق الله اليراع القصب ثم خلق من ذلك اليراع القلم فقال اكتب ما يكون الى يوم القيامة فان صح فلعل تجسمه من نور على صفة اليراع والاتفاق المرفوع اولى بالقبول وطوله خمسمائة عام رواه أبو الشيخ عن ابن عمر وعنده أيضا بسند واه ان عرضه كذلك وسنه مشقوقة ينبع منه المداد ولا يعارضه ما فى خبر مرسل انه من لؤلؤ طوله سبعمائة عام لان الاخبار بالاقل لا ينفى الاكثر وكونه من لؤلؤ لعله على التشبيه لشدة بياضه اذ هو نور (ومن الثانى اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء

الرابع اربعة اجزاء) مقتضى ثم تأخر خلق العرش عن اللوح والقلم وفي المشكاة تقديمه ثم الكرسي عليهما فلعلها بمعنى الواو (فخلق من الاول حملة العرش) وهم ثمانية املاك على صورة الاوعال اخرجه أبو يعلى وابن مردويه وابن خزيمة والحاكم وصححه وغيرهم عن العباس موقوفا ورواه ابن المنذر وغيره عن حسان بن عطية وهرون بن رياب بلفظ حملة العرش ثمانية وكذا رواه عبد بن حميد عن الربيع وهو معضل عن الثلاثة وقد روى ابن جرير عن ابن زيد رفعه مرسلا يحمله اليوم اربعة ويوم القيامة ثمانية وأخرجه أبو الشيخ من طريقين عن وهب معضلا وعند ابن جرير وغيره عن ابن عباس في قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله (ومن الثاني الكرسي) فيه حجة للقول الصحيح انه غير العرش (ومن الثالث باقي الملائكة) وهم اكثر المخلوقات وحديث عبد الرزاق هذا مفسر لقوله صلى الله عليه وسلم في مسلم خلقت الملائكة من نور وعند أبي الشيخ عن عكرمة قال خلقت الملائكة من نور العزة وعنده عن يزيد بن رومان انه بلغه ان الملائكة خلقت من روح الله (ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول السموات) السبع (ومن الثاني الارضين) السبع وهي سابقة على خلق السموات كما فصل في فصلت وأما قوله والارض بعد ذلك دحاها فمعناه بسطها كما قال ابن عباس وغيره وكانت مخلوقة قبلها من غير دحو (ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور أبصار) بمعنى بصائر (المؤمنين) أو الاعم منها ومن الحسية ولم يعتبر ابصار الكفار لانهم لما فقدوا انفعها كانت ضرورة عليهم لا منفعة لهم (ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد) وبينه بقوله (لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث) ولم يذكر الرابع من هذا الجزء فليراجع من مصنف عبد الرزاق مع تمام الحديث وقد رواه البيهقي ببعض مخالفة (وقد اختلف) في جواب قول السائل (هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي فقال الحافظ أبو يعلى الهمداني) بفتح الهاء وسكون الميم فمهملة العلامة شيخ الاسلام الحسن بن أحمد المتقن المتفنن في عدة علوم البارع على حفاظ عصره الذي لا يغشى السلاطين ولا يقبل منهم شيأ ولا مدرسة ولا رباطا ولا تأخذه في الله لومة لائم توفي سنة تسع وستين وخمسمائة (الاصح) وهو مذهب الجمهور (ان العرش) خلق (قبل القلم لما ثبت في الصحيح) أي صحيح مسلم (عن عبد الله بن عمرو) بن العاصي انه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض) أي شيأ منهما فلا يرد صدقه بخلقه بين خلقهما (بخمسين ألف سنة) كناية عن الكثرة أو حقيقة كما مر (وكان عرشه على الماء فهذا صريح) في (أن التقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير) للاشياء المذكورة في قوله قدر الله (وقع عند أول خلق القلم لحديث عبادة) بضم العين (ابن الصامت) ابن قيس الانصاري الخزرجي أبي الوليد المدني النقيب البدري كان طويلا جسيما جميلا فاضلا خيرا قال سعيد بن عفير كان طوله عشرة اشبار وفي الاستيعاب وجهه عمر الى الشام قاضيا ومعلما فأقام بحمص ثم انتقل الى فلسطين وبها مات وقيل بالرملة سنة أربع وثلاثين

ودفن بيت المقدس وقبره به معروف (مرفوعا) لفظة استعملها المحدثون بدل قال صلى الله عليه وسلم (أول ما) أى شئ (خلق الله القلم) بالرفع كما أفاده كلام الحافظ وغيره على الخبرية والاولية نسبية أى أول ما خلق الله بعد العرش القلم ويجوز نصبه مفعول خلق فالخبر قوله (قال له اكتب) لكن قال السيوطى فى حواشى الترمذى عن ابن السيد البطليوسى الوجه الرفع وما اعلم احدا رواه بالنصب وهو خطا لان المراد ان القلم أول مخلوق لله كما دلت عليه الاحاديث فان ثبت رواية صحيحة بنصبه خرجت على لغة نصب ان الجزأين يعنى فى رواية ان أول كما يجىء قريبا الاعلى وجه انه مفعول خلق لفساده فى المعنى والاعراب انتهى (قال) القلم بخلق الله له قوة النطق كما خلقها فى الاعضاء ومحبة أحد وبعض عير وغير ذلك فاحتمال غيره خروج عن المتبادر بلا دليل ولا طائل يا (رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شئ) اسقط منه عند من عزاه لهما ما كان وما هو كائن الى الابد أى ما كان قبل القلم لان أوليته نسبية كما علم فلا يرد تصريحه بانه أول مخلوق والمراد بما هو كائن انقضاء هذا العالم وما بعده مما يمكن تناهيه دون نعيم الآخرة وجحيمها اذ لانهاية له فلا يدخل تحت الكتابة وبه صرح فى أبى داود بلفظ اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة (رواه أحمد) بلفظه (والترمذى) بلفظ ان أول (وصححه) أى الترمذى ورواه أيضا أبو داود من حديث عبادة بلفظ ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال وما اكتب قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة من مات على غير هذا فليس منى قال شيخنا وفى الاستدلال به على أن التقدير وقع عند أول خلق القلم نظر لجواز انه انما قال له اكتب مقادير كل شئ من الاشياء التى قدرتها قبل الا أن يقال القرينة دالة على أن المراد اكتب مقادير الاشياء التى قد ابرزت تقديرها فى الوجود الخارجى وان كانت مقدرة فى علمه فى الازل (وروينا أيضا) وفى نسخ وروى أحمد والترمذى وصححه أيضا (من رواية ابى رزين) بفتح الراء وكسر الزاى وسكون التحتية وبنون لقيط بفتح اللام وكسر القاف ابن عامر (العقيلى) بضم العين وفتح القاف نسبة الى عقيل بن كعب صحابى مشهور وغير لقيط بن صبرة عند الاكثر كما فى التقريب وعزاه فى الاصابة لابن المدينى وخليفة وابن أبى خيثمة وابن سعد ومسلم والبغوى والدارمى والباوردى وابن قانع وغيرهم وبه جزم المزى فى الاطراف وقيل هو لقيط بن صبرة بن عامر فنسب لجده قاله ابن معين وأحمد ومال اليه البخارى وجزم به ابن حبان وابن السكن وعبد الغنى وابن عبد البر وضعفا كونه غيره وجزم به المزى فى التهذيب ورجح فى الاصابة الاول بان ابن عامر معروف بكنيته وابن صبرة لا كنية له الاما شذ به ابن شاهين فكناه أبارزين أيضا وبأن الرواة عن أبى رزين جماعة وابن صبرة لا يعرف له راو الا ابنه (مرفوعا ان الماء خلق قبل العرش) فهذا صريح ان القلم ليس أول المخلوقات اذ الماء قبل العرش الذى هو قبل القلم (وروى) اسمعيل بن عبد الرحمن (السدى) الكبير المفسر المشهور عن انس وابن عباس وعنه شعبة والثورى وزائدة ضعفه ابن معين ووثقه أحمد واحتج به مسلم وفى التقريب انه صدوق يهم ويتشيع مات سنة سبع وعشرين ومائة روى له الجماعة الا البخارى وهو بضم السين وشد الدال المهملتين قال

الذهبى

الذهبي تبعا العبد الغني في الكمال لقعوده في باب جامع الكوفة وفي اللب كاصله لبيعه عند سدته أي بابه وفي صحاح الجوهري وسمي اسمعيل السدي لانه كان يبيع الخمر والمقانع في سدة مسجد الكوفة وهي ما يبقى من الطاق المسدودة وتبعه القاموس مقتصرا على المقانع فقعوده عند السدة كان للبيع واغرب الحافظ أبو الفتح اليعمري فقال كان يجلس بالمدينة في مكان يقال له السد فنسب اليه (باسانيد متعددة ان الله لم يخلق شيأ مما خلق) أي من جميع المخلوقات (قبل الماء فيجمع بينه وبين ما قبله) من حديثي جابر وأبي رزين (بأن اولية) خلقه (القلم بالنسبة الى ما عدا النور المحمدي والماء والعرش انتهى وقيل) في الجمع أيضا (الاولية في كل) من المذكورات (بالاضافة الى جنسه أي أول ما خلق الله من الانوار نوري) الضمير له صلى الله عليه وسلم (وكذا) يقال (في باقيها) أي وأول ما خلق مما يكتب القلم الذي كتب المقادير وأول ما خلق مما يصدق عليه العرش عرش الله اذ العرش يطلق على معان كما في القاموس وغيره وقيد البيضاوي الاولية باولية الاجرام لا مطلقا قال في قوله رب العرش العظيم الذي هو أول الاجرام وأعظمها والمحيط بجملتها (وفي احكام ابن القطان) الحافظ الناقد أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الحميري الكتاني الفاسي سمع أباذر الخشني وطبقته وكان من ابصر الناس بصناعة الحديث واحفظهم لاسماء رجاله واشدهم عناية في الرواية معروفا بالحفظ والاتقان صنف الوهم والايهام على الاحكام الكبرى لعبد الحق ومات سنة ثمان عشرة وستمائة (فيما ذكره) أي نقله عنه العلامة محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر (بن مرزوق) التلمساني عرف بالخطيب ولد عام عشرة وسبعمائة ومهر وبرع وشرح العمدة والشفاء والبردة والاحكام الصغرى لعبد الحق ومختصر ابن الحاجب الفرعي ومحلات من مختصر الشيخ خليل ومات في ربيع الاول سنة احدى وثمانين وسبعمائة بمصر ودفن بين ابن القاسم واشهب (عن علي بن الحسين) بن علي بن أبي طالب الملقب زين العابدين التابعي الوسط قال الزهري ما رأيت قرشيا أفضل منه ولا افقه وقال ابن المسيب ما رأيت أورع منه وقال ابن سعد كان ثقة مأمونا كثيرا الحديث عالما عابدا ولم يكن في أهل البيت مثله وكان اذا توضأ يصفر لونه فاذا قام يصلي ارعد من الخوف فقيل له في ذلك فقال أتدرون بين يدي من أقوم ولمن اناجي وكان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة وكثير الصدقات سيما ليلا واذا خرج من منزله قال اللهم اني اتصدق أو اهب عرضي اليوم لمن يغتابني ولد سنة ثلاث وثلاثين وتوفي أول سنة أربع وتسعين عند الجمهور أو سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس أو تسع وتسعين واغرب المدائني فقال سنة مائة ودفن في قبر عمه بالبقيع ابن عساكر ومسجده بدمشق معروف وهو الذي يقال له مشهد علي بجامع دمشق ابن تيمية كون قبره بمصر كذب انما مات بالمدينة (عن أبيه) الحسين السبط اشبه الناس بجده كما قال انس عند البخاري المقتول ظلما وعدوانا يوم عاشوراء سنة احدى وستين بكربلاء ودفن جسده حيث قتل وأما رأسه ففي المشهد الحسيني بالقاهرة عند بعض المصريين ونفاه بعضهم قاله الحافظ فيما نقله السخاوي وقال ابن تيمية اتفق العلماء كلهم على أن المشهد الذي بقاهرة مصر المسمى

مشهد الحسين باطل ليس فيه رأسه ولا شيء منه وانما حدث بمصر في دولة بني عبيد القداح ملوك مصر المدعين انهم من ولد فاطمة والعلماء يقولون لا نسب لهم بها في اثناء المائة الخامسة بناه طلائع بن رزيك الرافضي ونقل من عسقلان زعما انه كان في مشهد بها وهو باطل فان بني امية مع ما اظهروه من القتل والعداوة لا يتصور أن يبنوا على الرأس مشهدا للزيارة وجمة العلماء ماذكره عالم النسب الزبير بن بكار ان الرأس حمل الى المدينة ودفن بها قال ابن دحية لم يصح سواه انتهى ملخصا (عن جده) على كرم الله وجهه (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدي ربي) أي في غاية القرب المعنوي منه فاستعار لهذا اليدين لان من قرب من انسان وقابله يكون بين يديه (قبل خلق آدم باربعة عشر ألف عام) لا ينافي ما مر أن نوره مخلوق قبل الاشياء وان الله قدر مقادير الخلق قبل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة لان نوره خلق قبل الاشياء وجعل يدور بالقدرة حيث شاء الله ثم كتب في اللوح ثم جسم صورته على شكل أخص من ذلك النور ولان التعبير ببين اليدين اشارة لزيادة القرب فالمقدر بهذه المدة مرتبة اظهرت له لم تكن قبل وروى محمد ابن عمر العدني شيخ مسلم في مسنده عن ابن عباس ان قريشا أي المسعدة بالاسلام كانت نورا بين يدي الله قبل ان يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه قال ابن القطان يجتمع من هذا مع ما في حديث علي يعني المذكور في المصنف أن النور النبوي جسم قبل خلقه باثني عشر ألف عام وزيد فيه سائر قريش وأنطق بالتسبيح (وفي الخبر لما خلق الله تعالى آدم جعل) أودع (ذلك النور) نور المصطفى (في ظهره فكان) لشدته (يلمع في جبينه فيغلب على سائر) باقي (نوره) أي نور آدم الذي في بدنه أو يغلب على بقية النور الذي خلقه في غير آدم كانوار الانبياء (ثم رفعه) أي آدم (الله تعالى على سرير مملكته) روى الحكيم الترمذي لما أكمل الله خلق آدم رفعه على اكتاف جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل على سرير من ذهب أو ياقوت أحمر له تسعمائة قائمة فقال طوفوا به في سمواتي ليرى عجائبها ثم أمرهم أن يحولوا وجوههم الى العرش ليسجدوا اقبالته ففعلوا ولذلك يحمل جنازة أولاده أربعة انتهى وكان هذا السرير مسمى فيما بينهم سرير المملكة فقول الشارح انه من باب التمثيل أي رفعه الى مكان عال وعظمه فجعل حالته تلك كحالة من مكن على سرير وطيف به في جهات غير ظاهر فالاصل الحقيقة (وحمله على اكتاف ملائكته) بالنون أي اجنحتهم وفي القاموس الكنف من الطائر جناحه ويحتمل انه بالفوقية جمع كتف لان لهم قوة التشكل (وأمرهم) أي أمر الله ملائكته (فطافوا به في السموات ليرى) آدم (عجائب ملكوته) أي ملكه العظيم وتأوه للمبالغة وسئل كعب كم طاف الملائكة بآدم في السموات مكرما قال ثلاث مرات أولها على سرير الكرم والثاني على اكتاف الملائكة والثالث على الفرس الميمون وهو مخلوق من المسك الاذفر وله جناحان من الدر والمرجان وجبريل آخذ بلجامها وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن يساره فطافوا به في السموات كلها وهو يسلم على الملائكة عن يمينه وشماله فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيردون عليه كذلك فقيل هذه تحيتك وتحية ذريتك الى يوم القيامة (قال جعفر بن محمد مكثت الروح في رأس آدم مائة عام) من اعوام الدنيا

وفي

(وفى صدره مائة عام وفى ساقيه وقدميه مائة عام) لعل المراد بالرأس مافوق الصدر وبه مافوق الساقين أو المراد بالساقين ماتحت الصدر فيدخل البطن وما يتصل به فى الصدر على الاول وفى الساقين على الثانى قال شيخنا ولعل المراد بهذا العد التكثير فلا ينافى أن المدة من ابتداء خلقه الى نزوله الى الدنيا ثلاث وثمانون سنة انتهى قلت هذا قول ابن جرير ونقص منه وأربعة اشهر وقال غيره ان المدة فوق ذلك بكثير وقد تكلف الشيخ فيما يجىء للتوفيق بينه وبين ماهنا عن جعفر بأنه مبنى على أن مدة كونه طينا كانت قبل دخول الجنة وانه انما اخرج منها بعد اليوم الذى ابتدأ خلقه فيه وأن خلقه لم يتم الا بعد مدة طويلة وفيه أنه قد لا يقول جعفر بقول ابن جرير ولا يرضاه فقد قال ابن عباس مكث فى الجنة خمسمائة عام وقيل مكثت الملائكة فى سجودهم كذلك وقيل اكثر فهى اقوال متباينة فالائق الترجيح لا تعسف الجمع بنحو ما ذكر بعقلى (ثم علمه الله تعالى) بالهام أو بخلق علم ضرورى فيه أو القاء فى خاطره أو على لسان ملك قال القرطبى وهو جبريل (اسماء جميع المخلوقات) كلها روى وكيع فى تفسيره عن ابن عباس فى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها قال علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة والفسوة والفسية (ثم أمر) الله (الملائكة بالسجود له) أى كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص أو ملائكة الارض أو ابليس ومن كان معه فى محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم الارض أولا فافسدوا فيها فبعث لهم ابليس فى جند من الملائكة فدمرهم فى الجزائر والجبال وظاهر اتيان المصنف بثم اختيار القول بتراخى الامر بالسجود عن التعليم وانبائهم بالاسماء واظهار فضله عليهم وايجاب خدمتهم له بسبب العلم وظاهر نظم البقرة يدل عليه وقيل سجدوا لما نفخ فيه الروح لقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين والفاء للتعقيب والاظهر كما قال ابن عقيل وصاحب الخميس الاول والفاء تكون للتعقيب مع التراخى كقوله فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وذلك بعد مدة والقول بانهم سجدوا مرتين للآيتين رده النقاش بانه لم يقل به أحد وانما سجدوا مرة واحدة (فسجدوا الا ابليس) أبى (فطرده الله تعالى) عن رحمته (وابعده) عن جنته (وخزاه) فى الدارين بعدما كان من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن عند ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وعزاه القرطبى للجمهور وصححه النووى بانه لم ينقل أن غيرهم أمر بالسجود والاصل أن الاستثناء من الجنس ولكن ذهب الاكثرون كما قال عياض الى انه لم يكن منهم طرفة عين وهو أصل الجن كما أن آدم أصل الانس وانما كان من الجن الذين ظفر بهم الملائكة فاسره بعضهم صغيرا وذهب به الى السماء فالاستثناء منقطع عياض والاستثناء من غير الجنس شائع فى كلام العرب قال تعالى مالهم به من علم الا اتباع الظن ورجحه السيوطى بانه الذى دلت عليه الآثار وقول النووى لم ينقل أمر غيرهم مردود بحكاية ابن عقيل فى تفسيره والخميس قولا بأن الملائكة وجميع العالم حينئذ امروا وخصوا بالخطاب دون غيرهم لكونهم الاشرف حينئذ وكان من عداهم تبعا واختلف فى كيفية السجود لآدم فقال الجمهور هو أمر للملائكة بوضع الجباه على الارض كسجود الصلاة لانه الظاهر من السجود شرعا وعرفا ويدل له آية فقعوا له ساجدين وعن

ابي وابن عباس هو الانحناء لا الخرور على الارض أى كما يفعل فى لقاء العظماء وقال قوم انما هو اللغوى من التذلل والانقياد فان الله سخرهم لآدم وذريته فى انزال المطر وحفظ آثارهم وكتب اعمالهم والعروج بها الى السماء (وكان السجود لآدم سجود تعظيم وتحية واظهار الفضله وطاعة لله (لا سجود عبادة) لانه لا عبادة الالله تعالى (كسجود اخوة يوسف له) فانه ما كان سجود عبادة (فالمسجود له فى الحقيقة هو الله تعالى) تفريع على المنفى (وآدم كالقبلة) وهذا ظاهر فى أن المراد الشرعى فغيه اشارة لمذهب الجمهور وقال قتادة كان خدمة لله وحرمة لآدم كصلاة الجنازة عبادة لله ودعاء للميت وقال الحسن والاصح انه كان تحية لآدم على الخصوص ولو كان عبادة لله وآدم قبلة لما تكبر ابليس انتهى وفيه نظر فقد حكى القرطبى الاتفاق على أنه لم يكن سجود عبادة واللازم ممنوع لان تكبره من حيث انه لم يكن هو قبلة لطنه فضله عليه وعلى غيره قال الشعبى ومعنى اسجدوا لآدم الى آدم كما يقال صلى للقبلة وردّ بانه يقال صلى الى القبلة لا لها ودفع بقوله فى على

اليس أول من صلى لقبلتكم * واعرف الناس بالقرآن والسنن

(وروى عن جعفر الصادق) لقب به لصدقه فى مقاله ابن محمد الباقر بن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم كان من سادات أهل البيت ولد سنة ثمانين أو ثلاث وثمانين وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة قال ابن خلكان وابن قتيبة فى ادب الكاتب وكتاب الجفر جلد كتبه جعفر الصادق كتب فيه لآل البيت كل ما يحتاجون الى علمه وكل ما يكون الى يوم القيامة قال الدميرى ونسبة الجفر الى على وهم والصواب لجعفر الصادق (انه قال كان أوّل) بالنصب خبر (من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل) ملك الموت القابض لجميع ارواح الجن والانس والبهائم والمخلوقات خلافا للقول المبتدعة انما يقبض ارواح الجن والانس صرح به الجزولى فى شرح الرسالة وكأنهم تمسكوا بما اخرجه أبو الشيخ والعقيلى فى الضعفاء والديلمى عن انس مرفوعا آجال البهائم وخشاش الارض والقمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب كلها والبقر وغير ذلك فى التسبيح فاذا انقضى تسبيحها قبض الله ارواحها وليس الى ملك الموت منها شئ وهو حديث ضعيف جدا بل قال العقيلى لا اصل له وابن الجوزى موضوع ولا حجة فيه اذ لا حجة بضعيف ولاسيما مع معارضته لعموم القاطع وهو الله يتوفى الانفس حين موتها ولذا لم يلتفت الامام مالك الى ذا الحديث بل احتج بالآية لما سأله رجل عن البراغيث املك الموت يقبض روحها فأطرق طويلا ثم قال ألها انفس قال نعم قال فان ملك الموت يقبض ارواحها الله يتوفى الانفس حين موتها اخرجه الخطيب وايد بما اخرجه الطبرانى وابن منده وابونعيم ان عزرائيل قال للنبى صلى الله عليه وسلم والله لو اردت أن اقبض روح بعوضة ما قدرت حتى باذن الله بقبضها (ثم الملائكة المقربون) أى ثم بقية الملائكة ونحوه قول وهب بن منبه أوّل من سجد لآدم جبريل فاكرمه الله بانزال الوحى على النبيين خصوصا على سيد المرسلين ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة (و) روى (عن أبى الحسن النقاش أوّل من سجد اسرافيل) وهذا رواه ابن أبى حاتم عن ضمرة والسلفى عن عمر بن

عبد العزيز (قال ولذا) أي لكونه أول من سجد (جوزي) أي جازاه الله (بتوليته اللوح المحفوظ) بأن جعل مطالعا عليه ومتصرفا فيه بنقل ما فيه مثلا الى الملائكة وقيل رفع رأسه وقد ظهر القرآن كله مكتوبا على جبهته كرامة له على سبقه فهذا يعارض ما روى عن جعفر وجمع شيخنا بأن أول من سجد بالفعل اسرافيل وأول من سجد بامتثال الامر جبريل قال ولعل الحكمة في عدم سجودهم دفعة واحدة أن الساجد اولا فهم بالاشارة أنه المخاطب به أولا وفى الجمع وقفة (وعن ابن عباس كان) زمن السجود لآدم (يوم الجمعة من وقت الزوال الى العصر) لو فرض من أيام الدنيا فلا يشكل بخبر انه خلق فى آخر ساعة من يوم الجمعة المقدر بألف سنة (ثم خلق الله تعالى له حواء) بفتح الحاء وشد الواو والمد (زوجته) كذا فى نسخ بالهاء على لغة قليلة حكاها الفراء وشاهدها قول عمار بن ياسر عند البخاري والله انى لاعلم انها زوجته فى الدنيا والآخرة يعنى عائشة وقول الفرزدق

وان الذى يسعى ليفسد زوجتى * كساع الى أسد الشرى يستبيلها

أى يطلب بولها وقيل يأخذ أولادها والاكثر وهو لغة القرآن زوج بلا هاء حتى قال الاصمعى لا تكاد العرب تقول زوجة (من ضلع) بكسر المعجمة وفتح اللام وتسكن مذكر وقيل مؤنث وقيل يذكر ويؤنث (من اضلاعه اليسرى) قال فى الفتح أى اخرجت منه كما تخرج النخلة من النواة وجعل مكانه لحم وقال القرطبي يحتمل أن معناه انها خلقت من ضلع فهى كالضلع أى عوجاء (وهو نائم) لم يشعر بذلك ولا تألم والالم يعطف رجل على امرأته قاله القرطبي وغيره (وسميت حواء لانها خلقت من حى) وفى القرطبي أول من سماها آدم لما انتبه قيل من هذه قال امرأة قيل وما اسمها قال حواء قيل ولم سميت امرأة قال لانها من المرء أخذت قيل ولم سميت حواء قال لانها خلقت من حى وروى ان الملائكة سألته عن ذلك لتجرب علمه وفى الفتح قيل سميت حواء بالمد لانها أم كل حى (فلما استيقظ ورآها سكن اطمأن ومال (اليها) بالهام لله تعالى واختلف فى أنها خلقت فى الجنة فقال ابن اسحق خلقت قبل دخول آدم الجنة لقوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة روى عن ابن عباس وقطع به السيوطي فى التوشيح وقيل بل خلقت فى الجنة بعد دخول ادم لانه لما اسكن الجنة مشى فيها مستوحشا فلما نام خلقت من ضلعه القصرى من شقه الايسر ليسكن اليها ويأنس بها فلما انتبه رآها قال من أنت قالت امرأة خلقت من ضلعك لتسكن لى وأسكن اليك قاله ابن عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة واقتصر عليه القرطبي والخازن قال ابن عقيل ونسب لاكثر المفسرين وعلى هذا قيل قال الله اسكن أنت وزوجك الجنة بعد خلقها وهما فى الجنة وقيل قبل خلقها وتوجه الخطاب للمعدوم لوجوده فى علم الله انتهى (ومد يده اليها) يريد جماعها أو التلذذ بلا جماع (فقالت الملائكة مه يا آدم قال ولم وقد خلقها الله لى) وكأنه علم ذلك بالهام أو علم ضرورى أو من اخبارها بانها خلقت له (فقالوا حتى تؤدى مهرها قال وما مهرها قالوا ان تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات) والظاهر أن علمهم بذلك بالوحى (وذكر ابن الجوزى) العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن على الحافظ البكرى الصديقى البغدادى الحنبلى الواعظ صاحب التصانيف

السائرة فى الفنون قال فى تاريخ الحفاظ ما علمت احدا صنف ما صنف وحصل له من الحظوة فى الوعظ مالم يحصل لاحد قط قيل حضره فى بعض المجالس مائة ألف وحضره ملوك ووزراء وخلفاء وقال على المنبر كتبت باصبعى الفى مجلد وتاب على يدى مائة ألف واسلم على يدى عشرون الفا مات يوم الجمعة ثالث رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة وقيل له الجوزى لجوزة كانت فى دارهم لم يكن بواسط سواها انتهى وكأن من قال الى الجوز بيع أو غيره لم يحرره (فى كتابه سلوة الاحزان انه لما رام القرب منها طلبت منه المهر) لسماعها قول الملائكة أو الهمت أو بعلم ضرورى (فقال يارب وماذا اعطيها قال) الله وحيا أو شفاها والظاهر الاول (يا آدم صل على حبيبى محمد بن عبد الله عشرين مرة) وكأنه رام زيادة البيان من الله تعالى فسأله يعطيها ماذا فلاينافى اخبار الملائكة بما يعطيها أو فهم انهم قالوه اجتهادا فطلب أمر الله والاخبار بالقليل لاينفى الكثير أو قول الملائكة بأمر منهم مقدمة لحصول الالفة وقوله تعالى كان حين ارادة القرب كما هو ظاهر قوله لما رام فجملة المهر الثلاثة والعشرون لكن الاخير على أن مديده كان للتلذذ لا الجماع وصح كون الصلاة مهرا لانه لما قالها بقصده كان ثوابها لحواء لكونها فى مقابلة مهرها فلا يرد أن فائدة الصلاة عائدة عليه والمقصود من المهر عود فائدته الى الزوجة (ففعل) آدم ما أمر به من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وفى رواية قالت الملائكة مه يا آدم مه حتى تنكحها فزوجه الله اياها وخطب فقال الحمد لله والعظمة ازارى والكبرياء ردائى والخلق كلهم عبيدى واماتى اشهدوا ياملائكتى وحملة عرشى وسكان سمواتى أنى زوجت حواء امتى عبدى آدم بديع فطرتى وصنيع يدى على صداق تقديسى وتسبيحى وتهليلى يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة الآية كذا فى الخميس والعلم عند الله (ثم ان الله تعالى أباح لهما نعيم الجنة) فقال يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة قال القرطبى وفيه تنبيه على الخروج لان السكنى لاتكون ملكا بل مدة ثم تنقطع فدخولهما فى الجنة كان دخول سكنى لادخول ثواب انتهى وقال ابن عطية فى الحظر بقوله لاتقربا هذه الشجرة دليل على أن سكناهما بها لاتدوم فالخالد لايحظر عليه شئ ولايؤمر ولاينهى (ونهاهما عن شجرة الحنطة) فى قول ابن عباس والحسن وعطية وقتادة والقرطبى ومحارب ومقاتل قال وهب وهى التى جعلها الله رزق أولاده فى الدنيا وكانت كل حبة ككلى البقر احلى من العسل وألين من الزبد (وقيل) عن (شجرة العنب) وهو قول ابن مسعود وابن جبير والسدى وجعدة بن هبيرة قالوا ولذلك حرمت الخمر على بنيه ونسبه مكى لاكثر المفسرين (وقيل التين) عند قتادة وابن جريج وحكاه عن بعض الصحابة قال السهيلى ولذلك تعبر فى الرؤيا بالندامة لآكلها لندم آدم على أكلها وعن على هى الكافور والدينورى شجرة العلم وهى علم الخير والشر من أكلها علم الاشياء وابن اسحق شجرة الحنظل وأبى مالك هى النخلة وقيل شجرة من أكل منها احدث وقيل غير ذلك مما يطول جلبه وقد قال ابن عطية ليس فى شئ من هذا التعيين مايعضده خبر وانما الصواب أن يعتقد أن الله نهى آدم عن شجرة فخالف واكل منها وقال أبو نصر القشيرى كان والدى يقول نعلم على الجملة أنها كانت شجرة المحنة وقال ابن جرير الاولى

أن لا تبين فان العلم بها علم لا ينفع وجهل لا يضر" قال السيوطي وقد يقال ان فيها نفعا اما اذا قلنا انها المكرم فان فيها اشارة الى أن الخمر أم الخبائث أولا فتجتنب لئلا يكون مانعا من العود اليها في الآخرة انتهى (فحسدهما ابليس) وزن افعيل مشتق من الابلاس وهو اليأس من رحمة الله فلم ينصرف لانه معرفة ولا نظير له في الاسماء فشبه بالاعجمية قاله أبو عبيدة وغيره وقال الزجاج وغيره هو اعجمي لا اشتقاق له فلم ينصرف للعجمة والتعريف قال النووي وهو الصحيح وحكى الثعلبي عن ابن عباس قال كان اسمه بالسريانية عزازيل وبالعربية الحرث وفي الدميري قال اكثر أهل اللغة والتفسير انما سمي ابليس لانه ابلس من رحمة الله (فهو أول من حسد وتكبر) قال القرطبي وسبب تكبره انه كان رئيس ملائكة سماء الدنيا وسلطانها وسلطان الارض وكان من اشد الملائكة اجتهادا واكثرهم علما وكان يسوس ما بين السماء والارض فرأى لنفسه بذلك شرفا وعظمة فذلك الذي دعاه الى الكبر فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما فاذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجه وان كانت في معصية فارجه وقيل انه عبد الله ثمانين ألف سنة وأعطى الرياسة والخزانة على الجنة استدراجا كما اعطى المنافقون الشهادة على طرف لسانهم وكما أعطى بلعام الاسم الاعظم على طرف لسانه وكان في رياسته والكبر متمكن في نفسه قال ابن عباس كان يرى لنفسه فضله على الملائكة فلذا قال انا خير منه (فأتى الى باب الجنة) فجلس في صورة شيخ يعبد ثلثمائة سنة من الدنيا انتظارا لان يخرج منها احد يأتيه بخبر آدم فخرج الطاوس فقال له من أين قال من حديقة آدم وبستانه قال ما الخبر عنه قال هو في أحسن الحال وأطيب العيش هنأت له الجنان ونحن من خدامه فقال هل تستطيع أن تدخلني عليه قال من أنت قال من الكروبيين عندي له نصيحة قال اذهب الى رضوان فانه لا يمنع احدا من النصيحة قال اريد أن اخفيها عنهم قال المخفية لا تكون نصيحة قال نحن معاشر الكروبيين لا نقول الاسرا ان فعلت ما اقول اعلمك دعاء لن تشيب بعده ابدا فقال ما اقدر ولكن ادلك على الحية فخرجت اليه فقالت كيف ادخلك ورضوان لا يمكنني فقال انا اتحول ريحا فاجعليني بين انيابك ففعلت وأطبقت فاها فقال اذهبي الى شجرة البر فذهبت هكذا في العرائس وغيرها واياه عني بقوله (فاحتال حتى دخل) باب (الجنة وأتى الى آدم وحواء فوقف) عند شجرة البر وغنى بزمار وهو في فم الحية فجاء آدم وحواء يسمعان المزمار وظنا أن الحية هي التي تغني فقال لهما ابليس تقدما فقالا انهينا عن قرب هذه الشجرة فبكى (وناح نياحة احزنهما) بها (فهو أول من ناح فقالا) أي آدم وحواء وفي رواية فقال له آدم (ما يبكيك قال) ابكي (عليكما) لانكما (تموتان وتفقدان) بكسر القاف هذا (النعيم) فقالا له وما الموت فقال تذهب الروح والقوة وتعدم حركة الاعضاء ولا يبقى للعين رؤية ولا للاذن سماع فوقع ذلك في انفسهما واغتما فقال لعنه الله (الا ادلكما على شجرة الخلد) وملك لا يبلى (فكلا منها) فقالا نهينا عنها فقال ما نهاكما ربكما الآية (وحلف لهما انه ناصح) أي أقسم لهما على ذلك والمفاعلة في الآية للمبالغة وقيل أقسما عليه بالله انه ناصح فأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة (فهو أول من حلف كاذبا

وأوّل من غش) ولما قاسمهما قال ايكما بادر الى الاكل فله الغلبة على صاحبه (فاكلت حوّاء منها) حبة واحدة (ثم زينت لآدم حتى أكل) فأتت له بثلاث حبات وقالت انا اكلت منها واحدة فكانت طيبة الطعم وما أصابني منها مضرة فمكث آدم مائة سنة بعد أكلها لم يأكل ثم تأوّل وأخذ منها الحبات وجعل منها حبة في فيه فقبل أن يصل طعمها الى حلقه وجرمها الى جوفه طار من رأسه تاجه المكلل بالدرّ والياقوت والجوهر ينادي يا آدم طالت حسرتك وتزحزح السرير من تحتهما وقال أستحيي من الله أن اكون سريرا لمن عصاه وتساقطا عليهما من سوار ودملج وخلخال ومنطقة مرصعة ونزع عنهما لباسهما وكان على آدم سبعمائة حلة وكان من امرهما ما كان (و) انما اكلا لانهما (ظنا أن احدا لا يتجاسر) لا يجترئ على (انه يحلف بالله كاذبا) لعظمته سبحانه وتعالى في قلوبهما بل لم يكن الكذب مطلقا معروفا وظاهر سياق المصنف أن اللعين شافههما بالاغواء قال القرطبي وهو قول ابن مسعود وابن عباس والجمهور لقوله تعالى وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين والمقاسمة ظاهرها المشافهة وقيل بل وسوس لهما وأغواهما بشيطانه وسلطانه الذي أعطاه الله كما قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم انتهى واختلف في صفة توصله الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل منع دخول التكرمة لا الوسوسة ابتلاء وروى انه قصد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية وقيل لم يدخلها بعد اخراجه منها قال الحسن رآهما ببابها وكانا يخرجان وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل نادى من الارض فسمعاه من الجنة حكاه في التعليق الوجيز وقال قبله الصحيح انه لم يدخلها بل وقف بالباب وردته الخزنة عن الدخول لكن قال السيوطي الوارد عن ابن مسعود وابن عباس وأبي العالية ووهب بن منبه ومحمد ابن قيس انه دخل في فم الحية وقاولهما بذلك كما اسنده عنهم ابن جرير ولم يسند شيأ من الاقوال المذكورة عن أحد انتهى وفيه أن كونه لم يسندها لا ينفي ورودها والله أعلم (فقال الله تعالى) ابتلاء وعتابا (يا آدم ألم يكن فيما ابحت لك من الجنة مندوحة) بفتح الميم سعة وفسحة (عن هذه الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ظننت أن احدا لا يحلف بك كاذبا) فهذا الذي حملني على الاكل منها (قال الله وعزتي وجلالي لاهبطنك الى الارض لا تنال العيش) الكسب (الا كدا) بفتح الكاف ودال مهملة مشددة أي تعبا فتضرع آدم واعتذر فقال لا يجاورني من عصاني اخرج فسأله بحق محمد أن يغفر له فقال قد غفرت لك بحقه ولكن لا يجاورني من عصاني فبكى وودع كل من في الجنة حتى بكت عليه اشجارها الا العود فقيل له لم لا تبكي قال لا ابكي على عاص فنودي كما عظمت أمرنا عظمناك ولكن هيأناك للاحراق فقال ما هذا فنودي أنت عظمتنا فكذلك يعظمونك لكن لم يحترق قلبك على محبتنا فلذلك يحرقونك فلما انتهى لباب الجنة ووضع احدى رجليه خارج الباب قال بسم الله الرحمن الرحيم فقال له جبريل تكلمت بكلمة عظيمة فقف ساعة فربما يظهر من الغيب لطف فنودي أن دعه يخرج فقال الهي دعاك رحيما فارحمه فقال ان ارحمه لا ينقص من رحمتي شئ وان يذهب لا يعاب عليه شئ فخل عنه يذهب ثم يرجع في مائة ألوف من أولاده

عصاة حتى يشاهد فضلنا على أولاده ويعلم سعة رحمتنا هذا ملخص ما ساقه أصحاب القصص (فأهبط من الجنة) بسرنديب بسين وراء مهملتين فنون فدال مهملة فتحتية فموحدة من الهند بجبل نوذ بفتح النون وذال معجمة ومعه ريح الجنة فعلق بشجرها وأوديتها فامتلأ ما هنالك طيبا وأهبطت حواء بجدة وقيل بعرفة وقيل بالمزدلفة وابليس بالابلة بضم الهمزة والموحدة وشد اللام بلد بقرب البصرة وقيل أهبط بجدة والحية ببيسان وقيل بسجستان وقيل بأصفهان وقيل غير ذلك واختلف في قدر مكثه في الجنة فعن ابن عباس مكث فيها نصف يوم من الآخرة وهو خمسمائة عام وهذا قول الكلبي وقال الضحاك دخلها ضحوة وخرج بين الصلاتين وقال الحسن البصري لبث فيها ساعة من نهار وهي مائة وثلاثون سنة من سني الدنيا وعن وهب وابن جرير مكث ثلاثة وأربعين عاما من أعوام الدنيا وقيل بعض يوم من أيامها وروى أحمد ومسلم والنسائي في حديث أبي هريرة مرفوعا وخلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة قال ابن كثير فان كان يوم خلقه يوم اخراجه وقلنا الأيام الستة كهذه الأيام فقد أقام في الجنة بعض يوم من أيام الدنيا وفيه نظر وان كان اخراجه في غير اليوم الذي خلق فيه وقلنا بأن كل يوم بألف سنة كما قال ابن عباس ومجاهد والضحاك واختاره ابن جرير فقد لبث هنالك مدة طويلة انتهى وهذا الحديث تكلم فيه البخاري وشيخه ابن المديني وغيرهما من الحفاظ وجعلوه من قول كعب وانما سمعه أبو هريرة منه فاشتبه على بعض رواته فرفعه (وعن ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ما حملك على ما صنعت قال زينته لي حواء) وقد ورد النساء حبائل الشيطان (قال فاني اعقبها) بضم الهمزة وسكون المهملة وكسر القاف اجازيها (ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها) أي بمشقة (وادميتها في الشهر مرتين) قال الشارح لعل المراد انه يدميها بحصول ذلك لها في مرة أو بامكانه لها واستحقاقها اياه وان تخلف كما في العفو عن المعاصي المستحقة للعقوبة انتهى ولا يتم الا ان ثبت انه لم يدا ومها كل شهر مرتين وأني به وقيل انما عوقبت به لكونها ادمت الشجرة وقيل بكسرها قوائم الحية ويحتمل انه لذلك كله وقد روى الحاكم وابن المنذر باسناد صحيح عن ابن عباس ان ابتداء الحيض كان على حواء بعد أن أهبطت من الجنة وروى عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن مسعود قال كان الرجال والنساء في بني اسرائيل يصلون جميعا فكانت المرأة تتشوف للرجل فألقى الله عليهن الحيض ومنعهن المساجد وعنده عن عائشة نحوه وظاهره أن أول ارساله على نساء بني اسرائيل قال البخاري وحديث النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا أمر كتبه الله على بنات آدم أكثر بمثلثة أشمل وبموحدة أعظم وجمع الحافظ بأن المرسل على بنات اسرائيل طول مكثه بهن عقوبة لهن لا ابتداء وجوده وقد روى الطبراني وغيره عن ابن عباس وغيره ان قوله تعالى في قصة ابراهيم وامرأته قائمة فضحكت أي حاضت والقصة متقدمة على بني اسرائيل بلا ريب انتهى وثم اجوبة أخر لا يقال ان على بنات آدم مخرج لحواء لانها لما خلقت من ضلعه نزلت منزلة بناته مجازا أو أنه ليس قصرا حقيقيا بل اقتصر على بنات آدم لكونهن من الجنس المشارك للمخاطبة بهذا الحديث وهي عائشة تسلية لها (وقال وهب بن منبه) بضم الميم وفتح النون وشد الموحدة المكسورة ابن كامل

الحافظ أبو عبد الله الصنعانى العلامة الاخبارى الصدوق ذو التصانيف اخو همام روى عن ابن عباس وابن عمر وعنه ابو اسماعيل بن الفضل مات سنة أربع عشرة ومائة (لما اهبط ادم الى الارض مكث يبكى ثلثمائة سنة لا يرقأ) بالهمز والقاف أى لا يسكن ولا يجف (له دمع) على ما أصابه (وقال المسعودى) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفى الحافظ قال ابن نمير ثقة اختلط آخرا وقال ابن مسعر ما أعلم احدا اعلم بعلم ابن مسعود منه مات سنة ستين أو خمس وستين ومائة (لو أن دموع أهل الارض جمعت) وجمعت دموع آدم (لكانت دموع آدم اكثر) من دموع أهل الارض (حين أخرجه الله من الجنة) حزنا على فراقها وفراق أهلها وعلى اكله من الشجرة وان غفر له قبل الخروج كما جزم به القرطبى وغيره لشدة الخشية وكمال عظمة الله فى قلبه وقول شيخنا لعل المراد الى وقت التوبة مبنى على انه لم يتب عليه الا بعد خروجه بمدة (وقال مجاهد) بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة وقيل جبير بالضم مصغرا والاول اكثر المخزومى مولاهم المكى الثقة الحافظ الامام فى التفسير وفى العلم أحد الاعلام المجمع على امامته وذكره ابن حبان له فى الضعفاء مردود مات بمكة وهو ساجد سنة ثلاث ومائة وقيل غير ذلك خرج له الستة (بكى آدم مائة عام لا يرفع رأسه) حياء من ربه عز وجل (الى السماء) وبهذا القيد لا ينافى قول وهب فهذه المائة بعض الثلثمائة وخصت بالذكر للقيد (وأنبت الله من دموعه العود الرطب) لعل المراد الذى يتبخر به قاله شيخنا وقد ذكروا انه مما نزل معه من الجنة فان صح ما ترجاه فيحتمل انه ما نبت فى الارض الا بدموعه (والزنجبيل) عرق يسرى فى الارض ونباته كالقصب والبردى له قوة مسخنة يسيرا باهية مذكية وان خلط برطوبة كبد المعز وجفف وسحق واكتحل به ازال الغشاوة وظلمة البصر (والصندل) خشب معروف اجوده الاحمر والابيض محلل للاورام نافع للخفقان والصداع ولضعف المعدة الحارة والحميات قاله وما قبله القاموس (وأنواع الطيب) عام على خاص أى الذى له رائحة وان استعمل لغيرها (وبكت حواء حتى انبت الله من دموعها القرنفل والافاوى) الطيب وتطلق على توابل الطعام كما فى المصباح وفى القاموس الافواه التوابل الواحد فوه كسوق وجمع الجمع افاويه ونحوه فى المصباح فسقوط الهاء من المصنف تخفيف أو لغة قليلة ثم وشح المؤلف تلك القصة بنزع صوفى على عادته فقال (يا بنى آدم انظروا كيف بكى أبوكم على فعلة واحدة) بفتح الفاء اسم للمرة من الفعل وفى نسخة على صغيرة واحدة ولا يناسب ترديده الآتى كذا قيل وأنت خبير بأن الترديد انما هو على لسان السائل مع الجزم بأنها صغيرة فى الجواب فكلتاهما مناسبة (ثلثمائة سنة) مع النسيان والتأويل (فكيف بكم يا أصحاب الكبائر العظيمة) العمد (فاعتبروا) اتعظوا وقيسوا حالكم فى استحقاق العقوبة بالذنب على حال أبيكم فى اخراجه من الجنة بفعلة (يا أولى الابصار) البصائر (كان آدم عليه السلام (كلما رأى الملائكة تصعد) بفتح العين مضارع صعد بكسرها (وتهبط ازداد شوقا الى الاوطان) جمع وطن أى اماكن الجنة سماها بذلك لانه ابيح له نعيمها بلا تخصيص محل منها دون آخر وفيه اشعار بتكرر رؤيته الملائكة وأنها حقيقة وهل على صورهم

الاصلية او غيرها محل نظر وقد ذكروا أن من خصائص المصطفى رؤية جبريل على صورته مرتين
(وتذكر العهد) الامان الذى كان فيه قبل هبوطه أو المنزل فهو كالتفسير للاوطان أو أل
عهدية أى تذكر عهد الله الذى نسيه فصار فى هذه الحالة (والجيران) جمع جار وهو المجاور
فى السكن والمراد الملائكة وغيرهم من الحيوان سماهم جيرانا لكونهم معه فى الجنة
(يا اصحاب الذنوب احذروا زلة يقول فيها الحبيب) لمحبه (هذا فراق بينى وبينك) تلميح
بقصة موسى مع الخضر لان آدم لما أكل تباعد عنه احبابه وما آواه أحد فكأنهم قالوا له
ذلك (فيا ذا العقل السليم انظر) بعقلك (كيف جلس أبوك آدم على سرير المملكة)
مر قول الحكيم انه من ذهب أو ياقوت احمر له سبعمائة قائمة ونحوه فى المشكاة وذلك
يأبى ادعاء انه تمثيل من حيث جعله سرير المملكة وان سلم فهو صورة جعلت لآدم أجلس
عليها تكريما وعبر عنها بذلك مجازا فان الاصل الحقيقة واثبات الصورة يمنع التمثيل وغاية
الامر أن التجوز فى الاضافة للمملكة مع انه مسمى بذلك عندهم كما افاده الخبر وما به ضرر
فليس اقوى من اضافة العرش والكرسى لله فى التنزيل مع تنزهه سبحانه عن الحلول والجسم
(فتديه الى لقمة نهى عنها فأخرج من الجنة فاحذروا يا بنيه عواقب المعاصى فانها من نزلت
به) أى اصابته (نزلت به) أى خفضته (وحطته عن مرتبته) عطف تفسير (فان
قلت هذه الفعلة) بفتح الفاء للمرة كما مر وبكسرها اسم للهيئة أى ما هيئة هذه الفعلة
(التى اهبط بها آدم من الجنة) أبالغة فى المخالفة فتكون كبيرة ام لا (ان كانت كبيرة
فالكبيرة لا تجوز على الانبياء) اجماعا لا قبل النبوة ولا بعدها (وان كانت صغيرة) وقلتم
بجوازها عليهم فالصغائر مغفورة باجتناب الكبائر لآحاد الامة فكيف بنبى ولد الانبياء
(فلم جرى عليه بسببها ما جرى من نزع اللباس) بمجرد تعلق الارادة لا بفعل فاعل لما مر أنه
بمجرد وضع الحبة فى فيه طار عنه تاجه وتهافتت ثيابه (والاخراج من الجنة وغير ذلك)
من المعاتبة بنحو قوله ألم انهكما عن تلكما الشجرة والفضيحة ببدو السوأة وتهافت اللباس
ووهن الجلد بعد ما كان كالظفر والاخراج من الجنة مع النداء لا يجاورنى من عصانى والفرقة
بينه وبين حواء مدة والعداوة بعضكم لبعض عدو والنداء بالنسيان فنسى ولم نجد له عزما
وتسليط العدو على ولده وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وجعل الدنيا سجنا له وولده والتعب
والشقاء فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فهذه خصال ابتلى بها ادم عليه السلام وبها ابتليت
حواء مع خمس عشرة معها انظر من التواريخ قالت (اجاب الزمخشرى) أبو القاسم محمود
العلامة جار الله المعتزلى قال ابن خلكان وغيره كان يتظاهر به واذا استأذن على صاحب له
بالدخول يقول أبو القاسم المعتزلى بالباب وأول ما صنف الكشاف توفى ليلة عرفة سنة
ثلاث وثلاثين وخمسمائة (بأنها اما كانت الاصغيرة مغمورة) بغين معجمة مستورة
(باعمال قلبه من الاخلاص والاذكار الصالحة التى هى اجل الطاعات وأعظم الاعمال)
والصغيرة اذا غلبتها الطاعات لا يؤاخذ بها (وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة
وتفظيعا) بفاء فمعجمة اظهارا (لشأنها) أى قبحها وفى القاموس الشأن الخطب والامر
فلعل الاضافة بيانية ولم يقل لها قصدا للمبالغة كما هو عادتهم (وتهويلا) تخويفا لمرتكب

قوله والاذكار فى بعض نسخ المتن والافكار اه

الخطيئة (ليكون ذلك لطفا) بضم اللام رفقا (له ولذريته في اجتناب الخطايا) لان ذلك كان سببا لما حصل له من الكمالات في الدنيا المفيدة لكثرة الثواب وعظم المنزلة في الآخرة (واتقاء المآثم) جمع مأثم عطف تفسير وصريح ذا الجواب جواز وقوع الصغيرة من الانبياء قال القرطبي وهو مذهب الاكثرين والمراد نسيانا الا الدالة على خسة كسرقة لقمة بل قال الطبري وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين تقع الصغائر منهم خلافا للرافضة لكن قال جمهور الفقهاء من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي انهم معصومون من الصغائر كلها انتهى والاخير رأى الاسفرايني وعياض والشهرستاني والتقي السبكي لكرامتهم على الله أن يصدر منهم ذنب وقد استدل الاولون بظواهر من الكتاب والسنة ان التزموها أفضت بهم الى الكفر وخرق الاجماع ومالا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف فيه وتقابلت الاحتمالات في معناه كما بسطه عياض في الشفاء ولذا قال شيخنا الاولى الجواب بأن محل عصمتهم من الصغائر ان لم يترتب عليها تشريع ونحوه فجاز وقوع ما هو صورة صغيرة من آدم لما ترتب عليها من المنافع له ولذريته فلا ينافي انها لا تقع منهم لا عمدا ولا سهوا (يا هذا انظر كم لله من لطف وحكمة في اهباط آدم من الجنة الى الارض) الظاهر أن الحكمة هنا الفائدة المترتبة على هبوطه كما يشير اليه قوله (لولا نزوله لما ظهر جهاد المجتهدين واجتهاد العابدين) وان كانت الحكمة في الاصل تحقيق العلم واتقان العمل (ولا صعدت) بكسر العين (زفرات) بفتح الزاي والفاء وتسكن للشعر جمع زفرة أي أصوات (أنفاس التائبين ولا نزلت قطرات دموع المذنبين) وفي تفسير القرطبي لم يكن اخراج الله آدم من الجنة عقوبة له لانه اهبطه بعد أن تاب عليه وقبل توبته وانما اهبطه تأديبا أو تغليظا للمحنة والصحيح في اهباطه وسكناه في الارض ما قد ظهر من الحكمة الازلية في ذلك وهي نشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم ويترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الاخروي اذ الجنة والنار ليستا دارى تكليف فكانت تلك الاكلة سبب اهباطه ولله فعل ما شاء وقد قال اني جاعل في الارض خليفة وقال ارباب المعاني في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة اشعار بالوقوع في الخطيئة والخروج من الجنة وان سكناه لا تدوم لان المخلد لا يحظر عليه شيء ولا يؤمر ولا ينهى والدليل عليه اني جاعل في الارض خليفة انتهى وفي الاحوذي خروجه منها سبب لوجود الذرية وهذا النسل العظيم ووجود الانبياء والمرسلين والصالحين ولم يخرج منها طردا بل لقضاء أوطاره ثم يعود اليها انتهى ولما تاب الله على آدم بين له بالوحي والالهام ما اطمأنت به نفسه وذهب به روعه حتى كانه قال له (يا آدم ان كنت اهبطت من دار القرب) فلا تحزن (فاني قريب مجيب) فقربي لك في الجنة كهو في الارض (اجيب دعوة الداعي ان كان حصل لك من الاخراج كسر) وهو الواقع (فأنا عند المنكسرة قلوبهم) اسم فاعل من انكسر مطاوع كسر من باب ضرب ووصف القلب به تجوز كانه شبه ضعفه وذلته بتفرق أجزاء شيء منكسر (من اجلي) وليس هذا بحديث قدسي فغاية ما في المقاصد حديث انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي جرى في البداية للغزالي (ان كان فاتك في السماء زجل) بفتح الزاي والجيم ولام اصوات (المسبحين فقد

تعوضت

قوله جهاد المجتهدين الخ في بعض نسخ المتن جهاد المجاهدين واجتهاد العابدين المجتهدين اه

قوله ان كان حصل لك من الاخراج الخ في بعض نسخ المتن ان كان حصل لك بالاخراج من الجنة كسر الخ اه

تعوضت فى الارض انين المذنبين) ولا تقل فرق بينهما فـ(أنين المذنبين احب الينا من تسبيحهم) أى المسبحين واذا كان احب الينا فأنت تحب ما نحب (زجل المسبحين) من حيث هم لا مسبحى السماء (ربما يشوبه الافتخار) فيفسده (وأنين المذنبين يزينه الانكسار) فبواسطته فاق الثلاثة ثم رشح هذا الوارد الصوفى المساق عن الحق جل جلاله على طريق الصوفية بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ والذى نفسى بيده (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم) أى لاماتكم بانقضاء آجالكم (ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون) الله تعالى (فيغفر لهم) ليكونوا مظهر المغفرة التى وصف بها ذاته كقوله فانى غفور رحيم فالغفار يستدعى مغفورا والرحيم مرحوما اى فلا تمنعكم ذنوبكم من التوبة والانابة لـيأسكم من روح الله فليس اذنا فى الذنب ولا حثا عليه بل المقصود منه مجرد التنبيه على عظم الفضل وسعة المغفرة والحث على التوبة قال الطيبى لم يرد به وبنحوه قلة الاحتفال بمواقعة الذنوب كما توهمه أهل الغرة بل كما انه أحب الاحسان الى المحسن أحب التجاوز عن المسىء فمراده لم يكن ليجعل العباد كالملائكة منزهين عن الذنوب بل خلق فيهم من يميل بطبعه الى الهوى ثم كلفه توقيه وعرفه التوبة بعد الابتلاء فان وفى فأجره على الله وان اخطأ فالتوبة بين يديه وسر ذلك اظهار صفة الكرم والحلم والغفران ولو لم يوجد لانثلم طرف من صفة الالوهية والله يتجلى لعبده بصفات الجلال والاكرام فى القهر واللطف انتهى (سبحان من اذا لطف بعبده فى المحن) بكسر ففتح جمع محنة أى البلايا (قلبها) صيرها أو أبدلها (منحا) بكسر ففتح عطايا (واذا خذل عبدا لم ينفعه كثرة اجتهاده وكان عليه) اجتهاده (وبالا) فقد (لقن الله آدم حجته) حيث قال ما ظننت أن احدا يحلف بك كاذبا وقد قال قوم ان آدم وحواء ما أكلا من الشجرة المنهى عنها وانما اكلا من جنسها تأولا أن المراد العين وكان المراد الجنس حكاه القرطبى (وألقى عليه ما يقبل به توبته) هو كما قال ابن عباس والحسن وابن جبير والضحاك ومجاهد ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن مجاهد أيضا سبحانك اللهم لا اله الا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت الغفور الرحيم وقيل رأى مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله فتشفع به وقيل المراد البكاء والحياء والدعاء والندم والاستغفار ذكره القرطبى (وطرد ابليس اللعين بعد طول خدمته) مر عن القرطبى انه عبد الله ثمانين ألف سنة وفى منتهى النقول تسعين ألف سنة وفى الخميس مائتين وأربعين ألف سنة ولم يبق فى السموات والارضين السبع موضع شبر الا سجد فيه فقال الهى هل بقى موضع لم اسجد فيه فقال اسجد لآدم فقال اتفضله على قال أفعل ما أشاء ولا اسأل عما افعل فأبى فطرد ولعن وفى المشكاة قال الحسن عبد الله فى السماء سبعمائة ألف وسبعين ألفا وخمسة آلاف سنة وعبد الله فى الارض فلم يترك موضع قدم الا سجد فيه سجدة (فصار عمله هباء منثورا) هو ما يرى فى الكوى التى عليها الشمس كالغبار المفرق أى مثله فى عدم النفع به لعدم شرطه (قال) تعالى (اخرج) التلاوة فاخرج وصرح الدمامينى عن ابن السبكى بجواز حذف العاطف فى الاستدلال بل والاتيان بواو وفاء لانه ليس المراد الا ما بعده وقد كتب صلى الله عليه وسلم لهرقل ويا أهل الكتاب

قوله فبواسطته فاق الثلاثة هكذا فى النسخ ولا يخلو عن نظر تأمل اهـ مصححه

قوله فالغفار الخ لعل الانسب بما قبله وما بعده فالغفور تأمل اهـ مصححه

(منها) أى الجنة لا السماء اذلم يمنع منها الا بعد البعثة (فانك رجيم) مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة أو شيطان يرجم بالشهب (وان عليك اللعنة) هذا الطرد والابعاد (الى يوم الدين) يوم القيامة وانما غيا به لانتهاء التكليف الذى هو مظنة لفعل سبب التوبة ومعلوم انه حيث انتفى سبب التوبة تأبد الطرد أو لكونه ابعد ما يتعارفه الناس فجرى على أسلوب كلامهم أو لانه لشدة العذاب يوم القيامة يذهل عن كونه مطرودا عن الرحمة بخلاف الدنيا فانه بالعصيان عالم بالطرد (اذا وضع عدله على عبد) أى اذا جازاه على فعله بمقتضى عدله (لم يبق) بضم الياء أى الله وفتحها (له حسنة) بالنصب والرفع لان العبد لا يخلو من افعال مقتضية للمؤاخذة قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أى من يدب عليها بشؤم المعاصى وقيل المراد بالدابة الانس فقط (واذا بسط فضله على عبد) أى عامله بالرحمة والمغفرة (لم يبق له سيئة) أى لم يؤاخذه بذنوبه والمراد أن حسناته وسيئاته تمحيان من صحف الملائكة ليكون ذلك بالنسبة للحسنة اشد فى ادخال الاسف والحزن عليه لتفريطه حتى ذهبت حسناته وبالنسبة للسيئة ابلغ فى الستر عليه كما قال صلى الله عليه وسلم اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد من الله بذنب رواه الاصبهانى فى الترغيب والحكيم الترمذى فى النوادر وابن عساكر وعبر فى الاول بوضع لمناسبته للوزن والمحاسبة وفى الثانى بالبسط لانه المناسب للعفو والستر (انظر) من النظر بمعنى اعمال الفكر ومزيد التدبر والتأمل قال الراغب النظر اجالة الخاطر نحو المرئى لادراك البصيرة اياه فللقلب عين كما أن للبدن عينا (لما ظهرت فضائل آدم عليه الصلاة والسلام على الخلائق) من الملائكة وغيرهم (بالعلم) المشار اليه بقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وبما آتاه الله من قوة العقل قال أبو امامة لو أن أحلام بنى آدم منذ خلق الله الخلق الى يوم القيامة وضعت فى كفة ميزان ووضع حلم آدم فى كفة اخرى لرجحهم قال القرطبى يحتمل أن يخص من عمومه المصطفى فانه أوفر الناس حلما ويحتمل ان المعنى غير الانبياء (وكان العلم لا يكمل الا بالعمل بمقتضاه والجنة ليست دار عمل ومجاهدة وانما هى دار نعيم ومشاهدة) فيه اشارة الى انها جنة المأوى (قيل له يا آدم اهبط الى أرض الجهاد) اضافة بيانية أى هى جهاد النفس (وصابر جنود الهوى) بالقصر أى هوى النفس أى ميلها الى مشتهياتها (بالجد) بالكسر ضد الهزل (والاجتهاد) بذل الوسع فهو مغاير للجد مفهوما متقاربه ماصدقا على مقتضى المختار والمصباح يقتضى تساويهما (وكأنك بالعيش الماضى) أى نعيم الجنة الذى فارقته (وقد عاد) اليك بانتقالك للدار الآخرة والنعيم المقيم وفيه اشارة الى أن الدنيا وان طالت لا تعد شيأ بالنسبة لنعيم الآخرة لبقائها وفناء الدنيا والفانى كالعدم بالنسبة للباقى (على) حال (أكمل من ذلك) الحال (المعتاد) لك أولا فى الجنة (ولما ظهر) عطف على لما ظهرت (ابليس عليه اللعنة) كذا فى كثير من النسخ بالواو ووقع فى نسخة شيخنا بدونها فقال ينبغى تقديرها (الحسد) لآدم (سعى فى الاذى) له (حتى كان سببا فى اخراج السيد آدم من الجنة) فى حديث رواه اليافعى فى نفحات الازهار عن

على "رفعه هبط على" جبريل فقال ان لكل نبى سيدا فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت
فان صح فنى الفتح السيادة لاتقتضى الافضلية فقد قال عمر أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا
وقال ابن عمر ما رأيت اسود من معاوية مع انه رأى العمرين (وما فهم الابله) بفتح الهمزة
عديم المعرفة الاحمق الخالى من التمييز ووصفه بذلك مشعر بأنه سلب العلم عند كفره قال
القرطبى "لا خلاف انه كان عالما بالله قبل كفره فمن قال كفر جهلا قال سلب العلم عند كفره
ومن قال عنادا قال كفر ومعه علمه قال ابن عطية والكفر مع بقاء العلم مستبعد الا أنه عندى
جائز لا يستحيل مع خذل الله لمن يشاء قال واختلف هل كان قبله كافر فقيل لا وهو أول من
كفر وقيل كان قبله قوم كفار وهم الجن الذين كانوا فى الارض وهل كفر جهلا أو عنادا
قولان لاهل السنة (أن آدم اذا اخرج من الجنة كملت فضائله ثم عاد الى الجنة على اكمل من
الحال الاول) ولو فهم ذلك ما سعى فيه قال القرطبى لم يقصد ابليس اخراجه منها وانما
أراد اسقاطه عن مرتبته وابعاده كما ابعد هو فلم يبلغ مقصده ولا درك مراده بل ازداد غبنا
وغيظ نفس وخيبة ظن قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فصار خليفة الله
فى أرضه بعد أن كان جاره فى داره انتهى (قالوا) أى الصوفية ونسبه للكل كانه لظهوره
صدر عن الجميع فليس المراد التبرى (وفيه) أى اخراج آدم من الجنة (اشارة) هى شئ
يدل على النطق فهى مرادفة له (كانه تعالى يقول لو غفرت فى الجنة لما تبين كرمى بأنى اغفر)
الباء سببية علة للنفى أى لانتفى تبين كرمى لانى انما غفرت (لنفس واحدة) والغفر لها
لا يستدعى سعة الكرم وفى نسخة بأن اغفر أى بسبب المغفرة (بل أوخره) بهمزتين اولاهما
مضمومة (الى الدنيا وآتى بألوف من العصاة حتى اغفر لهم وله) يوم القيامة (ليتبين
له ولغيره) (جودى وكرمى) وكأن هؤلاء الذين جعلوا هذا اشارة واستنبطوه لم يقفوا عليه
منصوصا وفى الخميس كغيره كامر قول الله تعالى لجبريل ان رحمته لا ينقص من رحمتى شئ وان
يذهب لا يعاب عليه شئ نخل "عنه حتى يذهب ثم يرجع غدا فى مائة ألوف من أولاده عصاة
حتى يشاهد فضلنا على أولاده ويعلم سعة رحمتنا (وأيضا علم الله تعالى أن فى صلبه الاولاد
والجنة ليست دار توالد) أى تكثر فيها الاولاد فلا ينافى ما حكاه ابن اسحق عن بعض أهل
الكتاب ان صح ان آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل أن يأكل من الشجرة فحملت بقابيل
وتوأمته فلم تجد عليهما وجعا ولا طلقا حين ولدتهما ولم ترمعهما دما (وأيضا ليخرج) الله
(من ظهره فى الدنيا من لا نصيب له فى الجنة) وهم الكفار لما سبق منه سبحانه وتعالى أن فريقا
فى الجنة وفريقا فى السعير وقال الاستاذ التاج فى التنوير فكان مراد الحق من آدم الاكل
من الشجرة لينزله الى الارض ويستخلفه فيها فكان هبوطا فى الصورة رقيا فى المعنى ولذا قال
الشيخ أبو الحسن الشاذلى والله ما انزل الله آدم الى الارض لينقصه انما انزله الى الارض
ليكمله ثم قال فما انزله الى الارض الا ليكمل له وجود التعريف ويقيمه بوظائف التكليف
فتكاملت فى آدم العبد عبودية التعريف وعبودية التكليف فعظمت منة الله عليه وتوافر
احسانه اليه انتهى (يا هذا الجنة ان شاء الله اقطاعنا) أى معطاة لنا لنرتفق بها ونتنعم فيها
بأنواع النعم اطلق الاقطاع عليها استعارة أو تشبيها والمعنى انها لنا كالاقطاع وهو ما يعطيه

الامام من أرض الخراج (وقد وصل منشور الاقطاع) أى وصل خبرها الينا (مع جبريل عليه السلام الى نبينا صلى الله عليه وسلم) والدليل على وصوله قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا) صدقوا بالله (وعملوا الصالحات) من الفروض والنوافل (ان) أى بأن (لهم جنات) حدائق ذات شجر ومساكن (تجرى من تحتها) أى تحت اشجارها وقصورها (الانهار) أى المياه فيها والنهر الموضع الذى يجرى فيه الماء لان الماء ينهره أى يحفره واسناد الجرى اليه مجاز (انما يخرج الاقطاع) بتحتية نظرا للفظ الاقطاع فانه مذكر وفوقية نظرا لمعناه وهو الارض اذ هى مؤنثة ان ارضى واسعة (عمن خرج عن الطاعة نسأل الله التوفيق) وأتى بهذا تأكيدا لاستحقاق المؤمنين نعيم الجنة بمقتضى الوعد وتنبيها على أن استحقاقهم لذلك مشروط ببقائهم على الطاعة وامتثال الاوامر واجتناب النواهى وأنهم اذا خالفوا ذلك استحقوا العذاب بمقتضى الوعيد وقرب ذلك بما هو مشاهد من معاملة السلطان لرعاياه فيما لو أنعم على بعضهم بسبب نصحه فى الخدمة فانه اذا خرج عنها عاقبه ومنعه ما أولاه من أرض ونحوها (وقد اختلف فى الجنة) بالفتح واحدة الجنات قال القرطبى وهى البساتين سميت جنات لانها تجن من فيها أى يستره شجرها ومنه المجن والجنين والجنة (التى سكنها آدم) حين قيل له اسكن أنت وزوجك الجنة (فقيل هى جنة الخلد) وهو قول جمهور الاشاعرة بل حكى ابن بطال عن بعض المشايخ اجماع أهل السنة عليه لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ولقوله تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى وذلك صفة جنة الخلد ولقوله اهبطوا منها والهبوط يكون من علو الى سفل ولا يستقيم ذلك فى بستان مخلوق على الارض ولان موسى لما لقى آدم عليهما السلام وقال له أنت اتعبت ذريتك وأخرجتهم من الجنة لم ينكر ذلك آدم وانما قال اتلومنى على أمر قدره الله على قبل أن أخلق الحديث فى الصحيح ولو كانت غيرها لرد على موسى (وقيل) هى (غيرها) حكاه منذر بن سعيد زاعما كثرة الادلة عليه وحكاه الماوردى والرازى وابن عقيل والقرطبى والرمانى وغيرهم واختلف القائلون به فقال أبو القاسم البلخى وأبو مسلم الاصبهانى وحكاه الثعلبى عن القدرية هى بستان بالارض أى بأرض عدن كما فى القرطبى أو بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان كما فى البيضاوى قال الرازى وابن عقيل ويحمل هؤلاء الهبوط على الانتقال من بقعة الى بقعة كما فى اهبطوا مصرا وقيل هى جنة اخرى كانت فوق السماء السابعة وهو قول أبى هاشم ورواية عن الجبائى قال ابن عقيل وهى دعوى بلا دليل فلم يثبت أن فى السماء غير بساتين جنة الخلد انتهى (جعلها الله دار ابتلاء) لآدم وحواء (لان جنة الخلد انما يدخل اليها يوم القيامة) وهذه قد دخلت قبله (ولانها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهى) فلو كانت هى ما وجد وافيها (ودار سلامة) من الآفات وكل خوف وحزن (لا دار ابتلاء وامتحان) وقد وجدا فيها (ودار قرار) لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين (لا دار انتقال) وقد انتقلوا منها فدل ذلك كله على أنها غيرها (واحتج القائلون بأنها جنة الخلد) قيل هى واحدة لها اسماء وقيل سبع ورجح جماعة انها أربع لما فى سورة الرحمن وتحتها أفراد كثيرة لحديث الصحيح انها جنان كثيرة

وعليهما

وعليهما فاطلاق المصنف مجاز من تسمية الكل باسم الجزء أى اجابوا عن تلك الشبه التى احتج بها القائلون بأنها غيرها والافلم يظهر عاذكره المصنف دليل على انها جنة الخلد فأجابوا عن الشبهة الاولى (بأن الدخول العارض قد يقع قبل يوم القيامة و) دليل ذلك انه (قد دخلها نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء) ثم خرج منها وأخبر بمافيها وانها جنة الخلد حقا (وبأن ماذكره) القائلون بأنها غيرها (من ان الجنة لا يوجد فيها ماوجده آدم من الحزن) بنحو تساقط اللباس (والنصب) التعب بنحو طلب ورق الجنة يستربه سوأته (فانما) الاولى حذف الفاء لانه خبر أن أوهى تعليلية لمحذوف أى ماذكروه من كذا لا يصح فانما (هواذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها فان نفى ذلك مقرون بدخول المؤمنين اياها) يوم القيامة وسكت عن جواب الاخير لعلمه من هذا وهو أن كونها دارقرار انما هو يوم القيامة (والله أعلم انتهى) وظاهر المصنف بل صريحه تساوى القولين وليس كذلك فقد قال القرطبى هى جنة الخلد ولا التفات الى ماذهب اليه المعتزلة والقدرية من انه لم يكن فيها وانما كان فى جنة بعدن وذكر أدلتهم وردها بمايطول ورجح أبو القاسم الرمانى فى تفسيره انها جنة الخلد أيضا وقال هو قول الحسن وعمرو وواصل وعليه أهل التفسير (وروى انه لما خرج آدم من الجنة) أى لما أراد الخروج لما فى الخميس ان الله لما قال له اخرج لا يجاورنى من عصانى رفع آدم طرفه الى العرش فاذا هو مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فقال يارب بحق محمد اغفرلى فقال قد غفرت لك بحقه ولكن لا يجاورنى من عصانى ويأتى للمصنف فى المقصد الثانى مايصرح بأن آدم رأى كتابة اسمه على العرش قبل تمام خلقه ومرّ الخلاف فى قدر مكثه فى الجنة (رأى مكتوبا على ساق العرش) وكانت الكتابة قبل خلق السموات والارض بألفى سنة كما روى عن انس (وعلى كل موضع فى الجنة) من قصر وغرفة ونحور حور عين وورق شجرة طوبى وورق سدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين اعين الملائكة رواه ابن عساكر عن كعب الاحبار نقله المصنف فى المقصد الثانى (اسم محمد) اضافة بيانية فلا يرد أن لفظ محمد وضع له اسم دال عليه فالمرئى ذلك الاسم لا لفظ محمد (صلى الله عليه وسلم) حال كونه (مقرونا باسم الله تعالى) وهو لا اله الا الله محمد رسول الله (فقال) آدم (يارب هذا) الاسم الذى هو (محمد من هو) من الذات المسماة به (فقال الله تعالى هذا ولدك الذى لولاه ما خلقتك فقال) آدم (يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودى) على لسان ملك أمره الله بالنداء (يا آدم) قد قبلنا دعاءك و (لو تشفعت الينا بمحمد فى أهل السموات والارض لشفعناك) قبلنا شفاعتك (وعن عمر بن الخطاب) القرشى العدوى أمير المؤمنين ثانى الخلفاء ضجيع المصطفى مناقبه شهيرة كثيرة (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف) بقاف وآخره فاء أتى وفعل (آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد الا ماغفرت لى) وفى نسخة لما بفتح اللام وشد الميم بمعنى الا الاستثنائية كقوله تعالى لما عليها حافظ فى قراءة شد الميم (فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه) أى جسده فلا ينافى انه خلق نوره قبل جميع الكائنات وفيه اظهار فضيلة آدم حيث تنبه

وسأل عن صاحب الاسم بعد رؤيته مكتوبا (قال يارب لانك لما خلقتني بيدك) أي من غير واسطة كأم وأب (ونفخت) اجريت (في من روحك) فصيرتني حيا واضافة الروح الى الله تشريف لآدم (رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك) وهذا من وفور عقل آدم وبديع استنباطه (فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الي واذسألتني) تعليلية أي واسؤالك اياي (بحقه قد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي) ونقلته (من دلائله) أي كتابه دلائل النبوة الذي قال فيه الحافظ الذهبي عليك به فانه كله هدى ونور (من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم) المدني عن أبيه وابن المنكدر وعنه اصبغ وقتيبة وهشام ضعفوه له تفسير توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة (وقال) البيهقي (تفرد به عبد الرحمن) أي لم يتابعه عليه غيره فهو غريب مع ضعف راويه (ورواه الحاكم وصححه وذكره) أي رواه (الطبراني) الامام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن ايوب اللخمي الشامي مسند الدنيا الحافظ المكثر صاحب التصانيف الكثيرة أخذ عن اكثر من ألف شيخ كأبي زرعة الرازي وطبقته وعنه أبو نعيم وغيره قال الذهبي ثقة صدوق واسع الحفظ بصير بالعلل والرجال والابواب اليه المنتهى في الحديث وعلومه مات بمصر سنة ستين وثلثمائة عن مائة سنة وعشرة اشهر (وزاد فيه) أي في آخره (وهو آخر الانبياء من ذريتك وفي حديث سلمان) الفارسي الذي تشتاق له الجنة شهد الخندق ومابعدها وعاش دهرا طويلا حتى قيل انه ادرك حواري عيسى ويأتي ان شاء الله تحقيق ذلك في خدمه صلى الله عليه وسلم (عند ابن عساكر) الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الدمشقي الشافعي صاحب تاريخ دمشق وغيره من المصنفات الثقة الثبت الحجة المتقن غزير العلم كثير الفضل دين خير ولد سنة تسع وتسعين وأربعمائة ورحل الى بغداد وغيرها وسمع من نحو ألف وثلثمائة شيخ ونيف وثمانين امرأة وروى عنه من لا يحصى ثناء الناس عليه كثير مات سنة احدى وسبعين وخمسمائة (قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم) ارسله سلمان فيحمل على انه حمله عن المصطفى أو عمن سمعه منه (فقال) له (ان ربك يقول لك ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا) كما علمته تحقيقا (ف) اعلم وتحقق اني (قد اتخذتك حبيبا) فأبشر وطب نفسا فأتى بصورة الشك تطمينا له أو ان بمعنى اذ فلا يرد أن استعمال ان انما هو في المشكوك فيه ولا شك هنا (وما خلقت خلقا اكرم علي منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا وما أحسن قول) وفي نسخة ولله در (سيدي علي وفاء) الشاذلي العارف الكبير ابي الحسن ابن العارف الكبير ولد بالقاهرة سنة تسع وخمسين وسبعمائة وكان يقظا حاذ الذهن ومالكي المذهب وله نظم كثير وكان أبوه محجبا به وأذن له في الكلام على الناس وهو دون العشرين مات في ذي الحجة سنة وسبع وثمانمائة كذا ترجمه الحافظ ابن حجر وتبعه السخاوي والسيوطي ولا يشكل بأن أباه مات وهو ابن سنة وقيل ابن ست سنين كما ادعى النجم ابن فهد لجواز أن أباه أذن له حال الطفولية في ذلك اذا بلغ هذا السن لما اطلع عليه فيه من الاسرار الربانية (في قصيدته الدالية)

نسبة

نسبة الى الدال لوقوعها آخر كل بيت كما هو اصطلاح العروضيين (التي أولها
سكن الفؤاد فعش هنيأ يا جسد * ذاك النعيم هو المقيم الى الابد)
وبعد هذا البيت
اصبحت في كنف الحبيب ومن يكن * جار الكريم فعيشه العيش الرغد
عش في امان الله تحت لوائه * لا خوف في هذا الجناب ولا نكد
لا تختشي فقرا وعندك بيت من * كل المنى لك من اياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن * هو في المحاسن كلها فرد أحد
قطب النهى غوث العوالم كلها * اعلى على سار أحمد من حمد
ومقول قوله ما أحسن قول هو قوله (روح الوجود حياة من هو واجد *) بالجيم أي هو صلى الله عليه وسلم سبب لحياة من وجد هم من الخلق أي علمهم موجودين منهم لانه (لولاه ما تم الوجود لمن وجد) فهو كالعلة لما قبله (عيسى وادم) خصهما لان عيسى آخر الرسل قبله وآدم أولهم (والصدور جميعهم *) أي العظماء الذين يصدرون ويعظمون في المجالس من صدره في المجلس فتصدر (هم اعين) و (هو) صلى الله عليه وسلم (نورها لما ورد) أتى (لو أبصر الشيطان) نظر بعين البصيرة لما روى عن ابن عباس انه لما نفخ في آدم الروح صار نور محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبهته كالشمس المشرقة ويحتمل الحقيقة بأن يكون حجب الله بصره مع شدة ظهوره عن أن يرى (طلعة نوره * في وجه آدم كان أول من سجد) له لكنه لم يبصر ذلك لخذلان الله عز وجل له (أو لو رأى الفرود) بضم النون آخره دال مهملة كما في القاموس وبالمعجمة نقله ثعلب عن أهل البصرة وهو الموافق للضابط الذى نظمه الفارابي فرقا بينهما في لغة الفرس حيث قال
احفظ الفرق بين دال وذال * فهو ركن في الفارسية معظم
كل ما قبله سكون بلا وا * ى فدال وما سواه فمعجم
واختصره القائل
ان تلت الدال صحيحا ساكنا * اهملها الفرس والا اعجموا
(نور جماله) في وجه ابراهيم عليهما السلام (عبد الجليل) بالجيم (مع الخليل) ابراهيم (ولا عند) بفتح العين والنون أي خاف ورد الحق مع معرفته به وأما عند عن الطريق بمعنى عدل عنها فبسكون النون كما في الراموز (لكن جمال الله) كماله ونوره الحامل على الطاعة (جل) عن الابصار والبصائر (فلا يرى *) بالبصائر (الا بتخصيص) باعطاء (من الله الصمد) لمن شاء فلذا لم يره ابليس وبقي من القصيدة ثلاثة أبيات هي
فابشر بمن سكن الجوانح منك يا * انا قد ملأت من المنى عينا ويد
عين الوفا معنى اله فاسر الندى * نور الهدى روح النهى جسد الرشد
هو للصلاة من السلام المرتضى * الجامع المخصوص ما دام الابد
(ولما خلق الله تعالى حواء لتسكن الى آدم ويسكن اليها نحين وصل) وفي نسخة صار (اليها) أي واقعها وكان ذلك بعد هبوطهما بمائة سنة وقيل مائة وعشرين حكاهما الخميس (فاضت

بركاته عليها فولدت له فى تلك الاعوام الحسناء) قدبينا لك عدة الاعوام فانه عاش ألف سنة فأسقط منها مقدار مكثه فى الجنة الذى تقدم الخلاف فيه وهذه المائة أو وعشرين بعد الهبوط تعرف عدة هذه الاعوام (أربعين ولدا فى عشرين بطنا) كما اقتصر عليه البغوى قائلا وكان أولهم قابيل وتوأمته اقليما ونقل ابن اسحق عن بعض أهل الكتاب انهما ولدا فى الجنة وآخرهم عبد المغيث وتوأمته امة المغيث انتهى وفى النسفى أولهم الحرث (ووضعت شيثا) بكسر المعجمة فتحتية ساكنة فمثلثة مصروف وفى سيرة مغلطاى ويقال شاث ومعناه هبة الله ويقال عطية الله وقال السهيلى هو بالسريانية شاث وبالعبرانية شيث وقال ابن كثير وغيره سماه هبة الله لانهما رزقاه بعد قتل هابيل بخمس سنين ووضعته على شكل هابيل لا يغادر منه شيأ وقيل ولد بعده بأربعين سنة وقيل غير ذلك هذا ووقع فى الشامية يقال شاث بامالة الشين ورده شيخنا بأن الشين مكسورة فلا تمال وقيل لا يصرف بناء على أن الثلاثى الاعجمى الساكن الوسط يجوز صرفه وعدمه قال فى الهمع وهو فاسد اذلم يحفظ (وحده) ولا اخت معه على المشهور وقيل كان معه اخته كما فى الخميس وفى بحر النسفى أول ولد آدم الحرث ولا اخت معه ثم قابيل واخته ثم هابيل واخته ثم اسوت واخته ثم شيث وحده ثم انثى بعده فى بطن فزوجها منه ثم كذا وكذا الى تمام الاربعين بطنا عند ابن اسحق وقال وهب بن منبه مائة وعشرين بطنا وقيل خمسمائة بطن لتمام ألف ولد انتهى (كرامة لمن اطلع الله بالنبوة بعده) وهو المصطفى فكان فى وجه شيث نور نبينا صلى الله عليه وسلم وجاءت الملائكة مبشرة لآدم به (ولما توفى آدم) عليه الصلاة والسلام وسنه ألف سنة كما فى حديث أبى هريرة وابن عباس مرفوعا وقيل الاتسعين وقيل الاستين وقيل الااربعين بمكة يوم الجمعة وصلى عليه جبريل واقتدى به الملائكة وبنو آدم وفى رواية صلى عليه شيث بامر جبريل ودفن بمكة فى قبر بغار أبى قبيس ذكرهما الثعلبى وغيره وعن ابن عباس لما فرغ آدم من الحج رجع الى الهند فمات وعن ثابت البنانى حفروا لآدم ودفنوه بسرنديب فى الموضع الذى اهبط فيه وصححه الحافظ ابن كثير وقيل دفن بين بيت المقدس ومسجد ابراهيم رأسه عند الصخرة ورجلاه عند مسجد الخليل وقيل دفن عند مسجد الخيف وقال ابن اسحق وغيره دفنته الملائكة وشيث واخوته فى مشارق الفردوس عند قرية هى أول قرية كانت فى الارض وكسفت الشمس والقمر عليه اسبوعا وعاشت حواء بعده سنة وقيل ثلاثة أيام ودفنت بجنبه (كان شيث عليه الصلاة والسلام وصيا لآدم على ولده) أى أولاده ومرأنه يكون واحدا وجمعا واطاعه أولاد أبيه وروى عن ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ أولاده وأحفاده أربعين ألفا الصلبية منهم أربعون وفى مسند الفردوس عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه الصلاة والسلام قام خطيبا فى اربعين ألفا من ولده وولد ولده وقال ان ربى عهد الى فقال يا آدم أقلل كلامك ترجع الى جوارى وكان شيث اجل أولاده وأشبههم به وأحبهم اليه وأفضلهم وعلمه الله الساعات والعبادة فى كل ساعة منها وأنزل عليه خمسين صحيفة وزوجه الله اخته التى ولدت بعده وكانت جميلة كأمها حواء وخطب جبريل وشهدت الملائكة وكان آدم وليها ورزقه الله أولادا

في حياة أبيه وعمر تسعمائة واثنتي عشرة سنة وقيل عشرين ومات لمضي الف واثنتين وأربعين سنة من هبوط آدم ودفن في غار أبي قبيس (ثم) بعد ما أوحى الله الى شيث أن اتخذ ابنك انوش صفيا ووصيا علم انه نعيت اليه نفسه (أوصى شيث) واستخلف (ولده) هو انوش بفتح الهمزة فنون مضمومة آخره شين معجمة ويقال يانش بتحتية فنون مفتوحة فمعجمة وقيل انش قال السهيلي ومعنى انوش الصادق وهو بالعربية انش وقال مغلطاي يانش ومعناه الصادق ذكره النور وانتقلت اليه رياسة الخلق بعد أبيه وقام مقامه وكان على طوله وبياضه وجماله وعاش تسعمائة وخمسين أو وعشرين أو وخمسا وستين سنة (بوصية آدم) وهي (ان لا يضع هذا النور) الذي كان في وجه آدم كالشمس (الا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن) أي من طائفة الى اخرى فان النور اذا كان في شيث مثلا كان موجودا في مجموع من عاصره فاذا مات وانتقل لولده انتقل النور من مجموع تلك الطائفة الى مجموع طائفة ابنه وهكذا أو المراد من واحد الى واحد وسماه قرنا تجوزا قال الحافظ والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الامور المقصودة ويقال ذلك مخصوص بما اذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل قال ويطلق القرن على مدة من الزمان اختلف في تحديدها من عشرة اعوام الى مائة وعشرين لكن لم أر من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به قائل وفي حديث عبد الله بن بسر عند مسلم ما يدل على أن القرن مائة وهو المشهور وفي المحكم هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن وهذا اعدل الاقوال وبه صرح ابن الاعرابي وقال انه مأخوذ من الاقران ويمكن حمل المختلف عليه من الاقوال ممن قال القرن اربعون فصاعدا أما من قال انه دون ذلك فلا يلتئم على هذا القول انتهى (الى أن اذى) أوصل (الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله) أي ثم وعبر بالواو لظهوره اذ الاشتراك في وقت واحد لم يقع أي ثم أسعد الله آمنة بذلك النور ولم يوص عبد المطلب ولده بذلك لتعاطيه تزويجه من آمنة مع علمه بكمالها من النسب وأن نكاحها لا اثر فيه من الجاهلية فكفاه ذلك عن الوصية هذا وزعم ان هذا ظاهر فيمن ظهر فيه النور أما من لم يظهر فيه فمن أين وصلت اليه الوصية فيه نظر في الخميس كغيره وذلك النور كان ينتقل من جبهة الى جبهة وكان يؤخذ في كل مرتبة عهد وميثاق انه لا يوضع الا في المطهرات فأول من أخذه آدم من شيث وهو من ابنه وهكذا انتهى فلو لم يظهر في الجميع لما قالوا كان ينتقل من جبهة الى جبهة وبفرض تسليمه فقد أجاب عنه شيخنا بأن ذلك اما بعلم ضروري أودعه الله في الموصي أو بأن عدم ظهوره فيمن كان من اصوله ليس نفيا للنور من أصله بل يجوز تفاوته فيهم في ذاته فمنهم من يظهر فيه تاما بحيث يدركه من رآه بلا مزيد تأمل ومنهم من يوجد فيه أصل النور ولا يدرك الا بمزيد تأمل (فطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية) هي ما قبل البعثة سموا بذلك لكثرة جهالاتهم ويقال هي ما قبل الفتح وهو الظاهر فقد خطب صلى الله عليه وسلم بهدم أمر الجاهلية وما كانت عليه في الفتح وقد قال ابن عباس سمعت أبي يقول في الجاهلية اسقنا كأسا دهاقا وابن عباس ولد في الشعب بعد المبعث فاله

في النور (كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في الاحاديث المرضية) عند العلماء وهي الصحيحة والحسنة كالضعيفة المعتضدة وفيه اشعار بوجه اقتصاره على ما ذكر من الاحاديث والاعراض عن غيرها مع كثرته فكأنه قال اقتصرت عليها لثبوتها على غيرها (قال ابن عباس فيما رواه البيهقي في سننه) قال السبكي لم يصنف احد مثله تهذيبا وجودة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني) أي مسني (من سفاح الجاهلية شئ ما ولدني الا نكاح الاسلام) أي نكاح كنكاحه في كونه بعقد صحيح يبيح الوطء وان لم يجمع شرائط الاسلام الآن فلا يرد أن نكاح الاخت كما وقع لشيث ليس من نكاح الاسلام الآن اذ المقصود نفي الفجور فشمل الزواج وغيره ودخل فيه ام اسمعيل فانها كانت ملكا لابراهيم باتفاق المؤرخين وهبتها له سارة (والسفاح بكسر السين المهملة) والفاء فالف فحاء مهملة (الزنا) من سفحت الماء اذا صببته فكأنه اراق ماءه واضاعه وسواء كان جهرا أو سرا كما هو ظاهر اطلاقه كالقاموس والنور والمصباح وفي الانوار تفسيره بالمجاهرات (والمراد به هنا في الحديث (أن المرأة تسافح رجلا مدة ثم) اذا اعجبته وأعجبها (يتزوجها بعد ذلك) والاولى كما قال شيخنا أن يراد به ما هو أعم من الزنا فان جملة الاحاديث دالة على نفي جميع نكاح الجاهلية عن نسبه من نكاح زوجة الاب لاكبر بنيه والجمع بين الاختين ونكاح البغايا وهو أن يطأ البغي جماعة متفرقون فاذا ولدت ألحق بمن غلب عليه شبهه منهم ونكاح الاستبضاع وهو أن المرأة اذا طهرت من الحيض قال لها زوجها أرسلي الى فلان استبضعي منه ويعتزلها زوجها حتى يبين حملها منه فان بان أصابها زوجها ان أحب ومن نكاح الجمع وهو أن يجتمع رجال دون عشرة ويدخلوا على بغي ذات راية كلهم يطؤها فاذا وضعت ومر لها ليال بعده ارسلت لهم فلا يتخلف رجل منهم فتقول قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من احبت فيلحق به لا يستطيع نفيه وان لم يشبهه انتهى ملخصا (وروى ابن سعد وابن عساكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي) أبي المنذر المتوفى سنة أربع وثمانين ومائة كما قاله المسعودي قال الدارقطني هشام رافضي ليس بثقة وذكره ابن حبان في الثقات (عن أبيه) محمد بن السائب بن بشر الكلبي أبي النضر الكوفي المفسر النسابة الاخباري روى عن الشعبي وعنه ابنه وأبو معاوية متروك متهم بالكذب مات سنة ست وأربعين ومائة (قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام) استشكل بأن امهاته لا تبلغ هذا العدد فقال الشامي يريد الجدات وجدات الجدات من قبل أبيه وأمه انتهى وفي نسيم الرياض ما محصله اذا تؤمل قولهم لم يكن قبيلة من العرب الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة عرفت المراد فانك اذا نظرت لقبيلة بجميع ذكورهم آبائه وجميع نسائهم جدات أو عمات أو خالات فعدد قراباتهم ولادة له والمراد أن نسبه بحواشيه وأطرافه جليل لم يمسه دنس (فما وجدت فيهن سفاحا) زنا (ولا شيأ مما كان في أمر الجاهلية) عطف خاص على عام لا عكسه كما زعم فانهم كانت لهم انكحة لا يعتدونها سفاحا حرمها الشارع كنكاح المصاخفة ونكاح المقت وهو نكاح زوجة الاب وانتقد بأن النضر خلف على زوج أبيه ورد بأن هذا على تسليمه لم يكن محرما في شرع من

قبلنا كما سيأتى ايضاحه فى النسب الشريف (و) ورد (عن على بن ابى طالب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح) وذلك (من لدن آدم) أى من عند أول ولد وولد ولده هو فى اصوله عليه السلام واستمر ذلك ممتدا (الى أن ولدنى أبى وأمى) فهو متعلق بمحذوف (لم يصبنى من نكاح أهل الجاهلية) أى ما كانوا عليه من زنا وغيره (شئ رواه الطبرانى) قال الهيثمى الحافظ بسند رجاله ثقات الا محمد بن جعفر تكلم فيه وصحح له الحاكم (فى) معجمه (الاوسط) الذى ألفه فى غرائب شيوخه يقال ضمنه ثلاثين ألف حديث وفى تاريخ ابن عساكر وغيره أن الطبرانى كان يقول هذا الكتاب روحى لانه تعب عليه (وابن عساكر) وكذا ابن عدى (وروى أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ (عن ابن عباس مرفوعا) له صلى الله عليه وسلم أنه قال (لم يلتق ابواى قط على سفاح) أى أحد من آبائى مع واحدة من امهاتى لا خصوص أبيه وأمه الدال عليهما لفظ التثنية بدليل أنه رتب على ذلك قوله (لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة) حال كونى (مصفى مهذبا) صفة لازمة لتقارب التصفية والتهذيب ففى القاموس هذبه يهذبه هذبا قطعه ونقاه وأصلحه وأخلصه كهذبه والهذب محركة الصفاء والخلوص وفى نسخة مصطفى مهذبا بزيادة طاء من الاصطفاء (لا تتشعب شعبتان) أى لا تتفرع أى لا يولد من أصل طائفتان (الا كنت فى خيرهما و) ورد (عنه) أى عن ابن عباس (فى) تفسير (قوله تعالى وتقلبك) تفعل أى انتقالك (فى الساجدين) أن المراد بهم (من) صلب (نبى الى نبى) ولو مع الوسايط وفعلت ذلك معك (حتى اخرجتك نبيا) فلا يرد أن المطابق للآية حتى اخرجتك وهذا احد تفاسير فى الآية يأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى فى ذكر الابوين حيث تعرض المصنف لذلك (رواه البزار) الحافظ العلامة الشهير أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى صاحب المسند الكبير المعلل * مات بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكذا رواه ابن سعد وأبو نعيم فى الدلائل بسند صحيح والطبرانى ورجاله ثقات (و) ورد (عنه) أى عن ابن عباس (ايضا فى) تفسير (الآية قال مازال النبى صلى الله عليه وسلم يتقلب) ينتقل (فى اصلاب الانبياء حتى) الى أن (ولدته امه) آمنة (رواه أبو نعيم و) ورد (عن جعفر) الصادق (بن محمد عن أبيه) محمد الباقر (فى) تفسير (قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية قال) محمد (وقال النبى صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح غير سفاح) وهذا مرسل لان محمدا تابعى (و) ورد (عن انس) بن مالك بن النضر الانصارى الخزرجى الصحابى الشهير خادم المصطفى مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين (قال قرأ النبى صلى الله عليه وسلم) قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا) مصدر مطلق الوصلة بالقرابة (وصهرا) أى من جهة الآباء والامهات قال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخيه أو عمه فهو أحماء ومن قبل المرأة اختان ويجمع الصنفين الاصهار * وفى الانوار فى قوله تعالى فجعله نسبا وصهرا أى قسمه قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن كقوله وجعل

منه الزوجين الذكر والانثى (وحسبا) بفتحتين أى شرفا ثابتا لى ولا بائى كما قال الازهرى وقال ابن السكيت الحسب يكون فى الانسان وان لم يكن فى آبائه انتهى والواقع هنا انه فيه وفى آبائه وفى الصحاح الحسب ما يعده الانسان من مفاخر آبائه أى انا انفسكم آباء وأمهات ومفاخر آباء (ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا) أى انا وآبائى (نكاح) اسناده اليهم بتأويل أى ذوو نكاح أو على التجوز فى الاسناد كأنهم تجسموا من النكاح كقوله فانما هى اقبال وادبار وفى رواية كلها نكاح بالتأنيث باعتبار الجماعة أى كل جماعة آبائى نكاح فلا يرد أنهم عقلاء فكان يقال كلهم او الضمير للوطآت وقضية ذا الحديث أنه لا سفاح فى آبائه مطلقا واستظهر محقق أن المراد طهارة سلسلته فقط واستشهد بالخبر المار لم يلتق أبواى قط على سفاح وعندى أن الصواب خلاف هذا التحقيق العقلى لظهور اطلاق نفى السفاح عنهم فى هذا الحديث ويؤيده استقراء الكلى المحمول على الحواشى كما مر فاذا انتفى عن حواشيه فكيف يحتمل وقوعه فى نفس الآباء والامهات فى غير السلسلة الشريفة وأما الاستشهاد بالخبر المار فضعيف كما لا يخفى (رواه) أبو بكر الحافظ أحمد بن موسى (بن مردويه) الاصبهانى اللبيب العلامة ولد سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وصنف التاريخ والتفسير المسند والمستخرج على البخارى وكان فهما بهذا الشأن بصيرا بالرجال طويل الباع مليح التصنيف مات لست بقين من رمضان سنة عشر وأربعمائة قال الحافظ ابن ناصر فى مشتبه النسبة مردويه بفتح الميم وحكى ابن نقطة كسرها عن بعض الاصبهانيين والراء ساكنة والدال المهملة مضمومة والواو ساكنة والمثناة تحت مفتوحة تليها هاء انتهى (وفى الدلائل لابى نعيم) أحمد بن عبد الله الحافظ (عن عائشة) الصديقة بنت الصديق المكثرة ذات المناقب الجمة يأتى ذكرها فى الزوجات ان شاء الله تعالى قال المصنف وعائشة بالهمز وعوام المحدثين يبدلونها ياء (عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل) بلفظ (قال) لى جبريل (قلبت مشارق الارض ومغاربها) أى فتشتهم وبحثت عن أحوالهم سماه تقليبا تشبيها له بتحريك الشئ ظهر البطن وعكسه وفى القاموس قلب الشئ حوله ظهر البطن كقلبه والتحريك يلزمه الاحاطة بالشئ ومعرفة احواله عرفا فأطلق التقليب وأراد لازمه (فلم أر رجلا افضل من محمد عليه الصلاة والسلام ولم ار بنى اب افضل من بنى هاشم) قال الحكيم الترمذى انما طاف الارض لطلب النفوس الطاهرة الصافية المتزكية بمحاسن الاخلاق ولم ينظر للاعمال لانهم كانوا أهل جاهلية انما نظر الى اخلاقهم فوجد الخير فى هؤلاء وجواهر النفوس متفاوتة بعيدة التفاوت انتهى (وكذا اخرجه الطبرانى فى الاوسط) والامام أحمد والبيهقى والديلمى وابن لال وغيرهم (قال الحافظ) أبو الفضل أحمد بن على ابن محمد بن محمد بن على (بن حجر) الكنانى العسقلانى ثم المصرى الشافعى ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وعانى أولا الادب ونظم الشعر فبلغ الغاية ثم طلب الحديث فسمع الكثير ورحل وبرع فيه وتقدم فى جميع فنونه وانتهت اليه الرحلة والرياسة فى الحديث فى الدنيا بأسرها فلم يكن فى عصره حافظ سواه وألف كتبا كثيرة وأملى اكثر من ألف مجلس وتوفى فى ذى القعدة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة قال السيوطى وختم به الفن (لوائح الصحة

(لائحة)

لائحة) ظاهرة (على صفحات هذا المتن) الحديث والصفحة لغة من كل شئ جانبه ففيه استعارة بالكناية شبه المتن بمكان له جوانب وأثبت له الصفحات تخييلا (وفى) صحيح (البخارى) فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم (عن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا) حال تفصيل والفاء للترتيب فى الوجود أو الفضل نحو الاكمل فالاكمل ومنه والصافات صفا فالزاجرات زجرا (حتى كنت من القرن الذى كنت) أى وجدت (منه وفى مسلم عن واثلة) بمثلثة (ابن الاسقع) بالقاف ابن عبد العزى الكنانى الليثى من أهل الصفة غزا تبوكا وعنه مكحول ويونس بن ميسرة عاش ثمانيا وتسعين سنة ومات سنة خمس وثمانين وأبوه صحابى أيضا كما فى الاصابة (قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى) اختار (كنانة) عدة قبائل أبوهم كنانة بن خزيمة (من ولد اسمعيل) وفى رواية الترمذى ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة فكان فى رواية مسلم اختصارا (واصطفى قريشا من كنانة) ورواية الترمذى واصطفى من بنى كنانة قريشا وهو قريب وفيه ابطال للقول بأن جماع قريش مضر وللآخر انه الياس (واصطفى من قريش بنى هاشم) غاير أسلوب ما قبله للتعظيم (واصطفانى من بنى هاشم) زاد ابن سعد من مرسل أبى جعفر الباقر ثم اختار بنى هاشم من قريش ثم اختار بنى عبد المطلب من بنى هاشم * قال الحليمى أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم كرجل يقول كان أبى فقيها لا يريد الفخر بل تعريف حاله دون ما عداه وقد يكون أراد به الاشارة بنعمة الله عليه فى نفسه وآبائه على وجه الشكر وليس ذلك من الاستطالة والفخر فى شئ انتهى ونقله عنه البيهقى فى الشعب وأقره ثم فى سبل النجاة وأقره وقال الحافظ ذكره لافادة الكفاءة والقيام بشكر النعم والنهى عن التفاخر بالآباء موضعه مفاخرة تفضى الى تكبر أو احتقار مسلم (رواه) أى حديث واثلة (الترمذى) بأتم منه كما علم وقال حديث حسن صحيح غريب انتهى وفيه فضل اسمعيل على جميع ولد ابراهيم حتى اسحق وفضل العرب على العجم قال ابن تيمية وليس فضل العرب فقريش فبنى هاشم بمجرد كون النبى صلى الله عليه وسلم منهم وان كان هذا من الفضل بل هم فى انفسهم افضل أى باعتبار الاخلاق الكرام والخصال الحميدة واللسان العربى قال وبذلك يثبت للنبى صلى الله عليه وسلم انه افضل نفسا ونسبا والا لزم الدور (و) روى الترمذى (عن العباس) بن عبد المطلب عم المصطفى وصنو أبيه كان يجله ويعظمه ويأبى ان شاء الله تعالى فى الاعمام (قال) قلت يا رسول الله ان قريشا تذاكروا أحسابهم فجعلوا مثلك مثل نخلة فى كبوة أى كناسة ف(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق) أى المخلوقات وأل للاستغراق فتدخل الملائكة فهو نص فى افضلية جنس البشر على جنس الملك أو المراد الثقلان أو المراد بنو آدم فرقا (فجعلنى) صيرنى (فى خير فرقهم) جمع فرقة أى اشرفها وفى نسخة فرقتهم أى فرقة منهم (و) جعلنى (فى خير الفريقين) فهو بالنصب عطف على محل فى خير كذا اعربه الواعظ فان كان رواية والا فيجوز جره عطفا على مجرور فى عطف تفسير واقتصر عليه شيخنا والمراد بالفرق الذين هو خيرهم العرب (ثم تخير القبائل) من العرب أى اختار خيارهم فضلا (فجعلنى فى خير قبيلة)

قوله كبوة هكذا فى النسخ والذى فى القاموس أن الذى يفسر بالكناسة كبا كالى وكبة كثبة فليراجع اه مصححه

منهم وهى قريش أى قدرا يجادى فى خير قبيلة (ثم تخير البيوت) أى اختارهم شرفا (فجعلنى فى خير بيوتهم) أى اشرفها وهم بنو هاشم واذا كان كذلك (فانا خيرهم نفسا) أى روحا وذاتا (وخيرهم بيتا) وفسره بقوله (أى اصلا) اذ جئت من طيب الى طيب الى صلب أبى بفضل الله على واطمه فى سابق علمه ولم يقل ولا فخر كما فى خبر أنا سيد ولد آدم لان هذا بحسب حال المخاطبين فى صفاء قلوبهم بما يعلمه من حالهم أو هذا بعد ذلك * وفى حديث أبى هريرة مرفوعا ان الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين فقسم العرب قسما وقسم العجم قسما وكان خيرة الله فى العرب ثم قسم العرب قسمين فقسم اليمن قسما وقسم مضر قسما وقريشا قسما وكانت خيرة الله فى قريش ثم اخرجنى من خير من انا منهم رواه الطبرانى وحسن العراقى اسناده وهو شاهد لخبر المصنف وكالشرح له قال بعض العلماء والتفاضل فى الانساب والقبائل والبيوت باعتبار حسن خلقة الذات والتفاضل فيما قام بها من الصفات حتى فى الاقوات والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق وهذا جار فى سائر المخلوقات فضل الله يؤتيه من يشاء فلا اتجاه لما عساه يقال الانسان كله نوع فما معنى التفاضل فى الانساب انتهى (و) قال صلى الله عليه وسلم (فى حديث رواه الطبرانى) فى الاوسط (عن) عبد الله (بن عمر) بن الخطاب ابى عبد الرحمن العالم المجتهد العابد لزوم السنة الفرور من البدعة الناصح للامة روى ابن وهب عن مالك بلغ ابن عمر ستا وثمانين سنة وأفتى ستين سنة وقال نافع ما مات حتى اعتق اكثر من ألف وشهد الخندق وما بعدها قال الحافظ ولد فى السنة الثانية أو الثالثة من المبعث لانه ثبت انه كان يوم بدر ابن ثلاث عشرة سنة وهى بعد المبعث بخمس عشرة ومات فى أوائل سنة ثلاث وسبعين (قال) أى المصطفى كما علم لا ابن عمر لانه مرفوع عند الطبرانى لا موقوف (ان الله اختار) أى اصطفى (خلقه) مميزا لهم على غيرهم ممن لو تعلقت بهم الارادة ووجدوا كانوا دونهم فى الفضل لكونهم لم يختاروا فلا يرد أن الاختيار انما يكون فيما يختار من شئ ولا يقال اختار شيأ اذ لا بد من مختار ومختار منه ومحصل الجواب اختيارهم ممن يقدر وجودهم (فاختار منهم بنى آدم ثم اختار من بنى آدم العرب) كذا فى نسخ وهى ظاهرة وفى اخرى ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب والمراد نظر اليهم فاختار الخ فلا يقال لا حاجة له بل لا يصح لانه عين ما قبله (ثم اختارنى من العرب فلم ازل خيارا من خيار ألا من أحب العرب فبحبى) أى فبسبب حبه لى (احبهم ومن ابغض العرب) اظهر للتعظيم (فببغضى) بسبب بغضه لى (ابغضهم) وقد روى الترمذى وقال حسن غريب عن سلمان رفعه يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف ابغضك وبك هدانى الله قال تبغض العرب فتبغضنى وروى الطبرانى عن على رفعه لا يبغض العرب الا منافق (ثم اعلم انه عليه الصلاة والسلام لم يشركه) بفتح الياء والراء بينهما شين ساكنة (فى ولادته من ابويه أخ ولا اخت) المراد أنه ما لم يلدا غيره كما قال الواقدى انه المعروف عند العلماء وقال سبط ابن الجوزى لم يتزوج عبد الله قط غير آمنة ولم تتزوج آمنة غيره قال واجمع العلماء على أن آمنة لم تحمل بغيره صلى الله عليه وسلم قال وقولها لم احمل حملا اخف منه المفيد حملها بغيره خرج على

قوله ثم قسم العرب قسمين الخ هكذا فى النسخ وفيه نظر لا يخفى ولعل قوله قسمين زائد من النساخ أو قوله وقريشا قسما له قسيم ومقسم حذفا من قلم النساخ وليحرر اه مصححه

وجه المبالغة وقال الحافظ ابن حجر جازف سبط ابن الجوزي كعادته في نقل الاجماع ولا يمتنع أن تكون اسقطت من عبد الله سقطا فأشارت بقولها المذكور اليه انتهى ومارده بنقل كما ترى بل بتجويز انما يصح على ضعيف وهو تأخر موت والده بعد ولادته لانها حملت بالمصطفى عقب التزوج كما هو صريح في الاخبار الآتية ولم تسقط قبله شيأ ولم يتفوه به متفوه فأين المجازفة وانما لم يلدا غيره (لانتهاء صفوتهما) أي خالصهما (اليه وقصور نسبهما عليه) أي عدم مجاوزته الى غيره تكريما (ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية) أي خاتما للنبوة بحيث لا يولد بعده نبي (ولتمام الشرف نهاية) لاغاية بعدها (وأنت اذا اختبرت حال نسبه وعلمت طهارة مولده تيقنت انها) أي ذاته الشريفة (سلالة آباء كرام فهو صلى الله عليه وسلم النبي) بالهمز وتركه وهو لغته صلى الله عليه وسلم وفي المستدرك عن أبي ذر أن رجلا قال يا نبيء الله بالهمز فقال صلى الله عليه وسلم لست نبيء الله قال الزركشي أنكر الهمز لانه لم يكن لغته وقال الجوهري والصغاني انما أنكره لان الرجل اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من أرض الى أرض اذا خرجت منها الى اخرى انتهى وهذا هو الاحسن لان المصطفى يخاطب كل انسان بلغته ألا ترى الى خبر ليس من امبر امصيام في امسفر (العربي) نسبة الى العرب خلاف العجم وهم عاربة وهم الخلص وهم سبع قبائل ومتعربة وهم بنو قحطان وليسوا بخلص ومستعربة وليسوا بخلص أيضا قال ابن دحية وهم بنو اسمعيل قاله الشامي ملخصا (الابطحي) نسبة الى ابطح مكة وهو مسيل واديها وهو ما بين مكة ومنى ومبتدؤه المحصب قاله الشامي وفي المختار البطحاء كالابطح ومنه بطحاء مكة وعليه فهو نسبة الى بطحاء مكة ولكن القياس الاول (الحرمي) الى الحرمين (الهاشمي القرشي) عام بعد خاص (نخبة) بالرفع نعت النبي (بني هاشم) وفي القاموس النخبة بالضم وكهمزة المختار وانتخبه اختاره فقوله (المختار المنتخب) لعل مراده من جميع الخلق وفي الكلام حذف هو ومعلوم انهم خير العرب فهو المختار من جميع الناس (من خير بطون العرب وأشرفها في الحسب) أي المفاخر (وأعرقها) بالقاف اثبتها وأقواها (في النسب وأنضرها) احسنها (عودا) أي طيبا وأصلا كانه مأخوذ من عود البخور شبه أصله في ظهوره بالعود واستعار له اسمه (واطولها عمودا) اعظمها أصلا يستند اليه ويتقوى به (وأطيبها ارومة) بفتح الهمزة وتضم أي أصلا كما في القاموس (وأعزها جرثومة) بضم الجيم أصلا كما في القاموس فالجمع بين هذا وما قبله للاطناب اذ المراد منهما واحد (وأفصحها لسانا) لغة (وأوضحها بيانا) تبيينا واظهارا للمراد (وأرجحها ميزانا) عملا يفتخر به عبر عنه بميزان لانه آلة يميز بها الوافي من غيره (وأصحها ايمانا) تصديقا بما يوافق الحق في كل زمن (وأعزها نفرا) بفتحتين حشما وأعوانا تمييز محول عن المضاف والاصل نفره اعز فحذف المضاف وأضيف اعز الى الضمير فحصل الابهام فبين بذلك المضاف (واكرمها معشرا) طائفة وجماعة ينسب اليهم (و) اكرمها (من قبل) جهة (أبيه وأمه و) اكرمها من قبل كونه (من اكرم بلاد الله على الله) يعني مكة (و) من اكرم (عباده) عليه وهم العرب (فهو محمد) اسم مفعول على الصفة للتفاؤل بأنه يكثر حمده

وسيأتى ان شاء الله تعالى ما يتعلق به فى المقصد الثانى قال فى الفتح المجد الذى حمد مرة بعد اخرى أو الذى تكاملت فيه الخصال المحمودة قال الاعشى

اليك ابيت اللعن كان وجيفها * الى الماجد القرم الجواد المحمد

(ابن عبد الله) قال الحافظ لم يختلف فى اسمه انتهى قال ابن الاثير وكنيته أبو قثم بقاف فمثلثة وهو من اسمائه صلى الله عليه وسلم مأخوذ من القثم وهو الاعطاء أو من الجمع يقال للرجل الجموع للخير قثوم وقثم وقيل أبو محمد وقيل أبو أحمد انتهى فان قلنا بالمشهور من وفاته والمصطفى حمل فلعله كنى بالالهام وان قلنا بعد ولادته فظاهر (الذبيح) بالجر نعت لعبد الله (ابن) شيخ البطحاء (عبد المطلب) مجاب الدعوة محرم الخمر على نفسه قال ابن الاثير وهو أول من تحنث بحراء كان اذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين وقال ابن قتيبة كان يرفع من مائدته للطير والوحوش فى رؤس الجبال فكان يقال له الفياض لجوده ومطعم طير السماء لانه كان يرفع من مائدته للطير (واسمه شيبة الحمد) مركب اضافى قال

على شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضئ ظلام الليل كالقمر البدر

(فى قول محمد بن اسحق) بن يسار المطلبى مولاهم المدنى نزيل العراق الحافظ امام المغازى صدوق لكنه يدلس ورمى بالتشيع والقدر توفى سنة خمسين ومائة (وهو) كما قال السهيلى (الصحيح) وعزاه فى النور والفتح للجمهور (وقيل) فى سبب تسميته بشيبة الحمد (سمى به لانه ولد وفى رأسه شيبة) واحدة الشيب وأقل ما تصدق به شعرة لانها أقل ما يتحقق فيه البياض وفى رواية وكانت ظاهرة فى ذوائبه وأخرى وكان وسط رأسه أبيض وقيل لان أباه أوصى امه بذلك وبالاول جزم المصنف فى شرح البخارى وسوى بينهما الشامى ولعل وجه اضافته الى الحمد رجاء انه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لانه كان مفزع قريش فى النوائب وملجأهم فى الامور وشريفهم وسيدهم كمالا وفعالا (وقيل اسمه عامر وهو قول) أبى محمد عبد الله بن مسلم (بن قتيبة) بقاف مصغرا الدينورى بفتح الدال وتكسر النحوى اللغوى مؤلف ادب الكاتب وغيره ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين ومات سنة سبع وستين وهذا حكاه فى الفتح بلفظ زعم ابن قتيبة وقد قال أبو عمر انه لا يصح (وتابعه) أى تبعه (على ذلك المجد) مجد الدين محمد بن يعقوب (الشيرازى) بكسر الشين المعجمة وفتح الراء وزاى نسبة الى شيراز قرية بنواحى سرخس مؤلف القاموس وغيره مجدد اللغة على رأس المائة الثامنة ومهر فيها وهو شاب وتفقه وطلب الحديث وجال فى البلدان وكان له فيها الحظوة التامة حتى عند الملوك وفى شيوخه كثرة وأخذ عنه الحافظ وغيره ومات سنة سبع عشرة وثمانمائة وقد جاوز التسعين ممتعا بحواسه (وكنيته) أى عبد المطلب (أبو الحرث بابن) لفظ مختص بالذكر اجماعا حكاه الفاكهانى فى شرح العمدة (له اكبر ولده) أى أولاده وهو يكون واحدا وجمعا وقيل أبو البطحاء (قيل وانما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما قال لاخيه المطلب) بن عبد مناف (وهو بمكة حين حضرته الوفاة أدرك عبدك) استعطافا أو على عادة العرب فى قولهم لليتيم المربى فى حجر شخص عبده فسماه

عبدا

عبدا باعتبار الاول لانه رأى نفسه محتضرا وأنه لا يقوم على ابنه غيره (يثرب) اسم المدينة المنورة قبل الاسلام وقد غيره النبي صلى الله عليه وسلم الى طيبة وسماها الله طابة رواه مسلم فى آخر الحج (فمن ثم) أى من هنا أى من أجل قول هاشم لاخيه أدرك عبدك (سمى عبد المطلب) ولا شك أن هذا قول غير القول بأنه مات بغزة فلا وجه لايراده عليه (وقيل ان عمه المطلب جاء به الى مكة رديفه وهو بهيئة بذة) بفتح الموحدة والذال المعجمة المشددة أى رثة وفى المنتقى كان عليه اخلاق ثياب وأثرت فيه الشمس (فكان يسأل عنه فيقول هو عبدى) يقول ذلك (حياء من أن يقول ابن أخى) فيعترض عليه بكونه على تلك الهيئة وكان بها مع أنه كان عند أمه بالمدينة لانه أخذه بغير علمها وهو يلعب وقيل انما أخذه بعلمها فلعله استعجل لئلا تمنعه أمه بعد (فلما ادخله) مكة (وأحسن من حاله اظهر أنه ابن اخيه فلذلك) أى قول المطلب هو عبدى (قيل له) لشيبة الحمد (عبد المطلب) وبهذا القول جزم فى شرح البخارى وجزم الحافظ بما نصه سمى عبد المطلب واشتهر بها لان أباه لما مات بغزة وكان خرج اليها تاجرا وترك أمه بالمدينة فأقامت عند أهلها من الخزرج فكبر عبد المطلب فجاء عمه المطلب فأخذه ودخل به مكة فرآه الناس مردفه فقالوا هذا عبد المطلب فغلبت عليه فى قصة طويلة ذكرها ابن اسحق وغيره انتهى وقيل سمى به على عادة العرب فى قولهم لليتيم المربى فى حجر انسان عبده وأتى بقوله (وهو) كما قال السهيلى (أول من خضب) بابه ضرب (بالسواد من العرب) للاشعار باستمراره على اظهار الصفات الدالة على قوته وشجاعته الى وفاته روى ابن سعد عن المسور بن مخرمة قال أول من خضب بالوسمة من قريش بمكة عبد المطلب كان اذا ورد اليمن ورد على عظيم من حمير فقال هل لك من تغيير هذا البياض فتعود شابا فقال ذاك اليك فأمر به فخضب بحناء ثم علا بالوسمة فقال له عبد المطلب زودنا من هذا فزوده فأكثر فدخل مكة بليل ثم خرج عليهم بالغد كان شعره حلك الغراب فقالت له نتيلة لو دام لك هذا لكان حسنا فقال عبد المطلب

لو دام لى هذا السواد حمدته * وكان بديلا من شباب قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولا بد من موت نتيلة أوهرم
وماذا الذى يجدى على بحفظه * ونعمته يوما اذا عرشه انهدم
فموت جهيز عاجلا لا سوى له * أحب الى من مقالهم حكم

قال فخضب أهل مكة بالسواد (وعاش مائة وأربعين سنة) فيما قاله عالم النسب الزبير بن بكار كما حكاه ابن سيد الناس عن أبى الربيع بن سالم عنه قائلا انها اعلى ما قيل فى سنه وحكاه مغلطاى وجزم به السهيلى وتبعه المصنف فى شرح البخارى فالتوقف فيه بأن الشامى لم يذكره عجيب فلا يلزم من ترك مكثر الانقال لشئ عدم وجود ما لم يحكه فى غيره فمن حفظ حجة بل اخشى أن زيادة أربعة فى قول الشامى يقال بلغ أربعة وأربعين مائة ومن تحريف النساخ لقولهم اعلى ما قيل مائة وأربعين وقيل عاش مائة وعشرين سنة صدر به مغلطاى والمصنف فيما يأتى فى وفاة عبد المطلب ويأتى له مزيد ثم (ابن هاشم واسمه عمرو) قاله مالك والشافعى منقول من العمر الذى هو العمر أو العمر الذى هو من عمور الاسنان أو العمر

قوله نتيلة هو بصيغة المصغر اسم امرأته أم العباس اه مؤلفه
وقوله لو دام الخ فى هذا البيت الخرم كما لا يخفى اه مصححه

الذى هو طرف الحكم يقال شجد على عمريه أى كيه أو العمر الذى هو القرط كما قال

وعمر هند كان الله صوره * عمرو بن هند يسوم الناس تعنيتا

وزاد أبو حنيفة وجها خامسا فقال من العمر الذى هو اسم لنخل السكر ويقال فيه عمر أيضا انتهى من الروض (وانما قيل له) لعمرو (هاشم لانه كان يهشم الثريد) بمثلثة ما اتخذ من لحم وخبز قال

اذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك امانة الله الثريد

(لقومه فى الجدب) بجيم مفتوحة ودال مهملة ساكنة خلاف الخصب وفى فتح البارى لانه أول من هشم الثريد بمكة لاهل الموسم ولقومه أولا فى سنة المجاعة وفيه يقول الشاعر

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

وأشعر اتيان المصنف بحرف المضارعة مع كان المفيد للتكرار بتكرر ذلك منه وهو كذلك ففى السبل لما أصاب أهل مكة جهد وشدة رحل الى فلسطين فاشترى منها دقيقا كثيرا وكعكا وقدم به مكة فأمر به فخبز ثم نحر جزورا وجعلها ثريدا عم به أهل مكة ولا يزال يفعل ذلك بهم حتى استقلوا انتهى وفى المنتقى كان هاشم افخر قومه وأعلاهم وكانت مائدته منصوبة لاترفع لا فى السراء ولا فى الضراء وكان يحمل ابن السبيل ويودى الحقائق وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه يتوقد شعاعه ويتلألأ ضياؤه ولا يراه حبر الا قبل يده ولا يمر بشئ الا سجد اليه تغدو اليه قبائل العرب ووفود الاحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه أن يتزوج بهن حتى بعث اليه هرقل ملك الروم وقال ان لى ابنة لم تلد النساء اجمل منها ولا أبهى وجها فاقدم على حتى ازوجكها فقد بلغنى جودك وكرمك وانما أراد بذلك نور المصطفى الموصوف عندهم فى الانجيل فأبى هاشم قال ابن اسحق وهو أول من مات من بنى عبد مناف واختلف فى سنه فقيل عشرون وقيل خمس وعشرون سنة (ابن عبد مناف) بفتح الميم وخفة النون من اناف ينيف انافة اذا ارتفع وقيل الانافة الاشراف والزيادة لقب بذلك لان امه حبى بضم الحاء المهملة وموحدة مشددة ممالة اخدمته صنما عظيما لهم يسمى مناة ثم نظر أبوه فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة فحوله عبد مناف (واسمه) كما قال الشافعى (المغيرة) منقول من الوصف والهاء للمبالغة سمى به تفاؤلا لانه يغير على الاعداء وساد فى حياة أبيه وكان مطاعا فى قريش ويدعى القمر لجماله قال الواقدى وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده لواء نزار وقوس اسمعيل وذكر الزبير عن موسى بن عقبة انه وجد كتابة فى حجر أنا المغيرة بن قصى آمر بتقوى الله وصلة الرحم واياه عنى القائل

كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف

قال ابن هشام ومات بغزة (ابن قصى) بضم القاف (تصغير قصى) بفتح فكسر فياء ساكنة من قصا يقصو اذا بعد قال المصنف تبعا للسهيلى وصغر على فعيل لانهم كرهوا اجتماع يا آت فحذفوا الثالثة التى تكون فى فعيل فبقى على وزن فعيل مثل فليس انتهى وفسر المصغر بقوله (أى بعيد لانه بعد عن عشيرته) أى قبيلته وفى القاموس عشيرة الرجل

بنو أبيه الادنون أو قبيلته جمعه عشائر (في) بلاد (قضاعة) بضم ففتح (حين احتملته أمه فاطمة) بنت سعد العذري في قصة طويلة ذكرها ابن اسحق (واسمه مجمع) اسم فاعل من جمع (قال الشاعر أبوكم قصي كان يدعى مجمعا *) ذكر ثعلب في أماليه انه كان يجمع قومه يوم العروبة فيذكرهم ويأمرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم انه سيبعث فيه نبي (به جمع) بالتثقيل للمبالغة (الله القبائل من بني (فهر) في مكة بعد تفرقهم في البلدان فجمعهم وأدخلهم مكة في قصة طويلة عند ابن اسحق (وقيل) اسمه (زيد) وجزم به في السبل والتوشيح والعيون والعراقي واقتصر عليه في الفتح فقال روى السراج في تاريخه من طريق أحمد بن حنبل سمعت الشافعي يقول اسم عبد المطلب شيبة الحمد واسم هاشم عمرو واسم عبد مناف المغيرة واسم قصي زيد (وقال) الامام (الشافعي) محمد بن ادريس المطلبي المكي نزيل مصر عالم قريش مجدد الدين على رأس المائتين حفظ القرآن ابن سبع والموطأ ابن عشر وأفتى وهو ابن خمس عشرة وكان يحيي الليل الى أن مات في رجب سنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة مناقبه جمة افردها العلماء بالتصانيف (كما حكاه عنه الحاكم) الكبير (أبو أحمد) كنية الحاكم محمد بن محمد بن اسحق النيسابوري الامام الحافظ الجهبذ محدث خراسان سمع ابن خزيمة والباغندي والسراج وسمع منه السلمي والحاكم أبو عبد الله المشهور الموافق له في الاسم واللقب والنسبة وانما افترقا في الكنية ووصفه بأنه امام عصره في الحديث كثير التصانيف مقدم في معرفة شروط الصحيح والاسامي والكنى وكان صالحا ماشيا على سنن السلف مات في ربيع الاول سنة ثمان وسبعين وثلثمائة عن ثلاث وتسعين سنة (يزيد) بزيادة ياء أوله وهذا منقول قول الشافعي قول ثان له لكنه لا يساوي ما حكاه أحمد عنه لانه اجل تلامذته ثم اقتصار المذكورين عليه يفيد أنه الاصح فكان حق المصنف تقديمه وفي الخميس قصي هو الذي جمع الله به قريشا وكان اسمه زيد فسمي مجمعا لما جمع من أمرها وأنشد بيت المصنف فعليه مؤاخذة في مقابلته بزيد لان مجمعا ليس اسمه الاصلي ولا هو مقابل لكونه زيدا كيف وبعد هذا البيت كما حكاه الماوردي وغيره

وأنتم بنو زيد وزيد أبوكم * به زيدت البطحاء فخرا على فخر

وكان قصي أول بني كعب أصاب ملكا طاع له به قومه وكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء وحاز شرف مكة جميعا وكان رجلا جلدا جميلا وعالم قريش وأقومها بالحق (ابن كلاب) بكسر الكاف وتخفيف اللام (وهو) كما قال السهيلي (اما منقول من المصدر الذي في معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة) وكلا با القاموس المكالبة المشارة والمضايقة والتكالب التواثب (واما من الكلاب جمع كلب) الحيوان المعروف (كأنهم) أي العرب (يريدون الكثرة كما يسمون بسباع) وأنمار وغير ذلك (وسئل أعرابي) هو كما في الروض أبو الدقيش وفي الصحاح قال يونس لابي الدقيش الشاعر ما الدقيش قال لا ادري هي أسماء نسمعها نتسمى بها وفي حياة الحيوان الدقش بضم الدال المهملة وفتح القاف طائر صغير (لم تسمون أبناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو رزق ومرزوق ورباح) بموحدة (فقال انما نسمي ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا

لانفسنا نريد) الاعرابي (أن الابناء عدة للاعداء) بضم العين ما اعد لحوادث الدهر من مال وسلاح كما فى المختار (وسهام فى نحورهم) جمع نحر موضع القلادة من الصدر ويطلق على الصدر أيضا عطف خاص على عام على أن معنى العدة ماصدق عليه مفهوم ما اعددته الخ أو عطف جزء على كل ان اريد بالعدة مجموع ما يدخر من مال وسلاح وعلى كل هو تشبيه بليغ أى كعدة أو استعارة على نحو زيد أسد (فاختاروا لهم هذه الاسماء) دون عبيدهم لانهم لا يقصد منهم قتال غالبا بل كان عارا عند العرب (واسم كلاب حكيم) بفتح الحاء وكسر الكاف وقدمه مغلطاى فى الاشارة وصححه المحب بن الشهاب بن الهائم ويقال الحكيم بزيادة أل (وقيل عروة) حكاه مغلطاى وغيره وفى الفتح ذكر ابن سعد أن اسمه المهذب وزعم محمد بن اسعد أن اسمه حكيم وقيل عروة فحكى ما قدمه المصنف بلفظ زعم وصدر بغيره فكأنه اعتمد تصحيح ابن الهائم وتقديم مغلطاى قال الحافظ ولقب بكلاب لمحبته كلاب الصيد وكان يجمعها فمن مرت به فسأل عنها قيل هذه كلاب ابن مرة وقال المصنف لمحبته الصيد وكان اكثر صيده بالكلاب قاله المهلب وغيره (ابن مرة) بضم الميم منقول من وصف الرجل بالمرارة وقواه السهيلي فالتاء للمبالغة أو من وصف الحنظلة والعلقمة فالتاء للتأنيث كذا فى السبل وفى المختار العلقم شجر مر ويقال للحنظل ولكل مر علقم قال شيخنا فالمناسب أن يقول من وصف الحنظل والعلقم بغير تاء أما بالتاء فلا يكون للتأنيث بل للوحدة أو من اسم نبات مخصوص وهو بقلة تقطع فتؤكل بالخل أو من قولهم مر الشئ اذا اشتدت مرارته أو من القوة وعليهما فالظاهر أن الهاء للمبالغة فرجعهما والاول واحد وله ثلاثة أولاد كلاب وتيم ومن نسله الصديق وطلحة ويقظة وبه يكنى (ابن كعب) قال السهيلي سمى بذلك لستره على قومه ولين جانبه لهم منقول من كعب القدم وقال ابن دريد وغيره من كعب القناة سمى بذلك لارتفاعه وشرفه فيهم فكانوا يخضعون له حتى ارخوا بموته قاله الفتح أى الى عام الفيل فأرخوا به ثم بموت عبد المطلب وقيل من الكعب الذى هو قطعة السمن الجامد (وهو) أى كعب (أول من جمع) الناس لمجرد الوعظ (يوم العروبة) بفتح المهملة وضم الراء وبالموحدة ولم يكن ثم صلاة يجمعهم اليها من الاعراب التحسين لتزين الناس فيه قال النحاس لا يعرفه أهل اللغة بالالف واللام الاشاذا قال ومعناه البين المعظم من اعرب اذا بين ولم يزل يوم الجمعة معظما عند أهل كل ملة انتهى وقال أبو موسى فى ذيل الغريبين الافصح أن لا تدخله أل وكأنه ليس بعربي انتهى وهو اسم يوم الجمعة فى الجاهلية اتفاقا واختلف فى أن كعبا سماه الجمعة لاجتماع الناس اليه فيه وبه جزم الفراء وثعلب وغيرهما وصحح أو انما سمى بعد الاسلام وصححه ابن حزم وقيل أول من سماه به أهل المدينة لصلاتهم الجمعة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم مع اسعد بن زرارة أخرجه عبد بن حميد عن ابن سيرين وقيل غير ذلك (وكانت تجتمع اليه قريش فى هذا اليوم فيخطبهم) يعظهم وكان فصيحا خطيبا وكان يأمرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم انه سيبعث فيه نبي اخرجه الزبير بن بكار عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مقطوعا وفى أمالى ثعلب ان قصيا كان يجمعهم كما مر ولا خلاف (ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم ويعلمهم بأنه من ولده) وعلمه هو به من الوصية المستمرة من آدم أن من كان فيه ذلك النور لا يضعه الا فى المطهرات لان ختام الانبياء منه وقد علمه ظاهرا فيه قائما به أو من الكتب القديمة أن من كان بصفة كذا كان محمد من ولده ووجد تلك الصفة فيه والاول اظهر (ويأمرهم باتباعه) ان ادركوه (والايمان به) عطف تفسير فاتباعه الايمان به (وينشد فى ذلك) أى معه (أبياتا منها قوله ياليتنى شاهد) حاضر (فحواء) بفاء فحاء مهملة ممدود فقط للوزن وفيه القصر أيضا أى معنى (دعوته) الناس الى الايمان وفى نسخة نجواء بنون وجيم والمد للضرورة من اضافة الصفة للموصوف أى دعوته السر اشارة الى ما وجد فى ابتداء الدعوة من الخفاء قبل الامر بالصدع وفى نسخة فحواء كالاولى طلعته بطاء ولام وعين (اذا قريش تبغى) بضم الفوقية وفتح الموحدة وكسر الغين المعجمة من بغاه الشئ بالتخفيف طلبه شدد مبالغة وفى نسخة حين العشيرة تبغى بفتح فسكون فكسر مخففا من بغاه الشئ طلبه له (الحق خذلانا) والمراد أنه تمنى ادراك زمن دعوته صلى الله عليه وسلم للناس وقريش يعارضونه ويطلبون خذلان دينه لينصره ويظهر دينه وهذا الذى أورده المؤلف فى كعب رواه أبو نعيم فى الدلائل عن كعب الاحبار مطولا وفى آخره وكان بين موت كعب ومبعث النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة (ابن لؤى) بضم اللام والهمز ويسهل بابدال همزته واوا وفى النور والارشاد الهمز اكثر عند الاكثرين (تصغير اللأى) قال ابن الانبارى تصغير لأى بوزن عصا واللأى الثور قال ويحتمل انه تصغير لأى بوزن عبد وهو البطء بالهمز ضد العجلة ويؤيده قوله

فدونكمو بنى لأى اخاكم * ودونك مالكا يا ام عمرو

انتهى واختار السهيلى الثانى وقد قال الاصمعى هو تصغير لواء الجيش زيدت فيه الهمزة وقيل منقول من لوى الرمل مقصورا وفى القاموس ولأى اسم تصغيره لؤى ومنه لؤى بن غالب قال شيخنا اقتصر عليه لان النقل عن الاسم اولى من اسم الجنس والا فكل تلك الالفاظ صالح للتصغير (وهو) كما قال ابن الانبارى وجماعة (الثور) الوحشى وقال أبو حنيفة اللأى البقرة وكنيته أبو كعب وكان له سبعة ذكور (ابن غالب) بالمعجمة وكسر اللام منقول من اسم فاعل مشتق من الغلب بفتحات أو فتح فسكون ويقال غلبة بهاء وله تيم وبه يكنى ولؤى (ابن فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء فراء منقول من الفهر الحجر الطويل قاله السهيلى وقال الخشنى الفهر حجر ملء الكف يذكر ويؤنث وخطأ الاصمعى من انثه وفى الفتح الفهر الحجر الصغير وفى الارشاد الطويل والاملس (واسمه قريش) وفى الفتح والارشاد قيل اسمه قريش ونقل عن الزهرى ان أمه سمته به وأبوه سماه فهرا وقيل فهر لقبه وقيل بالعكس (واليه تنسب قريش) فيما قاله جماعة ونسب للاكثر قال الزهرى وهو الذى ادركت عليه من ادركت من نساب العرب ان من جاوز فهرا فليس من قريش (فما كان فوقه فكنانى) نسبة الى كنانة بن مدركة (لا قرشى) نسبة الى قريش ويقال قريشى أيضا على القياس (على الصحيح) صححه الدمياطى والعراقى وغيرهما والحجة لهم حديث مسلم والترمذى مرفوعا ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة الحديث

وذهب آخرون الى أن أصل قريش النضر وبه قال الشافعي وعزاه العراقي للاكثرين فقال

اماقريش فالاصح فهر * جماعها والاكثرون النضر

قال النووي وهو الصحيح المشهور وصححه أيضا الحافظ الصلاح العلائي وعزاه للمحققين واحتجوا بحديث الاشعث بن قيس قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة فقلت ألستم منا يارسول الله قال لا نحن بنو النضر بن كنانة رواه ابن ماجه وابن عبد البر وأبو نعيم في الرياضة وزاد قال اشعث والله لا اسمع أحدا نفى قريشا من النضر بن كنانة الا جلدته والاحتجاج به ذا ظاهر لا خفاء فيه قال الحافظ في سيرته وعندي انه لا خلف في ذلك لان فهرا جماع قريش ثم ان أباه مالكا ما اعقب غيره فقريش ينتهي نسبها كلها الى مالك بن النضر وكذلك النضر ليس له عقب الا من مالك فاتفق القولان بحمد الله تعالى انتهى ومن خطه نقلت وقيل ان قريشا هو الياس وقيل مضر وحكى الماوردي وغيره انه قصي قال البرهان وهو قول باطل وكانه قول رافضي لا قتضائه ان أبا بكر وعمر ليسا من قريش فامامتهما باطلة وهو خلاف اجماع المسلمين انتهى ونقله عنه الشامي بلفظه وكثيرا ما سمعت شيخنا حافظ العصر أبا عبد الله محمدا البابلي يجزم بأنه قول الرافضة اخترعوه للطعن في الشيخين ولم أر الجزم به الآن لكنه كان واسع الاطلاع واختلف في سبب تسميتها بقريش فقيل منقول من تصغير قرش وهو دابة في البحر عظيمة من اقوى دوابه سميت به لقوتها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وكذلك قريش اخرج ابن النجار في تاريخه عن ابن عباس انه دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاصي فقال عمرو ان قريشا تزعم انك اعلمها فلم سميت قريش قريشا فقال بأمر بين فقال فسره لنا ففسره قال هل قال فيه أحد شعرا قال نعم سميت قريشا بدابة في البحر وقد قال الشمرخ بن عمرو الحميري

وقريش هي التي تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ * ـرك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش * يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهمو والخموشا
يملأ الارض خيله ورجال * يحشرون المطي حشرا كشيشا

وأخرجه ابن عساكر الا أنه ذكر ان السائل معاوية ووصف ابن عباس الدابة بأنها أعظم دواب البحر وعزا هذه الابيات للجمحي انتهى وأكلا كميشا أي سريعا والخموش الخدوش كما في القاموس وغيره وقيل من التقريش وهو التفتيش لانهم كانوا يفتشون عن خلة الناس وحاجاتهم فيسدونها بما لهم وقيل بقريش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة وقيل لانهم كانوا يتجرون ويأخذون ويعطون من قرش الرجل يقرش كيضرب اذا اتجر وقيل من الاقراش وهو وقوع الرايات والرماح بعضها على بعض وقيل من التقريش وهو التحريش قال الزجاجي وهو بعيد لان المعروف لغة أن التحريش هو الترقيش بتقديم الراء وقيل غير ذلك وقد حكى ابن دحية في سبب تسمية قريش ومن أول من سمي بها عشرين قولا

هذا وقريش فرقتان بطاح وظواهر فالبطاح من دخل مكة مع قصى والظواهر من أقام بظاهر مكة ولم يدخل الابطح (ابن مالك) اسم فاعل من ملك يملك فهو مالك والجمع ملاك ويكنى أبا الحرث قال الخميس سمى مالكا لانه كان ملك العرب ويقع فى نسخ ابن مالك قريش واليه تنسب قريش فما فوقه فكنانى لا قرشى على الصحيح وكأنه كان بهامش مسودة المصنف فتحرف على الناسخ فخرجه فى غير موضعه وعلى تقدير صحته فقوله قريش صفة لفهر بعد صفة لا صفة لمالك (ابن النضر) بفتح النون واسكان الضاد المعجمة فراء (واسمه قيس) ولقب بالنضر لنضارة وجهه واشراقه وجماله منقول من النضر اسم الذهب الاحمر وله من الذكور مالك والصلت ويخلد بفتح التحتية وسكون المعجمة وضم اللام فدال مهملة وبه يكنى أبوه ولكن لم يعقب الامن مالك كما مر وأم النضر برة بنت أد ابن طابخة تزوجها كنانة بعد أبيه خزيمة فولدت له النضر على ما كانت الجاهلية تفعله اذا مات الرجل خلف على زوجته أكبر بنيه من غيرها كذا قاله الزبير بن بكار وتبعه السهيلى وزاد ولذلك قال تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أى من تحليل ذلك قبل الاسلام قال وفائدة الاستثناء هنا ان لا يعاب نسب النبى صلى الله عليه وسلم وليعلم انه لم يكن فى أجداده سفاح ألا ترى انه لم يقل فى شئ نهى عنه فى القرآن الا ما قد سلف الا فى هذه الآية وفى الجمع بين الاختين فان الجمع بينهما كان مباحا فى شرع من قبلنا وقد جمع يعقوب بين أختين وهما راحيل أى بجيم كما فى السبل أوحاء مهملة كما فى القاموس وليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى وهذه النكتة من الامام أبى بكر بن العربى الى هنا كلامه وتعقبه الحافظ القطب عبد الكريم الحلبى ثم المصرى فى شرح السيرة لعبد الغنى بما حاصله ان هذا غلط نشأ من اشتباه وذلك أن أبا عثمان الجاحظ قال ان كنانة خلف على زوجة أبيه فماتت ولم تلد له ذكرا ولا أنثى فنكح ابنة أخيها وهى برة بنت مرة بن أد ابن طابخة فولدت له النضر قال الجاحظ وانما غلط كثير لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما قال وهذا الذى عليه مشايخنا من أهل العلم والنسب ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال مازلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن قال غير هذا فقد أخطأ وشك فى هذا الخبر والحمد لله الذى طهره من كل وصم تطهيرا انتهى قال الدميرى وهذا أرجو به الفوز للجاحظ فى منقلبه وأن يتجاوز عنه فيما سطره فى جميع كتبه انتهى وقد صوب مغلطاى كلام الجاحظ وأن خلافه غلط ظاهر قال وهذا الذى يثلج به الصدر ويذهب وحره ويزيل الشك ويطفئ شرره قال الشامى وهو من النفائس التى يرحل اليها والسهيلى تبع الزبير بن بكار والزبير كأنه تبع الكلبى وهو متروك بل لو نقله ثقة لم يقبل لبعد الزمان ومخالفة الاحاديث الناطقة بخلافه انتهى وكذا ما قيل ان هاشما خلف على واقدة زوجة أبيه بفرض صحته فليست جدة للنبى صلى الله عليه وسلم فان أم عبد المطلب انصارية ولذا كانت الانصار أخوال المصطفى (ابن كنانة) بكسر الكاف ونونين مفتوحتين بينهما ألف ثم هاء منقول من الكنانة التى هى الجعبة بفتح الجيم وسكون العين المهملة سمى بذلك تفاؤلا بأنه يصير كالكنانة الساترة للسهام فكان سترا على قومه قاله فى السبل وفى الخميس

انما سمى كنانة لانه لم يزل فى كن من قومه وفى الفتح هو بلفظ وعاء السهام اذا كانت من جلد ونقل عن أبى عامر العدوانى أنه قال رأيت كنانة بن خزيمة شيخا مسنا عظيم القدر يحج اليه العرب لعلمه وفضله بينهم (ابن خزيمة تصغير خزمة) بمعجمتين مفتوحتين وهى مرة واحدة من الخزم وهو شد الشئ واصلاحه وقال الزجاجى يجوز أنه من الخزم بفتح فسكون تقول خزمته فهو مخزوم اذا أدخلت فى انفه الخزام قاله فى الفتح وقيل تصغير خزمة بكسر فسكون فقيل هى برة فى أنف البعير يشد فيها الزمام وقيل الحلقة التى تجعل فى أنف البعير من شعر ونحوه قال فى الغرر ولم أر من تعرض لوجه المناسبة للنقل مما ذكر وقد يقال الانتقال لا يقال فيه ذلك بخلاف الالقاب وفى الخميس انما سمى خزيمة تصغير خزمة لانه اجتمع فيه نور آبائه وفيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى القاموس الخزامة ككتابة للبرة ثم قال والخزمة محركة خوص المقل قال شيخنا فيجوز جعل خزيمة مصغر خزامة وخزمة قال ابن عباس مات خزيمة على ملة ابراهيم (ابن مدركة) بضم فسكون فكسر ففتح ثم هاء مبالغة منقول من اسم فاعل من الادراك لقب به لادراكه كل عز وفخر كان فى آبائه وكان فيه نور المصطفى ظاهرا بينا واسمه عمرو عند الجمهور وهو الصحيح وقال ابن اسحق عامر وضعف (ابن الياس) بتحتية والمعروف انه اسمه وفى سيرة مغلطاى اسمه حبيب وفى الخميس انما سمى الياس لان اباه كبر ولم يولد له فولد على الكبر واليأس فسمى الياس وكنيته ابو عمرو وله أخ يقال له الناس بنون ذكره ابن ماكولا والجوهرى والياس (بكسر الهمزة) وهى همزة قطع تثبت فى الابتداء والدرج (فى قول) الحافظ أبى بكر محمد بن القاسم (ابن الانبارى) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الموحدة نسبة الى الانبار بلدة قديمة على الفرات على عشرة فراسخ من بغداد صاحب التصانيف العلامة فى النحو واللغة والأدب المعدود فى حفاظ الحديث كان من أفراد الدهر فى سعة الحفظ مع الصدق والدين ومن أهل السنة مات ببغداد ليلة عيد النحر سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وقد وافقه على كسر الهمزة طائفة قال ابن الانبارى وهو افعال من قولهم أليس للشجاع الذى لا يفر قال الشاعر أليس كالنشوان وهو صاحى (وبفتحها فى قول قاسم بن ثابت) بن حزم العوفى الاندلسى المالكى الفقيه المحدث المشارك لأبيه فى رحلته وشيوخه الورع الناسك مجاب الدعوة المتوفى سنة اثنتين وثلثمائة قال وهو (ضد الرجاء واللام فيه للتعريف والهمزة للوصل) وأنشد قاسم على ذلك قول قصى أمهتى خندف والياس ابى * وصححه المحققون كما قال بعض مشايخ البرهان (قال) الامام الحافظ العلامة ذو الفهم الدقيق والمعانى الرائقة عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد بن أصبغ (السهيلى) الخثعمى الاندلسى المالقى أبو القاسم واسع المعرفة غزير العلم النحوى اللغوى الامام فى لسان العرب العالم بالتفسير وصناعة الحديث ورجاله وأنسابه وبالتاريخ وعلم الكلام وأصوله وأصول الفقه الذكى النبيه عمى وهو ابن سبع عشرة سنة ولد سنة ثمان وخمسمائة وصنف كتبا منها الروض الانف ذكر فيه انه استخرجه من مائة وعشرين مصنفا ومات فى شعبان سنة احدى وثمانين وخمسمائة وهو منسوب الى سهيل قرية قرب مالقة سميت سهيل بالكوكب لانه

قوله وهى مرة واحدة أى وعليه فالصواب أن يحذف قوله قبله مفتوحتين لان المرة فعلة بفتح فسكون لا بفتحتين كما لا يخفى اه مصححه

لا يرى في جميع بلاد الاندلس الا من جبل مطل على هذه القرية يرتفع نحو درجتين ويغيب (وهذا) الذى قاله قاسم (أصح) من قول ابن الانبارى وصدق المصنف فلفظ السهيلى والذى قاله غير ابن الانبارى أصح وقد سقط لفظ غير من بعض نسخ النور فأوهم اعتراضا على المصنف مع انه خطأ نشأ عن سقط (وهو أول من أهدى البدن الى البيت الحرام) جمع بدنة وهى البعير ذكرا كان أو أنثى والهاء فيها للوحدة لا للتأنيث وحكى ابن التين عن مالك انه كان يتعجب ممن يخص البدنة بالانثى وقال الازهرى البدنة لا تكون الا من الابل وأما الهدى فمن الابل والبقر والغنم هذا لفظه فى التهذيب وحكى النووى عنه أن البدنة تكون من الابل والبقر والغنم وهو خطأ نشأ عن سقط وفى الصحاح البدنة ناقة أو بقرة تنحر بمكة سميت بذلك لانهم كانوا يسمنونها قاله الحافظ ابن حجر وفى حياة الحيوان وهو أيضا أول من وضع مقام ابراهيم للناس بعد غرق البيت وانهدامه زمن نوح فكان الياس أول من ظفر به فوضعه فى زاوية البيت كذا قال والذى فى الاكتفاء وهو أول من وضع الركن للناس بعد هلاكه حين غرق البيت ومن الناس من يقول انما هلك الركن بعد ابراهيم واسمعيل وهو الاشبه ولما مات أسفت عليه زوجته خندف أسفا شديدا ونذرت أن لا تقيم فى بلد مات فيه ولا يأويها بيت فتركت بنيها منه وساحت حتى هلكت حزنا وماتت يوم الخميس فنذرت أن تبكيه كلما طلعت شمس يوم الخميس حتى تغيب الشمس وضربت الامثال بحزنها عليه (ويذكر) كما فى الروض (انه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى صلى الله عليه وسلم بالحج) وفى المنتقى كان يسمع من ظهره أحيانا دوى تلبية النبى صلى الله عليه وسلم بالحج ولم تزل العرب تعظمه تعظيم أهل الحكمة كلقمان وأشباهه وكان يدعى كبير قومه وسيد عشيرته ولا يقطع أمر ولا يقضى بينهم دونه قال الزبير بن بكار ولما أدرك الياس أنكر على بنى اسمعيل ما غيروا من سنن آبائهم وسيرهم وبان فضله عليهم ولان جانبه لهم حتى جمعهم رأيه ورضوا به فردهم الى سنن آبائهم وسيرهم قال ابن دحية وهو وصى أبيه وكان ذا جمال بارع قال السهيلى ويذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا قال البرهان ولا أدرى انا حال هذا الحديث (ابن مضر) بضم الميم وفتح الضاد المعجمة غير مصروف للعلمية والعدل قال الحافظ قيل سمى به لانه كان يحب شرب اللبن الماضر وهو الحامض وفيه نظر لانه يستدعى انه كان له اسم غيره قبل أن يتصف بهذه الصفة نعم يمكن أن يكون هذا اشتقاقه ولا يلزم أن يكون متصفا بهذه الصفة وقيل لبياضه وقيل لانه كان يمضر القلوب لحسنه وجماله وفى الخميس لانه أخذ بالقلوب ولم يكن يراه أحد الا أحبه وفى السبل اسمه عمرو وكنيته أبو الياس ومن حكمه من يزرع شرا يحصد ندامة وخير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق بضم الفاء وتفتح ما بين الحلبتين كما فى القاموس (وهو أول من سن الحداء للابل) بضم الحاء والمد الغناء قال البلاذرى وذلك انه سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال يايداه يايداه فأتت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا (وكان من أحسن الناس صوتا) وقيل بل كسرت يد مولى له فصاح فاجتمعت اليه الابل فوضع الحداء

وزاد الناس فيه انتهى كلام البلاذري" وأخرج ابن سعد في الطبقات من مرسل عبد الله ابن خالد قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر فانه كان قد أسلم (ابن نزار بكسر النون فزاي فألف فراء مأخوذ (من النزر وهو القليل قيل) سبب ذلك (انه لما ولد ونظر أبوه الى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه) وهو نور النبوة الذي كان ينتقل في الاصلاب (فرح فرحا شديدا) وفي نسخة (وأطعم وقال ان هذا كله نزر أي قليل لحق هذا المولود فسمى نزار الذلك) وبهذا القيل جزم السهيلي" وتبعه النور والخميس وزاد أنه خرج أجمل أهل زمانه وأكبرهم عقلا وقال أبو الفرج الاصبهاني" سمي بذلك لانه كان فريد عصره وعليه اقتصر الفتح والارشاد وقيل لقب به لنحافته قال الماوردي" كان اسمه خالدا وكان مقدما وانبسطت اليه اليد عند الملوك وكان مهزول البدن فقال له ملك الفرس مالك يا نزار قال وتفسيره في لغة الفرس يا مهزول فغلب عليه هذا الاسم وكنيته أبو اياد وقيل أبو ربيعة وفي الوفاء يقال ان قبر نزار بذات الجيش قرب المدينة (ابن معد) بفتح الميم والمهملة وشد الدال ابن الانباري يحتمل انه مفعل من العد أو من معد في الارض اذا أفسد وقيل غير ذلك قاله الفتح وسمي معدا قال الخميس لانه كان صاحب حروب وغارات على بني اسرائيل ولم يحارب أحدا الا رجع بالنصر والظفر وكنيته أبو قضاعة وقيل أبو نزار (ابن عدنان) بزنة فعلان من العدن أي الاقامة قاله الحافظ وغيره وفي الخميس سمي به لان أعين الجن والانس كانت اليه وأرادوا قتله وقالوا لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس فوكل الله به من يحفظه انتهى وروى أبو جعفر بن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة وأسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم الا بخير وروى الزبير بن بكار مرفوعا لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل سعيد بن المسيب وحكى الزبير أن عدنان أول من وضع أنصاب الحرم وأول من كسا الكعبة أو كسيت في زمنه والبلاذري أول من كساها الانطاع عدنان وفي أول من كساها خلاف ليس هذا موضعه ولما استشعر المصنف قول سائل لم توصل النسب الى آدم قال (قال) الامام الحافظ المتقن أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي" بن محمد المشهور بأنه (ابن دحية) لانه رحمه الله كان يذكر أنه من ولد الصحابي" دحية الكلبي" بفتح الدال وكسرها قال النور لغتان مشهورتان الكرماني" اختلف في الراجحة منهما والجوهري" اقتصر على الكسر والمجد قدمه الاندلسي" السبتي" البصير بالحديث المعتنى به ذو الحظ الوافر من اللغة والمشاركة في العربية صاحب التصانيف وطن مصر وأدب الملك الكامل ودرس بدار الحديث الكاملية مات رابع عشر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عن نيف وثمانين سنة (أجمع العلماء والاجماع حجة لعصمة الامة عن الخطا لقوله صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على ضلالة (على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يجاوزه انتهى ولله در القائل

ونسبة عزها شم من أصولها * ومحتدها) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الفوقية أصلها كما في القاموس (المرضي" اكرم محتد *) كمجلس (سمت) بفتحتين مخففة الميم ارتفعت

(رتبة) تمييز محوّل عن الفاعل أي منزلة (علياء) أي مرتفعة وفي القاموس العلياء كل ما علا من شيء فالمعنى ارتفعت منزلة هذه النسبة المرتفعة فكأنه قال زادت رفعة (أعظم بقدرها *) فعل تعجب أي ما أعظم قدرها (و) الحال أنها (لم تسم الا بالنبي محمد *) أي بوجوده فيها (ويرحم الله القائل) غاير تفننا وكراهة لتوارد الالفاظ وهو أبو العباس على بن الرومي

قوله وكراهة لتوارد الالفاظ أي المتحدة أو نحو ذلك ولعله سقط من قلم الناسخ فتأمل اه مصححه

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمري ولكن منه شيبان

(وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان)

ذرى بضم الذال المعجمة وخفة الراء المهملة أي أعالي شرف الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها وأنشده المغني بلفظ ذرى حسب لكن شرف أنسب كما لا يخفى قال ابن عصفور يريد أن المتقدم قد يأتيه الشرف من جهة المتأخر (وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز) في انتسابه (معد بن عدنان ثم يمسك) توطئة لقوله (ويقول كذب النسابون) بقولها (مرتين أو ثلاثا) شك من الراوي (رواه في مسند الفردوس) بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب والفردوس للامام عماد الاسلام أبي شجاع الديلمي ألفه محذوف الاسانيد مرتبا على الحروف ليسهل حفظه وعلم بازائها بالحروف للمخرجين ومسند ولده الحافظ أبي منصور شهردار بن شهرويه المتوفى سنة تسع وخمسمائة خرج سند كل حديث تحته وكذا رواه ابن سعد في الطبقات (لكن قال السهيلي الاصح في هذا الحديث) المروي مرفوعا (انه من قول) عبد الله (بن مسعود) بن غافل بمعجمة وفاء قديم الاسلام أحد القراء هاجر الهجرتين وصلى للقبلتين وشهد بدرا والحديبية وجمع القرآن على العهد النبوي وشهد له المصطفى بالجنة مات سنة اثنتين وثلاثين وقد جاوز الستين وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع (وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى ألم يأتكم نبأ) خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) لكثرتهم (قال) احتجاجا (كذب النسابون يعني) ابن مسعود بذلك (انهم يدعون علم الانساب ونفى الله علمها عن العباد) بقوله لا يعلمهم الا الله (وروى عن عمر) بن الخطاب القرشي العدوي أمير المؤمنين وعند ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم كناه أبا حفص وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس عن عمرو بن سعد عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لقبه بالفاروق وقال الزهري لقبه به أهل الكتاب رواه ابن سعد وقيل جبريل رواه البغوي وفي البخاري عن ابن مسعود ما زلنا أعزة أي في الدين منذ أسلم عمر (انه قال انما ننسب) بتحتية فنون النبي صلى الله عليه وسلم أو بنونين أي معاشر قريش (الى عدنان وما فوق ذلك) من عدنان الى اسمعيل ومن ابراهيم الى آدم (لا يدري) بياء أو نون (ما هو) أي ما عدته أو ما اسمه وكلام الحافظين العمري والعسقلاني والمصنف وغيرهم صريح في ثبوت الخلاف فيمن بين ابراهيم وآدم فلا عبرة بمن نفاه وقال انه ثابت بلا خلاف ولفظ سيرة العسقلاني اختلف فيما بين عدنان واسمعيل اختلافا كثيرا ومن اسمعيل الى آدم متفق على أكثره وفيه خلف يسير في عدد الآباء وفيه خلف أيضا في ضبط

بعض الاسماء انتهى ومن خطه نقلت وقد التزم فيها الاقتصار على الاصح فلا يصح زعم أن الخلاف ضعيف جدا لم يعتد به من نفاه بمجرد تجويز عقلى (وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون) بأعيانهم فلا ينافى قوله ثلاثون وقيل بينهما أربعة أو سبعة أو ثمانية أو تسعة أو عشرة أو خمسة عشر أو عشرون أو ثمانية وثلاثون أو تسعة وثلاثون أو أربعون أو واحد وأربعون أو غير ذلك أقوال (وقال عروة بن الزبير) بن العوام القرشى الاسدى المدنى التابعى الكبير أحد فقهاء المدينة السبعة الحافظ المتوفى سنة أربع وسبعين وقيل غير ذلك (ماوجدنا أحدا يعرف بعد معدّ بن عدنان) هذا لا ينافى وجدان غيره من يعرف ذلك (وسئل مالك) بن أنس ابن مالك بن أبى عامر بن عمرو الاصبحى أبو عبد الله المدنى عالم المدينة نجم الاثر العابد الزاهد الورع امام المتقين وكبير المتثبتين حتى قال البخارى أصح الاسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر روى الترمذى وحسنه واللفظ له والحاكم وصححه والنسائى عن أبى هريرة رفعه يوشك أن يضرب الناس آباط المطى فى طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة قال النووى قال سفيان بن عيينة هو مالك بن أنس وفى الحلية عن مالك ما بت ليلة الا رأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى سنة تسع وسبعين ومائة أفرد مناقبه بالتأليف جمع من العلماء كالدينورى وعياض والذهبى وغيرهم (عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك) قيل له فالى اسمعيل فكره ذلك أيضا (وقال) على سبيل الانكار (من أخبره بذلك) حتى يعتمد عليه (وكذا روى عنه) أنه كره ذلك (فى رفع نسب الانبياء عليهم الصلاة والسلام) الى آدم قال السهيلى وقع هذا الكلام لمالك فى الكتاب الكبير المنسوب الى المعيطى وانما أصله لعبد الله بن محمد بن جبير وتممه المعيطى فنسب اليه واذا كان كذلك (فالذى ينبغى لنا الاعراض عما فوق عدنان لما فيه من التخليط والتغيير للالفاظ وعواصة) بعين وصاد مهملتين أى صعوبة كما فى القاموس (تلك الاسماء مع قلة الفائدة) فى ذكرها (وقد ذكر الحافظ أبو سعيد) عبد الرحمن بن الحسن الاصبهانى الاصل (النيسابورى) بفتح النون نسبة الى نيسابور أشهر مدن خراسان صاحب المسند وكتاب شرف المصطفى الثقة المتوفى سنة سبع وثلثمائة وقلد المصنف فى قوله أبو سعيد بالياء السهيلى وقد تعقبه مغلطاى بأنه انما هو سعد بسكون العين انتهى وكذا قال صاحب رونق الالفاظ وقال الذهبى ذكره أى بوصف الحافظ فى تاريخه وأغفله من طبقات الحفاظ (عن أبى بكر) اسمه بكير وقيل عبد السلام (بن أبى مريم) نسبة لجده للشهرة واسم أبيه عبد الله الغسانى عن خالد بن معدان ومكحول وعنه ابن المبارك وأبو اليمان قال الذهبى ضعفوه له علم وديانة توفى سنة ست وخمسين ومائة وقال العراقى ضعفه غير واحد وسرق له حلى فأنكر عقله ولم يتهمه أحد بكذب (عن سعيد بن عمرو) بن شرحبيل (الانصارى) السعدى من ذرية سعد بن عبادة ثقة روى عنه مالك والدراوردى (عن أبيه) عمرو بن شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة الانصارى الخزرجى مقبول روى عنه ابنه (عن كعب الاحبار) أى ملجأ العلماء الحميرى (أن نور النبى صلى الله عليه

وسلم

وسلم لما صار) أي انتقل (الى عبد المطلب وأدرك) أي بلغ (نام يوما) أي في يوم (في الحجر فانتبه) حال كونه (مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال فبقي متحيرا لا يدري من فعل به ذلك فأخذ أبوه بيده) أي عمه المطلب اذ العرب تسمي العم أبا حقيقة أو على التشبيه لقيامه مقامه في تربيته فلا يرد ما مر عن الفتح وغيره من موت أبيه بغزة وهو حمل أو عكة على أثر ولادته على ما حكى المصنف (ثم انطلق به الى كهنة قريش) قال عياض كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب أحدها أن يكون للانسان ولي من الجن يخبره بما يسترق من السمع عن السماء وهذا بطل حين البعثة الثاني أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الارض وما خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين وأحالوهما ولا استحالة ولا بعد في وجودهما الثالث المنجمون وهذا الضرب يخلق الله فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب ومنه العرافة وصاحبها عراف وقد نهى الشارع عن تصديقهم كلهم والاتيان لهم (فأخبرهم بذلك فقالوا اله اعلم أن اله السموات قد أذن لهذا الغلام أن يتزوج فزوجه قيلة) بفتح القاف وسكون التحتية فلام فهاء (فولدت له الحرث) لا ينافي هذا ما في المقصد الثاني للمصنف كالسبل والخميس من أن أم الحرث صفية بنت جندب لجواز أنه اسمها وقيلة لقبها (ثم ماتت فزوجه بعدها هند بنت عمرو) الظاهر أن هند تحريف صوابه فاطمة فقد نقل الخميس أن زوجات عبد المطلب خمس صفية بنت جندب من بني عامر بن صعصعة وتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر وهالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وآمنة بنت هاجر الخزاعي وفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم أمهرها مائة ناقة كوماء وعشرة أواق من ذهب فولدت له أولادا منهم عبد الله والده صلى الله عليه وسلم فهي مخزومية وجدة أولى للمصطفى ذكره ابن قتيبة في المعارف ونحوه في المقصد الثاني (وكان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك) بكسر الميم والمشهور أنه دم يجمد في خارج سرة ظباء معينة في أماكن مخصوصة وينقلب بحكمة الحكيم أطيب الطيب (الاذفر) بذال معجمة أي الذكي ويطلق على النتن وليس مرادا هنا وبالمهملة خاص بالنتن كما في المختار (وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته) أي جبهته بينا واضحا (وكانت قريش اذا أصابها قحط شديد تأخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير) بمثلثة فموحدة كأمير (فيتقربون به الى الله) لما جربوه من قضاء الحوائج على يده ببركة نوره صلى الله عليه وسلم ولما جعله الله فيه من مخالفة ما كان عليه الجاهلية بالهام من الله وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور ويؤثر عنه سنن جاء بها القرآن والسنة كالوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان حكاه سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (ويسألونه أن يسقيهم الغيث) المطر (فكان) الله (يغيثهم ويسقيهم ببركة نور رسول الله) الكائن في غرة جده (صلى الله عليه وسلم غيثا عظيما) أو ببركة وجوده نفسه بعد ولادته فان عبد المطلب كان يخرج به روى البلاذري وابن سعد عن

مخرمة بن نوفل الزهري الصحابي قال سمعت أمي رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن
عبد مناف تقول تتابعت على قريش سنون ذهبن بالاموال وأشفين على الانفس قالت
فسمعت قائلا يقول في المنام يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم وهذا ابان خروجه
وبه يأتيكم الحيا والخصب فانظروا رجلا من أوسطكم نسبا طوالا عظاما أبيض مقرون
الحاجبين أهدب الاشفار جعدا أسيل الخدين رقيق العرنين فليخرج هو وجميع ولده
وليخرج منكم من كل بطن رجل فتطهروا وتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى رأس أبي
قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي وتؤمنون فانكم ستسقون فأصبحت فقصت رؤياها
عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا اليه وأخرجوا من كل
بطن منهم رجلا وفعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبي قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم
وهو غلام فتقدم عبد المطلب وقال لاهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك واماؤك وبنو امائك
وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف وأشفت على الانفس
فأذهب عنا الجدب وأتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية وبرسول الله صلى
الله عليه وسلم سقوا فقالت رقيقة

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا * وقد فقدنا الحيا واجلوّذ المطر
فجاد بالماء جونى له سبل * دان فعاشت به الانعام والشجر
منا من الله بالميمون طائره * وخير من بشرت يوما به مضر
مبارك الامر يستسقى الغمام به * ما في الانام له عدل ولا خطر

اجلوّذ بجيم ساكنة فلام مفتوحة فواو مشددة فذال معجمة امتد وقت تأخره وانقطاعه
وجونى بفتح الجيم وسكون الواو فنون فتحتية مشددة مطرها طل وسبل بفتح السين
والموحدة وباللام المطر وبشرت بالبناء للفاعل (* قصة الفيل *) أورد المصنف منها
طرفا تنبيها على أن دفعهم من أجل النعم على قريش ببركته صلى الله عليه وسلم على يد جده
وحاصلها أنه لما كان المحرّم والنبي صلى الله عليه وسلم حمل في بطن أمه على الصحيح حضر
أبرهة بن الصباح الاشرم يريد هدم الكعبة لانه لما غلب على اليمن وملكها من قبل النجاشي
رأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فقال أين يذهبون فقيل يحجون بيت الله بمكة قال وما
هو قيل من الحجارة قال وما كسوته قيل ما يأتي من هنا من الوصائل فقال والمسيح لابنين
لكم خيرا منه فبنى لهم كنيسة بصنعاء بالرخام الابيض والاحمر والاصفر والاسود
وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر واذل أهل اليمن على بنائها وكلفهم فيها
أنواعا من السخر ونقل لها الرخام المجزع والحجارة المنقشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس
وكان على فرسخ من موضعها ونصب فيها صلبانا من ذهب وفضة ومنابر من عاج
وابنوس وغيره وكان يشرف منها على عدن لارتفاع بنائها وعلوها ولذا سماها القليس بضم
القاف وفتح اللام مشددة ومخففة فتحتية ساكنة فسين مهملة أو بفتح القاف وكسر اللام
لان الناظر لها تسقط قلنسوته عن رأسه وقيل انما سماها بذلك العرب فيحتمل أنهم تبعوه
واحتمال عكسه بعيد اذ لا تطيب نفسه بتبعيتهم في تسمية ما بناه افتخارا عليهم فلما أراد

صرف الحج اليها كتب النجاشي اني بنيت كنيسة باسم الملك لم يكن مثلها قبلها أريد صرف حج العرب اليها وأمنع الناس من الذهاب لمكة فلما اشتهر الخبر عند العرب خرج رجل من كنانة مغضبا فتغوط فيها ثم خرج فلحق بأرضه فاغضبه ذلك هذا قول ابن عباس وقيل أججت فتية من العرب نارا وكان في عمارة القليس خشب مموه فحملتها الريح فأحرقتها فخاف ليهدمن الكعبة وهو قول مقاتل وقيل كان نفيل الخثعمي يتعرض لابرهة بالمكروه فأمهله حتى اذا كانت ليلة من الليالي لم ير أحدا يتحرك فجاء بعذرة فلطخ بها قبلتها وجمع جيفا فالقاها فيها فأخبر بذلك فغضب غضبا شديدا وحلف لينقضن الكعبة حجرا حجرا وكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث اليه فيله محمودا فلما قدم الفيل اليه خرج في ستين ألفا وفي سيرة ابن هشام فلما سمعت العرب بخروجه قطعوه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج اليه رجل من ملوك اليمن يقال له ذو نفر وهو بنون ففاء فراء فقاتله فهزم هو وأصحابه وأتى به اسيرا فأراد قتله ثم تركه وحبسه عنده في وثاق ثم مضى حتى اذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلته ومن تبعه من العرب فقاتله فهزم وأخذ نفيل أسيرا فهم بقتله فقال لا تقتلني فاني دليلك بأرض العرب فتركه وخرج به يدله حتى اذا مر على الطائف خرج مسعود بن معتب الثقفي في رجال ثقيف فقالوا أيها الملك انما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ولست تريد هذا البيت يعنون بيت اللات انما تريد الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه أبا رغال فخرج حتى اذا بلغ المغمس بطريق الطائف مات أبو رغال فرجمت العرب قبره فهو القبر الذي يرجم الى اليوم ثم أرسل ابرهة خيلا له الى مكة فأخذت ابلا لعبد المطلب فذهب له فردها عليه ثم انصرف الى قريش فامرهم بالخروج من مكة الى الجبال والشعاب ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده فقال عبد المطلب

لاهم ان المرء يمنع رحله * فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب * وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم ابدا محالك

وزاد بعضهم بعد البيت الثاني

جروا جميع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك

وأنشد ابن هشام البيت الاول والثالث فقط وقال هذا ما صح عندي له منها ثم أرسل حلقة الباب وانطلق هو ومن معه من قريش الى الجبال ينظرون ما ابرهة فاعل بمكة فمنعه الله من دخولها كما يجيء وقيل لم يخرج عبد المطلب من مكة بل أقام بها وقال لا ابرح حتى يقضي الله قضاءه ثم صعد هو وأبو مسعود الثقفي على مكان عال لينظر ما يقع وأبو رغال بكسر الراء وخفة المعجمة واللام وحكمة تقبيح حاله واظهار شناعة أمره حتى صار يرجم بعد موته دون نفيل انه انما جعل نفسه دليلا وقاية من القتل فكان كالمكره على ذلك بخلاف أبي رغال فان قومه تلقوا أبرهة بالسلم واختاروه دليلا وقول الشارح دون ذي نفر ونفيل

سبق قلم فما كان ذو نفر دليلا انما كان اسيرا معه فى الوثاق كما تلى عليك (ولما قدم أبرهة)
بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الهاء (ملك اليمن) بكسر اللام بدل من ابرهة (من
قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة جهة (أصحمة) بوزن أربعة وحاؤه مهملة وقيل
معجمة وقيل بموحدة بدل الميم وقيل صحمة بغير ألف وقيل كذلك لكن بتقديم الميم على الصاد
وقيل بميم فى أوله بدل الالف عن ابن اسحق فى المستدرك للحاكم والمعروف عن ابن اسحق
الاول ويتحصل من هذا الخلاف فى اسمه ستة ألفاظ لم أرها مجموعة (النجاشى) بفتح النون
على المشهور وقيل تكسر عن ثعلب وتخفيف الجيم وأخطأ من شددها وتشديد آخره وحكى
المطرزى التخفيف ورجحه الصغانى قاله فى الاصابة وفى قوله على المشهور ردّ للثانى من قولى
القاموس تكسر نونه أو هو الافصح قيل اصحمة هذا ومعناه بالعربية عطية كما قاله ابن قتيبة
وغيره جد النجاشى الذى كان فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وسبب ولايته اليمن أن بعض
أهلها من أصحاب الاخدود ولما اكثر القتل فيهم ملكهم وهو ذو نواس آخر ملوك اليمن من حمير
فر الى قيصر ملك الشام يستغيث به فكتب له الى النجاشى ملك الحبشة ليغيثه فأرسل معه
أميرين ارياط وابرهة بجيش عظيم فدخلوا اليمن وقتلوا ملكه واستولوا عليه ثم اختلفا
وتقاتلا فقتل ارياط بعد أن شرم انف ابرهة وحاجبه وعينه وشفته فبذلك سمى الاشرم
فداوى جراحه فبرئ واستقل بالملك فبلغ النجاشى فغضب وأراد البطش به فترفق له ابرهة
وتحيل بارسال تحف حتى رضى عنه وأقره فى قصة طويلة عند ابن اسحق هذا حاصلها وفى
حواشى البيضاوى للسيوطى قال الطيبى سمى الاشرم لان أباه ضربه بحربة فشرم انفه
وجبينه انتهى وكذا جزم به الانصارى دون عزو للطيبى لكن معلوم أن ابن اسحق مقدم على
الطيبى فى مثل هذا (ليهدم بيت الله الحرام) غضبا من تغوط الكنانى بكنيسته
وتلطيخ الخثعمى قبلتها بالعذرة والقاء الجيف فيها واحتراقها بنار أججها بعض العرب لخلاف
ليهدمن الكعبة فهدمه الله وملكه (وبلغ عبد المطلب ذلك فقال يا معشر قريش)
لا تفزعوا الا نه (لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه) بفتح أوله يدفع عنه من
يريد فسادا كابرهة (ويحفظه) بفعل ما هو سبب فى بقائه كعمارته وهذا اولى من جعل
يحفظه عطف تفسير (ثم جاء ابرهه) أى رسوله كبنى الامير المدينة فعند ابن اسحق فلما نزل
أبرهة المغمس أمر رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مفصود بفاء وصاد مهملة على خيل
له وأمره بالغارة فمضى حتى انتهى الى مكة فساق أموال تهامة وغيرها من قريش وأصاب
فيها مائتى بعير لعبد المطلب وهو يومئذ كبير قريش وسيدها (فاستاق) أبرهة اى رسوله
(ابل قريش وغنمها) قال ابن اسحق نهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم بقتاله
ثم عرفوا انهم لا طاقة لهم به فتركوه (وكان لعبد المطلب فيها أربعمائة ناقة) ظاهره أن
الكل اناث والظاهر أن فيها ذكورا فغلبت الاناث لكثرتها ثم هو مخالف لما عند ابن
اسحق وتبعه ابن هشام وجزم به البغوى واليعمرى والدميرى والشامى من قولهم فأصاب
فيها مائتى بعير لعبد المطلب فيجوز أن الخاص به مائتان وباقيها لبعض خواصه فنسبت اليه
والبعير يقع على الذكر والانثى فلا مخالفة ولم يذكر المصنف كغيره الغنم فيجوز أن عبد المطلب

لم يكن له غنم أوله ولم تذكر لخستها بالنسبة للابل (فركب عبد المطلب فى قريش حتى طلع جبل ثبير) بمثلثة مفتوحة فوحدة مكسورة فتحتية جبل بمكة (فاستدارت دارة غرة) بضم الغين المعجمة أى بياض أى نور (رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفى المختار الغرة بالضم بياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم وفى المصباح الدارة دارة القمر وغيره سميت بذلك لاستدارتها فالمعنى هنا تحصلت دارة غرة المصطفى على سبيل التجريد والافالدارة هى المحيطة بالغرة فلا يصح اسناد الفعل لها الا لاقتضائه تعلق الاستدارة بالدارة ولا يصح (على جبهته) متعلق باستدارت وفى نسخة على جبينه (كالهلال) وجعلت على جبينه لان الغرة فى الجبهة والدائرة حولها اذ او جدت تكون نازلة عن الغرة بالجنبين المحيطين بالجبهة (واشتد شعاعها) حتى صار (على البيت الحرام مثل السراج) أى الشمس مجازا على مقتضى البيضاوى وحقيقة على مقتضى قول القاموس السراج معروف والشمس (فلما نظر) أى أبصر (عبد المطلب الى ذلك) أى استدارة النور فى جبهته وكونه على البيت مثل السراج ولا يشكل بأن الشخص لا يبصر جبهته لانه لما استدار كالهلال أبصر شعاعه وعلم استدارته من أحواله السابقة ويحتمل قصر اسم الاشارة على الشعاع وأخبر عنه بالاستدارة لعلمه من الحاضرين أومن سابق أحواله انه متى وجد كان مستديرا (قال يامعشر قريش ارجعوا) فرحين مستبشرين (فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور منى الا) كان سببا وعلامة على (أن يكون الظفر لنا) وأقسم عليه لوثوقه به بناء على ما اعتاده قبل أولرؤيته على هذه الصورة الزائدة الاشراق غلب على ظنه ظفر (فرجعوا متفرقين ثم ان ابرهة ارسل) الى مكة (رجلا من قومه) هو حناطة بحاء مهملة مضمومة ونون وطاء مهملة الحميرى (ليهزم الجيش) أى يكون سببا فى هزمه بادخال الرعب على قريش أوسماهم جيشا وان لم ينصبوا القتال ومر أنه لما جاء رسوله وساق الابل همت طائفة بقتاله ثم تركوا لعدم طاقتهم له فيجوز أن من نقل أن عبد المطلب جهز جيشا لحرب ابرهة أراد هذا (فلما دخل مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع) أى ذل (وتلجلج) بلامين وجيمين تردد (لسانه) فى الكلام لعجزه (وخر مغشيا عليه فكان) أى صار (يخور) يصوت (كما يخور الثور عند ذبحه) تشبيه لبيان صفة فعله من الصياح واحترز به عن صوت غيره ففى القاموس الخوار بالضم صوت البقر والغنم والظباء والبهائم (فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب) أى وضع جبهته على الارض كذا أبهم فى التعظيم وتجويز غير هذا فى ذا المقام عجيب (وقال اشهد أنك سيد قريش حقا) وعند ابن اسحق بعث ابرهة حناطة الحميرى الى مكة وقال له اسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم فان هو لم يرد حربا فائتنى به فدخل فسأل فقيل له عبد المطلب فقال ما أمره به ابرهة فقال عبد المطلب والله مانريد حربه ومالنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ماعندنا دفع عنه قال حناطة فانطلق اليه فانه أمرنى أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه فتكلم أنيس سائس فيل ابرهة فقال أيها

الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عير مكة ويطعم الناس في السهل والوحوش والطير في رؤس الجبال فاذن له ابرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجلهم وأعظمهم فعظم في عين ابرهة فأجلوا كرمه عن أن يجلس تحته وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له حاجتي أن يرد الملك على مائتي بعير أصابها فقال لترجمانه قل له كنت اعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك أتكلمني في مائتي بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه فقال عبد المطلب انى انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع مني قال أنت وذاك فرد عليه ابله زاد ابن الكلبي فقلدها وأشعرها وجللها وجعلها هديا للبيت وبثها في الحرم انتهى وانصرف الى قريش وأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبشة انتهى فظاهر هذا السياق أن حناطة لم يأت لهزم جيش كما ساق المصنف بل مخبرا بمراد أبرهة وطريق الجمع حمله على التسبب كما مر وأنه لما شاهد شيبة الحمد حصل له ما ذكر المؤلف ثم لما أفاق أخبره بمراد أبرهة قال ابن هشام وكان فيما يزعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب الى ابرهة حناطة بن عمرو بن نباتة بن عدي بن الديل بن بكر بن كنانة وهو يومئذ سيد بني بكر وخويلد بن واثلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على ابرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى فالله اعلم كان ذلك ام لا (وروى أنه لما حضر عبد المطلب عند أبرهة أمر سائس فيله) هو أنيس بضم الهمزة وفتح النون وسكون المثناة التحتية (الاكبر الابيض العظيم) بالجر صفات فيله (الذى كان لا يسجد للملك ابرهة كما تسجد سائر) أى باقي (الفيلة) جمع فيل ويجمع أيضا على افيال وفيول كما في القاموس (ان يحضره بين يديه) ابرهة به شيبة الحمد أولعله من أخبارهم أو كهانهم أن الفيل يهابه وينطق لدفأ حضره (فلما نظر الفيل الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير) قال السهيلي فيه نظر لان الفيل لا يبرك فيحتمل أن بروكه سقوطه الى الارض ويحتمل انه فعل فعل البارك الذى يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبارك عن ذلك وسمعت من يقول في الفيل صنف يبرك كما يبرك الجمل فان صح والا فتأويله ما قدمناه انتهى (وخر ساجدا) وفي الدر المنظم فتعجب أبرهة من ذلك ودعا بالسحرة والكهان فسألهم عن ذلك فقالوا انه لم يسجد له وانما سجد للنور الذى بين عينيه (وأنطق الله تعالى الفيل فقال السلام على النور الذى في ظهرك يا عبد المطلب) ألهم الفيل ان أصله في ظهره فلم يقل بين عينيك لانه فاض مما في ظهره فنوره صلى الله عليه وسلم حين صار الى جده فاض حتى ظهر في جبهته مع بقائه في ظهره وأما السحرة والكهان فنظروا للمشاهد اذ لم يلهموا وهذا والله أعلم انما يأتي على القول المردود المزهق أن ولادته صلى الله عليه وسلم بعد الفيل بأربعين أو بخمسين سنة ولذا ساقه المصنف بصيغة التمريض وتبرأ منه بقوله (كذا في) كتاب (النطق المفهوم) لابن طغربك وقول الخميس كان عبد الله موجودا فالنور منتقل اليه مبني على أن ولادة المصطفى بعد الفيل بسنتين فأما على المشهور من انه كان حملا في بطن امه فمشكل لان النور انتقل الى

آمنة وأجيب بأن الله احدث في عبد المطلب نورا يحاكي ذلك النور المستقر في آمنة مع زيادة حتى صار في جبهته كالشمس وبنور آخر وجده في صلبه واطلع عليه الفيل فسجد اكراما له كما يدل عليه سياق القصة حين احتاج الى كرامة تخلصه وماله من الجبابرة وبأن النور لم ينتقل كله بل انتقل ما هو مادة المصطفى وبقي أثره في صلب اصوله تشريفا لهم وما رآه ابرهة والفيل منه غايته انه زاد اشراقه علامة على ظفرهم وذلك من ارهاصاته صلى الله عليه وسلم اعزازا لقومه قلت الاول أظهر فان ظاهر كلامهم أن النور ينتقل كلا ألا ترى قصة التي عرضت نفسها على الاب الشريف (ولما دخل جيش ابرهة) المغمس بضم الميم وفتح الغين المعجمة وفتح الميم الثانية مشددة وبكسرها قال في الروض عن ابن دريد وغيره وهو أصح وهو على ثلثي فرسخ من مكة انتهى وفي القاموس المغمس كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فظاهره تساوي اللغتين فاقتصار الشامي على الثاني مراعاة لمن صححه (ومعهم الفيل محمود وكنيته أبو العباس حكاه السمرقندي وقيل أبو الحجاج وقدمه الدميري في منظومته فقال

وفيلهم محمود ليل داجي * وكان يكنى بابي الحجاج
وقال قوم بأبي العباس * وكان معروفا بعظم الباس

وظاهره أنهم لم يكن معهم سواه وهو مانقله الماوردي عن الاكثر وقيل كان معهم ثلاثة عشر فيلا هلكت كلها حكاه ابن جرير وجزم به في الروض وعن الضحاك ثمانية افيلة حكاهما البغوي وقال انما وحد في الآية لانه نسبهم الى الفيل الاعظم وقيل لوفاق رؤس الآي ونقل أعني البغوي عن الواقدي أن محمودا نجا لكونه ربض ولم يتجرأ على الحرم انتهى فقول ابن جرير هلكت كلها يريد الا محمودا وقيل عشرة وقيل كان معهم ألف فيل حكاهما الخميس (لهدم الكعبة الشريفة) قال بعضهم بأن تجعل السلاسل في اركان البيت وتوضع في عنق الفيل ثم يزجر ليلقي الحائط جملة واحدة وقال مقاتل كان القصد أن يجعل الفيل مكان الكعبة ليعبد ويعظم كتعظيمها وهو بعيد من السياق (برك) بفتح الراء (الفيل) وعند ابن اسحق فأصبح ابرهة متهيئا لدخول مكة وهيأ فيله محمودا وعبى جيشه وأجمع على هدم البيت ثم الانصراف الى اليمن فلما وجهوا الفيل الى مكة أقبل نفيل بن حبيب كذا عند ابن هشام وقال السهيلي عن البرقي كيونس عن ابن اسحق نفيل بن عبد الله بن جزى بن عامر بن مالك حتى قام الى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال له ابرك محمود أو ارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل اذنه فبرك الفيل فضربوه ليقوم فأبى (فضربوه في رأسه ضربا شديدا ليقوم فأبى) نحوه قول ابن اسحق فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فأدخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى * الطبرزين بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وسكونها آلة عوجاء من حديد * والمحاجن جمع محجن عصا معوجة وقد يجعل في طرفها حديد * والمراق اسفل البطن * وبزغوه بفتح الموحدة وزاي مشددة فغين معجمة شرطوه بحديد المحاجن (فوجهوه راجعا الى اليمن فقام) قال ابن اسحق يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك قال

امية بن أبي الصلت

ان آيات ربنا بينات * ما يمارى بهن الا الكفور

حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور

وفى معانى القرآن للزجاج لم تسمر دوابهم نحو البيت فاذا عطفوها راجعين سارت وفى رواية يونس عن ابن اسحق كما فى الروض أن الفيل ربض فجعلوا يقسمون بالله انهم رادوه الى اليمن فيحرك لهم اذنيه كأنه يأخذ عليهم عهدا فاذا قسموا له قام يهرول فيردونه الى مكة فيربض فيحلفون له فيحرك لهم اذنيه كالمؤكد عليهم القسم ففعلوا ذلك مرارا (ثم) بعد بروك الفيل (أرسل الله عليهم طيرا أبابيل) قال الشامى أى جماعات أمام كل جماعة طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق قيل لا واحد له وقيل واحده ابول كعجول بكسر العين والتشديد مع الفتح أو ابال كمفتاح أو ابيل كسكين البيضاوى جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها (من البحر) قال ابن اسحق امثال الخطاطيف والبلسان وعن عبد المطلب امثال اليعاسيب ابن عباس لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب عكرمة لها رؤس كرؤس السباع واختلفوا فى ألوانها فقال عكرمة وسعيد ابن جبير كانت خضراء وقال عبيد بن عمير سوداء وقال قتادة بيضاء حكاه ابن الجوزى فى زاد المسير وروى سعيد بن منصور عن عبيد بن عمير انها بلق والجمع بينها انها كانت مختلفة فأخبر كل بحسب ما رأى أو سمع وفى الشرح جمع آخر فيه تكلف (مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه) وعلى كل حجر اسم من يقع عليه واسم أبيه كما جاء عن أم هانئ (كامثال العدس) تقريبا فلا ينافى قول الشامى اكثر الاحاديث يدل على انها كانت اكبر من العدسة ودون الحمصة وفى بعضها كانت اكبر وكأنما كان فيها الكبير والصغير فحدث كل بما رأى أو سمع وعن ابن عباس انه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز حجر مخططة كالجزع الظفارى بفتح الجيم وتكسر وسكون الزاى خرز يمانى فيه سواد وبياض كما فى القاموس وأراد بالتشبيه أن حمرتها غير صافية أو فى المقدار والشكل فلا يشكل التشبيه مع قوله حمر والظفارى قال فى الفتح نسبة الى ظفار مدينة بسواحل اليمن وحكى ابن التين فى ضبط ظفار كسر أوله وصرفه أو فتحه والبناء بوزن قطام انتهى (لا تصيب أحدا منهم الا اهلكته) وكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره فان كان راكبا خرج من اسفل مركبه (فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق) ويهلكون على كل منهل وليس كلهم اصيب وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاؤا منه يسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل

أين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب ليس الغالب

قاله ابن اسحق * وروى أبو نعيم عن عطاء بن يسار قال حدثنى من كلم قائد الفيل وسائسه انه قال لهما اهل نجا أحد غيركما قالا نعم ليس كلهم أصابه العذاب وقالت عائشة لقد رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان الناس بمكة رواه ابن اسحق مسندا وانما بقى منهم بقية على حالة غير مرضية تذكيرا لمن رأى واعلاما لمن لم ير فيزداد البيت تعظيما ويكون سببا فى تصديقه صلى الله عليه وسلم والعلم بمنزلته عند الله وفى زاد المسير وبعث عبد المطلب ابنه

عبد

عبد الله على فرس ينظر الى القوم فجعل يركض ويقول هلك القوم فخرج عبد المطلب وأصحابه فغنموا أموالهم وفى الروض عن تفسير النقاش ان السيل احتمل جثثهم وألقاها فى البحر (وأصيب ابرهة فى جسده بداء) هو الجدرى وهو أول جدرى ظهر قاله عكرمة أى بأرض العرب فلا ينافى ماقيل أول من عذب بالجدرى قوم فرعون وقال ابن اسحق حدثنى يعقوب بن عتبة انه حدث أن أول مارؤيت الحصباء والجدرى بأرض العرب ذلك العام انتهى وبهذا القيد لا يرد قوم فرعون لانهم لم يكونوا بها (وتساقطت انامله انملة انملة) أى انتثر جسمه والانملة طرف الاصبع لكن قد يعبر بها عن طرف غيره وعن الجزء الصغير ففى مسند الحرث بن أبى اسامة مرفوعا ان فى الشجر شجرة هى مثل المؤمن لا يسقط لها انملة ثم قال هى النخلة وكذلك المؤمن لا يسقط له دعوة قاله السهيلى (وسال منه الصديد) القيح وهو المدة الرقيقة (والقيح) يعنى به المدة الغليظة (والدم) وعند ابن اسحق كلما سقطت منه انملة تبعها مدة تمث قيحا ودما وظاهر المصنف كغيره انه لم يصب بحجر والظاهر أن الداء الذى أصابه بعد وقوع حجر عليه ولم يعجل هلاكه به زيادة فى عقوبته والمثلة به ويؤيده أن الذين اصيبوا بالحجارة لم يموتوا كلهم سريعا بل تأخر موت جمع منهم (ومامات حتى انصدع) أى انشق (قلبه) وفى ابن اسحق وغيره حتى انصدع صدره عن قلبه بصنعاء وفى رواية كلما دخل ارضا وقع منه عضو حتى انتهى الى بلاد خثعم وليس عليه غير رأسه فمات فيجوز أنه مات بها وحمل الى صنعاء ميتا أو عبر بذلك مجاز القربه منه أو لظن المخبر موته لرؤيته وصل لهذه الحالة لا سيما وهم مشغولون بأنفسهم وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائره يحلق فوق رأسه وهو لا يشعر به حتى بلغ النجاشى فأخبره بما أصابهم فلما أتم كلامه رماه الطائر فوقع عليه الحجر فخر ميتا فرأى النجاشى كيف كان هلاك أصحابه (والى هذه القصة اشار سبحانه وتعالى بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم) مما عدّ على قريش من نعمه عليهم وفضله لبقاء أمرهم ومدتهم قاله ابن اسحق (ألم تر) استفهام تقرير أى ألم تعلم قرره على وجود علمه بما ذكر وبه جزم فى النهر وقيل تعجب لنقله نقل المتواتر وبه جزم الجلال أى قد علمت أو تعجب (كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) عبر بكيف دون ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله اقرأ (السورة الى آخرها) وقد تلاها والتى بعدها معا ابن اسحق وجعلها متعلقة بها كما هو أحد الاوجه وفى الكشاف وحياة الحيوان والى هذه القصة اشار صلى الله عليه وسلم فى الصحيح بقوله ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين انتهى وهو بيان لحالهم اذ خالفوا الله ورسوله والسورة أنسب فى تعظيم جد المصطفى وقومه لاجله صلى الله عليه وسلم فلذا اقتصر عليها المصنف (فان قلت لم قال تعالى له عليه الصلاة والسلام ألم تر مع أن هذه القصة كانت قبل البعث بزمان طويل) اذ هى عام ولادته على اصح الاقوال وهو قول الاكثر وقال مقاتل قبل مولده بأربعين سنة وقال الكلبى بثلاث وعشرين سنة وقيل بثلاثين وقيل بخمسين وقيل بسبعين وقيل غير ذلك (فالجواب ان المراد من الرؤية هنا العلم والتذكر) أى قد علمت فهو تقريرى (وهو اشارة الى ان الخبر به) أى بالواقع لاصحاب الفيل (متواتر فكان العلم الحاصل

قوله تمث اعله تنمى أى تنصب اه مصححه

به ضرورى مساو فى القوة للرؤية) كما هو شأن المتواتر (وقد كانت هذه القصة دالة على شرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتأسيسا لنبوته وارهاصا لها) هما متساويان والمراد أنها توطئة وتقوية لنبوته (واعزازا لقومه) أى تقوية لهم بعد الذل بما أصابهم من ابرهة واستعمال العز فيمن لم يسبق له ذل مجاز كقوله ان العزة لله جميعا (بما ظهر عليهم من الاعتناء) أى اعتناء الناس (حتى دانت) أى خضعت وذلت (لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم على سائر الناس) بقيتهم (بحماية الله لهم ودفعه عنهم) عطف تفسير فالحماية الدفع فقالت العرب كما فى ابن اسحق أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم وقالوا فى ذلك اشعارا كثيرة (مكر أبرهة) أى ارادته السوء بهم سماه مكرا مع انه الاحتيال من حيث لا يعلم الممكور به وأبرهة جاء مجاهرا لحربهم نظرا للعزمه على تخريب الكعبة وهم لا يشعرون (الذى لم يكن للعرب جميعا) وفى نسخة لسائر العرب وهى أيضا بمعنى الجميع عند الجوهرى فى جماعة وان خطؤه فيه لانها لغة قليلة حكاها القاموس وغيره وقدمر بسطه فى الديباجة (بقتاله) أى عليه متعلق بقوله (قدرة) قدم عليه لانه ظرف (وكان ذلك كله ارهاصا لنبوته عليه الصلاة والسلام) وهو فائدة ذكرا قصة هنا لا لتعظيم ما كانت عليه قريش فان أصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب وكان دينهم حينئذ أقرب حالا مما كان عليه أهل مكة لانهم كانوا عباد أوثان فنصرهم الله نصرا لا صنع لبشر فيه فكانه يقول لم انصركم لخيريتكم ولكن صيانة للبيت العتيق الذى سيشرفه خير الانبياء صلى الله عليه وسلم (قال) الامام العلامة فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين البكرى الطبرستانى الاصل (الرازى) المولد المعروف بابن الخطيب فاق أهل زمانه فى علم الكلام والاوائل وتوفى سنة ست وستمائة بمدينة هراة (ومذهبنا انه يجوز تقديم المعجزات على زمان البعثة تأسيسا) تقوية لها قال (ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله عليه الصلاة والسلام يعنى قبل بعثته) وأنت خبير بأن قولهم ذلك لا يلزم منه انهم سموها معجزة الذى هو محل النزاع (وخالفه العلامة السيد المحقق على الجرجانى (فى شرح المواقف تبعا لغيره) وهم الجمهور (فاشترط فى المعجزات أن لا تتقدم على الدعوة) الى كلمة الاسلام (بل تكون مقارنة لها) فالخوارق الواقعة قبل الرسالة انما هى كرامات والانبياء قبل النبوة لا يقصرون عن درجة الاولياء فيجوز ظهورها عليهم أيضا فتسمى ارهاصا صرح به السيد وهو مذهب جمهور أئمة الاصول وغيرهم كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى المقصد الرابع (فان قلت) اهلاك الله أصحاب الفيل اعزاز النبيه وحرمه و(ان الحجاج) بن يوسف الثقفى الظلوم المختلف فى كفره واختار الامام أبو عبد الله بن عرفة انه كافر قال الابى رحمه الله فاوردت عليه صلاة الحسن البصرى عليه فاجاب بأنها توقف على صحة الاسناد اليه انتهى وفى الكامل للمبرد مما كفر به الفقهاء الحجاج انه رأى الناس يطوفون حول حجرته صلى الله عليه وسلم فقال انما يطوفون بأعواد ورمة قال الدميرى كفروه بهذا لانه تكذيب لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم على الارض أن تأكل اجساد الانبياء رواه أبو داود (خرب الكعبة) لما أرسله عبد الملك بن مروان الى قتال عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما لينزع منه الخلافة فتحصن عبد الله منه فى البيت فرمى الكعبة بالمنجنيق ثم ظفر

به فقتله سنة ثلاث وسبعين ووقع قبله فى زمن يزيد بن معاوية حين أرسل الحصين بن نمير السكونى لقتال ابن الزبير لامتناعه من مبايعة يزيد فنصب المنجنيق على أبى قبيس وغيره من جبال مكة ورمى الكعبة وكسر الحجر الاسود واحترقت الكعبة حتى انهدم جدارها وسقط سقفها ثم ورد لهم الخبر بموت يزيد عامله الله بعدله فرجعوا الى الشام (ولم يحدث شئ من ذلك) الذى وقع لاصحاب الفيل فما الفرق (فالجواب أن ذلك وقع ارهاصا) اى تأسيسا (لامر نبينا صلى الله عليه وسلم والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه) أى ظهوره وثبوت نبوته (فلما) أى حيث (ظهر عليه الصلاة والسلام وتأكدت نبوته بالدلائل القطعية فلا حاجة الى شئ من ذلك) جواب لما ودخلته الفاء على قلة وايضاح هذا جواب الشامى بأنه انما لم يمنعوا لان الدعوة قد تمت والكلمة قد بلغت والحجة قد ثبتت فأخر الله أمرهم الى الدار الآخرة وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بوقوع الفتن وأن الكعبة ستهدم انتهى أى فكان عدم منعهم مظهر المعجزته من الاخبار بالغيب وأجاب النجم بأن ابرهة قصد تخريب بالكلية وعدم عودها فلذا عوجل بالعقوبة والحجاج انما قصد بالتخريب اذهاب صورة بناء ابن الزبير واعادتها على حالتها الاولى فلم يحدث له شئ وفيه نظر فانه حين قتاله لابن الزبير لم يكن قصده اذهاب صورة بنائه وانما أراد ذلك بعد قتله فكتب الى عبد الملك يستشيره كما قالوه فى بناء الكعبة ولك أن تقول لا يرد الاشكال من أصله لان جيش يزيد والحجاج انما قاتلوا على الملك ولم يقصدوا هدم الكعبة ولم يسيروا اليه كابرهة وما وقع من التخريب ادّى اليه القتال ثم اعاده ابن الزبير بعد ذهاب جيش يزيد واستقراره فى الخلافة بمكة وبعض البلاد على قواعد ابراهيم على ما حدّثته به خالته عائشة ثم لما غزاه الحجاج وتهدّم البيت اعاده الحجاج بأمر عبد الملك على ما كان عليه فى الجاهلية وهو صفته اليوم * (ذكر حفر زمزم والذبيحين * ولما فرج الله تعالى عن عبد المطلب ورجع ابرهة خائبا فبينما هو نائم يوما) أراد به مطلق الزمان فلا ينافى قول عبد المطلب رأيت الليلة كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره وآتوا حقه يوم حصاده الى ربك يومئذ المساق لا مقابل الليلة نحو سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام ولا مدة القتال نحو ويوم حنين ولا الدولة كقوله وتلك الايام نداولها بين الناس (فى الحجر اذ رأى منا ما عظيما) هو كما رواه أبو نعيم من طريق أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم عن أبيه عن جده قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال بينما انا نائم فى الحجر اذ رأيت رؤيا هالتنى ففزعت منها فزعا شديدا فأتيت كاهنة قريش فقلت لها انى رأيت الليلة كأن شجرة نبتت قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب وما رأيت نورا ازهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورأيت العرب والعجم لها ساجدين وهى تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ساعة تخفى وساعة تظهر ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا باغصانها ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها أخذهم شاب لم ارقط أحسن منه وجها ولا اطيب ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع اعينهم فرفعت يدى لاتناول منها نصيبا فلم انل فقلت لمن النصيب فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك فانتبهت مذعورا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك

المشرق والمغرب وتدين له الناس فقال عبد المطلب لابى طالب لعلك أن تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى صلى الله عليه وسلم قد خرج أى بعث ويقول كانت الشجرة والله أبا القاسم الامين فيقال له ألا تؤمن به فيقول السبة والعار أى اخشى أو يعنى فهما منصوبان أو مرفوعان أو المراد بالمنام ما فى الروض فى سبب تسميته محمدا عن على القيروانى العابر فى كتابه البستان قال زعموا أن عبد المطلب رأى فى منامه كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء وأهل الارض (فانتبه) حال كونه (فزعا مرعوبا) والمراد بهما واحد فالفزع والرعب الخوف (وأتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه) وهذا مخالف لقوله فى رواية أبى نعيم فأتيت كاهنة قريش فقلت لها الا أن يقال اللام فى الكهنة للجنس والمعنى انما خرج قاصدا جملة الكهنة فاتفق انه اختار هذه للسؤال (فقالت له الكهنة) اللام للجنس أو اشتهر قولها وبلغهم وأقروه فنسب لهم (ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السموات والارض وليكونن فى الناس علما مبينا) أى كالراية الظاهرة فالعلم بفتحتين الراية كما فى المختار (فتزوج فاطمة) بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم (وحملت فى ذلك الوقت بعبد الله الذبيح) فيه نظر لان عبد الله اصغر أولاد فاطمة وقد ذكر العمرى وغيره أن أبا طالب والزبير وعبد الكعبة اشقاء لعبد الله اللهم الا أن يكون تجوز فى قوله فى ذلك الوقت مبالغة فى قرب حملها به ثم هذا الذى ذكره المصنف من أن الرؤيا وحفر زمزم كانا بعد الفيل انما يأتى على انه قبل المولد النبوى بأربعين أو سبعين سنة أما على المشهور أنها كانت عامه فلا يتصور أصلا الا أن يكون مراده مجرد الاخبار بقصة بعد أخرى والمعنى بعد ما ذكرنا أن الله فرج عن عبد المطلب نقول بينما هو نائم والتزامه الترتيب على السنين انما هو من حين نشأة المصطفى كما قال فى الديباجة فلا يرد هذا عليه لكن هذا فى غاية التعسف بل لا يصح مع قوله لما فرج وخاب ابرهة نام فرأى فتزوج فجعله جوابا لما (وقصته) أى وصفه بالذبيح (فى ذلك مشهورة مخرجة عند الرواة مسطورة وكان سببها حفر أبيه عبد المطلب زمزم) أى اظهارها وتجديدها كما يعلم من قوله بعد وبالغ فى طمها * ذكر البرقى عن ابن عباس سميت زمزم لانها زمت بالتراب لئلا تأخذ يمينا وشمالا ولو تركت لساحت على الارض حتى تملأ كل شئ وقال الحربى لزمزمة الماء وهى صوته وقال أبو عبيد لكثرة مائها وقيل غير ذلك وليس بخلاف حقيقى فقد تكون التسمية لجميع ذلك وحكى المطرزى أن اسمها زمازم وزمزم قال السهيلى وتسمى أيضا همزة جبريل بتقديم الميم على الزاى ويقال أيضا هزمة جبريل أى بتقديم الزاى لانها هزمته فى الارض وتسمى أيضا طعام طعم وشفاء سقم انتهى والاخير لفظ حديث مرفوع عند الطيالسى عن أبى ذر وأصله فى مسلم كما ذكر السخاوى وروى الدارقطنى والحاكم عن ابن عباس رفعه ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتستشفى شفاك الله وان شربته لشبعك اشبعك الله وان شربته لقطع ظمئك قطعه الله هى

هزمة جبريل وسقيا الله اسمعيل وفى سيرة ابن هشام هى بين صنمى قريش اساف ونائلة عند
منحر قريش كان جرهم دفنها حين ظعن من مكة وهى بئر اسمعيل التى سقاه الله حين ظمئ
وهو صغير فالتمست له امه ماء فلم تجده فقامت على الصفا تدعوا الله وتستسقيه لاسمعيل
ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك فبعث الله جبريل فهمزها بعقبه فى الارض وظهر الماء
وسمعت امه اصوات السباع فخافت عليه فأقبلت نحوه فوجدته يفحص بيده عن الماء تحت
خده ويشرب قال السهيلى حكمة همز جبريل بعقبه دون يده أو غيرها الاشارة الى انها
لعقبه أى اسمعيل ووارثه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأمته كما قال تعالى وجعلها كلمة باقية
فى عقبه انتهى وانما حفرها عبد المطلب (لان الجرهمى) بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء
نسبة الى جرهم حى من اليمن سموا باسم جرهم بن قحطان ابن نبى الله هود كما فى التيجان (عمرو
ابن الحرث) بن مضاض بكسر الميم وضمها (لما احدث قومه) جرهم وكانوا ولاة البيت
والحكام بمكة لا ينازعهم بنو اسمعيل لخؤلتهم وقرابتهم واكراما لمكة أن يكون بها بغى
أو قتال (بحرم الله الحوادث) فبغوا بمكة وظلموا من دخلها من غير أهلها واكلوا مال
الكعبة الذى يهدى لها فساءت حالهم (وقيض الله لهم من أخرجهم من مكة) قال القاضى
تقى الدين الفاسى فى شفاء الغرام اختلف أهل الاخبار فيمن اخرج جرهما من مكة اختلافا
يعسر معه التوفيق فقيل بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة وغبشان بن خزاعة لمنعهم بنى عمرو بن
عامر الاقامة بمكة حتى يصل اليهم رواؤهم وقيل عمرو بن ربيعة بن حارثة لطلبهم حجابة البيت
وقيل بنو اسمعيل بعد أن سلط الله على جرهم آفات من رعاف وغل حتى فنى به من أصابهم
بمكة وقيل سلط على ولاة البيت منهم دواب فهلك منهم فى ليلة واحدة ثمانون كهلا سوى
الشبان حتى رحلوا من مكة والقول الاول ذكره ابن اسحق فقال ان بنى بكر وغبشان لما
رأوا بغيهم أجمعوا لحربهم واخراجهم من مكة فاذنوا بالحرب فاقتتلوا فغلبهم بنو بكر
وغبشان فنفوهم من مكة وكانت مكة فى الجاهلية لا تقر فيها بغيا ولا ظلما ولا يبغى فيها أحد
الا اخرجته فكانت تسمى الناسة ولا يريدها ملك يستحل حرمتها الا هلك مكانه فيقال سميت
بكة لانها تبك اعناق الجبابرة (فعمد) بفتح الميم ومضارعه بكسرها كذا المنقول ورأيت
فى بعض الحواشى ان فى بعض شروح الفصيح وأظنه عزاه للسبكى انه يجوز فيه العكس
قاله فى النور أى قصد (عمرو الى نفائس) هى غزالان من ذهب وسيوف وأدراع وحجر
الركن كما عند ابن هشام وغيره (فجعلها فى زمزم) بمنع الصرف للتأنيث والعلمية قاله
المصباح (وبالغ فى طمها) بفتح الطاء المهملة وكسر الميم المشددة بعدها هاء قال القاموس
طم الركية دفنها وسواها وفيه أيضا الركية البئر (وفر الى اليمن بقومه) فحزنوا على ما فارقوا
من أمر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا الابيات
بتمامها فى ابن اسحق قيل كانت ولاية جرهم مكة ثلثمائة سنة وقيل خمسمائة وقيل ستمائة
سنة (فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة) وفى رواية بقيت مطمومة بعد جرهم زهاء
خمسمائة سنة لا يعرف مكانها (الى أن رفعت) ازيلت (عنها الحجب) الموانع التى منعت
من معرفتها (برؤيا منام رآها عبد المطلب دلته على حفرها بامارات عليها) روى ابن اسحق

بسنده عن علي قال قال عبد المطلب اني لنائم في الحجر اذ أتاني آت فقال احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني وقال احفر زمزم قلت وما زمزم قال لا تنزف ابدا ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل * برة بفتح الموحدة وشد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها قال في الروض هو اسم صادق عليها لانها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار * والمضنونة بضاد معجمة ونونين لانها ضن بها على غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق قاله وهب بن منبه وروى الدارقطني مرفوعا من شرب زمزم فليتضلع فانه فرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون أن يتضلعوا منها وفي رواية الزبير بن بكار أن عبد المطلب قيل له احفر المضنونة ضننت بها على الناس الا عليك * ولا ينزف بكسر الزاي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها ولا تذم بمعجمة لا توجد قليلة الماء من قول العرب بئر ذمة أي قليل ماؤها وهذا لانه نفي مطلق وخبر صادق اولى من الحمل على نفي ضد المدح لانها مذمومة عند المنافقين قاله السهيلي * قال والغراب الاعصم فسره صلى الله عليه وسلم بأنه الذي احدى رجليه بيضاء رواه ابن أبي شيبة وأطال في الروض في وجه تأويل هذه الرؤيا بما يحسن كتبه بالعسجد لكن الرهبة من التطويل تمنع من جلبه (فمنعته قريش من ذلك) ظاهره انها منعته من أصل الحفر ونازعته ابتداء والذي رواه ابن اسحق عن علي عقب ما مر فلما بين له شأنها ودل على موضعها وعرف انه صدق غدا بمعوله ومعه ولده الحرث ليس له يومئذ ولد غيره فجعل يحفر ثلاثة أيام فلما بدا له الطي كبر وقال هذا طي اسمعيل فقاموا اليه فقالوا انها بئر ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فيها قال ما انا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم احاكمكم اليه قالوا كاهنة سعد بن هذيم قال نعم وكانت باشراف الشام بالغاء فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتى اذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام ظمئ عبد المطلب وأصحابه حتى ايقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فابوا وقالوا انا بمفازة نخشى على انفسنا مثل ما أصابكم فلما رأى ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال ماذا ترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فمرنا بما شئت فامرهم فحفروا قبورهم وقال من مات واراه أصحابه حتى يكون الآخر فضيعته أيسر من ركب وقعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم قال والله ان القاءنا بايدينا للموت لعجز لنضربن في الارض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد وركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملؤا اسقيتهم ثم دعا قبائل قريش فقال هلم الى الماء فقد سقانا الله فاستقوا واشربوا ثم قالوا قد والله قضي لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم ابدا ان الذي اسقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو أسقاك زمزم فارجع الى سقايتك

راشدا

راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبينها (ثم آذاه من السفهاء من آذاه) هو عدى بن نوفل بن عبد مناف قال له يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال أبالقلة تعيرني فوالله لئن آتاني الله عشرة من الولد ذكورا لأنحرن أحدهم عند الكعبة رواه ابن سعد والبلاذري وفى الخميس سفه عليه وعلى ابنه ناس من قريش ونازعوهما وقاتلوهما (واشتد ذلك بلواه وكان معه ولده الحرث ولم يكن له ولد سواه فنذر) مرة أنه حلف فيحتمل انه المراد بالنذر أو أتى بصورة الالتزام تكررت مرة بالنذر وأخرى بالحلف (لئن جاءه عشر بنين وصاروا له أعوانا) أى بلغوا أن يمنعوه وبه عبر ابن اسحق وأتباعه (ليذبحن أحدهم قربانا) لله عند الكعبة (واحتفر عبد المطلب زمزم) فى عامه ذلك هو وابنه الحرث فقط فعند ابن اسحق فغدا عبد المطلب ومعه الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء بالمعول وقام يحفر حيث أمر فقامت اليه قريش فقالوا والله ما نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال لابنه ردّ عنى حتى أحفر فوالله لامضين لما أمرت به فلما عرفوا انه غير تارك خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطى فكبر وعرف انه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد الغزالين والاسياف والادراع التى دفنتها جرهم فقالت قريش انا معك فى هذا شرك قال لا ولكن هلم الى أمر نصف بينى وبينكم نضرب عليها القداح قالوا كيف نصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا انصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وأسودين له وأبيضين لقريش فخرج الاصفران على الغزالين للكعبة والاسودان على الاسياف والادراع له وتخلف قدحا قريش فضرب الاسياف بابا للكعبة وضرب بالباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة فيما يزعمون ثم أتم حفر زمزم وأقام سقايتها للحاج (فكانت له فخرا وعز) على قريش وعلى سائر العرب ذكر الزهرى فى سيرته انه اتخذ عليها حوضا يستقى منه فكان يخرب بالليل حسدا له فلما أهمه ذلك قيل له فى النوم قل لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل فلما أصبح قالها فكان من أرادها بمكروه رمى بداء فى جسده حتى انتهوا عنه * حل بكسر الحاء أى من الحرام وبل بكسر الموحدة مباح وقيل شفاء وعند ابن اسحق فعفت زمزم على آبار كانت قبلها وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام وفضلها على ماسواها ولانها بئر اسمعيل وافتخر بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب وعند غيره فكان منها شرب الحاج وكان لعبد المطلب ابل كثيرة يجمعها فى الموسم ويسقى لبنها بالعسل فى حوض من أدم عند زمزم ويشترى الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج ليكسر غلظها وكانت اذ ذاك غليظة فلما توفى قام بالسقاية العباس وكان له كرم بالطائف فكان يحمل زبيبه اليها ويسقيه الحاج أيام الموسم فلما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح قبض السقاية منه ثم ردها اليه (فلما تكامل بنوه عشرة) بعد حفر زمزم بثلاثين سنة كما عند ابن سعد والبلاذرى زاد غ (وهم الحرث) وأمه صفية بنت جندب

(والزبير) بفتح الزاى عند البلاذرى وأبى القاسم الوزير وضمها عند غيرهما وهو مفاد التبصير وأمه فاطمة بنت عمرو (وحجل) بفتح المهملة فجيم ساكنة عند الدارقطنى وتبعه النووى والذهبى والعسقلانى وهو فى الاصل القيد والخلخال وضبطه اليعمرى تبعا لابن اسحق بتقديم الجيم على الحاء الساكنة وصدّر به المصنف فيما يأتى وهو السقاء الضخم وذكر المصنف ثم أن اسمه المغيرة وتبع فيه الذهبى ووهمه الحافظ وقال الذى اسمه مغيرة ابن أخيه حجل بن الزبير بن عبد المطلب انتهى وأمه هالة بنت وهيب (وضرار) بضاد معجمة وراءين بينهما ألف وهو شقيق العباس (والمقوم) بفتح الواو مشددة اسم مفعول وكسرها مشددة اسم فاعل كذا بخطى ولا أدرى الآن من أين هو قاله فى النور وأمه هالة (وأبو لهب) عبد العزى وأمه آمنة بنت هاجر (والعباس) رضى الله عنه وأمه نتلة بفتح النون وسكون الفوقية ويقال نتيلة بضم النون وفتح الفوقية مصغرا واقتصر عليه التبصير (وحمزة) عبد الشهداء رضى الله عنه وأمه هالة بنت وهيب (وأبو طالب وعبد الله) والده صلى الله عليه وسلم وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم قال شيخنا وهذه النسخة لا تناسب ما يأتى أن حمزة والعباس انما ولدا بعد الوفاء بالنذر فلعلها غير صحيحة انتهى أما الاول فواضح وأما ترجى عدم صحتها فلا اذ من المعلوم القول بأن أولاده عشرة فقط فيحتمل أن المراد بحمزة والعباس هنا اثنان من ولد ولده وافقا اسم ابنيه (وقرّ الله عينه بهم) كذا فى نسخ وسقطت الجلالة من أخرى وهى التى عند شيخنا فقال العين حاسة الرؤية مؤنثة ذكر الفعل لان تأنيثها غير حقيقى (نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى فى المنام قائلا يقول) له (يا عبد المطلب أوف) بهمزة قطع (بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ) حال كونه (فزعا مرعوبا) أى خائفا وهما بمعنى كما مرّ (وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى أن قرّب ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرّب ثورا) ذكر البقر سمى ثورا لانه يثير الارض كما سميت البقرة بقرة لانها تبقرها (ثم نام فرأى أن قرّب ما هو أكبر من ذلك فانتبه وقرّب جملا) نحره (وأطعمه للمساكين) والفقراء لانهما اذا افترقا اجتمعا (ثم نام فنودى أن قرّب ما هو أكبر من ذلك فقال وما هو أكبر من ذلك قال قرّب أحد أولادك الذى نذرته) أى نذرت ذبحه (فاغتم غما شديدا) أى أصابه كرب وحزن (وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء) بالنذر (فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا) أى فأى واحد تريد ذبحه لنعينك عليه (قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا) قال المصنف (والقدح) بكسر القاف وسكون الدال وحاء مهملة (سهم بغير نصل) ولفظ القاموس القدح بالكسر السهم قبل أن يراش وينصل (ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوا به ففعلوا وأخذوا قداحهم) بكسر القاف جمع قدح ويجمع أيضا على أقداح وأقاديح كما فى القاموس (ودخلوا على هبل) بضم الهاء وفتح الموحدة فلام (اسم صنم عظيم) من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب كذا ذكر ابن الكلبى فى كتاب الاصنام انه بلغه (وكان فى جوف الكعبة) وكان تحته بئر يجمع فيها ما يهدى للكعبة قاله ابن اسحق وغيره (وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده) قال ابن

قوله وقرّ الله الخ الذى فى القاموس انه يتعدى بالهمزة فيقال أقرّ الله عينه فليراجع اه مصححه

اسحق كان عنده قداح سبعة كل قدح فيه كتاب قدح العقل اذا اختلفوا من يحمله وقدح
نعم للأمر اذا أرادوه وقدح فيه لا وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح
فيه المياه اذا أرادوا حفرها فكانوا اذا أرادوا الختان أو النكاح أو دفن ميت أو شكوا
في نسب ذهبوا الى هبل بمائة درهم وجزور فأعطوها الذي يضرب بها ثم ما خرج عملوا به
انتهى ملخصا ففسرها كلها وأقره عبد الملك بن هشام وأما ابن الكلبي فقال مكتوب
في أولها صريح والآخر ملصق واذا شكوا في مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح فان
خرج صريح ألحقوه وان كان ملصقا دفعوه وقدح على الميتة وقدح على النكاح وثلاثة
لم تفسر لي على ما كانت فاذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفرا أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح
عنده فما خرج عملوا به وانتهوا اليه وفسر ضرب القداح بقوله (ويستقسمون بها أي
يرتضون بما يقسم لهم ثم يضرب بها القيم الذي لها) والمعنى كانوا يتفقون عند القيم بالرضا
بما خرج فكل من خرج اسمه على شيء رضي به (قال فدفع عبد المطلب الى ذلك القيم القداح
وقام) عبد المطلب (يدعو الله تعالى) ويقول اللهم اني نذرت لك نحر أحدهم واني أقرع
بينهم فأصب بذلك من شئت ثم ضرب السادن القدح (فخرج على عبد الله وكان أحب
ولده اليه فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة) بفتح الشين المعجمة وسكون
الفاء وهي السكين العظيم كما في القاموس أو العريض كما في المصباح ولا خلف (ثم أقبل
الى اساف) بكسر الهمزة وفتح المهملة مخففة (ونائلة) بنون فألف فتحتية (صنمين
عند الكعبة) قال هشام الكلبي في كتاب الاصنام اساف رجل من جرهم يقال له اساف
ابن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقها في أرض اليمن فحجا فدخلا الكعبة فوجدا
غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فيه فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين
فوضعوهما موضعهما ليتعظ بهما الناس فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها
(تذبح وتنحر عندهما النسائك فقام اليه سادة قريش) وعند ابن اسحق وغيره فقامت اليه
قريش في أنديتها (فقالوا ما تريد أن تصنع) فلعل السادة هم الذين بدؤا بالقيام والقول
فتبعوهم وفي ابن اسحق فقالت له قريش وبنوه والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر ولا يشكل بقوله
قبله فأطاعوه كقول المصنف انا نطيعك فمن تذبح منا لانهم وافقوه أولا ثم وافقوا قريشا
في طلب الاعذار ووقع في الشامية أن العباس جذب عبد الله من تحت رجل أبيه حين
وضعها عليه ليذبحه فيقال انه شج وجهه شجة لم تزل فيه حتى مات انتهى ولا يصح لان
العباس انما ولد بعد هذه القصة الا أن يقال على بعد شاركه في اسمه غيره من بني اخوته
(فقال أوفي بنذري) بضم الهمزة وسكون الواو وفاء خفيفة أو بفتح الواو وشد الفاء
يقال أوفى ووفى بمعنى (فقالوا لا ندعك تذبحه حتى تعذر) بضم فسكون من الاعذار
يقال أعذر اذا أبدى العذر والمراد حتى تطلب عذرا (فيه) في ذبحه (الى ربك) بأن
تسأل الكاهنة فانها ان ذكرت انه يذبح كان عذرا عندهم (ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل
يأتي بابنه فيذبحه) فما بقاء الناس على هذا وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان
عبد الله ابن أخت القوم والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فان كان فداؤه بأموالنا فديناه

هكذا في ابن اسحق (وتكون سنة) أي طريقة مستمرة في قومك لا تلك رايتهم فيقتدون بك (وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة) وعند ابن اسحق وأتباعه وانطلق الى الحجاز فان به عرافة لها تابع من الجن وهو بتقدير مضاف أي أحد أرض الحجاز فلا يخالفه قول القاموس الحجاز مكة والمدينة والطائف (قيل كان اسمها قطبة كما ذكره الحافظ عبد الغني) بن سعيد ابن علي الازدي الامام المتقن النسابة امام زمانه في علم الحديث وحفظه قال البرقاني ما رأيت بعد الدارقطني أحفظ منه له مؤلفات منها المبهمات ولد سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ومات في سابع صفر سنة تسع وأربعمائة (في كتاب) الغوامض و (المبهمات وذكر ابن اسحق) في رواية يونس عنه (ان اسمها سجاح) كذا في النسخ والذي في الروض سجاح (ولعلها ان تأمرك بأمر فيه فرج لك) لفظ رواية ابن اسحق ان أمرتك بذبحه ذبحته وان أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته (فانطلقوا حتى) قدموا المدينة فوجدوها بخيبر فركبوا حتى (أتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب القصة) فقالت لهم كما في ابن اسحق ارجعوا عني حتى يأتيني تابعي فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها (فقالت) لهم قد جاءني الخبر (كم الدية عندكم فقالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم) أي أحضروه الى موضع ضرب القداح (ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل) عشرة أخرى وهكذا على ما يظهر من أن الزيادة باشارتها أو أطلقت وزاد عبد المطلب اجتهادا نظرا لان الدية عشرة فلأريد تضعيفها (ثم اضربوا أيضا هكذا حتى يرضى ربكم ويخلص صاحبكم فاذا خرجت على الابل فانحروها فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم) وكأنه غلب على ظنها أن القداح لا محالة تخرج على الابل مرة فسكتت عن حكم ما لو لم تخرج عليها لعلمه عندهم (فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو) الله تعالى (فخرجت القداح) أي جنسها اذ الخارج في كل مرة قدح واحد (على ولده فلم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل) زاد ابن اسحق فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا انه قال لا والله حتى أضرب عليها بالقداح ثلاث مرات فضربوا على عبد الله وعلى الابل فقام عبد المطلب يدعو فخرجت على الابل ثم عادوا الثانية وهو قائم يدعو فضربوا فخرجت على الابل ثم الثالثة وهو قائم يدعو فخرجت على الابل (فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان) ذكر أو أنثى قال المجد المرأة انسان وبالهاء عامية وسمع في شعر كأنه مولد

لقد كستني في الهوى * ملابس الصب الغزل
انسانة فتانة * بدر الدجى منها خجل
اذا زنت عيني بها * من الدموع تغتسل

(ولا طائر ولا سبع) بضم الموحدة وفتحها وسكونها المفترس من الحيوان قاله القاموس وعند مغلطاي أول من سن الدية مائة عبد المطلب وقيل العلمس أبو سيارة انتهى (ولهذا)

الواقع فى قصة عبد الله (روى على ما عند الزمخشرى فى الكشاف) فى سورة والصافات استدلالا على أن الذبيح اسمعيل (أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين) قال الزيلعى فى تخريج أحاديثه غريب ثم ساق حديث الاعرابى المذكور فى المتن ونحوه للحافظ فحاصل كلامهما انهما لم يجداه بهذا اللفظ كما عزاه لهما الشامى (وعند الحاكم فى المستدرك وابن جرير وابن مردوية والثعلبى فى تفاسيرهم (عن معاوية بن أبى سفيان) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى أمير المؤمنين أسلم هو وأبواه وأخوه يزيد فى فتح مكة وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامهما ومعاوية من الموصوفين بالحلم توفى بدمشق سنة ستين (قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه أعرابى فقال يارسول الله خلفت البلاد يابسة) مجدبة لاخصب فيها (والماء) أى محلاته التى يصيبها (يابسا) لعدم الماء وفى نسخة خلفت الكلأ يابسا أى العشب وصفه باليبس لبيان صفته التى تركه عليها فالكلأ العشب رطبا كان أو يابسا كما فى المختار وزعم ان هذه النسخة هى التى فى غيره والاولى تصحيف عجيب باطل فالاولى هى الثابتة فى المقاصد عن المستدرك (وخلفت المال عابسا) أى كالحا أى متغيرا مهزولا وكأنه أراد بالمال الماشية (هلك المال وضاع العيال فعد على) أعطنى شيأ أستعين به (مما أفاء الله عليك ياابن الذبيحين قال) معاوية (فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه) فأفاد انه اسمعيل وهذا احتج به معاوية على من قال انه اسحق فان أول الحديث عند الحاكم عن الصنابحى حضرنا مجلس معاوية فتذاكر القوم اسمعيل واسحق فقال بعضهم اسمعيل الذبيح وقال بعضهم بل اسحق فقال معاوية سقطتم على الخبير وذكره (الحديث وتأتى تتمته ان شاء الله تعالى قريبا) جدا (ويعنى بالذبيحين عبد الله واسمعيل بن ابراهيم) كما قاله جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم ورجحه جماعة وقال أبو حاتم انه الصحيح والبيضاوى انه الاظهر (وان كان قد ذهب بعض العلماء الى أن الذبيح اسحق) بل عزاه ابن عطية والمحب الطبرى والقرطبى للاكثرين وأجمع عليه أهل الكتابين وقال به من الصحابة كما قال البغوى وغيره العباس وابنه وعمر وابنه وعلى وجابر وهو الصحيح عن ابن مسعود ومن التابعين علقمة والشعبى ومجاهد وسعيد بن جبير وكعب الاحبار وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم ابن أبى برة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهرى والسدى وعبد الله بن أبى الهذيل والقاسم بن زيد ومكحول والحسن وذهب اليه مالك واختاره ابن جرير وجزم به عياض والسهيلى ومال اليه السيوطى فى علم التفسير (فان صح هذا) فى نفس الامر والا فكيف لايصح وقد قال به من ذكر والحجة لهم قوله صلى الله عليه وسلم الذبيح اسحق رواه الدارقطنى عن ابن مسعود وابن مردوية والبزار عن العباس وفيه المبارك بن فضالة ضعفه الجمهور لكن رواه الحاكم من طرق عن العباس وقال صحيح على شرطهما وقال الذهبى صحيح ورواه ابن مردوية عن أبى هريرة قال ابن كثير وفيه الحسن بن دينار متروك وشيخه منكر وقد رواه ابن أبى حاتم مرفوعا ثم رواه عن مبارك بن فضالة موقوفا وهو أشبه وأصح وتعقبه السيوطى بأن مباركا قد رفعه مرة فأخرجه البزار عنه مرفوعا وله شواهد عنده

وعند الديلمي عن العباس مرفوعا في حديث بلفظ وأما اسحق فبذل نفسه للذبح والطبراني
وابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعا نحوه بسند ضعيف وللطبراني أيضا بسند ضعيف عن
ابن مسعود سئل صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس قال يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح
الله وأخرج في الكبير عن أبي الاحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود وفي لفظ فاخر
أسماء بن خارجة رجلا فقال أنا ابن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب
ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله واسناده صحيح موقوف انتهى ملخصا فهذه أحاديث
يعضد بعضها بعضا فأقل مراتب الحديث الاول انه حسن فكيف وقد صححه الحاكم
والذهبي وهو نص صريح لا يقبل التأويل بخلاف حديث معاوية فانه قابل له (فالعرب
تجعل العم أبا قال الله تعالى اخبارا عن بني يعقوب عليهم الصلاة والسلام) جمعها وان كان
فيهم غير أنبياء لجوازها تبعا وهو استدلال على جعل العم أبا (أم كنتم شهداء) حضورا
والخطاب لليهود فانه نزل ردا عليهم لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألست تعلم أن يعقوب
يوم مات أوصى بنيه باليهودية (اذ حضر يعقوب الموت اذ) بدل من اذ قبله (قال لبنيه
ما تعبدون من بعدي) بعد موتي (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق
فجعل اسمعيل أبا وهو عم) لانه بمنزلته فيحمل حديث معاوية على ذلك جمعا بين الحديثين
وأما القول بانهما عبد الله وهابيل فغريب وان نقله مغلطاي ولا يصح الا بجعل العم أبا أيضا
فان المصطفى من ولد شيث (وفي حديث معاوية الموعود بتتمته قريبا) قال راويه الصنابحي
فقلنا وما الذبيحان (قال معاوية ان عبد المطلب لما أمر) بالبناء للمفعول (بحفر زمزم)
وعبر به لان الولد (نذر لله ان سهل) الله (الامر بها) وجاء عشرة بنين (ان ينحر بعض ولده)
أي واحدا منهم كما مر والاخبار يفسر بعضها بعضا (فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم
لعبد الله فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم) من ذبحه حتى يعذر فيه الى ربه ومر عن
ابن اسحق ان المغيرة المخزومي قال له والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فان كان فداؤه
بأموالنا فديناه ومثله في الشامية وليس فيه ان المخاطب له بذلك منهم كما ادعى ولا اللفظ
يقتضي ذلك فنقل كلام عن واحد لا ينفي أن غيره قال مثله حتى يزعم الحصر (وقالوا أرض
ربك) بهمزة قطع مفتوحة (وافد ابنك) بهمزة وصل (ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح
الاول) من أبويه صلى الله عليه وسلم سماه أولا لقربه منه وانه أبوه بلا واسطة (واسمعيل
الذبيح الثاني) وهذا لم يرفعه معاوية وانما قاله استنباطا من تبسمه صلى الله عليه وسلم
بعد قول الاعرابي يا ابن الذبيحين ومعلوم أن صريح المرفوع مقدم على الاستنباط فيرد
المحتمل الى الصريح جمعا بين الدليلين (قال ابن القيم ومما يدل على أن الذبيح اسمعيل انه
لا ريب) لا شك (ان الذبيح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين) بفتح القاف جمع قربان بضمها
وهو ما تقرب به الى الله كما في المختار (يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة) كما
جعل (رمي الجمار بها تذكيرا لشأن اسمعيل وأمه واقامة لذكر الله تعالى ومعلوم أن
اسمعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون اسحق وأمه) وقد أجيب عن هذا بقول سعيد بن
جبير أري ابراهيم ذبح اسحق في المنام فسار به من بيت المقدس مسيرة شهر في غدوة واحدة

حتى أتى به المنحر بمنى فلما صرف الله عنه الذبح وأمره أن يذبح الكبش فذبحه وسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة على البراق ويؤيده ما رواه الامام أحمد بسند صحيح عن ابن عباس قال قال صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب بابراهيم الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ ثم أتى به الجمرة الوسطى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ فلما أراد ابراهيم أن يذبح اسحق قال لابيه يا أبت أوثقنى لا أضطرب فينتضح دمى عليك اذا ذبحتنى فشده فلما أخذ الشفرة وأراد ذبحه نودى من خلفه يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا (ثم قال) ابن القيم (ولو كان الذبيح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة) لانه هو المحل الذى أمر فيه بذبحه على ذا القول وأنت خبير بأن هذا مع ما فيه من الطن السوء بأكثر العلماء وهو انه لا سلف لهم الا التلقى عن أهل الكتاب لا يصح دليلا اذ لا تلازم وأيضا فالدليل ما سلمه الخصم وابن عطية حكى قولين أحدهما انه أمر بذبحه فى الشام والثانى انه انما أمر بذبحه فى الحجاز فجاء به معه على البراق انتهى ومر نقله عن ابن جبير وتأييده بالمرفوع (وأيضا) مما يدل على انه اسمعيل ظاهر القرآن الكريم (فان الله سمى الذبيح حليما) فى قوله فبشرناه بغلام حليم (لانه لا أحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه) مع كونه مراهقا ابن ثمان سنين أو ثلاث عشرة سنة حكاهما الجلال (ولما ذكر اسحق سماه عليما) فى قوله انا نبشرك بغلام عليم وقوله وبشروه بغلام عليم وهذا غير ظاهر فلا ريب أن اسحق حليم أيضا فأى مانع من جمعه الصفتين (وأيضا) دليل عقلى (فان الله تعالى أجرى العادة البشرية ان بكر الاولاد) بكسر الموحدة وسكون الكاف أول ولد الابوين (أحب الى الوالدين ممن بعده) لكونه أول فيتمكن حبه قبل رؤية غيره لكن لا ينافى انه اذا حصلت مزية لمن بعده زاد بسببها حبه كما أحب عبد المطلب الأب الشريف لرؤيته نور المصطفى فى وجهه (وابراهيم لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة) بضم الشين الغصن لغة (من قلبه بمحبته) فشبه القلب بشجرة استعارة بالكناية والتعلق الحاصل به بأغصانها واثبات الغصن استعارة تخييلية ولم يقل تعلق قلبه بمحبته لئلا يتوهم تعلق قلبه بجملته بمحبة ولده فلم يكن فيه محل لغيره مع أن قلبه انما هو متعلق بربه غايته أن ثمة نوع تعلق بالولد (والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة) بضم الخاء وتفتح الصداقة المحضة التى لا خلل فيها كذا فى القاموس (منصب) بكسر الصاد أصل (يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا يشاركه فيها) عطف تفسير (فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة) بفتح الغين (الخلة تنزعها من قلب الخليل) ليتمحض للجليل (فأمر بذبح المحبوب) ولا ريب أن هذا يأتى على انه اسحق أيضا فلا شك أن فى قلبه شعبة محبة له غايته ان محبة اسمعيل أكثر (فلما قدم على ذبحه وكانت محبة الله عنده أعظم من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ) أى حين اذ قدم على ذبحه (من شوائب المشاركة فلم يبق فى الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هى العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود) أى اظهاره اذ الله عالم به (فنسخ الامر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا انتهى) كلام ابن القيم وهى أدلة اقناعية (وأنشد بعضهم ان الذبيح هديت اسمعيل * ظهر) وفى نسخة نطق

أي دل" (الكتاب بذا النزول والتنزيل) عطف صفة على موصوفها أو تفسيري" كأنه يشير به الى قوله تعالى وبشرناه باسحق ولاحجة فيه فقد قال ابن عباس هي بشارته بنبوته كما قال تعالى في موسى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وهو قد كان وهبه له قبل ذلك فانما أراد النبوة فكذلك هذه قاله ابن عطية وغيره وبه يعلم أن قول العلامة التقي" السبكي" يؤخذ من تعدد البشارة بهما مع وصف اسحق بانه عليم والذبيح بانه حليم القطع بأن الذبيح اسمعيل مردود فكيف يكون قطعيا مع فهم ترجمان القرآن (شرف به خص الاله نبينا *) أي قصره عليه لايتجاوزه الى غيره (وأبانه) أظهره وفي نسخة وأتى به (التفسير والتأويل) عطف مساو وهنا (وروى فيما ذكره المعافى بن زكريا) بن يحيى بن حميد الحافظ العلامة المفسر الثقة النهرواني" الجريري" كان على مذهب ابن جرير مات سنة تسع وثلثمائة (أن عمر بن عبد العزيز) بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي" الاموي" الثقة الحافظ الورع المأمون التابعي" الصغير أمير المؤمنين" خامس أو سادس الخلفاء الراشدين على عد مدة السبط وعدمه لانها كالتتمة لولاية أبيه * روى عن أنس وصلى أنس خلفه وقال ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى ولي امرة المدينة للوليد وكان مع سليمان كالوزير ثم ولي بعده باستخلافه الخلافة سنتين وخمسة أشهر ونصفا فملأ الارض عدلا ورد المظالم وزاد الخراج في زمنه وأبدل ما كان بنو أمية تذكر به عليا كرم الله وجهه على المنبر باية ان الله يأمر بالعدل والاحسان مناقبه كثيرة شهيرة مات مسموما يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة أحدى ومائة وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب (سأل رجلا أسلم من علماء اليهود) قال الطبري" وحسن اسلامه (أي ابني ابراهيم أمر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود) بالدال مهملة ومعجمة كما في القاموس (ليعلمون انه اسمعيل) لان في التوراة على ما في تفسير ابن كثير ان الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفي نسخة بكره فحرفوا وحيده فقالوا ان اسحق كان مع أبيه وحده واسمعيل كان مع أمه بمكة قال ابن كثير وهذا تأويل وتحريف باطل فلا يقال وحيد الالمن ليس له غيره انتهى وفيه نظر ففي فتح الباري ذكر ابن اسحق ان هاجر لما حملت باسمعيل غارت سارة فحملت باسحق فولدا تاما معا ثم نقل عن بعض أهل الكتاب خلاف ذلك وأن بين مولديهما ثلاث عشرة سنة والاول أولى انتهى وتبعه السيوطي" (ولكنهم يحسدونكم) بضم السين وحكى الاخفش كسرها (معشر) أي يا جماعة (العرب) والاضافة بيانية على (أن يكون) اسمعيل (أباكم) فيتمنون زوال نسبة ذلك الحكم ونقلها اليهم وقيل الحسد تمني زوال نعمة الغير وان لم تصل للحاسد وهذا أقبح ولا بعد في حمل حسدهم عليه (للفضل الذي ذكره الله عنه) كقوله انه كان صادق الوعد الآيتين (فهم يجحدون ذلك) ينكرونه مع العلم به كما هو معنى الجحد (ويزعمون انه اسحق) عطف تفسير (لان اسحق أبوهم) اذهم من أولاد يهوذا قال السمين بمعجمة وألف مقصورة غيرته العرب الى المهملة على عادتها في التلاعب بالاسماء الاعجمية ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وهذا المروي الذي ساقه المصنف ممرضا أفاد ضعفه ذكره تقوية لانه اسمعيل

والحاصل

والحاصل كما قال السيوطي أن الخلاف فيه مشهور بين الصحابة فمن بعدهم ورجح كل منهما (فانظر أيها الخليل) الكامل في الحب والصداقة لله ورسوله (ما في هذه القصة) قصة اسمعيل مع أمه (من السر) هو لغة ما يكتم اطلق على هذه القصة لما فيها من بدائع الحكم التي خفيت على العباد (الجليل) بالجيم العظيم وبين ذلك السر بقوله (وهو أن الله تعالى يرى عباده الجبر بعد الكسر واللطف بعد الشدة فانه كان عاقبة صبر هاجر) بفتح الجيم وقد تبدل الهاء همزة اسم سرياني وكان أبوها من ملوك القبط من قرية بمصر تسمى حفني بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء من عمل انصنا بالبر الشرقي من الصعيد قاله في التوشيح تبعا لغيره (وابنها على البعد) عن مواطنهم التي كانوا بها وهي بيت المقدس وأرض الشام (والوحدة) بمكة مدة فان ابراهيم حين اسكنهما لم يكن بها أحد (والغربة والتسليم) منها لابراهيم يعني صبرها (لذبح الولد) وصبره هو بتسليم نفسه وهذا صريح في وجود أمه حين ذلك بل لم تمت حتى تزوج زوجة ثم اخرى (آلت) رجعت (الى ما آلت اليه من جعل آثارهما ومواطئ أقدامهما) أي مواضع وطئهما بأقدامهما (مناسك لعباده المؤمنين) أي متعبدات فالعطف في قوله (ومتعبدات لهم الى يوم الدين) تفسيري (وهذه) الحالة من ارادته تعالى الجبر بعد الكسر (سنة الله تعالى) عادته (فيمن يريد رفعته من خلقه بعد استضعافه وذله وانكساره وصبره وتلقيه القضاء بالرضا فضلا منه) متصل بقوله هذه سنة واستظهر عليه بقوله (قال الله تعالى ونريد أن نمن) نتفضل (على الذين استضعفوا في الارض) بانقاذهم من البأس (ونجعلهم ائمة) متقدمين في أمر الدين (ونجعلهم الوارثين وقد استشكل بعض الناس أن عبد المطلب نذر نحر) أي ذبح (أحد بنيه) وفي نسخة بعض بنيه واخرى نحر بنيه وهي بتقدير مضاف أي أحد أو بعض (اذا بلغوا عشرة وقد كان تزويجه هالة) من اضافة المصدر الى المفعول أي تزويج ولي هالة له فلا يرد أن الاولى تزوجه لان التزويج فعل الولي أي ايجابه النكاح والتزوج قبول الزوج (ام ابنه حمزة بعد وفائه بنذره) كما ذكره ابن اسحق والعباس ولد قبل المصطفى بثلاثة اعوام كما يأتي (فحمزة والعباس ولدا عبد المطلب انما ولدا بعد الوفاء بنذره) ولا تفهم انهما شقيقان لانه سيذكر أن أم العباس نتلة أو نتيلة (وانما كان أولاده عشرة بهما قال السهيلي ولا اشكال في هذا فان جماعة من العلماء قالوا كان اعمامه عليه الصلاة والسلام اثني عشر) التسعة السابقة والغيداق وقثم وعبد الكعبة ووالده صلى الله عليه وسلم فأولاد شيبة الحمد ثلاثة عشر (فان صح هذا فلا اشكال في الخبر) لحمل العشرة على من عدا حمزة والعباس لكن يشكل عليه ما صرح به اليعمري أن حمزة والمقوم وحجلا وزاد بعضهم والعوام من هالة المفيد وجود حمزة قبل النذر (وان صح قول من قال كانوا عشرة لا يزيدون) ويقول الغيداق هو حجل وعبد الكعبة هو المقوم وقثم لا وجود له فالاعمام تسعة فقط ولم يذكر ابن قتيبة ولا ابن اسحق ولا ابن سعد غيره فلا اشكال أيضا (فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا مجازا وكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى) بخفة الفاء وشدها (بنذره) وهذا أحسن لسلامته من الاشكال (ويقع أيضا في بعض السير) يعني سيرة ابن اسحق رواية ابن هشام

عن البكائى عنه وأبهمها لعدم اتفاق رواة ابن اسحق عليها (ان عبد الله كان اصغر بنى أبيه عبد المطلب وهو) كما قال الامام السهيلى فى الروض (غير معروف) مشهور بينهم (ولعل الرواية اصغر بنى امه والا) يكن كذلك لا يصح (فحمزة كان اصغر من عبد الله والعباس اصغر من حمزة) ويأتى له الجواب بأن معناه كان أصغر بنى أبيه حين أراد ذبحه (وروى عن العباس انه قال أذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة اعوام أو نحوها فجىء به) بالنبى صلى الله عليه وسلم الى (حتى نظرت اليه وجعل النسوة يقلن لى قبل أخاك) للتأليف على العادة بين الصغار وان كان ابن اخيه (فقبلته) وحيث روى هذا عن العباس (فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الاصغر ولكن رواه) أى كونه أصغر بنى أبيه زياد بن عبد الله بن الطفيل العامرى أبو محمد الكوفى أحد رواة المغازى عن ابن اسحق صدوق ثبت فى المغازى أثبت الناس فى ابن اسحق قال الحافظ وفى حديثه عن غيره لين ولم يثبت ان وكيعا كذبه روى له البخارى حديثا واحدا فى الجهاد مقرونا بغيره وروى له مسلم والترمذى وابن ماجه مات سنة ثلاث وثمانين ومائة ويقال له (البكائى) بفتح الموحدة وشد الكاف وبعد الالف همزة نسبة الى البكاء وهو ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة كما فى التبصير وغيره قال فى النور وانما لقب ربيعة بالبكاء لانه دخل على امه وهى تحت أبيه فبكى وصاح وقال انه يقتل امى (ولروايته وجه وهو أن يكون) عبد الله (اصغر ولد أبيه حين أراد نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة) من هالة (والعباس) من نتلة أو نتيلة قال الخميس وهذا أيضا على تقدير أن أولاد عبد المطلب اثنا عشر انتهى أى فتكون اعمامه حين أراد نحره تسعة وأبوه عاشرهم وقد سبق السهيلى الى ذا الجمع أبو ذر الخشنى فقال قوله أصغر بنى أبيه يعنى فى ذلك الوقت قال شيخنا وهو لا يأتى على أن الاعمام اثنا عشر فأولاده ثلاثة عشر فالموجودون حينئذ أحد عشر لا عشرة الا أن يكون المراد دفع النقص عن العشرة فلا ينافى ولادة واحد بعدهم غير حمزة والعباس

* ذكر تزوج عبد الله آمنة *

(ولما انصرف) أى فرغ (عبد الله مع أبيه من نحر الابل مر على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى وهى عند الكعبة واسمها) فيما صدر به مغلطاى (قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية) فتحتية ساكنة فلام فهاء تأنيث (ويقال) اسمها (رقيقة بنت نوفل) صدر به السهيلى قال وهى أخت ورقة بن نوفل وتكنى أم قتال وبهذه الكنية ذكرها ابن اسحق فى رواية يونس قال فى العيون وكانت تسمع من أخيها انه كائن فى هذه الامة نبى (فقالت له حين نظرت الى وجهه) وفيه نور المصطفى وظنت أن النبى الكائن فى هذه الامة منه (وكان أحسن رجل رئى) بكسر الراء ثم همزة مفتوحة ويجوز ضم الراء وكسر الهمزة ثم ياء أى شوهد (فى قريش) ادفع (لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن) أى جامعنى ولعله كان من شرعهم أن المرأة تزوج نفسها بالولى وشهود لانها لم تكن زانية ولا مريدة له بل كانت عفيفة قالت ذلك (لما رأت فى وجهه من نور النبوة ورجت أن تحمل بهذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم) فأبى الله أن يجعله الا حيث شاء (فقال لها انا مع أبى ولا استطيع

خلافه

خلافه ولا فراقه) ولو لم اكن معه لو قعت عليك بوجه جائز كتزوجى بك أو مراده دفع كلامهما وان لم يرد البغى بها ولا همّ بها فلا تفهم أن المانع له مجرّد كونه مع أبيه (وقيل أجابها بقوله أمّا الحرام فالممات) وأنشده السهيلى بلفظ فالحمام (دونه *) ومعرفته كالحلال مما بقى عندهم من شرائع ابراهيم كغسل الجنابة والحج فلا يرد أنهم كانوا فى جاهلية لا يعرفون حلالا ولا حراما (والحل لا حل) موجود لعدم تزوجى بك (فأستبينه *) بالنصب فى جواب النفى أى أطاب ظهوره وأعمل بمقتضاه (فكيف بالامر الذى تبغينه *) أى تطلبينه لا يكون ذلك فاستعمل كيف بمعنى النفى وهو أحد مواقعها (يحمى الكريم عرضه) هى اموره كلها التى يحمد بها ويذم من نفسه وأسلافه وكل ما لحقه نقص يعيبه خلافا لابن قتيبة فى قوله عرض الانسان هو نفسه لا اسلافه لان حسان ذكر عرضه وأسلافه بالعطف فى قوله

فانّ أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

(ودينه) يصونهما فلا يفعل شيأ يدنسهما (وعند أبى نعيم والخرائطى وابن عساكر من طريق عطاء) بن أبى رباح أسلم الجمحى مولاهم المكىّ أبى محمد التابعى الوسط الحافظ الثقة العالم الفقيه اليه انتهت فتوى أهل مكة وكان أسود أفطس أشل اعرج اعور ثم عمى وشرّفه الله بالفقه وكثرة الحديث وادرك مائتين من الصحابة قدم ابن عمر مكة فسألوه فقال تسألونى وفيكم ابن أبى رباح مات سنة احدى أو خمس أو سبع ومائة (عن ابن عباس لما خرج عبد المطلب) من مكة بعد نحر الابل على ظاهر سياق المصنف (بابنه عبد الله ليزوجه مرّ به على كاهنة من تبالة) بفتح الفوقية فموحدة خفيفة وألف فلام مفتوحة فتاء تأنيث موضع باليمن وآخر بالطائف فيحتمل ارادة هذه وارادة تلك قاله البرهان وتبعه الشامى فى الضبط وجزم بأنه موضع باليمن وضبط بعضهم تبالة بضم التاء سبق قلم (متهوّدة) متمسكة بدين اليهود (قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مرّ) بضم الميم وراء مهملة ثقيلة زاد البرقى عن هشام الكلبى وكانت من أجمل النساء وأعفهن (الخثعمية) بفتح المعجمة وسكون المثلثة فعين مهملة نسبة الى خثعم كجعفر جبل وابن أنمار أبو قبيلة من معدّ ذكره المجد وظاهره أن هذه الاوصاف وهى انها من تبالة ومتهوّدة وخثعمية لامرأة واحدة ووقع فى سيرة مغلطاى اسمها قتيلة وقيل رقيقة ويقال فاطمة بنت مرّ ويقال ليلى العدوية ويقال امرأة من تبالة ويقال من خثعم ويقال كانت يهودية (فرأت نور النبوّة فى وجه عبد الله فقالت له وذكر نحوه) نحو ما تقدم من دعائه الى نكاحها وابائه زاد البرقى عن هشام الكلبى فلما أبى قالت

انى رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت بحناتم القطر
فلمائها نور يضىء به * ما حوله كاضاءة الفجر
ورأيت سقياها حيا بلد * وقعت به وعمارة القفر
ورأيتها شرفا أبوء به * ما كل قادح زنده يورى
لله ما زهرية سلبت * منك الذى استلبت وما تدرى

وفى غريب ابن قتيبة أن التى عرضت نفسها عليه ليلى العدوية ذكره فى الروض (ثم خرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة) بضم الزاى وسكون الهاء زعم ابن

قتيبة والجوهرى أنها امه وأبوه كلاب قال السهيلي وهذا منكر غير معروف وفى الفتح المشهور عند جميع أهل النسب ان زهرة اسم الرجل وشذ ابن قتيبة فزعم انه اسم امرأته وان ولدها غلب عليهم النسبة اليها وهو مردود بقول امام أهل النسب هشام الكلبى اسم زهرة المغيرة (وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة) قاله ابن عبد البر وجماعة منهم عبد الملك بن هشام عن البكائى عن ابن اسحق وقيل كانت فى حجر عمها وهيب وهو المزوج لها قاله ابن اسحق فى رواية واقتصر عليه اليعمرى (وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا) من جهة الاب (وموضعا) من جهة الام فأمها بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى وأم امها أم حبيب بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى كما فصله ابن اسحق فليس قوله وموضعا عطف تفسير كما زعم (فزعموا) كما قال ابن اسحق (انه دخل عليها عبد الله حين ملكها) أى تزوج بها (مكانه فوقع عليها) جامعها زاد الزبير بن بكار (يوم الاثنين من أيام منى) وقيل من شهر رجب (فى شعب أبى طالب عند الجمرة) أى الوسطى كما هو المنقول عن الزبير قال النجم وهذا موافق لمن ذهب الى أن ميلاده فى رمضان وأما القول بأنه فى رجب فمنطبق على أن ميلاده فى ربيع (فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم) وزعم الحاكم أبو أحمد أن سن عبد الله حينئذ كان ثلاثين سنة ويأتى أن الصحيح خلافه وقد جزم السهيلى بما لفظه وكان بينه صلى الله عليه وسلم وبين أبيه ثمانية عشر عاما انتهى (ثم خرج من عندها) بعد ما اقام عندها ثلاثا وكانت تلك السنة عندهم اذا دخل الرجل على امرأته فى أهلها نقله اليعمرى عن محمد بن السائب الكلبى (فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت) قال فى النور تقدم الكلام على هذه المرأة انتهى فهو صريح فى انها المختلف فيها الاختلاف السابق (فقال لها مالك لا تعرضين على) اليوم (ما عرضت على بالامس قالت فارقك النور الذى كان معك بالامس فليس لى بك) بوقاعك (اليوم حاجة) لانى (انما أردت أن يكون النور فى) بشد الياء (فأبى الله الا أن يجعله حيث شاء) وقد روى عن العباس انه لما بنى عبد الله بآمنة احصوا ماتى امرأة من بنى مخزوم وبنى عبد مناف متن ولم يتزوجن أسفا على ما فاتهن من عبد الله وأنه لم تبق امرأة فى قريش الا مرضت ليلة دخل عبد الله بآمنة * تنبيه * ما افاده ظاهر المصنف من أن تزوجه بآمنة عقب انصرافه من نحر الابل هو مفاد ابن اسحق وفى تهذيب ابن هشام واليعمرى فى العيون هنا لكن روى ابن سعد وابن البرقى والطبرانى والحاكم عن ابن عباس عن أبيه ان عبد المطلب لما سافر الى اليمن فى رحلة الشتاء نزل على حبر من اليهود يقرأ الزبور فقال يا عبد المطلب بن هاشم ايذن لى انظر الى بعضك قلت انظر ما لم تكن عورة قال ففتح احدى منخريه فنظر فيه ثم نظر فى الآخر فقال أشهد أن فى احدى يديك ملكا وفى الاخرى نبوة وانا نجد ذلك فى بنى زهرة قال ألك زوجة قلت أما اليوم فلا فقال فاذا رجعت فتزوج منهم فلما رجع تزوج بهالة فولدت له حمزة وصفية وزوج عبد الله بآمنة أى ابنة عمها فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش فلج عبد الله على أبيه وهو بفتح الفاء واللام والجيم أى ظفر بما طلب وفيه

شيئا آن أحدهما ظاهر قوله فجد ذلك فى بنى زهرة رجوع اسم الاشارة للملك والنبوة مع أن الملك انما كان فى بنى العباس وأمه ليست بزهرية بل من بنى عمرو بن عامر كما مر فيتعين عود الاشارة الى النبوة فقط الثانى قوله أما اليوم فلا مع ماذكره اليعمرى وغيره ان ضرارا كان شقيق العباس المقيد وجود أمه قبل قصة الذبح فيمكن أن قوله أما اليوم أى هذا الزمن فلا زوج معى بهذه الارض فلا ينافى أن له زوجة بغير هاشم لا ينافى هذا مفاد المصنف والجماعة لجواز أنه لما رجع من اليمن رأى الرؤيا ووقعت قصة الذبيح فلما انصرف منها تزوج وزوج ابنه والعلم عند الله ولما ذكر المصنف أنه حين بنى بها حملت به صلى الله عليه وسلم أراد ذكر بعض ما حصل فى حملها اظهارا لشرف المصطفى مصدرا ذلك بشذا عبقة صوفية فقال (ولما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لحمله) اللام للتوقيت أى فى مدته كلها (عجائب) فليس المراد عند ابتدائه فقط (و) لما وجد (وجد لايجاده) أى ظهوره فى العالم بولادته وغاير تفننا (غرائب) واذا أردت معرفتها (ف) نقول (ذكروا أنه لما استقرت نطفته) التى خلق منها فالاضافة لادنى ملابسة (الزكية) الطاهرة النامية الممدوحة (ودرته) بضم الدال عطف تفسير اشارة الى أن نطفته كالدرة التى هى اللؤلؤة العظيمة فى النفاسة ووصفها بقوله (المحمدية) بمعنى المحمودة مبالغة فى كمالها (فى صدفة) بفتحتين غشاء الدر جمعها صدف أى رحم (آمنة القرشية) فشبه رحمها لاشتماله على نطفته بالصدفة المشتملة على اللؤلؤ استعارة تصريحية وفى نسخة صدف بدون هاء فجعل كل جزء من أجزاء نطفته درة وكل جزء من أجزاء محلها صدفة مبالغة وتعظيما أو جعل محل الولد لكونه مبدأ أو محلا لمن هو بمنزلة جميع العالم بل أعظم أرحاما كثيرة فشبهها بالصدف واستعار لها اسمه استعارة تصريحية (نودى) المنادى ملك على ما يأتى (فى الملكوت) اسم مبنى من الملك كالجبروت والرهبوت من الجبر والرهبة قاله فى النهاية وقال الراغب أصل الجبر اصلاح الشئ بضرب من القهر وقد يقال الجبر فى الاصلاح المجرد كقول على يا جابر كل كسير ومسهل كل عسير وتارة فى القهر المجرد ولعل الثالث مراد قول النهاية من الجبر (ومعالم) جمع معلم (الجبروت) فعلوت من التجبر قاله الراغب والمراد نودى فى أفق السماء بذلك لانها الذى يظهر فيها كمال ملك الله وقهره لان أهلها الملائكة عالمون بذلك فهم دائما فى مقام الخشية والاجلال كما قال تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (أن عطروا جوامع القدس) بضمتين وسكون الدال الطهارة (الاسنى) الاشرف من السناء بالمد الرفعة والمعنى طيبوا أماكن الطهارة الشريفة (وبخروا جهات الشرف الاعلى) عطف تفسير على سابقه والمراد منهما أظهروا علامات التعظيم فى السموات وما حولها فرحا بحمله صلى الله عليه وسلم (وافرشوا) بضم الراء وكسرها كما فى المصباح (سجادات) جمع سجادة قال الجوهرى خمرة بالضم صغيرة تعمل من سعف النخل وترمل بالخيوط (العبادات فى صفف) بضم الصاد وفتح الفاء جمع صفة (الصفاء) بالمد ضد الكدر (الصوفية) كلمة مولدة كما فى المصباح نسبة للتصوف وهو تجريد القلب لله واحتقار ما سواه بالنسبة لعظمته سبحانه والا فاحتقار مخلوق كفر

وقيل غير ذلك حتى أوصلها بعضهم زهاء ألف قول (الملائكة المقربين أهل الصدق والوفاء) والمراد تهيؤا للعبادة واظهار السرور بالمصطفى لانه يظهر الحق ويبطل الباطل (فقد) الفاء تعليلية أى افعلوا ذلك لانه قد (انتقل النور المكنون) المستور المخفى عن الاعين المدخر فى الاصلاب من آدم الى عبد الله (الى بطن آمنة ذات العقل الباهر) الظاهر الغالب لغيره بحيث قيل أعطاها الله من الجمال والكمال ما كانت تدعى به حكيمة قومها (والفخر) المباهاة بالمكارم من حسب ونسب (المصون) بوزن مفعول على نقص العين كما فى المصباح أى المحفوظ عما يشينه (قد خصها الله تعالى القريب المجيب) من بين النساء التى تعلقن بتزويج عبد الله (بهذا السيد المصطفى الحبيب) وعلل تخصيصها بذلك (لانها أفضل قومها حسبا وأنجب وأزكاهم أخلاقا وفرعا وأطيب) فلم تنجب امرأة قط مضارع من أنجبت ولا فرعت فى نساء الدنيا مشابه من فرعت

من لحواء انها حملت أحمد أو انها به نفساء

وحاصل المعنى انه تعالى لما اختار صفوة خلقه من أصوله فى كل عصر أشرفه وكانت آمنة أفضل قومها جعلها معدنا لظهور نوره وتكونه (وقال) بواو الاستئناف المبينة لما أخبر به فى قوله فذكروا فلا يرد أنه دليل على ما قدمه فيجب حذف الواو لان الدليل لا يعطف (سهل بن عبد الله) بن يونس بن عبد الله بن رفيع (التسترى) الصالح المشهور الذى لم يسمح بمثله الدهر علما وورعا صاحب الكرامات الشهيرة المتوفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين بالبصرة وولد سنة مائتين أو احدى ومائتين بتستر بضم الفوقية الاولى وفتح الثانية بينهما مهملة ساكنة آخره راء مهملة كما ضبطه النووى وغيره وحكى ضم الفوقيتين وفتح الاولى وضم الثانية مدينة بالاهواز أو بخوزستان ويقال أيضا ششتر بمهملتين ومعجمتين (فيما رواه الخطيب البغدادى الحافظ) أبو بكر أحمد بن على بن ثابت صاحب التصانيف الامام الكبير محدث الشام والعراق المتقن الضابط العالم بصحيح الحديث وسقيمه المتعنت فى علله وأسانيده ولد سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة وعنى بالحديث ورحل فيه الى الاقاليم وسمع أبا الصلت الاهوازى وأبا عمر بن مهدى وخلقا وحدث عنه البرقانى أحد شيوخه وابن ماكولا وخلق وقرأ البخارى على كريمة بمكة فى خمسة أيام وعلى اسمعيل الحيرى فى ثلاثة مجالس ذكره الذهبى وقال هو أمر عجب وتوفى ببغداد سابع ذى الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة ودفن عند بشر الحافى لانه شرب ماء زمزم على ذلك واملائه بجامع المنصور وتحديثه بتاريخ بغداد فقضى له بالثلاثة (لما أراد الله خلق محمد صلى الله عليه وسلم فى بطن آمنة ليلة) أول (رجب) وهذا كما زعم النجم منطبق على ان ميلاده فى ربيع يعنى على أحد الاقوال الآتية ان مدة الحمل ثمانية أشهر ورجب من الشهور مصروف كما فى المصباح وذكر التفتازانى منعه ان أريد به معين كصفر ووجه بأنه معدول عن الصفر والرجب فمنعا للعلمية والعدل أو العلمية والتأنيث باعتبار المدة (وكانت ليلة جمعة) لا ينافى ذلك أن أطواره يوم الاثنين لان ذلك فى الاطوار الظاهرة كالولادة وما هنا فيما قبلها (أمر الله تعالى فى تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس) الذى

هو أعلى درجات الجنة وأعلاه الوسيلة اظهارا لكرامته صلى الله عليه وسلم (ونادى مناد فى السموات والارض ألا ان النور المخزون المكنون) صفة لازمة (الذى يكون منه النبى الهادى) باثبات الياء أصح من حذفها (فى هذه الليلة يستقر فى بطن آمنة الذى يتم فيه خلقه) أى فى البطن وهو خلاف الظهر مذكر كما فى القاموس (ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا) أى موصوفا بهما عند الله وان تأخر وقوعهما فى الخارج الى بعثته أو حال منتظرة فلا يرد انهما انما يكونان بعد البعثة وليست مقارنة لخروجه (وفى رواية كعب الاحبار انه نودى تلك الليلة) التى حمل فيها بالمصطفى (فى السماء وصفاحها) أى جوانبها (والارض وبقاعها) أى أجزائها وكان الغرض من عطف الصفاح والبقاع الاشارة الى تعميم مواضع النداء (ان النور المكنون الذى منه رسول الله) أى تصور منه جسده (صلى الله عليه وسلم) انتقل (فى بطن آمنة فيا طوبى لها ثم يا طوبى) تأكيد لما قبله (وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا) جميعها (منكوسة) أى مقلوبة على رؤسها (وكانت قريش فى) زمن (جدب) بدال مهملة ضد الخصب (شديد وضيق عظيم) شدة وكرب عطف مسبب على سبب أى ان عدم الخصب كان سببا فى شدة أمرهم (فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم) بالقصر (الرفد) بكسر الراء الخير الكثير (من كل جانب فسميت تلك السنة التى حمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح و) سنة (الابتهاج) أى السرور (وطوبى) فى قوله فطوبى لها ثم يا طوبى المراد بها ههنا (الطيب) فواوها بدل من الياء (والحسنى والخير والخيرة) قال المصباح بكسر الخاء وفتح الياء التخيير وبفتح الخاء وسكون الياء الفاضلة من كل شئ وبكسر الخاء وسكون الياء الاختيار (قاله فى القاموس) المحيط أى البحر فى جملة معان ذكرها اقتصر منها المصنف على مانقله لانه المناسب عنده (وقال غيره) المراد بها (فرح وقرة عين وقال الضحاك) بن مزاحم الهلالى البلخى نسبة الى بلخ مدينة بخراسان المفسر ضعفه يحيى بن سعيد ووثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة وغيرهم وفى التقريب صدوق كثير الارسال روى له أصحاب السنن الاربعة توفى سنة خمس وقيل ست ومائة (عطية وقال عكرمة) بن عبد الله البربرى مولى ابن عباس أبو عبد الله المدنى المفسر الحافظ المتوفى سنة خمس أوست أوسبع ومائة (نعم) جمع نعمة (وفى الحديث) الذى رواه الترمذى عن زيد بن ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم (طوبى للشام) بهمزة ساكنة ويخفف بحذفها وفى لغة شآم بالمد حكاها جماعة قال فى المطالع وأباها أكثرهم والمشهور انه مذكر وقال الجوهرى يذكر ويؤنث وفى تاريخ ابن عساكر دخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبى صلى الله عليه وسلم (فان الملائكة باسطة أجنحتها عليها) استدلال على ان طوبى تطلق على غير الجنة والشجرة (فالمراد بها هنا) فى قوله فيا طوبى لها (فعلى من الطيب وغيره مما ذكر) من فرح وقرة عين وعطية ونعم (لا الجنة ولا الشجرة) لانها كانت زمن حملها فى جاهلية وانما الجنة والشجرة للمؤمنين قال صاحب الخميس ويحتمل أن تفسر بالجنة والشجرة انتهى أى لانها من أهل الفترة وليسوا كلهم معذبين ولان المختار أن أبويه صلى الله عليه وسلم ناجيان فمآل أمرهما الى الجنة والشجرة وهذه

قوله جسده صلى الله عليه وسلم فى بطن أمه الخ نسخة المتن يستقر الليلة فى بطن أمه اهـ

البشارة من الملك فلا مانع أن الله أعلمه بما آل أمرها فبشرها بذلك (وفى حديث ابن اسحق) امام المغازى فى سيرته بلفظ ويزعمون فيما يتحدث الناس (أن آمنة كانت تحدث أنها أتيت) بضم الهمزة مبنى للمالم يسم فاعله أى رأت فى المنام قاله فى النور ونحوه قول الشامى هى رؤيا منام وقعت فى الحمل وأما ليلة المولد فرأت ذلك رؤية عين (حين حملت بالنبى صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة) بل بسيد الاولين والآخرين وقصره على هذه الامة لان سيادته بالامر والنهى انما وجدت فيها (وقالت) آمنة أيضا مما رواه ابن اسحق مسندا الامن تتمة ما قبله ومن ثم لم يعطفه المصنف بالفاء (ماشعرت) قال النور بفتح أوله وثانيه أى علمت (بأنى حملت به ولا وجدت له ثقلا) بكسر المثلثة وفتح القاف وتسكن للتخفيف كما فى المصباح والقاموس وعند الواقدى كما فى العيون ثقلة قال فى النور بفتح المثلثة والقاف تقول وجدت ثقلة فى جسدى أى ثقلا وفتورا حكاه الكسائى (ولا وحما) بفتحتين مصدر وحم بكسر الحاء كما فى المختار أى شهوة الحبلى (كما تجد النساء الا أنى أنكرت رفع حيضتى) بكسر الحاء هنا الاسم من الحيض والحالة التى تلزمها الحائض من التجنب والتحيض كالجلسة وأما بالفتح فالمرة الواحدة من دفع الحيض ونوبه قاله البرهان وتبعه الشامى وهو ظاهر لان الانكار للهيئة الحاصلة للحائض عند نزول الدم من الضعف المقارن لنزوله أو المتقدم عليه الدال على حصوله (وأتانى آت وأنا بين النائمة واليقظانة) بفتح الياء وسكون القاف والذى عند ابن اسحق وأنا بين النوم واليقظة أو قالت بين النائمة واليقظانة ورواه الواقدى كما فى العيون بلفظ بين النائم واليقظان قال الشامى تبعا للبرهان ذكرت آمنة اللفظين على ارادة الشخص (فقال هل شعرت) علمت (بأنك قد حملت بسيد الانام ثم أمهلنى حتى اذا دنت) قربت (ولادتى أتانى فقال لى قولى) اذا وضعتيه (أعيذه) أطلب عصمته وحفظه (بالواحد) فى ذاته وأسمائه وصفاته (من شر كل حاسد ثم سميه محمدا) ولا يلزم من أمرها بالتسمية أن لها ولا يتهابل وافقها جده حين أخبرته كما صرح به المصنف فى المقصد الثانى تبعا للسهيلى هنا فقال الا ما حاصله سماه جده محمدا لرؤيا رآها مع ما حدثته به أمه حين قيل لها اذا وضعتيه فسميه محمدا ثم هذا الذى قلناه كله رواية ابن اسحق (وفى رواية غير ابن اسحق وعلقى عليه هذه التميمة) سماها تميمة لمشابهتها لها فى التعليق والا فأصلها كما فى القاموس خرزة رقطاء تنظم فى السير ثم تعقد فى العنق جمعها تمائم وتميم (قالت فانتبهت وعند رأسى صحيفة) قطعة (من ذهب مكتوب فيها هذه النسخة) هى لغة الكتاب المنقول لكن المراد هنا مكتوب فيها أحرف قوله (أعيذه بالواحد من شر كل حاسد وكل خلق) مخلوق (رائد) طالب للسوء وأصله المرسل لطلب الكلا (من قائم وقاعد) تعميم لرائد (عن السبيل) الطريق السوى (حائد) مائل صفة ثانية لخلق (على الفساد) صفة ثالثة (جاهد) متحمل للمشقة فى تحصيله حتى كأنه استعلى عليه (من نافث) ساحر (وعاقد) يعقد عقدا فى خيط وينفخ فيها بشئ يقوله بلا ريق أو معه وهذا بيان لجاهد فلا يرد أن الاولى الاتيان بالواو أى وأعيذه من كل نافث (و) أعيذه من (كل خلق مارد) عات متجبر (يأخذ بالمراصد) جمع مرصد

كذهب

كمذهب موضع الرصد والراصد للشئ الراقب له وبابه نصر كما فى المختار والجملة صفة مارد أو خلق (فى طرق الموارد) المواضع التى يجتمع فيها الناس وطرق المياه المقصودة للاستقاء (وقال الحافظ عبد الرحيم العراقى) أبو الحسين الاثرى الامام الكبير العلم الشهير ولد فى جمادى الاولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعنى بالفن فبرع فيه وتقدم بحيث كان شيوخ عصره يبالغون فى الثناء عليه بالمعرفة كالسبكى وابن كثير والعلائى وغيرهم ونقل عنه الجمال الاسنوى فى المهمات ووصفه بحافظ العصر وله مؤلفات فى الفن بديعة قال تلميذه الحافظ ابن حجر وشرع فى املاء الحديث من سنة ست وتسعين فأحيا الله به السنة بعد أن كانت داثرة فأملى اكثر من أربعمائة مجلس غالبها من حفظه متقنة مهذبة محررة كثيرة الفوائد الحديثية قال وكان جميل الصورة منور الشيبة كثير الوقار نزر الكلام سليم الصدر كثير الحياء لا يواجه أحدا بما يكره ولو آذاه صالحا متواضعا ضيق المعيشة كثير التلاوة اذا ركب حسن النادرة والفكاهة لا يترك قيام الليل بل صار له كالمألوف مات فى شعبان سنة ست وثمانمائة (هكذا ذكر هذه الابيات بعض أهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا أصل لها) يعتدّ به (انتهى) وقد رواه أبو نعيم وزاد عقب الابيات أنهاهم عنه بالله الاعلى وأحوطه منهم باليد العليا والكنف الذى لا يرى يد الله فوق ايديهم وحجاب الله دون عاديهم لا يطردونه ولا يضرّونه فى مقعد ولا فى منام ولا مسير ولا مقام أول الليل وآخر الايام قال الشامى وسنده واه جدّا وانما ذكرته لانبه عليه لشهرته فى كتب المواليد ويقع فى بعض النسخ زيادة هى (نعم عند البيهقى من حديث ابن اسحق اعيذه بالواحد * من شر كل حاسد فى كل بر) ضد بحر (عاهد *) اسم فاعل من عهد صفة لحاسد أى يتعهده بالحسد أينما سار كأنه لا ينفك عن حسده (و) اعيذه من (كل عبد رائد) طالب السوء (يرود) يطلبه له (غير رائد *) غير طالب له الكلأ كناية عن انه لا ينفعه بوجه (فانه عبد حميد ماجد) اسمان له سبحانه (حتى أراه أثر المشاهد) وهو استدراك على قوله السابق وفى رواية غير ابن اسحق كأنه قال لكن جاء قريب منه عن ابن اسحق فى غير السيرة عند البيهقى (وعن شدّاد بن اوس) بن ثابت الانصارى أبى يعلى الصحابى ابن أخى حسان بن ثابت المتوفى بالشام قبل الستين وقيل بعدها رضى الله عنه (ان رجلا من بنى عامر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال له (ما حقيقة أمرك) حالك (فقال بدو شانى) ظهور أمرى (انى دعوة أبى ابراهيم) فى قوله تعالى حكاية عنه وعن اسمعيل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ولعله خص ابراهيم بالذكر لمزيد شرفه أو لانه الاصل أو الداعى واسمعيل أمّن (وبشرى أخى عيسى) قال تعالى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (وأنى كنت بكر أبى وأمّى) أوّل أولادهما ومقصوده انهما ما ولدا قبله ولا يلزم منه وجود ثان فلا ينافى انهما لم يلدا غيره (وأنها حملت بى كأثقل ما تحمل النساء وجعلت تشتكى الى صواحبها ثقل ما تجد) من ذلك الحمل (ثم ان أمّى رأت فى منامها انّ الذى فى بطنها نور الحديث ففيه) تصريح (ان أمّه عليه الصلاة والسلام وجدت الثقل فى حمله وفى سائر الاحاديث انها لم تجد ثقلا) فحصل التعارض (وجمع أبو نعيم الحافظ) أحمد بن عبد الله

الاصفهاني الصوفي (بينهما) بين حديث شداد وبين سائر الاحاديث (بأن الثقل به كان في ابتداء علوقها به) ولعلها حملته على انه مرض أصابها فلا ينافي انها ما علمت به أولا بتداء نسبي وهو ما قرب من أول مدة الحمل لا حقيقي ولم يفهم هذا من اعترض جمعه بأن عدم علمها به يقتضي ان الثقل لم يكن في ابتدائه (والخفة عند استمرار الحمل به فيكون) أمر حمله (على الحالين خارجا عن المعتاد المعروف) عند النساء فانه في ابتدائه خفيف فاذا استمر اشتد (انتهى) جمع أبي نعيم وبه يشعر قولها السابق كما تجد النساء فان الكلام اذا اشتمل على قيد زائد كان هو المقصود كما قال عبد القاهر فكانها قالت وجدت له ثقلا ليس كالثقل الذي تجده النساء وجمع غيره بأن المنفي الثقل المعنوي وهو الوجع والالم الحاصل للحوامل والمثبت الحسي وهو رزانته وزيادة مقداره من غير ألم ولا تعب لانه صلى الله عليه وسلم وزن بجميع امته فرجحهم وعندي ان هذا تعسف لا دليل عليه وعلته لا تفيد دعواه وان زعم صاحبه انه خير من جمع أبي نعيم (وروى أبو نعيم) المذكور في الدلائل (عن ابن عباس رضي الله عنهما) انه (قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم) وهذا موقوف لفظا وحكمه الرفع اذ لا يقال رأيا (ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة) وتخصيص دوابهم بالنطق لعله لاعلامهم فضله من أول الامر فلا يكون لهم شبهة ولا عذر وقت دعوته لكن لا تتم هذه النكتة الا ان كانوا سمعوا انطق الدواب (وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة و) قالت (هو) صلى الله عليه وسلم (امام الدنيا) بالميم قدوة أهلها ورأيته في خصائص السيوطي الكبرى عن أبي نعيم امان بالنون أي امانها من العاهات العامة وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (و) قالت هو (سراج أهلها) فهذا من جملة نطق الدواب الذي أخبر به ابن عباس وتجويز أن الضمير له وأن المصنف قصد به جواب سؤال هو أن ابن عباس ماشاهد ذلك ولا نقله فمن أين علمه حتى أخبر به خطأ باطل فهذا موجود في كتاب أبي نعيم الدلائل ونقله عنه السيوطي وغيره وتشبث مجوزه بأن شيخه اقتصر على قوله ورب الكعبة وعقبه بقوله ومثله لا يقال رأيا لا يجدي فلا حجة في الترك وأما جواب السؤال فهو قوله لا يقال رأيا فقصد بذلك ان حكمه الرفع كما قدمنا ومن العجب اني لما أوردت على مبدي هذا الاحتمال قول المصنف بعد الحديث قال نعم لكن يجوز أنه جملة معترضة بين اجزاء الحديث وهو فاسد نشأ من الاحتمال العقلي فليس الادراج بالتشهي كما صرح به في فتح الباري وانما يعرف بورود رواية اخرى مبينة للقدر المدرج أو بالنص عليه من الراوي أو من امام مطلع كما في شرح النخبة وغيرها على ان هذا مغالطة لان الادراج من قول راو والدعوى انه من كلام المصنف ثم لا يصح اطلاق ان ابن عباس امام الدنيا وسراج أهلها فانما هما وصفان للنبي صلى الله عليه وسلم (ولم يبق سرير لملك) بكسر اللام (من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا) مقلوبا عن الهيئة التي كان عليها بأن صار أعلاه اسفله فهو مجاز اذ نكس الشيء قلبه على رأسه على ظاهر المختار ان لم يكن تجوز بالرأس عن الاعلى وفي الخميس وكانت الملوك حتى لم يقدروا في ذلك اليوم على التكلم (وفرت) حقيقة ولا مانع منه (وحوش) جمع وحش حيوان البر (المشرق الى وحوش المغرب

بالبشارات

بالبشارات) بما حصل لهما من الفرح والسرور وكأنهما القربهما من موضع الحمل علمت ذلك بنداء الملائكة أو بسماع دواب قريش أو بما شاء الله (وكذلك أهل البحار) صار (يبشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الارض ونداء في السماء) هو (أن ابشروا فقد آن) قرب (ان يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم) حال كونه (ميمونا مباركا الحديث وهو شديد الضعف و) روى (عن غيره) عن غير ابن عباس (لم يبق في تلك الليلة دار الا اشرقت) اضاءت (ولا مكان) اعم من الدار (الا دخله النور) لهذه الزيادة أتى به (ولا دابة) ظاهره عموم الدواب الا ان يحمل على قوله في الرواية السابقة من دواب قريش (الا نطقت) ولم يبين في هذه الرواية ما نطقت به وبينه في السابقة بقوله وقالت حمل برسول الله الخ ومن العجائب نقله من كلام غير المتن مع كونه قطعة منه وينادى على ناقله بابطال ذلك الاحتمال (وعن أبي زكريا يحيى) بن مالك (بن عائذ) بتحتية وذال معجمة نسبة لجده لشهرته به الحافظ الكبير الاندلسي سمع أبا سهل القطان ودعلج بن أحمد وابن قانع وأملى الحديث بجامع قرطبة صعد المنبر يوم الجمعة ليخطب فمات في الخطبة فجأة في شعبان سنة ست وتسعين وثلثمائة أنزل وطلب في الحال من يخطب (بقي صلى الله عليه وسلم في بطن أمه تسعة اشهر كملا) بفتحتين مخفف الميم أي كاملة وهذا أحد أقوال خمسة في مدة الحمل تاتي في المصنف وذكره هنا لما بعده لا مقصود (لا تشكو وجعا) في رأسها من نحو الدوخة التي تعرض للحامل ولا في بدنها من استرخاء الاعضاء والمفاصل (ولا) تشكو (مغصا ولا ريحا) في بطنها (ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء) من حب بعض المأكول وبغض بعضه كما مر في قولها لم أجد له وحما فليس تفسيرا كما زعم (وكانت تقول والله ما رأيت) ما علمت (من حمل) لواحدة من النساء لانها ما حملت بغيره صلى الله عليه وسلم (هو أخف منه ولا أعظم بركة) كناية عن كونه أخف ما يوجد من الحمل بناء على الاستعمال لا اللغة فلا يرد أنه لا ينفي رؤيتها من يساويه مع ان قصدها انه اخف ما يوجد فهو كقولهم ليس في البلد أعلم من زيد يريدون انه اعلم أهلها ثم ذكر المصنف وفاة والده صلى الله عليه وسلم توطئة لما يأتي من امتناع الرضعاء من أخذه لموت أبيه فقال (ولما تم لها) لامنة (من حملها شهران) وقيل قبل ولادته بشهرين (توفي عبد الله) بن عبد المطلب عن خمس وعشرين سنة قال الواقدي وهو الاثبت أو عن ثلاثين سنة قاله أبو أحمد الحاكم أو عن ثمان وعشرين أو عن ثمان عشرة سنة وهو الذي صححه الحافظ العلائي والحافظ ابن حجر واختاره السيوطي (وقيل توفي) عبد الله (وهو) صلى الله عليه وسلم (في المهد) قال السهيلي وهو قول اكثر العلماء واحتج له بقول عبد المطلب لابي طالب أوصيك يا عبد مناف بعدي بموتم بعد أبيه فرد فارقه وهو ضجيع المهد انتهى قال السمين المهد ما يمهد للصبي ليربى فيه من مهدت له المكان أي وطأته ولينته وفيه احتمالان أحدهما ان أصله المصدر فسمي به المكان وأن يكون بنفسه اسم مكان من غير مصدر وقد قرئ مهدا ومهادا في طه (قاله) الحافظ أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد الانصاري الرازي (الدولابي) سمع محمد بن بشار وهرون بن سعيد وطبقتهما ورحل وصنف وعنه ابن أبي حاتم وابن عدي وابن حبان

والطبراني وغيرهم قال الدارقطني تكلموا فيه ومايظهر من أمره الاخير وقال ابن يونس ضعيف ولد سنة أربع وعشرين ومائتين ومات بالعرج بين مكة والمدينة سنة عشر وثلثمائة قال في اللب كاصله الدولابي صوابه بفتح أوله والناس يضمونه الى عمل الدولاب ودولاب قرية بالري قال ابن السمعاني وظني ان بعض اجداده نسب الى عمل الدولاب قال وأصله من الري فيمكن ان يكون من قرية دولاب انتهى وفي النور والقاموس الدولاب القرية بالضم والذي كالناعورة بالضم وبفتح (و) على كونه توفي وهو في المهد اختلف كم كان سنه صلى الله عليه وسلم فنقل (عن) الحافظ أحمد (بن أبي خيثمه) زهير بن حرب الحافظ ابن الحافظ الامام الثبت أبي بكر النسائي ثم البغدادي قال الخطيب ثقة عالم متقن حافظ بصير بأيام الناس راوية للادب أخذ علم الحديث عن أحمد وابن معين وعلم النسب عن مصعب وأيام الناس عن المدائني والادب عن محمد بن سلام الجمحي ولا اعرف اغزر فوائد من تاريخه بلغ أربعا وتسعين سنة ومات في جمادى الاولى سنة تسع وسبعين ومائتين (وهو ابن شهرين وقيل) مات (وهو) عليه الصلاة والسلام (ابن سبعة اشهر) بموحدة بعد السين كما في العيون وقيل ابن تسعة (وقيل) مات (وهو) صلى الله عليه وسلم (ابن ثمانية وعشرين شهرا) فكل هذه الاقوال مبنية على انه مات وهو في المهد وهو صريح العيون والسبل (والراجح المشهور) كما قال ابن كثير ورجحه الواقدي وابن سعد والبلاذري والذهبي هو (الاول) يعني انه مات وهو حمل والحجة له ما في المستدرك عن قيس بن مخرمة توفي أبو النبي صلى الله عليه وسلم وأمه حبلى به قال الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي (وكان عبد الله) فيما رجحه الواقدي وقال هو أثبت الاقاويل (قد رجع من غزة ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة يثرب) بدل أتى به لدفع توهم ان المراد غيرها لانها حينئذ ماكانت معروفة الا بيثرب لا المدينة سميت بيثرب ابن قابل بن ارم بن سام بن نوح لانه أول من نزلها وقد غيره صلى الله عليه وسلم الى طيبة وسماها الله طابة رواه مسلم قال عيسى بن دينار من سماها يثرب كتبت عليه خطيئة وفي مسند أحمد عن البراء بن عازب قال قال صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله عز وجل هي طابة هي طابة وانما سميت في القرآن حكاية (فتخلف عند أخواله بني عدي ابن النجار) أي اخوال أبيه لان هاشما تزوج من بني عدي فولدت له عبد المطلب أما اخوال عبد الله فهم من قريش من بني مخزوم (فأقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا) عند أخواله (فبعث) عبد المطلب (اليه أخاه) أخا عبد الله (الحرث) وقال ابن الاثير الزبير (فوجده قد توفي) بالمدينة (ودفن) بها (في دار التابعة) بفوقية فوحدة فعين مهملة كما في الزهر الباسم قال الخميس وهو رجل من بني عدي بن النجار (وقيل دفن بالابواء) بفتح أوله ومد آخره قرية من عمل الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا والصحيح انها سميت بالابواء لتبوؤ السيول بها قاله ثابت بن حزم الحافظ وقيل لما فيها من الوباء قال البرهان وغيره ولو كان كذلك لقيل الاوباء أو يكون مقلوبا منه (وقالت آمنة زوجته ترثيه) شعرا (عفا جانب

البطحاء

البطحاء) المختار عفا المنزل درس وضمنته معنى خلا فعدته بمن فى (من آل هاشم *) وجعلت
خلوها منه خلوا من آل هاشم مبالغة لعدم قيام غيره منهم مقامه أو الاضافة عهدية
والمعهود زوجها اطلقت عليه آل لانه اسم لاهل الرجل وعياله فيطلق على الكثير والواحد
(وجاور) من المجاورة (لحدا نارجا فى الغماغم) بغينين معجمتين وميمين أى الاغطية
قاله الشامى وكان المراد الاكفان التى لف فيها فكانها قالت جاور حال كونه مدرجا
فى اكفانه لحدا بعيدا عن اماكن أهله (دعته المنايا) جمع منية بشد الياء الموت (دعوة)
ويروى بغتة (فأجابها *) واسناد الدعوة الى المنايا تجوز وكأنها أرادت ناداه
ملك الموت حيث أراد قبض روحه فأجابه بمعنى قام به الموت أو أسبابه حتى توفى (وما
تركت) المنايا (فى الناس مثل ابن هاشم) عبد الله لانه كان يتلألأ نورا فى قريش
وكان أجملهم فشغفت به نساؤهم وكدن أن تذهل عقولهن قال أهل السير فلقى عبد الله
فى زمنه من النساء مالقى يوسف فى زمنه من امرأة العزيز (عشية راحوا) أى ذهب
المشيعون له حال كونهم (يحملون) فى الوقت المسمى عشية وهى آخر النهار (سريره *)
النعش الذى هو عليه (تعاوره) تداوله (أصحابه فى التزاحم) أى مع التزاحم عليه ففى
بمعنى مع كقوله ادخلوا فى أمم (فان تك غالته) أى أخذته على غفلة أى أهلكته (المنون
وريبها *) أى حوادثها أى الاسباب المؤدية للموت وعبرت بان التى للشك لاستبعاد وقوع
الموت به استعظاما له وجواب الشرط محذوف أى أسف الناس لموته والفاء للتعليل
فى قولها (فقد كان معطاء) كثير الاعطاء (كثير التراحم) ويذكر عن ابن عباس انه لما
توفى عبد الله قالت الملائكة) يا (الهنا و) يا (سيدنا بقى نبيك يتيما) لا أب له قال الجنس
أعلى اليتم ما توفى الوالد والولد فى بطن الأم (فقال الله تعالى) جوابا لهم (أناله حافظ
ونصير) ومن كنت له كذلك لا يضيع وهذا حكمه الرفع لو صح لكن مرضه المصنف على
عادتهم فى نقل التضعيف بيروى ويذكر وفى لفظ قالت الملائكة صار نبيك بلا أب فبقى من غير
حافظ ومربى فقال الله أنا وليه وحافظه وحاميه وربه وعونه ورازقه وكافيه فصلوا عليه
وتبركوا باسمه (وقيل لجعفر الصادق) لقب به لانه ما كذب قط (لم يتم) بكسر التاء
كما اقتصر عليه الجوهرى وزاد المجد فتحها والمصباح ضمها (النبى صلى الله عليه وسلم)
أى ما حكمة ذلك (قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق) ولا يرد عليه بقاء أمه حتى بلغ ست
سنين أو أكثر لان تعلق الحقوق انما هو بعد البلوغ (نقله عنه أبو حيان) الامام أثير الدين
محمد بن يوسف بن على بن يوسف الاندلسى الغرناطى نحوى عصره ولغويه ومقريه ولد
فى شوال سنة أربع وخمسين وستمائة وأخذ عن ابن الصائغ وابن النحاس وغيرهما وتقدم
فى النحو فى حياة شيوخه واشتهر اسمه وألف الكتب المشهورة وأخذ عنه أكابر عصره ومات
فى صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة (فى البحر) هو تفسيره الكبير وقال ابن العماد
فى كشف الاسرار انما رباه يتيما لان أساس كل صغير كبير وعقبى كل حقير خطير ولينظر صلى
الله عليه وسلم اذا وصل الى مدارج عزه الى أوائل أمره ليعلم ان العزيز من أعزه الله تعالى
وان قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال بل قوته من الله تعالى وأيضا ليرحم

المقبر والايتام (وروى أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة) الصورى الصدوق روى عن الوليد بن مسلم وغيره وممنه النسائى واحمد بن المعلى (قال سمعت أبى وكان من أوعية العلم قال لما حضرت آمنة الولادة) وفى نسخة حضرت ولادة آمنة أى دخل وقت ولادتها (قال الملائكة) أى للخزان وفى نسخ قال الله للملائكة (افتحوا أبواب السماء كلها) هو ظاهر فى انها مغلقة وانما تفتح لاسباب وهو ماصرحت به النصوص وبه تشهد الاخبار (و) افتحوا (أبواب الجنان) السبع وهى على ماروى عن ابن عباس جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون لكن قال السيوطى لم أقف عليه يعنى مسندا عن ابن عباس فلا ينافى ذكره فى البدور عن القرطبى انها سبع وعد هذا الا انه قال بدل عليون دار الجلال وقيل الجنة واحدة مسماة بهذه الاسماء وقيل أربع ورجح بما فى سورة الرحمن وقال السبكى هذه الاربع أنواع تحتها أفراد كثيرة كما فى الحديث انها جنان كثيرة (وألبست الشمس يومئذ) أى زادت (نورا عظيما) على نورها (وكان قد أذن الله تعالى) أراد (تلك السنة) التى حمل فيها بالنبى صلى الله عليه وسلم (لنساء الدنيا) أى الحاملات منهن (أن يحملن ذكورا) وليس المراد أن جميع نساء الدنيا حبلن اذ فيهن العزباء والكبيرة والصغيرة ومن لم تتزوج أصلا ومن زوجها غائب عنها كل ذلك (كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم) فهو راجع لجميع ماقبله (الحديث وهو مطعون فيه وذكر أبو سعيد عبد الملك النيسابورى) مر انه بفتح النون نسبة الى نيسابور أشهر مدن خراسان (فى كتابه المعجم الكبير) وصريح المصنف انه غير صاحب شرف المصطفى فان اسمه عبد الرحمن كما مر والمصنف سماه عبد الملك (كما نقله عنه صاحب كتاب السعادة والبشرى عن كعب فى حديثه الطويل ورواه) أى روى ماذكره أبو سعيد عن كعب (أبو نعيم من حديث ابن عباس) انه (قال كانت آمنة تحدث وتقول) ومعلوم انه ماسمعها فيحمل على انه سمعه ممن سمعها (أتانى آت حين مر بى من حملى ستة أشهر فى المنام وقال لى يا آمنة انك قد حملت بخير العالمين) الماضين والموجودين والآتين (فاذا ولدته) بتاء وهاء وفى نسخة بنهما ياء على لغة قليلة للاشباع (فسميه محمدا واكتمى شأنك) حتى تضعى فلا ينافى اخبارها به (قالت ثم أخذنى ما يأخذ النساء) من الطلق (ولم يعلم بى أحد لاذكر ولا أنثى) أتت به بعد أحد لدفع توهم أن المراد الذكور فقط (وانى لوحيدة) منفردة (فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه) بالبيت الحرام (فسمعت وجبة) بسكون الجيم وفتح الموحدة أى هدة (عظيمة) وهى سقوط وقع نحو الحائط (وأمرا عظيما هالنى) افزعنى وهو تفسيرى (ثم رأيت) رؤية عين بصرية شيأ (كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى) هو القلب عند الجوهرى وغشاؤه عند غيره قال الزركشى وهو أحسن لحديث ألين قلوبا وأرق أفئدة (فذهب عنى الرعب) الخوف الحاصل من تلك الوجبة (وكل وجع أجده) بسبب الطلق فلا ينافى انها لم تشك مايعرض للعوامل (ثم التفت فاذا أنا بشربة بيضاء) أى بآنية شربة أو أطلق الشربة على محلها وهو المشربة بكسر الميم مجازا من تسمية المحل باسم الحال فيه اذ الشربة المرة من الشرب (فتناولتها) فشربتها

وفي رواية فاذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبنا وكنت عطشى فشربتها فاذا هي أحلى من العسل (فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا) بكسر الطاء جمع طويلة وأما بضمها فمفرد كرجل طوال وقال ابن الأثير جمع طولى مثل الكبر في الكبرى وهذا البناء يلزمه أل أو الاضافة (كأنهن من بنات عبد مناف) شبههن بهن لاشتهارهن بين النساء بالطول والجمال (يحدقن) بضم الياء وكسر الدال مخففة فقاف ساكنة وبفتح الياء وكسر الدال أي يحطن بي (فبينما أتعجب وأنا أقول واغوثاه من أين علمن بي قال في غير هذه الرواية فقلن لي) أي اثنتان منهن على أن أقل الجمع اثنان أو مجاز (نحن آسية) بالمد وكسر السين المهملة كما في التبصيرات مزاحم قيل انها اسرائيلية وانها عمة موسى وقيل انها ابنة عم فرعون وانها من العمالقة (امرأة فرعون) ذات الفراسة الصادقة في موسى حين قالت قرة عين لي ومن فضائلها انها اختارت القتل على الملك وعذاب الدنيا على النعيم الذي كانت فيه (ومريم ابنة عمران) أم عيسى عليه السلام قيل انهما نبيتان بل قال القرطبي الصحيح أن مريم نبية لكن قال عياض الجمهور على خلافه وبعضهم نقل الاجماع على عدم نبوة النساء وعن الاشعري نبئ منهن ست هاتان وحواء وسارة وهاجر وأم موسى واستعمال نحن فيهما حقيقة لانها للمتكلم ومعه غيره واحدا أو أكثر (وهؤلاء من الحور العين) ولعل حكمة شهودهم كثرة الحور له في الجنة كما أن مريم وآسية من نسائه في الجنة كما في الحديث (واشتد بي الامر واني أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينما أنا كذلك اذ بديباج) بكسر الدال ويجوز فتحها نوع من الحرير قاله في التوشيح (أبيض قد مد بين السماء والارض) تعظيما لولادته عليه السلام (واذا بقائل يقول خذاه) اذا ولد (عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء) أي ملائكة تشكلوا بصورة الرجال (بأيديهم أباريق من فضة ثم نظرت فاذا أنا بقطعة) جماعة (من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي) لكثرتها (مناقيرها) مبتدأ خبره (من الزمرذ) بزاي معجمة فميم فراء مشددة مضمومات فذال معجمة كما صوبه الاصمعي وجزم به المجد وقال ابن قتيبة مهملة الزبرجد فارسي معرب (وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة) ولعل حكمة ذلك الاشارة الى أن شرعه يعم المشارق والمغارب ويعلو على مكة وبصيرتنا واضحاك الاعلام (فأخذني المخاض) قال البيضاوي بفتح الميم وكسرها مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج (فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم) الظاهر أن الصلاة من الراوي (فنظرت اليه فاذا هو ساجد) حقيقة (قد رفع اصبعيه) أي سبابتيه قابضا بقية أصابعه كما يأتي في رواية الطبراني (الى السماء كالمتضرع المتذلل) (المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عني ثم سمعت مناديا ينادي طوفوا به مشارق الارض ومغاربها) خصت الارض بذلك دون السماء لانها محل بعثته وظهور رسالته والمناسب لقوله السابق خذاه أن يقال طوفا به فيحتمل أن معهما غيرهما تعظيما له أو على أن الجمع ما فوق الواحد (وأدخلوه البحار)

قوله وقال ابن الاثير الخ فيه أن جمع طولى طول بوزن صرد كما قال مثل الكبر في الكبرى لا طوال بضم الطاء أو كسرها فتدبر اه مصححه

جمعها وهى سبعة أخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس ووهب وأخرج أيضا عن حسان بن عطية قال بلغنى أن مسيرة الارض خمسمائة سنة بحورها منها مسيرة ثلثمائة سنة والخراب منها مسيرة مائة سنة والعمران مسيرة مائة سنة (ليعرفوه باسمه) فيها وهو الماحى كما يأتى على الاثر ولا تفهم انه عام فتتعب (ونعته وصورته) أى لتعرفه البحار نفسها ولا مانع فالله على كل شئ قدير أو أهلها أوهما جميعا (و) حين اذ عرفوه بالثلاثة (يعلمون) فالواو استئنافية بدليل النون (انه سمى فيها) فى البحار (الماحى) لانه (لا يبقى شئ من الشرك الا محى فى زمنه) قال المصنف فى أسمائه صلى الله عليه وسلم ولما كانت البحار هى الماحية للادران كان اسمه فيها الماحى انتهى وهى مناسبة لطيفة (ثم انجلت عنه) تلك السحابة (فى أسرع وقت الحديث وهو مما تكلم فيه) فذكره لينبه عليه لشهرته فى الموالد (وروى الخطيب البغدادى) الحافظ أحمد بن على بن ثابت (بسنده) ايضاح فهو عندهم مدلول روى (كما ذكره صاحب كتاب السعادة والبشرى أيضا) كما ذكر الاول (ان آمنة قالت لما وضعته عليه الصلاة والسلام) الظاهر أن التصلية من الراوى كما مر (رأيت سحابة عظيمة لها نور أسمع فيها صهيل الخيل) كأ مير أصواتها كما فى القاموس (وخفقان الاجنحة) مصدر خفق كضرب أى اضطرابها (وكلام الرجال) الملائكة المتشكلين بصفتهم (حتى غشيته) تلك السحابة متعلق بمقدر أى أقبلت (وغيب عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا بمحمد) صلى الله عليه وسلم (مشارق الارض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته فى جميع الارض) متعلق بيعرفوه (واعرضوه) بهمزة وصل أظهروه (على كل روحانى) بضم الراء أى من فيه روح بدليل قوله (من الجن والانس والملائكة والطيور والوحوش وأعطوه خلق آدم) بفتح الخاء وسكون اللام ففى حديث أنا أشبه الناس بأبى آدم وكان أبى ابراهيم خليل الرحمن أشبه الناس بى خلقا وخلقا (ومعرفة شيث) بن آدم نقل الثعلبى وغيره ان الله علمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الحق فى كل ساعة منها فلعل هذا هو المراد بالمعرفة هنا (وشجاعة نوح) ولو لم يكن من شجاعته الا مكثه فى قومه ألف سنة الا خمسين مع تعنتهم عليه وكفرهم وقلة من آمن معه وهو لا يبالى بهم ويقاومهم كلهم ومواطن شجاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تحصر (وخلة) بضم اللام (ابراهيم) لله عز وجل فى قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا وفى الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا وأخرج أبو يعلى فى حديث المعراج فقال له ربه اتخذتك خليلا وحبيبا فثبت انه خليل كابراهيم وزاد كونه حبيبا (و) أعطوه (لسان اسمعيل) أى لغته نحو وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أخرج الزبير بن بكار بسند جيد عن على مرفوعا أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة اسمعيل وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق على الاطلاق وقد روى أبو نعيم فى تاريخ أصبهان عن ابن عمر قال قال عمر يا نبى الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا قال صلى الله عليه وسلم كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءنى بها جبريل فحفظتها بل زاد على ذلك فكان يخاطب كل ذى لغة بلغته اتساعا فى الفصاحة (ورضا اسحق) بالذبح على انه الذبيح فى حديث ان داود سأل ربه مسئلة

قوله كلهم أى لكنى حذفه لوضوحه

فقال

فقال اجعلني مثل ابراهيم واسحق ويعقوب فأوحى الله اليه انى ابتليت ابراهيم بالنار فصبر وابتليت اسحق بالذبح فصبروا بتليت يعقوب فصبر الحديث وقد رضي نبينا صلى الله عليه وسلم بما هو أقوى من ذلك فقد أدمى الكفار جلده وكسروا رباعيته وشجوا وجهه واجتمعوا على قتله وحاربوه وهو مع ذلك كله راض ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (وفصاحة صالح) ذكر الثعلبي انه كان من افصح أهل زمانه وأحسنهم منطقا قال وكان له من الحسن والجمال مالا يقدر أحد أن يتمتع بالنظر اليه من نور وجهه وكان اشبه الناس بشيث وأعطاه الله من العلم والحلم والوقار والسكينة شيأ كثيرا وكان لباسه الصوف ونعلاه من خوص النخل انتهى والمصطفى صلى الله عليه وسلم لا يدانيه في الفصاحة احد (وحكمة لوط) المشار لها بقوله تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما قال البيضاوي أى حكمة أونبوة أوفصلا بين الخصوم واقتصر الجلال على الثالث وما بلغه نبينا من ذلك لا مضارع له فيه (وبشرى يعقوب) له لها بسلامة ولده أو بالفوز بدعوة أبيه دون أخيه عيصو وقد بشر نبينا صلى الله عليه وسلم من ربه بأمور كثيرة (وشدة موسى) في دين الله وفي القوة فقد حكي عنه قتل ذلك الرجل بوكزة وغير ذلك ونبينا اعطى فوق ذلك فقد قتل أبي بن خلف بادنى شئ حتى عيره قومه فقال لو بصق على محمد لقتلني وصارع بمكة رجلا كان لا يقدر على صرعه أحد فصرعه الى غير ذلك (وصبر ايوب) الممدوح عليه بقوله انا وجدناه صابرا وأحوال المصطفى في الصبر لا يضبطها الحصر (وطاعة يونس) لله تعالى من الصغر روى انه لما بلغ سبع سنين قال لامه اريد كسوة الصوف حتى الحق بالعباد فلم تجبه فلم يزل بها حتى كسته وكان معهم حتى تم له خمس عشرة سنة ذكره الثعلبي وطاعة المصطفى لربه من قبل السبع فكان يخرج هو وأخوه من الرضاعة في بني سعد فيرى الغلمان يلعبون فيلعب أخوه فاذا رآهم عليه الصلاة والسلام أخذ بيد أخيه وقال انا لم نخلق لهذا (وجهاد يوشع) بن نون قاتل الجبارين بعد موسى يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم وقد جاهد صلى الله عليه وسلم الجبارين ببدر يوم الجمعة ونصره الله عليهم ثم استمر مجاهدا في الله حق جهاده حتى توفاه الله واستمر في شرعه الجهاد الى يوم القيامة ولله الحمد (وصوت داود) المشار له بحديث لقد أوتي أبو موسى مزمارا من مزامير آل داود يعني داود نفسه ولا ريب في أن المصطفى فاقه لما رواه الترمذي من حديث انس ما بعث الله نبيا الاحسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها وأحسنهم صوتا (وحب دانيال) آتاه الله النبوة والحكمة روى ابن أبي الدنيا ان بخت نصر ضرى أسدين والقاهما في جب وأمر بدانيال فالقي عليهما الحديث وروى البيهقي ان دانيال طرح في الجب والقيت عليه السباع فجعلت تلحسه وتبصبص اليه وأرسل الله له ملكا بطعام وروى ابن أبي الدنيا ان الملك الذى كان دانيال في سلطانه قال له منجموه يولد ليلة كذا وكذا غلام يفسد ملكك فأمر بقتل من يولد تلك الليلة فلما ولد دانيال القته أمه في أجمة اسد فبات الاسد ولبوته يلحسانه ونجاه الله واقوى من ذلك مكث نبينا صلى الله عليه وسلم في الغار ليلة الهجرة وحفظ الله له من الكفار الذين هم اشد من الاسد مع أن احدهم لو نظر الى عقبه لرآه وقد حفظه الله

حين وُلد من اليهودى ومكره به وتحريضه على قتله بقوله يا معشر قريش ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب كما يأتى قريبا (ووقار الياس) ممن ذرية هرون كان على صفة موسى فى الغضب والقوة ونشأ نشأة حسنة يعبد الله وجعله الله نبيا ورسولا وآتاه آيات وسخر له الجبال والاسود وغيرها وأعطاه قوة سبعين نبيا ذكره الثعلبى والمصطفى صلى الله عليه وسلم لا يقاربه أحد فى الوقار وقد كان أصحابه لا يستطيعون امعان النظر فيه لقوة مهابته ومزيد وقاره ومن ثم لم يصفه الا صغارهم أو من كان فى تربيته قبل النبوة كهند وعلى (وعصمة يحيى) بن زكريا من اللعب ونحوه من الصغر قال الثعلبى روى فى قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قيل تعلم التوراة فى صغره وقيل نزل عليه الوحى لثلاثين سنة وقيل ان صبيا ناداه فى صغره للعب فقال أوللعب خلقنا وقد حكى أن زكريا قال ان كان هذا الولد يريد الدنيا فلا حاجة لنا فيه وان كان يريد الآخرة فمرحبا به فقال له جبريل انه لا يريد الا الآخرة فظهر يحيى ونشأ نشوءا حسنا انتهى وقد عصم نبينا من كل شئ من أول أمره ومر اجتنابه اللعب عقب فطامه وقوله انا لم نخلق لهذا وكانت همته وارادته كلها فى مرضاة ربه (وزهد عيسى) ابن مريم المشهور وقد فاق المصطفى كل زاهد حتى منع بعضهم من اطلاق الزهد عليه معللا بأنه لا قيمة للدنيا عنده حتى يزهد فيها وقد عرض عليه أن تسير معه الجبال ذهبا وفضة فأبى وخير بين الملك والعبودية فاختار العبودية (والتمسوه فى اخلاق النبيين) كلها المجتمع فيه ما تفرق فى غيره كيف وقد كان خلقه القرآن (قالت) آمنة (ثم انجلى عنى) ما رأيته من السحابة وما فيها (فاذا به) صلى الله عليه وسلم (قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديدا ينبع) مثلث الموحدة كما فى القاموس والارشاد وغيرهما أى يخرج (من تلك الحريرة ماء واذا بقائل يقول بخ بخ) الاول منون والثانى مسكن وبتسكينهما وبتنوينهما وبتشديدهما وتفرد ساكنة ومكسورة ومنونة مضمومة كلمة تقال عند الرضا أى عظم الامر وفخم كما فى القاموس (قبض محمد على الدنيا كلها) والاشارة الى ذلك قبضه على الحريرة بيده (لم يبق خلق من أهلها الا دخل طائعا فى قبضته) حقيقة أو حكما لظهور ما معهم من البراهين الدالة على أن امتناعهم من الايمان مجرد عناد وظلم فلا يرد أن كثيرا ما آمنوا به أو باعتبار مبدأ الخلق لولادة الجميع على الفطرة (قالت ثم نظرت اليه صلى الله عليه وسلم فاذا هو كالقمر) كذا فى نسخة وهى ظاهرة لان اذا الفجائية تختص بالجمل الاسمية ولا تحتاج لجواب ولا تقع فى الابتداء ومعناها الحال لا الاستقبال كما فى المغنى وفى نسخة فاذا به كالقمر فبه خبره قدم وكالقمر صفة لمحذوف أى نور والكاف اسم بمعنى مثل فهو من الوصف بمفرد أو الباء مزيدة فى المبتدا على أن زيادتها فيه مقيسة والاصل فاذا هو كالقمر فانقلب الضمير (ليلة البدر ريحه يسطع) بفتح الطاء يظهر (كالمسك الاذفر) بذال معجمة الزكى (واذا بثلاثة نفر) بالتنوين ونفر بدل منه وبالاضافة بيانية عند البصرة أو من اضافة الصفة لموصوفها عند الكوفة كما صرح به الرضى خلافا لزعم أبى البقاء أن الصواب التنوين فى مثله (فى يد أحدهم ابريق من فضة وفى يد الآخر طست) بفتح الطاء وكسرها وسكون السين المهملة وبمثناة وقد تحذف وهو الاكثر

وانباتها

وانباتها لغة طيئ واخطأ من انكرها قاله الحافظ (من زمرذ) بضمات والراء مشددة والذال معجمة على الافصح وقدمرّ (اخضر وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها) أى فردها (فاخرج منها خاتما تحار ابصار الناظرين دونه) أى في مكان اقرب منه والمراد تحير فيما دون ذلك الخاتم لصفته الخارقة للعادة (فغسله) أى غسل الملك النبي صلى الله عليه وسلم لانه المحدث عنه (من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه) أى لف الملك النبي صلى الله عليه وسلم (في الحريرة ثم احتمله فادخله بين اجنحته ساعة) الظاهر أن المراد مدة من الزمن لا الفلكية (ثم رده الى) ورواه) أى هذا الحديث (أبو نعيم عن ابن عباس وفيه نكارة وروى الحافظ أبو بكر بن عائذ في كتابه المولد كما نقله عنه الشيخ بدر الدين) محمد بن عبد الله (الزركشي) الشافعي العلامة البارع ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة وأخذ عن الاسنوى ومغلطاى وابن كثير وغيرهم والف تصانيف كثيرة في عدة فنون مات في رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة ودفن بالقرافة الصغرى (في شرح بردة المديح) للبوصيرى التي أولها أمن تذكر جيران بذى سلم (عن ابن عباس) رضى الله عنهما انه قال (لما ولد صلى الله عليه وسلم قال في اذنه رضوان خازن الجنان أبشر يا محمد فما بقى لنبى علم الا وقد اعطيته) واذا كان كذلك (فأنت اكثرهم علما واشجعهم قلبا) وهذا أرسله ابن عباس ومرسل الصاحب وصل في الاصح وحكمه الرفع اذ لا مجال فيه للرأى (وروى محمد ابن سعد) بن منيع الهاشمى مولاهم البصرى الصدوق الحافظ نزيل بغداد كاتب الواقدى مات سنة ثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وستين سنة (من حديث جماعة منهم عطاء) بن أبى رباح (وابن عباس ان آمنة بنت وهب) بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب والدته صلى الله عليه وسلم (قالت لما فصل) أى خرج (منى تعنى) تريد آمنة (النبي صلى الله عليه وسلم خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع) عليه السلام (الى الارض) زاد ابن سعد عن الواقدى جاثيا على ركبتيه (معتمدا على يديه ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها) اشارة الى انه يغلب أهل الارض ويكون التراب من جملة معجزاته ألا ترى أنه حثا في وجوه اعدائه قبضة من تراب ليلة الهجرة ويوم بدر وأحد وحنين وللاشارة الى الاعراض عن الدنيا فكأنه حين رفع رأسه يقول لا التفت الى الدنيا وما فيها فانها كهذا التراب (ورفع رأسه الى السماء) ينظر ببصره اليها قال الجوجرى وفيه اشارة دائما الى ارتفاع شأنه وقدره وانه يسود الخلق أجمعين وكان هذا من آياته وهو انه أول فعل وجد منه في أول ولادته وفيه اشارة وايماء لمن تأمل الى أن جميع ما يقع له من حين ولد الى حين يقبض دال على العقل فانه لا يزال متزايد الرفعة في كل وقت وحين عالى الشأن على المخلوقات وفي رفعه رأسه اشارة وايماء الى كل سودد وأنه لا يتوجه قصده الا الى جهات العلو دون غيرها مما لا يناسب قصده (وروى الطبرانى) سليمان بن أحمد بن ايوب الحافظ (انه) صلى الله عليه وسلم (لما وقع الى الارض وقع) حال كونه (مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة) اللام للاستغراق أو الجنس فشمل السبابتين ليوافق قوله السابق اصبعيه (كالمسبح بها) وفي السابقة كالمتضرع المبتهل (وروى عن عثمان بن أبى العاصى) الثقفى ولى الطائف

الرسول الله صلى الله عليه وسلم واقره أبو بكر ثم عمر ثم استعمله عمر على عمان والبحرين سنة خمس عشرة ثم سكن البصرة حتى مات بها سنة خمس أو احدى وخمسين (عن أمه أم عثمان الثقفية) الصحابية (واسمها فاطمة بنت عبد الله) ذكرها أبو عمر وغيره فى الصحابة انها (قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت) الذى ولد فيه (حين وقع) أى نزل من بطن أمه (قد امتلا نورا ورأيت النجوم تدنو) تقرب منى (حتى ظننت انها ستقع على) رواه البيهقى والطبرى وابن عبد البر قال فى الفتح وشاهده حديث العرباض فذكره وتبعه المصنف فقال (وأخرج أحمد) بن محمد بن حنبل الامام المشهور (والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى عن العرباض) بكسر العين (ابن سارية) السلمى رضى الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله) بالنون مكتوب (لخاتم النبيين) باللام ويقع محرفا فى بعض نسخ انى عبد الله وخاتم النبيين بياء وواو وهو تحريف لا شك فيه فقد قدمه المصنف نفسه الحديث فى أول الكتاب على الصواب وكذا الشامى وليس القصد الاخبار فى هذا الحديث بأنه عبد الله بل بأنه مكتوب عنده خاتم النبيين (و) الحال (ان آدم لمنجدل) أى مطروح على الارض (فى طينته) خبر ثان لان لا متعلق بمنجدل كما مر (وسأخبركم عن ذلك انى دعوة أبى ابراهيم) هى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم (وبشارة) قال فى النور بكسر الموحدة وضمها الاسم (عيسى) هى قوله ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (ورؤيا أمى التى رأت) رؤية عين بصرية قال مغلطاى وذكر ابن حبان أن ذلك كان فى المنام وفيه نظر (وكذلك امهات النبيين) جمع نبى (يرين) ذلك الذى رأته أمه صلى الله عليه وسلم فهو من خصائصه على الام لا على الانبياء كما نصوا عليه وفى نسخة وكذلك امهات الانبياء وفى بعض النسخ من المصنف ومن الشامية وكذلك امهات المؤمنين وهو تحريف لا شك فيه ولا ريب فالحديث فى الجامع الكبير والخصائص وغيرهما من الدواوين امهات النبيين وذكر ما رأته أمه بقوله (وان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام) أى اضاء النور وانتشر حتى رأت قصور الشام وأضاءت تلك القصور من ذلك النور (قال الحافظ) أبو الفضل (ابن حجر صححه) أى الحديث (ابن حبان) بكسر الحاء المهملة وفتح الموحدة المشددة الامام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان التميمى البستى بضم الموحدة وسكون السين المهملة نسبة الى بست بلد كبير من بلاد الغور بطرف خراسان كما فى التبصير العلامة صاحب التصانيف قال الحاكم كان من أوعية العلم (والحاكم) أبو عبد الله الحافظ زاد فى الفتح وفى حديث أبى امامة عند أحمد نحوه وأخرجه ابن اسحق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه وقال فيه اضاءت له قصور بصرى من أرض الشام (وأخرج أبو نعيم عن عطاء بن يسار) ضد يمين الهلالى الثقة كثير الحديث القاص مولى ميمونة عن مولاته وأبى ذر وزيد بن ثابت وأبى وعدة وعنه زيد بن اسلم وشريك بن أبى نمر وخلق قال فى الكاشف كان من كبار التابعين وعلمائهم وخالف ذلك فى طبقات الحفاظ فعده فى أواسط التابعين مات سنة ثلاث أو أربع ومائة وقيل سنة أربع وتسعين وقيل تسع

وتسعين

وتسعين عن أربع وثمانين سنة قيل بالاسكندرية (عن أم سلمة) هند بنت أبى امية أم المؤمنين ستأتى فى الزوجات (عن آمنة) والدته صلى الله عليه وسلم (قالت لقد رأيت) رؤية عين بصرية (ليلة وضعه) عليه السلام (نورا أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها وأخرج) أبو نعيم (أيضا) وكذا ابن سعد (عن بريدة) تصغير بردة ابن الحصيب بحاء وصاد مهملتين فتحتية فوحدة مصغر قال الغسانى وصحف من قاله بخاء معجمة الصحابى الاسلمى شهد خيبر وروى عنه ابناه والشعبى وعدة توفى سنة اثنتين وستين (عن مرضعته فى بنى سعد) هى امرأة مبهمة غير حليمة المشهورة قاله الشامى (ان آمنة قالت رأيت) رؤيا نوم (كأنه خرج من فرجى شهاب) ككتاب شعلة من نار ساطعة كما فى القاموس (اضاءت له الارض حتى رأيت قصور الشام) فأول بولد يخرج منها تنور به الدنيا ويحرق اعاديه قال فى شرح الخصائص بعد ما قرر أن الرؤية الواقعة فى الاحاديث الاول بصرية ما لفظه وأما الرؤية الواقعة فى رواية ابن سعد يعنى هذه فرؤيا منام لانها حين حملت به كانت ظرفا للنور المنتقل اليها من أبيه وقد خلط من جعل كلا منهما فى النوم ومن جعل كلا منهما فى اليقظة انتهى (وعن همام بن يحيى) ابن دينار العوذى الحافظ البصرى قال أبو حاتم ثقة صدوق فى حفظه شئ مات سنة ثلاث وستين ومائة (عن اسحق بن عبد الله) بن أبى طلحة الانصارى أو هو ابن الحرث بن نوفل الهاشمى أو غيرهما (ان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجى نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا مابه قذر) صفة موضحة للمبالغة فى نظافته اذ القذر ضد النظافة (رواه ابن سعد) محمد قال ابن اسحق فلما وضعته أمه أرسلت الى جده انه ولد لك غلام فائته فانظر اليه فأتاه فنظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت وما قيل لها وما أمرت أن تسميه فيزعمون أن جده أخذه فدخل به الكعبة وقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ثم خرج به فدفعه الى أمه وذكر ابن دريد أنه ألقيت عليه جفنة لئلا يراه أحد قبل جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه (والى هذا) الواقع ليلة الميلاد من اضاءة القصور وامتلاء البيت بالنور (اشار العباس بن عبد المطلب) عمه صلى الله عليه وسلم على الصحيح وقيل حسان بن ثابت ذكره ابن عساكر فى حديث ضعيف جدا ووهم من زعم انه العباس بن مرداس الاسلمى كما اشار له المصنف (فى شعره) الذى سيذكره المصنف كله فى غزوة تبوك (حيث قال) يخاطبه صلى الله عليه وسلم (وأنت لما ولدت) ويروى وأنت لما ظهرت (اشرقت الارض) من اشراق نورك (وضاءت بنورك الافق) بضم الفاء وسكونها الناحية جمعه آفاق مذكر أنثه العباس على تأويله بالناحية فاعتبر معناه دون لفظه ولا يبعد أنه جمع فيكون للمفرد والجمع كالفلك وان يكون مضموم الفاء جمعا لساكنها وكل هذا احتمال كذا قال أبو شامة وفيه أن اللغة لا تثبت بالاحتمال فتعين الاول (فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق) والبيتان من المدرج عند العروضيين أى الذى ادرج عجزه فى الكلمة التى فيها آخر الصدر فلم ينفرد أحدهما عن الآخر بكلمة تخصه وتميزها (قال) الحافظ عبد الرحمن بن رجب (فى اللطائف) أى فى كتاب لطائف المعارف فهو من التصرف فى العلم والراجح جوازه (وخروج هذا النور) الحسى المدرك بالبصر حال كونه

(عند وضعه اشارة الى ما يجيء به من النور) أى الاحكام والمعارف سميت نورا مجازا للاهتداء بها كالنور الحسى" (الذى اهتدى به أهل الارض) حقيقة كالمؤمنين أو حكما بمعنى انهم عرفوا الحق وامتنعوا منه عنادا كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والجاهلون منهم تابعون لكبرائهم المعاندين أونزل المشركين منزلة العدم (وزال به ظلمة الشرك) جهالاته لان الجهل يطلق عليه الظلمة مجازا لان الجاهل متحير فى أمره لا يعلم ما يذهب اليه كما أن الماشى فى ظلمة متحير لا يهتدى لما بين يديه وخص الشرك لشدة قبحه أو لغلبته بمكة حين البعث أو أراد به الكفر لانه اذا افرد أريد مطلق الكفر واذا جمع اريد به عبادة الاوثان نحو لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فهما كالفقير والمسكين (كما قال تعالى) اخبارا عما جاء به من الاحكام حيث جعله نورا (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) قال البيضاوى يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم انتهى فما ذكره بناه على الاول والصحيح الثانى كما قال المصنف كغيره (يهدى به) بالكتاب (الله من اتبع رضوانه) بأن آمن به (سبل السلام) طريق السلامة (ويخرجهم من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (باذنه) بارادته (الآية) اتلها (وأما اضاءة قصور بصرى) بضم الموحدة وسكون الصاد المهملة وراء فألف مقصور بلد بالشام من أعمال دمشق وهى حوران قاله السيوطى وفى الفتح مدينة بين المدينة ودمشق وقيل هى حوران (بالنور الذى خرج معه) فيما رواه ابن اسحق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر ورواه ابن سعد عن أبى العجفاء مرفوعا رأت أمى حين وضعتنى سطع منها نور أضاء له قصور بصرى (فهو اشارة الى ما خص الشام من نور نبوته) وفى تخصيص بصرى لطيفة هى انها أول موضع من بلاد الشام دخله ذلك النور المحمدى ولذا كانت أول ما فتح من الشام قاله فى المسكة الفائحة وقال غيره اشارة الى انه ينور البصائر ويحيى القلوب الميتة (وأنها دار ملكه كما ذكر كعب) بن ماتع المعروف بكعب الاحبار (ان فى الكتب السالفة) ثابت من جملة ما يميزه عن غيره ويحقق نبوته لفظ (محمد رسول الله مولده) يكون (بمكة ومهاجره) أى هجرته (بيثرب) الباء بمعنى الى وفى نسخة حذف الباء أى مكان هجرته هو يثرب لانه اسم مكان من هاجر بزنة اسم المفعول من المزيد يشترك فيه اسم المفعول والمصدر الميمى واسم الزمان والمكان وهو المناسب هنا (وملكه بالشام) وروى البيهقى فى الدلائل عن أبى هريرة رفعه الخلافة بالمدينة والملك بالشام (فمن مكة بدت) ظهرت (نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام والى الشام انتهى ملكه) أى أولا قاله النجم وغيره زاد شيخنا أو أنه صار مقرا له لانه كان محلا للخلفاء والاول اولى لانه لم يكن محل الملوك الا فى مدة بنى امية ثم انتقل فى البلدان بحسب الملوك (ولهذا اسرى) به (صلى الله عليه وسلم الى الشام الى بيت المقدس) وقيل غير ذلك فى حكمة الاسراء كما تقرر (كما هاجر قبله ابراهيم عليه السلام) من حران بتشديد الراء آخره نون (الى الشام) الى بيت المقدس منها فى تاريخ ابن كثير ولما كان عمر تارخ خمسا وسبعين سنة ولد ابراهيم بأرض بابل على

الصحيح المشهور عند أهل السير ثم هاجر ابراهيم الى حران ومات بها أبوه ثم الى بيت المقدس واستقر بها (وبها ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام وهي أرض المحشر) بكسر الشين وتفتح موضع الحشر كما في القاموس وغيره وسوى بينهما في العين قال شيخنا والقياس الفتح لان فعله كنصر وضرب (والمنشر) بالفتح اسم مكان من نشر الميت فهو ناشر اذا عاش بعد الموت والمراد هنا خروج الموتى من قبورهم وانتشارهم الى الشام أي انها التي يساق اليها الموتى ويجتمعون بها (واخرج أحمد) بن محمد بن حنبل الامام المشهور قال ابن راهوية هو حجة بين الله وبين عباده في ارضه (وأبو داود) سليمان بن الاشعث بن شداد بن عمرو الازدى السجستاني الحافظ الكبير والعلم الشهير روى عن أحمد والقعنبي وابن المديني ونظرائهم وعنه الترمذي وخلق قال الحربي ألين لابي داود الحديث كما ألين لداود الحديد وقال ابن حبان أبو داود أحد أئمة الدنيا فقها وحفظا وعلما واتقانا ونسكا وورعا جمع وصنف وذب عن السنن وقال ابن داسه سمعته يقول كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما تضمنه هذا الكتاب يعني السنن ولد سنة اثنتين ومائتين وتوفي لاربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة وقيل غير ذلك (وابن حبان) الحافظ العلامة أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي قيل كتب عن اكثر من ألفي شيخ منهم النسائي وأبو يعلى والحسن بن سفيان قال تلميذه الحاكم كان من أوعية العلم في الفقه والحديث واللغة والوعظ ومن عقلاء الرجال وكانت اليه الرحلة زاد غيره وكان عالما بالطب والنجوم وفنون العلم وقال الخطيب كان ثقة نبيلا فهما مات في شوال سنة أربع وخمسين وثلثمائة وهو في عشر الثمانين (والحاكم) أبو عبد الله الحافظ مر بعض ترجمته دخل الحمام بنيسابور ثم خرج فقال آه وقبض وهو متزر لم يلبس قميصه في صفر سنة خمس وأربعمائة (في صحيحيهما) أي صحيح ابن حبان وصحيح الحاكم المستدرك كلهم عن عبد الله بن حوالة الصحابي (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالشام) أي الزموا اسكانها (فانها خيرة الله من أرضه) على معنى من خيرته أو من حيث الخصب ونمو البركات فيطلب سكناها قيل مطلقا لكونها أرض المحشر والمنشر وهو ظاهر سوق المصنف هنا لهذا الحديث وقيل المراد آخر الزمان عند اختلال أمر الدين وغلبة الفساد لان جيوش الاسلام تنزوي اليها وفي حديث واثلة عند الطبراني فانها صفوة بلاد الله (يجتبي) يفتعل من جبوت الشيء وجبيته جمعته أي يجمع (اليها خيرته من عباده) فهي أفضل البلاد بعد الحرمين ومسجد القدس يلي الحرمين في الفضل حتى المساجد المنسوبة له صلى الله عليه وسلم (انتهى) كلام اللطائف (ملخصا) حال (وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف) بن عبد مناف بن عبد الحرث بن زهرة ابن كلاب بن مرة القرشي الزهري أحد العشرة ذي الهجرتين البدري الذي صلى خلفه المصطفى المتصدق بأربعين ألف دينار الحامل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة اخرجه ابن المبارك عن معمر عن الزهري وفي الحلية لابي نعيم انه اعتق ثلاثين ألف نسمة المتوفى في سنة اثنتين وثلاثين على الاشهر وله ثنتان وسبعون سنة على الاثبت

مناقبه جمة رضى الله عنه (عن أمه الشفا) بنت عوف بن عبد الحرث بن زهرة وهى بنت عم أبيه قاله ابن الاثير أى عم أبى ابنها عبد الرحمن اسلمت وهاجرت قال ابن سعد ماتت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فقال عبد الرحمن يارسول الله اعتق عن أمى قال نعم فأعتق عنها وهى بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفاء والقصر كما صرح به البرهان فى المقتفى والحافظ فى التبصير وقال ابن الاثير فى الجامع بالتخفيف والمد وقال الدلجى بفتح المعجمة وشد الفاء ومد وجرى عليه البوصيرى فى قوله وشفتنا بقولها الشفاء (قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى) لا تعارضه الرواية السابقة ثم وقع على الارض لجواز أن ذلك بعد هذا بقرينة ثم (فاستهل) أى صاح وزعم الدلجى أن المراد عطس لا صاح بشهادة جواب لماوهو (فسمعت قائلا) أى ملكا (يقول رحمك الله) ونحا نحوه الجوجرى وهو مردود بقول الحافظ السيوطى فى فتاويه لم اقف فى شئ من الاحاديث على أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس بعد مراجعة احاديث المولد من مظانها كطبقات ابن سعد والدلائل للبيهقى ولابى نعيم وتاريخ ابن عساكر على بسطه واستيعابه والمستدرك للحاكم وانما الحديث الذى روته الشفا فيه لفظ يشبه التشميت لكن لم يصرح فيه بالعطاس والمعروف فى اللغة أن الاستهلال صياح المولود أول ما يولد فان اريد به هنا العطاس فمحتمل وحمل القائل على الملك ظاهر انتهى فلا دلالة فى رحمك الله على انه عطس كما زعم الدلجى لانه يشبه التشميت ولا يلزم انه تشميت بالفعل حتى يخرج به اللفظ عن مدلوله اللغوى لشئ محتمل فتبين أن قوله رحمك الله ليس تشميتا بل تعظيما بقرينة فاستهل لانه صياح المولود كما علم (قالت الشفا وأضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى) بلاد (بعض قصور الروم قالت ثم ألبسته) بموحدة فسين مهملة أى ألبست النبى صلى الله عليه وسلم ثيابه هكذا فى نسخ ولم يقف عليها الشارح فأبعد النجعة وفى نسخ ثم ألبنته بنون بعد الباء أى سقيته اللبن لكنهم عدوا مرضعاته عشرا وماذكروها مع انها كانت اولى بالذكر لانها أول من دخل جوفه لبنها ويمكن صحتها بأن معناها سقيته لبن أمه يعنى قربته الى ثديها ليشرب منه ويناسب الاولى أيضا قولها (وأضجعته فلم أنشب) أى ألبث الا قليلا (أن غشيتنى ظلمة) والمعنى انها رأت هذا عقب ذلك وتجوزت بانشب عن ألبث لان من لبث فى مكان فقد اتصل به فكأنه ادخل نفسه فيه (ورعب) خوف (وقشعريرة) بضم القاف وفتح الشين (ثم غيب عنى فسمعت قائلا) أى ملكا (يقول أين ذهبت به قال الى المشرق) وحذف من خبر أبى نعيم ما لفظه وقشعريرة عن يمينى فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المغرب واسفر عنى ذلك أى انكشف ثم عاودنى الرعب والقشعريرة عن يسارى فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المشرق (قالت فلم يزل الحديث منى على بالى حتى) أى الى أن (بعثه الله فكنت فى أول الناس اسلاما) أى فى جملة السابقين له ثم لا ينافى وجود الشفا وفاطمة الثقفية عند الولادة قول آمنة المار وانى لوحيدة فى المنزل لجواز وجودهما عندها بعد وتأخر خروجه عليه السلام عن القول المذكور حتى نزل على يدى الشفا لقولها وقع على يدى جمعا بين الخبرين (ومن عجائب ولادته عليه السلام ما أخرجه البيهقى وأبو نعيم عن حسان بن ثابت) بن المنذر بن عمرو بن حرام

الانصارى شاعر المصطفى المؤيد بروح القدس سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى فى شعرائه عليه السلام وجوز الجوهرى فيه الصرف وعدمه بناء على انه من الحس أو الحسن قال ابن مالك والمسموع فيه منع الصرف نقله السيوطى فى حواشى المغنى (قال انى لغلام ابن سبع سنين أو ثمان) سنين على التقريب فقد ذكروا انه عاش مائة وعشرين سنة كأبيه وجده وأبى جده ومات سنة أربع وخمسين (أعقل ما رأيت وسمعت اذا يهودى يصرخ) بالمدينة ففى رواية ابن اسحق يصرخ على اطمة يثرب (ذات غداة) أى فى ساعة ذات غداة (يا معشر يهود) بمنع الصرف للعلمية ووزن الفعل كما فى المصباح وفى نسخة اليهود أقبلوا (فاجتمعوا اليه وأنا أسمع) أى أقصد سماع ما يتكلمون به (قالوا يا ويلك) كلمة عذاب صرفهم الله عن كلمة الترحم (ما) اسم استفهام مبتدأ خبره (لك) أى أى شئ عرض لك استنكروا صراخه (قال طلع نجم أحمد الذى ولد به) عنده أو سببية لاعتقاد اليهودى تأثير النجم (فى هذه الليلة) والغرض من سوقه كالذى بعده أن البشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم جاءت من كل طريق وعلى لسان كل فريق من كاهن أو منجم محق أو مبطل انسى أو جنى (و) من عجائب ولادته أيضا ما ورد (عن عائشة قالت كان يهودى قد سكن مكة) زاد فى رواية الحاكم يتجر فيها وهو غير اليهودى الذى أخبر عنه حسان بلا ريب لان حسان كان بالمدينة فلا تغفل (فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) اليهودى ومعلوم انها ما أدركته فهو مما روته عن غيرها ومعلوم انها انما تروى عن الثقات فيحتمل انها سمعته من الشفا أو أم عثمان أو غيرهما (يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال انظروا) أى فتشوا وتأملوا يقال نظرت فى الامر تدبرت أى انظروا فى أهاليكم ونسائكم (فانه ولد فى هذه الليلة نبى هذه الامة) زاد الحاكم الاخيرة (بين كتفيه علامة) زاد الحاكم فيها شعرات متواترات كأنهن عرف الفرس وأسقط المصنف من رواية يعقوب هذه ما لفظه لا يرضع ليلتين لان عفريتا من الجن وضع يده على فمه هكذا ساقه فى الفتح متصلا بقوله (فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودى معهم) ليستكشفوا الخبر ويحققوه بالعلامة (الى أمه) زاد الحاكم فقالوا أخرجى المولود ابنك (فأخرجته لهم) زاد الحاكم وكشفوا عن ظهره أى ورأوا العلامة (فلما رأى اليهودى العلامة خر مغشيا عليه وقال) وفى رواية الحاكم فلما أفاق قالوا ويلك ما لك قال (ذهبت النبوة من بنى اسرائيل) قال ذلك لما هو عندهم فى الكتب انه خاتم النبيين (أما) بتخفيف الميم كلمة يفتتح بها الكلام وتدل على تحقق ما بعدها وهى من مقدمات اليمين كقوله أما والذى لا يعلم الغيب غيره وقوله هنا (والله ليسطون بكم سطوة) أى ليقهرنكم ببطشه بكم (يخرج خبرها من المشرق والمغرب) أى ينتشر فى جميع الارض حتى يتكلم به أهل المشرق والمغرب (رواه يعقوب بن سفيان) الفارسى الثقة المتقن الخير الصالح الحافظ أبو يوسف الفسوى بفاء وسين مهملة مفتوحتين فواو نسبة الى فسا من بلاد فارس عن القعنبى وسليمان بن حرب وأبى عاصم وأبى نعيم الفضل وغيرهم وعنه الترمذى والنسائى وعبد الله بن درستويه وخلق قال ابن حبان ثقة والنسائى لا بأس به مات سنة

سبع وسبعين ومائتين وقيل بعدها (باسناد حسن كما قاله فى فتح البارى) بشرح البخارى ورواه الحاكم أيضا عن عائشة كما سيذكره المصنف وقد بينا ألفاظه الزائدة (ومن عجائب ولادته أيضا ماروى من ارتجاس) بالسين وهو الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير كما ضبطه البرهان وهو مأخوذ من كلام الجوهرى والمجد فى باب السين المهملة وفى نسخ ارتجاج بجيم آخره وفى القاموس الرج التحريك والتحرك والاهتزاز فان صحت تلك النسخ فكأنه لما صوت تحرك واهتز اذ المراد هنا تصويت (ايوان) كديوان ويقال اوان بوزن كتاب بناء أزج غير مسدود الوجه والازج بفتح الهمزة والزاى وبالجيم بيت يبنى طولا (كسرى) بفتح الكاف وكسرها اسم ملك الفرس حتى سمع صوته وانشق لا لخلل فى بنائه فقد كان بناؤه بالمدائن من العراق محكما مبنيا بالآجر الكبار والجص سمكه مائة ذراع فى طول مثلها وقد أراد الخليفة الرشيد هدمه لما بلغه أن تحته مالا عظيما فعجز عن هدمه وانما أراد الله أن يكون ذلك آية باقية على وجه الدهر لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن ثم أفزع ذلك كسرى ودعا بالكهنة (وسقوط أربع عشرة) هكذا فى نسخ وهو الصواب وفى نسخة أربعة عشر وهو تحريف لان لفظ العدد من ثلاثة الى عشرة يؤنث مع المذكر ويذكر مع المؤنث ولفظ العشر يجرى على القياس والمعدود هنا مؤنث (شرفة) بضم الشين وسكون الراء (من شرفاته) بضم الراء وفتحها وسكونها جمع قلة لشرفة جمع سلامة قال الشامى اما تحقيرا لها أو أن جمع القلة قد يقع موقع جمع الكثرة وفى الصحاح وشرفة وشرف كغرفة وغرف قال الخميس وكانت اثنتين وعشرين (وغيض) بغين وضاد معجمتين أى نقص (بحيرة طبرية) مصغر بحرة ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث قال فى ترتيب المطالع هى بالشام لزمتها الهاء وانما هى تصغير بحرة لا بحر لان تصغيره بحير وهى بحيرة عظيمة يخرج منها نهر بينها وبين الصخرة ثمانية عشر ميلا قال البكرى طولها عشرة أميال وعرضها ستة أميال انتهى لكن المعروف بالغيض انما هى بحيرة ساوة بسين مهملة وبعد الالف واو مفتوحة فهاء ساكنة من قرى بلاد فارس كانت بحيرة كبيرة بين همذان وقم قال الخميس وكانت أكثر من ستة فراسخ فى الطول والعرض وكانت تركب فيها السفن ويسافر الى ما حولها من البلدان انتهى فأما بحيرة طبرية فباقية الى اليوم وغيضها علامة لخروج الدجال تيبس حتى لا يبقى فيها قطرة وأجيب بان غيض كليهما ثابت فى الاحاديث التى نقلها السيوطى وغيره غاية الامر أن بحيرة ساوة نشف ماؤها بالكلية فأصبحت يابسة كأن لم يكن بها شئ من ماء حتى بنيت موضعها مدينة ساوة الباقية الى اليوم وبحيرة طبرية نقصت وعلى هذا فمن نفى غيضها أراد أنه ما نشف بالكلية كساوة ومن أثبته أراد أنها نقصت نقصا لا ينقص مثله فى زمان طويل أو أن ماءها غار ثم عاد لما فيها من العيون النابعة التى تمدها الامطار وهو جمع حسن الا أن المذكور فى رواية من عزى له المؤلف ساوة كما فى الشامية فتم الاعتراض على المصنف ووقع لبعض المتأخرين وغاضت بحيرة ساوة وتسمى بحيرة طبرية وكأن مراده الجمع أى تسمى فى بعض الاحاديث بحيرة طبرية فهى واحدة فلا يعترض عليه بأن ساوة بفارس وطبرية بالشام (وخود) مصدر خمد كنصر وسمع خمدا وخمودا كما فى النور (نار فارس) التى

كانوا

كانوا يعبدونها (وكان لها ألف عام لم تخمد) بضم الميم وفتحها (كما رواه البيهقي وأبو نعيم والخرائطي في الهواتف وابن عساكر وابن جرير) في تاريخه كلهم من حديث مخزوم بن هانئ عن أبيه وأتت عليه مائة وخمسون سنة قال لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس ايوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان فذكر الحديث بطوله (وفي سقوط الاربع عشرة شرافة اشارة الى انه يملك منهم) من الفرس (ملوك وملكات) هذا على أن الجمع ما فوق الواحد فانه ما ملك منهم سوى امرأتين بوران وأزدميدخت كما قاله البدر بن حبيب في جهينة الاخبار (بعدد الشرفات وقد ملك منهم عشرة في أربع سنين) وأسماؤهم مذكورة في التواريخ ولا حاجة لنا بذكرهم (ذكره محمد بن محمد (بن ظفر) بفتح الظاء المعجمة والفاء بعدها راء الصقلي" المولود بها أحد الادباء الفضلاء صاحب التصانيف المليحة من أهل القرن السادس ذكر ما نقله عنه المصنف في كتاب البشر قائلا وملك الباقون الى أواخر خلافة عمر هكذا رأيته فيه في آخر حديث سطيح وكأنه لم يقع للمصنف فيه فقال (زاد ابن سيد الناس) الامام العلامة الحافظ الناقد أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد اليعمري" الاندلسي" الاصل المصري" ولد في ذي القعدة سنة احدى وسبعين وستمائة ولازم ابن دقيق العيد وتخرج به وسمع من خلائق يقاربون الالف وأخذ العربية عن البهاء بن النحاس كان أحد أعلام الحفاظ أديبا شاعرا بليغا صحيح العقيدة حسن التصنيف ولي درس الحديث بالظاهرية وغيرها وألف السيرة الكبرى والصغرى وشرح الترمذي" ولم يكمله فاتمه أبو الفضل العراقي" مات في شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة (وملك الباقون الى خلافة عثمان) ذي النورين المختص بانه لم يتزوج أحد بنتي نبي" غيره مناقبه جمة (رضي الله عنه) وآخر ملوكهم يزدجرد هلك في سنة احدى وثلاثين كذا في تاريخ حماة وفي كلام السهيلي" انه قتل في أول خلافة عثمان قاله في النور فعلى الثاني لا مخالفة بين كلام ابن ظفر وابن سيد الناس لان آخر خلافة عمر قريب من أول خلافة عثمان أما على الاول فبينهما خلف كبير والله أعلم (ومن ذلك) أي عجائب ولادته (أيضا ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب) بسبب رميهم بها وقد اختلف في أن المرجوم يتأذى فيرجع أو يحرق به لكن قد تصيب الصاعدة مرة وقد لا تصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يرد أنهم من النار فلا يحترقون لانهم ليسوا من النار الصرفة كما أن الانسان ليس من التراب الخالص مع أن النار القوية اذا استولت على الضعيفة أهلكتها قاله البيضاوي" وأشعر قوله زيادة بأنها حرست قبل ولادته وقد جاء عن ابن عباس أن الجن كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها نقله المصنف في المعجزات وروى الزبير بن بكار في حديث طويل ان ابليس كان يخترق السموات ويصل الى أربع فلما ولد صلى الله عليه وسلم حجب من السبع ورميت الشياطين بالنجوم (وقطع رصد الشياطين) بسكون الصاد وفتحها مصدر رصد كنصر أي ترقبهم (ومنعهم من استراق السمع) أي استراقهم لاستماع ما تقول

الملائكة فيخبرون به غيرهم فيقع وقضيته منعهم منه رأسا بحيث لم يقع ذلك من أحد منهم لكن قال السهيلي انه بقي من استراق السمع بقايا يسيرة بدليل وجودهم على الندور في بعض الازمنة وفي بعض البلاد ونحوه قول البيضاوي لعل المراد كثرة وقوعه أو مصيره دحورا (ولقد أحسن) أبو محمد عبد الله بن أبي زكريا يحيى بن علي (الشقراطسي) نسبة الى شقراطسة ذكر لي انها بلدة من بلاد الجريد بافريقية قاله أبو شامة في شرحه لهذه القصيدة (حيث قال) يمدح النبي صلى الله عليه وسلم من جملة قصيدة كبيرة (ضاءت أشرقت (لمولده) لاجل ولادته أو اللام للتوقيت كقولك جئت ليوم كذا أي فيه يريد ضاءت أيام مولده (الآفاق) جمع أفق بضم الفاء وسكونها وهي نواحي الارض وأطرافها وكذلك آفاق السماء وهي أطرافها التي يراها الرائي مع وجه الارض يعني بذلك ما ظهر معه عليه السلام من النور حين ولد (واتصلت * بنا (بشرى) مصدر كالبشارة (الهواتف) جمع هاتف وهو الصائح أو اتصل الينا خبر ذلك أو اتصل بعضها ببعض لكثرتها فما يبلغنا خبر الا ويعقبه مثله أي كثرت وتواترت يعني بذلك ما سمع من الجن وغيرهم من بعد ولادته الى مبعثه من تبشيرهم به ونعيهم الكفر وانذارهم بهلاكه يهتفون بذلك في كل ناحية أي ينادون به وكثر ذلك قبيل المبعث (في الاشراق) أول النهار عند انتشار ضوء الشمس (والطفل) وذلك اذا طفلت الشمس للغروب أي دنت منه وهو عبارة عن كثرة الازمان التي وقع فيها ذلك لانه يعبر بذلك وما في معناه عن الدوام كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا (وصرح) القصر وقيل البناء المتسع الذي لا يخفى على الناظر وان بعد (كسرى تداعى) تساقط كان بعضه دعا بعضا للوقوع (من قواعده * أساسه ومن لابتداء الغاية مبالغة كان الانهدام ابتدأ من القواعد (وانقض) بصاد مهملة سقط من أصله وبمعجمة أسرع سقوطه (منكسر الارجاء) النواحي (ذا ميل) بفتح الياء ما كان خلقة قال ابن سيده الميل في الحادث والميل في الخلقة والبناء وهو على الثاني ظاهر أما الاول فلانه لما لم يكن بفعل فاعل ولا مسببا عن خلل بناء نزله منزلة الخلق الطبيعي (ونار فارس) اسم علم كالفرس لطائفة من العجم كانوا مجوسا يعبدون النار وكان لبيوتها سدنة يتناوبون ايقادها فلم يخمد لها لهب في ليل ولا نهار الى ليلة مولده عليه السلام فانه حين أوقدوها (لم توقد) بضم التاء وفتح القاف مبني للمفعول لكنه وان صح استعمالا الا انه لم ينتف ايقادهم لها بل ايقادها في نفسها مع تعاطيهم الايقاد فهذا موضع الآية العجيبة وأجيب بأنه لما لم تحصل فائدة ايقادهم لها كأنها لم توقد لان خمودها من غير سبب يطفئها لا يكون الا لعدم الايقاد ويحتمل فتح التاء وكسر القاف من وقدت النار هاجت لكنه أصل رفضته العرب فلم تستعمله الا أن ابن السراج ذكر ان أحسن ما استعمله الشاعر لضرورة ما رد فيه الكلام الى أصله فاللفظ ضعيف المخرج صحيح قوي المعنى (وما خمدت * بفتح الميم وكسرها (مذ ألف) بالرفع والجر بناء على أن مذ حرف جر أو اسم ملتزم حذف المضاف اليه معه وتقديره مدة عدم الخمود ألف (عام) قبل تلك الليلة وذلك مدة عبادتهم النار ولا ينافيه أن مدة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربع وستون سنة لانهم لم يعبدوها أول ملكهم (ونهر

القوم) يعني بحيرة ساوة عبر عنها بنهر القوم أي الفرس لانها في أرضهم ومن جملة أرض عراق العجم الذي هو في ملك كسرى (لم يسل) أي ماؤه لانه غاض أي غار وكأنه عنى بالسيلان تحركه واضطرابه والانقياء البحيرة راكد غير جار وكانت هذه الامور امارات لخمود دولتهم ونفاد ملكهم وظهور الحق عليهم (خرت) سقطت (لمبعثه) لاجله (الاوثان) الاصنام على وجوهها (وانبعثت*) مطاوع بعثه (ثواقب) جمع ثاقب وهي النجوم المتوقدة المضيئة (الشهب) بسكون الهاء للتخفيف جمع شهاب أي المصابيح التي أخبر الله انه زين بها السماء الدنيا وجعلها رجوما للشياطين والاضافة من باب سحق عمامة لقول الله شهاب ثاقب والمصابيح النجوم جعلت راجمة للشياطين بالشهب لأن النجوم تنقض بأنفسها خلف الشياطين ولذا قال (ترمي الجن بالشعل) أي المنفصلة منها ولم يجعلها رامية بأنفسها وقد قال الحليمي ليس في كتاب الله أن الشياطين ترمي بالكواكب أو بالنجوم ثم أطال في تقرير أن الرمي انما هو بالشهب وهو شعل النار وجعل المصابيح كناية عن الشعل لا عن النجوم قال أبو شامة وما جاء في الاحاديث وشعر العرب القديم من التصريح بأن الرمي بالنجوم يمكن تأويله اما بأنه على تقدير مضاف أو استعمل النجم في الشهاب مجازا انتهى ولا ينافيه ماذكره المصنف في الخصائص عن البغوي قيل ان النجم كان ينقض ويرمي الشياطين ثم يعود الى مكانه انتهى لجواز أن صورة الشعلة النازلة رجعت الى مكانها التي جاءت منه وهو النجم والله أعلم (وولد صلى الله عليه وسلم معذورا) هذا هو الواقع في حديث أبي هريرة وفسره المصنف بقوله (أي مختونا) لان العذرة الختان يقال عذر الغلام يعذره بالكسر وأعذره بالالف لغة اذا ختنه كما في المصباح والنور وغيرهما وفيه حسن كما في (مسرورا) من التورية لانه من السرور أو من قطع السرة كما فسره بقوله (أي مقطوع السرة) الاولى حذف التاء اذ السر بالضم ماتقطعه القابلة من سرة الصبي كما في النهاية وغيرها الا أن يكون سمي السر سرة مجازا لعلاقة المجاورة أو فيه حذف أي مقطوعا منه ما يتصل بالسرة (كما روى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم) أي انه قال ذلك ورفعه اليه وأغرب زاعم أن هذا اخبار عن صفته من غيره (عند ابن عساكر) وابن عدي (وروى الطبراني في الاوسط وأبو نعيم وابن عساكر من طرق متعددة (عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كرامتي على ربي أني ولدت مختونا) أي على صورة المختون اذ هو القطع ولا قطع هنا كما يأتي (ولم ير أحد سوأتي) عورتي لا لختان ولا غيره على ظاهر عموم أحد فتدخل حاضنته ويكون عدم رؤيتها مع احتياجها لذلك من جملة كرامته على ربه (وصححه) العلامة الحجة الحافظ (الضياء) أي ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد السعدي المقدسي الحنبلي الثقة الجبل الدين الزاهد الورع المتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة (في) الاحاديث (المختارة) مما ليس في الصحيحين وقد قال الزركشي وغيره ان تصحيحه أعلى مزية من تصحيح الحاكم انتهى وحسنه مغلطاي قال ورواه أبو نعيم بسند جيد عن ابن عباس (و) ورد (عن ابن عمر قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا رواه ابن عساكر) وقد صرح الحافظ بأن أحاديث الصفات النبوية

قوله وأبو نعيم وابن عساكر في بعض نسخ المتن زيادة والخطيب بينهما اهـ

والشمائل داخله فى قسم المرفوع (قال الحاكم فى المستدرك تواترت الاخبار أنه عليه السلام ولد مختونا انتهى وتعقبه) الامام (الحافظ) أبو عبدالله محمد بن عثمان (الذهبى) نسبة الى الذهب كما فى التبصير الدمشقى المتوفى بها سنة ثمان وأربعين وسبعمائة (فقال) فى مختصر المستدرك وفى ميزانه فى ترجمة الحاكم (ما أعلم صحة ذلك) لعله أراد على شرط الشيخين والا فقد صححه الضياء وحسنه مغلطاى كما نرى (فكيف يكون متواترا وأجيب باحتمال أن يكون) الحاكم (أراد بتواتر الاخبار اشتهارها وكثرتها فى السير لا من طريق السند المصطلح عليه) وهو أن المتواتر عدد كثير أحالت العادة توافقهم على الكذب ورووا ذلك عن مثلهم من الابتداء الى الانتهاء وكان مستند انتهائهم الحس وصحب خبرهم افادة العلم لسامعه كما فى شرح النخبة وقد استبعد بعضهم هذا الجواب لانه خلاف المتبادر ولكنه أولى من التخطئة (وحكى الحافظ زين الدين) عبد الرحيم (العراقى أن الكمال بن العديم) عمر بن أحمد بن هبة الله الصاحب كمال الدين الحلبى الكاتب البليغ الحنفى ولد بحلب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وبرع وساد وصار أوحد عصره فضلا ونبلا ورياسة وألف فى الفقه والحديث والادب وتاريخ حلب وتوفى بمصر (ضعف أحاديث كونه عليه السلام (ولد مختونا) فى مؤلف صنفه فى الرد على الكمال بن طلحة حيث وضع مصنفا فى أنه ولد مختونا وجلب فيه من الاحاديث التى لا خطام لها ولا زمام كما فى النور (وقال لا يثبت فى هذا شئ وأقره عليه وبه) أى بتضعيف أحاديث ولادته مختونا (صرح ابن القيم) فى الهدى النبوى وليس بسديد من الثلاثة لان منها ما هو صحيح أو حسن ومنها ما اسناده جيد كما مر اللهم الا أن يكون حكما على المجموع على انها وان كانت ضعيفة فقد وردت من طرق يقوى بعضها بعضا وفى مولد الحافظ ابن كثير ذكر ابن اسحق فى السيرة انه عليه السلام ولد مسرورا مختونا وقد ورد ذلك فى أحاديث فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان (ثم قال) ابن القيم (وليس هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم فان كثيرا من الناس) الانبياء وغيرهم (ولد مختونا) وظاهره أن كونه مسرورا من خصائصه وهو مقتضى كلام السيوطى وغيره (وحكى الحافظ ابن حجر) ما فيه الجمع بين اثبات الختان ونفيه وذلك (أن العرب تزعم أن الغلام اذا ولد فى القمر) كالنبى صلى الله عليه وسلم فانه ولد فى سلطانه على القول انه لاثنتى عشرة (فسخت قلفته) بضم القاف وسكون اللام وبفتحهما جلدته التى تقطع فى الختان (أى اتسعت) فتقلصت عن موضعها بحيث تصير الحشفة مكشوفة (فيصير كالمختون) كما فى عبارة غيره ان أصل قول العرب ختنه القمر أن الطفل اذا ولد فى ليلة مقمرة واتصل بحشفته ضوء القمر أرقها فتقلصت وانجمعت فان ضوءه يؤثر فى اللحم وغيره الا انه لا يكون قاطعا لها بالكلية قال الشاعر

انى حلفت يمينا غير كاذبة * لانت أقلف الاما جنى القمر

فغرض الحافظ من سوقه انه بتقدير صحته فى حقه صلى الله عليه وسلم يكون سببا لوصفه بذلك لكونه شابهه فى ارتفاع القلفة وتقلصها أو خلقه بلا قلفة وعبر بتزعم اشارة الى انه لا أصل له فهو القول الذى لم يقم على صحته دليل وقد قال ابن القيم الناس يقولون لمن ولد كذلك

ختنه

ختنه القمر وهذا من خرافاتهم (وفى الوشاح لابن دريد) أبى بكر محمد بن الحسن اللغوى الثقة المتحرى صاحب التصانيف المولود سنة ثلاث وعشرين ومائتين المتوفى بعمان في رمضان سنة احدى وعشرين وثلثمائة قال فى المزهر ولا يقبل فيه طعن نفطويه لانه كان بينهما منافرة عظيمة بحيث ان كلا منهما هجا الآخر قال وقد تقرر فى علم الحديث أن كلام الاقران فى بعضهم لا يقدح (قال ابن الكلبى بلغنى) وفى السبل نقل ابن دريد فى الوشاح وابن الجوزى فى التلقيح عن كعب الاحبار أنهم ثلاثة عشر فيجوز أنه الذى بلغ ابن الكلبى (ان آدم خلق مختونا) أى وجد على هيئة المختون (واثنى عشر نبيا من بعده خلقوا مختونين) أى ولدوا كذلك ولعل هذا حكمة افراد آدم بالذكر (آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم) وهم (شيث) بن آدم عليهما السلام (وادريس) قيل عربى مشتق من الدراسة لكثرة درسه الصحف وقيل سريانى ابن يارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث قال ابن اسحق الاكثرون أن أخنوخ هو ادريس وأنكره آخرون وقالوا انما ادريس هو الياس وفى البخارى يذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن ادريس هو الياس واختاره ابن العربى وتلميذه السهيلى لقوله ليلة الاسراء مرحبا بالاخ الصالح ولم يقل بالابن وأجاب النووى باحتمال انه قاله تلطفا وتأدبا وهو أخ وان كان ابنا والابناء اخوة والمؤمنون اخوة وقال ابن المنير أكثر الطرق انه خاطبه بالاخ الصالح وقال لى ابن أبى الفضل صحت لى طريق انه خاطبه بالابن الصالح قال بعض وفى صحتها نظر (ونوح) بن لمك بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف ابن متوشلخ بفتح الميم وشد الفوقية المضمومة وسكون الواو وفتح المعجمة واللام بعدها معجمة ابن خنوخ وهو ادريس قال المازرى كذا ذكر المؤرخون أن ادريس جد نوح فان قام دليل على انه أرسل لم يصح قولهم انه قبل نوح لما فى الصحيحين ائتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض وان لم يقم دليل جاز ما قالوا وحمل على أن ادريس كان نبيا ولم يرسل انتهى قال السهيلى وحديث ابى ذر الطويل أى المروى عند ابن حبان يدل على أن آدم وادريس رسولان انتهى وأجيب بأن المراد أول رسول بعثه الله بالاهلاك وانذار قومه فأما رسالة آدم فكانت كالتربية لاولاده قال القاضى عياض لا يرد على الحديث رسالة آدم وشيث لان آدم انما أرسل الى بنيه ولم يكونوا كفارا بل أمر بتبليغهم الايمان وطاعة الله وكذلك خلفه شيث بعده فيهم بخلاف رسالة نوح الى كفار أهل الارض انتهى (و) ابنه (سام) نبى على ما فى هذا الخبر وكذا رواه الزبير وابن سعد عن الكلبى وقال به أبو الليث السمرقندى ومن قلده والصحيح انه ليس بنبى كما قاله البرهان الدمشقى وغيره ولا حجة فى أثر الكلبى لانه مقطوع مع انه متروك متهم بالوضع (ولوط) بن هاران بن تارح ابن أخى ابراهيم (ويوسف) بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الكريم ابن الكرام قال بعضهم هو مرسل لقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل ليس هو يوسف بن يعقوب بل يوسف بن افرايم بن يوسف بن يعقوب وحكى النقاش والماوردى أن يوسف المذكور فى الآية من الجن بعثه الله رسولا اليهم وهو غريب جدا قاله فى الاتقان (وموسى) بن عمران (وسليمان) ابن داود (وشعيب ويحيى وهود صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وزاد محمد بن حبيب

زكريا وصالحا وعيسى وحنظلة بن صفوان فاجتمع من ذلك سبعة عشر نظمهم الحافظ السيوطي في قلائد الفوائد فقال

وسبعة مع عشر قد رووا خلقوا * وهم ختان فخذ لازلت مأنوسا
محمد آدم ادريس شيث ونو * ح سام هود شعيب يوسف موسى
لوط سليمان يحيى صالح زكريـا * وحنظلة الرسى مع عيسى

(وفي هذه العبارة) وهي تسمية من ولد بلا قلفة مختونا (تجوز لان الختان هو القطع وهو غير ظاهر) هنا (لان الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع) فيما مضى ويأتي قال ابن القيم حدثنا صاحبنا أبو عبد الله محمد بن عثمان الخليلي المحدث ببيت المقدس انه ولد كذلك وأن أهله لم يختنوه انتهى ولذا عبر بيوجد المضارع دون الماضي اشارة الى أن الايجاد لا يقصر على من كان قبل المصطفى فلا يقال الاولى التعبير بالماضي لانهم وجدوا كذلك وتم أمرهم (فيحمل الكلام) على المجاز (باعتبار أنه على صفة المقطوع) فهو علة لمقدر وحاصله انه لما كانت صورته صورة المختون أطلق عليه اسمه مجازا لعلاقة المشابهة في الصورة (وقد حصل من الاختلاف) المذكور في كلامهم (في ختنه) صلى الله عليه وسلم (ثلاثة أقوال * الاول) منها في الذكر (انه ولد مختونا كما تقدم) وقال الحاكم وبه تواترت الاخبار وابن الجوزي لا شك انه ولد مختونا قال القطب الخيضري وهو الارجح عندي وأدلته مع ضعفها أمثل من أدلة غيره انتهى وقد مر أن له طريقا جيدة صححه الضياء وحسنه مغلطاي مع انه أوضح من جهة النظر لانه في حقه صلى الله عليه وسلم كما قال الخيضري غاية الكمال لان القلفة قد تمنع كمال النظافة والطهارة واللذة فأوجده ربه مكملا سالما من النقائص والمعايب ولان الختان من الامور الظاهرة المحتاجة الى فعل آدمي فخلق سليما منها لئلا يكون لاحد عليه منة وبهذا لا ترد العلقة التي أخرجت بعد شق صدره لان محلها القلب ولا اطلاع عليه للبشر فأظهره الله على يد جبريل ليتحقق الناس كمال باطنه كظاهره انتهى ملخصا (الثاني انه ختنه جده عبد المطلب) الظاهر أن المراد أمر بختنه وأنه بالموسى اذ لو ختن بغيره لنقل لخرقه للعادة والخوارق اذا وقعت توفرت الدواعي على نقلها (يوم سابعه) لان العرب كانوا يختنون لانها سنة توارثوها من ابراهيم واسمعيل لا لمجاورة اليهود كما أشير له في قوله في حديث هرقل أرى ملك الختان قد ظهر (وصنع له مأدبة) بضم الدال وفتحها اسم لطعام الختان كما أفاده القاموس والمصباح وافاد الشامي انه يسمى اعذارا أيضا (وسماه محمدا) وفي الخميس روى انه لما ولد صلى الله عليه وسلم أمر عبد المطلب بجزور فنحرت ودعا رجالا من قريش فحضروا وطعموا وفي بعض الكتب كان ذلك يوم سابعه فلما فرغوا من الاكل قالوا ما سميته فقال سميته محمدا فقالوا رغبت عن اسماء آبائه فقال اردت أن يكون محمودا في السماء لله وفي الارض لخلقه وقيل بل سمته بذلك أمه لما رأته وقيل لها في شأنه ويمكن الجمع بأن أمه لما نقلت ما رأته لجده سماه فوقعت التسمية منه واذا كان بسببها يصح القول بأنها سمته به انتهى (رواه الوليد بن مسلم) القرشي مولاهم أبو العباس الدمشقي عن مالك والاوزاعي

قوله الخيضري في نسخة الخضيري اه

والثورى وابن جريج وخلق وعنه الليث أحد شيوخه وابن وهب وأحمد وابن راهويه وابن المدينى متفق على توثيقه وانما عابوا عليه كثرة التدليس والتسوية اخرج له الستة مات أول سنة خمس وتسعين ومائة (بسنده الى ابن عباس وحكاه) شيخ الاسلام أبو عمر الحافظ يوسف بن عبد الله بن محمد (بن عبد البر) بن عاصم النمرى بفتح النون والميم القرطبى الفقيه المكثر العالم بالقراآت والحديث والرجال والخلاف الدين الصين صاحب السنة والاتباع والتصانيف الكثيرة ساد أهل الزمان فى الحفظ والاتقان وانتهى اليه مع امامته علو الاسناد توفى ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين سنة وخمسة أيام (فى) كتابه (التمهيد) لما فى الموطا من المعانى والاسانيد ولمؤلفه فيه شعر

سمير فؤادى مذ ثلاثين حجة * وصيقل ذهنى والمفرج عن همى
بسطت لكم فيه كلام نبيكم * لما فى معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآثار ما يهتدى به * الى البر والتقوى وينهى عن الظلم

(الثالث انه ختن عند حليمة) السعدية مرضعته صلى الله عليه وسلم (كما ذكره ابن القيم) مع القولين السابقين (والدمياطى) بكسر الدال المهملة وبعضهم اعجمها وسكون الميم وخفة التحتية نسبة الى دمياط بلد مشهور بمصر كما فى اللب الحافظ الامام العلامة الحجة الفقيه النسابة شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الشافعى ولد سنة ثلاث عشرة وستمائة وتفقه وبرع وطلب الحديث فرحل وجمع فأوعى وألف وتخرج بالمنذرى وبلغت شيوخه ألفا وثلثمائة شيخ ضمنهم معجمه قال المزى ما رأيت فى الحديث احفظ منه وكان واسع الفقه رأسا فى النسب جيد العربية غزيرا فى اللغة مات فجاءة سنة خمس وسبعمائة (ومغلطاى) الامام الحافظ علاء الدين بن قليج بن عبد الله الحنفى ولد سنة تسع وثمانين وستمائة وكان حافظا عارفا بفنون الحديث علامة فى الانساب وله اكثر من مائة مصنف كشرح البخارى وشرح ابن ماجه وشرح أبى داود ولم يتما مات سنة اثنتين وستين وسبعمائة وهو بضم الميم وسكون الغين وفتح اللام كما ضبطه الحافظ بالقلم فى كلام نثر وأما ابن ناصر فضبطه بفتح الغين وسكون اللام فى قوله ذاك مغلطاى فتى قليجى ولعله للضرورة فلا تخالف وقليجى بقاف وجيم نسبة الى القليج السيف بلغة الترك (وقالا ان جبريل عليه السلام ختنه) بآلة ولم يتألم منها على الظاهر (حين طهر قلبه) بعد شقه (وكذا اخرجه الطبرانى) فى الاوسط وأبو نعيم من حديث أبى بكرة نفيع بن الحرث الثقفى رضى الله عنه (قال الذهبى وهذا) الحديث (منكر) وهو ما رواه غير الثقة مخالفا لغيره كما فى النخبة ولا يعود اسم الاشارة على القول الثالث لانه اخراج لالفاظ الحفاظ عن معناها عندهم وقد احتج للقول بأنه لم يولد مختونا بأنه الاليق بحاله صلى الله عليه وسلم لانه من الكلمات التى ابتلى بها ابراهيم فأتمهن وأشد الناس بلاء الانبياء والابتلاء به مع الصبر عليه مما يضاعف الثواب فالاليق بحاله أن لا يسلب هذه الفضيلة وأن يكرمه الله بها كما اكرم خليله وأجيب بأنه انما ولد مختونا لئلا يرى أحد عورته كما صرح به

فى الخبر (واعلم ان الختان هو قطع القلفة التى تغطى الحشفة من الرجل وقطع بعض الجلدة التى فى أعلى الفرج من المرأة و يسمى ختان الرجل اعذارا بالعين المهملة) الساكنة قبلها ألف وحذفها فى بعض النسخ تحريف لا يوافق القاموس (والذال المعجمة والراء) بعدها ألف ويسمى أيضا عذرا كما فى القاموس (وختان المرأة خفاضا) كذا فى نسخ (بالخاء المعجمة) المكسورة (والفاء والضاد المعجمة أيضا) فهو كقول القاموس خفاض كختان وزنا ومعنى فما فى نسخ ختان المرأة خفضا تحريف (واختلف العلماء) فى جواب قول السائل (هل هو) أى الختان لكل من الرجل والمرأة (واجب) أو سنة (فذهب اكثرهم الى انه سنة وليس بواجب) أتى به لدفع توهم أن المراد بالسنة الطريقة (وهو قول مالك وأبى حنيفة وبعض أصحاب الشافعى "وذهب الشافعى" الى وجوبه) لكل من المرأة والرجل (وهو مقتضى قول سحنون) بفتح السين وضمها (من) أئمة (المالكية) واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخى" القيروانى" لقب باسم طائر حديد الذهن ببلاد المغرب لكونه كان كذلك ولد فى شهر رمضان سنة ستين ومائة وتلمذ لابن القاسم وغيره وصنف المدونة التى عليها العمل ومات فى رجب سنة أربعين ومائتين (وذهب بعض أصحاب الشافعى" الى انه واجب فى حق الرجال سنة فى حق النساء) وهو مذهب أحمد وعنه الوجوب فيهما وعن أبى حنيفة واجب ليس بفرض وعنه أيضا سنة يأثم بتركه وعن الحسن الترخيص فيه (واحتج من قال انه سنة بحديث أبى المليح) بفتح الميم وكسر اللام وتحتية وحاء مهملة عامر وقيل زيد وقيل زياد (بن اسامة) التابعى" عن أبيه وابن عمر وجابر وأنس وعائشة وبريدة وغيرهم وعنه أبو قلابة وقتادة وأيوب وخلق وثقه أبو زرعة وغيره وروى له الستة مات سنة ثمان وتسعين أو أربع ومائة أو ثمان ومائة أو اثنى عشرة ومائة اقوال (عن أبيه) اسامة بن عمير بن عامر الهذلى" البصرى" صحابى" تفرد بالرواية عنه ولده أخرج له أصحاب السنن الاربعة (ان النبى" صلى الله عليه وسلم قال الختان سنة للرجال مكرمة للنساء) أى انه فى حقهن دونه فى حق الرجال فهو فيهم متأكد (رواه أحمد فى مسنده والبيهقى") وفى سنده الحجاج بن ارطاة ضعيف لكن له شواهد فرواه الطبرانى" فى كبيره من حديث شداد ابن اوس وابن عباس وأبو الشيخ والبيهقى" عن ابن عباس من وجه آخر والبيهقى" أيضا عن أبى ايوب فالحديث حسن فقامت به الحجة (وأجاب من أوجبه بأنه ليس المراد بالسنة هنا) فى هذا الحديث (خلاف الواجب بل المراد الطريقة) زاعمين أن ذلك المراد فى الاحاديث ورد بانه لما وقعت التفرقة بين الرجال والنساء دل على أن المراد افتراق الحكم ودفعه بأنه فى حق الرجال للوجوب والنساء للاباحة مما لا يسمع اذ ينبو عنه اللفظ على انه قد ورد اطلاق السنة على خلاف الواجب فى أحاديث كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم ان الله افترض رمضان وسننت لكم قيامه رواه النسائى" والبيهقى" وقوله صلى الله عليه وسلم الاضحى على" فريضة وعليكم سنة رواه الطبرانى" قال الحافظ برجال ثقات وقوله عليه الصلاة والسلام ثلاث هن على" فرائض ولكم سنة الوتر والسواك وقيام الليل فهذا الحديث من جملتها والتبادر آية الحقيقة ويقويه خبر الصحيحين وغيرهما مرفوعا خمس من الفطرة

الختان

قوله بعدها ألف لعل الاولى قبلها ألف أو الضمير فى بعدها راجع الى الذال لا الراء تأمل اه مصححه

الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط فان انتظامه مع هذه الخصال التي ليست واجبة الا عند بعض من شذ يفيد أن الختان ليس بواجب اذ المراد بالفطرة بالكسر السنة بدليل بقية الحديث وحمله على الوجوب في الختان والسنة في باقيه تحكم بلا دليل (واحتجوا على وجوبه بقوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) والامر للوجوب ومن ملته الختان (و) ذلك لانه (ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن) بهمزة وصل (ابراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنة) وعند مالك في الموطا والبخاري في الأدب المفرد وابن حبان عن أبي هريرة موقوفا وابن السماك وابن حبان أيضا عنه مرفوعا وهو ابن مائة وعشرين وزادوا وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وأعل بأن عمره مائة وعشرون ورد بأن مثله عند ابن أبي شيبة وابن سعد والحاكم والبيهقي وصححاه وأبي الشيخ في العقيقة من وجه آخر وزادوا أيضا وعاش بعد ذلك ثمانين فعلى هذا عاش مائتين قال الحافظ في الفتح وتبعه السيوطي وجمع بعضهم بأن الاول حسب من منذ نبوته والثاني حسب من مولده انتهى ونحوه قال الحافظ في موضع آخر يجمع بأن المراد بقوله وهو ابن ثمانين من وقت فراق قومه وهجرته من العراق الى الشام وقوله وهو ابن مائة وعشرين أي من مولده وبأن بعض الرواة رأى مائة وعشرين فظنها الا عشرين أو عكسه انتهى والاول أولى اذ الثاني توهيم للرواة بلا داعية مع أن الجمع أمكن بدون توهيمهم وأما الجمع بأنه عاش ثمانين غير مختون وعشرين ومائة مختونا فرده ابن القيم بأنه قال اختتن وهو ابن مائة وعشرين ولم يقل لمائة وعشرين وبينهما فرق (بالقدوم) بالتخفيف عند أكثر رواة البخاري قال النووي ولم يختلف فيه رواة مسلم اسم آلة النجار يعني الفاس كما في رواية ابن عساكر ورواه الاصيلي والقابسي بالتشديد وأنكره يعقوب بن شيبة وقيل ليس المراد الآلة بل المكان الذي وقع فيه الختان وهو أيضا بالتخفيف والتشديد قرية بالشام والاكثر على انه بالتخفيف وارادة الآلة كما قاله يحيى بن سعيد أحد رواته وأنكر النضر بن شميل الموضع ورجحه البيهقي والقرطبي والزركشي والحافظ مستدلا بحديث أبي يعلى أمر ابراهيم بالختان فاختتن بقدوم فاشتد عليه فأوحى الله اليه عجلت قبل أن نأمرك بآلته قال يارب كرهت أن أؤخر أمرك انتهى وذكر الحافظ أبو نعيم نحوه وقال قد يتفق الامران فيكون قد اختتن بالآلة وفي الموضع انتهى هذا والاستدلال بما ذكر على وجوب الختان لا يصح لان معنى الآية كما ذكر البيضاوي والرازي وغيرهما أن اتبع ملة ابراهيم في التوحيد والدعوة اليه برفق وايراد الدلائل مرة بعد أخرى والمجادلة مع كل أحد بحسب فهمه أي لا في تفاصيل أحكام الفروع والا لم يكن صاحب شرع مستقل بل داعيا الى شرع ابراهيم كأنبياء بني اسرائيل فانهم كانوا داعين الى شرع موسى وهذا خلاف الاجماع على انهم قد وقعوا بهذا الاستدلال في محذور وهو أنهم لا يرون أن شرع من قبلنا شرع لنا وان ورد في شرعنا ما يقرره ولا يرد هذا على مالك القائل به ما لم يرد ناسخ لانه ليس معنى الآية كما علمت وعلى التنزل لو سلمنا انه من شمولها فالامر فيه لغير الوجوب بدليل الحديث الناطق

بالسنية (و) احتجوا أيضا (بما روى أبو داود) وأحمد والواقدى (من قوله عليه الصلاة والسلام للرجل الذى أسلم) وهو كليب الحضرمى أو الجهنى (ألق) ندبا (عنك شعر الكفر) أزله بحلق أو غيره كقص ونورة من رأس وشارب وابط وعانة (واختتن) بالواو وفى رواية ثم بدلها روى الامام أحمد وأبو داود عن ابن جريج قال أخبرت عن عثيم وهو مصغر عثمان ابن كثير بن كليب عن أبيه عن جده انه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد أسلمت فقال ألق عنك شعر الكفر واختتن فأفاد الامر الوجوب لانه الاصل فيه والجواب أن سنده ضعيف صرح به الحافظ وقال الذهبى منقطع وقال ابن القطان عثيم وأبوه مجهولان فلا حجة فيه وعلى فرض حجيته فليس الامر للوجوب للحديث الناطق بالسنية ولان أوله محمول على الندب بلا ريب (واحتج القفال لوجوبه بأن بقاء القلفة يحبس النجاسة ويمنع صحة الصلاة فتجب ازالتها) وهذا ممنوع مع قصوره على ختان الرجل دون المرأة (وقال الفخر الرازى الحكمة فى الختان) سواء قلنا بوجوبه أو سنيته (أن الحشفة قوية الحس فمادامت مستورة بالقلفة تقوى اللذة) أى لذة الجماع (عند المباشرة فاذا قطعت القلفة تصلبت الحشفة فضعفت اللذة) وهذا يخالفه مامر عن الحضرمى ان القلفة تمنع كمال اللذة الا أن يريد على بعد مايدركه المجامع من اللذة بالفعل ويراد بها عند الفخر قوة الشهوة المقتضية لاطالة الفعل وكانه لعدم ملاقاة الحشفة محل الجماع يتأخر الانزال (وهو الاليق بشريعتنا تقليلا للذة لا قطعا لها كما تفعل المانوية) من تحريم النكاح وهو قطع لها وهم أصحاب مانى بن فاتك الزنديق الذى ظهر فى زمن سابور بن أردشير بعد عيسى عليه السلام وادعى النبوة وان للعالم أصلين النور خالق الخير والظلمة خالق الشر وانهما قديمان حيان دراكان فقبل سابور قوله فلما ملك بهرام بن هرمز بن سابور سلخه وحشا جلده تبنا وقتل أصحابه وبعضهم هرب الى الصين وقد أجاد أبو الطيب فى قوله

وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبر أن المانوية تكذب

(فذلك) أى فعل المانوية (افراط) اسراف ومجاوزة حد (وابقاء القلفة تفريط) تضييع وتقصير (فالعدل) فالوسط بينهما (الختان انتهى) كلام الرازى (واذا قلنا بوجوب الختان فمحل الوجوب بعد البلوغ على الصحيح من مذهبنا) يعنى الشافعية ويندب عندهم فى اليوم السابع بعد يوم الولادة (لما روى البخارى فى صحيحه) من طريق اسرائيل عن أبى اسحق عن سعيد (عن ابن عباس انه سئل مثل) بكسر الميم وسكون المثلثة (من أنت حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنا يومئذ مختون) قال أبو اسحق أو اسرائيل أو من دونه (وقد كانوا لا يختنون) بفتح التحتية وكسر الفوقية كما اقتصر عليه المصنف وظاهره انه الرواية وان جاز ضم الفوقية لغة أى كانت عادتهم لا يختنون (حتى يدرك) الحلم فافاد نفى الختان قبله اذ لو طلب قبله لما أطبقوا على تركه قبل البلوغ قال السخاوى فى البستان والمحفوظ الصحيح ان ابن عباس ولد بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين فتكون له عند الوفاة النبوية ثلاث عشرة سنة وبذلك قطع أهل السير وصححه ابن عبد البر انتهى (وقال بعض أصحابنا يجب على الولى أن يختن الصبى قبل

قوله وقد كانوا لا يختنون حتى الخ فى بعض نسخ المتن وقد كانوا لا يختنون الرجل حتى الخ اه

البلوغ) مقابل لما تقدم انه الصحيح (والله أعلم) بحقيقة الحكم فيه (وقد اختلف في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثرون) من العلماء (على انه ولد عام الفيل وبه قال ابن عباس) على المحفوظ عنه ووقع عند البيهقي والحاكم عن ابن عباس قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الفيل لكن المراد مطلق الوقت لقول يحيى بن معين يعني عام الفيل انتهى كما يقال يوم الفتح ويوم بدر ويحتمل حقيقة اليوم فهو أخص من الاول وبه صرح ابن حبان في تاريخه فقال ولد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله فيه الطير الابابيل على أصحاب الفيل ذكره الحافظ في شرح الدرر (ومن العلماء من حكى الاتفاق عليه) كابن الجوزي حيث قال في الصفوة اتفقوا على انه ولد عام الفيل وكذا ابن الجزار (وقال كل قول يخالفه) فهو (وهم) بفتح الهاء أي غلط لكن قال مغلطاي فيه نظر يعني لكثرة الخلاف وعلى الاول اختلفوا فيما مضى من ذلك العام (والمشهور انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما واليه ذهب السهيلي في جماعة) أي معهم (وقيل بعده بخمسة وخمسين يوما وحكاه الدمياطي في) أي مع (آخرين) منهم أبو جعفر محمد بن علي قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الاول وكان قدوم الفيل للنصف من المحرم فبين الفيل ومولده خمس وخمسون ليلة نقله في المنتقى وفي العيون ذكر الخوارزمي وغيره ان قدوم الفيل مكة يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة (وقيل ولد بعده (بشهر) واحد (وقيل بأربعين يوما) حكاهما مغلطاي واليعمري (وقيل بل ولد (بعد) عام (الفيل) واختلفوا في مدته فقيل بعده بسنتين وقيل بعد الفيل (بعشر سنين) قال مغلطاي يروى هذا القول عن الزهري ولا يصح (وقيل) بل ولد (قبل الفيل) لا بعده (بخمس عشرة سنة) وسيأتي رده (وقيل غير ذلك) فقيل بعده بثلاثين عاما وقيل بأربعين عاما وقيل بسبعين عاما وقيل بثلاثة وعشرين عاما حكاها كلها مغلطاي ثم رد المصنف القول بأنه ولد قبل الفيل بقوله (والمشهور أنه ولد بعد الفيل) لا قبله (لان قصة الفيل كانت توطئة) تمهيدا (لنبوته وتقدمة لظهوره) لوجوده (وبعثته) وقد وجد قبل وجوده خوارق كثيرة كثرة الهواتف وأخبار الاحبار والكهان فلا يرد ما قيل الارهاص انما يكون عما يوجد بعد مولده وقبل البعثة اما لان التعبير بالارهاص مجاز واما لمنع تخصيص الارهاص عما بعد الوجود بل هو شامل لكل ما تقدم البعث من خوارق قبل وجوده أم بعده (والا) يكن توطئة له بل لشرف أهل مكة كان القياس العكس (فأصحاب الفيل) أي القوم الذين جاؤا به (كما قال ابن القيم كانوا نصارى أهل كتاب) وهو الانجيل (وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة اذ ذاك) ألم تر أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ كما في الصحيح (لانهم كانوا عباد أوثان) أصنام لا كتاب لهم (فنصرهم الله تعالى على أهل الكتاب) مع كونهم خيرا منهم (نصرا لا صنع للبشر فيه ارهاصا وتقدمة للنبي صلى الله عليه وسلم الذي خرج) وجد (من مكة وتعظيما للبلد الحرام) لا لما كان عليه أهله (واختلف أيضا في الشهر الذي ولد فيه) أهو ربيع أم غيره (والمشهور أنه ولد في ربيع الاول وهو قول جمهور العلماء) بضم الجيم

معظمهم وجلهم ونقل التلمسانى فتح الجيم أيضا وأتى به بعد المشهور ولان مجرد الشهرة لاتستلزم كثرة القائل لجواز أن يشتهر عن واحد مع مخالفة غيره له أوسكوته عنه (ونقل العلامة الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن (بن الجوزى" الاتفاق عليه) فقال فى الصفوة اتفقوا على انه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة يوم الاثنين فى شهر ربيع الاول عام الفيل (وفيه) أى نقل الاتفاق (نظر فقد قيل فى صفر وقيل فى ربيع الآخر) حكاهما مغلطاى وغيره (وقيل فى رجب ولا يصح) هذا القول (وقيل فى شهر رمضان) حكاه العمرى" ومغلطاى (وروى) هذا القول بأنه فى شهر رمضان (عن ابن عمر باسناد لا يصح وهو موافق لمن قال ان أمه حملت به أيام التشريق) هى ثلاثة أو يومان بعد يوم النحر سميت بذلك لانهم يشرقون أى يقطعون فيها لحوم الاضاحى أو لصلاة العيد بعد وقت شروق الشمس يعنى يوافقه على أن الحمل تسعة أشهر (وأغرب من قال) جاء بقول غريب لا يعرف (ولد فى) يوم (عاشوراء) فشهر الولادة المحرم وحكاه مغلطاى فحصل فى شهر الولادة ستة أقوال (وكذا اختلف أيضا فى أى يوم من الشهر) ولد (فقيل انه) أى اليوم الذى ولد فيه (غير معين) بأنه آخر الشهر أوغيره (انما) ثبت عند صاحب هذا القيل أنه (ولد يوم الاثنين من ربيع الاول من غير تعيين) لكونه ثانيه أو ثامنه أوغيرهما (والجمهور على انه معين) لكن اختلفوا فى تعيينه (فقيل) ولد (لليلتين خلتا منه) من ربيع الاول فيوم ولادته ثانيه وبه صدر مغلطاى (وقيل لثمان خلت منه قال الشيخ قطب الدين) أبو بكر محمد بن أحمد بن على" المصرى" (القسطلانى") الشافعى" جمع بين العلم والعمل وألف فى الحديث والتصوف وتاريخ مصر ولد بمصر سنة أربع عشرة وستمائة ومات فى محرم سنة ست وثمانين وستمائة نسبة الى قسطلينة من اقليم افريقية كما قال هو رحمه الله فى تاريخ مصر ونقله عنه ابن فرحون فى الديباج فى ترجمة أحمد بن على" المصرى" المالكى" المعروف بابن القسطلانى" ولم يضبطه وقال القطب الحلبى" فى تاريخه كأنه منسوب الى قسطلينة بضم القاف من أعمال افريقية بالمغرب انتهى وبعضهم ضبطه بفتح القاف وشد اللام (وهو اختيار أكثر أهل الحديث ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم) النوفلى" (وهو اختيار أكثر من له معرفة بهذا الشان) يعنى التاريخ (واختاره) الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله ابن فتوح بن حميد الازدى" (الحميدى") بضم الحاء مصغر نسبة لجده الاعلى حميد المذكور الاندلسى الظاهرى من كبار تلامذة ابن حزم صاحب الجمع بين الصحيحين فريد عصره علما غزيرا وفضلا ونبلا وحفظا وورعا الثبت الامام فى الحديث والفقه والأدب والعربية والترسل عن الخطيب وطبقته وسمع بالاندلس ومصر والشام والعراق والحجاز وعنه ابن ماكولا وغيره مات سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ومن نظمه كما قال شيخ الاسلام

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

(وشيخه) الحافظ أبو محمد على" بن أحمد بن سعيد (بن حزم) الاموى" مولاهم اليزيدى" القرطبى الظاهرى الامام العلامة الزاهد الورع له المنتهى فى الذكاء والحفظ مع توسعه

في علوم اللسان والبلاغة والشعر والسير والاخبار توفي سنة سبع وخمسين وأربعمائة (وحكى القضاعي) بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة نسبة الى قضاعة شعب من معد أومن اليمن أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر الفقيه الشافعي قاضي مصر صاحب الشهاب والخطط وغيرهما روى عنه الخطيب البغدادي قال ابن ماكولا كان متفننا في عدة علوم توفي بمصر ليلة الخميس سابع عشر ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة (في عيون المعارف اجماع أهل الزيج) بزاي مكسورة فتحتية ساكنة فجيم أي الميقات (عليه) وهو لغة خيط البناء ثم نقل وجعل لقبا لعمل الميقات لقولهم علا الخيط في أخذ استواء النجوم القاموس الزيج خيط البناء معرب ومقتضاه فتح الزاي لانه اذا أطلق أراد الفتح الافيما اشتهر بخلافه كما قال في خطبته وقد ضبطه بعضهم بكسرها ذلعله مما اشتهر (ورواه) الامام أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب القرشي (الزهري) المدني أحد الاعلام نزيل الشام التابعي الصغير المتفق على امامته وحفظه واتقانه وفقهه الموصوف بأنه جمع علم جميع التابعين القائل مااستودعت قلبي شيأ قط فنسيته المتوفى سابع عشر شهر رمضان سنة خمس أوثلاث أوأربع وعشرين ومائة عن ثنتين وتسعين سنة (عن محمد بن جبير بن مطعم) النوفلي الثقة أحد رجال الستة المتوفى على رأس المائة (وكان) محمد (عارفا بالنسب وأيام العرب) وقائعهم وسيرهم فيدل على قوة هذا القول وترجيحه ومعرفة ذلك مما به يتفاخرون (أخذ ذلك) الذي عرفه من النسب وأيام العرب (عن أبيه جبير) بضم الجيم مصغرا ابن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي الصحابي العارف بالانساب المتوفى سنة ثمان أوتسع وخمسين (وقيل لعشر) مضين من ربيع حكاه مغلطاي والدمياطي وصححه (وقيل) ولد (لاثني عشر) من ربيع الاول (وعليه عمل أهل مكة) قديما وحديثا (في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت) أي ثاني عشر ربيع (وقيل لسبع عشرة) ليلة خلت من ربيع (وقيل لثمان عشرة) بفتح النون ويجوز كسرها كما في الهمع والتوضيح واقتصر المصباح على الفتح مع حذف الياء كما هنا وهو لغة أما مع ثبوتها في اللغة الاخرى فتسكن وتفتح وهو أفصح (وقيل لثمان بقين منه وقيل ان هذين القولين) الاخيرين (غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية) فحصل في تعيين اليوم سبعة أقوال (والمشهور أنه) صلى الله عليه وسلم (ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع) الاول وهو القول الثالث في كلام المصنف (وهو قول) محمد (بن اسحق) بن يسار امام المغازي (و) قول (غيره) قال ابن كثير وهو المشهور عند الجمهور وبالغ ابن الجوزي وابن الجزار فنقلا فيه الاجماع وهو الذي عليه العمل (وانما كان) مولده (في شهر ربيع) الاول (على الصحيح) من الاقوال (ولم يكن في المحرم ولافي رجب) بالصرف ولو أريد به معين ففي المصباح رجب من الشهور منصرف (ولا رمضان ولا غيرها من الاشهر ذوات الشرف) كبقية الاشهر الحرم وليلة نصف شعبان (لانه) كما ذكر ابن الحاج في المدخل (عليه الصلاة والسلام لا يتشرف بالزمان وانما الزمان يتشرف به كالاماكن) لا يتشرف بها ومن ثم لم يولد في جوف الكعبة وانما الاماكن تتشرف به كالمدينة

تشرفت به حتى صارت أفضل من مكة عند كثيرين وصار فيها بقعة روضة من رياض الجنة
وأخرى خير البقاع باجماع (فلو ولد فى شهر من الشهور المذكورة لتوهم انه تشرف به
بجعل الله تعالى مولده عليه السلام فى غيرها ليظهر عنايته به وكرامته عليه) وهذا وجه
كونه لم يولد فى تلك الاشهر وحكمة كونه فى شهر ربيع ما فى شرعه من شبه زمن الربيع
فانه أعدل الفصول وشرعه أعدل الشرائع ولان فى ظهوره فيه اشارة لمن تفطن لها بالنسبة
الى اشتقاق لفظة ربيع لان فيه تفاؤلا حسنا ببشارة أمته فالربيع تنشق الارض عما
فى بطنها من نعم الله ومولده فى ربيع اشارة ظاهرة الى التنويه بعظيم قدره وانه رحمة للعالمين
وقد قال أبو عبد الرحمن الصقلى لكل انسان من اسمه نصيب هذا حاصل ماذكر ابن الحاج
(واذا كان يوم الجمعة الذى خلق فيه آدم عليه السلام خص بساعة) فى تعيينها أقوال
كثيرة (لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه) وأخرج بالخير غيره
وفى رواية أحمد مالم يسأل اثما أو قطيعة رحم (فما بالك بالساعة التى ولد فيها سيد المرسلين)
وهى فى يوم الاثنين وأقرب ماقيل انها فى أوله فينبغى الاجتهاد فيها رجاء مصادفتها لكن
المصنف فى عهدة ان فيه ساعة كساعة يوم الجمعة لانه ان أراد أن ذلك اليوم ومثله الى يوم
القيامة كساعة يوم الجمعة أو أفضل فدليله هذا لا ينتج ذلك وان أراد عين تلك الساعة
فساعة الجمعة لم تكن موجودة حينئذ وانما جاء تفضيلها فى الاحاديث الصحيحة بعد ذلك بمدة
فلم يمكن اجتماعهما حتى يفاضل بينهما وتلك انقضت وهذه باقية الى اليوم وقد نص الشارع
عليها ولم يتعرض لساعة مولده ولا لامثالها فوجب علينا الاقتصار على ماجاءنا عنه ولا نبتدع
شيأ من عند نفوسنا القاصرة عن ادراكه الا بتوقيف (ولم يجعل الله تعالى فى يوم الاثنين
يوم مولده) بالجر بدل (عليه السلام من التكليف بالعبادات ما جعل فى يوم الجمعة
المخلوق فيه آدم من) صلاة (الجمعة والخطبة وغير ذلك) من نحو الغسل وحلق العانة
(اكراما للنبيه عليه الصلاة والسلام بالتخفيف عن أمته بسبب عناية وجوده قال تعالى وما
أرسلناك الا رحمة للعالمين) مؤمنهم وكافرهم قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
(ومن جملة ذلك عدم التكليف) وأبدى ابن الحاج حكمة تخصيصه بيوم الاثنين وهى خلق
الاشجار فيه ومنها أرزاق العباد وأقواتهم فوجوده فيه قرة عين بسبب ماوجد من الخير
العظيم لامته (واختلف أيضا فى الوقت الذى ولد فيه) أهو الليل أم النهار (والمشهور انه
يوم الاثنين) كما مر فأفاد انه بالنهار (فعن أبى قتادة الانصارى) الخزرجى السلمى
المدنى فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر سائر المشاهد الا بدرا ففيه خلف وليس
فى الصحابة من يكنى بكنيته غيره واسمه الحرث بن ربعى بكسر الراء أو النعمان بن ربعى
أو النعمان بن عمرو وبالاول جزم فى التبصيرمات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين أو أربع وخمسين
عن سبعين سنة (انه صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام) يوم (الاثنين قال ذاك يوم ولدت
فيه وأنزلت على فيه النبوة) أى انه أول يوم أوحى الى فيه (رواه مسلم) من طريق
شعبة عن غيلان عن عبد الله بن معبد عن أبى قتادة فى حديث طويل وفيه مالفظه وسئل
عن صوم يوم الاثنين قال ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه أو أنزل على فيه فالمصنف نقله

بمعناه ويقع فى بعض نسخ المواهب عن قتادة بحذف أبى وهو تحريف فالذى فى مسلم عن أبى قتادة كما رأيت وقتادة هو ابن النعمان الاوسى صحابى آخر (وهذا) الحديث (يدل) صريحا (على انه صلى الله عليه وسلم ولد نهارا) لقوله ذاك يوم ولدت فيه (و) روى أحمد (فى المسند عن ابن عباس قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ) أى نبئ فالسين للتأكيد (يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع) صلى الله عليه وسلم (الحجر) الاسود الى موضعه فوضعه فيه بيده المباركة (يوم الاثنين) حين بنت قريش الكعبة سنة خمس وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم واختصموا فيمن يرفع الحجر الى موضعه حتى أعدوا للقتال ثم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا قال ابن اسحق فزعم أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة وكان أسنهم يومئذ قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول داخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فكان صلى الله عليه وسلم أول داخل فقالوا هذا الامين رضينا وأخبروه الخبر فقال هلم الى ثوبا فأتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم (انتهى) ما فى المسند وفيه ارسال صحابى لانه لم يدرك ذلك وكان فى الهجرة ابن ثلاث سنين كما مر (وكذا فتح مكة) عند بعضهم والمعروف ما رواه البيهقى انه كان يوم الجمعة واقتصر عليه المصنف فى غزوة الفتح (ونزول سورة المائدة) أى قوله فيها اليوم أكملت لكم دينكم الآية كان ذلك (يوم الاثنين) ففى بعض الطرق عند ابن عساكر وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين اليوم أكملت لكم دينكم وكانت وقعة بدر يوم الاثنين قال ابن عساكر المحفوظ ان وقعة بدر ونزول اليوم أكملت لكم دينكم يوم الجمعة (وقد روى انه) صلى الله عليه وسلم (ولد عند طلوع الفجر) من يوم الاثنين (فعن عبد الله بن عمرو بن العاصى) بن وائل القرشى السهمى قال النووى الجمهور على كتابة العاصى بالياء وهو الصحيح عند أهل العربية ويقع فى كثير من كتب الحديث وغيرها بحذف الياء وهى لغة قرئ بها فى السبع كالكبير المتعال والداع ونحوهما وقال فى موضع آخر الصحيح فى العاصى وابن أبى الموالى والهادى واليمانى اثبات الياء انتهى ومر له مزيد أول الكتاب (قال كان بمر الظهران) موضع على مرحلة من مكة (راهب يسمى عيصا) كذا فى نسخ كفتح البارى بألف منونا سواء قلنا انه أعجمى أو عربى لانه ثلاثى ساكن الوسط كنوح وهو مصروف وفى نسخ عيصى بالياء وفى الشامية عيص بلا ألف ولا ياء فهو ممنوع الصرف (من أهل الشام) زاد فى رواية ابن عساكر آتاه الله علما كثيرا وجعل فيه منافع كثيرة لاهل مكة يدخل كل سنة اليها فيلقى الناس (وكان يقول يوشك) بقرب (أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب) تنقاد وتخضع وتذل (ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا يسأل) بالبناء للمفعول (عنه) ذلك الراهب لقوله لهم ذلك وفى رواية ابن عساكر وكان لا يولد بها مولود الا سألوه عنه (فلما كان صبيحة) أى أول (اليوم الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيصا) ليسأله عن هذا المولود أهو الذى قال فيه ما قال (فناداه) أى فنادى

قوله فأخذ الركن هكذا فى النسخ ولعل الاصوب فأخذ الحجر اللهم الا أن يكون من اطلاق اسم المحل على الحال تامل اهـ مصححه

عبد المطلب عيصا (فأشرف عليه فقال له عيص كن أباه) أى اتصف بكونك أباه بأن نعتقد ذلك وتسمية الجد أبا حقيقة ووقع فى رواية ابن عساكر عن ابن عمرو المذكور خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصا الخ وانما يجىء على أن أباه مات وهو فى المهد لكن الخروج متعذر فلعلها شاذة (فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث) بعد ذلك الى الناس بشيرا ونذيرا (يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال) عبد المطلب (ولد لى الليلة مع الصبح مولود) فأفادت المعية انه ولد عند طلوع الفجر وهو محل الشاهد من هذا الحديث (قال) الراهب (فما سميته قال محمدا) أى عزمت على تسميته فلا ينافى مامر انه سماه يوم سابعه (قال) الراهب (والله لقد كنت أشتهى) أتمنى أن يكون (هذا المولود فيكم) يا (أهل هذا البيت) الكعبة لما رأيته فيكم من تميزكم على غيركم من العرب بالخصال الجيدة ومكارم الاخلاق وقد علمت وجوده مطابقا لما كنت أتمناه (بثلاث) أى بسبب ثلاث (خصال تعرفه) بضم الفوقية فعين مفتوحة فراء مشددة أى تميزه تلك الخصال وتدل على انه ذلك المولود وفى نسخة نعرفه وكذا عند ابن عساكر بفتح النون أى نعرفه نحن بها (فقد أتى) مشتملا (عليهن) وهو مجاز عن أتى بكذا اذا مر عليه ففى المصباح أتى عليه مر به فكأنه لقيام الصفات به مر بها (منها) أى الخصال التى علم وجوده بها (انه طلع نجمه البارحة وانه ولد اليوم وأن اسمه محمد رواه أبو جعفر بن أبى شيبة) محمد بن عثمان العبسى الكوفى محدثها الحافظ البارع صنف وجمع وثقه صالح جزرة وابن عدى وعبدان وقال عبد الله بن أحمد كذاب وقال ابن خراش يضع وقال مطين هو عصا موسى تلقف ما يأفكون وقال ابن البرقانى لم أزل أسمع انه مقدوح فيه مات فى جمادى الاولى سنة سبع وتسعين ومائتين وما يقع فى نسخ أبو جعفر وابن أبى شيبة بزيادة واو غلط من الجهلة (وخرجه أبو نعيم فى الدلائل) أى فى كتاب دلائل النبوة وكذا رواه ابن عساكر (بسند ضعيف) ومن ثم عبر أولا بروى تمريضا على العادة (وقيل كان مولده عليه الصلاة والسلام عند طلوع الغفر) بفتح الغين المعجمة وسكون الفاء ثم راء مهملة كما ضبطه ابن ماطيش وهو مقتضى القاموس (وهو ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر وهو مولد النبيين) أى وقت مولدهم (ووافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان) بفتح النون وهو سابع الاشهر الرومية كما فى القاموس (وهو برج الحمل) وفى النور عن الدمياطى ولد فى برج الحمل وهو يحتمل أن يكون فى نيسان وأن يكون فى اذار انتهى لكن ما جزم به المصنف نقله فى روضة الاحباب عن أبى معشر البلخى (وكان) ذلك أى مولده (لعشرين مضت منه) من نيسان قاله الخوارزمى (وقيل ولد ليلا) من غير تعيين وقت ولادته لكونه عند طلوع الغفر فغاير ما قبله (فعن عائشة) انها قالت (كان بمكة يهودى يتجر فيها فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) اليهودى وهذا مما تلقته عن غيرها لان ولادتها بعد ذلك بمدة وهى لا تحدث الا عن ثقة (يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال) زاد فى رواية يعقوب ابن سفيان السابقة انظروا فانه (ولد فى هذه الليلة نبى هذه الامة الاخيرة بين كتفيه

علامة) هى خاتم النبوة (فيها شعرات متواترات) أى مجتمعات كما فى رواية فى صفة الخاتم وفى أخرى متراكمات (كأنهن عرف الفرس) وفى رواية يعقوب فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام (فخرجوا باليهودى حتى أدخلوه على أمه فقالوا لها (أخرجى المولود ابنك فأخرجته) أمه لهم (وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودى مغشيا عليه فلما أفاق قالوا مالك) أى أى شئ حصل لك (ويلك قال ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل) يعقوب عليه السلام (رواه الحاكم) ورواه يعقوب بن سفيان عن عائشة أيضا كما قدم المصنف قريبا فى عجائب ولادته وأعاده هنا استدلالا على انه ولد ليلا مع افادة انه رواه غير من عزاه له هناك فلا تكرار وان كانت القصة واحدة لان المخرج بفتح الميم متحد وهو عائشة رضى الله عنها ولا يضر اختلاف بعض الالفاظ بالزيادة والنقص لانه من اختلاف الرواة (قال الشيخ بدر الدين الزركشى والصحيح أن ولادته عليه الصلاة والسلام كانت نهارا) لا ليلا (قال وأما ما روى من تدلى النجوم) ليلة مولده كالذى رواه البيهقى فى حديث فاطمة بنت عبد الله الثقفية ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع على (فضعفه ابن دحية لاقتضائه أن الولادة ليلا) وانما كانت نهارا على الصحيح (قال) الزركشى (وهذا لا يصلح أن يكون تعليلا) لتضعيف المروى من تدلى النجوم لا لكونه ولد ليلا بدليل قوله (فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز أن تسقط النجوم نهارا انتهى) كلام الزركشى على أن فى تضعيفه بتلك العلة نشأ على مقتضى الصناعة فالمحدثون انما يعللون الحديث من جهة الاسناد الذى هو المرقاة لا بمخالفة ظاهر القرآن فضلا عن معارضته بأحاديث أخر كما صرح به الحافظ ابن طاهر وغيره قال النجم وقد يقال ان الولادة عقب الفجر وللنجوم حينئذ سلطان كما فى الليل فلا ينافى سقوطها انتهى (فان قلت اذا قلنا بأنه عليه السلام ولد ليلا) على القول المرجوح (فأيما أفضل ليلة القدر أو ليلة مولده عليه السلام) الاصل أليلة القدر بالهمزة لانه بدل من اسم الاستفهام وحكم المبدل منه انه يلى الهمز قال ابن مالك رحمه الله تعالى

وبدل المضمن الهمز يلى * همزا كمن ذا أسعيد أم على

قلت (أجيب بأن ليلة مولده عليه السلام أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة أحدها أن ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر معطاة له وما) أى والذى (شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه ولا نزاع فى ذلك) الذى ذكرنا من أن ما شرف الخ وحيث لا نزاع (فكانت ليلة المولد أفضل من ليلة القدر بهذا الاعتبار (الثانى) من الوجوه الثلاثة (أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها) على أحد الاقوال فى سبب تسميتها بذلك والثانى لنزول القرآن فيها والثالث أن الذى يراها يصير ذا قدر والرابع لما يكتب فيها من الاقدار فيها يفرق كل أمر حكيم (وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر) وهم الملائكة (على الاصح المرتضى) عند جمهور أهل السنة من أن النبى أفضل من الملك فأما نبينا صلى الله عليه وسلم فأفضل من جميع العالمين اجماعا حكاه الامام الرازى

وابن السبكي والسراج البلقيني قال الزركشي واستثنوه من الخلاف في التفضيل بين الملائكة والبشر فهو أفضل حتى من أمين الوحي خلافا لما وقع في الكشاف ولذا قال بعض المغاربة جهل الزمخشري مذهبه فقد أجمع المعتزلة على استثناء المصطفى من الخلاف انتهى نعم زعم أن طائفة منهم كالرماني خرقوا الاجماع فتبعهم الزمخشري وحيث كان كذلك (فتكون ليلة المولد أفضل) وهو المدعى (الثالث أن ليلة القدر وقع فيها التفضل على أمة محمد صلى الله عليه وسلم) فقط لانها مختصة بهم ولم تكن لمن قبلهم على الصحيح المشهور الذى قطع به جمهور العلماء كما قال النووى (وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر) جميع (الموجودات) أمته وغيرهم من حيث الامن من العذاب العام كالخسف والمسخ (فهو الذى بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين) كما قال في الكتاب المبين (فعمت به) بمولده (النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد أعم نفعا فكانت أفضل) من ليلة القدر بهذا الاعتبار وهذا الذى ساقه المصنف وأقره متعقب قال الشهاب الهيتمي فيه احتمال واستدلال بما لا ينتج المدعى لانه ان أريد أن تلك الليلة ونظائرها من كل سنة الى يوم القيامة أفضل من ليلة القدر فهذه الادلة لا تنتج ذلك كما هو جلى وان أريد عين تلك الليلة فليلة القدر لم تكن موجودة اذ ذاك وانما أتى فضلها في الاحاديث الصحيحة على سائر ليالى السنة بعد الولادة بمدة فلم يمكن اجتماعهما حتى يأتى بينهما تفضيل وتلك انقضت وهذه باقية الى اليوم وقد نص الشارع على أفضليتها ولم يتعرض لليلة مولده ولا لامثالها بالتفضيل أصلا فوجب علينا أن نقتصر على ما جاء عنه ولا نبتدع شيأ من عند نفوسنا القاصرة عن ادراكه الا بتوقيف منه صلى الله عليه وسلم على انا لو سلمنا أفضلية ليلة مولده لم يكن له فائدة اذ لا فائدة في تفضيل الازمنة الا بفضل العمل فيها وأما تفضيل ذات الزمن الذى لا يكون العمل فيه فليس له كبير فائدة الى هنا كلامه وهو وجيه ثم اذا قلنا بما قال المصنف وقلنا ان الولادة نهارا فهل الافضل يوم المولد او يوم البعث والاقرب كما قال شيخنا أن يوم المولد أفضل لمن الله به فيه على العالمين ووجوده يترتب عليه بعثه فالوجود أصل والبعثة طارئة عليه وذلك قد يقتضى تفضيل المولد لاصالته (فيا شهرا ما أشرفه) بالفاء (وأوفر حرمة لياليه كأنها) لشدة لمعانها وضوئها (لآلى) جمع لؤلؤة (في العقود) جمع عقد (ويا وجها ما أشرقه) بالقاف (من) وجه (مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا) وأنشد المصنف لغيره بيتين هما (يقول لنا لسان الحال منه *) صلى الله عليه وسلم (وقول الحق يعذب) يحلو (للسميع) ان سألت عن صفاتى وأحوالى (فوجهى والزمان وشهر وضعى *) فالفاء جواب شرط مقدر (ربيع) المراد به وجهه صلى الله عليه وسلم شبهه بالربيع في اعتداله وحسنه ورونقه (في ربيع) أى زمن الربيع (في ربيع) أى شهر ربيع المولود فيه صلى الله عليه وسلم وقد قال أهل المعانى كما في السبل كان مولده في فصل الربيع وهو أعدل الفصول ليله ونهاره معتدل لان بين الحر والبرد ونسيمه معتدل بين اليبوسة والرطوبة وشمسه معتدلة في العلو والهبوط وقمره معتدل في أول درجة من الليالى البيض وينعقد في سلك هذا النظام ما هيأ الله تعالى له من أسماء

مربيه ففى الوالدة والقابلة الامن والشفاء وفى اسم الحاضنة البركة والنماء وفى مرضعتيه الآتى ذكرهما الثواب والحلم والسعد (واختلف أيضا فى) قدر (مدة الحمل به صلى الله عليه وسلم (فقيل تسعة اشهر) كاملة وبه صدر مغلطاى قال فى الغرر وهو الصحيح (وقيل عشرة) اشهر (وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة) حكى الاقوال الخمسة مغلطاى وغيره (وولد عليه السلام) بمكة على الصحيح الذى عليه الجمهور ولكن اختلف فى مكانه منها على اقوال فقيل ولد (فى الدار التى كانت) صارت بعد (لمحمد بن يوسف الثقفى (أخى الحجاج) الظالم المشهور وهى بزقاق المدكك بدال مهملة وكانت قبل ذلك بيد عقيل بن أبى طالب قال ابن الاثير قيل ان المصطفى وهبها له فلم تزل بيده حتى توفى عنها فباعها اولاده من محمد بن يوسف أخى الحجاج وقيل ان عقيلا باعها بعد الهجرة تبعا لقريش حين باعوا دور المهاجرين وفى الخميس فأدخل محمد بن يوسف ذلك البيت الذى ولد فيه صلى الله عليه وسلم فى داره التى يقال لها البيضاء ولم تزل كذلك حتى حجت خيزران جارية المهدى أم هرون الرشيد فأفردت ذلك البيت وجعلته مسجدا يصلى فيه وفى النور تبعا للروض وأما الدار التى لمحمد بن يوسف فقد بنتها زبيدة يعنى زوجة هرون الرشيد مسجدا حين حجت وهى عند الصفا (ويقال بالشعب) بكسر الشين اطلقه تبعا لمغلطاى وفى العيون بشعب بنى هاشم وظاهر المصنف كغيره مغايرة هذا القول لما قبله ووقع فى الخميس عن بعضهم ولد بمكة فى الدار التى تعرف بدار محمد بن يوسف فى زقاق معروف بزقاق المدكك فى شعب مشهور بشعب بنى هاشم من الطرف الشرقى لمكة تزار ويتبرك بها الى الآن انتهى وفيه ما فيه فبين الصفا والشعب مسافة بعيدة (ويقال بالردم) بفتح الراء وسكون الدال المهملتين قال فى النور أى ردم بنى جمح بمكة وهو لبنى قراد (ويقال) لم يولد بمكة بل (بعسفان) حكاه مغلطاى قال فى النور وهى قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة انتهى لكن ذا القول شاذ لا يعول عليه كما فى شرح الهمزية

* ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما معه *

(وأرضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة) بضم المثلثة وفتح الواو وسكون التحتية فباء موحدة فتاء تأنيث توفيت بمكة سنة سبع من الهجرة قال ابن منده اختلف فى اسلامها وقال أبو نعيم لا اعلم أحدا ذكره الا ابن منده وقال ابن الجوزى لا نعلم انها اسلمت والبرهان فى النور لم يذكرها أبو عمر فى الصحابة وقال الذهبى يقال انها اسلمت فاذا الراجح عنده انها لم تسلم وقال الحافظ فى طبقات ابن سعد ما يدل على انها لم تسلم لكن لا يدفع به نقل ابن منده قال ولم اقف فى شئ من الطرق على اسلامها مع ابنها مسروح وهو محتمل انتهى وذكر الحافظ أبو بكر بن العربى فى سراج المريدين انه لم ترضعه مرضعة الا اسلمت ونقله السيوطى عن بعضهم ولعله عناه (عتيقة أبى لهب) بلبن ابنها مسروح بفتح الميم وسكون السين المهملة فراء مضمومة فحاء مهملتين قال البرهان لا اعلم أحدا ذكره باسلام اياما قبل ان تقدم حليمة بعد ارضاع أمه له وما رواه ابن سعد أول من أرضعه ثويبة فالاولية نسبية أى غير أمه وقد ذكر العلماء ان مرضعاته صلى الله عليه وسلم عشر * أمه ارضعته

تسعة أيام ذكره صاحب المورد والعيون وغيرهما وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام حكاهما الخميس عن أهل السير ووقع لبعضهم سبعة اشهر وهو وهم كأنه اشتبه عليه سبعة أيام بأشهر أو تحرّف ذلك على الناقل عنه * وثويبة أياما قلائل قبل قدوم حليمة وأرضعت قبله حمزة وبعده أباسلمة المخزومي رواه ابن سعد * وحليمة السعدية التي فازت بجناية سعدها منه قاله ابن المنذر وابن الجوزي وعياض وغيرهم * وخولة بنت المنذر بن زيد أم بردة الانصارية ذكرها ابن الامين في ذيل الاستيعاب عن العدوي وتبعه في التجريد والمورد والعيون قال الشامي وهو وهم وانما أرضعت ولده ابراهيم كما ذكر ابن سعد وابن عبد البر وغيرهما وهو الذي في الاصابة بخطه وقد صرّح ابن جماعة بأن ابن الامين ذكرها في المراضع فوهم قال وتبعه على ذلك بعض العصريين وكأنه عنى به اليعمري * وامرأة من بني سعد غير حليمة أرضعته وهو عند حليمة ذكره في الهدى وتجويز البرهان في النور أنها خولة التي قبلها لا يصح لخولة انصارية وهذه سعدية * وأم أيمن بركة الحبشية ذكرها القرطبي والمشهور أنها من الحواضن لا المراضع * وأم فروة ذكرها جعفر المستغفري * وثلاث نسوة من بني سليم قال في الاستيعاب مرّبه صلى الله عليه وسلم على نسوة أبكار من بني سليم فأخرجن ثديهن فوضعنها في فيه فدرّت قال بعضهم ولذا قال أنا ابن العواتك من سليم انتهى لكن قال السهيلي عاتكة بنت هلال أم عبد مناف عمة عاتكة بنت مرة أم هاشم وعاتكة بنت الاوقص أم وهب جدّه صلى الله عليه وسلم لامّه هنّ عواتك ولدنه صلى الله عليه وسلم ولذا قال أنا ابن العواتك من سليم وقيل في تأويل هذا الحديث ان ثلاث نسوة من بني سليم أرضعنه كل تسمى عاتكة والاول أصح انتهى * واقتصر المصنف هنا وفي المقصد الثاني على ثويبة وحليمة لانه أراد من استقلت بارضاعه وهؤلاء لم يتصفن بذلك وللنزاع في خولة وأم أيمن والعواتك سلمنا ارضاع العواتك فانما هو اتفاقي خصوصا وقد كنّ أبكارا وثويبة وان قلت أيام رضاعها مستقلة به فيها وأمّا أمّه وان أرضعته تلك المدة فهي في معرض دفعه لمرضعة فلم تستقل به (أعتقها) أبو لهب (حين بشرته بولادته عليه السلام) على الصحيح فقالت له أشعرت أن آمنة قد ولدت غلاما لاخيك عبد الله فقال لها اذهبي فأنت حرّة كما في الروض وقيل انما أعتقها بعد الهجرة قال الشامي وهو ضعيف والجمع بأنه أعتقها حينئذ ولم يظهره الا بعد الهجرة مما لا يسمع فانه لما هاجر كان عدوّه فلا يتأتى منه اظهار أنه كان فرح بولادته وأيضا فالقائل بالثاني لا يقول انه أعتقها للبشارة بالولادة وقد روى انه أعتقها قبل ولادته بدهر طويل (وقد رؤي) بالبناء للمفعول (أبو لهب بعد موته في النوم) والرائي له أخوه العباس بعد سنة من وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر ذكره السهيلي وغيره (فقيل له ما حالك قال في النار الا أنه خفف عني) بعض العذاب بسبب ما أسقاه من الماء (كل ليلة اثنين و) ذلك أني (أمص) بفتح الميم أفصح من ضمها من بابي تعب وقتل كما في المصباح (من بين أصبعيّ هاتين ماء) والظاهر أنهما السبابة والابهام وحكمة تخصيصهما اشارته لها بالعتق بهما وحملنا على ان التخفيف بسبب الماء ليلتئم مع ما رواه البخاري وعبد الرزاق والاسماعيلي عن قتادة ان ثويبة مولاة أبي لهب كان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم

فلما

فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة فقال ماذا لقيت قال لم ألق بعدكم زاد عبد الرزاق راحة ولفظ الاسماعيلى رخاء قال ابن بطال سقط المفعول من جميع رواة البخارى ولا يستقيم الا به غير انى سقيت فى هذه زاد عبد الرزاق وأشار الى النقرة التى تحت ابهامه بعتاقتى ثويبة حيبة بحاء مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وموحدة مفتوحة أى سوء حال وأصلها حوبة وهى المسكنة والحاجة قلبت واوها ياء لانكسار ما قبلها وذكر البغوى انها بفتح الحاء وللمستملى بخاء معجمة مفتوحة أى فى حالة خائبة وقال ابن الجوزى انه تصحيف وروى بالجيم قال السيوطى وهو تصحيف باتفاق (وأشار) أبو لهب الى تقليل مايسقاه (برأس أصبعه) الى النقرة التى تحت ابهامه كما مرّ فى رواية عبد الرزاق قال ابن بطال يعنى انّ الله سقاه ماء فى مقدار نقرة ابهامه لاجل عتقها وقال غيره أراد بالنقرة التى بين ابهامه وسبابته اذا مدّ ابهامه فصار بينهما نقرة يسقى من الماء بقدر ما تسعه تلك النقرة وبهذا علم انّ النقرة التى أشار اليها على صورة خلقته فى الدنيا لا على صورة الكفار فى جهنم والمراد بقوله سقيت من الماء انه وصل الى جوفه بسبب ما يمصه من أصابعه لانه يؤتى له به من خارج جمعا بين الروايتين وقد تعسف من قال ما يسقاه ليس من الجنة لانّ الله حرّمها على الكافرين فانه لا يتوهم أحد أنه من الجنة سواء قلنا انه يسقى مما يمصه أو يؤتى له به من خارج حتى ينص عليه (و) أشار الى (أنّ ذلك باعتاقى لثويبة) وتقدّمت رواية الجماعة بعتاقتى بفتح العين قال فى شرح العمدة عبر به دون اعتاق وان كان هو المناسب لانه أثره فلذا أضافها الى نفسه وعلى نقل المصنف فعنى الاضافة ظاهر لانّ الاعتاق فعله والعتاقة أثر يترتب عليه (حين بشرتنى بولادة النبى صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له) أى بأمره فلا يرد أنه ليس فعله حتى يجازى عليه ولا يعارضه قوله تعالى فجعلناه هباء منثورا لانه لما لم يخرجهم من النار ويدخلهم الجنة كأنه لم يفدهم أصلا كما أشار اليه البيهقى أو لانه هباء بعد الحشر وهذا قبله وقال السهيلى هذا النفع انما هو نقصان من العذاب والا فعمل الكافر كله محبط بلا خلاف أى لا يجده فى ميزانه ولا يدخل به الجنة انتهى وجوّز الحافظ تخفيف عذاب غير الكفر بما عملوه من الخير بناء على انهم مخاطبون بالفروع وفى التوشيح قيل هذا خاص به اكراما للنبى صلى الله عليه وسلم كما خفف عن أبى طالب بسببه وقيل لا مانع من تخفيف العذاب عن كل كافر عمل خيرا (قال) الحافظ أبو الخير شمس الدين (ابن الجزرى) محمد بن محمد الدمشقى الامام فى القرآت الحافظ للحديث صاحب التصانيف التى منها النشر فى القرآت العشر لم يصنف مثله ولد سنة احدى وخمسين وسبعمائة ومات سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة (فاذا كان هذا الكافر الذى نزل القرآن بذمه جوزى فى النار بفرحه) هو (ليلة مولد) وضع (النبى صلى الله عليه وسلم به) أى بالمولد (فما حال المسلم الموحد من أمّته عليه السلام) حال كونه (يسرّ) وفى نسخة الذى يسر (بمولده ويبذل) بضم الذال يعطى بسماحة (ما تصل اليه قدرته فى محبته صلى الله عليه وسلم) من الصدقات وهو استفهام تفخيم أى حاله بذلك أمر عظيم ولله درّ حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر فى قوله

اذا كان هذا كافرا جاء ذمه * وتبت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى انه فى يوم الاثنين دائما * يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى كان عمره * بأحمد مسرورا ومات موحدا

وقوله فى يوم الاثنين على حذف مضاف أى فى ليلة يوم الاثنين فلا يرد عليه حديث المصنف كل ليلة اثنين الصريح فى أن التخفيف ليلا فلا وجه لدعوى انه يخفف نهارا بسبب سقيه ليلا لاحتياجه لبرهان ومجرد النظم لا دلالة فيه لما علم من كثرة حذف المضاف (لعمرى) بالفتح أى لحياتى قسمى كما فى القاموس لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لكثرة دوره على ألسنتهم كما فى الانوار (انما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم) ويمتعه فيها برؤيته وبسبهه العظيم (ولا زال) أى استمر (أهل الاسلام) بعد القرون الثلاثة التى شهد المصطفى صلى الله عليه وسلم بخيريتها فهو بدعة وفى انها حسنة قال السيوطى وهو مقتضى كلام ابن الحاج فى مدخله فانه انما ذم ما احتوى عليه من المحرمات مع تصريحه قبل بأنه ينبغى تخصيص هذا الشهر بزيادة فعل البر وكثرة الصدقات والخيرات وغير ذلك من وجوه القربات وهذا هو عمل المولد المستحسن والحافظ أبى الخطاب بن دحية وألف فى ذلك التنوير فى مولد البشير النذير فأجازه الملك المظفر صاحب اربل بألف دينار واختاره أبو الطيب السبتى نزيل قوص وهؤلاء من أجلة المالكية أو مذمومة وعليه التاج الفاكهانى وتكفل السيوطى لرد ما استند اليه حرفا حرفا والاول أظهر لما اشتمل عليه من الخير الكثير (يحتفلون) يهتمون (بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور) به (ويزيدون فى المبرات ويعتنون بقراءة) قصة (مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم) وأول من أحدث فعل ذلك الملك المظفر أبو سعيد صاحب اربل قال ابن كثير فى تاريخه كان يعمل المولد الشريف فى ربيع الاول ويحتفل فيه احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا وطالت مدته فى الملك الى ان مات وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا فى سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة قال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان حكى لى بعض من حضر سماط المظفر فى بعض الموالد أنه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة فرس ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور وكان يصرف على المولد ثلثمائة ألف دينار انتهى (ومما جرب من خواصه) أى عمل المولد (أنه أمان فى ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية) بكسر الباء وضمها لغة الحاجة التى تبغيها وقيل بالكسر الهيئة وبالضم الحاجة قاله المصباح (والمرام) أى المطلوب فهو تفسيرى الى هنا كلام ابن الجوزى فى مولده المسمى عرف التعريف بالمولد الشريف (فرحم الله امرأ اتخذ ليالى شهر مولده المبارك أعيادا) جمع عيد (ليكون) الاتخاذ (أشد علة) بكسر العين فى أكثر النسخ أى مرضا وفى بعضها بغين معجمة مضمومة أى احتراق قلب فكلاهما صحيح (على من فى قلبه مرض وأعيى) بفتح الهمزة وسكون العين

قوله وفى انها حسنة الخ هو خبر مقدم ومبتدؤه المؤخر محذوف لوضوحه والاصل وفى انها حسنة أو مذمومة قولان اه مصححه

مضافا الى (دا) المقصور للسجع وأصله المد عطف على أشد علة أي بما يصيبه من الغيظ الحاصل له بمولده صلى الله عليه وسلم (ولقد أطنب ابن الحاج) أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي أحد العلماء العاملين المشهورين بالزهد والصلاح من أصحاب ابن أبي جمرة كان فقيها عارفا بمذهب مالك وصحب جماعة من أرباب القلوب مات بالقاهرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (في) كتاب (المدخل) الى تنمية الاعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة قال ابن فرحون وهو كتاب حفيل جمع فيه علما غزيرا والاهتمام بالوقوف عليه متعين ويجب على من ليس له في العلم قدم راسخ ان يهتم بالوقوف عليه انتهى (في الانكار على ما احدثه الناس) البشر وقد يكون من الانس والجن قيل مشتق من ناس ينوس اذا تدلى وقيل من النسيان والى ترجيحه يومي كلام الجد قال أبو تمام

لا تنسين تلك العهود فانما * سميت انسانا لانك ناسي

(من البدع والاهواء) أي المفاسد التي تميل اليها النفس فهو مساو للبدع المرادة هنا (والغناء) مثل كتاب الصوت وقياسه الضم لانه صوت وغنى بالتشديد ترنم بالغناء كذا في المصباح (بالآلات المحرمة) كالعود والطنبور (عند عمل المولد الشريف فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل) الجنة ونعيمها (ويسلك بنا سبيل السنة) أي الطريق الموصلة اليها من فعل الطاعات واجتناب المعاصي والمراد طلب الهداية الى ذلك وفي نسخة بنا وبه والمراد بسلوكها بالنسبة لابن الحاج جعله في زمرة المتقين في الآخرة (فانه) سبحانه (حسبنا) كافينا (ونعم الوكيل) الموكول اليه هو والحاصل أن عمله بدعة لكنه اشتمل على محاسن وضدها فمن تحرى المحاسن واجتنب ضدها كانت بدعة حسنة ومن لا فلا قال الحافظ ابن حجر في جواب سؤال وظهر لي تخريجه على أصل ثابت وهو ما في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم اغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ونحن نصومه شكرا قال فيستفاد منه فعل الشكر على ما من به في يوم معين وأي نعمة اعظم من بروز نبي الرحمة والشكر يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وسبقه الى ذلك الحافظ ابن رجب قال السيوطي وظهر لي تخريجه على أصل آخر وهو ما رواه البيهقي عن أنس انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه ولا تعاد العقيقة مرة ثانية فيحمل على انه فعله شكرا فكذلك يستحب لنا اظهار الشكر بمولده بالاجتماع واطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وتعقبه النجم بانه حديث منكر كما قاله الحافظ بل قال في شرح المهذب انه حديث باطل فالتخريج عليه ساقط انتهى (وقد ذكروا) زعم أن المراد اهل الاشارة من الصوفية فاما الفقهاء والمحدثون فلم يذكروا شيأ من ذلك وفيه نظر ففي الخميس روى عن مجاهد قلت لابن عباس تنازعت الطيور في ارضاع محمد صلى الله عليه وسلم قال اي والله وكل نساء وذلك انه لما نادى الملك في السماء الدنيا هذا محمد سيد الانبياء طوبى لثدي ارضعه فتنافست الجن والطير في ارضاعه فنوديت أن كفوا فقد اجرى الله ذلك على ايدي الانس فخص الله بتلك السعادة

ويشرف بذلك الشرف حليمة انتهى (انه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة) أى نادى ملك بمعنى هذا الكلام فى سماء الدنيا حيث قال طوبى لثدى ارضعه كما مر (التى لا يوجد مثلها) أى لنفى ما يماثلها (قيمة) فليس المراد أن له مثلا لكن لا قيمة له لنفاسته بل المراد نفى القيمة والمثل معا (قالت الطيور) بلسان الحال على الظاهر ولا مانع منه (نحن نكفله ونغتنم خدمته العظيمة وقالت الوحوش) حيوان البر (نحن أولى بذلك) منكم أيها الطيور لكونه فى الارض ونحن بها بخلافكم (تنال شرفه وتعظيمه) العائدين على من يكفله (فنادى لسان القدرة) شبه القدرة بذى لسان يأمر به وينهى استعارة بالكناية واثبات اللسان تخييل والنداء ترشيح (أن يا جميع المخلوقات ان الله كتب فى سابق حكمته القديمة) والمراد أن قدرته تعلقت باعلامهم بذلك (ان نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة) من الحلم وقد ذكر العزفى ان عبد المطلب سمع وقت دخول حليمة هاتفا يقول

ان ابن آمنة الامين محمدا * خير الانام وخيرة الاخيار
ما ان له غير الحليمة مرضع * نعم الامينة هى على الابرار
مأمونة من كل عيب فاحش * ونقية الاثواب والازرار
لا تسلمنه الى سواها انه * أمر وحكم جا من الجبار

(قالت حليمة) بنت أبى ذؤيب عبد الله بن الحرث وقيل الحرث بن عبد الله السعدية قال فى الاستيعاب روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال جاءت حليمة بنت عبد الله أم النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة اليه يوم حنين فقام اليها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنها عبد الله بن جعفر قال فى الاصابة وحديث عبد الله بن جعفر عنها بقصة ارضاعها أخرجه أبو يعلى وابن حبان فى صحيحه وصرح فيه بالتحديث بين عبد الله وحليمة انتهى وقول ابن كثير لم تدرك البعثة رده الحافظ بأن عبد الله ابن جعفر حدث عنها عند أبى يعلى والطبرانى وابن حبان وهو انما ولد بعد البعثة وزعم الدمياطى وأبى حيان النحوى انها لم تسلم مردود فقد ألف مغلطاى فيها جزأ حافلا سماه التحفة الجسيمة فى اثبات اسلام حليمة وارتضاه علماء عصره فأما أبو حيان فليس من فرسان ذا الميدان يذهب الى زيده وعمره وأما الدمياطى فحسبنا فى الرد عليه قوله وقد وهل غير واحد فذكروها فى الصحابة لانهم مثبتون لذلك فمن أين له الحكم عليهم بالغلط وقد ذكرها فى الصحابة ابن أبى خيثمة فى تاريخه وابن عبد البر وابن الجوزى فى الحداء والمنذرى فى مختصر سنن أبى داود وابن حجر فى الاصابة وغيرهم وحسبك بهم حجة (فيما رواه ابن اسحق) محمد فى السيرة فقال حدثنى جهم مولى الحرث بن حاطب الجمحى عن عبد الله بن جعفر أو عمن حدثه عنه قال كانت حليمة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته تحدث انها خرجت فذكر الحديث كما يأتى (وابن راهويه) اسحق بن ابراهيم بن مخلد التميمى أبو يعقوب الحنظلى المروزى ساكن نيسابور أحد الائمة الاعلام اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع روى عن ابن عيينة وابن مهدى وابن علية وغيرهم وعنه الائمة

الستة الا ابن ماجه قال ابن حنبل هو أمير المؤمنين فى الحديث أملى المسند والتفسير من حفظه وما كان يحدث الا من حفظه وقال ما سمعت شيأ الا حفظته ولا حفظت شيأ فنسيته مات ليلة نصف شعبان بنيسابور سنة ثمان وثلاثين ومائتين وراهويه براء فالف فهاء مضمومة فتحتية مفتوحة عند المحدثين قال الحافظ أبو العلاء بن العطار لانهم لا يحبون ويه وبفتح الهاء والواو وسكون التحتية قال الكرمانى وهو المشهور والنووى هو مذهب النحويين وأهل الادب وفى الكواكب قال عبد الله بن طاهر لاسحق لم قيل لك ابن راهويه فقال اعلم أيها الامير ان أبى ولد فى طريق مكة فقال المراوزة راهوى لانه ولد فى الطريق وهو بالفارسية راه (وأبو يعلى) الحافظ الثبت محدث الجزيرة أحمد بن على بن المثنى التميمى الموصلى صاحب المسند الكبير سمع ابن معين وطبقته وعنه ابن حبان وغيره ذو صدق وأمانة وعلم وحلم وثقه ابن حبان والحاكم ولد فى شوال سنة عشر ومائتين وعمر وتفرد ورحل الناس اليه ومات سنة سبع وثلثمائة (والطبرانى) سليمان بن أحمد بن أيوب (والبيهقى) أحمد ابن الحسين بن على (وأبو نعيم) أحمد بن عبد الله مر بعض ترجمة الثلاثة (قدمت مكة) أى أردت قدومها (فى) أى مع (نسوة) عشرة فيما ذكر (من بنى سعد بن بكر) على عادة نساء القبائل التى حول مكة ونواحى الحرم من انهن يأتينها كل عام مرتين ربيعا وخريفا للرضعاء ويذهبن بهم الى بلادهم حتى تتم الرضاعة لان عادة نساء قريش دفع أولادهن الى المراضع قال العزفى كن يرين رضاع أولادهن عارا وقال غيره لينشأ الولد عربيا فيكون أنجب ولسانه أفصح كما فى الحديث أنا أعربكم أنا من قريش واسترضعت فى بنى سعد بن بكر وكانت مشهورة فى العرب بالكمال وتمام الشرف وقيل لتفرغ النساء للازواج لكنه منتف فى آمنة لموت زوجها وهى حامل على الصحيح (نلتمس الرضعاء) جمع رضيع قال عبد الملك ابن هشام انما هو المراضع قال تعالى وحرمنا عليه المراضع قال السهيلى وما قاله ظاهر لان المراضع جمع مرضع والرضعاء جمع رضيع لكن للرواية مخرج من وجهين أحدهما حذف المضاف أى ذوات الرضعاء الثانى أن يكون المراد بالرضعاء الاطفال على حقيقة اللفظ لانهم اذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجد واله رضيعا يرضع معه فلا يبعد أن يقال التمسوا له رضيعا علما بأن الرضيع لابد له من مرضع (فى سنة شهباء) ذات قحط وجدب والشهباء الارض البيضاء التى لا خضرة فيها لقلة المطر من الشهبة وهى البياض سميت بذلك لبياض الارض لخلوها من النبات (على اتان لى) بفتح الهمزة والفوقية الانثى من الحمير خاصة قال الجوهرى وابن السكيت ولا يقال اتانة بالهاء قال ابن الاثير وان كان قد جاء فى بعض الحديث لكن فى القاموس انها لغة سليمية أى لبنى سليم (ومعى صبى لنا) هو عبد الله بن الحرث الذى كانت ترضعه حينئذ لا أعلم له اسلاما ولا ترجمة كذا فى النور وهو تقصير ففى الاصابة سماه بعضهم عبد الله وذكره فى الصحابة وكذا سماه ابن سعد لما ذكر أسماء أولاد حليمة قال وروى ابن سعد من مرسل اسحق بن عبد الله قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخ من الرضاعة فقال للنبى يعنى بعد النبوة أترى أن يكون بعث فقال صلى الله عليه وسلم أما والذى نفسى بيده لآخذن بيدك يوم القيامة ولاعرفنك قال فلما آمن بعد النبى صلى

قوله قال عبد الملك الخ الذى يظهر من السياق أن كلمة الرضعاء فى موقعها حيث ان القائل قدمت مكة الخ هى المرضع رضى الله تعالى عنها ولا يظهر ما قاله عبد الملك والسهيلى الا لو كان قائل ذلك قرابا نه صلى الله عليه وسلم تأمل اه مصححه

الله عليه وسلم كان بمجلس فيبكي ويقول أنا أرجو أن يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيدى يوم القيامة فأنجو وهكذا أورده في ترجمة والده الحرث ثم أعاده في المخضرمين من حرف العين فقال عبد الله بن الحرث سماه الواقدي ولم يزد على ذكر خبر ابن سعد هذا الا انه قال هذا مرسل صحيح الاسناد (وشارف لنا) بشين معجمة فألف فراء مكسورة ففاء أي ناقة مسنة وعن الاصمعي يقال للذكر والانثى شارف والمراد هنا الانثى لاغير والجمع الشرف بضم الراء وتسكن قاله النور (والله ماتبض) بفتح الفوقية وكسر الموحدة وشد الضاد المعجمة ما تدر (بقطرة) وقال أبو ذر في حواشيه ماتبض بضاد معجمة ماتسيل ولاترشح ومن رواه بصاد مهملة فعناه مايبرق عليها أثر لبن من البصيص وهو البريق واللمعان (وماننام ليلنا ذلك أجمع) لشدة الجوع (مع صبينا ذاك) عبد الله لا ينام قال في الرواية عند ابن اسحق من بكائه من الجوع لانه (لا يجد في ثديي مايغذيه) أي يكفيه (ولا في شارفنا مايغذيه) بدال مهملة عند ابن اسحق ومعجمة عند ابن هشام قال السهيلي وهو أتم من الاقتصار على الغداء دون العشاء وعند بعض الرواة يعذبه بعين مهملة وذال منقوطة وموحدة أي مايقنعه حتى يرفع رأسه وينقطع عن الرضاع يقال منه عذبته وأعذبته اذا قطعته عن الشرب ونحوه قال والذي في الاصل يعني الروايتين المذكورتين أصح في المعنى والنقل انتهى من الروض (فقدمنا مكة) أي دخلناها (فوالله ماعلمت منا امرأة) أنا واللاتي قدمت معهن (الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا صريح في اسلامها حيث قالت رسول الله وصلت عليه (فتأباه) اي تأخذه (اذ) تعليلية (قيل انه يتيم) زاد ابن اسحق وذلك انا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم ماعسى أن تصنع أمه وجده فكنا نكرهه لذلك أي أخذه (من الاب) صفة كاشفة فاليتيم من لا أب له وان كان له جد وفي نسخ حذف من الاب وهنا فائدة حسنة سئل الحافظ عما يقع من بعض الوعاظ في الموالد في مجالسهم الحفلة المشتملة على الخاص والعام من الرجال والنساء من ذكر الانبياء بما يخل بكمال التعظيم حتى يظهر للسامعين لها حزن ورقة فيبقى في حيز من يرحم لا من يعظم كقوله لم تأخذه المراضع لعدم ماله الا حليمة رغبت في رضاعه شفقة عليه وانه كان يرعى غنما وينشد

لاغنامه سار الحبيب الى المرعى * فياحبذا راع فؤادي له مرعى

وفيه فما أحسن الاغنام وهو يسوقها * وكثير من هذا المعنى المخل بالتعظيم فأجاب بما نصه ينبغي لمن يكون فطنا أن يحذف من الخبر مايوهم في المخبر عنه نقصا ولا يضره ذلك بل يجب هذا جوابه بحروفه نقله عنه السيوطي (فوالله مابقي من صواحبي امرأة الا أخذت رضيعا غيري) فلم آخذ لاني لم أعط لما أنا عليه من الضيق (فلما لم أجد غيره) يعطى لي (قلت لزوجي) الحرث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي يكنى أبا ذؤيب أدرك الاسلام وأسلم رواه يونس بن بكير قال حدثنا ابن اسحق حدثني والدي عن رجال من بني سعد بن بكر قالوا قدم الحرث أبو رسول الله من الرضاعة عليه صلى الله عليه وسلم بمكة حين أنزل عليه القرآن فقالت له قريش ألا تسمع يا حار ما يقول ابنك قال وما يقول قالوا يزعم أن الله يبعث من في

القبور

القبور وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من أطاعه فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا فأتاه فقال أي بني مالك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة ونار فقال صلى الله عليه وسلم أنا أزعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم يا أبة لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم فاسلم الحرث بعد ذلك فحسن اسلامه وكان يقول حين أسلم لو أخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني ان شاء الله حتى يدخلني الجنة قال ابن اسحق وبلغني انه انما أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم هكذا في رواية يونس قال السهيلي ولم يذكر ذلك البكاءي في روايته عن ابن اسحق ولا ذكره كثير ممن ألف في الصحابة وقد ذكره فيهم صاحب الاصابة وذكر هذا الخبر وعقبه بخبر ابن سعد المتقدم في ابنه وقال يحتمل أن يكون ذلك وقع للاب والابن (والله اني لاكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم) الذي عرضه جده علي وسألني أخذه وقلت له ألا تذرني أراجع صاحبي فأذن لها وانتظرها حتى راجعته وعادت (فلآخذنه) زاد ابن اسحق قال لا عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة قالت (فذهبت) اليه (فاذا به مدرج في ثوب صوف) بالاضافة والتنوين حال كون الثوب (أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حرير أخضر راقد على قفاه يغط) بكسر المعجمة من باب ضرب أي يردد نفسه صاعدا الى حلقه حتى يسمعه من حوله كما في المصباح (فأشفقت أن أوقظه) أي خفت من ايقاظه (من نومه) شفقة عليه (لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا) قليلا بتأن (فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه لينظر الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء) لشدة انتشاره (وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديي الايمن فأقبل) الثدي أي در (عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فأبى) أن يشربه (وكانت تلك) الصفة (حاله بعد) وفيه أنها فعلت ذلك معه في مجلسها الذي وضعت فيه يدها على صدره وهذا من أول قوله فاذا به مدرج الى قوله الآتي قريبا ثم أخذته زائد على ما في ابن سيد الناس لانه اقتصر على رواية ابن اسحق ولم يقع ذلك فيها وأما المصنف فقد نقل الحديث عن ستة من الحفاظ فلا يعترض عليه بما في اليعمري (قال أهل العلم) في حكمة امتناعه صلى الله عليه وسلم من الثدي الايسر (ألهمه الله تعالى أن له شريكا فألهمه العدل) فلذا امتنع وأخذ الايمن لانه كان يحب التيمن في أموره كلها (قالت) حليمة في بقية حديثها الذي رواه من تقدم وأعاد قالت لفصله بقول أهل العلم (فروي وروى أخوه) ابنها عبد الله ووقع للبيهقي أن اسمه ضمرة وتوقف فيه الشامي فقال فالله أعلم (ثم أخذته بما هو) مشتمل عليه من كونه مدرجا الخ مامر (الى أن جئت به) وفي نسخة فما هو الا أن جئت به أي فما الشأن فما مبتدأ وما بعد الا هو الخبر وفي رواية فقالت آمنة يا حليمة قيل لي ثلاث ليال استرضعي ابنك في بني سعد بن بكر ثم في آل أبي ذؤيب قالت حليمة فان زوجي أبو ذؤيب فجئت به (رحلي) بحاء مهملة مسكن الشخص وما يستصحبه من الاثاث والمنزل والمأوى قاله البرهان وتبعه الشامي (فأقبل عليه ثدياي بما شاء) الله (من لبن فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي فقام صاحبي تعني) حليمة بقولها صاحبي

(تزوجها) الحرث (الى شارفنا تلك) التى ما كانت تبض بقطرة (فاذا) بجائية (انها لحافل) بمهملة وفاء ممتلئة الضرع من اللبن (فحلب ما) لبنا (شرب) هو (وشربت أنا) (حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبى) حين أصبحنا كما فى ابن اسحق (ياحليمة والله انى لاراك) بالفتح أعتقد له بدليل رواية ابن اسحق تعلمى والله ياحليمة قال البرهان أى اعلمى كقوله صلى الله عليه وسلم تعلموا أن ربكم ليس بأعور أى اعلموا (قد أخذت نسمة) بفتحات ذاتا (مباركة) زاد ابن اسحق قلت والله انى لارجو ذلك (ألم ترى ما بتنا به الليلة من البركة والخير حين أخذناه) قالت حليمة (فلم يزل الله يزيدنا خيرا) ببركته صلى الله عليه وسلم (قالت) حليمة وفى نسخة بتذكير الفعل على معنى الشخص (فى رواية ذكرها ابن طغربك) بضم الطاء والراء المهملتين بينهما معجمة ساكنة كأنه علم مركب من طغروبك (فى) كتاب (النطق المفهوم فلما نظر صاحبى الى هذا قال اسكتى واكتمى أمرك) فلا تبديه لاحد خشى عليها الحسد وعلى المصطفى الناس (فمن ليلة ولد هذا الغلام أصبحت الاحبار) جمع حبر (قياما على أقدامها لايهنؤها) بالهمز من هنأ الطعام لذ أى لا يلذ لهم (عيش النهار ولانوم الليل) واخباره بذلك عنهم لما بلغه أو شاهده من بعضهم (قالت حليمة) فلما ذهبت بمحمد الى منزلى مكثنا بمكة ثلاث ليال كذا فى شواهد النبوة قالت (فودعت النساء بعضهن) بليل أى ودع بعض النساء بعضا وفى نسخة فودعت النساء بعضهم بالتذكير والاولى أنسب بقوله (وودعت أنا أم النبى صلى الله عليه وسلم ثم ركبت أتانى) حمارتى الانثى ويقال حمارة بالهاء على قلة (وأخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدى قالت فنظرت الى الاتان وقد سجدت) خفضت رأسها أو وضعت وجهها على الارض وهو الظاهر فلا مانع (نحو) أى جهة (الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء) ألهمها الله فعل ذلك شكرا له أن خصها بكونه صلى الله عليه وسلم على ظهرها (ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معى وصار الناس يتعجبون منى) وفى رواية ابن اسحق فوالله لقد قطعت بالركب حتى ما يقدر على شئ من حمرهم (ويقلن النساء لى) هذا نحو أسروا النجوى الذين ظلموا والنحوى يتعاقبون فيكم ملائكة وسموها لغة أكلونى البراغيث وجوزوا فى نحوه أن النون فاعل والاسم الظاهر بدل منه حتى لا يكون من تلك اللغة (وهن ورائى يابنت أبى ذؤيب) بذال معجمة كنية أبيها واسمه عبد الله بن الحرث بن شجنة بكسر الشين المعجمة فجيم ساكنة فنون مفتوحة ثم تاء التأنيث هكذا فى النور ووقع فى الشامية بسين مهملة ابن جابر ابن رزام بكسر الراء ثم زاى فألف فميم ابن ناصر بن سعد بن بكر بن هوازن هكذا فى الاستيعاب وقيل فى نسبها غير ذلك (أهذه أتانك التى كنت عليها وأنت جائية معنا تخفضك طورا) بفتح الطاء مرة (وترفعك) مرة (أخرى) فأنث على معنى الطور لضعفها وعجفها (فأقول تالله انها هى فيتعجبن منها ويقلن ان لها الشأنا عظيما قالت) حليمة (فكنت أسمع أتانى تنطق وتقول والله ان لى لشأنا ثم لشأنا) وكأنه قيل لى ماذا الشأن فقالت (بعثنى الله بعد موتى) أعطانى قوة أقدر بها على سرعة السير بعد ما كنت كالميتة من الضعف (ورد لى سمنى بعد هزالى) بضم الهاء ضد السمن وفى نسخة بعد هزلى بفتح الهاء وتضم وسكون

الزاى بلا ألف بمعنى الاولى أيضا فى القاموس الهزال بالضم نقيض السمن هزل كعنى وهزل كنصر هزلا ويضم انتهى وأما نقيض الجد فبابه ضرب وفرح كما فيه أيضا وليس مرادا هنا كما هو معلوم والجملتان تفسير للشأن على الاستئناف البيانى كما قررنا (ويحكن) بالنصب باضمار فعل كلمة ترحم وويل كلمة عذاب وقال اليزيدى هما بمعنى واحد تقول ويح لزيد وويل له فترفعهما على الابتداء ولك نصبهما كأنك قلت ألزمه الله ويحا وويلا ولك اضافتهما فتنصبهما باضمار فعل كذا ذكر العلامة الشمنى ومقتضاه انه ليس لويحا فعل من لفظه وقد ذكر ابن عصفور فى شرح الجمل أن من الناس من ذهب الى انه قد استعمل من ويح فعل فهو على مذهبه منصوب بفعل من لفظه تقديره واح ويحا (يانساء بنى سعد انكن لفى غفلة وهل تدرين) بكسر الراء (من) أى الذى (على ظهرى) وقوله (على ظهرى) خبر مبتدؤه (خيار النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين) وكأنها فرضت انهن كلمتها بما قالته حليمة فأجابتهن بذلك وفى نطقها وسجودها قبل ارهاص للنبى صلى الله عليه وسلم وكرامة لحليمة (قالت فيما ذكره ابن اسحق) مسندا فى بقية الحديث السابق (وغيره ثم قدمنا منازل بنى سعد ولا أعلم أرضا من أرض الله أجدب) بجيم فدال مهملة فوحدة ضد الخصب (منها فكانت غنمى تروح على) أى ترجع بمشى (حين قدمنا به) صلى الله عليه وسلم (شباعا لبنا) بضم اللام وكسرها لغتان حكاهما الجوهرى وشد الموحدة أى كثيرة اللبن جمع لبون (فنحلب) بضم اللام وكسرها لغتان كما فى النور (ونشرب وما يحلب انسان) غيرنا (قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضر) هم القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه ويقولون للمناهل المحاضر للاجتماع والحضور ذكره البرهان (من قومنا يقولون لرعيانهم) جمع راع وفى نسخة لرعاتهم جمع ثان قال القاموس الراعى كل من ولى أمر قوم جمعه رعاة ورعيان ورعاء بكسر انتهى زاد ابن اسحق ويلكم (اسرحوا حيث تسرح) ظرف مكان أى اذهبوا الى المكان الذى تذهب اليه (غنم بنت أبى ذؤيب) ولفظ ابن اسحق حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب (فتروح أغنامهم جياعا ما تبض) بالضاد معجمة ومهملة (بقطرة لبن وتروح) ترجع (أغنامى شباعا لبنا) مع أن مسرحها واحد قالت فى رواية ابن اسحق فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته قال المصنف (فلله درها من بركة) تمييز للنسبة فى درها لان مرجع الضمير هنا معلوم (كثرت بها مواشى حليمة ونمت) زادت (وارتفع قدرها به وسمت) أى علت فهو مساو (فلم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة) وأنشد لغيره (لقد بلغت بالهاشمى) محمد صلى الله عليه وسلم (حليمة * مقاما علا) ارتفع (فى ذروة) بكسر الذال المعجمة أعلى (العز والمجد) مستعار من ذروة الجبل أعلاه (وزادت مواشيها وأخصب ربعها *) بفتح الراء وسكون الموحدة محلها ومنزلها ويطلق على القوم مجازا (وقد عم هذا السعد كل بنى سعد) وذلك أن حليمة قالت لما دخلت به منزلى لم يبق منزل من منازل بنى سعد الا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته فى قلوب الناس حتى ان أحدهم كان اذا نزل به أذى فى جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم

فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله سريعا وكذا اذا اعتل لهم بعير أو شاة ولولم يكن من سعد هم الا انهم لما سبوا فى وقعة هوازن ثم جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا اله نحن أهل وعشيرة وقام خطيبهم وقال يارسول الله ان اللواتى فى الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك وأنت خير مكفول ثم قال امنن علينا رسول الله فى كرم الابيات المشهورة الآتية فى كلام المصنف فقال صلى الله عليه وسلم ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ورسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ورسوله فرد عليهم سبيهم (قال ابن الطراح رأيت فى كتاب الترقيص لابى عبد الله محمد بن المعلى الازدى) البصرى ونقله أيضا عن كتاب الترقيص مغلطاى فى الزهر والحافظ فى الاصابة وأبو المظفر المقرى الواعظ فى أربعينه (ان من شعر حليمة ما كانت ترقص) بضم التاء وشد القاف المكسورة من الترقيص (به النبى صلى الله عليه وسلم يارب اذ أعطيته فأبقه * وأعله الى العلا ورقه *) بدون ألف كما فى نسخ وهو ما نقله أبو المظفر وفى نسخ وأرقه بألف وكذا فى السبل والاولى أنسب كما يفيده القاموس (وادحض) بكسر الحاء حذفت همزته للضرورة أى أذل (أباطيل العدا بحقه * وعند غيره) أى غير ابن الطراح فان الزهر والاصابة وأبا المظفر نقلوه كله عن كتاب الترقيص المذكور لابن المعلى فليس ضمير غيره عائدا عليه كما زعم (وكانت الشيماء) بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية ويقال الشيماء بلا ياء ابنة الحرث بن عبد العزى السعدية ذكرها أبو نعيم وغيره فى الصحابة واسمها جدامة بضم الجيم وبالدال المهملة والميم جزم به ابن سعد وقيل حذافة بضم الحاء المهملة وفتح الذال المعجمة فألف ففاء جزم به ابن عبد البر وصوبه الخشنى وقيل خذامة بكسر الخاء وبالذال المعجمتين ذكره السهيلى مع الثانى فقط واقتصر فى الاصابة على الاولين (أخته من الرضاعة) من جهة انه عليه السلام رضع أمها حليمة بلبن أخيها (تحضنه) بضم الضاد ومن ثم تدعى أم النبى صلى الله عليه وسلم أيضا كما فى النور (وترقصه وتقول هذا أخ لى لم تلده أمى *) من أبى ولا غيره (وليس من نسل أبى) من غير أمى (و) لا من نسل (عمى *) فاسمه أخى لشدة تقربه ومرادها تعميم نفى اخوة النسب ولو المجازية فان نسل العم ليس بأخ وانه انما هو أخ من غير نسبهما شرفها الله تعالى بنسبتها اليه بسبب رضاعه أمها (فديته من مخول) بضم الميم وكسر الواو من أخول على الاصل وتفتح الواو على أن غيره جعله ذا اخوال كثيرة ورجل معم مخول أى كريم الاعمام والاخوال ومنع الاصمعى الكسر فيهما وقال كلام العرب الفتح قاله المصباح (معمى *) بكسر الميم الثانية اسم فاعل أنسب بالشعر من فتحها اسم مفعول وان جاز قال المصباح أعم الرجل اذا كرم أعمامه روى مبنيا للمفعول والفاعل وجرت من التمييز مع انه تمييز لنسبة الفعل الى المفعول لانه ليس محولا عنه فيجوز جره نحو ما أحسنه من رجل (فأنمه) بفتح الهمزة من أنماه (اللهم فيما تنمى *) بضم الفوقية المصباح نمى من باب رمى كثر وفى لغة من باب قعد ويتعدى بالهمز والتضعيف فعبر بأنمه مجاز لغوى من اطلاق السبب وارادة المسبب فالكثرة يلزمها القوة فكأنها قالت قوه فيمن قويتهم وزد رفعته أو مجازا بالنقص بحذف المضاف أى أنم اتباعه

قوله ولولم يكن الخ هكذا فى النسخ بدون ذكر جواب لو ولعل حذفه لظهوره أى لكفى اه مصححه

قوله مجاز لغوى هكذا فى النسخ ولعله رسم على لغة ربيعة تأمل اه مصححه

وذريته وقد زاد الجماعة عن كتاب الترقيص المذكور وقالت الشيماء أيضا

يا ربنا أبق أخي محمدا * حتى أراه يافعا وأمردا

ثم أراه سيدا مسودا * واكبت أعاديه معا والحسدا

وأعطه عزا يدوم أبدا

قال الازدي ما أحسن ما أجاب الله دعاءها يعني لرؤيتها اياه بجميع ماطلبت (وأخرج البيهقي و) أبو عثمان اسمعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن اسمعيل بن ابراهيم (الصابوني) شيخ الاسلام الامام المفسر المحدث الفقيه الواعظ الخطيب وعظ المسلمين ستين سنة ولد سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة وتوفي في المحرم سنة سبع أو أربع وأربعين وأربعمائة (في) كتاب (المائتين والخطيب) البغدادي (وابن عساكر) الدمشقي (في تاريخيهما) لبغداد ودمشق (وابن طغربك السياف في) كتاب (النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه (قال قلت يارسول الله دعاني الى الدخول في دينك) أي حملني عليه واستعماله بهذا المعنى مجاز لان الدعاء النداء (أمارة لنبوتك) علامة عليها تشبيه الامارة بالداعي استعارة بالكناية واثبات الدعاء لها تخييل (رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث أشرت اليه مال) الى جهتك أي ففي أي وقت فحيث هنا للزمان مجازا على مقتضى القاموس والمصباح وبه صرح المغني فقال وهي للمكان اتفاقا قال الاخفش وقد ترد للزمان (قال اني كنت أحدثه ويحدثني و) كان يحدثه لي (يلهيني عن البكاء و) كنت (أسمع وجبته) أي سقطته كقوله تعالى فاذا وجبت جنوبها (حين يسجد تحت العرش قال البيهقي) عقب اخراجه (تفرد به أحمد بن ابراهيم) أي لم يتابعه عليه أحد (الحلبي) نسبة الى حلب البلدة الشهيرة قال في الميزان قال أبو حاتم أحاديثه باطلة تدل على كذبه ويقع في نسخ الجيلي بجيم وياء ولام وهو تحريف فقد استوفى الحافظ في التبصير من ينسب هذه النسبة وماذكره فيهم (وهو مجهول) وهو ثلاثة أنواع مجهول العين من له راو فقط ومجهول الحال وهما مردودان عند الجمهور ومجهول العدالة وفيه خلاف وظاهر كلام أبي حاتم المار أن هذا من النوع الثاني (وقال الصابوني) نسبة الى الصابون قال في اللباب لعله لان أحد أجداده عمله فعرف به (هذا حديث غريب الاسناد) لان راويه أحمد بن ابراهيم لم يتابع عليه فهو كقول البيهقي تفرد به وزاد عليه قوله (والمتن) أي لفظ الحديث ولعل غرابته لان العباس أصغر الاعمام لحمزة أكبر منه وحمزة كان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين كما رواه البكائي عن ابن اسحق فرؤية العباس لذلك وروايته غريب (و) لكن الخوارق لا يقاس عليها (هو في المعجزات حسن) ذكره لان عادة المحدثين التساهل في غير الاحكام والعقائد مالم يكن موضوعا وأيضا فانه يتمشى على القول بأن العباس ولد قبل الفيل بثلاث سنين وبه جزم المصنف فيما يأتي ومر له أيضا وروى عن العباس أنه قال أذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها فحمزة والعباس متقاربان غايته أن حمزة أسن منه بيسير (والمناغاة المحادثة وقد ناغت الام صبيها) أي (لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة) مصدر لاعب (وفي فتح الباري)

فى كتاب الانبياء فى قوله صلى الله عليه وسلم لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة نقلا (عن سيرة) محمد بن عمر بن واقد (الواقدى) أبى عبد الله الاسلمى مولاهم المدنى الحافظ روى عن مالك والثورى وابن جريج وغيرهم وعنه الشافعى وابن سعد كاتبه وخلق كذبه أحمد وتركه ابن المبارك وغيره وقال فى الميزان استقر الاجماع على وهنه وفى التقريب متروك مع سعة علمه مات سنة سبع وقيل تسع ومائتين روى له ابن ماجه (انه صلى الله عليه وسلم تكلم فى أوائل ما ولد) وعند ابن عائذ أول ما تكلم به حين خرج من بطن أمه الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وفى الروض عن الواقدى أول ما تكلم به لما ولد جلال ربى الرفيع وفى شواهد النبوة روى انه صلى الله عليه وسلم لما وقع على الارض رفع رأسه وقال بلسان فصيح لا اله الا الله وانى رسول الله وطريق الجمع انه قال جميع ذلك * ثم الكلام فى المهد ليس من خصائصه بل ولا من خصائص الانبياء فقد تكلم فيه ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج رواه أحمد والحاكم مرفوعا وعند مسلم فى قصة أصحاب الاخدود أن امرأة جىء بها لتلقى فى النار لتكفر ومعها صبى فتقاعست فقال لها يا أماه اصبرى فانك على الحق وفى زمنه صلى الله عليه وسلم مبارك اليمامة وقصته فى دلائل البيهقى فهؤلاء خمسة تكلموا وليسوا بأنبياء ونظم جملة من تكلم السيوطى فقال

تكلم فى المهد النبى محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التى * يقال لها تزنى ولا تتكلم
وماشطة فى عهد فرعون طفلها * وفى زمن الهادى المبارك يختم

قال بعضهم وكلام الصبى فى مهد يحتمل كونه بلا تعقل كما خلق الله التكلم فى الجماد ويحتمل كونه عن معرفة بأن خلق الله فيه الادراك ولعل كلام النبى كان كذلك (وذكر ابن سبع) باسكان الموحدة وقد تضم كما فى التبصير (فى الخصائص أن مهده) أى ما هيئ له لينام فيه (كان يتحرك بتحريك الملائكة) له قال بعض ولم ينقل مثل ذلك لاحد من الانبياء (وأخرج البيهقى وابن عساكر عن ابن عباس) انه (قال كانت حليمة تحدث بأنها أول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا) وأفاد هذا مع ما مر عن ابن عائذ قريبا انه تكلم بهذا فى الوقتين (فلما ترعرع) قوى على الخروج والاختلاط بالصبيان (كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم الحديث) وروى انه كان يخرج هو وأخوه فيلعب أخوه مع الغلمان فيجتنبهم عليه السلام ويأخذ بيد أخيه ويقول انا لم نخلق لهذا (وقد روى محمد بن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة لا تدعه) لا تترك النبى صلى الله عليه وسلم (يذهب مكانا بعيدا) خوفا عليه وشفقة أى فى غالب الاحوال أو فى ابتداء الامر فلا ينافى ما روى انه قال لها يا أماه مالى لا أرى أخوتى بالنهار قالت يرعون غنما لنا فيروحون من الليل الى الليل فقال ابعثينى معهم فكان يخرج مسرورا ويعود مسرورا (فغفلت عنه فخرج مع أخته الشيماء فى الظهيرة) أول الزوال وهو أشد ما يكون من حر النهار (الى البهم) بفتح

الموحدة جمع بهمة وهي ولد الضأن كذا في النهاية وفي القاموس البهمة أولاد الضأن والبقر والمعز وجمعه بهم ويحرك وفي النور يطلق على الذكر والانثى لكن يرد عليه حديث انه عليه السلام قال للراعي ما ولدت قال بهمة قال اذبح مكانها شاة فهذا يدل على أن البهمة اسم للانثى لانه انما سأله ليعلم أذكر أم أنثى لعلمه أن المولود أحدهما (فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده) غاية للطلب أو تعليل له أي الى أن تجده أو لتجده فوجدته (مع أخته) وعلى التقديرين تحتمل جارة لوقوع المضارع بعدها منصوبا وفي نسخة فوجدته وهي ظاهرة (قالت في هذا الحر) الهمزة فيه مقدرة أي أفيه تخرجين به كقول الكميت

طربت وما شوقا الى البيض أطرب * ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

أراد أوذو الشيب (قالت أخته يا أمه) الهاء بدل من تاء التأنيث والاصل يا أمة بلا تاء عند جمهور البصريين (ما وجد أخي حرا) لان الشمس لم تصبه فقد (رأيت غمامة) سحابة (تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت) معه تظلله (حتى انتهى الى هذا الموضع) الذي نحن فيه (الحديث) وفيه اظلال الغمام له صلى الله عليه وسلم فهو حجة على من أنكره قال ابن جماعة من ذهب الى أن حديث اظلال الغمام لم يصح بين المحدثين فهو باطل نعم لم يكن كما قال السخاوي وغيره دائما لما في حديث الهجرة ان الشمس أصابته صلى الله عليه وسلم وظلله أبو بكر بردائه وثبت انه كان بالجعرانة ومعه ثوب قد أظل عليه وأنهم كانوا اذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وغير ذلك (وكان صلى الله عليه وسلم يشب) بكسر الشين من باب ضرب (شبابا لا يشبه) أي لا يشب مثله (الغلمان) كذا في رواية ابن اسحق مجملا وفي شواهد النبوة روى انه صلى الله عليه وسلم لما صار ابن شهرين كان يتزحلف مع الصبيان الى كل جانب وفي ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه وفي أربعة كان يمسك الجدار ويمشي وفي خمسة حصل له القدرة على المشي ولما تم له ستة أشهر كان يسرع في المشي وفي سبعة أشهر كان يسعى ويغدو الى كل جانب ولما مضى له ثمانية أشهر شرع يتكلم بكلام فصيح وفي عشرة أشهر كان يرمي السهام مع الصبيان (قالت حليمة فلما فصلته) بعد مضي عامين (قدمنا به على أمه) على عادة المراضع في اتيانهن بالاولاد الى أمهاتهم بعد تمام الرضاع فأتت به موافقة لهن ثم حاولت الرجوع به لتصل الى مقصودها كما أفاده قولها (ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته) أي حرصنا على مكثه فينا أشد من حرص كل حريص على شيء يحرص عليه فلا يرد أن أفعل التفضيل بعض ما يضاف اليه ومعلوم أن حليمة وزوجها وابنتها لم يشاركهم جميع الناس في الحرص على مكثه فيهم (فكلمنا أمه) وبيان الكلام (وقلنا) نود (لو تركتيه عندنا حتى يغلظ) أي يعظم جسمه وتزيد قوته فلو للتمني أو جوابها محذوف أي لكان خيرا له بدليل (فانا نخشى عليه وباء مكة) بالهمز مقصورا وممدودا كما في النهاية والصحاح والقاموس وفسروه بأنه الطاعون أو كل مرض عام والظاهر أن المراد هنا الثاني ومن ثم فسره الشامي بانه كثرة الموت والمرض (ولم نزل) نتلطف (بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة) شكت (مع أخيه من الرضاعة) عبد الله (لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء

قوله والاصل يا أمة بلا تاء هكذا في النسخ وفيه ما لا يخفى والاولى عبارة الصحاح وهي ويقال يا أمة لا تفعلي ويا أبه افعل يجعلون علامة التأنيث عوضا من ياء الاضافة ويقفون عليها بالهاء انتهى المراد منها فتدبر اه مصححه

أخوه يشتد) يسرع فى المشى (فقال ذاك أخى القرشىّ قد جاءه رجلان) ملكان فى صورة رجلين (عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه) بعد أن صعدا به ذروة الجبل كما فى رواية البيهقىّ الآتية (فخرجت أنا وأبوه) من الرضاعة وهو زوجها (نشتد نحوه فنجده قائما) من استعمال المضارع موضع الماضى ففى الكلام حذف أى وما زلنا نسرع الى أن وجدناه قائما (منتقعا لونه) بنون ففوقية فقاف مفتوحة أى متغيرا قال الكسائىّ انتقع مبنيا اذا تغير من حزن أو فزع قال وكذا ابتقع بالموحدة وامتقع بالميم أجود قاله الجوهرىّ أى مبنيا للمفعول وبه صرّح المجد واقتصر عليه البرهان والشامىّ وفى المصباح ما يفيد بناءه للفاعل (فاعتنقه أبوه وقال أى بنىّ ماشأنك) ماحالك (قال جاءنى رجلان) هما جبريل وميكائيل كما فى النور (عليهما ثياب بيض فأضجعانى وشقا بطنى) ولا ينافى هذا قوله الآتى قريبا فعمد أحدهم فأضجعنى على الارض لجواز أنه نسب الاضجاع الى مجموعهما وان كان فى الحقيقة من واحد مجازا أو نزل فعل المشارك له فى الغسل ونحوه منزلة المشارك فى نفس الاضجاع فأطلق عليه اسمه (ثم استخرجا منه شيأ) هو مضغة سوداء كما فى الحديث الآتى على الاثر (فطرحاه ثم ردّاه كما كان) قالت حليمة (فرجعناه معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت) خفت (أن يكون ابنى قد أصيب) من الجنّ وأصل الخشية الخوف مع الاجلال لكنها هنا فى مجرّد الخوف لان المعنى نخاف عليه ما يصيبه من الجنّ (فانطلقى بنا نردّه الى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوّف) أى ما نخوفه فالمفعول محذوف (قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به مكة على أمّه) بعد أن ضلّ منا فى باب مكة حين نزلت لأقضى حاجتى فأعلمت عبد المطلب بذلك فطاف بالبيت أسبوعا ودعا الله بردّه فسمع مناديا ينادى معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يضيعه ولا يخذله قال عبد المطلب يا أيها الهاتف من لنا به وأين هو قال بوادى تهامة فأقبل عبد المطلب راكبا متسلحا فلما صار فى بعض الطريق لقى ورقة بن نوفل فسارا جميعا فوجدوه صلى الله عليه وسلم تحت شجرة وفى رواية بينا أبو مسعود الثقفىّ وعمرو بن نوفل على راحلتيهما اذ هما به قائما عند شجرة الموز يتناول من ورقها فأقبل اليه عمرو وهو لا يعرفه فقال من أنت قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فاحتمله بين يديه على الراحلة حتى أتى به عبد المطلب وعن ابن عباس لما ردّ الله محمدا صلى الله عليه وسلم على عبد المطلب تصدّق بألف ناقة كوماء وخمسين رطلا من ذهب وجهز حليمة أفضل الجهاز كذا فى الخميس (فقالت) أمّه (ماردّكما) أى شئ ردّكما (به فقد كنتما حريصين عليه) أى على مقامه عندكما (قلنا نخشى عليه الاتلاف والأحداث) أى الاسباب العارضة المقتضية لاتلافه أو حصول الامراض له (فقالت ماذاك) بكسر الكاف خطاب لحليمة أى ماخوف الاتلاف والأحداث حملكما على ردّه أو بفتح الكاف على انه خطاب لزوج حليمة أو على أنّ الكاف المتصلة باسم الاشارة مفتوحة أبدا (فاصدقانى شأنكما) حالكما الحامل لكما على ردّه (فلم تدعنا) تتركنا (حتى أخبرناها خبره قالت) انكارا عليهما (أخشيتما عليه الشيطان) ابليس أو الجنس وهو أظهر زاد فى رواية ابن اسحق عن حليمة قالت نعم قالت آمنة (كلا) ردع لهما عن خشية

قوله مبنيا هكذا فى النسخ ولعله من زيادة النساخ والا فعبارة الصحاح ليس فيها لفظ مبنيا وأيضا انما نقل الجوهرى ذلك عن الكسائىّ فى مادّة مقع لا فى مادّة نقع وان كان المآل واحدا فليراجع اه مصححه

الشيطان عليه (والله ما للشيطان عليه سبيل) طريق يتوصل له منها (وانه لكائن لابني هذا شأن) أمر (عظيم) قالت ذلك لما شاهدته في حملها به وعند ولادته كما صرحت به حليمة فقالت كما في حديث ابن اسحق ألا أخبرك خبره رأيت حين حملت به خرج مني نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالارض رافع رأسه الى السماء (فدعاه عنكما) وظاهر هذا السياق بل صريحه ان شق الصدر ورجوعه الى أمه كانا في السنة الثالثة لقوله فيه بشهرين أو ثلاثة وقد قال ابن عباس رجع الى أمه وهو ابن خمس سنين وقال غيره وهو ابن أربع حكاهما الواقدي وقال ابن عبد البر ردته بعد خمس سنين ويومين وقال الاموي وهو ابن ست سنين وحاول في النور الجمع بتعدد الواقعة مستدلا بأن صدره شق مرارا وفيه ما فيه وأيضا يعكر عليه أن الاموي ذكر أن حليمة لم تره بعد الامرتين بعد تزويج خديجة جاءته تشكو السنة وأن قومها أسنتوا كلهم فكلم خديجة فأعطتها عشرين من الغنم وبكرات والثانية يوم حنين والراجح انه صلى الله عليه وسلم رجع الى أمه وهو ابن أربع سنين وأن شق الصدر انما كان في الرابعة كما جزم به الحافظ العراقي في نظم السيرة وتلميذه الحافظ ابن حجر في سيرته وهي صغيرة مفيدة وذكر أنه التزم فيها الاقتصار على الاصح مما اختلف فيه قال العراقي

أقام في سعد بن بكر عندها * أربعة الاعوام تجني سعدها
وحين شق صدره جبريل * خافت عليه حدثا يؤول
ردته سالما الى آمنة *

هكذا بغير في الاصل

ولفظ سيرة ابن حجر أقام عندها أربع سنين أرضعته حولين كاملين ثم أحضرته الى أمه وسألتها ان تتركه عندها الى أن يشب ففعلت فأتاه جبريل فشق صدره وأخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك فخافت عليه حليمة فرجعته الى أمه انتهى ومن خطه نقلت (وفي حديث شداد بن أوس عن رجل من بني عامر) لا يضر ابهامه لان الصحابة كلهم عدول ولاسيما وهو من رواية صحابي عن صحابي (عند أبي يعلى وأبي نعيم وابن عساكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا) بصيغة اسم الفاعل وسين التأكيد لا الطلب وان كان الاصل فيها وليس اسم مفعول لانه لازم (في بني سعد بن بكر فبينما أنا ذات يوم) تأنيث ذا بمعنى صاحب أي في ساعة ذات يوم أي منه فحذف ذلك لوضوح المراد كقول امرئ القيس

اذا قامتا تضوع المسك منهما * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

أي مثل تضوع نسيم الصبا (في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان) جمع ترب وهو من ولد معه كما في القاموس بأن كان في سنه (اذ أنا برهط) بسكون الهاء أفصح من فتحها (ثلاثة) وسمى الملائكة رهطا لمجيئهم على صورة الرجال اذ الرهط لغة ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة كما في النهاية وغيرها (معهم طست من ذهب ملئ) نعت للطست على معنى الاناء لا اللفظ لانها مؤنثة (ثلجا فأخذوني من بين أصحابي) أترابي الذين كنت معهم (وانطلق

الصبيان هرابا) بكسر الهاء وتخفيف الراء جمع هارب ويجوز ضم الهاء مع شد الراء (مسرعين) صفة لازمة ففي الصحاح هرب الرجل اذا جد في الذهاب مذعورا (الى الحى فعمد) بفتح الميم ونقل في النور عن الليلي كسرها كامر (أحدهم فأضجعني على الارض اضجاعا لطيفا) لم يشق على (ثم شق ما بين مفرق) كمسجد وتكسر ميمه أيضا كما في الصحاح (صدرى) والمراد منه الموضع الذى يفترق فيه عظم الصدر وهو رأس المعدة (الى منتهى عانتى) قال الازهرى وجماعة هي منبت الشعر فوق قبل المرأة وذكر الرجل والشعر النابت عليها يسمى الشعرة (وأنا أنظر اليه لم أجد لذلك مسا) أى أثرا كأنه لم يمس ولا ينافيه وجدانه منتقعا لجواز أنه من الفزع الحاصل من مجرد رؤية الملك وشق الصدر (ثم أخرج أحشاء بطنى) جمع حشى بالقصر وهى المصارين (ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها) أحسنه مجاز عن جعل الشئ ناعما (ثم أعادها مكانها) قال السهيلى فى حكمة الثلج لما يشعر به من ثلج اليقين وبرده على الفؤاد ولذا حصل له اليقين بالامر الذى يراد به بوحدانية ربه انتهى (ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح) فتنح فوقف مكانه (ثم أدخل يده فى جوفى وأخرج قلبى وأنا أنظر اليه وصدعه) شقه (ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها) وعند مسلم وأحمد من حديث أنس فأخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ولا منافاة فقد تكون العلقة لكبرها تشبه المضغة (ثم قال بيده) أشار بها من اطلاق القول على الفعل مجازا لغويا فقد قال ثعلب وغيره العرب تطلق القول على جميع الافعال قال ابن بطال سمى الفعل قولا كما سمى القول فعلا فى حديث لا حسد الا فى اثنتين حيث قال فى الذى يتلو القرآن لو أوتيت مثل ما أوتى لفعلت مثل ما فعل وتقول العرب قل لى برأسك أى أمله (يمنة ويسرة كأنه يتناول شيأ فاذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظر دونه) أى فى مكان أقرب منه والمراد يتحير فيما دون ذلك الخاتم لصفته الخارقة للعادة (فختم به قلبى وامتلأ) قلبى (نورا وذلك نور النبوة والحكمة) قال النووى فيها أقوال كثيرة مضطربة صفا لنا منها أنها العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم من حاز ذلك انتهى ملخصا قاله الحافظ (ثم أعاده) أى قلبى (مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا) أى مدة طويلة واستمر ففى رواية فانا الساعة أجد برده فى عروقى ومفاصلى قاله الشامى (ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فأنهضنى) أقامنى (من مكانى) الذى كان أضجعنى فيه (انهاضا لطيفا ثم قال الاول للثالث زنه بعشرة من أمته فوزننى فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بألف) فوزننى (فرجحتهم فقال) يخاطب صاحبيه (دعوه) اتركوه فهو من استعمال الجمع موضع المثنى ويجوز أنه كان معهم غيرهم (فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى) تبركا وايناسا (ثم قالوا يا حبيب) الله والمؤمنين (لم ترع) بضم أوله وفتح الراء مبنى للمفعول مجزوم أى لم تخف بعد ولم يقصد به الامر وفى نسخة لن تراع بزيادة ألف منصوب بلن وهى أولى اذ المقصود بشارته والتسهيل عليه حتى لا يحصل له الروع فى المستقبل ويمثل

النسختين ورد حديث رؤيا ابن عمر في الصحيح وروى فيه أيضا لن ترع ووجهه ابن مالك بوجهين لا داعي لايرادهما هنا (انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عينك) سكنت وبردت كناية عن السرور قال في الفتح قرت العين يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الانسان ويوافقه لان عينه قرت أي سكنت حركتها عن التلفت لحصول غرضها فلا تستشرف لشئ آخر وكأنه مأخوذ من القرار وقيل معناه أنام الله عينك وهو يرجع الى هذا وقيل بل هو مأخوذ من القر وهو البرد أي ان عينه باردة لسروره ولذا قيل دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ومن ثم قيل في ضده أسخن الله عينه انتهى (الحديث وفي رواية ابن عباس عند البيهقي قالت حليمة اذا أنا بابني ضمرة) مر ان اسمه عبد الله وأنه وقع في رواية البيهقي هذه ضمرة وان الشامي توقف فقال والله أعلم (يعدو فزعا) بفتح الزاي مفعول لاجله وبكسرها حال (وجبينه يرشح باكيا ينادي يا أبت يا أمت) وفي نسخة يا أماه ولعل الاصل يا أمتا باشباع الفتحة فتولد منها ألف ثم قدم الالف على التاء فالقلب المكاني فصار يا أمات ثم قلبت التاء هاء كما قيل بمثله في يا أبات (الحقا محمدا فما لحقناه الا مستا أتاه رجل) وتقدم انه قال رجلان الموافق لقول المصطفى فيه جاءني رجلان فيجوز أن المختطف الصاعد واحد فقط كما قد يدل له قوله (فاختطفه من أوساطنا وعلا) صعد (به ذروة) بكسر الذال وضمها أعلى (الجبل حتى شق صدره الى عانته وفيه) أي حديث ابن عباس هذا (انه عليه السلام قال أتاني رهط ثلاثة) هو موافق لما في حديث شداد عنه عليه السلام المار فوق هذا الحديث ومخالف كما ترى لقول ضمرة رجل أو رجلان فلعله لم يرسوى اثنين وأما المصطفى فرأى الثلاثة (بيد أحدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء الحديث) بطوله وغرضه أيضا من سياقه التنبيه على ما فيه من مخالفة الحديث فوقه في أن الطست من ذهب فيحتمل والله أعلم ان الزمرذ مرصع فوق الذهب (فان قلت هل غسل قلبه الشريف في الطست خاص به أو فعل بغيره من الانبياء عليهم السلام) قلت (أجيب بأنه ورد في خبر التابوت) الصندوق الذي كان فيه صور الانبياء أنزله الله على آدم قاله الجلال وقال البيضاوي هو صندوق التوراة وكان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين انتهى ولا منافاة بينهما (والسكينة) الطمأنينة الحاصلة من ذلك التابوت وقيل انها ريح هفافة لها وجه كوجه انسان أخرجه ابن جرير عن علي زاد مجاهد ورأس كرأس الهر وزاد ابن أبي الربيع عن أنس لعينيها شعاع وزاد أبو الشيخ اذا التقى الجمعان أخرجت يديها ونظرت اليهم فيهزم الجيش من الرعب (انه كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبياء) فليس خاصا بنبينا صلى الله عليه وسلم (ذكره الطبري) يعني محمد بن جرير أحد الاعلام وحكاه عنه السهيلي والحافظ في الفتح وأقره قائلا هذا يشعر بالمشاركة وذكر البرهان انه رأى بهامش الروض عن ابن دحية ان هذا أثر باطل انتهى وهو مردود فقد رواه سعيد بن منصور وابن جرير بسند ضعيف عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس (و) هو الذي (عزاه) العماد (بن كثير في تفسيره لرواية السدي عن أبي مالك عن ابن عباس) حيث وجد مسندا وليس فيه وضاع

قوله وقيل انها ريح الخ هو مروي عن علي رضي الله تعالى عنه كما في الشارح وكما في تفسير أبي السعود الا أن المأخوذ منه انها صورة لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وهو أنسب بما هنا فتنبه اه مصححه

ولا كذاب فمن أين يجيء بطلانه خصوصا وقد أخرجه ابن جرير وسعيد بن منصور باسناد صحيح عن السدى الكبير فى قوله تعالى فيه سكينة من ربكم قال طست من ذهب الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وفى الفتح اختلف هل كان شق صدره وغسله مختصا به أو وقع لغيره من الانبياء فذكر المنقول عن الطبرى قال الشامى والراجح المشاركة وما صححه الشيخ يعنى السيوطى فى خصائصه الصغرى من عدم المشاركة لم أر ما يعضده بعد الفحص الشديد انتهى (فان قلت ما الحكمة فى ختم قلبه المقدس) صلى الله عليه وسلم (أجيب) وفى نسخة بالفاء وحذفها أولى كما مر (بأنه اشارة الى ختم الرسالة به) الاولى النبوة لان ختم الرسالة لا يستلزم ختم النبوة بخلاف العكس (وهذا مسلم ان كان الختم) أى خاتم النبوة (خاصا به أما اذا) أى حيث (ورد أنه ليس خاصا به بل بكل نبى فتكون الحكمة انه علامة يمتاز بها النبى عن غيره ممن ليس بنبى ويأتى قريبا) جدا (ان شاء الله تعالى ما فى الخاتم الشريف من المباحث) ولما كان المتبادر من الوزن فى الحديث الحقيقى وليس مرادا بين المراد بقوله (والمراد بالوزن فى قوله) أى الملك (زنه بعشرة الخ) يريد وزنه بألف (الوزن الاعتبارى) لا الحقيقى فكأنه قال اعتبره بعشرة (فيكون المراد به الرجحان) وفى نسخة والرجحان أى المراد بالرجحان الرجحان (فى الفضل وهو كذلك) ووقع فى حديث ساقه الشامى ثم قال زنه بألف فوزنونى فرجحتهم فجعلت أنظر الى الالف فوقى أشفق أن يخر على بعضهم وهذا كالصريح فى انه حسى اللهم الا أن يقال فيه تجوز والمراد رأيت زيادة رجحان فى الاعتبار على الالف حتى صارت فى الاعتبار لو كانت محسوسة لكادت أن يسقط على بعضها (وفائدة فعل الملك ذلك ليعلم الرسول عليه السلام ذلك حتى يخبر به غيره ويعتقد اذ هو من الامور الاعتقادية) ولما نقل الشامى من أول قوله والمراد الى هنا عن بعض العلماء قال وسألت شيخ الاسلام برهان الدين بن أبى شريف عن هذا الحديث قبل وقوفى على الكلام السابق فكتب لى بخطه هذا الحديث يقتضى ان المعانى جعلها الله تعالى ذواتا فعند ذلك قال الملك لصاحبه اجعله فى كفة واجعل ألفا من أمته فى كفة فلما رجح ماله صلى الله عليه وسلم رجحانا طاش معه ما للالف بحيث يخيل اليه انه يسقط بعضهم ولما عرف الملكان منه الرجحان وأنه معنى لو اجتمعت المعانى كلها التى للامة ووضعت فى كفة ووضع ماله صلى الله عليه وسلم لرجح على الامة قالوا لو أن أمته وزنت به مال بهم لان ما آثر خير الخلق وما وهبه الله تعالى له من الفضائل يستحيل أن يساويها غيرها (وقد وقع شق صدره الشريف واستخراج قلبه مرة أخرى) هى ثالثة (عند مجىء جبريل له بالوحى فى غار حراء) كما أخرجه أبو نعيم والبيهقى فى دلائلهما والطيالسى والحرث فى مسنديهما من حديث عائشة وسأذكر الحديث ان شاء الله تعالى هناك قال الحافظ والحكمة فيه زيادة الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوى فى أكمل الاحوال من التطهير (ومرة أخرى) وهى رابعة (عند الاسراء) رواه الشيخان وأحمد من حديث قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة ان نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم فذكره الشيخان والترمذى والنسائى من طريق الزهرى عن أنس عن أبى ذر مرفوعا ورواه البخارى من طريق شريك عن أنس رفعه ومسلم والبرقانى وغيرهما من

طريق ثابت عن أنس رفعه بلا واسطة فلا عبرة بمن نفاه لان رواته ثقات مشاهير قال الحافظ والحكمة فيه الزيادة في اكرامه ليتأهب للمناجاة قال ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه انتهى وفيه أن هذه رابعة كما أشار له بقوله (وروى) بالبناء للفاعل (الشق أيضا وهو ابن عشر) من السنين (أو نحوها) يعني أشهرا كما في رواية في الزوائد وهي المرة الثانية وقد جزم بها الحافظ في كتاب التوحيد (مع قصة له مع عبد المطلب أبو نعيم) فاعل روى (في الدلائل) ورواها أيضا عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بسند رجاله ثقات وابن حبان والحاكم وابن عساكر والضياء في المختارة عن أبي بن كعب ان أبا هريرة قال يارسول الله ما أول ما ابتدأت به من أمر النبوة قال اني لفي صحراء ابن عشر حجج اذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأخذاني فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على خلق قط فأقبلا الي يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأخذهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني وفي لفظ فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره ففلقاه فيما أرى بلا دم ولا وجع فكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي ثم قال شق قلبه فشق قلبي فأخرج الغل والحسد منه فأخرج شبه العلقة فنبذ به فذكر الحديث قال الشامي والحكمة فيه أن العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتى لا يتلبس بشئ مما يعاب على الرجال قال لكن هل كان في هذه المرة بختم لم أقف عليه في شئ من الاحاديث وأما الثلاث المرات ففي كل مرة منها بختم كما هو مقتضى الاحاديث انتهى ملخصا (وروى) شق صدره مرة (خامسة) وهو ابن عشرين سنة فيما قيل (ولا تثبت) فلا تذكر الا مقرونة ببيان عدم الثبوت (والحكمة في شق صدره الشريف في حال صباه) وهو عند ظئره كما مر قال البرهان وهو متفق عليه عند الناس (واستخراج العلقة منه) هي كما قال الحافظ (تطهيره عن حالات الصبا حتى يتصف في سن الصبا بأوصاف الرجولية ولذلك نشأ على أكمل الاحوال من العصمة) من الشيطان وغيره وخلقت هذه العلقة لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانساني ولا بد ونزعها كرامة ربانية طرأت بعده فاخراجها بعد خلقها أدل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها قاله العلامة السبكي وقال غيره لو خلق سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته فأظهره الله على يد جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر

ذكر خاتم النبوة

(وقد روى انه ختم بخاتم النبوة) قال القرطبي في المفهم سمي بذلك لانه أحد العلامات التي يعرفه بها علماء الكتب السابقة ولذا ما حصل عند سلمان من علامات صدقه ما حصل كموضع مبعثه ومهاجره جد في طلبه فجعل يتأمل ظهره فعلم صلى الله عليه وسلم انه يريد الوقوف على خاتم النبوة فأزال الرداء عنه فلما رأى سلمان الخاتم أكب عليه فقبله وقال أشهد أنك رسول الله وفي قصة بحيراء الراهب واني أعرفه بخاتم النبوة وقال غيره

اضافته للنبوة لكونه من آياتها أو لكونه ختما عليها حفظها أو ختما عليها الاتمامها كما تكمل الاشياء ثم يختم عليها قال السهيلي وحكمة وضعه انه لما شق صدره وأزيل منه مغمز الشيطان ملئ قلبه حكمة وايمانا ختم عليه كما يختم على الاناء المملوء مسكا انتهى وروى الحربي في غريبه وابن عساكر في تاريخه عن جابر قال أردفني صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم على مسكا ومر في حديث شداد أنه من نور يحار الناظر دونه قال شيخنا فلعل المراد أن الذي ختم به شديد اللمعان حتى كأنه جسم من نور قلت بقاؤه على ظاهره أولى (بين كتفيه) وفي مسلم الى جهة كتفه اليسرى فالبينية تقريبية اذ الصحيح كما يأتي في المتن عن السهيلي انه عند كتفه الايسر (وكان ينم مسكا) روى بضم النون وكسرها أي تظهر منه رائحة المسك قال في المقتفى من قولهم نمت الريح اذا جلبت الرائحة انتهى وهو مستعار من النميمة ومنه سمي الريحان نماما الطيب رائحته وهي استعارة لطيفة شائعة (وأنه مثل زر) بزاى فراء على المشهور وقيل بالعكس (الحجلة) بفتحتين وقيل بسكون الجيم مع ضم الحاء وقيل مع كسرها ذكره غير واحد وفي المطالع ان بعضهم ضبطه بضم الحاء وفتح الجيم على انه من حجل الفرس (ذكره) أي رواه (البخاري) وكذا مسلم كلاهما من حديث السائب بن يزيد (وفي) صحيح (مسلم) ومسند أحمد من حديث عبد الله بن سرجس وهو بفتح المهملة وسكون الراء وكسر الجيم فمهملة انه (جمع عليه خيلان كأنها) أي الخيلان (الثآليل السود) فالتشبيه في لونها لا صورتها (عند نغض) بضم النون وفتحها وسكون المعجمة آخره ضاد معجمة كما ضبطه المصنف بشرح البخاري (كتفه) اليسرى (ويروى) بدل نغض (غضروف) بضم الغين وسكون الضاد المعجمتين فراء مضمومة فواو ساكنة ففاء ويقال غرضوف بتقديم الراء أيضا وهو رأس لوح (كتفه اليسرى) محذوف من الاول لدلالة الثاني وهذا نقل لما في مسلم بالمعنى ولفظه من حديث المذكور ثم درت خلفه فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جمعا عليه خيلان كأمثال الثآليل ودرت من الدوران وجمعا نصب على الحال قال السهيلي وحكمة وضعه عند النغض لانه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يدخل الشيطان وقد روى ابن عبد البر بسند قوي عن عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فأرى جسدا ممهى يرى داخله من خارجه وأرى الشيطان في صورة ضفدع عند كتفه حذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة وقد أدخله في منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى العبد خنس قال في الفتح وهو مقطوع وله شاهد مرفوع عن أنس عند أبي يعلى وابن عدي ولفظه ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث وممهى بضم الميم الاولى وسكون الثانية وتخفيف الهاء اسم مفعول من أمهاه أي مصفى وفي النهاية انه رأى ذلك منا ما قال والمها البلور وكل شئ صفي فهو ممهى تشبيها به زاد في الفائق أو مقلوب من مموه وهو مفعل من أصل الماء أي مجعول ماء (وفي كتاب أبي نعيم) عند نغض أو غضروف كتفه (الايمن) ولا شك في شذوذ هذا المباينته ما في الصحيح الواجب تقديمه وعلم من تعبيره أولا باليسرى وثانيا بالايمن ان

الكتف يذكر ويؤنث وبه صرح ابن مالك (وفى مسلم أيضا) عن جابر بن سمرة أثناء حديث بلفظ ورأيت الخاتم عند كتفه (كبيضة) نقل بالمعنى ولفظه مثل بيضة (الحمامة) يشبه جسده وأخرجه عنه أيضا من وجه آخر مختصرا بلفظ رأيت خاتما فى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه بيضة حمام ووقع فى رواية لابن حبان كبيضة نعامة قال الحافظ الهيثمى والصواب ما فى الصحيح وقال الحافظ ابن حجر قد تبين من رواية مسلم انها غلط من بعض رواته (وفى صحيح الحاكم) المستدرك وكذا فى الترمذى وأبى يعلى والطبرانى كلهم من حديث عمرو بن أخطب قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ادن فامسح ظهرى فدنوت ومسحت ظهره ووضعت أصابعى على الخاتم فقيل له وما الخاتم قال (شعر مجتمع عند كتفه) أى ذو شعر أو فيه شعر فلا ينافى حديث أبى سعيد عند البخارى فى تاريخه والبيهقى انه لحمة ناتئة وكأنه رآه على استعجال فلم ير الا الشعر فأخبر عنه (وفى البيهقى) وأحمد وابن سعد من طرق عن أبى رمثة بكسر الراء وسكون الميم فمثلثة قال انطلقت مع أبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت الى (مثل السلعة) بين كتفيه بكسر فسكون فمهملة مفتوحة أى خراج كهيئة الغدة تتحرك بالتحريك ورواه قاسم بن ثابت من حديث قرة ابن اياس (وفى الشمائل) للترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال الخاتم الذى بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم (بضعة) بفتح الموحدة وحكى كما فى الفتح ضمها وكسرها أيضا وسكون المعجمة أى قطعة لحم (ناشزة) بنون وشين مكسورة فزاى معجمتين مرتفعة ولاحمد عنه لحم ناشز بين كتفيه وللبيهقى والبخارى فى التاريخ عنه لحمة ناتئة وكلتا الروايتين تفسر رواية بضعة (وفى حديث) ابن أبى شيبة عن (عمرو بن أخطب) بفتح الهمزة وسكون المعجمة صحابى بدرى خرج له مسلم والاربعة (كشئ يختم به) لفظ ابن أبى شيبة عنه رأيت الخاتم على ظهره صلى الله عليه وسلم هكذا كأنه يختم به أى على صورة الآلة التى يختم بها وفى الشمائل عنه شعرات مجتمعات ومراد لفظ الجماعة عنه شعر مجتمع فيحمل على أن مراده أن الشعرات على صورة الشئ الذى يختم به فلا منافاة (وفى تاريخ ابن عساكر) وتاريخ الحاكم وصحيح ابن حبان عن ابن عمر (مثل البندقة) من اللحم (وفى) جامع (الترمذى ودلائل البيهقى) عن أبى موسى الاشعرى (كالتفاحة) ولفظه كان خاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة (وفى الروض) الانف على قول ابن هشام كان كأثر المحجم يعنى (كأثر المحجمة) بكسر الميم (القابضة على اللحم) حتى يكون ناتئا انتهى كلام الروض قال الشامى هى الآلة التى يجتمع بها دم الحجامة عند المص والمراد من أثرها اللحم الناتئ من قبضها عليه ويأتى انه غير ثابت أى ضعيف وقد رواه أحمد والبيهقى عن التنوخى رسول هرقل فى حديثه الطويل بلفظ فاذا أنا بخاتم فى موضع غضروف الكتف مثل المحجمة الضخمة (وفى تاريخ) أبى بكر (بن أبى خيثمة) عن بعضهم (شامة خضراء محتفرة) بالراء أى غائرة (فى اللحم) مغطاة بالجلد (وفيه ايضا) عن عائشة قالت كان خاتم النبوة (شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متراكبات) مجتمعات (كأنها عرف) بضم العين شعر عنق (الفرس) أى فى الاجتماع

ويأتى انهما غير ثابتين (وفى تاريخ) أبى عبد الله محمد بن سلامة (القضاعى) بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة مر بعض ترجمته (ثلاث شعرات مجتمعات) بجره نعت لشعرات ورفعه نعت لثلاث (وفى كتاب) نوادر الاصول للامام الحافظ محمد بن على (الترمذى الحكيم) الصوفى سمع الكثير من الحديث بالعراق ونحوه وهو من طبقة البخارى حدث عن قتيبة بن سعيد وغيره وحسبك فيه قول الحافظ ابن النجار فى تاريخه كان اماما من أئمة المسلمين له المصنفات الكبار فى أصول الدين ومعانى الحديث لقى الائمة الكبار وأخذ عنهم وقول أبى نعيم فى الحلية له التصانيف الكثيرة فى الحديث مستقيم الطريقة تابع للاثر له حكم علية الشان وقول ابن عطاء الله كان الشاذلى والمرسى يعظمانه جدا ولكلامه عندهما الحظوة التامة ويقولان هو أحد الاوتاد الاربعة وأطال القشيرى وغيره الثناء عليه مات سنة خمس وتسعين ومائتين (كبيضة حمامة مكتوب فى باطنها) أى البيضة قال شيخنا ولعل المراد مايلى جسده الشريف (الله وحده لاشريك له وفى ظاهرها) قال شيخنا لعل المراد مايقابل الجهة التى خلفه (توجه حيث كنت) أى الى أى جهة أردت فلا تفرق بين مكان ومكان (فانك منصور) ورواه أبو نعيم أيضا ويأتى انه غير ثابت وقال فى المورد هو حديث باطل انتهى ولا يقدح فى جلالة من خرجه لان المحدثين عندهم اذا أبرزوا الحديث بسنده برئوا من عهدته (وفى كتاب المولد) النبوى (لابن عائذ) بمهملة فتحتية فمعجمة عن شداد بن أوس (كان نورا يتلألأ) أى صورة ذات نور كأنه اشدته مايمكن من وصفه بصورة يعبربها عنه (وفى سيرة ابن أبى عاصم عذرة كعذرة الحمام) فى النهاية العذرة بالضم وجع فى الحلق يهيج من الدم أو قرحة تخرج فى الخرم الذى بين الانف والحلق (قال أبو أيوب يعنى قرطمة الحمامة) وهى نقطة على أصل منقارها كما يأتى فليس المراد بالعذرة حقيقتها (وفى تاريخ نيسابور) بفتح النون لابى عبد الله الحاكم وكذا فى صحيح ابن حبان من طريق اسحق بن ابراهيم قاضى سمرقند حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عمر قال كان خاتم النبوة على ظهره صلى الله عليه وسلم (مثل البندقة من اللحم مكتوب فيه باللحم) يحتمل أن اللحم بارز أو غائر بحروف (محمد رسول الله) ولا يتوهم أحد أنه مداد مع قوله باللحم ويأتى انه ضعيف وانما قصر عزوه لتاريخ الحاكم لزيادته على ابن حبان لفظ باللحم ولقوله (و) فيه أيضا (عن عائشة) رضى الله عنها (كتينة صغيرة تضرب الى الدهمة) بضم الدال السواد (وكان مما يلى الفقار) بفتح الفاء وكسرها كما فى القاموس واقتصر المصباح على الفتح فقال جمع فقارة كسحاب جمع سحابة عظام الظهر (قالت فالتمسته حين توفى فوجدته قد رفع) أى ظهوره فاختفى فى جسده كما تتقلص الانثيان عند الوفاة لا انه نزع من جسده فلا ينافى قول شيخ الاسلام الولى ابن العراقى فى جواب سؤال وأما دفنه معه فلا شك فيه لانه قطعة من جسده انتهى وعليه فهل يبعث به يوم القيامة ظاهرا فى جسده كالدنيا اظهارا لشرفه بتلك العلامة التى لم تكن لغيره فان شامات الانبياء كانت فى أيديهم أم لا فان قيل النبوة والرسالة باقيتان بعد الموت كما هو مذهب الاشعرى وعامة أصحابه لان الانبياء أحياء فى قبورهم فلم رفع ماهو علامة على ذلك أجيب

بأنه لما وضع لحكمة هى تمام الحفظ والعصمة من الشيطان وقد تم الامن منه بالموت لم يبق لبقائه فى جسده فائدة لكن توقف العلامة الشامى فى رفعه عند الوفاة المروى هنا عن عائشة فقال لا أظنه صحيحا فينظر سنده قال وروى أبو نعيم والبيهقى من طريق الواقدى عن شيوخه قالوا شكوا فى موته صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم مات وبعضهم لم يمت فوضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفيه صلى الله عليه وسلم فقالت قد مات قد رفع الخاتم من بين كتفيه قال والواقدى متروك بل كذبه جماعة (حكى هذا) الذى ساقه المصنف من اختلاف الروايات فى قدر الخاتم (كله الحافظ مغلطاى) فى الزهر الباسم مقتر له ومن قبله الحافظ القطب الحلبى وبقى من الروايات أنه كركبة عنز رواه الطبرانى وابن عبد البر وأبو نعيم فى المعرفة من حديث عباد بن عبد عمرو وزاد وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن يرى الخاتم وسنده ضعيف ورواه ابن عساكر من طريق أبى يعلى وقال كركبة البعير قال فى الاصابة وفى سنده من لا يعرف وقال الشامى هو وهم من بعض رواته كأنه تصحف عليه كركبة عنز بركبة بعير وأنه بين كتفيه كدارة القمر مكتوب فيها سطران الاول لا اله الا الله وفى السطر الاسفل محمد رسول الله رواه أحمد بن اسمعيل الدمشقى قال فى المورد والغرر وهو باطل بين البطلان وانه كبيضة نعامة رواه ابن حبان ومر أنه غلط (لكن قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر (فى فتح البارى ما ورد من أن الخاتم كان كأثر المحجم) كما فى الروض وغيره (أو الشامة السوداء أو الخضراء) كما فى تاريخ ابن أبى خيثمة (أو المكتوب عليها محمد رسول الله) كما فى تاريخ الحاكم وغيره (أو سر فانك المنصور) كما فى النوادر (لم يثبت منها شئ) بل بعضها باطل وبعضها ضعيف فلا معنى لذكرها مع السكوت عليها قال أعنى الحافظ وقد أطنب الحافظ قطب الدين فى استيعابها فى شرح السيرة وتبعه مغلطاى ولم يبينا شيأ من حالها والحق ما ذكرته قال (ولا تغتر بشئ مما وقع منها فى صحيح ابن حبان فانه غفل) بفتح الفاء وتكسر ذكره الانصارى (حيث صحح ذلك) بايراده فى صحيحه المسمى بالانواع والتقاسيم (وقال) الحافظ نور الدين أبو الحسن على بن أبى بكر بن سليمان (الهيثمى) رفيق أبى الفضل العراقى ولد سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ورافق العراقى فى سماع الحديث ولازمه وألف وجمع ومات فى تاسع عشر رمضان سنة سبع وثمانمائة وفى نسخة وقال شيخه الهيثمى والضمير لصاحب فتح البارى لانه شيخه وذكره فى مشايخه (فى مورد الظمآن) الى زوائد ابن حبان (بعد أن أورد الحديث ولفظه مثل البندقة من اللحم مكتوب عليه محمد رسول الله اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذى كان يختم به) صلى الله عليه وسلم (وبخط) تلميذه (الحافظ ابن حجر على الهامش البعض المذكور هو اسحق بن ابراهيم) راويه عن ابن جريج (قاضى سمرقند) بفتح المهملة والميم وسكون الراء وفتح القاف وسكون النون ودال مهملة مدينة عظيمة يقال لها اثنا عشر بابا بين كل بابين فرسخ وهى معرب شمركند بالمعجمة والكاف قال المجد واسكان الميم وفتح الراء لحن (وهو ضعيف) فلا يعول على مروياته ثم أخذ فى تفسير بعض ما مر على عادتهم فقال (وقوله زر الحجلة بالزاى والراء) بعدها فى المشهور وبه جزم عياض وغيره وقيل قبلها حكاه

الخطابي وفسره بأنه البيض يقال رزّت الجرادة بفتح الراء وشد الزاى غرزت ذنبها
فى الارض لتبيض قال التوربشتى وهو أوفق بظاهر الحديث لكن الرواية لا تساعده
وقال فى المفهم العرب لا تسمى البيضة رزة ولا تؤخذ اللغة قياسا والمصنف محتمل للقولين
(والحجلة بالحاء المهملة والجيم) المفتوحتين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرها (قال
النووى) فى شرح مسلم (هى واحدة الحجال وهى بيت كالقبة لها ازرار كبار وعرى) جمع
عروة قال السيوطى وغيره هى المعروفة الآن بالشخانة (هذا هو الصواب) فى تفسيرها
وبه جزم الازهرى فقال فى التهذيب الحجلة بيت كالقبة يستر بالثياب ويجعل له باب من
جنسه فيه زر وعروة تشد اذا اغلقت قال القرطبى وهو المشهور والاشبه بالمعنى وبه جزم
السهيلى فالزر على هذا حقيقة لانها ذات أزرار وعرى (وقال بعضهم المراد بالحجلة الطائر
المعروف وزرها بيضها وأشار اليه الترمذى) فقال فى جامعه المراد بالحجلة هذا الطائر
وزرها بيضها وأنكره عليه العلماء لان اللغة لا تساعد على الزر بمعنى البيض وحمله على
الاستعارة تشبيها للبيضها بأزرار الحجال انما يصار اليه اذا ورد ما يصرف اللفظ عن ظاهره
لكن قال ابن الاثير يشهد له حديث مثل بيضة الحمامة وقيل المراد بالحجلة من حجل الفرس
نقله البخارى فى الصحيح عن محمد بن عبيد الله واستبعده السهيلى بأن التحجيل انما يكون
فى القوائم وأما الذى فى الوجه فهو الغرة قال الحافظ وهو كما قال الا أن منهم من يطلقه
على ذلك مجازا وكأنه أراد أنها قدر الزر والا فالغرة لا زر لها انتهى وفيه ما قد يجاب به عن
قول ابن قرقول ان كان سمى البياض بين عينى الفرس حجلة لكونها بياضا كما سمى بياض
القوائم تحجيلا فما معنى الزر مع هذا لا يتجه لى فيه وجه (وقوله جمع بضم الجيم) جزم به
ابن الاثير وغيره وحكى ابن الجوزى وابن دحية كسرها وجزم به فى المفهم (واسكان الميم
أى كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الاصابع وتضمها) أى الاصابع الى باطن الكف
كالقابض على شئ هذا المتبادر واحتمال أن ذلك مع انتشارها بعيد جدا بل يمنعه جواب
عياض الآتى فى المتن وتفسير المصنف هذا حكاه فى الروض عن القتيبى وصدر بقوله يعنى
كالمحجمة لا كجمع الكف ومعناه كمعنى الاول أى كأثر الجمع كذا قال وهو تكلف والمتبادر
تفسير ابن قتيبة وقد تبعه عليه عياض والنووى والمصنف وغيرهم الآتى (وقوله خيلان
بكسر الخاء المعجمة واسكان التحتية جمع خال وهو الشامة على الجسد) جمعها شام وشامات
(وقوله نغض بالنون) تضم وتفتح (والغين) الساكنة (والضاد المعجمتين قال النووى
النغض) بضم النون (والنغض) بفتحها (والناغض) بألف بين النون والغين (أعلى
الكتف) وهو رأس لوحه (وقيل هو العظم الرقيق الذى على طرفه وقيل ما يظهر منه
عند التحرك بأعضاء التحرك) وفى شرح مسلم للابى قال المازرى قال شمر الناغض من
الانسان أصل العنق حيث ينغض رأسه ونغض الكتف هو العظم الرقيق على طرفه وقال
غيره الناغض فرع الكتف سمى ناغضا للحركة ومنه قيل للظليم ناغض لانه يحرك رأسه اذا
عدا أى جرى وقال النووى ناغض الكتف مارق منه سمى بذلك لنغوضه أى لتحركه
نغض رأسه حركه ومنه قوله تعالى فسينغضون اليك رؤسهم أى يحركونها استهزاء

(وقوله

(وقوله بضعة ناشزة بالمعجمة) المكسورة (والزاي قطعة لحم مرتفعة على جسده وبيضة الحمامة معروفة انتهى) كلام النووي (والثآليل بالمثلثة جمع ثؤلول) بهمزة ساكنة وزان عصفور ويجوز تخفيف الهمزة بإبدالها واوا (وهو حب يعلو ظاهر الجسد واحدته كالحمصة فما دونها) وفي المفهم الخيلان جمع خال وهي نقط سود كانت على الخاتم شبهها لسعتها بالثآليل لانها كانت ثآليل انتهى (وفي القاموس وقرطمتا الحمام) قال المصنف (أي بكسر القاف) لان صاحب القاموس عطفه على قوله وقرطمة بالكسر بلدة بالاندلس وقرطمتا الحمام (نقطتان على أصل منقاره وقال بعض العلماء اختلفت أقوال الرواة في خاتم النبوة) على نحو عشرين قولا (وليس ذلك باختلاف) حقيقي (بل كل شبه بما سنح) ظهر (له) لانه صلى الله عليه وسلم كان يستره وواصفه إنما رآه من غير قصد كما في حديث عمرو بن أخطب أو أراه له عليه السلام كما في قصة سلمان مع مزيد ما حواه صلى الله عليه وسلم من المهابة (وكلها ألفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم) بارزة عليها شعرات (فمن قال شعر فلأن الشعر حوله متراكم) مجتمع (عليه كما في الرواية الاخرى) عن عائشة فان أشكل برواية محتفرة في اللحم أجيب بأنها ان صحت يجوز أن حولها احتفارا ليزداد ظهورها وتميزها عن الجلد (وقال) أبو العباس أحمد بن عمر بن ابراهيم الانصاري (القرطبي) المالكي الفقيه المحدث نزيل الاسكندرية ومدرسها ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وتوفي في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة واختصر الصحيحين وصنف المفهم في شرح صحيح مسلم فقال فيه (الاحاديث الثابتة دالة) وفي نسخة تدل (على أن خاتم النبوة كان شيأ بارزا أحمر عند كتفه الايسر اذا قلل) قيل فيه هو (قدر بيضة الحمامة واذا كثر) قيل فيه هو (جمع اليد) أي قدره فقدر وجمع مرفوعان ويجوز النصب بتقدير كان وحاصله أن اختلافه باختلاف الاحوال وكذا يقال في الاختلاف في لونه (قال القاضي) أبو الفضل (عياض) بن موسى بن عياض السبتي الدار والبلاد الاندلسي الاصل حافظ مذهب مالك الاصولي العلامة الحافظ امام المحدثين وأعرف الناس بعلومه وبالتفسير وفنونه وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم شاعر بليغ حليم صبور جواد كثير الصدقة صاحب التصانيف المشهورة كشرح مسلم والشفاء والاعلام والمشارق وهو كتاب لو وزن بالجوهر أو كتب بالذهب كان قليلا فيه وفيه أنشد

مشارق أنوار تبدت بسبتة * ومن عجب كون المشارق بالغرب

ولد بسبتة سنة ست وسبعين وأربعمائة وتوفي متغربا عن وطنه في شهر رمضان أو جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة ودفن بمراكش وقيل مات مسموما سمه يهودي (وهذه الروايات) الاشارة الى جملة روايات ذكرها في شرح مسلم هي مثل بيضة الحمامة وبضعة ناشزة ومثل السلعة وزر الحجلة عند ناغض كتفه اليسرى جمعا ثم قال وهذه الروايات كلها (متقاربة) في المعنى (متفقة على انه شاخص) بارز مرتفع (في جسده قدر بيضة الحمامة وزر الحجلة) أي وعليه شعر ولما كان ذا الجمع شاملا للروايات السابقة كلها

ذكره المصنف عقبها ولم يبال بأن عياضا انما ذكره عقب الروايات المذكورة عنه (وأما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة وتتأول) تحمل (على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة جمع الكف لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة) وتبعه على ذا الجمع النووي (قال) يعني عياضا (وهذا الخاتم هو أثر شق الملكين بين كتفيه قال النووي هذا الذي قاله ضعيف بل باطل لان شق الملكين انما كان في صدره وبطنه انتهى) وفي المفهم هذا غلط من عياض لان الشق انما كان في صدره وأثره انما كان خطا واضحا من صدره الى مراق بطنه كما في الصحيح ولم يرد قط في رواية انه بلغ بالشق حتى نفذ من وراء ظهره ولو ثبت لزم عليه أن يكون مستطيلا من بين كتفيه الى أسفل بطنه لانه الذي يحاذي الصدر من مسربته الى مراق البطن قال فهذه غفلة من القاضي قال ولعل هذا الغلط وقع من بعض الناسخين لكتابه فانه لم يسمع عليه فيما علمت انتهى (ويشهد له قول أنس في حديث عند مسلم يأتي في ذكر قلبه الشريف من المقصد الثالث ان شاء الله تعالى فكنت أرى أثر المخيط) بكسر الميم ما يخاط به (في صدره) صلى الله عليه وسلم وظاهره انه كان بآلة كالشق ويدل له قول الملك في حديث أبي ذر خط بطنه فخاطه وقوله في حديث عتبة بن عبد حصه فحاصه وقد وقع السؤال عن ذلك ولم يجب عنه أحد ولم أر من تعرض له بعد التتبع وأما قوله وأتيت بالسكينة فوضعت في صدري فالصواب كما قال ابن دحية تخفيف السكينة لذكرها بعد شق البطن خلافا للخطابي ذكره الشامي (لكن أجيب) عن عياض كما ذكره الحافظ متبرئا من الاعتراض عليه (بأن في حديث عتبة بن عبد) بلا اضافة (السلمي) أبي الوليد صحابي شهير أول مشاهده قريظة مات سنة سبع وثمانين ويقال بعد السبعين وقد قارب المائة رضي الله عنه (عند أحمد والطبراني) وغيرهما ويأتي لفظه قريبا (أن الملكين لما شقا صدره) صلى الله عليه وسلم وهو في بني سعد بن بكر (قال أحدهما للآخر خطه فخاطه) نقل بالمعنى والا فالرواية حصه فحاصه قال الشامي بمهملة مضمومة أي خطه يقال حاص الثوب يحوصه حوصا اذا خاطه (وختم عليه بخاتم النبوة فلما ثبت أن خاتم النبوة كان بين كتفيه حمل القاضي عياض ذلك على أن الشق لما وقع في صدره ثم خيط حتى التأم) عاد (كما كان ووقع الختم بين كتفيه كان ذلك اثر) عقب (الختم وفهم النووي وغيره) كالقرطبي (منه قوله بين كتفيه متعلق بالشق) فغلطوه (وليس كذلك) أي كما فهموه (بل هو متعلق بأثر الختم) قال الحافظ ويؤيده ما في حديث شداد عند أبي يعلى وأبي نعيم ان الملك لما أخرج قلبه وغسله ثم أعاده ختم عليه بخاتم في يده من نور فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة فيحتمل أن يكون ظهر من وراء ظهره عند كتفه الايسر لان القلب في تلك الجهة وفي حديث عائشة عند الطيالسي والحرث وأبي نعيم ان جبريل وميكائيل لما تراءيا له عند المبعث هبط جبريل فسلقني لحلاوة القفا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لامه ثم ألقاني وختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي وقال اقرأ وذكر الحديث فهذا مستند القاضي (وحينئذ فليس ما قاله القاضي عياض باطلا) انتهى جواب الحافظ رحمه الله وأجاب أبو عبد الله الابي بانه نص في حديث

أبي ذر أن وضع الخاتم كان بعد الشق قال فلفظة اثر في كلام القاضي ليست بفتح الهمزة والثاء وانما هي بكسر الهمزة وسكون الثاء و يتخرج الكلام على حذف مضاف تتعلق به لفظة بين أي وضع هذا الخاتم بين كتفيه اثر شق الصدر والكلام مستقيم دون غلط ولا بطلان وانما جاء ما فهمناه من قبيل التصحيف انتهى وفي نسيم الرياض حديث أبي ذر المذكور موافق لكلام عياض سواء قرئ أثر بفتحتين أو بكسر فسكون أما الثاني فظاهر وأما على الاول فلانه لما وقع بعده وبسببه جعل أثرا انتهى وأجاب بعضهم بأن قوله بين كتفيه خبر بعد خبر لقوله هو فقد تحامل من اعترض عياضا الان مثل هذا ظاهر جدا (قال السهيلي والصحيح انه يعني خاتم النبوة كان عند نغض كتفه الايسر) كما في مسلم ففيه رد رواية الايمن ووقع في حديث شداد في مغازي ابن عائذ في قصة شق صدره وهو في بلاد بني سعد ابن بكر وأقبل الملك وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه قال الحافظ وتبعوه وهذا قد يؤخذ منه أن الختم وقع في موضعين من جسده ومنعه شيخنا بجواز أن الختم وقع بين كتفيه في مقابلة ما بين الثديين فيكون الغرض تعيين موضعه عنده قلت وهو وجيه لولا مباينته لما في مسلم أنه عند نغض كتفه المفسر بأعلى الكتف (واختلف) في جواب قول السائل (هل ولد وهو به أو وضع بعد ولادته على قولين) فقيل ولد به نقله ابن سيد الناس ورده في الفتح بان مقتضى الاحاديث السابقة أن الخاتم لم يكن موجودا حين ولادته قال ففيها تعقب على من زعم انه ولد به واختلف القائلون بالثاني فقيل حين ولد نقله مغلطاي عن يحيى بن عائذ وورد به حديث ابن عباس عند أبي نعيم وغيره وفيه نكارة وقيل عند شق صدره وهو في بني سعد وورد في حديث عتبة بن عبد عند أحمد والطبراني وقطع به عياض قال الحافظ وهو الاثبت وفي حديث عائشة المار قريبا انه عند المبعث وعند أبي يعلى وابن جرير والحاكم في حديث المعراج من حديث أبي هريرة ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وطريق الجمع أن الختم تكرر ثلاث مرات في بني سعد ثم عند المبعث ثم ليلة الاسراء كما دلت عليه الاحاديث ولا بأس بهذا الجمع فان فيه اعمال الاحاديث كلها اذ لا داعي لرد بعضها واعمال بعضها لصحة كل منها واليه أشار الشامي كما مر وأما رواية بعد الولادة فضعيفة وأما انه ولد به فضعيف أيضا ويطلب زاعمه بدليله (وقد وقع التصريح بوقت وضع الخاتم وكيف وضع ومن وضعه في حديث أبي ذر) جندب بن جنادة أو يزيد بن عبد الله أو يزيد بن جنادة أو جندب بن سكن أو خلف بن عبد الله الغفاري قديم الاسلام ذي الزهد الزائد والفضل المنوه عليه بقول خير شاهد ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء بعد النبيين امرأ أصدق لهجة من أبي ذر أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وذكر ابن الربيع انه سكن مصر مدة ثم خرج منها المار أي اثنين تنازعا في موضع لبنة كما أمره صلى الله عليه وسلم وحديثه في مسلم وغيره مات بالربذة في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين (عند البزار وغيره) كالدارمي وابن أبي الدنيا وابن عساكر والروياني والضياء في المختارة (قال قلت يا رسول الله) أخبرني (كيف علمت انك نبي وبم) بأي دليل (علمت انك نبي حتى استيقنت) أي تيقنت أي علمت (قال أتاني آتيان وفي رواية ملكان) هما جبريل وميكائيل كما في النور

اثنان في صورة طائرين فروى أحمد والدارمي والحاكم وصححه والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن عتبة بن عبد الله انه صلى الله عليه وسلم قال كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زادا فقلت يا أخي اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخي ومكثت عند البهم فأقبل الي طيران كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني للقفا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه ائتني بماء ثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائتني بماء برد فغسلا به قلبي ثم قال ائتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه حصه فخاصه وختم عليه بخاتم النبوة الحديث ولابن اسحق ورواه البيهقي عن يحيى بن جعدة مرسلا يرفعه ان ملكين جاآني في صورة كركيين معهما ثلج وبرد وماء بارد فشق أحدهما بمنقاره صدري ومج الآخر بمنقاره فيه فغسله قلت فان صحت هذه الرواية أفادت آلة الشق في هذه المرة لكن قال السهيلي هي رواية غريبة ذكرها يونس عن ابن اسحق (وأنا ببطحاء مكة) أي بنواحيها لانه كان في بني سعد وليست بمكة اذ الابطح بمكة المحصب ولعله قال ذلك ليبين انه في ابتداء أمره اذ جوابه لابي ذر كان بالمدينة وبهذا اندفع قول السهيلي انه وهم من بعض الرواة ولم يقع في رواية البزار ببطحاء مكة انتهى (فوقع) نزل (أحدهما بالارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال هو هو قال زنه برجل الحديث) أسقط منه ما لفظه فوزنني برجل فرجحته ثم قال زنه بعشرة فوزنني بعشرة فرجحتهم ثم قال زنه بألف فوزنني فرجحتهم فجعلوا ينتثرون علي من كفة الميزان فقال أحدهما للآخر لو وزنته بأمته رجحها (وفيه) عقب هذا (ثم قال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان) بفتح الميمين واسكان الغين المعجمة هكذا ضبطه البرهان وضبطه الشامي بكسر الميم الثانية فالله أعلم قال في العيون وهو الذي يغمزه الشيطان من كل مولود الاعيسى وأمه لقول أمها حنة اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولانه لم يخلق من مني الرجال وانما خلق من نفخة روح القدس قال السهيلي ولا يدل هذا على فضله على المصطفى صلى الله عليه وسلم لانه عند نزع ذلك منه ملئ حكمة وايمانا بعد أن غسله روح القدس بالثلج والبرد زاد البرهان وقوله مغمز الشيطان محل نظر فان جاء بسند صحيح فمؤول وقد رواه مسلم وقال هذا حظ الشيطان منك انتهى قلت لا شك في صحة اسناده فقد صححه الضياء وقد قال العلماء ان تصحيحه أعلى من تصحيح الحاكم وتأويله سهل هو أن هذا محل الغمز والغمز عبارة عما يؤلمه ويؤذيه فهو من الامراض الحسية التي الانبياء فيها كغيرهم وقد قال السهيلي انما كان ذلك المغمز فيه لموضع الشهوة المحركة للمني وذلك المغمز راجع الى الأب دون الابن المطهر صلى الله عليه وسلم انتهى وقوله وقد رواه أي الحديث من حيث هو لا حديث أبي ذر كما قد يوهمه فان مسلما انما رواه من حديث أنس انه صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه فشق عن قلبه واستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فأعاده مكانه وجعل

الغلمان يسعون الى أمه يعنى ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فجاؤا وهو منتقع اللون قال أنس فلقد كنت أرى أثر المخيط فى صدره ورواه أحمد أيضا عنه وفى الصحيحين عن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان الا ابن مريم وأمه قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قال عياض يريد أن الله قبل دعاءها مع أن الانبياء معصومون وفى رواية فذهب ليطعن فى خاصرته فطعن فى الحجاب قال النووى أشار عياض الى أن جميع الانبياء يشاركون عيسى فى هذه الخصوصية انتهى وقد تعقب الابى عياضا بأن هذا الطعن من الامراض الحسية والانبياء فيها كغيرهم فيحمل الحديث على العموم الا فيما استثنى ولا يحتاج لقوله الانبياء معصومون انتهى قال الطيبى النخس عبارة عما يؤلمه ويؤذيه لا كما زعمت المعتزلة انه تخييل واستهلاله صارخا منه تصوير لطمعه فيه انتهى وقول الزمخشرى المراد بالمس الطمع فى اغوائه واستثناء مريم وابنها لعصمتهما ولما لم يختص هذا المعنى بهما عمم الاستثناء كل من يكون على صفتهما شنع عليه التفتازانى بانه اما تكذيب للحديث بعد صحته واما قول بتعليل الاستثناء والقياس عليه وليت شعرى من أين ثبت تحقق طمع الشيطان ورجائه فى أن هذا المولود محل لاغوائه ليلزمنا اخراج كل ما لا سبيل له الى اغوائه فلعله يطمع فى اغواء من سوى مريم وابنها ولا يتمكن منه وقال قبل ذلك طعن الزمخشرى فى الحديث بمجرد أنه لم يوافق هواه والا فاى مانع من أن يمس الشيطان المولود حين يولد بحيث يصرخ كما يرى ويسمع وليست تلك المسة للاغواء انتهى (وعلق الدم فطرحهما) صريح فى انه غير المغمز وفى حديث عتبة بن عبد ثم استخرجا قلبى فشقاه ثم أخرجا منه علقتين سوداوين قال الشامى فتكون احداهما محل غمز الشيطان والاخرى منشأ الدم الذى قد يحصل منه اضرار فى البدن وعلى هذا فلا حاجة لما أجيب به عن حديث العلقتين باحتمال انها علقة واحدة انقسمت عند خروجها قسمين فسمى كل جزء منها علقة مجازا (فقال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء) جمع ملاءة بالضم والمد الثوب الذى يتغطى به وأسقط المصنف من حديث أبى ذر هذا ما لفظه ثم دعا بسكينة كأنها برهرهة بيضاء فادخلت قلبى قال السهيلى البرهرهة بصيص البشرة وزعم الخطابى انه أراد بها سكينة بيضاء صافية الحديد متمسكا بانه عثر على رواية فيها فدعا بسكينة كأنها درهمة بيضاء قال ابن الانبارى هى السكينة المعوجة الرأس التى تسميها العامة المنجل بالجيم قال ابن دحية والصواب السكينة بالتخفيف لذكرها بعد شق البطن فانما عنى بها فعيلة من السكون وهى أكثر ما تأتى فى القرآن بمعنى السكون والطمانينة (ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطنى) هذا لفظ حديث أبى ذر وحديث عتبة حصه فخاصه كما مر (وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن) فصرح بانه ما ولد بالخاتم وان واضعه الملك وكيفية وضعه (وولياعنى وكأنى أرى الامر) الآن (معاينة) أى عيانا اشارة الى شدة استحضاره وهذا الحديث وان أورده الشامى فى أحاديث فيها ذكر شق الصدر من غير تعيين زمان لكن سياق الحديث يدل على انه كان فى بنى سعد وبه صرح فى حديث عتبة

ابن عبد فيحمل المطلق على المقيد فان قيل فكيف جعله صلى الله عليه وسلم علامة على النبوة وانما كانت بعد الاربعين أجاب شيخنا بجوازانه صلى الله عليه وسلم لما رأى تلك الحالة العجيبة فى صغره علم انه يكون له شأن وصار مطمئنا لما يرد عليه فلما جاءه الوحى علم بالمقدمات المستقرة فى نفسه أن هذا أمر من الله ليس للشيطان فيه سبيل (وعند أبى نعيم فى الدلائل فى حديث طويل مرّ فى ولادته عن ابن عباس (انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت أمه أن الملك غمسه فى الماء الذى أنبعه) أى أحضره الملك ذلك الوقت فى الابريق الفضة كما مرّ فى حديث أبى نعيم (ثلاث غمسات ثم أخرج سرقة) بفتح المهملة والراء والقاف أى قطعة (من حرير أبيض) قال القاموس فى باب القاف السرق محركة شقق الحرير الابيض أو الحرير عامة الواحدة بهاء انتهى وبالقاف ضبطه الحافظ والمصنف والسيوطى وغيرهم قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة أريتك فى المنام فى سرقة من حرير فأبعد من ضبط ما هنا بالفاء ناقلا قول القاموس فى بابه السرف بضمتين شئ أبيض كأنه نسج دود القز فجعلها من حرير مجازا لمشابهتها له فى الهيئة انتهى لاحتياجه الى دعوى المجاز الذى لا قرينة له الا الوقوف مع النقطة (فاذا فيها خاتم) زاد فيما مرّ يحار أبصار الناظرين دونه (فضرب على كتفه فاثر فيه ما صورته (كالبيضة المكنونة تضيء كالزهرة) بضم الزاى وفتح الهاء النجم قاله النووى وغيره فافاد فى ذا الخبر أن الخاتم وضع عقب الولادة فهو دليل القائل به لكن فيه نكارة كما قدم المصنف كغيره (وقيل ولد به) كذا يوجد فى نسخ والصواب حذفه للاستغناء عنه بقوله المار قريبا واختلف الخ (وروى الحاكم فى المستدرك عن وهب بن منبه) بضم الميم ففتح النون فشد الموحدة المكسورة انه (قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامات) علامات (النبوة فى يده اليمنى الا أن يكون) النبى المبعوث (نبينا فان شامة النبوة كانت بين كتفيه) صلى الله عليه وسلم (وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازاء) أى حذاء (قلبه مما اختص به على سائر الانبياء) وبه جزم الجلال فقال وجعل خاتم النبوة بظهره بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان وسائر الانبياء كان الخاتم فى يمينهم والله أعلم

* باب وفاة أمه وما يتعلق بابويه صلى الله عليه وسلم *

(ولما بلغ صلى الله عليه وسلم أربع سنين) فيما حكاه العراقى وصدر به مغلطاى فتبعه المصنف (وقيل خمسا) حكاه مغلطاى ومثله فى بعض نسخ الشامى ويأتى دليله وفى بعضها بدله عشرا وما أراه الا تحريفا (وقيل ستا) وبه قطع ابن اسحق ويأتى قريبا دليله ووقع فى نقل الخميس عن المصنف التصدير به وهو الاولى فقد قدمه العراقى واقتصر عليه الحافظ وقد التزم الاقتصار على الاصح غير أن الاول قال ومائة يوم والثانى وثلاثة أشهر فالمراد ستا ونحوها (وقيل سبعا) حكاه ابن عبد البر (وقيل تسعا) حكاه مغلطاى ويقع فى بعض النسخ خمس ست سبع تسع بدون ألف وذكر أن خط المصنف كذلك فيخرج على انه بالفتح على نية حذف المضاف اليه وابقاء المضاف أى خمس سنين أو كتب بصورة المرفوع على لغة ربيعة (وقيل اثنتى عشرة سنة وشهرا وعشرة أيام) حكاه مغلطاى وبقى قول محمد بن حبيب وهو ابن ثمان

سنين حكاه أبو عمر (ماتت أمه بالابواء) بفتح الهمزة والمد واد بين مكة والمدينة (وقيل بشعب) بكسر المعجمة ما انفرج بين جبلين أو الطريق فى الجبل قاله المصنف وغيره (أبى ذئب) رجل من سراة بنى عمرو (بالحجون) بفتح المهملة وضم الجيم قال المجد جبل بمعلاة مكة (وفى القاموس) فى فصل الراء من باب العين المهملتين فى روع (ودار رائعة) براء وبعد الالف تحتية (بمكة فيه مدفن آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم) وفى ذخائر العقبى قال ابن مسعود دفنت أمه صلى الله عليه وسلم بمكة وأهل مكة يزعمون أن قبرها فى مقابر أهل مكة فى الشعب المعروف بشعب أبى ذئب رجل من سراة بنى عمرو وقيل فى دار رائعة فى المعلاة اه (وروى ابن سعد) محمد (عن ابن عباس) عبد الله (وعن الزهرى) محمد بن مسلم بن شهاب (وعن عاصم بن عمرو بن قتادة) بن النعمان المدنى الانصارى الاوسى العالم الثقة كثير الحديث العلامة بالمغازى مات سنة عشرين ومائة خرج له الجماعة (دخل حديث بعضهم فى بعض) قال السيوطى تبعا لغيره معناه ان اللفظ لمجموعهم فعند كل منهم ما انفرد به عن الآخر انتهى (قالوا) أرسله الثلاثة الا ان مرسل ابن عباس فى حكم الموصول لانه مرسل صحابى (لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه الى أخواله بنى عدى بن النجار) باضافة الاخوال اليه مجازا لانهم أخوال جده عبد المطلب لان أمه سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن عدى بن النجار النجارية (بالمدينة تزورهم) نسب الزيارة لها لانها المرادة لها وهى المباشرة وعند ابن اسحق تزيره اياهم بضم الفوقية وكسر الزاى وسكون الياء من أزاره اذا حمله على الزيارة أى انها قصدت بزيارتها نقل المصطفى اليهم واراءته لهم (ومعه) أضافها اليه لكونها حاضنته وفى نسخة ومعها (أم أيمن) بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن أعتقها أبو المصطفى وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم وقيل كانت لامه أسلمت قديما وهاجرت الهجرتين مناقبها كثيرة وفى صحيح مسلم وابن السكن عن الزهرى انها ماتت بعده صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر وقيل بستة قال البرهان وبه يرد قول الواقدى انها ماتت فى خلافة عثمان وقد صرح بعضهم بأنه شاذ منكر انتهى لكن أيده فى الاصابة بما رواه ابن سعد بسند صحيح عن طارق بن شهاب لما قتل عمر بكت أم أيمن فقيل لها فقالت اليوم وهى الاسلام وهذا موصول فهو أقوى من خبر الزهرى المرسل واعتمد ابن منده وغيره قول الواقدى وزاد ابن منده انها ماتت بعد عمر بعشرين يوما وجمع ابن السكن بين القولين بأن التى ذكرها الزهرى هى مولاة النبى صلى الله عليه وسلم والتى ذكرها طارق هى مولاة أم حبيبة واسم كل منهما بركة ويكنى أم أيمن وهو محتمل على بعده انتهى (فنزلت به دار التابعة) بفوقية فموحدة فمهملة رجل من بنى عدى ابن النجار كما مر (فأقامت به عندهم شهرا فكان صلى الله عليه وسلم يذكر أمورا كانت فى مقامه) بضم الميم (ذلك) الخطاب لكل من صلح له أو للجماعة المخاطبين به لتأويلهم بنحو القبيل أو الجمع أو القوم أو هو يجرى على ان الكاف المتصلة باسم الاشارة تفتح مطلقا (ونظر) صلى الله عليه وسلم (الى الدار) وهو بالمدينة بعد الهجرة وهذا قد يشعر بأن ابن عباس حمل الحديث هذا عنه صلى الله عليه وسلم ويحتمل انه حمله عن غيره وحدث به (فقال هاهنا

ههنا نزلت بي أمي) وفي الرواية وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله. (وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار) استدل به السيوطي على انه صلى الله عليه وسلم عام رادا على القائل من معاصريه الظاهر انه لم يعم لانه لم يثبت انه سافر في بحر ولا بالحرمين بحر قال السيوطي وروى أبو القاسم البغوي وابن عساكر مرسلا وابن شاهين موصولا عن ابن عباس سبح صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه في غدير فقال ليسبح كل رجل الى صاحبه فسبح صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر حتى عانقه وقال أنا وصاحبي أنا وصاحبي (وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الى قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه) الدار وهي المدينة (دار هجرته فوعيت) حفظت (ذلك كله من كلامهم) عبر بالجمع لان اليهودي لما خاطب به أصحابه وأقروه نسب اليهم وفي نقل الشامي فوعيت ذلك منه وهي ظاهرة لان الضمير للاحد (ثم رجعت به أمه) قاصدة (الى مكة) سريعا خوفا عليه صلوات الله عليه من اليهود ففي رواية أبي نعيم قال صلى الله عليه وسلم فنظر الى رجل من اليهود يختلف ينظر الى فقال يا غلام ما اسمك قلت أحمد ونظر الى ظهري فأسمعه يقول هذا نبي هذه الامة ثم راح الى اخوانه فأخبرهم فأخبروا أمي فخافت علي فخرجنا من المدينة وقدرنا قاصدة لبلاقي قوله (فلما كانت بالابواء توفيت) ودفنت فيها على المشهور وهو قول ابن اسحق وجزم به العراقي وتلميذه الحافظ ويعارضه مامر كالاحاديث من انها بالحجون وجمع بعض كافي الخميس بأنها دفنت أولا بالابواء وكان قبرها هنالك ثم نبشت ونقلت بمكة (وروى أبو نعيم) في دلائل النبوة بسند ضعيف (من طريق) محمد (الزهري) بن شهاب (عن أسماء بنت رهم) بضم الراء وفي نسخة بنت أبي رهم وفي كتب السيوطي نقلا عن أبي نعيم عن أم سماعة بنت أبي رهم فلعل اسمها أسماء وكنيتها أم سماعة فتصرف المصنف لافادة اسمها (عن أمها قالت شهدت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت بها) بسببها صورة وفي نسخة فيها (ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام) هو الطار الشارب أو من حين يولد الى أن يشب كما في القاموس وغيره والمراد هنا الثاني وفي الاساس الغلام الصغير الى حد الالتحاء فان قيل له بعد الالتحاء غلام فهو مجاز (يفع) بفتح الفاء كما في القاموس وغيره أي مرتفع (له خمس سنين) هذا دليل القول به كما قدمنا وان أبيت الا الجمع بينه وبين الحديث فوقه فقل المراد خمس ونحوها ولعلها جمعت بين هذا ولفظ غلام مع ان هذا يغني عنه اشارة الى ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من النجابة الظاهرة فان غلام يشعر بذلك بخلاف مجرد ذكر السن (عند رأسها فنظرت أمه الى وجهه ثم قالت بارك فيك الله من غلام * يا ابن الذي من حومة الحمام) في القاموس حومة القتال وغيره معظمه أو أشد موضع فيه والحمام ككتاب قضاء الموت وقدره وفي النهاية الحمام الموت وقيل قدر الموت وقضاؤه من حم كذا أي قدر انتهى والمعنى هنا يا ابن الذي من سبب الموت (نجا بعون الملك العلام *) وفي نسخة المنعام وهو ما أنشده السيوطي (فودي) بالواو من فاداه مزيدا قلبت الالف واوا لانضمام ما قبلها حين بني للمجهول وفي نسخة فدي بلا واو من فداه مجردا أي أعطي فداءه (غداة) صبيحة (الضرب بالسهام) والمراد بعد الضرب بالقداح بينه وبين اخوته

حين أراد عبد المطلب وفاء نذره (بمائة من ابل سوام *) بالفتح جمع سام أو سامية بمعنى مرتفع أو مرتفعة أى فدى حين خرج عليه السهم بمائة ابل مرتفعة القيمة ثم سوام بدون ياء في أكثر النسخ وهو الذى فى كتب السيوطى وفى بعضها ثبوت الياء قال شيخنا وهو القياس لان الياء أصلية (ان صح ما أبصرت فى المنام) خصته لتقدمه وتحققه عندها حتى كان ما رأته يقظة بعد كالدليل على صحة المنام فلا يرد انها رأت ما يدل على ذلك يقظة فكان ذكره أولى لقوته على المنام وعبرت بان دون اذا لان المقصود تعليق ما أولت به الرؤيا ولا يلزم من كونها محققة ان ما أولت به محقق وهذا من كمال فطنتها وفهمها حيث لم تجزم فى التعليق بصحة ما رأته (فأنت مبعوث الى الانام *) الجن والانس أو جميع من على وجه الارض ولعله المراد هنا لكونه أبلغ فى التعظيم وقد بعث صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن اجماعا والى الملائكة عند كثير واختاره جمع محققون (تبعث فى) بيان (الحل) أى الحلال (وفى) بيان (الحرام) أو تبعث فى أرض الحل والبلد الحرام فكأنها قالت تبعث فى جميع الارض وليست بعثتك قاصرة على بلدة دون بلدة كما كانت الرسل (تبعث فى) أى لبيان (التحقيق) الحق من الباطل وبهذا يجاب عن قول السيوطى كذا هو فى النسخة وعندى انه تصحيف وانما هو بالتخفيف انتهى بحيث صح المعنى لا تصحيف (و) بيان (الاسلام *) وانه الدين (دين) بالجر بدل من الاسلام (أبيك البر) المحسن المطيع (ابراهام) بدل من أبيك وهو لغة فى ابراهيم قرأ بها ابن عامر فى مواضع والصرف لمناسبة القوافى لا القصد تنكيره لعدم صحته لانها انما أرادت معينا وهو الخليل بنص قولها أبيك (فالله أنهاك) نصب على التوسع أى فانها المقسمة عليك بالله (عن) عبادة (الاصنام * أن لا توالبها) لا تناصرها من الموالاة ضد المعاداة أى لا تعظمها بنحو عبادتها والذبح اليها والاستقسام عندها (مع الاقوام) جمع قوم الجماعة من رجال ونساء معا فى أحد الاقوال وبه صدر المجد وهو المراد هنا لانه كان يواليها من الفريقين (ثم قالت كل حى ميت) بالتشديد أى سيموت وأما بالتخفيف فمن حل به الموت كما فى القاموس وغيره وليس مرادا هنا (وكل جديد بال وكل كبير) بالموحدة (يفنى) وفى نسخة بالمثلثة قال شيخنا وهى أظهر لدلالتها على فناء جميع الاشياء (وأنا ميتة) بالتشديد أى سأموت قال الخليل أنشد أبو عمرو

أيا سائلى تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرت ان كنت تعقل
فمن كان ذا روح فذلك ميت * وما الميت الا من الى القبر يحمل

(وذكرى باق وقد تركت خيرا) عظيما كثيرا أى خيرا وهو المصطفى وكأنه كالتعليل لبقاء ذكرها (وولدت طهرا) أى طاهرا أطلق المصدر على اسم الفاعل مبالغة وهذا أولى من تقدير ذا طهر ومن استعماله بمعنى اسم الفاعل (ثم ماتت) رضى الله عنها وهذا القول منها صريح فى انها موحدة اذ ذكرت دين ابراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وسلم بالاسلام من عند الله ونهيه عن الاصنام وموالاتها وهل التوحيد شئ غير هذا التوحيد الاعتراف بالله والهيته وانه لا شريك له والبراءة من عبادة الاصنام ونحوها وهذا القدر كاف فى التبرى

من الكفر وثبوت صفة التوحيد في الجاهلية قبل البعثة وانما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة وقد قال العلماء في حديث الذي أمر بنيه عند موته أن يحرقوه ويسحقوه ويذروه في الريح وقوله ان قدر الله علي فيعذبني ان هذه الكلمة لا تنافي الحكم بايمانه ولكن جهل فظن انه اذا فعل ذلك لا يعاد ولا يظن بكل من كان في الجاهلية انه كان كافرا فقد تحنف فيها جماعة فلا بدع أن تكون أمه صلى الله عليه وسلم منهم كيف وأكثر من تحنف انما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وسلم من أنه قرب بعث نبي من الحرم صفته كذا وأمه صلى الله عليه وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها وشاهدت في حمله وولادته من آياته الباهرة ما يحمل على التحنف ضرورة ورأت النور الذي خرج منها أضاء له قصور الشام حتى رأتها كما ترى أمهات النبيين وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شق صدره أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان في كلمات أخر من هذا النمط وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت به الى مكة فماتت في الطريق فهذا كله مما يؤيد انها تحنفت في حياتها ذكره العلامة الحافظ السيوطي في كتابه الفوائد وهو المسمى أيضا التعظيم والمنة شكر الله مسعاه (فكنا نسمع نوح) مصدر ناح أي صياح (الجن عليها) أسفا (فحفظنا من ذلك) أبياتا هي (نبكي الفتاة) الشابة فانها ماتت في حدود العشرين تقريبا ذكره السيوطي (البرة) المحسنة المطيعة (الامينة *) كيف وهي قرشية أما وأبا (ذات الجمال البارع) (العفة) بفتح العين وشد الفاء (الرزينة) أي ذات الوقار (زوجة عبد الله والقرينة *) عطف تفسير ومنه قوله تعالى وزوجناهم بحور عين أي قرناهم لهن (أم نبي الله ذي السكينة) الثبات والطمأنينة (وصاحب المنبر بالمدينة * صارت لدى) أي في (حفرتها) قبرها (رهينة) مرهونة زاد في رواية

لو فوديت لفوديت ثمينه * وللمنايا شفرة سنينه
لا تبق ظعانا ولا ظعينه * الا أتت وقطعت وتينه
أما هلكت أيها الحزينه * عن الذي ذو العرش يعلي دينه
فكلنا والهة حزينه * تبكيك للعطلة أو للزينه
وللضعيفات وللمسكينه

ولما ذكر وفاة أمه وما يدل على موتها على التوحيد جره ذلك الى حديث احيائها واحياء أبيه لكن قدمها لكثرة الروايات فيها فقال (وقد روى ان آمنة آمنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها) أتى به ممرضا لضعفه أي روى ذلك جماعة فصلهم بقوله (فروى) الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد أبو العباس المكي (الطبري) الامام المحدث الصالح الزاهد الشافعي فقيه الحرم ومحدث الحجاز المتوفى في جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وستمائة (بسنده) فقال في سيرته أنبأنا أبو اسحق بن المقير أنبأنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي اجازة أنبأنا أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد أنبأنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن الاخضر حدثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري حدثنا عبد الوهاب بن

موسى الزهرى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه (عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا) صفة لازمة لكئيبا (فأقام به ماشاء الله عزوجل ثم رجع مسرورا قال) يخاطب عائشة بعد سؤالها له عن اختلاف حاليه كما فى الحديث التالى (سألت ربى) احياء أمى بدليل الحديث الآتى ولا محيص عن هذا تفسير ماقسرته بالوارد (فأحيالى أمى فآمنت بى ثم ردها) الى ما كانت عليه من الموت (ورواه) أى حديث عائشة هذا بنحوه (أبو حفص بن شاهين) الحافظ الكبير الامام المفيد عمر بن أحمد بن عثمان البغدادى الثقة المأمون صنف ثلثمائة وثلاثين مصنفا منها التفسير الكبير ألف جزء والمسند ألف وثلثمائة جزء مات فى ذى الحجة سنة خمس وثمانين وثلثمائة (فى كتاب الناسخ والمنسوخ له) بعد أن أورد قبله حديث الزيارة والنهى عن الاستغفار وجعله منسوخا وروى بعده هذا الحديث فقال حدثنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الانصار حدثنا أحمد بن يحيى الحضرمى بمكة حدثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهرى حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهرى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل الى الحجون كئيبا حزينا فأقام به ماشاء الله عزوجل ثم رجع مسرورا فقلت يارسول الله نزلت الى الحجون كئيبا حزينا فأقمت به ماشاء الله ثم رجعت مسرورا قال سألت الله ربى فأحيالى أمى فآمنت بى ثم ردها هذا لفظ ابن شاهين كما فى كتب السيوطى وغيرها وأما قوله (بلفظ قالت عائشة) فانما عزاه القرطبى والسيوطى وغيرهما للخطيب فلعله سقط من قلم المؤلف والخطيب فى السابق واللاحق قال أعنى الخطيب أنبأنا أبو العلاء الواسطى حدثنا الحسين بن محمد الحلبى حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد حدثنا على بن أيوب الكعبى حدثنا محمد بن يحيى الزهرى عن أبى غزية حدثنا عبد الوهاب ابن موسى حدثنا مالك بن أنس عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت (حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بى على عقبة الحجون) أى الطريق الموصل الى الحجون أو الاضافة بيانية (وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه) لفظ الخطيب لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم انه نزل فقال ياحميراء) تصغير حمراء أى بيضاء للتحبب كقولهم يابنى ياأخى وروى النسائى من طريق أبى سلمة عن عائشة دخلت الحبشة المسجد يلعبون فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم ياحميراء أتحبين أن تنظرى اليهم فقلت نعم قال الحافظ اسناده صحيح ولم أر حديثا صحيحا فيه ذكر الحميراء غيره انتهى وروى الحاكم عن أم سلمة قالت ذكر النبى صلى الله عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال انظرى ياحميراء أن لا تكونى أنت ثم التفت الى على فقال ان وليت من أمرها شيأ فارفق بها قال الحاكم صحيح على شرطهما قال الذهبى لكن عبد الجبار لم يخرجا له قال فى الفلك المشحون هذا حديث فيه ياحميراء صحيح انتهى أى وان لم يكن على شرط الشيخين لان الصحيح مراتب (استمسكى) أى تمسكى بشئ يمنعك السقوط (فاستندت الى جنب البعير فمكث مليا) بشدة الباء زمانا طويلا ولفظ الخطيب فمكث عنى طويلا (ثم عاد الى وهو فرح متبسم) أسقط من لفظ ابن شاهين ماتلى عليك ومن رواية الخطيب مالفظه فقلت له بأبى

قوله وثمانين فى بعض النسخ وثلاثين وليحرر اه

أنت وأمّي يا رسول الله نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم انك عدت الي وأنت فرح متبسم فمّ ذا يا رسول الله (فقال ذهبت لقبر أمّي فسألت ربي) ولفظ الخطيب فسألت الله (أن يحييها فأحياها فآمنت بي وردّها الله) الى الموت وأخرج الدارقطني هذا الحديث من هذا الوجه وقال باطل وابن عساكر وقال منكر وهشام لم يدرك عائشة فلعله سقط من كتابي عن أبيه قال في اللسان ثبت في رواية عن أبيه التي ظن انها سقطت فهو كما ظن يشير الى روايتي الطبري وابن شاهين الثابت فيهما عن أبيه كما قدّمنا وذكره ابن الجوزي في الموضوع ولم يتكلم على رجاله وفي الميزان ان عمر بن الربيع كذاب وردّه في اللسان بأن الدارقطني ضعفه فقط وقال مسلمة بن قاسم تكلم فيه قوم ووثقه آخرون وكان كثير الحديث والكعبي قال الذهبي لا يكاد يعرف وكأنه تبع قول ابن عساكر مجهول وردّه في اللسان بأن الدارقطني عرّفه وسماه علي بن أحمد ويأتي الكلام على باقي رجاله فلا يتصور كونه موضوعا بل هو ضعيف فقط وكذا أورد رواية ابن شاهين في الموضوعات وقال محمد بن زياد هو النقاش ليس بثقة ومحمد بن يحيى وأحمد بن يحيى مجهولان وردّه السيوطي بأن محمد بن يحيى ليس مجهولا فقد قال الدارقطني متروك والازدي ضعيف ومن ترجم بهذا انما يكون حديثه ضعيفا لا موضوعا وكذا أحمد بن يحيى ليس بمجهول فقد ذكره في الميزان وقال روى عن حرملة التجيبي وكنيته أبو سعيد ومن ترجم بهذا انما يعتبر بحديثه قال وأما محمد بن زياد فان كان هو النقاش كما ذكر فهو أحد علماء القراآت وأئمة التفسير قال في الميزان صار شيخ المقرئين في عصره على ضعف فيه أثنى عليه أبو عمرو الداني وحدث بمناكير ومع ذلك لم ينفرد به فله طريقان آخران عن أبي غزية فذكر طريق الطبري وطريق الخطيب قال وأعله الذهبي بجهالة عبد الوهاب بن موسى وليس كما قال بل هو معروف من رواة مالك وقد وثقه الدارقطني وأقرّه الحافظ ابن حجر ولم ينقل عن أحد فيه جرح فتلخص أن الحديث غير موضوع قطعا لانه ليس في روايته من أجمع على جرحه فان مداره على أبي غزية عن عبد الوهاب وقد وثق ومن فوقهم من مالك فصاعدا لا يسأل عنهم لجلالتهم والساقط بين هشام وعائشة هو عروة كما ثبت في طريق آخر وأبو غزية قال فيه الدارقطني منكر الحديث وابن الجوزي مجهول وترجمه ابن يونس ترجمة جيدة أخرجته عن حد الجهالة والكعبي أكثر ما قيل فيه مجهول وقد عرّف وعمر بن الربيع نقل مسلمة توثيقه عن آخرين وانه كان كثير الحديث فهذا الطريق بهذا الاعتبار ضعيف لا موضوع على مقتضى الصنعة فكيف وله متابع أجود منه وهو طريق أحمد الحضرمي عن أبي غزية من حيث ان طريق الكعبي فيها رجال على الولاء تكلم فيهم بخلاف طريق الحضرمي حيث اقتصر فيه عليه وقد عرف النسب باللين وهي من ألفاظ التعديل الذي يحكم لصاحبه بالحسن اذا توبع فالحديث اذن مداره على أبي غزية وهو من أفراده ولولا تفرده به لحكمت له بالحسن انتهى ملخصا فلله درّه (وكذا روى من حديث عائشة أيضا احياء أبويه صلى الله عليه وسلم) معا (حتى آمنا به أورده السهيلي) في الروض فقال روى حديث غريب لعله يصح وجدته بخط جدّي القاضي أحمد بن الحسن بسند فيه مجهولون

قوله انتهى الخ انظر من المنقول عنه هذه العبارة ولعله الحافظ ابن حجر وليحرر اه مصححه

ذكر

ذكرانه نقله من كتاب الناسخ من كتاب معوذ الزاهد يرفعه الى أبي الزناد عن عروة عن عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما قال السهيلي والله قادر على كل شئ وليس يعجز رحمته وقدرته عن شئ ونبيه صلى الله عليه وسلم أهل أن يختصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته (وكذا الخطيب فى السابق واللاحق) أى المتقدم والمتأخر يعنى المنسوخ والناسخ (وقال السهيلي انّ فى اسناده مجاهيل) وهو يفيد ضعفه فقط وبه صرح فى موضع آخر من الروض وأيده بحديث ولا بنا فى هذا ترجيه صحته كما مرّ عنه لانّ مراده من غير هذا الطريق ان وجدا وفى نفس الامر لانّ الحكم بالضعف وغيره انما هو فى الظاهر (وقال ابن كثير انه حديث منكر جدّا وسنده مجهول) وان كان ممكنا بالنظر الى قدرة الله تعالى لكن الذى ثبت فى الصحيح يعارضه هذا كله كلام ابن كثير وهو أيضا صريح فى انه ضعيف فقط فالمنكر من قسم الضعيف ولذا قال السيوطي بعد ما أورد قول ابن عساكر منكر هذا حجة لما قلته من انه ضعيف لا موضوع لانّ المنكر من قسم الضعيف وبينه وبين الموضوع فرق معروف فى الفن فالمنكر ما انفرد به الراوى الضعيف مخالفا لرواته الثقات وهذا كذلك ان سلم مخالفته لحديث الزيارة ونحوه فان انتفت كان ضعيفا فقط وهى مرتبة فوق المنكر أصلح حالا منه (وقال ابن دحية هذا الحديث موضوع يردّه القرآن والاجماع) قال تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار وقال فيمت وهو كافر فمن مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه فكيف بعد الاعادة وفى التفسير انه عليه السلام قال ليت شعرى ما فعل أبواى فنزل ولا تسأل عن أصحاب الجحيم (انتهى) كلام ابن دحية بمادته كما نقله كله القرطبي عنه وقد عابه السيوطي بأن تعليله بمخالفة ظاهر القرآن ليس طريقة المحدثين لانّ الحفاظ انما يعللون الحديث من طريق الاسناد الذى هو المرقاة اليه كما صرح به الحافظ ابن طاهر المقدسي انتهى وهذا مراد الشامي بقوله لو اقتصر أبو الخطاب على قوله موضوع وسكت عن قوله يردّه القرآن والاجماع لكان جيدا وتأدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى أى لكان جيدا من حيث انّ له فى دعوى وضعه سلفا وان لم تسلم دعواه وكان فيه زيادة فى التأدب فليس قوله وتأدبا عطف علة على معلول كما زعم قال فى الفوائد وأما حديث ليت شعرى فمعضل ضعيف لا تقوم به حجة (وقد جزم بعض العلماء بأنّ أبويه) صلى الله عليه وسلم (ناجيان وليسا فى النار) بل فى الجنة (تمسكا بهذا الحديث وغيره) ظاهره أنّ البعض واحد ونحوه ويصرح به قوله الآتى وتعقبه عالم آخر مع أنّ القائل بنجاتهما قوم كثير فأما الذين تمسكوا بالحديث فقال السيوطي فى سبل النجاة مال الى أنّ الله أحياهما حتى آمنا به طائفة من الائمة وحفاظ الحديث واستندوا الى حديث ضعيف لا موضوع كما قال ابن الجوزي وقد نص ابن الصلاح وأتباعه على تساهله فى الموضوعات فأورد أحاديث ضعيفة فقط وربما تكون حسنة أو صحيحة قال الحافظ العراقي

وأكثر الجامع فيه اذ خرج * لمطلق الضعف عنى أبا الفرج

وحديثنا هذا خالفه فيه كثير من الحفاظ فذكروا انه ضعيف تجوز روايته فى الفضائل

والمناقب لا موضوع كالخطيب وابن عساكر وابن شاهين والسهيلى والمحب الطبرى والعلامة ناصر الدين بن المنير وابن سيد الناس ونقله عن بعض أهل العلم ومشى عليه الصلاح الصفدى فى نظم له والحافظ ابن ناصر فى أبيات له قال وأخبرنى بعض الفضلاء انه وقف على فتيا بخط شيخ الاسلام ابن حجر أجاب فيها بهذا مع أن الحديث الذى أورده السهيلى لم يذكره ابن الجوزى وانما أورد حديثا آخر من طريق آخر فى احياء أمه فقط وفيه قصة بلفظ غير لفظ الحديث الذى أورده السهيلى فعلم انه حديث آخر مستقل قال وقد جعل هؤلاء الائمة هذا الحديث ناسخا للاحاديث الواردة بما يخالفه ونصوا على انه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها انتهى وقال فى الدرج المنيفة جعلوه ناسخا ولم يبالوا بضعفه لان الحديث الضعيف يعمل به فى الفضائل والمناقب وهذه منقبة هذا كلام هذا الجهبذ وهو فى غاية التحرير وأغرب الشهاب الهيتمى فقال فى مولده بعد ماذكر قول ابن كثير منكر وليس كما قال لان حافظ الشام ابن ناصر أثبت منه وقد حسنه بل صححه وسبقه الى تصحيحه القرطبى وارتضى ذلك بعض الحفاظ الجامعين بين المعقول والمنقول انتهى وما فى تذكرة القرطبى ولا مولد ابن ناصر مانقله عنهما فان الذى فى التذكرة هو ماسينقله المصنف قريبا والذى فى مولد ابن ناصر انما هو التصريح بضعف الحديث فى الابيات الآتية التى آخرها وان كان الحديث به ضعيفا وأغرب من ذلك قوله فى شرح الهمزية صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا للطعن فيه انتهى وليت شعرى من أين يصح وهو ما بلغ درجة الحسن ومن الحفاظ والسيوطى غاية ماوصل الى القول بضعفه والذى يظهر لى أن مراده انهم صححوا العمل به فى الاعتقاد وان كان ضعيفا لكونه فى منقبة فيرجع لكلام السيوطى ووقع للتلمسانى فى حواشيه روى اسلام أمه بسند صحيح وروى اسلام أبيه وكلاهما بعد الموت تشريفا له حتى أسلما فان أراد اسناد الحديث المتقدم فلا يسلم له وان أراد غيره فعليه البيان ولولا قوله بسند لاولته كالسابق هذا وفى الدرج المنيفة أيد بعضهم ذا الحديث بالقاعدة المتفق عليها انه ما أوتى نبى معجزة الا وأوتى صلى الله عليه وسلم مثلها وقد أحيا الله لعيسى الموتى من قبورهم فلا بد أن يكون لنبينا مثل ذلك ولم يرد من هذا النوع الا هذه القصة فلا يبعد ثبوتها وان كان له من هذا النمط نطق الذراع وحنين الجذع لكنه غير ماوقع لعيسى فهو أشبه بالمماثلة ولا شك أن من الطرق التى يعتضد بها الحديث الضعيف موافقته للقواعد المقررة انتهى وهو منابذ لما قاله القرطبى ان الله أحيا على يد المصطفى جماعة وقد أقره هو أعنى السيوطى وغيره وذكر المصنف فى المعجزات ان الله أحيا على يده خمسة منهم الابوان ويمكن أن لا ينابذه لان غاية ماصرح به أن الله أحيا على يده والمؤيد به أن الله أحياهم لعيسى من قبورهم وهذا لم يرد لنبينا منه الا هذه القصة كما قال مع قصة أخرى تأتى قريبا لكنها مرسلة فكأنه لم يعتبرها أو اعتبرها لكنها واحدة ومراده أزيد ليوافق ما اتفق لعيسى (وتعقبه) أى القائل بنجاتهما لانهما آمنا بعد الموت (عالم آخر) رأيت بهامش انه أراد به السخاوى شيخه وبالبعض الذى أبهمه أولا السيوطى (بأنه لم ير أحدا صرح بأن الايمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه فان ادعى أحد الخصوصية فعليه الدليل انتهى)

ويلزمه اما أن يقول بوضع الحديث فيرد بأن أكثر الحفاظ قالوا ليس بموضوع وهو الحق الابلج الذي أسفر عنه النظر في أسانيده كما مر تفصيله أو بضعفه ولا يعمل به فيرد بأن طريقة الحفاظ العمل به لانه في منقبة أو يبقى التعارض بين الاحاديث وليس شأن أهل الفن ولا أهل الاصول وأما الدليل على الخصوصية فواضح من سياق الاحاديث لقوله سألت ربي أن يحييهما فأحياهما فآمنت بي وقد صرح في فتح البارى بأنه لا يلزم التنصيص على لفظ الخصوصية (وقد سبقه) أي هذا المتعقب (لذلك) التعقب بمعناه (أبو الخطاب الحافظ عمر (ابن دحية وعبارته) عقب قوله السابق برده القرآن والاجماع وتلاوة الآيتين (فمن مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعاينة) لاسباب العذاب (لم ينفعه ذلك فكيف بعد الاعادة انتهى) وقدمت ذلك تتميما لعبارته ولبيان أن قوله فمن الخ تفسير لقوله والاجماع (وتعقبه) تعقب ابن دحية ومن لازمه تعقب من وافقه (القرطبي) الامام المفسر محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح باسكان الراء وبالحاء المهملة كما في الديباج أبو عبد الله الانصاري الورع الزاهد صاحب التصانيف العديدة المشغول بما يعنيه أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف سمع أبا العباس القرطبي صاحب المفهم وأبا علي الحسن بن محمد البكري وغيرهما واستقر بمنية بني خصيب وبها توفي ودفن في شوال سنة احدى وسبعين وستمائة (في) كتاب (التذكرة) بأمور الآخرة (بأن فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع) عطف تفسير (الى حين مماته فيكون هذا) أي احياؤهما (مما فضله الله به وأكرمه) فلا يرد حديث احيائهما قرآن ولا اجماع لان محلهما في غير الخصوصية وقد أخرج ابن شاهين والحاكم عن ابن مسعود قال جاء ابنا مليكة فقالا يا رسول الله ان امنا كانت تكرم الضيف وقد وأدت في الجاهلية فأين أمنا فقال أمكما في النار فقاما وقد شق عليهما فدعاهما صلى الله عليه وسلم فقال ان أمي مع أمكما فقال منافق ما يغني هذا عن أمه الا ما يغني ابنا مليكة عن أمهما فقال شاب من الانصار لو ان أبويك فقال صلى الله عليه وسلم ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما واني لقائم المقام المحمود ففيه كما قال السيوطي ان قوله أمي مع أمكما كان قبل أن يسأل ربه فيهما فلا ينافي حديث احيائهما وايمانهما وأنه جوز صلى الله عليه وسلم انه اذا سأل ربه يعطيه وان أصحابه جوزوا ذلك عليه واعتقدوا أن من خصائصه ما يقتضيه وقال بعد ان أورد أحاديث امتحان أهل الفترة وبها يرد على ابن دحية لان الايمان اذا كان ينفع أهل الفترة في الآخرة التي ليست دار تكليف وقد شاهدوا جهنم بشهادة الاحاديث فلأن ينفعهم بالاحياء عن الموت من باب أولى انتهى فقد حصل المطالب بدليل الخصوصية أدلة كالنهار (قال القرطبي (وليس احياؤهما وايمانهما بممتنع عقلا) لانه يجوز مثل ذلك فلا يدعى وضع الحديث لان العقل يحيله (ولا شرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرائيل واخباره بقاتله) وذلك انه قتل لهم قتيل لا يدرى قاتله فسألوا موسى أن يدعوا الله يبينه لهم فأوحى الله اليه أن يأمرهم بذبح بقرة فذبحوها بعد ما قص الله وضربوه ببعضها أي لسانها أو عجب ذنبها أو بالبضعة التي بين كتفيها أو بفخذيها أو بالعظم الذي يلي الغضروف أو بذنبها

أو بعظم من عظامها أقوال حكاها في المبهمات فحيى وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه أو ابني أخيه ومات فحرما الميراث وقتلا (وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى) بنص القرآن فأحيا العازر بفتح الزاي صديقاله بعد موته ودفنه بثلاثة أيام وابن العجوز وهو محمول على نعشه في أكفانه وابنة العاشر فعاشوا امدة وولد لهم وعزيرا وسام بن نوح ومات في الحال (وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله على يده جماعة من الموتى) فأحيا ابنة الرجل الذي قال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فجاء الى قبرها وناداها فقالت لبيك وسعديك رواه البيهقي في الدلائل وأباه وأمه وتوفي شاب من الانصار فتوسلت أمه وهي عجوز عمياء بهجرتها لله ورسوله فأحياه الله رواه البيهقي وابن عدي وغيرهما ولما مات زيد بن حارثة من سراة الانصار كشفوا عنه فسمعوا على لسانه قائلا يقول محمد رسول الله الحديث رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وأخرج ابن الضحاك ان انصاريا توفي فلما كفن وحمل قال محمد رسول الله هذا ملخص ما ذكره المصنف في المعجزات (قال واذا) أي حيث (ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته) مع ما ورد من الخبر في ذلك ويكون ذلك مخصوصا بمن مات كافرا هذا أسقطه المصنف من كلام القرطبي (قال فقوله من مات كافرا الخ كلام مردود بما روي في الخبر أن الله رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها ذكره) أي رواه الامام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سالم الازدي (الطحاوي) المصري الحنفي الثقة الثبت الفقيه ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين ومات مستهل ذي القعدة سنة احدى وعشرين وثلثمائة (وقال انه حديث ثابت) أي صحيح أو حسن قال السيوطي

وهل يخص بالصحيح الثابت ۞ أو يشمل الحسن نزاع ثابت

ووجه الرد أنه كما أن احياء الموتى وانتفاعهم بالحياة بعد موتهم بعيد عقلا لعدم وقوعه كذلك عود الشمس بعد غروبها وحصول الانتفاع بها كما كانت قبل الغروب بعيد غير متوقع وقد أعيدت وحصل الانتفاع بها مع استحالة مثله عادة فلا مانع من جواز احياء الميت وانتفاعه بحياته بعده خرقا للعادة والى هذا أشار بقوله (فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وأنه) لو لم يكن (لا يتجدد الوقت) بل استمر عدم تجدده (لما ردها عليه) وفي نسخة وانه يتجدد بدون لا عطفا على نافعا تفسيري (فكذلك يكون احياء أبوي النبي صلى الله عليه وسلم نافعا لايمانهما وتصديقهما النبي صلى الله عليه وسلم) قال في التعظيم والمنة واستدلاله على عدم تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس في غاية الحسن ولهذا حكم بكون الصلاة أداء والا لم يكن لرجوعها فائدة اذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب قال وقد ظفرت باستدلال أوضح منه وهو ما ورد أن أصحاب الكهف يبعثون آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الامة تشريفا لهم بذلك وروى ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا أصحاب الكهف أعوان المهدي فقد اعتد بما يفعله أهل الكهف بعد احيائهم عن الموت ولا بدع في أن يكون الله تعالى كتب لابوي النبي صلى الله عليه وسلم عمرا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها فيعتد به ويكون تأخير تلك اللحظة الباقية بالمدة الفاصلة بينهما

قوله واستدلاله على عدم تجدد الخ كذا في النسخ والعل المناسب حذف عدم كما هو ظاهر اه

لاستدراك

لاستنادرالى الايمان من جملة ما أكرم الله به نبيه كما ان تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ليحوزوا شرف الدخول في هذه الامة (انتهى) مانقله من كلام القرطبي وبقيته وقد قبل الله ايمان قوم يونس وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب كما هو أحد الاقوال وهو ظاهر القرآن وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل ايمانهما وكونهما في العذاب انتهى ومراده بالآية ماروى فيهما من التفسير الذى احتج به ابن دحية وكانه يفرض التسليم للمروى والا فقد مرّ قول السيوطي في الفوائد انه معضل ضعيف لا تقوم به حجة وصرح في مسالك الحنفاء بأنه لم يخرج في شيء من كتب الحديث المعتمدة وانما ذكر في بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به ولا يعول عليه قال ثم ان هذا السبب مردود من وجوه أخر من جهة الاصول والبلاغة وأسرار البيان وأطال في بيان ذلك قال شيخنا ولعل المصنف أسقط اشارة القرطبي لقصة قوم يونس لعدم صراحتها في نفع الايمان بعد الاسباب المحققة للعذاب كصراحة احياء الموتى ورد الشمس انتهى وعلى كل حال هي شاهد حسن في المدعى وان لم تكن صريحة وقد نقل الحافظ ابن سيد الناس نحو ما أشار له القرطبي من الخصوصية فقال في العيون بعد أن ذكر رواية ابن اسحق في ان أبا طالب أسلم عند الموت ما نصه وقد روى ان عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب أبوى النبي صلى الله عليه وسلم أسلما أيضا وان الله احياهما له فآمنا به وروى ذلك في حق جده عبد المطلب وهو مخالف لما أخرجه أحمد عن أبي رزين العقيلي قال قلت يارسول الله أين أمي قال أمك في النار قلت فأين من مضى من أهلك قال أما ترضى أن تكون أمك مع أمي وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ما حاصله ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل راقيا في المقامات السنية صاعدا الى الدرجات العلية الى ان قبض الله روحه الطاهرة اليه وأزلفه بما خصه به لديه من الكرامات الى حين القدوم عليه فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وسلم بعد أن لم تكن وأن يكون الاحياء والايمان متأخرا عن تلك الاحاديث فلا تعارض انتهى وهو حسن الا أن ما ذكره في عبد المطلب باطل كما يأتي (وقد طعن بعضهم في حديث رد الشمس) الذى أشار له القرطبي وهو الامام أحمد فقال لا أصل له وتبعه ابن الجوزي فأورده في الموضوعات وكذا صرح ابن تيمية بوضعه (كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات) لكن رد مغلطاى والحافظ ابن حجر والقطب الخيضري والسيوطي وغيرهم على ابن الجوزي وقالوا انه أخطأ فقد أخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث أبي هريرة واسنادهما حسن ومن ثم صححه الطحاوى والقاضي عياض قال العلامة الشامي وأما قول الامام أحمد وجماعة من الحفاظ بوضعه فالظاهر أنه وقع لهم من طريق بعض الكذابين والا فطرقه السابقة أى في كلامه يتعذر معها الحكم عليه بالضعف فضلا عن الوضع انتهى وأما المتمسكون بغير الحديث فاليهم أشار بقوله (وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضا بأنهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة) التى عم الجهل فيها طبق الارض وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصا وقد ماتا في حداثة السن فان والده صلى الله عليه وسلم صحح الحافظ صلاح الدين العلائي انه عاش من العمر نحو ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت وهي في حدود

العشرين تقريبا ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب فى مثل ذلك الزمان وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة قاله فى سبيل النجاة (ولا تعذيب قبلها) أى البعثة (لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يبين لهم الحجج ويمهد لهم الشرائع ففيه دليل على أن لا وجوب قبل الشرع (قال وقد أطبقت الائمة الاشاعرة من أهل الاصول والشافعية من الفقهاء على ان من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا) ويدخل الجنة قال السيوطى هذا مذهب لا خلاف فيه بين الشافعية فى الفقه والاشاعرة فى الاصول ونص على ذلك الشافعى فى الام والمختصر وتبعه سائر الاصحاب فلم يشذ أحد منهم بخلاف واستدلوا على ذلك بعدة آيات منها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهى مسئلة فقهية مقررة فى كتب الفقه وهى فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند الاشاعرة وهى قاعدة شكر المنعم وأنه واجب بالسمع لا بالعقل ومرجعها الى قاعدة كلامية هى التحسين والتقبيح العقليين وانكارهما متفق عليه بين الاشاعرة كما هو معروف فى كتب الكلام والاصول وأطنب الائمة فى تقريرها تين القاعدتين والاستدلال عليهما والجواب عن حجج المخالفين اطنابا عظيما خصوصا امام الحرمين فى البرهان والغزالى فى المستصفى والمنخول والكيا الهراسى فى تعليقه والرازى فى المحصول وابن السمعانى فى القواطع والباقلانى فى التقريب وغيرهم من أئمة لا يحصون كثرة وترجع مسئلة من لم تبلغه الدعوة الى قاعدة ثانية أصولية وهى ان الغافل لا يكلف وهذا هو الصواب فى الاصول لقوله تعالى ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ثم اختلفت عبارة الاصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فأحسنها من قال انه ناج وإياها اختار السبكى ومنهم من قال على الفترة ومنهم من قال مسلم قال الغزالى والتحقيق أن يقال فى معنى مسلم وقد مشى على هذا السبيل فى والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من العلماء فصرحوا بأنهما لم تبلغهما الدعوة حكاه عنهم سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان وغيره ومشى عليه الابى فى شرح مسلم وكان شيخنا شيخ الاسلام شرف الدين المناوى يعوّل عليه ويجيب به اذا سئل عنهما قال وقد ورد فى أهل الفترة أحاديث انهم موقوفون الى أن يمتحنوا يوم القيامة فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار وهى كثيرة والصحيح منها ثلاثة الاول حديث الاسود بن سريع وأبى هريرة معا مرفوعا أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيأ ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات فى فترة الحديث أخرجه أحمد وابن راهويه والبيهقى وصححه وفيه وأما الذى مات فى الفترة فيقول رب ما أتانى لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها سحب اليها والثانى حديث أبى هريرة موقوفا وله حكم الرفع لان مثله لا يقال من قبل الرأى أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر فى تفاسيرهم واسناده صحيح على شرط الشيخين والثالث حديث ثوبان مرفوعا أخرجه البزار والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى ورابع عند البزار وابن أبى حاتم عن أبى سعيد مرفوعا وفيه عطية العوفى وفيه ضعف الا أن الترمذى يحسن حديثه خصوصا اذا كان له شاهد وهذا له عدة

شواهد

شواهد كما ترى وخامس عند البزار وأبى يعلى عن أنس مرفوعا وسادس عند الطبرانى وأبى نعيم عن معاذ وسند كل منهما ضعيف والعمدة على الثلاثة الاول الصحيحة قال وهذا السبيل نقل حافظ العصر ابن حجر عن بعضهم انه مشى عليه فيما نحن فيه ثم قال والظن بآله صلى الله عليه وسلم كلهم الذين ماتوا فى الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقربهم عينه وذكر الحافظ ابن كثير قضية الامتحان فى والديه صلى الله عليه وسلم وسائر أهل الفترة وقال منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب الا انه لم ينقل الظن فى الوالدين أن يجيبا ولا شك أن الظن ان الله يوفقهما للاجابة بشفاعته كما رواه تمام فى فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة شفعت لابى وأمى الحديث وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم سئل عن أبويه فقال ماسألتهما ربى فيعطينى فيهما وانى لقائم يومئذ المقام المحمود فهذا تلويح بأنه يرتجى أن يشفع لهما فى ذلك المقام ليوفقا للطاعة عند الامتحان وينضم الى ذلك ما أخرجه أبو سعد فى شرف النبوة وغيره عن عمران مرفوعا سألت ربى أن لا يدخل النار أحد من أهل بيتى فأعطانى ذلك وما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس فى قوله ولسوف يعطيك ربك فترضا قال من رضى محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار فهذه الاحاديث يشد بعضها بعضا لان الحديث الضعيف اذا كثرت طرقه أفاد ذلك قوة كما تقرر فى علوم الحديث وأمثلها حديث ابن مسعود فان الحاكم صححه قال وهذا السبيل قد يعد مغايرا للاول يعنى انهما لم يبلغهما الدعوة كما مشيت عليه هنا وفى الكتاب المطول لان مقتضى الاول الجزم بنجاة من لم تبلغه الدعوة ودخوله الجنة من غير توقف على الامتحان وقد يعد مرادفا له كما مشيت عليه فى مسالك الحنفاء وفى الدرج المنيفة وفى المقامة السندسية وهو أقرب الى التحقيق ويكون معنى قولهم انه ناج أى بشرط لا مطلقا وقولهم لا يعذب أى ابتداء كما يعذب من عاند بل يجرى فيه الامتحان ويكون امتحانه فى الآخرة منزلا منزلة بلوغه دعوة الرسل فى الدنيا وعصيانه فى الآخرة بمنزلة مخالفته للرسل ويؤيد ذلك ان أبا هريرة راوى حديث أهل الفترة استدل فى آخره بالآية التى استدل بها الائمة على انتفاء التعذيب قبل البعثة ولفظه فيما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر الثلاثة من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة قال اذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والاصم والابكم والشيوخ الذين لم يدركوا الاسلام ثم أرسل اليهم رسلا أن ادخلوا النار فيقولون كيف ولم تأتنا رسل قال وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما ثم يرسل اليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه ثم قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ففهم رضى الله عنه من الآية ما هو أعم من رسل الدنيا والرسول المبعوث اليهم يوم القيامة أن ادخلوا النار ولا يستنكر هذا الفهم العظيم من مثله وعلى هذين السبيلين فالجواب عن الاحاديث الواردة فى الابوين بما يخالف ذلك انها وردت قبل ورود الآيات والاحاديث المشار اليها فيما مر كما أجيب عن الاحاديث الواردة فى أطفال المشركين انهم فى النار بأنها قبل ورود قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وسائر الاحاديث المخالفة لذلك وقال بعض أئمة المالكية

في الجواب عن تلك الاحاديث الواردة في الابوين انها اخبار آحاد فلا تعارض القاطع وهو قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ونحوها من الآيات في معناها قلت مع ضميمة ان أكثرها ضعيف الاسناد والصحيح منها قابل للتأويل الى هنا كلام هذا الامام اذا قالت حذام ولا تقل طولت بنقله فكله طائل ولا أكثرت فكم رجعت منه بنائل (قال وقال الامام فخر الدين الرازي في كتابه أسرار التنزيل) اسم تفسيره مايصرح بانهما كانا على الحنيفية دين ابراهيم كما كان زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه وهو سبيل آخر ثالث في نجاتهما فانه قال (مانصه قيل ان آزر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه منها ان آباء الانبياء ما كانوا كفارا) تشريفا لمقام النبوة وكذلك أمهاتهم كما جزم به في الفوائد واستدل عليه بالاستقراء وذكر أدلة ذلك تفصيلا واجمالا (ويدل عليه) أي على ان آزر لم يكن والد ابراهيم (وجوه منها قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قيل معناه انه كان ينقل نوره من ساجد الى ساجد) من آدم الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم ولهذا يتضح قوله (قال) أي الرازي (ففيه دلالة) وانما قال فالآية دالة (على ان جميع آباء محمد كانوا مسلمين) والا فمجرد انتقاله من ساجد الى ساجد لا يقتضي ذلك لجواز كونه في بعض أصوله (ثم قال) أشار الى انه حذف منه ولفظه وحينئذ يجب القطع بأن والد ابراهيم ما كان من الكافرين أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى وتقلبك في الساجدين على وجوه أخرى واذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل ومتى صح ذلك ثبت ان والد ابراهيم ما كان من عبدة الاوثان (ومما يدل على ان آباء محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه أبو نعيم عن ابن عباس (لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس) واذا قيل ان فيهم مشركا نافى الحديث (فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا) وقد ارتضى ذلك العلامة المحقق السنوسي والتلمساني محشي الشفاء فقالا لم يتقدم لوالديه صلى الله عليه وسلم شرك وكانا مسلمين لانه عليه الصلاة والسلام انتقل من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة ولا يكون ذلك الامع الايمان بالله تعالى وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب انتهى وهذا لازم في جميع الآباء وان قصراه على الابوين والالزم المحذور وقال السيوطي وقد وجدت لكلام الرازي أدلة قوية مابين عام وخاص فالعام مركب من مقدمتين احداهما انه ثبت في الاحاديث الصحيحة ان كل جد من أجداده صلى الله عليه وسلم خير قرنه كحديث البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه والثانية انه قد ثبت ان الارض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعدا يدفع الله بهم عن أهل الارض أخرج عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي قال لم يزل على وجه الدهر سبعة مسلمون فصاعدا فلولا ذلك هلكت الارض ومن عليها وأخرج أحمد في الزهد والخلال في كرامات الاولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال ماخلت الارض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الارض واذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج ما قاله الامام لانه ان كان كل جد من أجداده

من جملة السبعة المذكورين في زمانه فهو المدعى وان كانوا غيرهم لزم أحد أمرين اما أن يكون غيرهم خيرا منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح واما أن يكونوا خيرا وهم على الشرك وهو باطل بالاجماع وفي التنزيل ولعبد مؤمن خير من مشرك فثبت انهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الارض في زمانهم وأما الخاص فأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال ما بين نوح الى آدم من الآباء كانوا على الاسلام وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والبزار والحاكم وصححه عن ابن عباس قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين قال وكذلك هي في قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا وفي التنزيل حكاية عن نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وسام بن نوح مؤمن بنص القرآن والاجماع بل ورد في أثر انه نبي وولده ارفخشذ صرح بايمانه في أثر عن ابن عباس أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ مصر وفيه انه أدرك جده نوحا ودعا له أن يجعل الله الملك والنبوة في ولده وروى ابن سعد من طريق الكلبي ان الناس ما زالوا ببابل وهم على الاسلام من عهد نوح الى أن ملكهم نمروذ فدعاهم الى عبادة الاوثان وفي عهد نمروذ كان ابراهيم وآزر وأما ذرية ابراهيم فقد قال تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس ومجاهد في الآية انها لا اله الا الله باقية في عقب ابراهيم وأخرج عن قتادة في الآية قال شهادة أن لا اله الا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده وقال تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد الآية أخرج ابن جرير عن مجاهد فيها قال فاستجاب الله لابراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة انه سئل هل عبد أحد من ولد اسمعيل الاصنام قال لا ألم تسمع قوله واجنبني وبني أن نعبد الاصنام قيل فكيف ما يدخل ولد اسحق وسائر ولد ابراهيم قال لا لانه دعا لاهل البلد أن لا يعبدوا اذ أسكنهم اياه فقال اجعل هذا البلد آمنا ولم يدع لجميع البلدان بذلك فقال واجنبني وبني أن نعبد الاصنام فيه وقد خص أهله وقال ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي قال فلن تزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله وقد صحت الاحاديث في البخاري وغيره وتظافرت نصوص العلماء بأن العرب من عهد ابراهيم على دينه لم يكفر أحد منهم الى ان جاء عمرو بن عامر الخزاعي وهو الذي يقال له عمرو بن لحي فهو أول من عبد الاصنام وغير دين ابراهيم وكان قريبا من كنانة جد النبي عليه السلام ثم ساق أدلة تشهد بأن عدنان ومعدا وربيعة ومضر وخزيمة وأسدا والياس وكعبا على ملة ابراهيم ثم قال فتلخص من مجموع ما سقناه ان اجداده من آدم الى كعب وولده مرة مصرح بايمانهم الا آزر فانه مختلف فيه فان كان والد ابراهيم فانه يستثنى وان كان عمه كما هو أحد القولين فهو خارج عن الاجداد وسلمت سلسلة النسب وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة لم أظفر فيهم بنقل وعبد المطلب فيه خلاف حكاه السهيلي عن المسعودي والاشبه فيه انه لم تبلغه الدعوة والى

هذا أشار الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقي فقال

تنقل أحمد نورا عظيما * تلألأ في جباه الساجدين

تنقل فيهم قرنا فقرنا * الى ان جاء خير المرسلينا

انتهى كلامه في سبل النجاة وذكر في الفوائد أدلة تشهد بأن عبد المطلب كان على الحنيفية والتوحيد وكذا في الدرج المنيفة وزاد وفيه قول ساقط ان الله أحياه حتى آمن به صلى الله عليه وسلم حكاه ابن سيد الناس وغيره وهو مردود ولا أعرفه عن أحد من أئمة السنة انما يحكى عن بعض الشيعة وهو قول لا دليل عليه ولم يرد فيه قط حديث لا ضعيف ولا غيره انتهى وأغرب المصنف فتبرأ من كلام الامام بقوله (كذا قال) الرازي (وهو متعقب بأنه لا دلالة في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين على ما) الذي (ادعاه و) الحال انه (قد ذكر البيضاوي) ما يعارضه (في تفسيره ان معنى الآية وترددك في تصفح) تأمل (أحوال المتهجدين) في العبادة بحثك عنها مرة بعد أخرى مأخوذ من تصفحت الكتاب اذا قلبت وجوه أوراقه لتنظر اليها (كما روى انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير) جمع زنبور بضم الزاي أي الدبابير (لما سمع لها من دندنتهم) أصواتهم الخفية وما موصول والعائد محذوف ومن دندنتهم بيان لما أي للاصوات التي سمعها (بذكر الله تعالى) وهذا التعقب بيت العنكبوت اذ ليس في كلام البيضاوي نفي لغير ما ذكره من التفسير ولا حكاية اجماع عليه بل ذكر بعده تفسيرا آخر ان المراد بهم المصلون والرازي أيضا لم ينف غير التفسير الذي ذكره بل قال أقصى ما في الباب حمل الآية على وجوه أخرى لا منافاة بينها فتعقبه بأحد تفاسير اعترف هو بها وأشار الى الجمع بينها مما لا يليق تسطيره على ان ما فسر به الرازي هو الاولى بالقبول فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي ومن نبي الى نبي حتى أخرجتك نبيا ففسر تقلبه في الساجدين بتقلبه في أصلاب الانبياء ولو مع الوسائط قال في الفوائد وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا في ذرية ابراهيم أوضح لانه ليس في أجداده صلى الله عليه وسلم أنبياء بكثرة بل اسمعيل وابراهيم ونوح وشيث وآدم وادريس في قول انتهى (وقد ورد النص بأن أبا ابراهيم عليه الصلاة والسلام مات على الكفر كما صرح به البيضاوي وغيره) ممن استروح وتساهل وذكر ما زعم انه النص بقوله (قال تعالى) وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه (فلما تبين له انه عدو لله) بالموت على الكفر أو أوحى اليه انه لن يؤمن ذكرهما البيضاوي واقتصر الجلال على الاول (تبرأ منه) وترك الاستغفار له واستشعر نقض قوله النص بأنه ليس نصا لان العرب تسمي العم أبا وبلغتهم جاء القرآن فقال (وأما قوله انه كان عمه) وفيه انه لم يقله بل نقله وهو امام ثبت حجة في النقل ثم قد وجد عن السلف (فعدول عن الظاهر من غير دليل) بل دليله كالشمس فقد صرح الشهاب الهيتمي بأن أهل الكتابين والتاريخ أجمعوا على انه لم يكن أباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمي العم أبا كما جزم به الفخر بل في القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك

ابراهيم

ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تأويله بهذا جمعا بين الاحاديث قال وأما من أخذ بظاهره كالبيضاوى وغيره فقد استروح وتساهل انتهى وقال في الدرج المنيفة الاوجه ان آزر عم ابراهيم كما قال الرازى لا أبوه وقد سبقه الى ذلك جماعة من السلف فروينا بالاسانيد عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدى قالوا ليس آزر أبا ابراهيم انما هو ابراهيم بن تارخ ووقفت على أثر فى تاريخ ابن المنذر صرح فيه بأنه عمه انتهى وبه تعلم ما تحامل به بعض المتأخرين جدا فخطأ من قال انه عمه وزعم انه تبع الشيعة وانه مخالف للكتاب والسنة وأهلها وغيرهم وزعم اتفاق المفسرين وغيرهم على ان والد ابراهيم كان كافرا وانما الخلاف فى اسمه وأطال فى بيان ذلك بما لا طائل تحته وحاصله انه احتجاج فقيه بجهل النزاع وتخطئته هى الخطأ وحصره القول به للشيعة هو صنو قول أبى حيان انهم الرافضة ويأتى رده ولا دخل للرفض ولا للتشيع فى ذلك وزعمه الاتفاق باطل كيف وقد قال أولئك السلف انه عمه وحكاه الرازى ونقله حافظ السنة فى عصره وأقره وأيده بما لا محيص عنه ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار (وأجاب صاحب العقائق) عن احتجاج الرازى بالآية (بأنهم كانوا ساجدين بعضهم للصمد) الذى لا جوف له أو المقصود فى الحوائج على الدوام سبحانه وتعالى (وبعضهم للصنم) كذا رأيت هذا الجواب فى بعض نسخ المتن العتيقة وأكثرها سقوطه وهو لا يساوى فلسا ولا ينبغى كتبه فان سياق الآيات للامتنان على النبى صلى الله عليه وسلم واطلاع ربه على تنقله حالا وماضيا فكيف يليق أن يمتن عليه بأنه رأى تقلبه فى بعض آبائه الساجدين للصنم ان هذا الجود عظيم (ونقل أبو حيان فى البحر عند تفسير قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين أن الرافضة هم القائلون ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وبقوله عليه الصلاة والسلام لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين انتهى) ومراده من نقله تقويه تعقبه على الرازى وقد عرض به وشدد عليه النكير الشهاب الهيتمى فقال وقول بعضهم نقل أبو حيان الخ سوء تصرف منه لانه أعنى ناقل هذا الكلام عن أبى حيان لو كان له أدنى مسكة من علم أو فهم لتعقب قوله ان الرافضة هم القائلون بذلك وقال له هذا الحصر باطل منك أيها النحوى البعيد عن مدارك الاصول والفروع كيف والائمة الاشاعرة من الشافعية وغيرهم على ما مر التصريح به فى نجاة سائر آبائه صلى الله عليه وسلم كبقية أهل الفترة فلو كنت ذا المام بذلك لما حصرت نقله عن الرافضة وزعمت انهم المستدلون بالآية والحديث وهذا الفخر من أكابر أئمة أهل السنة قد استدل بهما ونقل ذلك عن غيره فليتك أيها الناقل عن أبى حيان سكت عن ذلك ووقيت عرضه وعرضك من رشق سهام الصواب فيهما انتهى وقد وافقه على الاستدلال بالآية لهذا المعنى الماوردى من أئمة الشافعية وناهيك به ملا ثم أيد المصنف تعقبه بأحاديث وقبل أخذك الجواب عنها واحدا واحدا فقد علمت انا أسلفنا لك عنها جوابين انها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا مع ضعف أكثرها وقبول صحيحها للتأويل وانها منسوخة بما ورد فى الابوين مما يخالفها فلا تغفل فقال (وقد روى) محمد (بن جرير) بن

يزيد بن كثير الامام الحافظ الفرد أبو جعفر الطبري أحد الاعلام المجتهد المطلق صاحب التصانيف المتوفى سنة عشر وثلثمائة (عن علقمة بن مرثد) بفتح الميم وسكون الراء وفتح المثلثة الحضرمي أبي الحرث الكوفي الثقة (عن سليمان بن بريدة) بن الحصيب الاسلمي المروزي قاضيها الثقة المتوفى سنة خمس ومائة عن تسعين سنة (عن أبيه) بريدة بن الحصيب بحاء وصاد مهملتين مصغر قال الغساني وصحف من قاله بخاء معجمة (ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة) سنة الفتح كما رواه ابن سعد وابن شاهين من هذا الوجه (أتى رسم قبر) أثره لاعجاء صورته (فجلس اليه) عنده (فجعل يخاطب) بكسر الطاء وفي حديث ابن مسعود فناجاه طويلا (ثم قام مستعبرا) بوحدة جاري الدمع (فقلنا يارسول الله انا رأينا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي ثم استأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فما رؤي باكيا أكثر من يومئذ) ورواه ابن سعد وابن شاهين عن بريدة بنحوه وابن جرير من وجه آخر عنه بلفظ لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت الآية قال السيوطي وله علتان مخالفته الحديث الصحيح في نزول الآية في أبي طالب والثانية قال ابن سعد في الطبقات هذا غلط ليس قبرها بمكة قبرها بالابواء انتهى ويأتي قريبا الجواب عن عدم الاذن في الاستغفار وعن البكاء (وروى ابن أبي حاتم) الامام الحافظ الناقد عبد الرحمن ابن الحافظ الكبير محمد بن ادريس بن المنذر بن داود الرازي الحنظلي التميمي الثقة الزاهد الذي يعد في الابدال البحر في العلوم ومعرفة الرجال كساه الله بهاء ونورا يسر به من نظر اليه مات في محرم سنة سبع وعشرين وثلثمائة (في تفسيره) وكذا الحاكم (عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أومأ) أشار (الى المقابر) انه يريد الذهاب اليها (فاتبعناه فجاء حتى جلس الى) جانب (قبر منها) وفي رواية الحاكم خرج ينظر في المقابر وخرجنا معه فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى الى قبر منها (فناجاه طويلا ثم بكى) وفي رواية الحاكم ثم ارتفع نحيبه باكيا (فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال ما أبكاكم فقلنا أبكينا لبكائك) وفي رواية الحاكم ثم أقبل الينا فتلقاه عمر فقال يارسول الله ما الذي أبكاك فقد أبكانا وأفزعنا فجاء فجلس الينا فقال أفزعكم بكائي قلنا نعم (فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة) زاد الحاكم بنت وهب (واني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي واني استأذنته في الدعاء) وفي رواية الحاكم في الاستغفار لها (فلم يأذن لي وأنزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى فاخذني ما يأخذ الولد للوالد) من الرقة والشفقة قال الحاكم هذا حديث صحيح ورده الذهبي في اختصار المستدرك بأن فيه أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين قال السيوطي فهذه علة تقدح في صحته والعجب من الذهبي كيف صححه في الميزان اعتمادا على تصحيح الحاكم مع انه خالفه في مختصره قال وله علة ثانية هي مخالفته لما في البخاري وغيره من أن هذه الآية نزلت بمكة عقب موت أبي طالب واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم له ووردت أحاديث أخر في الترمذي وغيره فيها سبب غير قصة آمنة فان كان الذهبي رد حديث الاحياء لمخالفته

هذا الحديث فهذا الحديث يرد لمخالفته المقطوع بصحته فى صحيح البخارى وغيره انتهى (ورواه الطبرانى من حديث ابن عباس) بلفظ ان النبى صلى الله عليه وسلم لما أقبل من غزوة واعتمر هبط من ثنية عسفان فنزل على قبر أمه فذكر نحو حديث ابن مسعود وفيه نزول الآية قال السيوطى وله علتان مخالفة الحديث الصحيح كما سبق واسناده ضعيف ثم قال فبان بهذا أن طرق الحديث كلها معلولة خصوصا قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار لانه لا يمكن الجمع بينها وبين الاحاديث الصحيحة فى تقدم نزولها فى قصة أبى طالب وغيره وأصح طرق هذا الحديث ما أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن بريدة ان النبى صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه فى ألف مقنع فما رؤى باكيا أكثر من يومئذ هذا القدر لا علة له وليس فيه مخالفة لشئ من الاحاديث ولا نهى عن الاستغفار وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التى تحصل لزيارة الموتى من غير سبب تعذيب ونحوه انتهى والحافظ ابن حجر لما أبدى احتمال ان لنزول الآية سببين متقدم وهو أمر أبى طالب ومتأخر وهو أمر آمنة رده بأن الاصل عدم تكرار النزول ثم لا يشكل بأن موت أبى طالب قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين وبراءة من أواخر ما نزل بالمدينة لان هذه الآية مستثناة من كون السورة مدنية كما نقله فى الاتقان عن بعضهم وأقره فلا حاجة لجواب الطيبى ونحوه بجواز أنه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له الى نزولها فان التشديد مع الكفار انما ظهر فى هذه السورة لانه مجرد تجويز مبنى على أن جميع السورة مدنى (وفى مسلم) من حديث أبى هريرة مرفوعا (استأذنت ربى أن أستغفر لامى فلم يأذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فاذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة) وكذا رواه ابن ماجه الا انه قال فانها تذكركم الموت فهذا حديث صحيح معارض لحديث احيائهما وكلام الرازى وهذا الذى أراده المصنف أورده فى الفوائد بطريق السؤال فقال كيف قررت انها كانت موحدة فى حياتها ومتحنفة وهذا الحديث فى انه استغفر لها فلم يؤذن له وقوله فى الحديث الآخر أمى مع أمكما يؤذنان بخلاف ذلك وهبك أجبت عنهما فيما يتعلق بحديث الاحياء بأنهما متقدمان فى التاريخ وذاك متأخر وكان ناسخا فما تقول فى هذا فان الموت على التوحيد ينفى التعذيب البتة وأجاب بأن حديث عدم الاذن فى الاستغفار لا يلزم منه الكفر بدليل انه صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا فى أول الاسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له وفاء ومن الاستغفار له وهو من المسلمين وعلل بأن استغفاره مجاب على الفور فمن استغفر له وصل عقب دعائه الى منزله فى الجنة والمديون محبوس عن مقامه حتى يقضى دينه كما فى الحديث فقد تكون أمه مع كونها متحنفة كانت محبوسة فى البرزخ عن الجنة لامور أخرى غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له فى الاستغفار الى أن أذن الله له فيه بعد ذلك قال وأما حديث أمى مع أمكما على ضعف اسناده فلا يلزم منه كونها فى النار لجواز أنه أراد بالمعية كونهما معها فى دار البرزخ أو غير ذلك وعبر بذلك تورية وايهاما تطييبا لقلوبهما قال وأحسن منه انه صدر ذلك منه قبل أن يوحى اليه انهما من أهل الجنة كما قال فى تبع لا أدرى تبعا ألعينا كان أم لا أخرجه الحاكم وابن شاهين عن أبى هريرة وقال بعد أن أوحى اليه فى شأنه لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أخرجه ابن شاهين فى الناسخ

والمنسوخ عن سهل وابن عباس فكأنه أولا لم يوح اليه فى شأنهما بشئ ولم يبلغه القول الذى قاله عند موتها ولا تذكره فأطلق القول بأنهما مع أمهما جريا على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحى اليه أمرها بعد ويؤيد ذلك أن فى آخر الحديث نفسه ما سأنتهما ربى قال ويمكن الجواب عن الحديثين بأنها كانت موحدة غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور وذلك أصل كبير فأحياها الله له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما فى شريعته ولذا تأخر احياؤها الى حجة الوداع حتى تمت الشريعة ونزل اليوم أكملت لكم دينكم فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه قال وهذا معنى نفيس بليغ (قال القاضى عياض بكاؤه عليه السلام) ليس لتعذيبها انما هو وأسف (على مافاتها من ادراك ايامه والايمان به) وقد رحم الله تعالى بكاءه فأحياها له حتى آمنت به وما ألطف هذه العبارة من القاضى فانها صريحة فى أن البكاء انما هو لكونها لم تحز شرف الدخول فى هذه الامة لا لكونها على غير الحنيفية (وفى مسلم أيضا) وأبي داود وكلاهما من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس (أن رجلا) هو أبو رزين العقيلى فيما قاله ابن أبى خيثمة أو حصين بن عبيد والد عمران فيما ذكره ابن رشيد وتعقب البرهان الاول بأن والد أبى رزين أسلم واسمه عامر بن صبرة (قال يارسول الله أين أبى قال فى النار) وفى مسند أحمد ان أبا رزين سأل عن أمه أين هى فقال كذلك وجمع البرهان بأنه سأل عن أبيه مرة وعن أمه أخرى وبناكد ماقدمه أن أباه أسلم (فلما قفا) بقاف قفا مخففة أى انصرف عنه وولى بأن جعل قفاه الى جهته صلى الله عليه وسلم ولا يرد أن قفا انما هو بمعنى تبع على مقتضى الصحاح لانه هنا بمعنى اتبع الجهة التى جاء منها منصرفا اليها ومن لازمها توليه عن المصطفى (دعاه فقال ان أبى وأباك فى النار) فهذا صريح فى رد حديث الاحياء وكلام الرازى ومن قال انهما أهل فترة لم تبلغهما دعوة والجواب انه منسوخ بالآيات والاحاديث الواردة فى أهل الفترة أو أراد بأبيه عمه أبا طالب لان العرب تسمى العم أبا حقيقة ولانه رباه والعرب تسمى المربى أبا أو أنه خبر آحاد فلا يعارض القاطع وهو نص وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واستظهر فى شرح الهمزية الشافى فلم يتم مراد المصنف من سوقه على أن حديث مسلم هذا كما قال السيوطى لا يصلح للاحتجاج به فانه انفرد به عن البخارى وفى افراده أحاديث تكلم فيها ويشك ان هذا منها وذلك أن ثابتا وان كان اماما ثقة فقد ذكره ابن عدى فى الضعفاء وقال وقع فى أحاديثه نكرة من الرواة عنه لانه روى عنه ضعفاء وقد أعل السهيلى هذا الحديث بأن معمر بن راشد فى روايته عن ثابت عن أنس خالف حمادا فلم يذكر ان أبى وأباك فى النار بل قال اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار وهو كما قال فمعمر أثبت فى الرواية من حماد لاتفاق الشيخين على تخريج حديثه ولم يتكلم فى حفظه ولم ينكر عليه شئ من حديثه وحماد وان كان اماما عالما عابدا فقد تكلم جماعة فى روايته ولم يخرج له البخارى شيأ فى صحيحه وما خرج له مسلم فى الاصول الا من حديثه عن ثابت وأخرج له فى الشواهد عن طائفة صرح به الحاكم فى المدخل وقال الذهبى حماد ثقة له أوهام ومناكير كثيرة وكانوا يقولون انها دست فى كتبه من ربيبه ابن أبى العوجاء وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم ومن ثم لم يخرج له البخارى فحديث معمر

أبت وقد وجدناه ورد بمثل رواية معمر عن ثابت عن أنس من حديث سعد بن مالك ومن
حديث ابن عمر أخرج البيهقي والبزار والطبراني في الكبير بسند رجاله رجال الصحيح عن
سعد بن أبي وقاص أن اعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أين أبي قال
في النار قال فأين أبوك قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار زاد الطبراني والبيهقي
فأسلم الاعرابي بعد فقال لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا مامررت بقبر كافر
الا بشرته بالنار وروى ابن ماجه عن ابن عمر قال جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو قال في النار فكأنه وجد من ذلك فقال
أين أبوك أنت فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار فأسلم الاعرابي بعد فقال لقد كلفني
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا مامررت بقبر كافر الا بشرته بالنار فبين أن السائل أعرابي
وهو مظنة خشية الفتنة والردة والمصطفى كان اذا سأله أعرابي وخاف من افصاح الجواب
له فتنته واضطراب قلبه أجابه بجواب فيه تورية وايهام وهذا كذلك اذلم يصرح فيه بالأب
الكريم انما قال حيثما مررت الخ وهذه جملة لاتدل بالمطابقة على ذلك فكره صلى الله عليه
وسلم أن يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه لابيه في المحل الذي هو فيه خشية ارتداده
لما جبلت عليه النفوس من كراهة الاستئثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ
القلوب فأورد له جوابا موهما تطمينا لقلبه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره
وقد أوضحت الزيادة بلاشك أن هذا اللفظ العام هو الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم
ورآه الاعرابي بعد اسلامه أمرا مقتضيا للامتثال فلم يسعه الا امتثاله ولو كان الجواب
باللفظ الاول لم يكن فيه أمر بشيء البتة فعلم أنه من تصرف الرواة وأن هذه الطريق في غاية
الاتقان ولذا قال بعض الحفاظ لو لم نكتب الحديث من ستين وجها ماعقلناه أي لاختلاف
الرواة في اسناده وألفاظه فهذا الحديث معلل من هذه الحيثية وليس ذلك قدحا في صحته
من أصله بل في هذه اللفظة فقط ثم لو فرض اتفاق الرواة على لفظ مسلم كان معارضا بالادلة
القرآنية والادلة الواردة في أهل الفترة والحديث الصحيح اذا عارضه أدلة أخرى وجب
تأويله وتقديم تلك الادلة عليه كما هو مقرر في الاصول انتهى ملخصا وقد تقدم تأويله فان قيل
حيث قررت ان أهل الفترة لايقضي عليهم بشيء حتى يمتحنوا فكيف حكم صلى الله عليه وسلم
على أبي السائل بأنه في النار أجاب السيوطي بجواز أنه يعصي عند الامتحان وأوحي اليه
بذلك فحكم بأنه من أهل النار وبأن حديثه متقدم على أحاديث أهل الفترة فيكون
منسوخا بها أو بجواز أنه عاش حتى أدرك البعثة وبلغه وأصر ومات في عهده وهذا الاعذر له
البتة انتهى وفي الثالث نظر لانه لو كان كذلك لما كان اسؤاله عن الأب الكريم وجه
اذالفرق لائح لان أباه بلغته البعثة والأب الشريف لم تبلغه اللهم الا أن يجاب بأن
الاعرابي توهم انه لايكفي بلوغ البعثة حتى يشاهد النبي ولا ينكر هذا منه لانه لم يكن حينئذ
تفقه في الدين بل لم يكن أسلم كما صرح به في حديث سعد وابن عمر (قال النووي فيه) أي
حديث مسلم افادة (أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين) قال
السيوطي ينبغي عندي أن النووي أراد الحكم على أبي السائل وكلامه ساكت عن

الحكم على الأب الشريف (وفيه) أيضا افادة (أن من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهو فى النار) ووجه استفادة هذا منه أن أبا الاعرابى كان فى الفترة بدليل سؤاله عن الأب الكريم (وليس فى هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء كانت بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره من الانبياء) وهذا خلاف ما أطبقت عليه الاشاعرة من أهل الكلام والاصول والشافعية من أن أهل الفترة لا يعذبون كما تقدم بسطه وقد ردّ السيوطى كلام النووى هذا بما محصله انا لو اعتبرنا مطلق وجود بعثة الانبياء لاستحال وجود من لم تبلغهم الدعوة اذ ما من فترة الا وقبلها نبى الى آدم وهو أوّل الانبياء ولسقطت الاحاديث والآثار الواردة فى أهل الفترة بأسرها على كثرتها وصحتها ولحكم عليهم أجمعين بأنهم فى النار من غير امتحان وفى هذا الغاء ورد للاحاديث الصحيحة بلا دليل كيف وفى حديث ثوبان اذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم وذكر بقية الحديث فى الامتحان فهذا نص فى المسئلة واذا لم يكن أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم الدعوة فليت شعرى من هم وهل يمكن أن يوجد فى الارض من لم يبلغه أن الله بعث نبيا من لدن آدم وبعثة أنبياء الله ووقائعهم مع أممهم والا كانت مشهورة ولو لم يكن الا بعثة نوح واقامته ألف سنة والطوفان الذى غرق أهل الارض جميعا لكفى على أن العرب ما كانوا مكلفين بشريعة ابراهيم ولا غيره كما دلت عليه الاحاديث وبه صرح القرآن قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك الآيتين أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد قال الطائفتين اليهود والنصارى خاف أن تقوله قريش انتهى وحكى فى شرح الهمزية الاتفاق على أن العرب ما كانوا مكلفين بشرع أحد ورد به كلام النووى هذا وكلام الرازى الذى ذكره المصنف بقوله (وقال الامام فخر الدين من مات مشركا فهو فى النار وان مات قبل البعثة لان المشركين كانوا قد غيروا) الملة (الحنيفية) أى المائلة الى الحق (دين ابراهيم) بدل من الحنيفية (واستبدلوا بها الشرك) أى أخذوه بدلها فالباء داخلة على المتروك وقول الشارح على المأخوذ سبق قلم لان مادة استبدل وتبدل انما تدخل الباء فيهما على المتروك كقوله تعالى أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل (وارتكبوه وليس معهم حجة من الله به ولم يزل معلوما من دين الرسل كلهم من أولهم الى آخرهم قبح الشرك والوعيد عليه) بالتعذيب (فى النار وأخبار عقوبات الله) عليه (لاهله متداولة بين الامم قرنا بعد قرن فلله الحجة البالغة) التامة (على المشركين فى كل وقت وحين ولو لم يكن الا ما فطر الله عباده) أى خلقهم مشتملين (عليه من توحيد ربوبيته وأنه يستحيل فى كل فطرة وعقل) عطف تفسير (أن يكون معه اله آخر) أى أنه خلقهم قابلين لذلك وجواب لو محذوف أى لكفى ذلك فى الحجة (وان كان سبحانه وتعالى لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها) لان الصحيح أن الايمان انما يجب بالشرع لا العقل فهم وان أدركوا بعقولهم لكن لا يعذبهم على عدم الجرى على مقتضى ما أدركوه (فلم تزل دعوة الرسل الى التوحيد فى الارض معلومة لاهلها فالمشرك) بعبادة الاوثان (مستحق للعذاب فى النار لمخالفته دعوى الرسل وهو

مخلد

مخلد فيها دائما) لكن بعد الامتحان فمن عصى خلد فيها ومن أطاع ففى الجنة كما صرحت به الاحاديث وان كانت عبارته لا تؤدى ذلك (كخلود أهل الجنة فى الجنة انتهى) كلام الرازى (وقد تعقب العلامة أبو عبد الله) محمد بن خلف (الأبى من) أجل علماء (المالكية) المتأخرين أخذ عن ابن عرفة واشتهر فى حياته بالمهارة والتقدم فى العلوم وكثرا انتقاده لشيخه مشافهة وربما رجع اليه كما قال أحمد بابا فى ذيل الطبقات وقال الحافظ فى التبصير الأبى بالضم منسوب الى أبة من قرى تونس عصرينا بالمغرب محمد بن خلف الأبى الاصولى عالم المغرب بالمعقول سكن تونس انتهى (فيما وضعه على صحيح مسلم) يعنى شرحه المسمى باكمال الاكمال (قول النووى الماضى وفيه أن من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فى النار الخ بما معناه تأمل ما فى كلامه من التنافى فان من بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل فترة) وهو قد صرح أولا بأنهم أهل فترة فهو تناف (لان أهل الفترة هم الامم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا أدركوا الثانى كالاعراب الذين لم يرسل اليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبى) محمدا (صلى الله عليه وسلم) وأجيب عن التنافى بأن النووى لكن وافقه وان كان مرجوحا يكتفى فى وجوب الايمان على كل أحد ببلوغه دعوة من قبله من الرسل وان لم يكن مرسلا اليه وانما يتأتى التنافى لو ادعى أن الخليل وغيره أرسلوا اليهم وهو لم يدع ذلك (والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين كالفترة) التى (بين نوح وهود لكن الفقهاء اذا تكلموا فى الفترة) وأطلقوا (انما يعنون) الفترة (التى بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام وذكر) أى روى (البخارى عن سلمان) الفارسى موقوفا عليه (انها كانت ستمائة سنة) قال ابن كثير وهو المشهور وقال قتادة خمسمائة وستون والكلبى وأربعون وغيرهما أربعمائة (ولما دلت القواطع) القرآنية نحو أن تقولوا انما أنزل الكتاب وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (على انه لا تعذيب حتى تقوم الحجة) ببعث الرسل (علمنا انهم غير معذبين) اذ لا يجب ايمان ولا يحرم كفر (فان قلت) يرد على هذا انه (قد صحت أحاديث بتعذيب) بعض (أهل الفترة لحديث) البخارى ومسلم عن أبى هريرة مرفوعا (رأيت عمرو بن لحى) بضم اللام وفتح الحاء المهملة وشد الياء وفى رواية لهما أيضا رأيت عمرو بن عامر الخزاعى قال عياض والمعروف فى نسبته الاول وأجاب الأبى أخذا من كلام ابن عبد البر والسهيلى بأن عامرا اسم أبيه ولحى لقب عرف به قال وكونه خزاعيا لا ينافى انه من ولد الياس بن مضر لان خزاعة من مضر ومضر أبو خزاعة وعزو الشارح لكتاب المناقب من البخارى عمرو ابن عامر المخزومى سبق قلم فالذى فيه انما هو الخزاعى وضبطه المصنف فى شرحه بضم الخاء وفتح الزاى المخففة وبالمهملة (يجر قصبه) قال النووى بضم القاف وسكون الصاد قال الاكثرون يعنى أمعاءه (فى النار) بقية الحديث وكان أول من سيب السائبة (و) لحديث مسلم والامام أحمد عن جابر مرفوعا فى حديث أوله يا أيها الناس ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله فذكر الحديث وفيه و(رأيت صاحب المحجن فى النار) وزان مقود خشبة فى طرفها اعوجاج مثل الصولجان قال ابن دريد كل عود معطوف الرأس فهو محجن والجمع

المحاجن قاله المصباح (وهو الذى يسرق الحاج) أى متاعه (بمحجنه فاذا بصر) بضم الصاد وتكسر أى علم (به) أحد فالضمير فى به لصاحب وفى بصر للحاج أى جنسه (قال انما تعلق بمحجنى) لينفى عن نفسه السرقة ولفظ الحديث عند أحمد ومسلم ورأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه فى النار كان يسرق الحاج بمحجنه فان فطن به قال انما تعلق بمحجنى وان غفل عنه ذهب به (أجيب بأجوبة أحدها انها أخبار آحاد) انما تفيد الظن (فلا تعارض القطع) بأنهم غير معذبين وهو القرآن فوجب تقديمه عليها وان صحت (الثانى قصر التعذيب على هؤلاء) اتباعا للوارد ولا نقيس غيرهم عليهم فلا تنافى القاطع (والله أعلم بالسبب) الموقع لهم فى العذاب وان كنا نحن لا نعلمه (الثالث قصر التعذيب المذكور فى هذه الاحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة) كابن لحى (بما لا يعذر به من الضلال كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع فان أهل الفترة ثلاثة أقسام الاول من أدرك التوحيد ببصيرته) أى بعلمه وخبرته فنعمه هذا التبصر عن عبادة غير الله ولا يلزم الاتصاف بالصحة ولا بالاجزاء ولا بغيرهما (ثم من هؤلاء من لم يدخل فى شريعة) بل طلب التوحيد وعبادة الله وانتظر خروج النبى صلى الله عليه وسلم (كقس بن ساعدة) الايادى أول من آمن بالبعثة من أهل الجاهلية وأول من اتكأ على عصا فى الخطبة وأول من قال أما بعد وأول من كتب من فلان الى فلان وعاش ثلثمائة وثمانين سنة وذكر كثير من أهل العلم انه عاش ستمائة سنة وكان خطيبا حكيما عاقلا له نباهة وفضل ذكره المرزبانى وأخرج أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس ان قس بن ساعدة كان يخطب قومه فى سوق عكاظ فقال فى خطبته سيعلم حق من هذا الوجه وأشار بيده نحو مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل من ولد لؤى ابن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش الابد ونعيم لا ينفد فان دعاكم فأجيبوه ولو علمت أنى أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وروى الازدى وغيره من طرق عن أبى هريرة رفعه رحم الله قسا كأنى أنظر اليه على جمل أورق تكلم بكلام له حلاوة لا أحفظه فقال بعض قومه نحن نحفظه فقال هاتوه فذكروا خطبته المشحونة بالحكم والمواعظ وروى ابن شاهين عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله قسا كأنى أنظر اليه على جمل أورق تكلم بكلام لا أحفظه فقال أبو بكر أنا أحفظه قال اذكره فذكره وأخرج عبد الله بن أحمد فى زيادات الزهد لما قدم وفد بكر بن وائل على النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم ما فعل قس ابن ساعدة الايادى قالوا مات يا رسول الله قال كأنى أنظر اليه فى سوق عكاظ على جمل أحمر الحديث قال فى الاصابة قال الجاحظ فى كتاب البيان لقس وقومه فضيلة ليست لاحد من العرب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم روى كلامه وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه وهذا شرف تعجز عنه الامانى وتنقطع دونه الآمال وانما وفق الله ذلك لقس لتوحيده واظهاره الاخلاص وايمانه بالبعث ومن ثم كان قس خطيب العرب قاطبة (وزيد بن عمرو بن نفيل) بضم النون وفتح الفاء والد سعيد بن زيد أحد العشرة وعم عمر بن الخطاب فانه كان ممن طلب التوحيد وخلع الاوثان وجانب الشرك ومات قبل المبعث فروى ابن سعد والفاكهى عن عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن

كعب قال قال لي زيد بن عمرو اني خالفت قومي واتبعت ملة ابراهيم واسمعيل وما كانا يعبدان وكانا يصليان الى هذه القبلة وأنا أنتظر نبيا من بني اسمعيل يبعث ولا أراني أدركه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي وان طالت بك حياة فاقره مني السلام قال عامر فلما أعلمت النبي صلى الله عليه وسلم بخبره رد عليه السلام وترحم عليه وقال رأيته في الجنة يسحب ذيولا وروى الزبير بن بكار عن عروة قال بلغنا أن زيدا كان بالشام فبلغه مخرج النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل يريده فقتل بأرض البلقاء وقال ابن اسحق لما توسط بلاد لخم قتلوه وقيل مات قبل المبعث بخمس سنين وفي حديث البزار والطبراني عن سعيد بن زيد سألت أنا وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال غفر الله له ورحمه فانه مات على دين ابراهيم انتهى من فتح الباري ملخصا وكذا عامر بن الظرب العدواني وقيس بن عاصم التميمي وصفوان ابن أبي أمية الكناني وزهير بن أبي سلمى في جماعة ذكرهم الشهرستاني فلا بدع أن يكون الابوان الشريفان كذلك بل هما أولى كما تقدم (ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم) أي الاثر (كتبع وقومه من حمير وأهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم بلد قريب من اليمن (وورقة بن نوفل وعمه عثمان بن الحويرث) فانهم تنصروا في الجاهلية قبل نسخ دين النصرانية

(القسم الثاني من أهل الفترة وهم من بدل وغير فأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم وهم الاكثر) من العرب (كعمرو بن لحي) بن قمعة بن الياس بن مضر (أول من سن للعرب عبادة الاصنام) روى الطبراني عن ابن عباس مرفوعا أول من غير دين ابراهيم عمرو بن لحي بن قمعة ابن خندف أبو خزاعة وخندف بكسر الخاء المعجمة آخره فاء هي زوج الياس كما مر في النسب الشريف فنسب قمعة لامه وقد ذكر ابن اسحق في سبب ذلك أنه خرج الى الشام وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الاصنام فاستوهبهم واحدا منها وجاء به الى مكة فنصبه الى الكعبة وهو هبل وذكر محمد بن حبيب عن ابن الكلبي ان سبب ذلك انه كان له تابع من الجن يقال له أبو ثمامة فأتاه ليلة فقال أجب أبا ثمامة فقال لبيك من تهامة ادخل بلا ملامة فقال ائت سيف جدة تجد آلهة معدة فخذها ولا تهب وادع الى عبادتها تجب قال فتوجه الى جدة فوجد الاصنام التي كانت تعبد زمن نوح فحملها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الاصنام في العرب ذكره في فتح الباري وقال السهيلي في الروض كان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهما من مكة جعلته العرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسو في الموسم فنحر في موسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة وقد ذكر ابن اسحق انه أول من أدخل الاصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها قال وكانت التلبية من عهد ابراهيم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحي فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو لبيك لا شريك لك فقال الشيخ الا شريكا هو لك فأنكر ذلك عمرو فقال ما هذا فقال قل تملكه وما ملك فانه لا بأس بهذا فقالها عمرو فدانت بها العرب (وشرع الاحكام فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحام)

روى البخارى من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة التى كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شئ والوصيلة الناقة البكر تبكر فى أول نتاج الابل بأنثى ثم تثنى بعد بأنثى فكانوا يسيبونها لطواغيتهم ان وصلت احداهما بالاخرى ليس بينهما ذكر والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شئ وسموه الحام وفى الانوار اذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب زاد فى المدارك ولا تطرد من ماء ولا مرعى وسموها البحيرة وكان الرجل منهم يقول ان شفيت من مرضى أو قدمت من سفرى فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وفى الصحاح السائبة الناقة التى كانت تسيب فى الجاهلية اذا ولدت عشرة أبطن كلها اناث فلا تركب ولا يشرب لبنها الا ولدها والضيف حتى تموت فاذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعا وبحرت أى شقت أذن بنتها الاخيرة فتسمى البحيرة وهى بمنزلة أمها فى أنها سائبة وفى القاموس الناقة كانت تسيب فى الجاهلية لنذر ونحوه أو كانت اذا ولدت عشرة أبطن كلهن اناث سيبت أو كان الرجل اذا قدم من سفر بعيد أو نجت دابته من مشقة أو حرب قال هى سائبة أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظما وكانت لا تمنع عن ماء ولا كلا ولا تركب وفى الانوار واذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم وذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى أخاها فلا يذبح لها الذكر واذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره وفى المدارك اذا ولدت الشاة سبعة أبطن والسابع ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها فهى معنى الوصيلة (وتبعته العرب فى ذلك و) فى (غيره مما يطول ذكره) كعبادة الجن والملائكة وخرق البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها سدنة وحجاب يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومنات

(القسم الثالث من أهل الفترة وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل فى شريعة نبى ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا) ابتكر (اختراع دين بل بقى عمره) أى مدته (على حين غفلة عن هذا كله وفى الجاهلية من كان على ذلك واذا) وحيث (انقسم أهل الفترة الى الثلاثة الاقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثانى ل) أجل (كفرهم بما) بسبب ما (تعدوا به من الخبائث والله تعالى قد سمى جميع هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال أحدهم سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى) فى مقام الرد والانكار لما ابتدعوه (ما جعل) ما شرع (الله من بحيرة ثم قال تعالى ولكن الذين كفروا الآية) يريد يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون أى يفترون عليه فى ذلك ونسبته اليه ولا يعقلون ان ذلك افتراء لانهم قلدوا فيه آباءهم (والقسم الثالث هم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين) اتفاقا ومنه والداه صلى الله عليه وسلم فانهما لم تبلغهما دعوة لتأخر زمانهما وبعد ما بينهما وبين الانبياء السابقين وكونهما فى زمن جاهلية عم الجهل فيها شرقا وغربا وفقد فيها من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها الا نفرا يسيرا من أحبار أهل الكتاب مفرقين

في أقطار الارض كالشام وغيرها وما عهد لهما تقلب في الاسفار سوى المدينة ولا أعطيا عمرا طويلا يسع الفحص عن المطلوب مع زيادة ان أمه صلى الله عليه وسلم مخدرة مصونة محجبة في البيت عن الاجتماع بالرجال لا تجد من يخبرها واذا كان النساء اليوم مع فشو الاسلام شرقا وغربا لايدرين غالب أحكام الشريعة لعدم مخالطتهن الفقهاء فما ظنك بزمان الجاهلية والفترة الذي رجاله لا يعرفون ذلك فضلا عن نسائه ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم تعجب أهل مكة وقالوا أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك وربما كانوا يظنون ان ابراهيم عليه السلام بعث بما هم عليه فانهم لم يجدوا من يبلغهم شريعته على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها اذ كان بينهم وبينه أزيد من ثلاثة آلاف سنة قاله في مسالك الحنفاء والدرج المنيفة ملخصا وتقدم له مزيد (وأما أهل القسم الاول كقس وزيد بن عمرو فقد قال عليه السلام في كل منهما انه يبعث أمة وحده) فأخرج الطيالسي عن سعيد بن زيد انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبي كان كما رأيته وكما بلغك فاستغفر له قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وروى البغوي عن ابن عباس مرفوعا رحم الله قسا اني أرجو أن يبعثه الله أمة وحده وصرح العلماء بأن الرجاء من الله ومن نبيه واقع وروى الطبراني في كبيره وأوسطه بسند رجاله ثقات عنه صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا قيل يارسول الله تترحم على قس قال نعم انه كان على دين أبي اسمعيل بن ابراهيم وأخرج البزار عن جابر قال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل فقلنا يارسول الله انه كان يستقبل القبلة ويقول ديني دين ابراهيم والهي اله ابراهيم قال ذاك أمة وحده يحشر بيني وبين عيسى ابن مريم وقد عدا في الصحابة لكن قال الذهبي فما كذا من أورد قسا في الصحابة كعبدان وابن شاهين وأما زيد فذكره ابن منده والبغوي وغيرهما في كتب الصحابة فيل وايراد البخاري يميل اليه وردّه البرهان بما حاصله ان الثابت انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ومات قبلها فلم ينطبق عليه حد الصحابي وقال في الاصابة فيه نظر لانه مات قبل البعثة بخمس سنين ولكنه يجيء على أحد الاحتمالين في تعريف الصحابي وهو من رأى النبي مؤمنا به هل يشترط كون رؤيته بعد البعثة فيؤمن به حين يراه أو بعد ذلك أو يكفي كونه مؤمنا بأنه سيبعث كما في قصة هذا وغيره انتهى (وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه ما لم يلحق أحدهم الاسلام الناسخ لكل دين) يريد غير تبع فانه لم يدرك الاسلام فقد تقدم حديث لا أدري تبعا ألعينا كان أم لا وحديث لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام قال لم يمت تبع حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم لما كانت يهود يثرب يخبرونه (انتهى) كلام الابي (ملخصا وسيأتي ما قيل في ورقة في حديث المبعث ان شاء الله تعالى) من انه صحابي وانه أول من أسلم مطلقا (فهذا لما تيسر من البحث في مسئلة الوالدين) ولما قوي عند المؤلف توقفه قال (وقد كان الاولى ترك ذلك) تبعا للقول شيخه السخاوي الذي أراه الكف عن ذلك اثباتا أو نفيا (وانما جرنا اليه ما وقع من المباحثة فيه مع علماء العصر) وقد أحسن الامام

السيوطي في قوله ثم اني لم أدع أن المسئلة اجماعية بل هي مسئلة ذات خلاف فحكمها حكم سائر المسائل المختلف فيها غير اني اخترت أقوال القائلين بالنجاة لانه الانسب بهذا المقام (ولقد أحسن الحافظ شمس الدين) محمد (بن ناصر) أي ناصر الدين أبي بكر بن عبد الله بن محمد (الدمشقي) بكسر الدال وفتح الميم وبكسرهما ولد سنة سبع وسبعين وسبعمائة وطلب الحديث وصنف تصانيف حسنة وصار محدث البلاد الدمشقية ومات في ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة (حيث قال) في كتابه مورد الصادي بمولد الهادي بعد ان أخرج الحديث في احياء أمه من طريق الخطيب

(حبا الله النبي مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا
فأحيا أمه وكذا أباه * لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا)

فصرح بضعف الحديث ولم يلتفت لزعم وضعه وكفى به حجة وحبا بمهملة فموحدة أعطى والباء في بذا قدير بمعنى على كما تقدم اللغة ولما ساق المصنف تلك الاحاديث خاف أن يستروح منها انتقاصهما فقال (والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بأنه اذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه) بفتح أوله وسكون النون أفصح من ضم الياء وفتح النون وشد القاف (أو وصف بوصف) قائم (به وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة) كيف وقد روى ابن منده وغيره عن أبي هريرة قال جاءت سبيعة بنت أبي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الناس يقولون أنت بنت حطب النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب فقال ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي ومن آذاني فقد آذى الله (وقد قال عليه السلام لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات رواه الطبراني) في (معجمه (الصغير) وهو عن كل شيخ له حديث واحد من شيوخه وقد أبعد المصنف النجعة فقد رواه أحمد والترمذي عن مغيرة بن شعبة رفعه بلفظ لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء (ولا ريب ان أذاه عليه السلام كفر يقتل فاعله ان لم يتب عندنا) أي الشافعية احترازا عمن يحتم قتله ولو تاب كالمالكية لانه حد فان أنكر ما شهد به عليه أو تاب غسل وصلى عليه ودفن في مقابر المسلمين والا قتل كفرا ودفن بمقابر الكفار بلا غسل وصلاة هذا وقد بينا لك أيها المالكي حكم الابوين فاذا سئلت عنهما فقل هما ناجيان في الجنة اما لانهما أحييا حتى آمنا كما جزم به الحافظ السهيلي والقرطبي وناصر الدين بن المنير وان كان الحديث ضعيفا كما جزم به أولهم ووافقه جماعة من الحفاظ لانه في منقبة وهي يعمل فيها بالحديث الضعيف واما لانهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها كما جزم به الابي واما لانهما كانا على الحنيفية والتوحيد لم يتقدم لهما شرك كما قطع به الامام السنوسي والتلمساني المتأخر محشي الشفاء فهذا ما وقفنا عليه من نصوص علمائنا ولم نر لغيرهم ما يخالفه الا ما يشم من نفس ابن دحية وقد تكفل برده القرطبي (وسيأتي مباحث ذلك ان شاء الله تعالى في الخصائص من مقصد المعجزات) وقد قال السيوطي ومن العلماء من لم تقوعندهم هذه المسالك فأبقوا أحاديث مسلم ونحوها

على

على ظاهرها من غير عدول عنها بنسخ ولا غيره ومع ذلك قالوا لا يجوز لأحد أن يذكر ذلك قال السهيلي بعد ايراد حديث مسلم وليس لنا نحن أن نقول ذلك في أبويه صلى الله عليه وسلم لقوله لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات والله تعالى يقول ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية وسئل القاضي أبو بكر أحد أئمة المالكية عن رجل قال ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم في النار فأجاب بأنه ملعون لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ولا أذى أعظم من أن يقال أبوه في النار ومن العلماء من ذهب الى الوقف روى التاج الفاكهاني في الفجر المنير الله أعلم بحال أبويه وأخرج ابن عساكر وأبو نعيم والهروي في ذم الكلام ان رجلا من كتاب الشام استعمل رجلا على كورة من كوره وكان أبوه يزن بالمنانية فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال ما حملك على أن تستعمل رجلا على كورة من كور المسلمين كان أبوه يزن بالمنانية فقال أصلح الله أمير المؤمنين وما على من كان أبوه كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم مشركا فقال عمر آه ثم سكت ثم رفع رأسه ثم قال أأقطع لسانه أأقطع يده ورجله أأضرب عنقه ثم قال لا تلي لي شيئا ما بقيت وعزله عن الدواوين (ولقد أطنب بعض العلماء في الاستدلال لايمانهما فالله يثيبه على قصده الجميل) وقد بذل السيوطي في ذلك جهده فألف فيه ست مؤلفات حفلة ولذا قيل لعل المصنف أراده فان ذلك عادته في النقل عنه قال في مسالك الحنفاء وقد سئلت أن أنظم في هذه المسئلة أبياتا أختم بها هذا التأليف فقلت

ان الذي بعث النبي محمدا * أنجى به الثقلين مما يجحف
ولامه وأبيه حكم شائع * أبداه أهل العلم فيما صنفوا
فجماعة أجروهما مجرى الذي * لم يأته خبر الدعاة المسعف
والحكم فيمن لم تجئه دعوة * أن لا عذاب عليه حكم مؤلف
فبذاك قال الشافعية كلهم * والاشعرية ما بهم متوقف
وبسورة الاسراء فيه حجة * وبنحو ذا في الذكر آي تعرف
ولبعض أهل الفقه في تعليله * معنى أرق من النسيم وألطف
ونحا الامام الفخر رازي الورى * منحى به للسامعين تشنف
اذ هم على الفطر الذي ولدوا ولم * يظهر عناد منهم وتخلف
قال الاولى ولدوا النبي المصطفى * كل على التوحيد اذ يتحنف
من آدم لابيه عبد الله ما * فيهم أخو شرك ولا يستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة * نجس وكلهم بطهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلبا * في الساجدين فكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين في * أسراره هبطت عليه الذرف
فجزاه رب العرش خير جزائه * وحباه جنات النعيم تزخرف
فلقد تدين في زمان الجاهلية * فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا الـ * صديق ما شرك عليه يعكف

قد فسر السبكى بذاك مقالة * للاشعرى وما سواه مزيف
اذلم تزل عين الرضا منه على الـ * صديق وهو بطول عمر أحنف
عادت عليه صحبة الهادى فما * فى الجاهلية للضلالة يعرف
فلأمه وأبوه أحرى سيما * ورأت من الآيات مالا يوصف
وجماعة ذهبوا الى احيائه * أبويه حتى آمنوا لا تخرفوا
وروى ابن شاهين حديثا مسندا * فى ذاك لكن الحديث مضعف
هذى مسالك لو تفرد بعضها * لكفى فكيف بها اذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته * أدبا ولكن أين من هو منصف
صلى الاله على النبى محمد * ماجدد الدين الحنيف محنف
وعلى صحابته الكرام وآله * أوفى رضاء يدوم لا يتوقف

(وقد قال الحافظ ابن حجر فى بعض كتبه والظن بآله صلى الله عليه وسلم يعنى الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان) يوم القيامة أخرج البزار وأبو يعلى عن أنس قال قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بأربعة يوم القيامة بالمولود والمعتوه ومن مات فى الفترة والشيخ الفانى كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تعالى لعنق من النار ابرز ويقول لهم انى كنت أبعث الى عبادى رسلا من أنفسهم وانى رسول نفسى اليكم ادخلوا هذه فيقول من كتب عليه الشقاء يارب أندخلها ومنها كانفر ومن كتبت عليه السعادة يمضى فيقتحم فيها مسرعا فيقول الله قد عصيتمونى فأنتم لرسلى أشد تكذيبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار وأخرج أحمد وابن راهويه والبيهقى وصححه عن الاسود بن سريع وأبى هريرة مرفوعا أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيأ ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات فى فترة فأما الاصم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما أسمع شيأ وأما الاحمق فيقول رب لقد جاء الاسلام والصبيان يحذفونى بالبعر وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما أعقل شيأ وأما الذى مات فى الفترة فيقول رب ما أتانى لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب اليها وأخرج البزار عن أبى سعيد رفعه الهالك فى الفترة والمعتوه والمولود يقول الهالك فى الفترة لم يأتنى كتاب ويقول المعتوه رب لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا ولا شرا ويقول المولود رب لم أدرك العقل فترفع لهم نار فيردها من كان فى علم الله سعيدا ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيا لو أدرك العمل وروى البزار عن ثوبان والطبرانى وأبو نعيم عن معاذ رفعاه اذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل لنا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت الينا رسولا لكنا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتم ان أمرتكم بأمر أتطيعونى وذكر نحو ما تقدم وفى الباب أحاديث أخر كما مرت الاشارة اليه فاذا أطاع جماعة كما هو صريح الاحاديث فما الظن بالآل الا انهم يطيعون ويدخلون الجنة (اكراما له صلى الله عليه وسلم) وكفى بظن هذا الحافظ حجة اذ لا يقوله الا عن أدلة كالنهار (وقال فى الاحكام) وكذا

في الاصابة (ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب وآل بيته الجنة في جملة من يدخلها طائعا فينجو) لانه ورد ما يدل على انه كان على الحنيفية والتوحيد حيث تبرّأ من الصليب وعابديه فقد روى ابن سعد عن ابن عباس أنه قال لما قدم أصحاب الفيل

لاهمّ انّ المرء يمنع رحله فامنع رحالك

لايغلبنّ صليبهم * ومحالهم عدوا محالك

وأورده جماعة بلفظ وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك وفي طبقات ابن سعد بأسانيده انّ عبد المطلب قال لأمّ أيمن يابركة لاتغفلي عن ابني فاني وجدته مع غلمان قريبا من السدرة وانّ أهل الكتاب يقولون انّ ابني نبيّ هذه الامّة وقال الشهرستاني مما يدل على اثباته المعاد والمبدأ أنه كان يضرب بالقداح على ابنه ويقول

يارب أنت الملك المحمود * وأنت ربي الملك المعيد

من عندك الطارف والتليد

ومما يدل على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوّة انّ أهل مكة لما أصابهم ذلك الجدب أمر أباطالب أن يحضر بالنبيّ صلى الله عليه وسلم وهو صغير فاستسقى به (الا أباطالب) لاينجو (فانه أدرك البعثة ولم يؤمن) وقد ثبت في الصحيح انه أهون أهل النار عذابا قال السيوطيّ فهذا مما يدل على انّ أبوي النبيّ صلى الله عليه وسلم ليسا في النار اذ لو كانا فيها لكانا أهون عذابا منه لانهما أقرب منه مكانا وأبسط عذرا فانهما لم يدركا البعثة ولاعرض عليهما الاسلام فامتنعا بخلافه وقد أخبر الصادق المصدوق انه أهون أهل النار عذابا فليس أبواه من أهلها وهذا يسمى عند أهل الاصول دلالة الاشارة ولم يقل والا أبالهب للقطع بكفره فلا يحتاج لاخراجه (وقد كانت أمّ أيمن) بفتح الهمزة وسكون التحتية وفتح الميم وبالنون ابن عبيد الخزرجيّ المستشهد يوم حنين (بركة) الحبشية (دايته وحاضنته بعد موت أمّه وكان عليه السلام يقول لها أنت أمّي بعد أمّي) أي كأمّي في رعايتك لي وتعظيمي والشفقة عليّ أوفي رعايتي لك واحترامك وقد كانت تدلّ عليه صلى الله عليه وسلم وكان العمران يزورانها بعده وكانت تبكي وتقول أنا أبكي لخبر السماء كيف انقطع عنا ومن مناقبها الشريفة مارواه ابن سعد قال حدّثنا أبو أسامة حماد بن أسامة عن جرير بن حازم قال سمعت عثمان بن القاسم يحدّث قال لما هاجرت أمّ أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء فعطشت فدلّي عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فأخذته فشربته حتى رويت فكانت تقول ما أصابني بعد ذلك عطش ولقد تعرّضت للصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة (ومات جدّه عبد المطلب كافله) بعد أمّه روى انها لما ماتت ضمه جدّه اليه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده وكان يقربه ويدخل عليه اذا خلا واذا نام ويجلس على فراشه وأولاده لايجلسون عليه وذكر ابن اسحق انه كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان لايجلس عليه من بنيه أحد اجلالاله وكان صلى الله عليه وسلم يأتي حتى يجلس عليه فتذهب أعمامه يؤخرونه فيقول عبد المطلب دعوا ابني ويمسح على ظهره بيده ويقول انّ لابني هذا لشأنا (وله) صلى الله عليه وسلم (ثمان سنين) فيما جزم به ابن اسحق وتبعه العراقيّ وتلميذه

الحافظ (وقيل) مات وله (ثمان سنين وشهر وعشرة أيام وقيل) وله (تسع وقيل عشر وقيل ست) حكاها مغلطاى وغيره (وقيل ثلاث) حكاه ابن عبد البر ومغلطاى قائلا (وفيه نظر) لان أقل ماقيل انه كان فى موت أمه ابن أربع سنين واتفقوا على ان جده كفله بعدها فكيف يتأتى أن يكون ابن ثلاث (وله) لعبد المطلب (عشر ومائة سنة) قدمه مغلطاى فتبعه المصنف هنا (وقيل مائة وأربعون سنة) قاله الزبير بن بكار عالم النسب وقال انها اعلى ماقيل فى سنه وجزم به السهيلى والمصنف فيما مرّ وقيل وله مائة وعشرون لكن قال الواقدى ليس ذلك بثبت وقيل خمس وتسعون وقيل ثنتان وثمانون وقيل خمس وثمانون وعمى قبل موته ودفن على ماذكر ابن عساكر بالحجون (وكفله أبو طالب واسمه عبد مناف) عند الجميع وشذ من قال عمران بل هو قول باطل نقله ابن تيمية فى كتاب الرد على الروافض فقال زعم بعض الروافض فى قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران ان آل عمران هم آل أبى طالب وأن اسمه عمران ذكره الحافظ فى الفتح وقال الحاكم تواترت الاخبار أن اسمه كنيته قال ووجدت بخط على الذى لاشك فيه وكتب على بن أبى طالب قال البرهان وقد رأيت بحلب بحارة المغاربة فى مسجد يقال له مسجد غورث فيه عمود أسود مكتوب عليه كتبه على بن أبى طالب وقد ذكر هذا العمود الكمال بن العديم فى أوائل تاريخ حلب وأنه خط على رضى الله عنه انتهى (وكان عبد المطلب أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله) والده دون الحرث ونحوه فالقصر اضافى فلا يرد أن الزبير شقيقه أيضا وقد قيل شاركه فى كفالته وخص أبو طالب بالذكر لامتداد حياته فان الزبير لم يدرك الاسلام وقيل أقرع عبد المطلب بينهما فخرجت القرعة لابى طالب وفى أسد الغابة للحافظ عز الدين بن الاثير كفله أبو طالب لانه شقيق أبيه وكذلك الزبير لكن كفالة أبى طالب اما لوصية عبد المطلب واما لان الزبير كفله حتى مات ثم كفله أبو طالب وهذا غلط لان الزبير شهد حلف الفضول وللمصطفى نيف وعشرون سنة وأجمع العلماء على انه شخص مع أبى طالب الى الشام بعد موت عبد المطلب بأقل من خمس سنين فهذا يدل على ان أبا طالب هو الذى كفله انتهى وذكر الواقدى ان عيال أبى طالب كانوا اذا أكلوا جميعا أو فرادى لم يشبعوا واذا أكل المصطفى معهم شبعوا فكان أبو طالب اذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول كما أنتم حتى يأتى ابنى فيأتى فيأكل معهم فيفضل من طعامهم واذا كان لبنا شرب أولهم ثم يشربون فيروون كلهم من قعب واحد وان كان أحدهم ليشرب قعبا وحده فيقول أبو طالب انك لمبارك وروى أبو نعيم وغيره عن ابن عباس قال كان بنو أبى طالب يصبحون غمصا رمصا ويصبح محمد صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا وكان أبو طالب يحبه حبا شديدا لا يحب أولاده كذلك ولذا لا ينام الا الى جنبه ويخرج به متى خرج وذكر ابن قتيبة فى غريب الحديث انه كان يوضع له الطعام ولصبية أبى طالب فيتطاولون اليه ويتقاصر هو وتمتد أيديهم وتنقبض يده تكرما منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب ويصبحون عمصا رمصا مصفرة ألوانهم ويصبح هو صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كأنه فى أنعم عيش وأعز كفاية لطفا من الله به (وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة) بضم الجيم وتفتح كما فى القاموس

(ابن

(ابن عرفطة) بضم العين والفاء (قال قدمت مكة وهم فى قحط) بسكون الحاء وحكى الفراء فتحها أى وأهل مكة فى زمن شدة لاحتباس المطر عنهم (فقالت قريش) بعد أن تشاوروا فلفظ الحديث عند ابن عساكر قدمت مكة وقريش فى قحط فقائل منهم يقول اعمدوا اللات والعزى وقائل منهم اعمدوا امناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأى أنى تؤفكون وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسمعيل قالوا كانك عنيت أباطالب قال ايها فقاموا بأجمعهم فقمت فدققنا عليه الباب فخرج الينا فثاروا اليه فقالوا (ياأباطالب أقحط) بالبناء للفاعل والمفعول (الوادى) أصابه القحط (وأجدب العيال فهلم) اسم فعل يستعمل متعديا كقوله تعالى هلم شهداءكم ولازما كاهنا (فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام) هو النبى صلى الله عليه وسلم (كأنه شمس دجن) بضم الدال المهملة والجيم وشد النون على مفاد قول القاموس كعتل الظلمة والغيم المطبق الريان المظلم لامطر فيه ثم يحتمل تنوين دجن على الوصف أى كأنه شمس كسيت ظلمة والاضافة أى شمس ذات ظلمة أو ذات يوم دجن أى مظلم (تجلت عنه سحابة قتماء) بفتح القاف وسكون الفوقية والمد تأنيث أقتم أى سحابة يعلوها سواد غير شديد وهذا من بديع التشبيه فان شمس يوم الغيم حين يتجلى سحابها الرقيق تكون مضيئة مشرقة مقبولة للناس ليست محرقة (وحوله أغيلمة) تصغير أغلمة جمع غلام ويجمع أيضا على غلمة وغلمان كما فى القاموس وصغر اشارة الى صغرهم لان الغلام قد يطلق على البالغ كامر (فأخذه) أى الغلام (أبو طالب فألصق ظهره) أى ظهر الغلام (بالكعبة ولاذ) التجأ (الغلام باصبعه) أى اصبع نفسه السبابة على الظاهر لانه الذى يشار به غالبا ولعل المعنى أشار به الى السماء كالمتضرع الملتجئ وفسر الشامى لاذ بطاف والاول أولى وأغرب من رجع ضمير أصبعه لابى طالب أى أمسك المصطفى اصبعه لانه خلاف الظاهر من معنى لاذ لانه انما جاء بمعنى التجأ ودنا وطاف (وما فى السماء قزعة) بقاف فزاى فعين مهملة مفتوحات فهاء أى قطعة من السحاب كما فى القاموس (فأقبل السحاب من ههنا وههنا) أى من جميع الجهات لا من جهة دون أخرى (وأغدق) السحاب أى كثر ماؤه والاسناد مجازى (واغدودق) مرادف فنى القاموس أغدق المطر واغدودق كثر قطره (وانفجر له) للسحاب (الوادى) أى جرى الماء فيه وسال (وأخصب النادى) بالنون أهل الحضر (والبادى) بالموحدة أهل البادية أى أخصبت الارض للفريقين (وفى هذا يقول أبو طالب) يذكر قريشا حين التجاؤه عليه صلى الله عليه وسلم بده وبركته عليهم من صغره (وابيض) بفتح الضاد مجرور برب مقدرة كما صدر به الحافظ كالكرمانى والسيوطى وجزم به فى المغنى أو منصوب قال الحافظ باضمار أعنى أو أخص قال والراجح انه بالنصب عطفا على سيدا المنصوب فى البيت قبله وهو

وما ترك قوم لا أبالك سيدا * يحوط الذمار غير ذرب مواكل

انتهى وبه قطع الدماميني فى مصابيحه ورد به على ابن هشام واستظهره فى شرح المغنى وقال هو من عطف الصفات التى موصوفها واحد أو مرفوع خبر مبتدا محذوف وقاله

قوله تنوين دجن الخ لعل الاولى تنوين شمس كما لا يخفى ولا يخفى أيضا ما فى قوله أى شمس ذات ظلمة الخ فتنبه الخ اه مصححه

الكرمانى وأفاده المصنف عن ضبط الشرف اليونينى فى نسخته من البخارى أى هو أبيض فقوله سيدا معمول ترك بسكون الراء والذمار بكسر الذال المعجمة ما يحق على الانسان حمايته والذرب بذال معجمة وموحدة على زنة كتف سكنت راؤه تخفيفا وهو الحاد والمواكل المتكل على غيره وفى رواية بدل وأبيض وأبلج من البلج بفتحتين وهو نقاء ما بين الحاجبين من الشعر (يستسقى) بالبناء للمفعول (الغمام) السحاب (بوجهه *) أى يطلب السقى من الغمام بوجهه والمراد ذاته أى يتوسل الى الله به (ثمال اليتامى عصمة للارامل) قال الدماميني بنصب ثمال وعصمة ويجوز رفعهما على انهما خبرا محذوف زاد المصنف ويجرهما على أن أبيض مجرور (يلوذ) يلتجئ (به الهلاك) جمع هالك أى المشرفون على الهلاك (من آل هاشم *) واذا التجأ اليه هؤلاء السراة فغيرهم أولى (فهم عنده فى نعمة) بد ومنة على حذف مضاف أى فى ذوى نعمة أى سعة وخير أو جعل النعمة ظرفا لهم مبالغة (وفواضل) عطف خاص على عام ففى القاموس الفواضل الايادى الجسيمة أو الجميلة اذ المراد بالنعمة النعم الكثيرة الشاملة للنعم العظيمة والدقيقة وثبت البيت الثانى فى بعض النسخ وأكثرها بحذفه ويدل له قوله الآتى وهذا البيت حيث لم يقل وهذان البيتان (والثمال بكسر المثلثة) وتخفيف الميم هو (الملجأ والغياث) اسم مصدر من أغاثه أى أعانه ونصره والمراد أنه يلتجأ اليه ويستعان به فهما متساويان معنى (وقيل المطعم فى الشدة) ويصح ارادتهما معا هنا ومن ثم قال الحافظ الثمال العماد والملجأ والمطعم والمغيث والمعين والكافى قد أطلق على كل من ذلك (و) قوله (عصمة للارامل) أى (يمنعهم من الضياع والحاجة) عطف تفسير أى الاحتياج وما ألطف قول الفتح أى يمنعهم مما يضرهم (والارامل المساكين من رجال ونساء) قاله ابن السكيت قال ويقال لهم وان لم يكن فيهم نساء (ويقال لكل واحد من الفريقين على انفراده أرمل) قال جرير

هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

(وهو بالنساء أخص) أليق (وأكثر استعمالا) عطف تفسير (والواحد أرمل و) الواحدة (أرملة) بالهاء وفى الفتح الارامل جمع أرملة وهى الفقيرة التى لا زوج لها وقد يستعمل فى الرجل ايضا مجازا ومن ثم لو أوصى للارامل خص النساء دون الرجال انتهى وفى هذا الحديث من الفوائد أن أبا طالب منشئ البيت وأنه قال يستسقى الغمام بوجهه عن مشاهدة فلا يرد أن الاستسقاء انما كان بعد الهجرة وهو قد مات قبلها وقد شاهده مرة أخرى قبل ذلك فروى الخطابى حديثا فيه ان قريشا تتابعت عليهم سنو جدب فى حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضره من قريش أبا قبيس فقام عبد المطلب واعتضده صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قرب ثم دعا فسقوا فى الحال فقد شاهد أبو طالب ما دله على ما قال ذكره السهيلى فى الروض وقول الفتح يحتمل انه مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد وقوعه عجيب كما قال فى شرح الهمزية وغفلة عن رواية ابن عساكر هذه اذ لو استحضرها لم يبد هذا الاحتمال انتهى وأعجب منه جزم السيوطى به وبنحو هذا لوح المصنف فى المقصد التاسع فقال بعد ذكره احتمال الحافظ قلت

قد أخرج ابن عساكر فذكره (وهذا البيت من أبيات في قصيدة لأبي طالب) على الصواب وقول الدميري وتبعه جماعة انه لعبد المطلب غلط فقد أخرج البيهقي عن أنس قال جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتيناك ومالنا صبي يغط ولا بعير يئط وأنشد أبياتا فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فما ردّ يديه حتى التقت السماء بأبراقها وجاؤا يضجون الغرق فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله درّ أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي يارسول الله كأنك تريد قوله وأبيض يستسقي وذكر أبياتا فقال صلى الله عليه وسلم أجل فهذا نص صريح من الصادق بأن أبا طالب منشئ البيت نبه عليه في شرح الهمزية وقد ساق المصنف خبر البيهقي بتمامه في المقصد التاسع (ذكرها ابن اسحق بطولها وهي) عنده (أكثر من ثمانين بيتا) بثلاثة أبيات في رواية ابن هشام عن البكائي عنه قائلا هذا ماصح له من هذه القصيدة وبعض علماء الشعر ينكر أكثره وفي شرح المصنف للبخاري وعدة أبياتها مائة بيت وعشرة أبيات وفي المزهر قال محمد بن سلام زاد الناس في قصيدة أبي طالب التي فيها وأبيض يستسقي الغمام بوجهه وطولت بحيث لا يدري أين منتهاها وقد سألني الاصمعي عنها فقلت صحيحة فقال أتدري منتهاها قلت لا وذكر ابن اسحق انه (قالها لما تمالأت) اجتمعت (قريش على) أذى (النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الاسلام) لا عقب استسقائه في صغره به ولذا قلت في قوله السابق وفي ذلك يقول أبو طالب يذكر قريشا حين التمالؤ عليه يده وبركته من صغره ليلتئم مع كلام ابن اسحق هذا فلا يصح زعم انه أنشد البيت اثر هذه الواقعة ثم كملها بعد البعث اذ مجرد قوله وفي ذلك يقول لا يستلزم كونه قاله عقب الاستسقاء (وأولها) عند ابن اسحق وتبعه في الفتح (لما رأيت علمت (القوم) قريشا (لاود عندهم *) لنا ولفظ ابن اسحق فيهم وهو ما في الفتح (وقد قطعوا كل العرى) جمع عروة قال الشامي اراد بها العهود (والوسائل) جمع وسيلة وهي القربة يقال وسل الى ربه وسيلة اذا تقرب بعمل اليه والوسيلة المنزلة عند الملك انتهى (وقد جاهرونا) معشر بني هاشم (بالعداوة والاذى * وقد طاوعوا) فينا (أمر العدوّ المزايل) قال الشامي هو المحاول المعالج وقال شيخنا هو المفارق ففي المختار المزايلة المفارقة وبعد هذين البيتين

وقد حالفوا قوما علينا أظنه * يعضون غيظا خلفنا بالانامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة * وأبيض عضب من تراث المقاول

فقوله صبرت الخ جواب لما ومرّ الناظم في غرضه الى أن قال ما أنشده المصنف وهو (أعبد) الهمزة للنداء بتقدير مضاف أي يا آل عبد (مناف أنتم خير قومكم * فلا تشركوا في أمركم كل واغل) هو الضعيف النذل الساقط المقصر في الاشياء والمدعى نسبا كاذبا والداخل على القوم في طعامهم وشرابهم كما في القاموس وفيه النذل أي بذال معجمة الخسيس من الناس المحتقر في جميع أحواله (فقد خفت ان لم يصلح الله أمركم *) بالايمان به صلى الله عليه وسلم (تكونوا كما كانت) تصيروا كما صارت (أحاديث وائل أعوذ برب الناس)

خالقهم ومالكهم وخصوا بالذكر فى التنزيل وكلام العرب تشريفا لهم (من كل طاعن * علينا بسوء أو ملح) أى متماد (بباطل) يقال ألح على الشئ اذا واظب عليه وبعد هذا البيت عند ابن اسحق

ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة * ومن ملحق فى الدين مالم نحاول

وبعده قوله (وثور) بمثلثة مفتوحة فواو فراء جبل (ومن أرسى) أثبت (ثبيرا) بمثلثة مفتوحة فموحدة مكسورة فتحتية فراء (مكانه * وراق) صاعد (لبر) بموحدة ضد الاثم (فى حراء) بالمد (ونازل) فيه من النزول هكذا رواه ابن اسحق وغيره وأما ابن هشام فقال وراق ليرقى من الرقى قال السهيلى وهو وهم منه أو من شيخه البكائى وقد قال البرقى وغيره الصواب الاول وفى الشامية انه تصحيف ضعيف المعنى فمعلوم أن الراقى يرقى فانما أقسم بطالب البر يصعد فى حراء للتعبد فيه وبالنازل فيه (وبالبيت) الكعبة (حق البيت فى بطن بكة *) بموحدة لغة جاء بها التنزيل (وبالله) كرر القسم به تأكيدا فانه أقسم به فى قوله ومن أرسى (ان الله ليس بغافل) عما تعملون من عداوتكم لنا وللنبى صلى الله عليه وسلم وتمالئكم عليه وتنفيركم من يريد الاسلام فيجازيكم على ذلك أشد النكال ان لم ترجعوا وبعد هذا البيت عند ابن اسحق أربعة عشر بيتا وبعدها قوله (كذبتم وبيت الله) فى قولكم (نبزى) بضم النون وسكون الموحدة وفتح الزاى نقهر ونغلب (محمدا *) كذا ضبطه الشامى لكن فى النهاية انه بالتحتية بدل النون ورفع محمد على انه نائب فاعل يبزى ولفظه يبزى أى يقهر ويغلب أراد لا يبزى فحذف لا من جواب القسم وهى مرادة أى لا يقهر (ولما نطاعن) مجزوم بلما وحذف المفعول ليعم أى نطاعنكم وغيركم (دونه ونناضل) بنونين وضاد معجمة (ومنها) قوله بلصق هذا البيت فالاتى حذف ومنها كما هو فى نسخ (ونسلمه) لكم معشر قريش تفعلون به ماشئتم كما قلتم لا (حتى نصرع حوله * و) حتى (نذهل) نغفل (عن أبنائنا والحلائل) الزوجات واحدها حليلة (ومعنى نناضل نجادل ونخاصم وندافع) عنه وقال الشامى نرامى بالسهام (ونبزى هو بالباء الموحدة والزاى نقهر) وقال الشامى معناه نسلب ونغلب انتهى وما أحلى قوله فى ختامها عند ابن اسحق

لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد * وأحببته دأب المحب المواصل
فمن مثله فى الناس أى مؤمل * اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش * يوالى الها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجئ بسبة * تجر على أشياخنا فى المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة * من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فأصبح فينا أحمد فى أرومة * تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفسى دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

(قال) الامام عبد الواحد (بن التين) السفاقسى فى شرح البخارى قال البرهان

قوله وفتح الزاى هكذا فى النسخ ولعل صوابه وكسر الزاى كما يستفاد من عبارة الصحاح اه مصححه

في مبحث انشقاق القمر والنطق به كالنطق بالتين المأكول (ان في شعر أبي طالب هذا دليلا على انه كان يعرف نبوّة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا الراهب (وغيره من شأنه) وكأنه أخذ ذلك من كون الاستسقاء به في صغره وليس بلازم كما مرّ (و) لذا (تعقبه الحافظ أبو الفضل بن حجر) في الفتح (بأن ابن اسحق ذكر أن انشاء أبي طالب لهذا الشعر كان بعد المبعث) ووصفه فيه بما شاهده من أحواله ومنها الاستسقاء به في صغره (ومعرفة أبي طالب بنبوّته عليه السلام جاءت في كثير من الاخبار) فلا حاجة الى أخذها من شعره هذا (وتمسك بها الشيعة) بكسر الشين اسم لطائفة من الفرق الاسلامية شايعوا عليا رضي الله عنه وقالوا انه الامام بعده صلى الله عليه وسلم بالنص اما جليا واما خفيا واعتقدوا أن الامامة لا تخرج عنه وعن أولاده وان خرجت فاما بظلم من غيرهم واما بتقية منه ومن أولاده وهم اثنتان وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا أصولهم ثلاث فرق غلاة وزيدية وامامية قاله في المواقف وشرحها وفي مقدمة فتح الباري التشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فغال في تشيعه ويطلق عليه رافضي والا فشيعي فان انضاف الى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغال في الرفض وان اعتقد الرجعة الى الدنيا فأشد في الغلو انتهى (في انه كان مسلما) وهو تمسك واه لان مجرد المعرفة بالنبوّة لا يستلزم الاسلام (قال ورأيت لعلي بن حمزة البصري) الرافضي (جزأ جمع فيه شعر أبي طالب وزعم انه كان مسلما وانه مات على الاسلام و) زعم (أن الحشوية) بفتح الحاء والشين وبضم الحاء وسكون الشين وهم المتمون للظاهر قيل سموا بذلك لقول الحسن البصري لما رأى سقوط كلامهم وكانوا يجلسون في حلقته ردوا هؤلاء الى حشا الحلقة أي جانبها (تزعم انه مات كافرا) وانهم بذلك يستجيزون لعنه ثم بالغ في سبهم والرد عليهم (واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه) قال وقد بينت فساد ذلك كله في الاصابة (انتهى) كلام الحافظ في كتاب الاستسقاء وقال في باب قصة أبي طالب انه وقف على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام أبي طالب ولا يثبت من ذلك شيء انتهى (ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة) قاله الاكثر وقيل تسع سنين قاله الطبري وغيره وقيل ثلاثة عشر حكاه أبو عمر وقال ابن الجوزي قال أهل السير والتواريخ لما أتت عليه صلى الله عليه وسلم اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام وفي سيرة مغلطاي وشهر ويمكن حمل القول الاول عليه بأن المراد وما قاربها (خرج مع عمه أبي طالب) قاصدا (الى الشام) وسبب ذلك كما في ابن اسحق أن اباطالب لما تهيأ للرحيل صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له أبو طالب وقال والله لاخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا فخرج به معه وصب بصاد مهملة فموحدة قال السهيلي الصبابة رقة الشوق يقال صببت بكسر الباء أصب وقرئ أصب اليهن وعند بعض الرواة ضبث به أي لزمه قال الشاعر

كأن فؤادي في يد ضبثت به * محاذرة أن يقضب الحبل قاضبه

انتهى وفي النور ضبث بفتح الضاد المعجمة والموحدة وبالمثلثة انتهى فهما روايتان فقصر من

قيصر على الشام (حتى بلغ بصرى) بضم الموحدة مدينة حوران فتحت صلحا لخمس بقين من ربيع الاول سنة ثلاث عشرة وهي أول مدينة فتحت بالشام ذكره ابن عساكر وورد ها عليه السلام مرتين (فرآه بحيرا الراهب) وكان اليه علم النصرانية قال ابن اسحق (واسمه جرجيس) بكسر الجيمين بينهما راء وبعد الثانية تحتية فسين مهملة هكذا رأيته بخط مغلطاى في الزهر وصحح عليه وكذا في الاصابة غير مصروف للعجمة والعلمية وهو في الاصل اسم نبي" قاله الشامي" قال السهيلي" وصاحب الاصابة وقع في سيرة الزهري" أن بحيرا كان حبرا من أحبار يهود تيما وفي مروج الذهب للمسعودي" انه كان نصرانيا من عبد القيس واسمه سرجس قال البرهان هكذا في نسخة صحيحة من الروض وأخرى قريبة من الصحة وفي الشامية قال المسعودي" اسمه جرجس كذا فيما وقفت عليه من نسخ الروض (فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده) كما رواه الترمذي" والبيهقي" في الدلائل والخرائطي" وابن أبي شيبة عن أبي موسى قال خرج أبو طالب الى الشام ومعه النبي" صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب يعني بحيرا هبطوا فحلوا رحالهم فخرج اليهم وكان قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت قال فنزل وهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (هذا سيد المرسلين هذا سيد العالمين) ذكره لافادة تعميم السيادة نصا وان استلزمه ما قبله (هذا يبعثه الله رحمة للعالمين) كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ففيه أن معنى الآية كان عندهم في الكتب القديمة (فقيل له) وفي رواية الترمذي" والجماعة فقال له الاشياخ من قريش (وما علمك بذلك) أي" علمك به نحو وما علمي بما كانوا يعملون (قال انكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبي" واني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل من غضروف كتفه) بضم الغين وسكون الضاد المعجمتين فراء مضمومة فواو ساكنة وهو رأس لوح الكتف ويقال غرضوف بتقديم الراء وقدمه الجوهري" (مثل التفاحة وانا نجده في كتبنا وسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود رواه ابن أبي شيبة) عن أبي موسى الاشعري" قال السخاوي" وهو اما أن يكون تلقاه من النبي" صلى الله عليه وسلم فيكون أبلغ أو من بعض كبار الصحابة أو كان مشهورا أخذه بطريق الاستفاضة (وفيه انه صلى الله عليه وسلم أقبل وعليه غمامة تظله) ولفظه ثم رجع يصنع لهم طعاما فلما أتاهم به وكان هو في رعية الابل فقال أرسلوا اليه فأقبل وغمامة تظله الحديث وتأتي بقيته في كلام المصنف وساق ابن اسحق الحديث بلفظ انه صنع اليهم طعاما وأرسل اليهم أن احضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم والله يا بحيرا ان لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم قال له بحيرا صدقت ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلوا منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحالهم فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن منكم أحد عن طعامي فقالوا له يا بحيرا ما تخلف عن طعامك أحد ينبغي له أن يأتيك الا غلام أحدث القوم سنا فتخلف في رحالهم فقال لا تفعلوا ادعوه

فليحضر معكم فقال رجل من قريش ان كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا فقام الحرث بن عبد المطلب فأتى به الحديث وفيه انه أحضرهم للطعام وأن المصطفى تخلف لحداثته وفى السابق انه أتى لهم بالطعام وأن النبى عليه السلام كان فى رعية الابل واسناده صحيح فوجب تقديمه على خبر ابن اسحق لانه معضل وعلى تقدير ثبوته فيحتمل على بعد انه صنع لهم الطعام مرتين (وبحيرا بفتح الموحدة وكسر) الحاء (المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورا) قاله غير واحد قال الشامى ورأيت بخط مغلطاى والمحب بن الهائم وغيرهما عليها مدة وقال البرهان رأيته ممدودا بخط الامام شهاب الدين بن المرحل (قال الذهبى فى تجريد الصحابة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المبعث وآمن به) كما أفاده هذا الخبر وأصرح منه ما فى الاصابة عن أبى سعد فى شرف المصطفى انه صلى الله عليه وسلم مر بحيرا أيضا لما خرج فى تجارة خديجة ومعه ميسرة وان بحيرا قال له قد عرفت العلامات فيك كلها الا خاتم النبوة فاكشف لى عن ظهرك فكشف له عن ظهره فرآه فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله النبى الامى الذى بشر به عيسى ابن مريم ولا يشكل على ما مر انه رأى الخاتم وهو مع عمه لاحتمال انه نسى صورة ما رآه أو تردد فى انه الخاتم فأراد التثبت (وذكره ابن منده) بفتح الميم والدال المهملة بينهما نون ساكنة كما ضبطه ابن خلكان (وأبو نعيم فى الصحابة) لهما (وهذا) الذى قاله الذهبى (ينبنى على تعريف الصحابى بمن رآه صلى الله عليه وسلم هل المراد حال النبوة) وهو ظاهر كلامهم وعليه صاحب الاصابة اذ قال لا ينطبق عليه تعريف الصحابى وهو مسلم لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك فقولنا مسلم أظن انه يخرج من لقيه مؤمنا به قبل أن يبعث كبحيرا هذا ولا أدرى أدرك البعثة أم لا (أو أعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبلها على دين الحنيفية) كزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه (وهو محل نظر) أى بحث بينهم (وسيأتى البحث فيه ان شاء الله تعالى فى المقصد السابع وخرج الترمذى وحسنه) فقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه (والحاكم وصححه) فقال على شرطهما وكذا اخرجه البيهقى وأبو نعيم والخرائطى وابن عساكر فى حديث أبى موسى السابق صدره وكان المناسب لو أتى بالحديث دون تقطيع ثم عقبه بالتكلم على بحيرا وعلى أشكاله الآتى (ان فى هذه السفرة أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله عليه السلام) ولفظه عقب قوله السابق فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس مال فىء الشجرة عليه فقال انظروا الى فىء الشجرة مال عليه قال فبينا هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به الى الروم فان الروم ان عرفوه بالصفة فيقتلونه فالتفت فاذا سبعة قد أقبلوا من الروم (فاستقبلهم بحيرا فقال ما جاء بكم فقالوا ان هذا النبى الذى بشر به فى كتبنا فاللام للعهد (خارج فى هذا الشهر) أى الى السفر لا الى النبوة لانه حينئذ كان صغيرا (فلم يبق طريق الا بعث) بالبناء للمفعول أى بعث ملكهم (اليها بأناس) وأسقط من الحديث ما لفظه وانا قد أخبرنا خبره بعثنا الى طريقك هذا فقال هل خلفكم أحد هو خير منكم قالوا انما أخبرنا خبره بطريقك هذا (فقال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل

فيقتلونه أى فهم يقتلونه فجواب الشرط جملة اسمية تأمل اهـ مصححه

يستطيع أحد من الناس ردّه قالوا لا قال فبايعوه) بفتح الياء خبر لا أمر قال ابن سيد
الناس ان كان المراد فبايعوا بحيرا على مسالمة النبى صلى الله عليه وسلم فقريب وان كان غير
ذلك فلا أدرى ماهو قال المحب بن الهائم الاول هو الظاهر لتوافق الضمير فيه وفى (وأقاموا
معه) ومعناه بايعوه على أن لا يأخذوا النبى صلى الله عليه وسلم ولا يؤذوه على حسب ما
أرسلوا فيه وأقاموا مع بحيرا خوفا على أنفسهم اذا رجعوا بدونه قال وهذا وجه حسن جدا
انتهى وخفى هذا على الحافظ الدمياطى فقرأه بكسر الياء أمرا وحكم بأنه وهم (وردّه)
أى النبى صلى الله عليه وسلم (أبو طالب) بامر بحيرا فى حديث الترمذى والجماعة بعده
فاقاموا معه فقال أنشدكم بالله أيكم وليه قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى ردّه أبو طالب
(وبعث معه أبو بكر بلالا) بقية الحديث وزوّده الراهب من الكعك والزيت (قال البيهقى
هذه القصة مشهورة عند أهل المغازى انتهى وضعف) الحافظ محمد بن أحمد (الذهبى الحديث
لقوله فى آخره وبعث معه أبو بكر بلالا فان أبا بكر اذ ذاك لم يكن متأهلا) قال ابن سيد الناس
لانه حينئذ لم يبلغ عشر سنين فان المصطفى أزيد منه بعامين وكان له يومئذ تسعة أعوام على ما
قاله الطبرى وغيره أو اثنا عشر عاما على ما قاله آخرون (ولا اشترى بلالا) قال اليعمرى لانه
لم ينتقل لابى بكر الا بعد ذلك بأزيد من ثلاثين عاما فانه كان لبنى خلف الجمحيين وعند ما عذب
فى الله اشتراه أبو بكر رحمة له واستنقاذا له من أيديهم وخبره بذلك مشهور انتهى ولفظ الذهبى
فى الميزان فى ترجمة عبد الرحمن بن غزوان كان يحفظ وله مناكير وأنكر ماله حديث عن
يونس بن أبى اسحق عن أبى بكر بن أبى موسى عن أبى موسى فى سفر النبى صلى الله عليه وسلم
وهو مراهق مع أبى طالب الى الشام وقصة بحيرا ومما يدل على انه باطل قوله وبعث معه
أبو بكر بلالا وبلال لم يكن خلق وأبو بكر كان صبيا وقال فى تلخيص المستدرك بعد ما ذكر
قول الحاكم على شرطهما قلت أظنه موضوعا فبعضه باطل انتهى وردّ قوله بلال لم يكن
خلق بأن ابن حبان قال فى الثقات ان بلالا كان ترب الصديق أى قرينه فى السن (قال
الحافظ ابن حجر فى الاصابة الحديث رجاله ثقات) من رواة الصحيح وعبد الرحمن بن غزوان
ممن خرج له البخارى ووثقه جماعة من الائمة والحفاظ قال السخاوى ولم أر لاحد فيه
جرحا (وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على انها مدرجة) ملحقة (فيه) من أحد
رواته من غير تمييزلها عن الحديث (مقتطعة من حديث آخر وهما) بفتح الهاء غلطا (من
أحد رواته) فلا يحكم على جميع الحديث بالضعف ولا بغيره لاجلها بل عليها فقط لكون
رجاله ثقات (وفى حديث عند البيهقى) فى الدلائل (وأبى نعيم) فى حديث أبى موسى
السابق (ان بحيرا رأى) تأمل (وهو فى صومعته فى الركب) لعلمه بخروج المصطفى للسفر
حينئذ من الكتب القديمة وهذا أولى من تقدير المفعول وجعل رأى بصرية وفى نسخة رآه
أى رأى بحيرا النبى عليه السلام والصومعة منزل الراهب قال البرهان يقال أتانا بثريد
مصمعة اذا دققت وحدد رأسها وصومعة النصارى فوعلة من هذا لانها دقيقة الرأس
(حين أقبلوا وغمامة بيضاء تظله من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه)
من بحيرا (فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت) قال البرهان بالصاد المهملة

المشددة

المشددة أى مالت وتدلت الشجرة (على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها الحديث) وفى الزهر الباسم عن الواقدى انه صلى الله عليه وسلم لما فارق تلك الشجرة التى كان جالسا تحتها وقام انقلعت من أصلها حين فارقها (وفيه أن بحيرا قام فاحتضنه) صلى الله عليه وسلم (وأنه جعل يسأله عن أشياء) وعند ابن اسحق انه قال له يا غلام أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه فقال صلى الله عليه وسلم لا تسألنى بهما شيأ فوالله ما أبغضت شيأ قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه فقال له سلنى عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء (من حاله ونومه وهيئته وأموره) ليعلم هل هو هو أو غيره (ويخبره صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك) الذى يخبره به (ما عند بحيرا من صفته) وانما سأله بحق اللات والعزى اختبارا كما فى الشفاء وهو أنسب من قول ابن اسحق لانه سمع قومه يحلفون بهما (ورأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده) وعند ابن اسحق فلما فرغ أقبل على عمه فقال له ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو ابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخى قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به الى بلاده فخرج به أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام (وتقدم) فى حديث اقامته صلى الله عليه وسلم فى بنى سعد بعد الفطام (أن أخته الشيما بنت حليمة رأته فى الظهيرة) هى انتصاف النهار مطلقا أو انما ذاك فى القيظ حكاهما المجد (وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت رواه أبو نعيم وابن عساكر ولله در القائل ان قال يوما) المراد ان دخل فى وقت القيلولة وان لم ينم فيه سائرا أو غير سائر (ظللته غمامة * سحابة (هى فى الحقيقة تحت ظل القائل) أى فى كنفه وستره من قولهم فلان يعيش فى ظل فلان أى كنفه والمعنى أن الغمامة هى المحتاجة له للتبرك به وليس هو محتاجا لها (ونقل الشيخ بدر الدين الزركشى عن بعض أهل المعرفة انه صلى الله عليه وسلم كان معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس) بضم الياء من أحس بالشئ اذا شعر (بالحر ولا بالبرد وانه كان فى ظل غمامة) ناشئة (من اعتداله) كأنها أخذت منه والقصد المبالغة فى كماله حتى صلح لان تؤخذ الغمامة منه ثم تظله فلا يعترض عليه بأن كلامه يقتضى انه تمثيل فيخالف ما شوهد من تظليل الغمام أو من بمعنى الى أى الى كمال اعتداله بالنبوة دون ما بعدها أو المعنى انها ظللته لكمال الاعتدال فيه اكراما له لا لاحتياجه اليها (كذا قال رحمه الله) تبرأ منه لانه بعد هذه العنايات فى فهمه مناف لما تشهد به الاحاديث من انه عليه السلام كان يحس بالبرد والحر ففى حديث الهجرة عند البخارى ان الشمس اصابته صلى الله عليه وسلم وظلله أبو بكر بردائه وفى البخارى أيضا انه كان بالجعرانة وعليه ثوب قد أظل به وروى ابن منده والبيهقى مرفوعا لا أصبر على حر ولا برد وروى أحمد بسند جيد أنه صلى الله عليه وسلم وضع يده فى طعام حار فاحترقت أصابعه فقال حس (وأخرج) أبو عبد الله محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى (بن منده) الاصبهانى الحافظ الجوال ختام الرحالين وفرد المكثرين مع الحفظ والمعرفة والصدق

قوله ونومه فى بعض نسخ المتن من نومه اهـ

وكثرة التصانيف سمع ألفا وسبعمائة وعاد من رحلته وكتبه أربعون جملا قال المستغفري ما رأيت أحفظ منه مات سنة خمس وخمسين وثلثمائة (بسند ضعيف عن ابن عباس ان أبا بكر الصديق صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة) سنة (والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة) فهو أسنّ منه بعامين وهذا قول الجمهور وما رواه حبيب بن الشهيد عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الاصم مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر من أكبر أنا أو أنت فقال أنت أكبر وأكرم وخير مني وأنا أسنّ منك فقال في الاستيعاب لا نعرفه الا بهذا الاسناد وأحسبه وهما والقول جمهور أهل العلم بالاخبار والسير والآثار ان أبا بكر استوفى بمدة خلافته سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم يريدون الشام في تجارة حتى نزلا منزلا فيه سدرة فقعد) عليه السلام (في ظلها ومضى أبو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شئ فقال له من الرجل الذي في ظل الشجرة قال) هو (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال) بحيرا (هذا والله نبي ما استظل تحتها بعد عيسى عليه السلام الا محمد) وكأنه علم ذلك من رؤيته في كتبهم أو بقرائن قوية وبأتي قريبا مزيد لذلك عن السهيلي (ووقع في قلب أبي بكر التصديق فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اتبعه) سريعا فكان أول الناس ايمانا (قال الحافظ أبو الفضل بن حجر في الاصابة ان صحت هذه القصة) في نفس الامر أو بورودها من طريق آخر قال ذلك لضعف اسنادها (فهي سفرة أخرى بعد سفرة أبي طالب انتهى) وفيه توهين قول بعضهم هذا السفر هو الذي كان مع أبي طالب فان أبا بكر حينئذ كان معه انتهى للاتفاق على انه في ذلك السفر ما بلغ هذا السن ولا قاربه فان غاية ما قيل انه كان في الثالثة عشر

* تزوجه عليه السلام خديجة *

(ثم خرج صلى الله عليه وسلم أيضا) الى الشام مرة ثانية وسبب ذلك كما رواه الواقدي وابن السكن أن أبا طالب قال يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت أكره أن تأتي الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بدا فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل الي في ذلك فقال أبو طالب اني أخاف أن تولي غيرك فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقبل ذلك صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه فقالت ما علمت انه يريد هذا وأرسلت اليه وقالت دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لعمه فقال ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج (ومعه ميسرة غلام خديجة) قال في النور لا ذكر له في الصحابة فيما أعلمه والظاهر أنه توفي قبل البعث ولو أدركه لاسلم وفي الاصابة لم أقف على رواية صحيحة صريحة في انه بقي الى البعثة فكتبته على الاحتمال وفيه أن الصحبة لا تثبت بالاحتمال بل كما قاله هو في شرح نخبته بالتواتر والاستفاضة أو الشهرة أو بأخبار بعض الصحابة أو بعض ثقات التابعين أو باخباره عن نفسه بانه صحابي اذا دخل تحت الامكان (بنت خويلد بن أسد في تجارة لها) وعند

الواقدي

الواقدى وغيره وكانت خديجة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فتكون عيرها كعامة عير قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع اليهم المال مضاربة وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن منهم تاجرا فليس عندهم بشئ فسار صلى الله عليه وسلم (حتى بلغ سوق بصرى) رواه الواقدى وابن السكن وغيرهما (وقيل سوق حباشة) بحاء مهملة مضمومة فموحدة فألف فشين معجمة فتاء تأنيث قال فى الروض سوق من أسواق العرب انتهى وهذا القول رواه الدولابى عن الزهرى ولفظه استأجرته خديجة الى سوق حباشة وهو سوق (بتهامة) بكسر التاء اسم لكل ما نزل عن نجد الى بلاد الحجاز ومكة من تهامة قال ابن فارس فى مجمله سميت تهامة من التهم بفتح التاء والهاء وهو شدة الحر وركود الريح وفى المطالع سميت بذلك لتغير هوائها يقال تهم الدهن اذا تغير وذكر الحازمى فى مؤتلفه انه يقال فى أرض تهامة تهائم انتهى وقيد بذلك لان حباشة مشترك ففى القاموس حباشة كثمامة سوق بتهامة القديمة وسوق آخر كان لبنى قينقاع (وله) صلى الله عليه وسلم (خمس وعشرون سنة) فيما رواه الواقدى وابن السكن وصدر به ابن عبد البر وقطع به عبد الغنى قال فى الغرر وهو الصحيح الذى عليه الجمهور وقيل غير ذلك كما يأتى (لاربع عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة فنزل تحت ظل شجرة) فى سوق بصرى قريبا من صومعة نسطورا الراهب فاطلع الى ميسرة وكان يعرفه (فقال نسطورا الراهب) بفتح النون وسكون السين وضم الطاء المهملتين قال فى النور وأراه مقصورة كذا يحفظه ولم أر أحدا ضبطه ولا تعرض لعده فى الصحابة وينبغى أن الكلام فيه كالكلام فى بحيرا وعند الواقدى وابن اسحق فقال ياميسرة من هذا الذى تحت هذه الشجرة فقال رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب (ما نزل تحت هذه الشجرة) زاد ابن اسحق قط (الا نبى وفى رواية بعد عيسى) قال السهيلى يريد ما نزل تحتها هذه الساعة ولم يرد ما نزل تحتها قط الا نبى لبعد العهد بالانبياء قبل ذلك وان كان فى لفظه قط فقد تكلم بها على جهة التوكيد للنفى والشجر لا يعمر فى العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى انه لم ينزل تحتها الا عيسى أو غيره من الانبياء ويبعد فى العادة أيضا أن تخلو شجرة من نزول أحد تحتها حتى يجئ نبى الا أن تصح رواية من قال فى هذا الحديث أحد بعد عيسى ابن مريم وهى رواية عن غير ابن اسحق فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية انتهى وأقره مغلطاى والبرهان وتعقبه العز بن جماعة بأنه مجرد استبعاد لا دلالة فيه على امتناع ولا استحالة وبأنه استبعاد يعارضه ظاهر الخبر وكون متعلقات الانبياء مظنة خرق العادة فلا يكون ذلك حينئذ من طول البقاء وصرف غير الانبياء عن النزول تحتها بعيدا وذلك واضح انتهى وأيد بما ذكره أبو سعد فى الشرف ان الراهب دنا اليه صلى الله عليه وسلم وقبل رأسه وقدميه وقال آمنت بك وأنا أشهد انك الذى ذكره الله فى التوراة فلما رأى الخاتم قبله وقال أشهد أنك رسول الله النبى الامى الذى بشر بك عيسى فانه قال لا ينزل بعدى تحت هذه الشجرة الا النبى الامى الهاشمى العربى المكى صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد وعند الواقدى وابن السكن ثم قال له فى عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه أبدا قال الراهب هو هو وهو آخر الانبياء ويا ليت انى أدركه حين يؤمر

قوله عبد الغنى فى بعض النسخ ابن عبد الغنى وليحرر اه

بالخروج فوعى ذلك ميسرة ثم حضر صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التى خرج بها واشترى وكان بينه وبين رجل اختلاف فى سلعة فقال الرجل احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة وخلا به هذا نبى والذى نفسى بيده انه لهو الذى تجده أحبارنا منعوتا فى كتبهم فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعا (وكان ميسرة يرى فى الهاجرة ملكين يظلانه فى الشمس) فيه جواز رؤية الملائكة وبه وبرؤية الجن صرح فى الحديث الصحيح وأما قوله انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فمحمول على الغالب ولو كانت رؤيتهم محالة لما قال صلى الله عليه وسلم فى الشيطان لقد هممت أن أربطه حتى تصبحوا تنظروا اليه كلكم (ولما رجعوا الى مكة فى ساعة الظهيرة وخديجة فى علية) بكسر العين والضم لغة كما فى المصباح وسوى بينهما فى النور أى غرفة والجمع العلالى بالتشديد والتخفيف (لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يظلان عليه رواه أبو نعيم) زاد غيره فأرته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها صلى الله عليه وسلم فأخبرها بما ربحوا فسرت فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت فقال قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام وأخبرها بقول نسطورا وقول الآخر الذى خالفه فى البيع وقدم صلى الله عليه وسلم بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح وأضعفت له ما كانت سمته له (وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك) أى قدومه من الشام (بشهرين وخمسة وعشرين يوما) قاله ابن عبد البر وزاد أن ذلك عقب صفر سنة ست وعشرين (وقيل كان سنه) صلى الله عليه وسلم (احدى وعشرين سنة) قاله الزهرى (وقيل ثلاثين) سنة حكاه ابن عبد البر عن أبى بكر بن عثمان وغيره وقال ابن جريج كان سبعا وثلاثين سنة وقال البرقى تسعا وعشرين قد راهق الثلاثين وقيل غير ذلك (وكانت تدعى فى الجاهلية بالطاهرة) لشدة عفافها وصيانتها وفى الروض كانت تسمى الطاهرة فى الجاهلية والاسلام وفى سير التيمى كانت تسمى سيدة نساء قريش (وكانت تحت أبى هالة بن زرارة التميمى) بميمين نسبة الى تميم كما صرح به العمرى وغيره واختلف فى اسم أبى هالة فقيل مالك حكاه الزبير والدارقطنى وصدر به فى الفتح وقيل زرارة حكاه ابن منده والسهيلى وقيل هند جزم به العسكرى واقتصر عليه فى العيون وصدر به فى الروض وقيل اسمه النباش قطع به أبو عبيد وقدمه مغلطاى واقتصر عليه المصنف فى الزوجات وهو بفتح النون فوحدة ثقيلة فشين معجمة وفى فتح البارى مات أبو هالة فى الجاهلية (فولدت له هندا) الصحابى راوى حديث صفة النبى صلى الله عليه وسلم شهد بدرا وقيل أحدا روى عنه الحسن بن على فقال حدثنى خالى لأنه أخو فاطمة لأمها وكان فصيحا بليغا وصافا وكان يقول أنا أكرم الناس أبا وأما وأخا وأختا أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخى القاسم وأختى فاطمة وأمى خديجة رضى الله عنهم قتل مع على يوم الجمل قاله الزبير بن بكار والدارقطنى وقيل مات بالبصرة فى الطاعون قال التجانى والصحيح أن الذى مات فى الطاعون ولده واسمه هند كأبيه انتهى وهو المذكور فى الروض عن الدولابى وفى فتح البارى ولهند هذا ولد اسمه هند ذكره الدولابى وغيره فعلى قول العسكرى ان اسم أبى هالة هند فهو ممن اشترك مع أبيه

وجده

قوله فى الشمس فى بعض نسخ المتن من الشمس اه

وجده في الاسم انتهى (وهالة) التميمي قال أبو عمر له صحبة وأخرج المستغفري عن عائشة قدم ابن لخديجة يقال له هالة والنبي صلى الله عليه وسلم قائل فسمعه فقال هالة هالة هالة وأخرج الطبراني عن هالة بن أبي هالة انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو راقد فاستيقظ فضم هالة الى صدره وقال هالة هالة هالة (وهما ذكران) خلافا لمن وهم فزعم أن هالة أنثى (ثم) بعد أن هلك عنها أبو هالة (تزوجها عتيق بن عابد) بالموحدة والدال المهملة كما في الاكمال وتبعه التبصير وقال اليعمري انه الصواب ووقع في جامع ابن الاثير أنه بتحتية وذال معجمة وهو مردود فانه عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وقد صرح علامة النساب الزبير بن بكار بأن من كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد يعني بموحدة ودال مهملة ومن كان من ولد أخيه عمران بن مخزوم فعائذ يعني بتحتية وذال معجمة نقله الامير في اكماله والحافظ في تبصيره وأقراه (المخزومي) نسبة الى جده مخزوم المذكور (فولدت له هندا) أسلمت وصحبت ولم تروشيأ قاله الدارقطني فهو أنثى وبه صرح المصنف في الزوجات وغيره تبعا للزبير وروى الدولابي عن الزهري انها أم محمد بن صيفي المخزومي وهو ابن عمها قال ابن سعد ويقال لولد محمد بنو الطاهرة لمكان خديجة وفي النور عن بعضهم ولدت لعتيق عبد الله وقيل عبد مناف وهندا ثم ماذكره المصنف من أن عتيقا بعد أبي هالة هو مانسبه ابن عبد البر للاكثر وصححه ولذا جزم به هنا وصدر به في المقصد الثاني وقال قتادة وابن شهاب وابن اسحق في رواية يونس عنه تزوجها وهي بكر عتيق بن عابد ثم هلك عنها فتزوجها أبو هالة واقتصر عليه في العيون والفتح وحكى القولين في الاصابة (وكان لها حين تزويجها بالنبي صلى الله عليه وسلم) مصدر مضاف لمفعوله أي حين تزويج من زوجها اياها منه وفي نسخة تزوجها باضافة المصدر لفاعله (من العمر أربعون سنة) رواه ابن سعد واقتصر عليه اليعمري وقدمه مغلطاي والبرهان قال في الغرر وهو الصحيح وقيل خمس وأربعون وقيل ثلاثون وقيل ثمانية وعشرون حكاها مغلطاي وغيره وأماقول المصنف هنا وفي المقصد الثاني أربعون (وبعض أخرى) فينظر ماقدر البعض (وكانت عرضت نفسها عليه) بلا واسطة فعند ابن اسحق فعرضت عليه نفسها فقالت يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك أو بواسطة كما رواه ابن سعد من طريق الواقدي عن نفيسة بنت منية قالت كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ماأراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال فأرسلتني دسيسا الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت يا محمد مايمنعك أن تتزوج فقال ما بيدي ماأتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال وكيف لي بذلك فذهبت فأخبرتها فأرسلت اليه أن ائت لساعة كذا (فذكر ذلك لاعمامه) والجمع ممكن بأنها بعثت نفيسة أولا لتعلم هل يرضى فلما علمت ذلك كلمته بنفسها قال الشامي وسبب عرضها ماحدثها به غلامها ميسرة مع مارأته من الآيات وماذكره ابن اسحق في المبتدا قال

كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودي فقال يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبي فأيتكن استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل فحصبنه وقبحنه وأغلظن له وأغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك في نفسها فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات وما رأته هي قالت ان كان ما قال اليهودي حقا ما ذاك الا هذا انتهى وحصبنه رمينه بالحصباء وأغضت بغين وضاد معجمتين سكتت (فخرج معه منهم حمزة) كذا عند ابن اسحق ونقل السهيلي عن المبرد أن أبا طالب هو الذي نهض معه وهو الذي خطب خطبة النكاح قال في النور فلعلهما خرجا معه جميعا والذي خطب أبو طالب لانه أسن من حمزة (حتى دخل على) أبيها (خويلد) بضم الخاء مصغر (ابن أسد) بن عبد العزى بن قصي بن كلاب (فخطبها اليه) أي فخطبها من خويلد له صلى الله عليه وسلم (فتزوجها عليه السلام) وظاهر سياقه هذا انه عليه السلام ذكر ذلك لاعمامه من غير طلبها حضور واحد بعينه وعند ابن سعد في الشرف انها قالت له اذهب الى عمك فقل له عجل الينا بالغداة فلما جاء قالت له يا أبا طالب ادخل على عمي فقل له يزوجني من ابن أخيك فقال هذا صنع الله فذكر الحديث ولا منافاة أصلا فذكره عرضها لاعمامه لا ينافي كونها عينت له واحدا منهم وفي الروض ذكر الزهري في سيرته وهي أول سيرة ألفت في الاسلام انه صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذي كان يتجر معه في مال خديجة هلم فلنتحدث عند خديجة وكانت تكرمهما وتتحفهما فلما قاما من عندها جاءت امرأة فقالت له جئت خاطبا يا محمد قال كلا فقالت ولم فوالله ما في قريش امرأة وان كانت خديجة الا تراك كفؤا لها فرجع صلى الله عليه وسلم خاطبا لخديجة مستحييا منها وكان أبوها خويلد سكران من الخمر فلما كلم في ذلك أنكحها فألقت عليه خديجة حلة وضمخته بخلوق فلما صحا من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل انك أنكحت محمدا خديجة وقد ابتنى بها فأنكر ذلك ثم رضيه وأمضاه وقال راجز من أهل مكة في ذلك

لا تزهدي خديج في محمد * نجم يضي كما ضياء الفرقد

(وأصدقها عشرين بكرة) من ماله صلى الله عليه وسلم زيادة على ما دفعه أبو طالب ويأتي له مزيد قريبا (وحضر أبو طالب) هذا هو الصواب المذكور في الروض وغيره وما في نسخ أبو بكر رضي الله عنه لا أصل له وقد صرح المصنف نفسه بالصواب في المقصد الثاني فقال وزاد ابن اسحق من طريق آخر وحضر أبو طالب (ورؤساء مضر فخطب أبو طالب) لا ينافيه قوله السابق فخرج معه منهم حمزة لما مر عن النور (فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم) خصه دون نوح لانه شرفهم وأسكنهم البيت الحرام أما نوح وآدم فيشاركهم فيه جميع الناس (وزرع اسمعيل) والد العرب الذين هم أشرف الناس لا زرع اسحق ولا مدين ولا غيرهما من ولد ابراهيم أي مزروعه والمراد ذريته غاير تفننا وكراهة لتوارد الالفاظ وأطلق عليها اسم الزرع لمشابهتها له في النضارة والبهجة أو لتسببه في تحصيلها بفعل الزرع من القاء الحب وفعل ما يحتاج له لتحصيل الانبات (وضئضئ معد) بكسر الضادين المعجمتين وبهمزتين الاولى ساكنة ويقال ضيضئ بوزن قنديل وضؤضؤ بوزن هدهد

قوله فيه لعل الاصوب فيهما أي نوح وآدم تأمل اه مصححه

وضؤضوء بوزن سرسور ويقال أيضا بصادين وسينين مهملتين وهو فى الجميع الاصل والمعدن ذكره الشامى (وعنصر مضر) بضم العين المهملة وسكون النون وضم الصاد المهملة وقد تفتح الاصل أيضا وغاير تفننا والاضافة فيهما بيانية أى أصل هو معد ومضر وخصهما لشرفهما وشهرتهما أولما ورد أنهما ماتا على ملة ابراهيم لكن وروده كان بعد ذلك بمدة فلعله كان مشهورا فى الجاهلية قال شيخنا ويجوز أن المراد بالاصل الشرف والحسب والمعنى من أشراف معد ومضر (وجعلنا حضنة بيته) الكعبة (وسواس حرمه) مدبريه القائمين به (وجعل لنا بيتا محجوجا) أى مقصودا بالحج اليه (وحرما آمنا) لا يصيبنا فيه عدو كما قال تعالى أولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ (وجعلنا الحكام على الناس) حكم معروف وطوع وانقياد لمكارم أخلاقهم وحسن معاملاتهم لا حكم ملك وقهر فلا ينافى قول صخر لقيصر ليس فى آبائه من ملك (ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الارجح به) زاد فى رواية شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وعداه بالباء وفيما مر عداه صلى الله عليه وسلم بنفسه فى قوله فوزنونى بهم فرجحتهم فيفيد جواز الامرين (فان) وفى نسخة وان بالواو وهى أولى لان ماذكر لا يتفرع على ماقبله (كان فى المال) اللام عوض عن المضاف اليه أى ماله (قل) بضم القاف مشترك بين ضد الكثرة وهو الوصف والشئ القليل كما فى القاموس (فان المال ظل زائل) تشبيه بليغ أى كالظل السريع الزوال (وأمر) أى شئ (حائل) لا بقاء له لتحوله من شخص لآخر ومن صفة الى أخرى فمآل زائل وحائل واحد زاد فى رواية وعارية مسترجعة (ومحمد ممن) من الذين (قد عرفتم قرابته) أفرد ضميره رعاية للفظ من وفى نسخ اسقاط من أى ومحمد الذى قد عرفتم قرابته لهاشم وعبد المطلب والآباء الكرام فالحسب أعظم من كثرة المال (وقد خطب خديجة بنت خويلد) أى جاء لها خاطبا (وبذل) أعطى بسماحة (لها ما آجله وعاجله من مالى كذا) هو ما يأتى عن الدولابى ففى رواية ان أبا طالب قال وقد خطب اليكم راغبا كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما حكم عاجله وآجله اثنتا عشرة أوقية ذهبا ونشا وقال المحب الطبرى فى السمط الثمين فى أزواج الامين أصدقها المصطفى عشرين بكرة ولا تضاد بين هذا وبين ما يقال أبو طالب أصدقها لجواز انه صلى الله عليه وسلم زاد فى صداقها فكان الكل صداقا وذكر الدولابى وغيره انه صلى الله عليه وسلم أصدقها اثنتى عشرة أوقية من ذهب وفى المنتقى الصداق أربعمائة دينار فيكون ذلك أيضا زيادة على ماتقدم ذكره الخميس (وهو والله بعد هذا) الذى قلته فيه (له نبأ) خبر (عظيم) لا تعلمونه اشارة الى ماشاهده من بركته عليه فى أكله مع عياله وما أخبره به بحيرا وغير ذلك (وخطر جليل) عظيم (جسيم فزوجها) بالبناء للمفعول وفى رواية فتزوجها صلى الله عليه وسلم وفى المنتقى فلما أتم أبو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل فقال الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ماعددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على

أربعمائة دينار ثم سكت فقال أبو طالب قد أحببت أن يشركك عمها فقال عمها اشهدوا على يا معاشر قريش أني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد وشهد على ذلك صناديد قريش (والضئضئ) بجميع وجوهه المتقدمة معناه (الاصل وحضنة بيته أي الكافلين له والقائمين بخدمته) أي هم المعروفون بذلك والافالاولى الرفع لان حضنة مبتدأ فهو مرفوع وان قصد حكاية ماسبق (وسواس حرمه أي متولو أمره) من ساس الرعية (قال ابن اسحق وزوجها أبوها خويلد) للنبي صلى الله عليه وسلم أعاده للعزو وهذا جزم به ابن اسحق هنا وصدر به في آخر كتابه وقابله بقوله ويقال أخوها عمرو وفي الفتح زوجه اياها أبوها خويلد ذكره البيهقي من حديث الزهري باسناده عن عمار بن ياسر وقيل عمها عمرو بن أسد ذكره الكلبي وقيل أخوها عمرو بن خويلد ذكره ابن اسحق انتهى وكأنه لم يعتبر قول الواقدي الثبت عندنا المحفوظ من أهل العلم أن أباها مات قبل حرب الفجار وان عمها عمرا هو الذي زوجها المزيد حفظ الثبت وهو الزهري خصوصا وقد رواه عن صحابي من السابقين لكن قال الشامي الذي ذكره أكثر علماء السير أن الذي زوجها عمها قال السهيلي وهو الصحيح لما روى الطبري ان عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن خويلدا كان قد مات قبل حرب الفجار ورجحه الواقدي وغلط من قال بخلافه وحكى عليه المؤملي الاتفاق (وقد ذكر) الحافظ أبو بشر بموحدة مكسورة فشين معجمة محمد بن أحمد الانصاري (الدولابي) قال في اللب كأصله بفتح الدال المهملة والناس يضمونها نسبة الى عمل الدولاب شبه الناعورة لكن في النور والقاموس أن القرية دولاب بالضم والذي كالناعورة بالضم وقد يفتح وقدمر ذلك مع بعض ترجمته (وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أصدق خديجة) من مال أبي طالب على مامر فنسب اليه لوقوع النكاح له (اثنتي عشرة أوقية ذهبا ونشا) وظاهر كلام الطبري حمله على ظاهره وأن الذي من أبي طالب غيره (قالوا وكل أوقية أربعون درهما) قال المحب الطبري فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعي انتهى أي ذهبا ولا ينافيه تعبيره بدرهم لانه بيان للوزن فلا يستلزم كونه فضة فأراد الشرعي وزنا وهو خمسون وخماسية من مطلق الشعير أي لاطبري ولا بغلي ثم هذا لا ينافي أن صداق الزوجات لم يزد على خمسمائة درهم فضة لحمله على ما بعد البعثة أو على ما اذا كان منه عليه السلام أما هذا فشاركه فيه أبو طالب (والنش) بفتح النون وبالشين المعجمة (نصف أوقية) لان النش لغة نصف كل شئ روى مسلم عن عائشة كان صداقه صلى الله عليه وسلم لازواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا أتدري ما النش قلت لا قالت نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم وهذا أولى من قول ابن اسحق صداقه لاكثر زوجاته أربعمائة درهم لان فيه زيادة ومن ذكر الزيادة معه زيادة علم ولصحته * تتميم * ذكر الملا في سيرته أنه صلى الله عليه وسلم لما تزوجها ذهب ليخرج فقالت له الى أين يا محمد اذهب وانحر جزورا أو جزورين وأطعم الناس ففعل وهو أول وليمة أولمها صلى الله عليه وسلم وفي المنتقى فامرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن الدفوف وقالت مر عمك يحر بكرا من بكراتك وأطعم الناس وهلم فقل مع أهلك فأطعم الناس ودخل صلى الله عليه وسلم

فقال

قوله فقرّ الله عينه هكذا في النسخ ولعل الصواب فأقر الخ لان قر لازم كما يستفاد من الصحاح والقاموس اه مصححه

فقال معها فقرّ الله عينه وفرح أبو طالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم وسيأتي شيء من فضائلها ان شاء الله في المقصد الثاني وقبله في المبعث

* بنيان قريش الكعبة *

(ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة) فيما جزم به ابن اسحق وغير واحد من العلماء وقيل خمسا وعشرين سنة رواه ابن عبد البر عن محمد بن جبير وعبد الرزاق عن ابن جريج عن مجاهد وجزم به موسى بن عقبة في مغازيه ويعقوب بن سفيان في تاريخه قال الحافظ والاول أشهر ويمكن الجمع بأن الحريق تقدم وقته على الشروع في البناء وحكى الازرقي انه كان غلاما قال الحافظ ولعل عمدته مارواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال لما بلغ صلى الله عليه وسلم الحلم أجمرت الكعبة امرأة فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت فذكر القصة وقيل ابن خمس عشرة سنة حكى الاخير المصنف ولعله غلط قائله وأما قول الشامي ماحاصله وسن المصطفى خمس وثلاثون وقيل قبل المبعث بخمس عشرة سنة وقيل ابن خمس وعشرين وغلط قائله فعجيب فان الثالث هو عين الثاني وليس بغلط بل هو قوي ولذا احتاج الحافظ للجمع بينه وبين الاول كما ترى وممن ذكر جده الشامي وأما مارواه ابن راهويه عن علي أنه صلى الله عليه وسلم كان حينئذ شابا فهو يأتي على جميع الاقوال (خافت قريش أن تنهدم الكعبة من السيول) فيما حكاه في العيون والفتح عن موسى بن عقبة قال انما حمل قريشا على بنائها أن السيل أتى من فوق الردم الذي بأعلى مكة فأخربه فخافوا أن يدخلها الماء وقيل سبب ذلك احتراقها فروى يعقوب بن سفيان باسناد صحيح عن الزهري أن امرأة أجمرت الكعبة فطارت شرارة في ثيابها فأحرقتها وروى الفاكهي عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كانت الكعبة فوق القامة فأرادت قريش رفعها وتسقيفها وروى ابن راهويه عن علي في حديث فمرّ عليه الدهر فبنته قريش حكاه في الفتح وقيل ان السيل دخلها وصدع جدرانها بعد توهينها وقيل ان نفرا سرقوا حلي الكعبة وغزالين من ذهب وقيل غزالا واحدا مرصعا بدر وجوهر وكان في بئر في جوف الكعبة فأرادوا أن يشيدوا بناءها ويرفعوه حتى لا يدخلها الا من شاؤا وجمع بأنه لا مانع أن سبب بنائهم ذلك كله وقال شيخنا يجوز أن خشية هدم السيل حصل من الحريق حتى أوهن بناءها ووجدت السرقة بعد ذلك أيضا (فأمروا باقوم بموحدة فألف فقاف مضمومة فواو ساكنة فميم) ويقال باقول باللام الصحابي كما في الاصابة (القبطي) بالقاف نسبة الى القبط نصارى مصر (مولى سعيد بن العاصي) بن أمية وفي الاصابة روى ابن عيينة في جامعه عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال اسم الرجل الذي بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا وكان في سفينة حبسها الريح فخرجت اليها قريش وأخذوا خشبها وقالوا له ابنها على بناء الكنائس رجاله ثقات مع ارساله انتهى فيحتمل انهما اشتركا جميعا في بنائها أو أحدهما بنى والآخر سقف وانهما واحد وهو رومي في الاصل ونسب الى القبط حلفا ونحوه وهذا هو الظاهر من كلام الاصابة فانه بعد ماجزم بأنه مولى بني أمية وذكر الرواية التي صرحت بأنه مولى سعيد منهم ذكر رواية بنائه

الكعبة وعمله المنبر وقال فى آخره يحتمل انه الذى عمل المنبر بعد ذلك ولم يقع عنده أنه قبطى" وهو يؤيد ما فى بعض نسخ المصنف النبطى" بفتح النون والموحدة قال فى الفتح هذه النسبة الى استنباط الماء واستخراجه أوالى نبيط بن هانب بن أميم بن لاود بن سام بن نوح انتهى فيحتمل انه كان يستخرج الماء فنسب اليه وان كان روميا ويؤيده قول بعضهم وكان نجارا بناء فان من جملة حرف البناء معرفة استخراج الماء من المواضع بأن يقول الماء يوجد هنا أقرب من هنا فليست بتحريف (وصانع المنبر الشريف) النبوى" المدنى" فى أحد الاقوال كما يجىء ان شاء الله تعالى وأخرج أبو نعيم بسند ضعيف عن صالح مولى التومة حدثنى باقوم مولى سعيد بن العاصى قال صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم منبرا من طرفا الغابة ثلاث درجات المقعد ودرجتين (بأن بنى الكعبة المعظمة) وذلك أنه كان بسفينة ألقاها الريح بجدة فتحطمت فخرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش اليها فابتاعوا خشبها وأعدوه لتسقيف الكعبة وكلموا باقوم الرومى" فى بنائها فقدم معهم قال ابن اسحق وكان بمكة رجل قبطى" نجار فهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها قال فهاب الناس هدمها وفرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدؤكم فى هدمها فأخذ المعول ثم قام وهو يقول اللهم لم ترع بفوقية مضمومة فراء مفتوحة أى لم تفزع الكعبة فأضمرها لتقدم ذكرها وهذا أولى من اعادة السهيلى" الضمير لله فان لاروع هنا فينفى لكن الكلمة تقتضى اظهار قصد البر فيجوز التكلم بها فى الاسلام واستشهد بحديث فاغفر فداك ما أبقينا قال وفى رواية لم نزغ أى بفتح النون وكسر الزاى وغين معجمة قال وهو جلى" لا يشكل أى لم نمل عن دينك ولا نخرج عنه اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين الاسود واليمانى" وتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيأ ورددناها كما كانت وان لم يصبه شئ هدمنا فقد رضى الله ما صنعنا فأصبح الوليد من ليلته عائدا الى عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس ابراهيم أفضوا الى حجارة خضر كالاسنمة جمع سنام وهو أعلى الظهر للبعير ومن رواه كالاسنة جمع سنان شبهها بالاسنة فى الخضرة آخذ بعضها بعض فأدخل رجل ممن كان يهدم عتلته بين حجرين منها ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها وأبصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الاساس وبنوا عليه وفى رواية لما شرعوا فى نقض البناء خرجت عليهم الحية التى كانت فى بطنها تحرسها سوداء البطن فمنعتهم من ذلك فاعتزلوا عند مقام ابراهيم فتشاوروا فقال لهم الوليد ألستم تريدون بها الاصلاح قالوا بلى قال فان الله لا يهلك المصلحين ولكن لا تدخلوا فى بيت ربكم الا طيب أموالكم وتجنبوا الخبيث فان الله طيب لا يقبل الا طيبا وعند موسى ابن عقبة انه قال لا تجعلوا فيها مالا أخذ غصبا ولا قطعت فيه رحم ولا انتهكت فيه حرمة وعند ابن اسحق أن الذى أشار عليهم بذلك هو أبو وهب بن عمر بن عامر بن عمران بن مخزوم ففعلوا ودعوا وقالوا اللهم ان كان لك فى هدمها رضا فأتمه وأشغل عنا هذا الثعبان فأقبل طائر من جوّ السماء كهيئة العقاب ظهره أسود وبطنه أبيض ورجلاه صفراوان والحية على جدار البيت فأخذها ثم طار بها فقالت قريش انا لنرجو أن الله قبل عملكم ونفقتكم

وفى

وفي التمهيد عن عمرو بن دينار لما أرادت قريش بناء الكعبة خرجت منها حية فحالت بينهم وبينها فجاء عقاب أبيض فأخذها ورمى بها نحو أجياد انتهى وعن ابن عباس انها الدابة التي تخرج في آخر الزمان تكلم الناس اختطفها العقاب فألقاها في الحجون فابتلعتها الارض وقيل الخارجة فصيل ناقة صالح وهما غريبان وروى ابن راهويه في حديث عن علي فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة فكان صلى الله عليه وسلم أول من خرج فحكم بينهم أن يجعلوه في ثوب ثم رفعه من كل قبيلة رجل وذكر الطيالسي انهم قالوا نحكم أول من يدخل من باب بني شيبة فكان صلى الله عليه وسلم أول من دخل منه فأخبروه فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه ثم أخذه فوضعه بيده وذكر الفاكهي وابن اسحق ان الذي أشار عليهم أن يحكموا أول داخل أبو أمية المخزومي أخو الوليد وعند موسى بن عقبة أن المشير أخوه الوليد قال السهيلي وذكر أن ابليس كان معهم في صورة شيخ نجدي فصاح بأعلى صوته يا معشر قريش أقد رضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوي أسنانكم فكاد يثير شرا بينهم ثم سكتوا وحكي في الروض أنها كانت تسعة أذرع من عهد اسمعيل يعني طولا ولم يكن لها سقف فلما بنتها قريش زادوا فيها تسعة أذرع ورفعوا بابها عن الارض فكان لا يصعد اليها الا في درج أو سلم وقال الازرقي كان طولها سبعة وعشرين ذراعا فاقتصرت قريش منها على ثمانية عشر ونقصوا من عرضها أذرعا أدخلوها في الحجر (وحضر صلى الله عليه وسلم) بناءها (وكان ينقل معهم الحجارة) من أجياد (وكانوا يضعون أزرهم) جمع ازار يذكر ويؤنث (على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم) بأمر العباس فروى الشيخان عن جابر قال لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم والعباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك من الحجارة ففعل فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السماء ثم أفاق فقال ازاري ازاري فشد عليه ازاره فما روي بعد ذلك عريانا (فلبط به) بالموحدة كعني) فهو من الافعال التي جاءت بصيغة المبني للمفعول وهي بمعنى المبني للفاعل (أي سقط من قيامه كما في القاموس ونودي) يا محمد غط (عورتك) روى عبد الرزاق والطبراني والحاكم عن أبي الطفيل قال كانت الكعبة في الجاهلية مبنية بالرضم ليس فيها مدر وكانت ذات ركنين فاقبلت سفينة من الروم حتى اذا كانوا قريبا من جدة انكسرت فخرجت قريش لتأخذ خشبها فوجدوا الرومي الذي فيها نجارا فقدموا به وبالخشب ليبنوا به البيت فكانوا كلما أرادوا القرب منه لهدمه بدت لهم حية فاتحة فاها فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغرز مخاليبه فيها فألقاها نحو أجياد فهدمت قريش الكعبة وبنوها بحجارة الوادي فرفعوها في السماء عشرين ذراعا فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من أجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته من صغرها فنودي يا محمد خمر عورتك فلم ير عريانا بعد ذلك ففي قول السراج بن الملقن في شرح البخاري لعل جزعه لانكشاف جسده وليس في الحديث يعني حديث جابر المتقدم

أنه انكشف شئ من عورته تقصيرلانه وان لم يكن فيه فقد ورد فى غيره وخير ما فسرته بالوارد ثم ليس المراد العورة المغلظة (فكان ذلك أول مانودى) زاد فى رواية أبى الطفيل فما رؤيت له عورة قبل ولا بعد وذكر ابن اسحق فى المبعث وكان صلى الله عليه وسلم يحدث عما كان الله يحفظه فى صغره انه قال لقد رأيتنى فى غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ ازاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فانى لاقبل معهم لذلك وأدبر اذ لكمنى لا كم ما أراه لكمة وجيعة ثم قال شد عليك ازارك فشددته على ثم جعلت أحمل وازارى على من بين أصحابى قال السهيلى انما وردت هذه القصة فى بنيان الكعبة فان صح أن ذلك كان فى صغره فهى قصة أخرى مرة فى الصغر ومرة بعد ذلك قلت قد يطلق على الكبير غلام اذا فعل فعل الغلمان فلا يستحيل اتحاد القصة اعتمادا على التصريح بالاولية فى حديث أبى الطفيل كذا فى فتح البارى وجمع فى كتاب الصلاة بحمل ما عند ابن اسحق على غير الضرورة العادية وما فى حديث جابر على الضرورة العادية والنفى فيها على الاطلاق أو يتقيد بالضرورة الشرعية كحالة النوم مع الاهل احيانا انتهى (فقال له أبو طالب أو العباس) شك من الراوى (يا ابن أخى اجعل ازارك على رأسك) وكأنه توهم أن سقوطه من جعله على رقبته لا من كشف عورته ولا يشكل أنه نودى عورتك لجواز انه لم يسمع النداء وانما سمعه المصطفى (فقال ما) نافية (أصابنى ما) الذى (أصابنى) من السقوط (الامن التعرى) * خاتمة * اختلف فى أول من بنى الكعبة فذكر المحب الطبرى فى منسكه قولا ان الله وضعه أولا لا ببناء أحد وروى الازرقى عن على بن الحسين أن الملائكة بنته قبل آدم وروى عبد الرزاق عن عطاء قال أول من بنى البيت آدم وعن وهب بن منبه أول من بناه شيث بن آدم وفى الكشاف أول من بناه ابراهيم وجزم به ابن كثير زاعما انه أول من بناه مطلقا اذ لم يثبت عن معصوم انه كان مبنيا قبله قلت ولم يثبت عن معصوم انه أول من بناه وقد روى البيهقى فى الدلائل عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قصة بناء آدم لها ورواه الازرقى وأبو الشيخ وابن عساكر عن ابن عباس موقوفا وحكمه الرفع اذ لا يقال رأيا وأخرج الشافعى عن محمد بن كعب القرظى قال حج آدم فلقيته الملائكة فقالوا بر نسكك يا آدم وقد روى ابن أبى حاتم من حديث ابن عمر أن البيت رفع فى الطوفان فكان الانبياء بعد ذلك يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لابراهيم فبناه على أساس آدم وجعل طوله فى السماء سبعة أذرع بذراعهم وذرعه فى الارض ثلاثين ذراعا بذراعهم وأدخل الحجر فى البيت ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بئرا عند بابه يلقى فيها ما يهدى للبيت فهذه الاخبار وان كانت مفرداتها ضعيفة لكن يقوى بعضها بعضا ثم العمالقة ثم جرهم رواه ابن أبى شيبة وابن راهويه وابن جرير وابن أبى حاتم والبيهقى فى الدلائل عن على أن بناء ابراهيم لبث ما شاء الله أن يلبث ثم انهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته جرهم ثم قصى بن كلاب نقله الزبير بن بكار وجزم به الماوردى ثم قريش فجعلوا ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا وفى رواية عشرين ولعل راويها جبر الكسر ونقصوا من طولها ومن عرضها أذرعا أدخلوها فى الحجر لضيق النفقة بهم ثم لما حوصر ابن الزبير من جهة يزيد تضعضعت

من الرمي بالمجنيق فهدمها في خلافته وبناها على قواعد ابراهيم فاعاد طولها على ماهو عليه الآن وأدخل من الحجر الاذرع المذكورة وجعل لها بابا آخر فلما قتل ابن الزبير شاور الحجاج عبد الملك في نقض مافعله ابن الزبير فكتب اليه اما مازاده في طولها فأقره واما مازاده في الحجر فرده الى بنائه وسد بابه الذي فتحه ففعل ذلك كما في مسلم عن عطاء وذكر الفاكهي أن عبد الملك ندم على اذنه للحجاج في هدمها ولعن الحجاج وفي مسلم نحوه من وجه آخر واستمر بناء الحجاج الى الآن وقد أراد الرشيد أو أبوه أو جده أن يعيده على مافعله ابن الزبير فناشده مالك وقال أخشى أن يصير ملعبة للملوك فتركه ولم يتفق لاحد من الخلفاء ولا غيرهم تغيير شيء مما صنعه الحجاج الى الآن الا في الميزاب والباب وعتبته وكذا وقع الترميم في الجدار والسقف وسلم السطح غير مرة وجدد فيها الرخام قال ابن جريج أول من فرشها بالرخام الوليد بن عبد الملك فالمتحصل من الآثار كما أفاده الفتح والارشاد والسبل وشفاء الغرام انها بنيت عشر مرات وقد علمتها وذكر بعضهم أن عبد المطلب بناها بعد قصي وقيل بناء قريش قال الفاسي ولم أر ذلك لغيره وأخشى أن يكون وهما قال واستمر بناء الحجاج الى يومنا هذا وسيبقى على ذلك الى أن تخربها الحبشة وتقلعها حجرا حجرا كما في الحديث وقد قال العلماء ان هذا البنيان لايغير انتهى والله أعلم

* بسم الله الرحمن الرحيم باب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم *

(ولما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة) قاله جمهور العلماء السهيلي هو الصحيح عند أهل السير والعلم بالاثر النووي هو الصواب وهو المروي في الصحيحين عن ابن عباس وأنس وروى أيضا عن عطاء وابن المسيب وجبير بن مطعم وقباث بن أشيم الصحابي (وقيل وأربعين يوما وقيل وعشرة أيام وقيل وشهرين) حكاه في الروض ممرضا بلفظ روى وقيل ويوم واحد حكاه المنتقى وفي تاريخ يعقوب بن سفيان وغيره عن مكحول انه بعث بعد ثنتين وأربعين سنة وقال الواقدي وابن أبي عاصم والدولابي وهو ابن ثلاث وأربعين وفي كتاب العتقى ابن خمس وأربعين قال مغلطاي وجمع بأن ذلك حين حمى الوحي وتتابع وقال البرهان هما شاذان والثاني أشد شذوذا وفي الفتح حديث ابن عباس فمكث بمكة ثلاث عشرة أصح مما عند أحمد من وجه آخر عنه أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين فمكث بمكة عشرا وأصح مما أخرجه مسلم من وجه آخر عنه انه أقام بمكة خمس عشرة سنة (يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان) رواه ابن سعد واقتصر عليه المصنف في ارشاده (وقيل لسبع) منه (وقيل لاربع وعشرين ليلة) من رمضان على مافي حديث واثلة الآتي ثم كون البعث فيه هو قول الاكثر والمشهور عند الجمهور قاله الحافظان ابنا كثير وحجر وصححه الحافظ العلائي قال في الفتح فعلى الصحيح المشهور أن مولده في ربيع الاول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر وكلام ابن الكلبي يؤذن بأنه ولد في رمضان وبه جزم الزبير بن بكار وهو شاذ انتهى (وقال ابن عبد البر) والمسعودي بعث (يوم الاثنين لثمان من ربيع الاول سنة احدى وأربعين من) عام (الفيل) وبه صدر ابن القيم وعزاه للاكثرين ثم حكى انه كان في رمضان عكس النقل الاول فعلى هذا يكون له

أربعون سنة سواء قاله الفتح وجمع بين النقلين بما في حديث عائشة أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة وحكى البيهقي أن مدتها ستة أشهر فيكون نبيء بالرؤيا في ربيع الاول ثم أتاه جبريل في رمضان وحمل عليه بعضهم الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة لان مدة الوحي كانت ثلاثا وعشرين سنة فيها ستة أشهر منام وذلك جزء من ستة وأربعين وأما الجمع بأن نزول اقرأ في رمضان وأول المدثر في ربيع فاعترض بأن نزول المدثر بعد ثلاث سنين (وقيل في أول ربيع بعثه الله رحمة للعالمين) أوحى اليه وأمره بتبليغ ما أوحاه فنزل ذلك منزلة الارسال فعبر عنه بالبعث مجازا والاحقيقة ارسال شخص من مكان لآخر يتعدى اليه الفعل بنفسه ان وصل بنفسه كما هنا والا فبالباء كبعثت بالكتاب عند أكثر اللغويين وبه قطع المصباح (ورسولا الى كافة الثقلين) الانس والجن (أجمعين) وكأنه اقتصر عليهما لان آثار الارسال انما تتعلق بهما والملائكة وان كان مرسلا اليهم في الراجح غير مكلفين بشرعه وأشعر المصنف بتقارن الرسالة والنبوة قال شيخنا وهو الصحيح كما قال بعض مشايخنا وقيل النبوة متقدمة على الرسالة وعليه ابن عبد البر وغيره واقتصر عليه المصنف فيما يجيء (ويشهد لبعثه يوم الاثنين ما رواه مسلم) مختصرا من طريق مهدي بن ميمون عن غيلان عن عبد الله بن معبد (عن أبي قتادة) الخزرجي السلمي الحرث بن ربعي بكسر الراء شهد المشاهد الا بدرا ففيها خلف (انه صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم) يوم (الاثنين فقال فيه ولدت وفيه أنزل علي) ورواه مسلم قبل ذلك في حديث طويل من طريق شعبة عن غيلان عن ابن معبد عن أبي قتادة بلفظ وسئل عن صوم يوم الاثنين فقال ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه أو قال أنزل علي فيه فصدق كل من المصنف والشامي في العزو لمسلم لانهما روايتان فيه (وقال ابن القيم في الهدى) بفتح الهاء وسكون الدال (النبوي) يعني كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد لان تراجمه كلها يقول هديه عليه السلام في كذا (واحتج القائلون بأنه كان في رمضان) وان اختلفوا في تعين أي يوم منه على ما مر وأما حديث واثلة وأنزل الله القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان على تسليم أن المراد على المصطفى فانما هو دليل للقائل به اذ المعنى احتج المتفقون على انه كان في رمضان (بقوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) أي ابتدئ فيه انزاله (قالوا أول ما أكرمه الله تعالى بنبوته أنزل عليه القرآن) وهو انما أنزل في رمضان فيكون ابتداء نزوله فيه (وقال آخرون انما أنزل القرآن جملة واحدة) من اللوح المحفوظ (في ليلة القدر الى بيت العزة في سماء الدنيا كما جاء عن ابن عباس فلا دلالة في الآية على أن ابتداء نزوله على المصطفى في رمضان ولا أن ابتداء نبوته فيه لكن روى أحمد وابن جرير والطبراني والبيهقي عن واثلة مرفوعا أنزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان وأنزل الانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان وأنزل الله القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان قال الحافظ في الفتح هذا الحديث مطابق لقوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القران ولقوله انا أنزلناه في ليلة القدر فيحتمل أن تكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة فانزل فيها جملة الى سماء

الدنيا ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين أي صبيحتها الى الارض أول اقرأ باسم ربك انتهى قال في الاتقان لكن يشكل على ذا الحديث ما عند ابن أبي شيبة عن أبي قلابة قال أنزلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان انتهى ولا اشكال فالمقطوع لا يعارض المرفوع (ثم نزل نجوما) قطعا متفرقة لان كل جزء منه يسمى نجما (بحسب الوقائع) خمس آيات وعشرا وأكثر وأقل وصح نزول عشر آيات في قصة الافك جملة وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة وصح نزول غير أولى الضرر وحدها وهي بعض آية وكذا وان خفتم عيلة الى آخر الآية نزل بعد نزول أول الآية وذلك بعض آية وأخرج ابن أبي شيبة عن عكرمة أنزل الله القرآن نجوما ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات وما عند البيهقي عن عمر تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فان جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم خمسا خمسا ومن طريق ضعيف عن علي أنزل القرآن خمسا خمسا الا سورة الانعام فمعناه ان صح القاؤه الى النبي هذا القدر حتى يحفظه ثم يلقي الباقي لا انزاله بهذا القدر خاصة ويوضح ذلك ما عند البيهقي عن أبي العالية كان صلى الله عليه وسلم يأخذ القرآن من جبريل خمسا خمسا قاله في الاتقان (في ثلاث وعشرين سنة) على قول الجمهور انه صلى الله عليه وسلم بعث لاربعين وعاش ثلاثا وستين ولا ينافيه أن الفترة التي لم ينزل فيها قرآن بعد نزول اقرأ ثلاث سنين لانه نزل قبلها أول اقرأ فصدق انه نزل في ثلاث وعشرين لانه لم يقل كان ينزل عليه كل يوم ولا كل شهر وقيل نزل في عشرين بناء على انه عاش ستين أو على الغاء الفترة قال الاصفهاني اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله منزل واختلفوا في معنى الانزال فقيل اظهار القراءة وقيل ألهم الله تعالى كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الارض وهو يهبط في المكان وقال القطب الرازي المراد بانزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفا روحانيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم وقال غيره في المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقوال أحدها اللفظ والمعنى وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف وتحت كل حرف منها معان لا يحيط بها الا الله الثاني أن جبريل نزل بالمعاني خاصة وعلم صلى الله عليه وسلم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب لظاهر قوله نزل به الروح الامين على قلبك الثالث أن جبريل ألقى عليه المعنى وعبر بهذه الالفاظ بلغة العرب وان أهل السماء يقرؤنه بالعربية ثم نزل به كذلك بعد ويؤيد الاول مارواه الطبراني عن النواس بن سمعان مرفوعا اذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله فاذا سمع أهل السماء صعقوا وخروا سجدا فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد فينتهي به على الملائكة كلما مر بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا قال الحق فينتهي به حيث أمر وقال البيهقي انا أنزلناه في ليلة القدر يريد والله أعلم انا أسمعنا الملك وأفهمناه اياه وأنزلناه بما سمع فيكون الملك منتقلا من علو الى سفل قال أبو شامة هذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الانزال المضافة الى القرآن أو الى شيء منه يحتاج اليه أهل السنة المعتقدون قدم القرآن وانه صفة قائمة بذاته تعالى وقال العلامة النحوي بضم الطاء المعجمة كلام الله

المنزل قسمان قسم قال الله لجبريل قل للنبي الذي أنت مرسل اليه ان الله يقول لك كذا وكذا وأمر بكذا وكذا ففهم جبريل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قال ربه ولم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال فان قال الرسول يقول لك الملك لا تتهاون في خدمتي ولا تترك الجند يتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب الى كذب وتقصير في أداء الرسالة وقسم آخر قال الله لجبريل اقرأ على النبي هذا الكتاب فنزل بكلام الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتابا ويسلمه الى أمين ويقول اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفا انتهى والقرآن هو القسم الثاني والاول هو السنة كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن وقد رأيت ما يعضد كلامه فروى ابن أبي حاتم عن الزهري أنه سئل عن الوحي فقال الوحي ما يوحي الله الى نبي من أنبيائه فيثبته في قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لاحد ولا يأمر بكتابته ولكنه يحدث به الناس حديثا ويبين لهم ان الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم اياه قاله في الاتقان ببعض اختصار وذكر في فتاويه عن شيخه الكافيجي أن التلقف الروحاني لا يكيف (وقيل كان ابتداء المبعث في رجب) حكى مغلطاي وغيره عن العتقي انه بعث وهو ابن خمس وأربعين سنة لسبع وعشرين من رجب قال شيخنا فيحتمل أن هذا اليوم هو المراد لصاحب هذا القول وهو واضح ان ثبت انه يقول سنه خمس وأربعون سنة (وروى البخاري في) كتاب (التعبير) من صحيحه وفي التفسير وفي بدء الوحي والايمان لكنه اختار ما في التعبير لان سياقه فيه أتم فذكر الحزن والتردي الى آخر الحديث انما هو فيه دون تلك المواضع ودون كتاب مسلم ولذا لم يعزه لهما وأما جعل نكتة ذلك انه كان بصدد ما وقع له يقظة والآن بصدد ما وقع له قبل ذلك فناسب نقله من التعبير فباردة لا محصل لها والتعبير تفعيل من عبرت مشددا قال المصنف وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات وأنكروا التشديد لكن أثبته الزمخشري اعتمادا على بيت أنشده المبرد في الكامل لبعض الاعراب

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

وقال غيره يقال عبرت الرؤيا بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها بالتشديد للمبالغة انتهى وهو تفسير الرؤيا لانه يعبر من ظاهرها الى باطنها والعبر والعبور الدخول والتجاوز وقيل لانه ينظر فيها ويعتبر بعضها ببعض حتى تفهم فهو من الاعتبار وسيأتي بسط القول فيه ان شاء الله تعالى في مقصد الرؤيا بحول الله وقوته (من حديث عائشة) مرسلا لانها لم تدرك ذلك الوقت فانما سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم أو صحابي آخر عنه قال الحافظ تبعا للطيبي ويؤيد سماعها له منه قولها في أثناء الحديث قال فأخذني فغطني (أول ما بدئ) بضم الموحدة وكسر المهملة فهمزة (به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي) أي من أقسامه فمن للتبعيض وقول القزاز لبيان الجنس كأنها قالت من جنس الوحي وليست منه أي فهي مجاز علاقته المشابهة للوحي في انه لا دخل للشيطان فيها رده عياض بحديث انها جزء من النبوة (الرؤيا الصادقة) هكذا في التعبير والتفسير أي التي لا كذب فيها أو لا تحتاج لتعبير

أوما يقع بعينه أو ما يعبر في المنام أو يخبر به صادق وفي بدء الوحي ومسلم الصالحة قال المصنف وهما بمعنى بالنسبة الى الآخرة في حق الانبياء وأما بالنسبة الى أمور الدنيا فالصالحة في الاصل أخص فرؤيا الانبياء كلها صادقة وقد تكون صالحة وهي الاكثر وغير صالحة بالنسبة للدنيا كرؤيا يوم أحد انتهى (في النوم) زيادة للايضاح أو لتخرج رؤية العين يقظة مجازا قاله الحافظ وغيره ويأتي ان شاء الله تعالى الخلاف فيه في الاسراء حيث تكلم فيه المصنف ثم فلا نطيل به هنا قال الحافظ وبدئ بذلك ليكون توطئة وتمهيدا لليقظة ثم مهد له في اليقظة أيضا رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر انتهى (فكان لا يرى رؤيا الا جاءت) في بيانها وللحموي والمستملي الا جاءته مجيئا (مثل) فنصب نعت مصدر محذوف (فلق) بفتحتين (الصبح) أي شبيهة له في الضياء والوضوح أو التقدير مشبهة ضياء الصبح فالنصب على الحال وقدمه الفتح واقتصر عليه النور وأكثر الشراح وقال العيني الاول أولى لانه مطلق والحال مقيد قال الحافظ وخص بالشبه لظهوره الواضح الذي لا يشك فيه او للتنبيه على انه لم يكن في باعث البشر أو كون ذلك من باعث الافهام وقال المصنف لان شمس النبوة كانت مبادي أنوارها الرؤيا الى ظهور أشعتها وتمام نورها وقال البيضاوي شبه ما جاء في اليقظة ووجده في الخارج طبقا لما رآه في المنام بالصبح في انارته ووضوحه والفلق الصبح لكنه لما استعمل في ذا المعنى وغيره أضيف اليه للتخصيص والبيان اضافة العام للخاص (وكان يأتي حراء) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء والمد والتذكير والصرف على الصحيح وحكي الفتح والقصر وهي لغية مصروف على ارادة المكان ممنوع على ارادة البقعة فيذكر ويؤنث جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال على يسار الذاهب الى منى وزعم الخطابي خطأ المحدثين في قصره وفتح حائه والاربعة في قباء أيضا وجمعهما القائل

حراوقبا ذكر وأنثهما معا * ومد أو اقصر واصرفن وامنع الصرفا

(فيتحنث فيه) بحاء مهملة آخره مثلثة أي يتجنب الحنث أي الاثم فهو من الافعال التي معناها السلب وهو اجتناب فاعلها المصدر مثل تأثم وتحوب اذا اجتنب الاثم والحوب بضم المهملة أي الذنب العظيم أو هو بمعنى رواية ابن هشام في السيرة يتحنف بفاء خفيفة أي يتبع الحنيفية دين ابراهيم والفاء تبدل ثاء في كثير من كلامهم وقدمه الفتح وفي كتاب الاضداد للصغاني تحنث اذا أتى الحنث واذا تجنبه (وهو التعبد) من تسمية المسبب باسم السبب على التفسير الاول لان التعبد سبب لازالة الاثم وليس نفسه وعلى الثاني ظاهر (الليالي) نصب على الظرفية متعلق بيتحنث لا بالتعبد لانه لا يشترط فيه الليالي بل مطلق التعبد (ذوات العدد) مع أيامهن واقتصر عليهن تغليبا لانهن أنسب للخلوة ووصفها بذلك للتقليل كما في دراهم معدودة أو للتكثير لاحتياجها الى العدد وهو المناسب للمقام والتفسير للزهري أدرجه في الخبر كما جزم به الطيبي قال الحافظ ورواية البخاري في التفسير تدل عليه وأبهم العدد لاختلافه بالنسبة الى المدد التي يتخللها مجيئه الى أهله وللبخاري ومسلم جاورت بحراء شهرا ولابن اسحق انه شهر رمضان ولم يصح عنه أكثر منه وروى سوار بن

قوله بل مطلق التعبد لعل الاولى بل مطلق الزمن تأمل اه مصححه

مصعب أربعين يوما لكنه متروك الحديث قاله الحاكم وغيره وفي تعبده قبل البعثة بشريعة أم لا قولان الجمهور على الثاني واختار ابن الحاجب والبيضاوي الاول ففي انه بشريعة ابراهيم أو موسى أو عيسى أو نوح أو آدم أو بشريعة من قبله دون تعيين أو بجميع الشرائع ونسب للمالكية أو الوقف أقوال ولم يأت تصريح بصفة تعبده بحراء فيحتمل انه أطلق على الخلوة بمجردها تعبد فان الانعزال عن الناس ولاسيما من كان على باطل عبادة وعن ابن المرابط وغيره كان يتعبد بالفكر وهذا على قول الجمهور (ويتزود) بالرفع عطفا على يتحنث أي يتخذ الزاد (لذلك) أي للتعبد (ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها) أي الليالي كما اقتصر عليه الفتح في بدء الوحي ورجحه في التعبير وان رجح غيره في التفسير لان مدة الخلوة كانت شهرا فكان يتزود لبعض ليالي الشهر فاذا نفد رجع الى أهله فيتزود قدر ذلك ولم يكونوا في سعة بالغة من العيش وكان غالب أدمهم اللبن واللحم ولا يدخر منه كفاية شهر لسرعة فساده لاسيما وقد وصف بأنه كان يطعم من يرد عليه وفيه أن الانقطاع الدائم عن الاهل ليس من السنة لانه صلى الله عليه وسلم لم ينقطع بالغار بالكلية بل كان يرجع الى أهله لضروراتهم ثم يرجع لتحنثه (حتى) على بابها من انتهاء الغاية أي واستمر يفعل ذلك حتى (فجئه) بفتح الفاء وكسر الجيم وتفتح كما في الديباج فهمزة أي جاءه كما في رواية بدء الوحي بغتة فانه لم يكن متوقعا له (الحق) بالرفع صفة لمحذوف أي الامر الحق وهو الوحي سمي حقا لمجيئه من عند الله أو رسول الحق وهو جبريل فأصله الجر بتقدير مضاف لكنه حذف وأقيم مقامه فأعطي حكمه في الاعراب (وهو في غار حراء) فترك ذلك التحنث والجملة حالية (فجاءه الملك) جبريل اتفاقا (فيه) واللام لتعريف الماهية لا للعهد الا أن يكون المراد ما عهده عليه السلام لما كلمه في صباه أو اللفظ لعائشة وقصدت به ما يعهده من تخاطبه به قال الاسمعيلي هي عبارة عما يعرف بعد أنه ملك وانما الاصل فجاءه جاء وكان الجائي ملكا فأخبر عنه المصطفى يوم أخبر بحقيقة جنسه والحامل عليه انه لم يتقدم له معرفة به انتهى وهو ظاهر ولا ينافيه ان اللفظ لعائشة لانها حكت ما سمعته وفاء فجاءه تفسيرية كقوله فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم لا تعقيبية قال الحافظ لان مجيء الملك ليس بعد مجيء الوحي حتى يعقب به بل هو نفسه ولا يلزم منه تفسير الشيء بنفسه بل التفسير عين المفسر به من جهة الاجمال وغيره من جهة التفصيل انتهى ولاسببية لان المسبب غير السبب (فقال) له (اقرأ) أمر لمجرد التنبيه والتيقظ لما سيلقى اليه أو على بابه من الطلب فهو دليل على تكليف ما لا يطاق في الحال وان قدر عليه بعد قال الحافظ وهل سلم قبل قوله اقرأ أم لا والظاهر لا لان المقصود حينئذ تفخيم الامر وتهويله وابتداء السلام متعلق بالبشر لا الملائكة وتسليمهم على ابراهيم لانهم كانوا في صورة البشر فلا يرد هنا ولا سلامهم على أهل الجنة لان أمور الآخرة مغايرة لامور الدنيا غالبا نعم في رواية الطيالسي ان جبريل سلم أولا لكن لم يرد أنه سلم عند الامر بالقراءة انتهى (فقلت) هذه رواية الاكثر في البخاري في التعبير وفي رواية أبي ذر فيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وفي بدء الوحي قال بدون فاء وفي رواية فيه أي بدء الوحي قلت بلا فاء أيضا (ما أنا بقارئ) وجعل المصنف في التعبير

متنه

متنه الاحمر رواية أبي ذر وعقبها بقوله ولغير أبي ذر فقلت ما أنا بقارئ ما أحسن أن أقرأ انتهى فلم يتنبه لذلك الشارح فوهم حيث أشار للاعتراض على المصنف هنا بما حاصله ان لفظ فقلت لم يقع في التعبير ولا بدء الوحي مع انك قد علمت انه رواية الاكثر وما نافية وقيل استفهامية وضعفه عياض وابن قرقول بدخول الباء في خبرها وهي لا تدخل على ما الاستفهامية وأجيب بأن رواية أبي الاسود عن عروة كيف أقرأ وابن اسحق عن عبيد ابن عمير ماذا أقرأ دالتا على انها استفهامية وقد جوز الاخفش دخول الباء على الخبر المثبت وجزم به ابن مالك في بحسبك زيد فجعل الخبر حسبك والباء زائدة (فأخذني فغطني) بغين معجمة فطاء مهملة مشددة أي ضمني وعصرني وفي رواية الطبري وابن اسحق فغتني بالتاء الفوقية وهو حبس النفس وللطيالسي بسند جيد فأخذ بحلقي (حتى بلغ مني الجهد) قال الحافظ روي بالفتح والنصب أي بلغ الغط مني غاية وسعي وروي بالضم والرفع أي بلغ مني الجهد مبلغه (ثم أرسلني) أي أطلقني (فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ) أي حكمي كسائر الناس من أن حصول القراءة انما هو بالتعلم وعدمه بعدمه فلذا كرر غطه ليخرجه عن حكم سائر الناس ويستفرغ منه البشرية ويفرغ فيه من صفات الملكية له شارح المشكاة الطيبي (فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني) كذا رواه الكشميهني ولغيره بحذف فأخذني (الثالثة حتى بلغ مني الجهد) كذا ثبت الغط ثلاثا في التعبير والتفسير وسقطت في بدء الوحي الثانية قال الحافظ ولعل الحكمة في تكرير اقرأ الاشارة الى انحصار الايمان الذي ينشأ عنه الوحي بسببه في ثلاث القول والعمل والنية وأن الوحي يشتمل على ثلاث التوحيد والاحكام والقصص ويأتي حكمة الغط في كلام المصنف قال في الروض وانتزع شريح القاضي التابعي أن لا يضرب الصبي الا ثلاثا على القرآن كما غط جبريل محمدا صلى الله عليهما وسلم ثلاثا (ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك) استدل به القائل بان البسملة ليست آية من كل سورة فهذه أول سورة نزلت وليست فيها وقال السهيلي نزلت بعد ذلك مع كل سورة لانها وقد ثبتت في المصحف باجماع الصحابة وما ذكره البخاري عن مصحف الحسن البصري شذوذ ولا نلتزم قول الشافعي انها آية من كل سورة ولا انها آية من الفاتحة بل آية من القرآن مقترنة مع السورة وهو قول داود وأبي حنيفة وهو قول بين لمن أنصف انتهى وهو اختيار له مخالف للمعتمد من مذهب مالك (الذي خلق) وصف مناسب مشعر بعلية الحكم بالقراءة (حتى) هي رواية أبي ذر ولغيره ثم (بلغ ما لم يعلم فرجع بها) قال الحافظ أي بالآيات أو بالقصة (ترجف) بضم الجيم تضطرب (بوادره) بفتح الموحدة وخفة الواو فألف فدال مهملة فراء قال المصنف جمع بادرة وهي اللحمة بين العنق والمنكبين وقال ابن بري ما بين المنكب والعنق أي لا تختص بعضو واحد وذلك لما فجأه من الامر المخالف للعادة اذ النبوة لا تزيل طباع البشرية كلها وفي بدء الوحي يرجف فؤاده قال المصنف أي قلبه أو باطنه أو غشاؤه انتهى فعلى الثالث عدل عن القلب لان الغشاء اذا حصل له الرجفان حصل للقلب ففي ذكره من تعظيم الامر ما ليس في ذكر القلب (حتى دخل على

قوله عنه الوحي هكذا في النسخ ولعله محرف والاصل عنده الوحي تأمل اهـ مصححه

خديجة) التي ألف تأنيسها له فأعلمها بما وقع له (فقال زملوني زملوني) بكسر الميم مع التكرار مرتين من التزميل وهو التلفيف أي غطوني بالثياب ولفوني بها قال ذلك لشدة ما لحقه من هول الامر والعادة جارية بسكون الرعدة بالتلفيف (فزملوه) بفتح الميم أي لفوه أي خديجة ومن معها ولذا لم يؤنث أو خديجة وحدها وعبر بجمع الذكور للتعظيم كقوله * وان شئت حرمت النساء سواكم * وقوله

وكم ذكرتك لو أجزى بذكركم * يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

(حتى ذهب عنه الروع) بفتح الراء الفزع (فقال يا خديجة ما) استفهام تعجب أي أي شيء ثبت (لي) حتى حصل لي ما حصل (وأخبرها الخبر) جملة حالية (وقال قد خشيت على) بتشديد الياء في رواية الحموي والمستملي للصحيح في التعبير ولغيرهما كالتفسير وبدء الوحي على نفسي (فقالت له) وفي بدء الوحي فقالت خديجة (كلا) نفي وابعاد أي لا تقل ذلك أو لا خوف عليك بدليل رواية فقالت معاذ الله قال الشامي ومن اللطائف أن هذه الكلمة التي ابتدأت خديجة النطق بها عقب ما ذكرها من القصة هي التي وقعت عقب الآيات فجرت على لسانها اتفاقا لانها لم تنزل الا بعد في قصة أبي جهل على المشهور (أبشر) بقطع الهمزة أمر أريد به الخبر والمقصود منه تعجيل المسرة بالبشرى أي اني مبشرة لك بخير أو بأنك رسول الله (فوالله لا يخزيك الله أبدا) بضم أوله وسكون المعجمة وكسر الزاي فتحتية ساكنة أي لا يفضحك وللكشميهني يحزنك بفتح أوله وسكون المهملة وضم الزاي كما اقتصر عليه الحافظ زاد المصنف وغيره أو بضم أوله مع كسر الزاي وبالنون يقال حزنه وأحزنه أوقعه في بلية (انك) بكسر الهمزة لوقوعها في الابتداء قال الدماميني فصلت هذه الجملة عن الاولى لكونها جوابا عن سؤال اقتضته وهو عن سبب خاص فحسن التأكيد وذلك انها لما أثبتت القول بانتفاء الخزي عنه وأقسمت عليه انطوى ذلك على اعتقادها أن ذلك بسبب عظيم فيقدر السؤال عن خصوصه حتى كأنه قيل هل سبب ذلك الاتصاف بمكارم الاخلاق ومحاسن الاوصاف كما يشير اليه كلامك فقالت انك (لتصل الرحم) أي القرابة بالاحسان اليهم على حسب حال الواصل والموصول اليه فتارة بالمال والخدمة وبالزيارة وبالسلام وغير ذلك (وتصدق الحديث) فما كذب قط ولا اتهم به قبل النبوة كما اعترف به أبو سفيان عند هرقل وكان حينئذ عدوه وثبتت هذه الخصلة في التعبير والتفسير وسقطت في بدء الوحي وهي من أشرف الخصال (وتحمل الكل) بفتح الكاف وشد اللام من لا يستقل بأمره كما قال تعالى وهو كل على مولاه أو الثقل بكسر المثلثة وسكون القاف وقال الداودي الكل المنقطع ويدخل فيه الانفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك من الكلال وهو الاعياء زاد هنا في بدء الوحي كما لم وتكسب المعدوم بفتح التاء في الاشهر وروى بضمها أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك فحذف أحد المفعولين يقال كسبت الرجل مالا وأكسبته بمعنى أو ما يعجز عنه غيرك تصيبه وتكسبه ثم تجود به في الوجوه التي ذكرت وعلى رواية ضم التاء قال الخطابي الصواب المعدم بلا واو ورده الحافظ بأنه لا يمتنع أن يطلق على المعدم المعدوم لكونه كالميت الذي لا تصرف له

فكأنها قالت اذا رغب غيرك أن يستفيد مالا موجودا رغبت أنت أن تستفيد رجلا عاجزا فتعاونه (وتقرى الضيف) بفتح الفوقية من غير همز ثلاثيا قال الابي وسمع بضمها رباعيا أى تهيئ له طعامه وتنزله قاله المصنف فى بدء الوحى وفيه افادة أن الرواية الاولى ولذا اقتصر عليه فى التعبير (وتعين على نوائب الحق) جمع نائبة أى حوادثه وهذه جامعة لافراد ماسبق ولغيره وقيدت بالحق لانها تكون فيه وفى الباطل قال لبيد

نوائب من خير وشر كلاهما * فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

أى فلا يصيبك مكروه لما جمع الله فيك من مكارم الاخلاق ومحاسن الشمائل وفيه دلالة على أن ذلك سبب للسلامة من مصارع السوء ومدح الانسان فى وجهه لمصلحة تطرأ وأما خبر احثوا فى وجوه المداحين التراب ففى مدح بباطل أو يؤدى الى باطل وتأنيس من حصلت له مخافة وتبشيره وذكر أسباب السلامة له وكمال خديجة وجزالة رأيها وعظم فقهها فقد جمعت كل أنواع المحاسن وأمهاتها فيه عليه السلام لان الاحسان اما الى الاقارب واما الى الاجانب واما بالمال أو البدن واما لمن يستقل بأمره أو غيره واجابته بجواب فيه قسم وتأكيد بان واللام لتذهب حيرته ودهشته واستدلت على ذلك بأمر استقرائى جامع لاصول المكارم (ثم) قبل أن تأتى به ورقة انطلقت خديجة على ما عند سليمان التيمى وموسى بن عتبة حتى أتت غلاما لعتبة بن ربيعة نصرانيا من أهل نينوى بكسر النون وفتحها وتحتية ساكنة فنون يقال له عداس بفتح العين وشد الدال وبسين مهملات فقالت له أذكرك الله الا ما أخبرتنى هل عندك علم من جبريل فقال عداس قدوس قدوس ياسيدة نساء قريش ماشأن جبريل يذكر بهذه الارض التى أهلها أهل الاوثان فقالت أخبرنى بعلمك فيه قال هو أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى فرجعت من عنده ثم (انطلقت به) أى مضت معه فالباء للمصاحبة قاله الحافظ وسارت به (خديجة) مصاحبة له (حتى أتت به ورقة) بفتح الواو والراء والقاف (ابن نوفل) بفتح النون والفاء (ابن أسد بن عبد العزى) تأنيث الاعز وهو الصنم (ابن قصى) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى وأنهى الحديث نسبه الى قصى لانه الذى يشترك فيه مع المصطفى عليه السلام توفى ولم يعقب ويأتى قريبا الكلام فى انه صحابى عند قول المتن وقيل أول من أسلم ورقة (وهو ابن عم خديجة) لانها بنت خويلد بن أسد وهو (أخو أبيها) بالرفع خبر مبتدا محذوف ولابن عساكر أخى بالجر صفة لعم وفائدته رفع المجاز فى اطلاق العم (وكان امرأ) ترك عبادة الاوثان و(تنصر) قال الحافظ أى صار نصرانيا (فى الجاهلية) وذلك انه خرج هو وزيد بن عمرو بن نفيل لما كرها عبادة الاوثان الى الشام وغيرها يسألون عن الدين فأعجب ورقة النصرانية وكأنه لقى من بقى من الرهبان على دين عيسى ولذا أخبر بشأنه صلى الله عليه وسلم والبشارة به الى غير ذلك مما أفسده أهل التبديل انتهى وذكر ابن عبد البر انه تهود ثم تنصر (وكان يكتب الكتاب العربى فيكتب بالعربية) أى باللغة العربية (من الانجيل ماشاء الله أن يكتب) أى الذى شاء الله كتابته فحذف العائد هكذا فى التعبير كمسلم وفى بدء الوحى العبرانى وبالعبرانية فرجح الزركشى الرواية الاولى لاتفاقهما وجمع النووى

وتبعه الحافظ بأنه تمكن من دين النصارى وكتابهم بحيث صار يتصرف فى الانجيل فيكتب ان شاء بالعربية وان شاء بالعبرانية انتهى فعلم أن الانجيل ليس عبرانيا قال الكرمانى وهو المشهور خلافا للتيمى انتهى وانما هو سريانى والتوراة عبرانية بكسر العين قال الحافظ وانما وصفته بكتابة الانجيل دون حفظه لان حفظ التوراة والانجيل لم يكن متيسرا كتيسر حفظ القرآن الذى خصت به هذه الامة فلهذا جاء فى صفتها أناجيلها فى صدورها انتهى (وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة أى ابن عم) نداء على حقيقته ووقع فى مسلم أى عم قال الحافظ وهو وهم لانه وان صح بجواز ارادة التوقير لكن القصة لم تتعدد ومخرجها متحد فلا يحمل على انها قالت ذلك مرتين فتعين الحمل على الحقيقة وانما جوزنا ذلك فى العبرانى والعربى لانه من كلام الراوى فى وصف ورقة انتهى وفى الديباج وعندى انها قالت ابن عم على حذف حرف النداء فتصحفت ابن بأى انتهى (اسمع) بهمزة وصل (من ابن أخيك) تعنى النبى صلى الله عليه وسلم لان الأب الثالث لورقة وهو عبد العزى هو الاخ للأب الرابع للمصطفى وهو عبد مناف كأنها قالت من ابن أخى جدك فهو مجاز بالحذف قال الحافظ أولان والده عبد الله فى عدد النسب الى قصى الذى يجتمعان فيه سواء فكان من هذه الحيثية فى درجة اخوته أوقالته على سبيل التوقير لسنه قال وفيه ارشاد الى أن صاحب الحاجة يقدم بين يديه من يعرف بقدره ممن يكون أقرب منه الى المسئول وذلك مستفاد من قولها أرادت أن يتأهب لسماع كلامه وذلك أبلغ فى التعظيم (فقال ورقة ابن أخى) بالنصب منادى مضاف (ماذاترى) قال الحافظ فيه حذف دل عليه السياق وصرح به فى دلائل أبى نعيم بسند حسن بلفظ فأتت به ورقة ابن عمها فأخبرته بالذى رأى فقال ماذاترى (فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم مارأى) وفى بدء الوحى خبر مارأى فهنا مضاف مقدر (فقال ورقة هذا) أى الملك الذى ذكره عليه السلام نزله منزلة القريب لقرب ذكره كما فى الفتح (الناموس) بنون وسين مهملة وهو صاحب السر كما جزم به البخارى فى أحاديث الانبياء أى مطلقا عند الجمهور وهو الصحيح خلافا لمن زعم أن صاحب سر الشر يقال له الجاسوس وقال ابن دريد هو صاحب سر الوحى والمراد جبريل وأهل الكتاب يسمونه الناموس الاكبر (الذى أنزل) بالبناء للمفعول فى التعبير والتفسير وفى بدء الوحى نزل الله وللكشميهنى أنزل الله (على موسى) لم يقل عيسى مع انه كان نصرانيا تحقيقا للرسالة لان نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتابين بخلاف عيسى فكثير من اليهود ينكرنبوته أولا شتمال كتاب موسى على أكثر الاحكام ككتاب نبينا بخلاف الانجيل فأمثال ومواعظ أولان النصارى يتبعون أحكام التوراة ويرجعون اليها قال الحافظ أولان موسى بعث بالنقمة على فرعون وأتباعه بخلاف عيسى وكذلك وقعت النقمة على يده صلى الله عليه وسلم لفرعون هذه الامة ومن معه ببدر قال وأما ما تمحل به السهيلى من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى فى عدم نبوة عيسى ودعواهم انه أحد الاقانيم فهو محال لا يعرج عليه فى حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل فى التبديل أولم يأخذ عمن لم يبدل على انه قد ورد عند الزبير بن بكار بلفظ عيسى ولا يصح نعم لابى نعيم

فى الدلائل بسند حسن أن خديجة أتت ابن عمها ورقة فاخبرته الخبر فقال ان كنت صدقتني انه ليأتيه ناموس عيسى الذى لا يعلمه بنو اسرائيل أبناءهم فعلى هذا فكان ورقة يقول تارة ناموس عيسى وتارة ناموس موسى فعند اخبار خديجة له بالقصة قال لها ناموس عيسى بحسب ماهو فيه من النصرانية وعند اخبار النبى صلى الله عليه وسلم قال له ناموس موسى والكل صحيح انتهى (ياليتنى) أكون (فيها) أى مدة النبوة أو الدعوة (جذعا) بفتح الجيم والمعجمة شابا قالنصب وهو المشهور فى الصحيحين خبرا أكون المقدرة كذا أعربه الخطابى والمازرى وابن الجوزى على رأى الكوفيين فى نحو انتهوا خيرا لكم وضعف بأن كان لا تضمر الا اذا كان فى الكلام لفظ يقتضيها نحو ان خيرا فخير وعلى الحال من الضمير المستكن فى خبر ليت وهو فيها أى كائن فيها حال الشبيبة والقوة لا بالغ فى نصرك ورجحه عياض ثم النووى وعزاه للمحققين قال السهيلى والعامل فى الحال ما يتعلق به الخبر من معنى الاستقرار أو على أن ليت تنصب الجزءين كقوله * ياليت أيام الصبا رواجعا * وقال ابن برى بفعل محذوف والتقدير ياليتنى جعلت ورواه الاصيلى فى البخارى وابن ماهان فى مسلم بالرفع خبر ليت قال ابن برى المشهور عند أهل اللغة والحديث جذع بسكون العين قال السيوطى هو رجز مشهور عندهم يقولون ياليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع (ليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك) هكذا هو فى التعبير بلفظ حين وفى بدء الوحى اذ بدلها باستعمال اذ فى المستقبل تنزيلا له منزلة الماضى لتحقق وقوعه كقوله وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر قال الحافظ فيه دليل على جواز تمنى المستحيل اذا كان فى خير لان ورقة تمنى أن يعود شابا وهو مستحيل عادة ويظهر لى أن التمنى ليس على بابه بل المراد التنبيه على صحة ما أخبره به والتنويه بقوة تصديقه فيما يجىء به انتهى وقيل هو تحسر لتحققه عدم عود الشباب (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو) بفتح الواو (مخرجى) بشد الياء مفتوحة خبر مقدم لقوله (هم) جمع مخرج قاله ابن مالك وأصله مخرجون لى حذفت اللام تخفيفا ونون الجمع للاضافة الى ياء المتكلم فصار أومخرجوى اجتمعت الواو والياء وسبقت الواو بالسكون فقلبت ياء ثم أدغمت فى ياء المتكلم وقلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء والهمزة للاستفهام ولم يقل وأمخرجى مع أن الاصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف نحو فأين تذهبون لاختصاص الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيها على اصالتها نحو أولم يسيروا هذا مذهب سيبويه والجمهور وقال الزمخشرى وجماعة الهمزة فى محلها الاصلى والعطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف والتقدير أمعادى هم ومخرجى هم واذا دعت الحاجة لمثل هذا التقدير فلا يستنكر وعطفه مع انه انشاء على قول ورقة حين يخرجك قومك وهو خبر لان الاصح كما قال المصنف جوازه عند النحويين وانما منعه البيانيون فاحتاجوا للتقدير المذكور فالتركيب سائغ عند الجميع وأما كونه عطف جملة على جملة والمتكلم مختلف فسائغ معروف فى القرآن والكلام الفصيح واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى ثم الاستفهام انكارى لانه استبعد صلى الله عليه وسلم اخراجه من الوطن لاسيما حرم الله وبلد أبيه اسمعيل من غير سبب يقتضيه فانه كان جامعا الانواع

المحاسن المقتضية لاكرامه وانزاله منهم منزلة الروح من الجسد ويؤخذ منه كما قال السهيلى أن مفارقة الوطن على النفس شديدة لاظهاره الانزعاج لذلك بخلاف ما سمعه من ورقة من ايذائهم وتكذيبهم له ففى مرسل عبيد بن عمير أن ورقة قال له لتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه بهاء السكت (فقال ورقة نعم لم يأت رجل قط) بفتح القاف وشد الطاء مضمومة فى أفصح اللغات ظرف لاستغراق الماضى فيختص بالنفى (بما) وللكشميهنى فى التعبير كبدء الوحى بمثل ما (جئت به الا عودى) وفى التفسير الا أوذى فذكر ورقة أن علة ذلك مجيئه لهم بالانتقال عن مألوفهم ولانه علم من الكتب انهم لايجيبونه وأنه يلزم ذلك منابذتهم فتنشا العداوة وفيه دليل على انه يلزم المجيب اقامة الدليل على جوابه اذا اقتضاه المقام (وان يدركنى) بالجزم بان الشرطية (يومك) فاعل يدرك أى يوم انتشار نبوتك زاد فى التفسير حيا (أنصرك) بالجزم جواب الشرط (نصرا) بالنصب على المصدرية ووصفه بقوله (مؤزرا) بضم الميم وفتح الزاى المشددة آخره راء مهموز من الازر أى قويا بالغا وانكار القزاز الهمز لغة رد بقول الجوهرى أزرت فلانا عاونته والعامة تقول وازرته وقال أبو شامة يحتمل انه من الازار اشارة الى تشميره فى نصرته قال الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * البيت وفى رواية ابن اسحق من مرسل عبيد بن عمير ان أدرك ذلك اليوم قال السهيلى والقياس رواية الصحيح لان ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذى يدركه من يأتى بعده كما جاء أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حى قال ولرواية ابن اسحق وجه لان المعنى ان أر ذلك اليوم فسمى رؤيته ادراكا وفى التنزيل لاتدركه الابصار أى لاتراه على أحد القولين انتهى (ثم لم ينشب) بفتح التحتية والمعجمة أى لم يلبث (ورقة) بالرفع فاعل ينشب (أن توفى) بفتح الهمزة وخفة النون بدل اشتمال من ورقة أى لم تأخر وفاته ويجوز أن محله جر بجار مقدر أى عن الوفاة أو نصب بنزع الخافض لا يلتفت اليه اذ الاول شاذ والثانى مقصور على السماع فلا يخرج عليه كلام الفصحاء قال الحافظ وأصل النشوب التعلق أى لم يتعلق بشئ من الامور حتى مات وهذا يخالف ما فى سيرة ابن اسحق ان ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب وذلك يقتضى تأخره الى زمن الدعوة ودخول بعض الناس فى الاسلام فان تمسكنا بالترجيح فما فى الصحيح أصح وان لحظنا الجمع أمكن أن الواو فى وفتر الوحى ليست للترتيب ولعل الراوى لم يحفظ لورقة ذكرا بعد ذلك فى أمر من الامور فجعل هذه القصة انتهاء أمره بالنسبة الى علمه لا الى ما هو الواقع انتهى واعتمد هذا فى الاصابة وأول قوله أن توفى بأن معناه قبل اشتهار الاسلام والامر بالجهاد انتهى وقد أرخ الخميس موت ورقة فى السنة الثالثة من النبوة وقيل الرابعة وأما قول الواقدى انه قتل ببلاد لخم وجذام بعد الهجرة فغلط بين فانه دفن بمكة كما نقله البلاذرى وغيره (وفتر الوحى) أى احتبس جبريل عنه بعد أن بلغه النبوة (فترة) سيذكر المصنف قدرها (حتى حزن) بكسر الزاى (النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا) جزم عياض بأن هذا قول معمر وخالفه السيوطى والمصنف تبعا للحافظ وقالوا هو شيخه الزهرى (حزنا غدا) بغين معجمة من الذهاب غدوة وبمهملة من الغدو وهو الذهاب بسرعة (منه) أى الحزن

(مرارا كى يتردى) يسقط (من رؤس شواهق الجبال) أى طوالها جمع شاهق وهو العالى الممتنع وعند ابن سعد من حديث ابن عباس مكث أياما بعد مجىء الوحى لا يرى جبريل فحزن حزنا شديدا حتى كان يغدو الى ثبير مرة والى حراء أخرى يريد أن يلقى نفسه (فكلما أوفى) بفتح الهمزة والفاء وسكون الواو أشرف (بذروة) بكسر الذال المعجمة وتفتح وتضم أعلى (جبل لكى يلقى نفسه) اشفاقا أن تكون الفترة لامر أو سبب منه فخشى أن تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهى عنه فيعترض به أو لما أخرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك الآية ذكرهما عياض وقول المصنف أو حزن على ما فاته من بشارة ورقة ولم يخاطب عن الله بأنه رسول الله ومبعوث الى عباده فيه أن فى مرسل عبيد بن عمير عند ابن اسحق انه ناداه أنت رسول الله وأنا جبريل بعد الغط وقبل أن يأتى الى خديجة (تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا) وفى حديث ابن عباس عند ابن سعد فبينما هو عامد لبعض تلك الجبال اذ سمع صوتا فوقف فزعا ثم رفع رأسه فاذا جبريل على كرسى بين السماء والارض متربعا يقول يا محمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل (فيسكن لذلك جأشه) بجيم فهمزة ساكنة ويجوز تسهيلها فشين معجمة أى اضطراب قلبه (وتقر) بفتح الفوقية والقاف (نفسه) والعطف تفسيرى (فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة جبل تبدى) وفى رواية بدا فى الموضعين بدل تبدى (له جبريل فقال له مثل ذلك) يا محمد انك رسول الله حقا وهذا البلاغ ليس بضعيف كما ادعى عياض متمسكا بأنه لم يسنده لان عدم اسناده لا يقدح فى صحته بل الغالب على الظن انه بلغه من الثقات لانه ثقة ثم ان معمرا لم ينفرد به عن الزهرى بل تابعه عليه يونس بن يزيد عند الدولابى ورواه ابن سعد من حديث ابن عباس بنحوه وفى بعض النسخ السقيمة هنا وفى رواية أبى داود سليمان بن الاشعث السجستانى قال جاورت بحراء شهرا فذكر حديث جابر الآتى الى قوله ولم تكن الرجفة وهى خطأ محض لتكررها مع الآتى وقصر عزوها لابى داود مع انه أخرجه الشيخان والترمذى والنسائى والذى فى النسخ الصحيحة المقروءة انما هو ما يأتى لا ما هنا ولم يتعرض شيخنا لهذا انما كتب على الآتى وأيضا فالمناسب ذكره ثم لانه شرع هنا يتكلم على بعض حديث البخارى فقال (وقد تكلم العلماء فى معنى قوله عليه السلام لخديجة قد خشيت على) لان ظاهره مشكل لاقتضائه الشك فى أن ما أتاه من الله ولا يجوز بمقامه صلى الله عليه وسلم فهو محتاج للتكلم فى معناه فاختلفوا فيه على اثنى عشر قولا (فذهب) الامام الحافظ الثبت أبو بكر أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن العباس (الاسماعيلى) الجرجانى قال الحاكم كان واحد عصره وشيخ المحدثين والفقهاء وأجلهم رياسة ومروءة وسخاء علا اسناده وتفرد ببلاد العجم ومات فى رجب سنة احدى وسبعين وثلثمائة (الى) حمله على ظاهره ولا ضير فيه لجواز (ان هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم الضرورى بان الذى جاءه ملك من عند الله) وأما بعد وصوله فلا (وكان أشق) بالنصب خبر (شئ عليه) والاسم (أن يقال) أى قولهم (عليه مجنون) فكان يكره ذلك فى نفسه وان لم يقل عليه حينئذ

فانهم انما قالوه بعد دعائهم الى الايمان تنفيرا للناس عنه أو علم بنور أودعه الله فى قلبه انه يقال عليه وحاصل هذا القول ما لخصه الحافظ بقوله أولها أنه خشى الجنون وأن يكون ما جاءه من جنس الكهانة جاء مصرحا به فى عدة طرق وأبطله أبو بكر بن العربى وحق له أن يبطل لكن حمله الاسماعيلى على ذلك انتهى قال السهيلى ولم ير الاسماعيلى أن هذا محال فى مبدإ الامر لان العلم الضرورى لا يحصل دفعة واحدة وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله فلا تدرى أنظم هو أم نثر فاذا استمر الانشاد علمت قطعا انه قصد به الشعر كذلك لما استمر الوحى واقترنت به القرائن المقتضية للعلم القطعى وقد أثنى الله عليه بهذا العلم فقال آمن الرسول الى قوله ورسله (وقيل ان خشيته كانت من قومه أن يقتلوه) وان كان عالما بأن ما جاءه من ربه (ولا غرو) بغين معجمة مفتوحة فراء فواو ولا عجب فى خشيته ذلك وان كان سيد أهل اليقين لان ذلك مما يرجع للطبع (فانه بشر يخشى من القتل والاذية كما يخشى البشر) ثم يهون عليه الصبر فى ذات الله كل خشية ويجلب الى قلبه كل شجاعة وقوة قاله فى الروض ثالثها خشى الموت من شدة الرعب رابعها تعييرهم اياه قال الحافظ وهذان أولى الاقوال بالصواب وأسلمها من الارتياب وما عداهما معترض خامسها خشى المرض وبه جزم ابن أبى جمرة سادسها دوامه سابعها العجز عن رؤية الملك من الرعب ثامنها مفارقة الوطن تاسعها عدم الصبر على أذى قومه عاشرها تكذيبهم اياه حادى عشرها مقاومة هذا الامر وحمل أعباء النبوة فتزهق نفسه أو ينخلع قلبه لشدة ما لقيه أولا عند لقاء الملك ثانى عشرها انه هاجس قال الحافظ وهو باطل لانه لا يستقر وهذا استقر وحصلت بينهما المراجعة وأما قول عياض هذا أول ما رأى التباشير فى النوم واليقظة وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحقق رسالة ربه أما بعد أن جاءه بالرسالة فلا يجوز عليه الشك فضعفه النووى بأنه خلاف تصريح الحديث بأن هذا بعد الغط واتيانه اقرأ وأجاب العينى بأن مراده اخبارها بما حصل له لا انه خاف حال الاخبار فلا يكون ضعيفا (وقوله ما أنا بقارئ أى انى أمى فلا أقرأ الكتب) فما نافية لا استفهامية لوجود الباء فى الخبر وان جوزه الاخفش فهو شاذ والباء زائدة لتأكيد النفى أى ما أحسن القراءة قال السهيلى فلما قال ذلك ثلاثا قيل له اقرأ باسم ربك أى لا بقوتك ولا بمعرفتك لكن بحول ربك واعانته فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع علق الدم ومغمز الشيطان منك فى الصغر بعد ما خلقه فيك كما خلقه فى كل انسان فالآيتان المتقدمتان لمحمد صلى الله عليه وسلم والاخريان لامته وهما الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم لانها كانت أمة أمية لا تكتب فصاروا أهل كتاب وأصحاب قلم فتعلموا القرآن بالقلم وتعلمه نبيهم تلقيا من جبريل عليهما السلام (وقال القاضى عياض وغيره انما ابتدئ عليه السلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشر فبدئ بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة) من المرائى الصادقة الصالحة الدالة على ما يؤل اليه أمره وقد روى ابن اسحق فى مرسل عبيد بن عمير جاءنى جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قلت ما أقرأ فغتنى حتى ظننت انه الموت وذكر أنه فعل به ذلك ثلاث مرات وهو يقول ما أقرأ ما أقول

ذلك الاقتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع فقال اقرأ باسم ربك الى قوله مالم يعلم فقرأتها
ثم انصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتب في قلبي كتابا فذكر الحديث وذكر السهيلي
عن بعض المفسرين أن الاشارة في قوله تعالى ذلك الكتاب للذي جاء به جبريل حينئذ
(انتهى) واعترض على المصنف بان الاولى تقديم هذا على قوله تكلم العلماء ورده شيخنا
بان الغرض منه بيان ما يوهم خلاف المراد فكان الاعتناء ببيانه أهم (فان قلت فلم كرر
قوله ما أنا بقارئ ثلاثا فأجاب) الاولى حذف الفاء كما في الفتح (أبو شامة) الامام
الحافظ العلامة أبو القاسم عبد الرحمن بن اسمعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي ثم الدمشقي
الشافعي المقرى النحوي المتوفى تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وستمائة ومولده
سنة تسع وتسعين وخمسمائة (كما في فتح الباري) بأن ذلك لحكمة (بأن يحمل قوله
أولا على الامتناع وثانيا على الاخبار بالنفي المحض وثالثا على الاستفهام) بدليل روايتي
كيف اقرأ وماذا أقرأ كما مر فهو حجة للاخفش في جواز دخول الباء في الخبر المثبت وبه
جزم بعض الشراح ومرت حكمة تكرير اقرأ (والحكمة في الغط ثلاثا شغله عن الالتفات
لشئ آخر واظهار الشدة والجد في الامر) وأن يأخذ الكتاب بقوة (تنبيها على ثقل القول
القرآن (الذي سيلقى اليه) فانه لما فيه من التكاليف ثقيل على المكلفين سيما النبي صلى
الله عليه وسلم فانه كان يتحملها ويحملها أمته قاله البيضاوي (وقيل ابعادا لظن التخيل
والوسوسة) اللذين ظنهما عليه الصلاة والسلام قبل كما في رواية يونس عن ابن اسحق بسنده
الى أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل انه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي
سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك
انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث (لانهما ليسا من صفات الاجسام فلما وقع
ذلك) الغط ثلاثا (بجسمه علم أنه من أمر الله) فاطمأن وقيل الغطة الاولى للتخلي عن
الدنيا والثانية لما يوحى اليه والثالثة للمؤانسة وقيل اشارة الى الشدائد الثلاث التي
وقعت له وهي الحصر في الشعب وخروجه الى الهجرة وما وقع له يوم أحد وفي الارسالات
الثلاث اشارة الى حصول الفرج والتيسير له عقب الثلاث أو في الدنيا والبرزخ والآخرة
وقيل للمبالغة في التنبيه ففيه انه ينبغي للمعلم الاحتياط في تنبيه المتعلم وأمره باحضار قلبه
(فان قلت من أين عرف صلى الله عليه وسلم أن جبريل ملك من عند الله وليس من الجن) وبم
عرف انه حق لا باطل (فالجواب من وجهين أحدهما) يجوز (أن الله تعالى أظهر على
يدي جبريل عليه السلام معجزات عرفه بها) ولم تذكر لانها مما لا تحيط بها عقولنا أولا
يتعلق لنا بها غرض (كما أظهر الله تعالى على يدي محمد صلى الله عليه وسلم معجزات عرفناه
بها) وعلى هذا اقتصر في الكواكب وعمدة القاري (وثانيهما أن الله خلق في محمد صلى
الله عليه وسلم علما ضروريا بأن جبريل من عند الله ملك لا جني ولا شيطان) عطف مباين
بالصفة على ما ذكر الحافظ أن من كان كافرا سمي شيطانا والا فهو جني أو بالذات على
ما في المقاصد أن الغالب على الجن عنصر الهواء وعلى الشياطين عنصر النار (كما أن الله
تعالى خلق في جبريل علما ضروريا بأن المتكلم معه هو الله تعالى وأن المرسل له ربه تعالى

لاغيره) ولعل الثانى أولى (وقول ورقة ياليتنى فيها جذعا الضمير للنبوة) أى مدة النبوة زاد الحافظ أو الدعوة والعينى أو الدولة واستشكل هذا النداء بأن لامنادى ثم يطلب اقباله بيا وبأن ليت حرف وحرف النداء لايدخل على حرف فجعل أبو البقاء والاكثر المنادى محذوفا أى يا محمد وضعفه ابن مالك بأن قائل ليتنى قد يكون وحده فلا يكون معه منادى كقول مريم ياليتنى مت وأجيب بأنه يجوز أن يجرد من نفسه نفسا يخاطبها كأن مريم قالت يا نفسى ليتنى فكذا يقدر هنا وضعف ابن مالك دعوى الحذف أيضا بأنه انما يجوز اذا كان الموضع الذى ادعى فيه حذفه مستعملا فيه ثبوته كحذف المنادى قبل أمر نحو ألا يا اسجدوا فى قراءة الكسائى أى يا قوم أو دعاء نحو ألا يا اسلمى أى ألا يا دار فحسن حذف المنادى قبلها اعتياد ثبوته نحو يا يحيى خذ الكتاب يا موسى ادع لنا ربك بخلاف ليت فلم تستعمله العرب ثابتا قبلها فادعاء حذفه باطل ورده العينى بأنه لاملازمة بين جواز الحذف وبين ثبوت استعماله قلت وهو رد لين والذى اختاره ابن مالك أن يا هذه لمجرد التنبيه مثل الا فى ألا ليت شعرى هو الوجيه وفسر جذعا بقوله (أى ليتنى كنت شابا عند ظهورها حتى أبالغ فى نصرتها وحمايتها) بنصرك وحمايتك وفى مرسل عبيد بن عمير لئن أنا أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه (وأصل الجذع) قال ابن سيده مفرد جذعان وجذاع بالكسر والضم وأجذاع قال الازهرى ويسمى الدهر جذعا لانه شاب لايهرم (من أسنان الدواب) واستعير للانسان ومعناه على التشبيه حيث أطلق الجذع الذى هو الحيوان المنتهى الى القوة وأراد به الشاب الذى فيه قوة الرجل وتمكنه من الامور (وهو ما كان منها شابا فتيا) قال ابن سيده قيل الجذع من المعز الداخل فى السنة الثانية ومن الابل فوق الحق وقيل منها الاربع ومن الخيل لسنتين ومن الغنم لسنة وقيل معناه ياليتنى أدرك أمرك فأكون أول من يقوم بنصرك كالجذع الذى هو أول الاسنان قال صاحب المطالع والقول الاول أبين (وأخرج البيهقى من طريق العلاء بن جارية) بجيم وراء وتحتية (الثقفى) صحابى كما فى الاصابة وغيرها لكن الراوى هنا انما هو حفيده فالذى عند البيهقى من طريق ابن اسحق قال حدثنى عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان العلاء بن جارية الثقفى وكان واعية أى للعلم فسقط على المصنف اسمه واسم أبيه وكنية جده المسمى بالعلاء وأتى باسمه وليس هو الراوى لان ابن اسحق ليس تابعيا بل من صغار الخامسة وقد قال حدثنى فانما الراوى حفيد العلاء وهو عبد الملك (عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتداءه) عطف تفسير (بالنبوة كان لايمر بحجر ولا شجر الاسلم عليه وسمع منه) ذكره لانه لايلزم من السلام أن يسمعه وكان ابتداء ذلك قبل النبوة بسنتين على ماروى ابن الجوزى عن ابن عباس قال أقام صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة سبعا يرى الضوء والنور ويسمع الصوت وثمان سنين يوحى اليه قال الخازن وهذا ان صح يحمل على سنتين قبل النبوة فيما كان يراه من تباشيرها وثلاث سنين بعدها قبل اظهار الدعوة وعشر سنين معلن بالدعوة بمكة انتهى وهو حمل مناف لقوله ثمانية اللهم الا أن يقال الحق سنتين من ابتداء العشر بما قبلها لعدم ظهور الدعوة فيهما كل

الظهور

الظهور (فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى الا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة) التي لم تكن معروفة قبلها اكراما واعلاما بأنه سيوحى اليه بالرسالة تقول (السلام عليك يا رسول الله الحديث) وأفاد المصنف فيما يأتي استمرار السلام بعد النبوة قال السهيلي الاظهر أنهما نطقا بذلك حقيقة وليست الحياة والعلم والارادة شرطا له لانه صوت وهو عرض عند الاكثر لا جسم كما زعم النظام وان قدر الكلام صفة قائمة بنفس الشجر والحجر فلا بد من شرط الحياة والعلم مع الكلام فيكونان مؤمنين به ويحتمل انه مضاف في الحقيقة الى ملائكة يسكنون تلك الاماكن فهو مجاز كاسأل القرية وفي كلها علم على النبوة لكن لا يسمى معجزة الا ما تحدى به الخلق فعجزوا عن معارضته انتهى ملخصا (وعن جابر) بن عبد الله الانصاري الخزرجي الصحابي ابن الصحابي (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء) أقمت فيه والفرق بينه وبين الاعتكاف أنه لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارجه قاله ابن عبد البر وغيره ولذا لم يسمه اعتكافا لان حراء ليس من المسجد (شهرا) في مدة الفترة غير الشهر الذي نزل عليه فيه جبريل بسورة اقرأ ففي مرسل عبيد بن عمير عند البيهقي انه كان يجاور في كل سنة شهرا وهو رمضان فلا حجة في الحديث على أن أول ما نزل المدثر (فلما قضيت جواري) بكسر الجيم وخفة الواو أي مجاورتي (هبطت) وفي مسلم نزلت فاستبطنت بطن الوادي أي صرت في باطنه (فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيأ ونظرت عن شمالي فلم أر شيأ ونظرت خلفي فلم أر شيأ فرفعت رأسي فرأيت شيأ) هو جبريل كما قال في بدء الوحي والتفسير فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض وهو معنى رواية التفسير أيضا وهو جالس على عرش بين السماء والارض (فلم أثبت له) وفي بدء الوحي فرعبت منه قال الحافظ فدل على بقية بقيت معه من الفزع الاول ثم زالت بالتدريج (فأتيت خديجة فقلت دثروني دثروني) مرتين هكذا في الصحيحين في التفسير وفي البخاري في بدء الوحي زملوني زملوني والاول أولى لاتفاقهما عليه ولانه كما قال الزركشي أنسب بنزول المدثر (وصبوا على ماء باردا) أي على جميع بدني على ظاهره (فنزلت) ايناسا له واعلاما بعظيم قدره وتلطفا (يا أيها المدثر) بثيابه قاله الجمهور وعن عكرمة بالنبوة وأعبائها (قم) من مضجعك أو هو مجاز أي قم مقام تصميم (فأنذر) حذر من العذاب من لم يؤمن بك وحذف المفعول تفخيما وفيه انه أمر بالانذار عقب نزول الوحي للاتيان بفاء التعقيب واقتصر على الانذار وان كان بشيرا ونذيرا لان التبشير انما يكون لمن دخل في الاسلام ولم يكن حينئذ من دخل فيه (وربك فكبر) عظمه ونزهه عما لا يليق به وقيل المراد تكبير الصلاة واعترض (الآية) أل للجنس بدليل رواية بدء الوحي فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر الى قوله والرجز فاهجر يعني وثيابك فطهر من النجاسة أو قصرها أو طهر نفسك من كل نقص أي اجتنب النقائص والرجز فاهجر الرجز لغة العذاب وفسر في الحديث بالاوثان لانها سبب العذاب وقيل الشرك وقيل الظلم وكلها أفراد فالمراد ما ينافي التوحيد ويؤل الى العذاب (وذلك قبل أن تفرض الصلاة) التي هي ركعتان

بالغداة وركعتان بالعشى لانها المحتاجة للتنبيه عليها واما الخمس فمتأخرة عن ذلك لكونها ليلة الاسراء (رواه البخارى) فى التفسير والادب وبدء الوحى (ومسلم) فى التفسير (والترمذى والنسائى ولم يكن جواره عليه الصلاة والسلام لطلب النبوّة) لانه ولو علم بالبشارات الحاصلة قبل ولادته واخبار الكهنة وبحيرا وغيرهم بأنه نبى آخر الزمان لكن صانه الله سبحانه عن اعتقاد ما يخالف ما عنده تعالى من أنها لاتنال بطلب فانه صلى الله عليه وسلم قبل النبوّة منشرح الصدر بالتوحيد والايمان وكذلك الانبياء فانهم كما قال عياض معصومون قبلها من الشك فى ذلك والجهل به اتفاقا فانما كان جواره مجرّد عبادة وانعزال عن الناس واقتفاء لاثار جدّه فانه كما مرّ أوّل من تحنث بحراء لا للنبوّة (لانها أجل من أن تنال بالطلب والاكتساب) عطف تفسير (وانما هى موهبة) بكسر الهاء (من الله وخصوصية يخص بها من يشاء من عباده) ولو كانت تنال بذلك لنالها كثير من العباد سنين كثيرة (و) قد قال سبحانه (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) أى المكان الذى يضعها فيه وغرض المصنف دفع ما يتوهم أن الجوار للنبوّة التى الكلام فيها فأين اشعاره بأن الولاية مكتسبة حتى يعترض عليه بنص بعض المحققين على امتناع اكتساب الولاية أيضا لكن لايكفر الا مجوّز اكتساب النبوّة نعم لايقصر كما قال بعض المتأخرين شأن مجوّز اكتساب الولاية عن التبديع (ولم تكن الرجفة المذكورة) فى قوله فلم أثبت له وفى رواية فرعبت منه وفى أخرى فجئثت بضم الجيم وكسر الهمزة وسكون المثلثة ففوقية وفى أخرى فجثثت بمثلثتين من جثى كعنى وفيه روايات أخر والكل فى الصحيح (خوفا من جبريل عليه السلام فانه صلى الله عليه وسلم أجل من ذلك وأثبت جنانا) بفتح الجيم أى قلبا (وانما رجف بفتحتين (غبطة) بكسر الغين فرحا (بحاله) وهى فى الاصل حسن الحال كما فى القاموس (واقباله على الله عز وجل تخشى أن يشتغل بغير الله عن الله) وقد آمن الله خوفه فلم يكن يشغله عن الله شئ (وقيل) لم يخش ذلك بل (خاف من ثقل أعباء النبوّة) أثقالها جمع عبء مهموز فالاضافة بيانية (وفى رواية البيهقى فى الدلائل أن خديجة قالت لابى بكر) الصدّيق قال الزمخشرى لعله كنى بذلك لابتكاره الخصال الجيدة (يا عتيق) ظاهر فى القول بأنه اسمه الاصلى لان أمه استقبلت به الكعبة لما ولدو قالت اللهم هذا عتيقك من الموت لانه كان لايعيش لها ولد وقيل سمى به لقول المصطفى من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبى بكر وبينهما تناف فان قول خديجة قبل ظهور النبوّة وقد يتعسف التوفيق بأنه اسمه ابتداء لكن لم يشتهر به الا بعد قول المصطفى والصحيح ما جزم به البخارى وغيره أن اسمه عبد الله بن عثمان (اذهب به الى ورقة فأخذه أبو بكر فقص عليه ما رأى) ووفق العينى بين هذا ونحوه وبين ما فى الصحيح انها ذهبت معه الى ورقة بأنها أرسلته مع الصديق مرّة وذهبت به أخرى وسألت عداسا بمكة وسافرت الى بحيرا كما رواه التيمى كل ذلك من شدّة اعتنائها به صلى الله عليه وسلم ورضى عنها انتهى وبين ما قصه بقوله (فقال عليه الصلاة والسلام اذا خلوت وحدى سمعت نداء يا محمد فأنطلق هاربا) خوفا أن يكون من الجن (فقال لاتفعل اذا قال) المنادى ذلك (فاثبت حتى تسمع) ما بعد يا محمد (ثم ائتنى

فاخبرنى

وأخبرني فلما خلا ناداه) على عادته التي كان يفعلها معه (يا محمد فثبت فقال قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها) أي الفاتحة (ثم قال قل لا اله الا الله الحديث) وغرضه من سياقه انه معارض بحديث الصحيح في أن أول ما نزل اقرأ كما أرشد الى ذلك قوله الآتي فقال البيهقي "هذا منقطع الخ وكذا قوله (واحتج بذلك من قال بأولية نزول الفاتحة) أولية مطلقة (والصحيح أن أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القرآن أول سورة (اقرأ) الى قوله ما لم يعلم (كما صح ذلك عن عائشة) مرفوعا (وروى عن أبي موسى الاشعري" وعبيد بن عمير) بن قتادة بن سعد أبي عاصم الليثي" المكي" قاضيها الثقة الحافظ أحد كبار التابعين (قال النووي" وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف وأما ما روى عن جابر وغيره أن أول ما نزل) مطلقا أول سورة (يا أيها المدثر) الى قوله والرجز فاهجر (فقال النووي" ضعيف بل باطل) بطلانا ظاهرا ولا تغتر بجلالة من نقل عنه فان المخالفين له هم الجماهير ثم ليس ابطاله قوله تقليدا للجماهير بل تمسكا بالدلائل الظاهرة ومن أصرحها حديث عائشة (وانما نزلت) يا أيها المدثر (بعد فترة الوحي بعد نزول اقرأ كما صرح به في مواضع من حديث جابر نفسه كقوله وهو يحدث عن فترة الوحي الى ان قال فأنزل الله يا أيها المدثر وقوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسيه بين السماء والارض وقوله فحمي الوحي وتتابع أي بعد فترانه انتهى كلام النووي" كله في شرحه للبخاري" وهو قطعة من أوله فلا حجة في حديث جابر على الاولية المطلقة وان استدل به جابر عليه ففي البخاري" ومسلم من طريق يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن أي" القرآن أنزل أول فقال يا أيها المدثر فقلت أنبئت انه اقرأ باسم ربك فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله أي" القرآن أنزل أول فقال يا أيها المدثر فقلت أنبئت انه اقرأ باسم ربك قال لا أخبرك الا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء الحديث المتقدم في المصنف ولذا قال الكرماني" استخرج جابر ان أول ما نزل يا أيها المدثر باجتهاده وليس هو من روايته فالصحيح ما في حديث عائشة من ان أول ما نزل اقرأ انتهى لانها رفعته والمرفوع مقدم على الاستنباط ولا سيما مع قبوله للتأويل بل هو الظاهر منه وبهذا علمت صعوبة قول السيوطي" والمصنف مراد جابر أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي أو بالامر بالانذار أو بقيد السبب وهو ما وقع من التشديد وأما اقرأ فنزلت ابتداء بغير سبب انتهى لان هذا انما يصح لو لم يقل له السائل أنبئت أن أوله اقرأ نعم هي أجوبة عن دليله فان قلت كيف حكم النووي" وغيره بالضعف بل بالبطلان على المروى عن جابر مع صحة الطريق اليه كيف وهو في أرفع الصحيح مروي الشيخين قلت حكمه انما هو على نفس القول الذي صحت نسبته لقائله بصحة اسناده ونظيره هذا في القرآن كثير وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فلا شك ان قولهم باطل ولا في القطع بأنهم قالوه (وأما حديث البيهقي) المار (أنه الفاتحة كقول بعض المفسرين فقال البيهقي "هذا منقطع) فلا حجة فيه لانه من أقسام الضعيف (فان كان محفوظا) من غير هذا الوجه (فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ باسم ربك ويا أيها المدثر) فلا حجة فيه للاولية المطلقة وبهذا يسقط زعم ان

رواية البيهقي قبل أن يرى المصطفى جبريل بالمرة (وقال النووي بعد ذكر هذا القول بطلانه أظهر من أن يذكر) لمخالفته للمرفوع مع صحته وعدم تطرق الاحتمال اليه لصراحته ولذا جزم به الجمهور (انتهى) فتحصل ثلاثة أقوال فى أول ما نزل اقرأ المدثر الفاتحة وقيل المزمل وقيل ن والقلم وهما ضعيفان أيضا (وقد روى ان جبريل عليه السلام أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن أمره بالاستعاذة كما رواه الامام) المجتهد المطلق (أبو جعفر) محمد (بن جرير) الطبري البغدادي الحافظ (عن ابن عباس قال أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ قال أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم) يحتمل انه فهم منه هذا اللفظ أو قال له قل ذلك كما (قال) له (قل بسم الله الرحمن الرحيم) فقالها (ثم قال اقرأ باسم ربك الذى خلق قال عبد الله) بن عباس (وهى أول سورة أنزلها على محمد صلى الله عليه وسلم) ولو صح لكان حكمه الرفع اذ لا مجال للرأى فيه لكن (قال الحافظ عماد الدين بن كثير بعد أن ذكره وهذا الاثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان فى اسناده ضعفا وانقطاعا) ولا يقدح ذلك فى جلالة مخرجه ابن جرير لان المحدثين اذا أوردوا الحديث بسنده برؤا من عهدته (والله أعلم) بصحته فى نفس الامر وضعفه (وقد أورد) الامام (ابن أبى جمرة) بجيم وراء (سؤالا وهو انه لم اختص صلى الله عليه وسلم بغار حراء) الباء داخلة على المقصور عليه أى لم قصر نفسه على الخلوة به دون غيره وفى نسخة لم خص غار حراء أى لم ميزه والمعنى واحد (فكان يخلو فيه ويتحنث دون غيره من المواضع وأجاب بأن) المصطفى خصه لان (هذا الغار له فضل زائد على غيره من جهة أنه منزو مجموع) صفة كاشفة ففى المختار زوى الشئ جمعه ولعل المعنى هنا منعطف مائل عن مرور الناس عليه فيتمكن من عدم مخالطتهم فيتخلى للعبادة صالح (لتحنثه) فهو متعلق بمحذوف أو بمجموع على انه نعت سببى أى مجموع حواس من يختلى به (وهو يبصر فيه (بيت ربه) الكعبة (والنظر الى البيت عبادة) كما فى الخبر ان الله ينزل عليه عشرين رحمة (فكان له فيه اجتماع ثلاث عبادات الخلوة) هى أن يخلو عن غيره بل وعن نفسه بربه وعند ذلك يكون خليقا بأن يكون قالبه ممرا لواردات من علوم الغيب وقلبه مقرا لها قاله المصنف (والتحنث والنظر الى البيت وغيره ليس فيه هذه الثلاث) وناهيك بالخلوة من عبادة لانها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق والراحة من أشغال الدنيا والتفرغ لله فيجد الوحى فيه متمكنا كما قيل * وصادف قلبا خاليا فتمكنا * ولذا حببت للمصطفى ثم هذا الجواب أولى من قول المصنف فى شرح البخارى انما كان يخلو بحراء دون غيره لان جده عبد المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش وكانوا يعظمونه لجلالته وسنه فتبعه على ذلك فكان يخلو بمكان جده وكان الزمن الذى يخلو فيه شهر رمضان فان قريشا كانت تعظمه كما كانت تصوم شهر عاشوراء انتهى (ولله در المرجانى) عبد الله بن محمد القرشى الامام القدوة الواعظ المفسر أحد الاعلام فى الفقه والتصوف قدم مصر ووعظ بها واشتهر فى البلاد وامتحن وأفتى العلماء بتكفيره ولم يؤثروا فيه فعملوا عليه الحيلة فقتل بتونس سنة تسع وتسعين وستمائة ذكره فى اللواقح (حيث قال فى فضائل حراء وما اختص به) أبياتا هى

(تأمل

(تأمّل حراء) بالمدّ على اللغة الفصحى فيه ولا يقصر هنا للوزن (في جمال محياه) هو الوجه (فكم من أناس من حلي) بضم الحاء (حسنه تاه) باشباع الهاء للروي (فما حوى) الظاهر أنّ من مبتدأ بمعنى بعض على حدّ ما قيل في نحو قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وما موصول وصلته جملة حوى والعائد محذوف أي فبعض الذي حواه (من) فاعل حوى (جا) صلته (لعلياه) متعلق به (زائرا *) حال من الفاعل للتبرّك بحلول المصطفى وجبريل فيه كما نزل صلى الله عليه وسلم في أماكن حل بها أنبياء ليلة الاسراء والخبر هو قوله (يفرّج عنه الهمّ في حال مرقاه) بالبناء للمفعول أي يفرّج الله كل همه في حال صعوده ذلك الجبل الذي أجلّ فضائله أنه كانت (به خلوة الهادي الشفيع محمد *) قبل النبوّة وبعدها في مدّة الفترة (وفيه له غاره) كرّرها للتقوية والاشارة الى اختصاصه به حتى كأنه ملكه (كان يرقاه) فجاءه فيه جبريل (وقبلته للقدس كانت بغاره *) فيه نظر فانه انما صلى للقدس بعد الاسراء وفرض الصلاة وأوّل ما صلى الى الكعبة كما يجيء مبينا في تحويل القبلة ويحتمل انه بناء على انه صلى الله عليه وسلم كان متعبدا قبل النبوّة بشرع موسى وكانت قبلته للقدس (وفيه أتاه الوحي في حال صبراه) من الصبر حبس النفس على الخلوة به والتعبد فيه وفي نسخ مبداه والاولى أحسن لعدم الايطاء فانه سيقول مبداه رابع بيت بعد هذا (وفيه تجلي الروح بالموقف الذي * به الله في وقت البداءة سوّاه وتحت تخوم الارض) جمع تخم كفلس وفلوس وهو منتهى كل قرية أو أرض أو حدودها وقال ابن السكيت تخوم مفرد وجمعه تخم مثل صبور وصبر كما في الصحاح وغيره (في السبع أصله *) أي أنّ أصله تحت الارض السابعة (ومن بعد هذا اهتز) تحرّك طربا من علاه (بالسفل) أي بسبب تحرّك أسفله وفاعل اهتز (أعلاه) معجزة روى مسلم عن أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبيّ أو صدّيق أو شهيد ووقع ذلك لاحد وثبير أيضا ويأتي ان شاء الله تفصيله في المعجزات (ولما تجلى الله قدّس ذكره *) أي أظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما في حديث صححه الحاكم (لطور تشظى) أي تفلق وتطاير منه قطع فصارت جبالا (فهو احدى شظاياه) جمع شظى وهو كل فلقة من شئ وتشظى العود تطاير شظايا كما في القاموس (ومنها) أي شظاياه (ثبير) بمثلثة فموحدة فتحتية فراء بوزن أمير جبل مقابل حراء وبينهما الوادي وهما على يسار السالك الى منى وحراء قبليّ ثبير مما يلي شمال الشمس (ثم ثور) بمثلثة جبل (بمكة *) به الغار المذكور في التنزيل دخله صلى الله عليه وسلم في الهجرة (كذا قد أتى في نقل تاريخ مبداه) أي حراء والله أعلم بصحته (وفي طيبة أيضا) تشظى الطور (ثلاث فعدّها * فعيرا) أي فتشظى عيرا بفتح العين وسكون التحتية وراء مهملة بلفظ مرادف الحمار جبل قبلي المدينة قرب ذي الحليفة قال فيه صلى الله عليه وسلم وعير يبغضنا ونبغضه وانه على باب من أبواب النار رواه البزار وغيره لكن الناظم في عهدة انّ عيرا منها فالذي رواه الواحديّ مرفوعا كما يأتي وحكاه البغويّ عن بعض المفسرين بدل عير رضوى وهو بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة جبل

قوله تاه هو هكذا بهاء واحدة في نسخ المتن والشرح وأقرّها الشارح حيث قال باشباع الهاء للرويّ والصواب تاهوا بواو الجماعة كما لا يخفى فتدبر اه مصححه

بالمدينة على مافى الصحاح وفى حديث رضوى رضى الله عنه وقدس فهذا المناسب لكونه من شظايا الطور ومع انه الوارد لاغير المبغوض (وورقانا) بفتح الواو وكسر الراء وسكنها للنظم فقاف قال فى القاموس ورقان بكسر الراء جبل اسود بين العرج والرويثة بين المصعد من المدينة الى مكة حرسهما الله تعالى (واحدا) بضم الهمزة والحاء وسكنها للوزن الجبل المشهور الذى قال فيه المصطفى أحد جبل يحبنا ونحبه (رويناه) أخرج الواحدى عن أنس رفعه لما تجلى ربه للجبل جعله دكا طار لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقع بمكة ثور وثبير وحراء وقال البغوى وفى بعض التفاسير فذكره ولم يرفعه فى فتح البارى أخرجه ابن أبى حاتم عن أبى مالك رفعه وهو غريب مع ارساله (ويقبل فيه) فى حراء (ساعة الظهر) دعاء (من دعابه وينادى من دعانا أجبناه * وفى أحد الاقوال فى عقبة حرا *) بالقصر والصرف وسكون قاف عقبة للشعر قال القاموس العقبة بالتحريك أى بفتح العين والقاف مرقى صعب من الجبال والجمع عقاب (أتى ثم) جاء هنالك (قابيل) بن آدم (لهابيل) أخيه (غشاه) أى قتله قال الثعلبى كان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا فى مصرعه وموضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقال بعضهم على عقبة حراء وقال جعفر الصادق بالبصرة فى المسجد الاعظم انتهى وذكر السدى بأسانيده ان سبب قتله ان آدم كان يزوج ذكر كل بطن من ولده بأنثى الآخر وكانت أخت قابيل أحسن من أخت هابيل فأراد قابيل أن يستأثر بأخته فمنعه آدم فلما ألح عليه به أمرهما أن يقربا قربانا فقرب قابيل حزمة من زرع وكان صاحب زرع وقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب مواش فنزلت نار فأكلت قربان هابيل دون قابيل فكان ذلك سبب الشر بينهما قال فى فتح البارى هذا هو المشهور ونقل الثعلبى بسنده واه عن جعفر الصادق انه أنكر أن يكون آدم زوج ابناله بابنة له وانما زوج قابيل جنية وزوج هابيل حورية فغضب قابيل فقال له يابنى ما فعلته الا بأمر الله فقربا قربانا وهذا لا يثبت عن جعفر ولا عن غيره ويلزم منه أن بنى آدم من ذرية ابليس لانه أبو الجن كلهم أو من ذرية الحور العين وليس لذلك أصل ولا شاهد انتهى (وبماحوى) حراء (سرا) هو لغة مايكتم ويستعار للشئ النفيس (حوته صخوره *) أى حراء (من التبر) بالكسر الذهب والفضة أو فتاتهما قبل أن يصاغا فاذا اصيغا فهما ذهب وفضة أو ما استخرج من المعدن قبل أن يصاغ قاله القاموس (اكسيرا) بالكسر الكيمياء كما فى القاموس (يقام) يصاغ ومعنى البيت (سمعناه) أى روينا عن غيرنا تسبيحها ويصدقه أنى (سمعت به) بحراء (تسبيحها) أى صخوره (غير مرة * وأسمعته جمعا فقالوا سمعناه) أى نفس التسبيح بآذاننا فانده فع الابطاء بوجه بديعى (به مركز) موضع (النور الالهى مثبتا *) ثابتا (فلله ما أحلى) أعذب (مقاما) بضم الميم وفتحها على مافى القاموس أى اقامة (بأعلاه) وجعل الجوهرى الضم للاقامة من أقام يقيم والفتح للموضع قال وقوله تعالى لامقام لكم أى لاموضع لكم وقرئ بالضم أى لا اقامة لكم انتهى واعلم ان قوله ولله در المرجانى الى هنا ساقط فى أكثر النسخ لكنه ثابت فى بعض النسخ القديمة المقروءة (وروى أبو نعيم) أحمد بن

عبد الله الاصبهانى فى دلائل النبوة من حديث عائشة (أن جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قال) جبريل (اقرأ باسم ربك) وفى نسخة قالا فان كان محفوظا فلعله نسبه لهما وان كان القائل جبريل لاقرار ميكائيل مقالة جبريل ورضاه بها (الآيات) الى قوله مالم يعلم (الحديث وفيه فقال ورقة أبشر أشهد بأنك الذى بشر بك المسيح ابن مريم) فى قوله ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (وأنك على مثل) أى صفة مماثلة لصفة (ناموس موسى) من مجىء الوحى لك كما جاءه (وانك نبى مرسل) وفيه دلالة ظاهرة على ايمانه (وكذا روى شق صدره الشريف هنا) عند مجىء الوحى (أيضا) وفاعل روى (الطيالسى) أبو داود سليمان بن داود بن الجارود البصرى الحافظ الثقة كثير الحديث روى عن ابن عون وشعبة وخلق وعنه أحمد وابن المدينى وغيرهما علق له البخارى وأخرج له مسلم والاربعة توفى سنة ثلاث أو أربع ومائتين عن ثنتين وسبعين سنة (والحرث) بن محمد بن أبى أسامة واسمه داهر الحافظ أبو محمد التميمى البغدادى ولد سنة ست وثمانين ومائة وسمع يزيد بن هرون وغيره وعنه ابن جرير الطبرى وعدة وثقه ابن حبان والحربى مع علمه بأنه يأخذ على الرواية وضعفه الازدى وابن حزم وقال الدارقطنى صدوق وأما أخذه على الرواية فكان فقيرا كثير البنات توفى يوم عرفة سنة اثنتين وثمانين ومائتين (فى مسنديهما) والبيهقى وأبو نعيم فى دلائلهما كلهم عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهرا هو وخديجة فوافق ذلك شهر رمضان فخرج ذات ليلة فقال السلام عليك قال فظننت انها فجأة الجن فجئت مسرعا حتى دخلت على خديجة فقالت ماشأنك فأخبرتها فقالت أبشر فان السلام خير ثم خرجت مرة أخرى فاذا أنا بجبريل على الشمس جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب فهلت منه فجئت مسرعا فاذا هو بينى وبين الباب فكلمنى حتى أنست منه ثم وعدنى موعدا فجئت له فأبطأ على فأردت أن أرجع فاذا أنا به وبميكائيل قد سد الافق فهبط جبريل وبقى ميكائيل بين السماء والارض فأخذنى جبريل فألقانى لحلاوة القفا ثم شق عن قلبى فاستخرجه ثم استخرج منه ماشاء الله أن يستخرج ثم غسله فى طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم كفأنى كما يكفأ الاناء ثم ختم فى ظهرى حتى وجدت مس الخاتم فى قلبى (والحكمة فيه) أى الشق حينئذ هى كما قال فى الفتح (ليتلقى النبى صلى الله عليه وسلم ما يوحى اليه بقلب قوى فى أكمل الاحوال من التطهير) وهذا الشق ثالث مرة والاولى عند حليمة والثانية وهو ابن عشر سنين والرابعة ليلة الاسراء ولم تثبت الخامسة كما مر ذلك مبسوطا

* مراتب الوحى *

(قال ابن القيم وغيره وكمل الله تعالى له) أى أعطاه (من الوحى مراتب) جمع مرتبة أى منازل أى أنواعا انحصرت فى مراتب (عديدة) هى هذه المراتب لاما يتبادر من لفظ كمل وهو حصول وحى قبلها العدم وجود شىء من الوحى قبل نزوله وعبر بمراتب دون أنواع وان عبر به الشامى اشارة لشرفها وتعبير الحافظ كاليعمرى بحالات يوهم انها غير الوحى ضرورة ان المضاف غير المضاف اليه الا أن تكون الاضافة بيانية ومن فى من الوحى ابتدائية

أو بيانية فلا وحى غير المراتب أو تبعيضية لانه عليه السلام لم يقع له مما روى أن من الانبياء
من يسمع صوتا ولا يراه فيكون نبيا فى أنه صوت ليس بحرف يخلق فى الجو ويخلق فى سامعه
علم ضرورى يعلم به المراد أو بحرف يسمعه من قصدت نبوته مع خلق علم ضرورى أنه من
الله احتمالان وأيضا فهو لم يستوف المراتب لقوله الآتى ويزاد الخ (احداها) أى
المراتب وفى نسخة أحدها بالتذكير نظرا الى أن المراد بالمراتب الانواع والتأنيث فيما بعدها
نظر اللفظ والاولى أنسب (الرؤيا الصادقة) بعد النبوة أو قبلها الا انها مقررة لما بعدها نعم
المختص بما بعدها الوحى بالاحكام التى يعمل بها (فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق
الصبح) كما مر عن عائشة واستدل السهيلى وغيره على انها من الوحى بقول ابراهيم يا بنى انى
أرى فى المنام انى أذبحك الآية فدل على أن الوحى يأتيهم مناما كما يأتيهم يقظة وبرواية ابن
اسحق أن جبريل أتاه ليلة النبوة وغطه ثلاثا وقرأ عليه أول سورة اقرأ ثم أتاه وفعل ذلك
معه يقظة وفى الصحيح عن عبيد بن عمير رؤيا الانبياء وحى وقرأ يا بنى الآية (الثانية ما كان
يلقيه الملك فى روعه وقلبه) واطلاق الوحى على ذلك مجاز من اطلاق المصدر بمعنى اسم
المفعول وحقيقة الوحى هنا الاعلام فى خفاء أو الاعلام بسرعة وشرعا الاعلام بالشرع
قاله الشامى (من غير أن يراه) وعلم أنه وحى دون الالهام الذى لا يستلزم الوحى بعلم
ضرورى أنه وحى لا مجرد الهام كما خلق فى جبريل أن المخاطب له الحق تعالى وأنه أمره
بتبليغ من أراد على نحو ما مر (كما قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث) بفاء
فمثلثة (فى روعى) أى ألقى الوحى فى خلدى وبالى أو فى نفسى أو قلبى أو عقلى من غير أن
أسمعه ولا أراه ومفعول نفث قوله (ان تموت نفس حتى تستكمل رزقها) الذى كتبه لها
الملك وهى فى بطن أمها فلا وجه للوله والكد والتعب والحرص فانه سبحانه قسم الرزق
وقدره لكل أحد بحسب ارادته لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص بحسب علمه القديم
الازلى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فلا يعارض هذا ما ورد الصبحة تمنع الرزق والكذب
ينقص الرزق وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وغير ذلك مما فى معناه أو ان الذى يمنعه
وينقصه هو الحلال أو البركة فيه لا أصل الرزق وفى حديث أبى امامة عند الطبرانى وأبى
نعيم ان نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها وفى حديث جابر عند ابن
ماجه أيها الناس اتقوا الله وأجملوا فى الطلب فان نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها
وان أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم وقال صلى الله
عليه وسلم ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله رواه البيهقى وغيره وقال عليه السلام
والذى بعثنى بالحق ان الرزق ليطلب أحدكم كما يطلبه أجله رواه العسكرى وقال صلى الله
عليه وسلم لا تستبطئوا الرزق فانه لم يكن عبد يموت حتى يبلغ آخر الرزق فاجملوا فى الطلب
رواه البيهقى وغيره (فاتقوا الله) أى ثقوا بضمانه لكنه أمرنا تعبدا بطلبه من حله فقال
(وأجملوا فى الطلب) بأن تطلبوه بالطرق الجميلة المحللة بلا كد ولا حرص ولا تهافت على
الحرام والشبهات أو غير منكبين عليه مشتغلين عن الخالق الرازق به أو بأن لا تعينوا وقتا
ولا قدرا لانه تحكم على الله أو ما فيه رضا الله لا حظوظ الدنيا أو لا تستعجلوا الاجابة

وقد أبدى العلامة العارف ابن عطاء الله في التنوير في معناه وجوها عديدة هذه منها وفي أن طلب محو المغفرة يمنع تعيينه نظرا استظهر شيخنا المنع لجواز انه تعالى يريد مغفرته على سبب لم يوجد وعلم انه سيوجد فطلب تعيينها تحكم (الحديث) بقيته ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته (رواه) بتمامه (ابن أبي الدنيا) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الاموي مولاهم أبو بكر البغدادي الحافظ صاحب التصانيف المشهورة المفيدة وثقه أبو حاتم وغيره مات سنة احدى وثمانين ومائتين (في) كتاب (القناعة) والحاكم من حديث ابن مسعود (وصححه الحاكم) من طرق ورواه ابن ماجه عن جابر ومر لفظه والطبراني وابو نعيم في الحلية من حديث أبي امامة الباهلي بنحوه قال الطيبي والاستبطاء بمعنى الابطاء والسين للمبالغة وفيه أن الرزق مقدر مقسوم لابد من وصوله الى العبد لكنه اذا سعى وطلب على وجه مشروع فهو حلال والا فحرام فقوله ما عنده اشارة الى أن الرزق كله من عنده الحلال والحرام وقوله أن يطلبه بمعصية الله اشارة الى أن ما عنده اذا طلب بها سمي حراما وقوله الا بطاعته اشارة الى أن ما عنده اذا طلب بطاعته مدح وسمي حلالا وفيه دليل ظاهر لاهل السنة أن الحرام يسمى رزقا والكل من عند الله خلافا للمعتزلة انتهى وفيه أن الطلب لا ينافي التوكل وأما حديث ابن ماجه والترمذي والحاكم وصححاه عن عمر رفعه لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فقال الامام أحمد فيه ما يدل على الطلب لا القعود أراد لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا الا سالمين غانمين كالطير لكنهم يعتمدون على قوتهم وكسبهم وهذا خلاف التوكل وفي الاحياء أن أحمد قال في القائل أجلس لا أعمل شيأ حتى يأتيني رزقي هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله تغدو خماصا وتروح بطانا وكان الصحابة يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم وبهم القدوة (والروع بضم الراء) لا بفتحها لان معناه الفزع ولا دخل له هنا وراعى لفظ الحديث فقال (أي نفسي) والا فالظاهر والروع النفس فهو مجاز شبه القاء جبريل بالنفث الذي هو دون التفل بالفوقية لعدم ظهوره ولا ينافيه قول المصباح نفث الله الشئ في القلب ألقاه لانه بيان للمعنى المجازي اذا أسند لله لاستحالة الحقيقة عليه وهذا يقتضي أن المراد به غير القلب قال شيخنا والظاهر أن المراد بهما واحد وهو محل الادراك وقد يشعر به لفظ الحديث (وروح القدس جبريل عليه السلام) سمي به لانه يأتي بما فيه حياة القلوب فانه المتولي لانزال الكتب الالهية التي بها تحيا الارواح الربانية والقلوب الجسمانية كالمبدا لحياة القلب كما أن الروح مبدأ لحياة الجسد وأضيف الى القدس لانه مجبول على الطهارة والنزاهة من العيوب وخص بذلك وان كانت جميع الملائكة كذلك لان روحانيته أتم وأكمل ذكره الامام الرازي وعليه يحمل قول الشامي سمي به لانه خلق من محض الطهارة وقال الراغب خص بذلك لاختصاصه بنزوله بالقدس من الله أي بما يطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الالهي * المرتبة (الثالثة) خطاب الملك له حين (كان يتمثل

له الملك رجلا فيخاطبه) ويديم خطابه (حتى يعى) أى يفهم (عنه ما يقول له) فخفى غائبة (فقد) ثبت انه (كان يأتيه فى صورة دحية) بكسر الدال وفتحها لغتان مشهورتان كما فى النور واقتصر الجوهرى على الكسر وقدمه المجد وفى التبصير اختلف فى الراجحة منهما وهو بلسان أهل اليمن رئيس الجند ابن خليفة بن فضالة بن فروة (الكلبى) شهد المشاهد كلها بعد بدر (رواه النسائى) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على الخراسانى ثم المصرى الحافظ أحد الائمة المبرزين والاعلام الطوافين والحفاظ المتقنين حتى قال الذهبى هو أحفظ من مسلم مات سنة ثلاث وثلثمائة (بسند صحيح من حديث ابن عمر) وزعم أن مجىء جبريل على صورة دحية كان بعد بدر اذ يبعد مجيئه على صورته قبل اسلامه ممنوع وسنده أنه لا ضير فى التمثل بصورته لجمالها وان قبل اسلامه لعلم الله أزلا بأنه من السعداء وخير القرون فكان يأتى على صفته فلما رأى المصطفى دحية أخبر بأنه يأتيه فى صورته والامور النقلية لا دخل فيها للعقول (وكان دحية جميلا وسيما) أى حسن الوجه ولذا كان (اذا قدم لتجارة خرجت الظعن) بضم الظاء المعجمة والعين المهملة جمع ظعينة سميت بذلك لان زوجها يظعن بها (لتراه) وفى النور حكوا أنه كان اذا قدم من الشام لم يبق معصر الا خرجت تنظر اليه والمعصر التى بلغت سن الحيض (فان قلت اذا لقى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية) مثلا والمراد فى غير صورته التى خلق عليها (فأين تكون روحه فان كانت فى الجسد الذى له ستمائة جناح) حقيقة من لؤلؤ أخرجه ابن منده وقول السهيلى انها فى حقهم صفة ملكية وقوة روحانية لا كاجنحة الطير قال الحافظ ممنوع فلا مانع من الحمل على الحقيقة الا قياسه الغائب على الشاهد وهو ضعيف وقال غيره هذا التأويل لا يليق بالامام السهيلى بل هو أشبه بكلام الفلاسفة والحشوية ولا ينكر الحقيقة الا من ينكر وجود الملائكة (فالذى أتى لا روح جبريل) لان الفرض انها فى جسده الاصلى (ولا جسده) لانه لم يأت (وان كانت فى هذا الجسد الذى هو صورة دحية) بقى جسده الاصلى بلا روح (فهل يموت) ذلك (الجسد العظيم أم) لا يموت ولكن (يبقى خاليا من الروح المنتقلة عنه الى الجسد المشبه بجسد دحية) ولا يلزم من انتقالها موت الجسد العظيم (فأجيب) باختيار ما بعد أم كما سيقرره (كما ذكره العينى) بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفى ولد فى رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة وتفقه واشتغل بالفنون وبرع وولى الحسبة مرارا وقضاء الحنفية وغير ذلك ومات فى ذى الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة وفى بناء أجيب للمفعول اشعار بأن الجواب ليس له بل نقله فقط وهو كذلك فقد نقله بمعناه عن العز الحافظ فى الفتح ونقل السؤال بعينه والجواب صاحب الحبائك عنه أى الشيخ عز الدين بن عبد السلام (بأنه لا يبعد أن لا يكون انتقالها موجبا لموته فيبقى الجسد حيا لا ينقص من معارفه شىء ويكون انتقال روحه الى الجسد الثانى كانتقال أرواح الشهداء الى أجواف طيور خضر) مع اتصالها بقبورها (وموت الاجساد بمفارقة الارواح ليس بواجب عقلا) لتجويزه ذهاب الروح ولا يموت الجسد (بل بعادة أجراها الله تعالى فى بنى آدم فلا تلزم فى غيرهم انتهى) وحاصله انه يزول الزائد دون فناء

وقال

وقال امام الحرمين معناه أن الله أفنى الزائد من خلقه أو أزاله عنه ثم يعيده اليه بعد والسراج البلقيني يجوز أن الآتى هو جبريل بشكله الاول الا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل ومثال ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب قال في فتح الباري والحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائى فقط انتهى وفي الحبائك أجاب العلاء القونوي بجواز أن الله خصه بقوة ملكية يتصرف فيها بحيث تكون روحه في جسده الاصلي مدبرة له ويتصل أثرها بجسم آخر يصير حيا باتصال به من ذلك الاثر وقد قيل انما سمي الابدال أبدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنهم وأثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الاجساد والارواح سموه عالم المثال وقالوا انه ألطف من عالم الاجساد وأكثف من عالم الارواح وبنوا على ذلك تجسد الارواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا ويجوز أن جسمه الاول بحاله لم يتغير وقد أقام شبحا آخر وروحه متصرفة فيهما جميعا في وقت واحد قال والجواب بأنه كان يندمج الى أن يصغر جسمه فيصير بقدر دحية ثم يعود كهيئته الاولى تكلف وما ذكره الصوفية أحسن وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي لا قدرة للملائكة والجن على تغيير خلقهم والانتقال في الصورة وانما يجوز أن يعلمهم الله كلمات وضربا من ضروب الافعال ان فعلوه وتكلموا به نقلهم الله من صورة الى صورة * الحالة (الرابعة كان يأتيه) مخاطبا له بصوت (في مثل) أي صفة (صلصلة) بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة (الجرس) بجيم ومهملتين الجلجل الذي يعلق في رؤس الدواب قاله الحافظ والمصنف وقال الشامي الجرس مثال يشبه الجلجل الذي يعلقه الجهال في رؤس الدواب انتهى قال في الفتح والصلصلة المذكور قيل صوت الملك بالوحي وقال الخطابي صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد وقيل صوت حفيف أي بمهملة وفاءين دوى أجنحة الملك والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي فلا يبقى فيه مكان لغيره (وكان أشده عليه) لانه يرد فيه من الطباع البشرية الى الاوضاع الملكية فيوحى اليه كما يوحى الى الملائكة كما يأتي في حديث أبي هريرة ولان الفهم من كلام مثل الصلصلة أثقل من كلام الرجل بالتخاطب المعهود ودل اسم التفضيل على أن الوحي كله شديد قال الحافظ وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى ورفع الدرجات وقال شيخنا شيخ الاسلام يعني البلقيني سبب ذلك أن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به كما في حديث ابن عباس وكان يعالج من التنزيل شدة وقال بعضهم انما كان شديدا عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع وقيل نزوله هكذا اذا نزلت آية وعيد وفيه نظر والظاهر أنه لا يختص بالقرآن كما في قصة المتضمخ بالطيب بالحج ففيه انه رآه صلى الله عليه وسلم حالة نزول الوحي عليه وانه ليغط فان قيل صوت الجرس مذموم لصحة النهي عنه والتنفير من مرافقة ما هو معلق فيه والاعلام بأن الملائكة لا تصحبهم كما في مسلم وأبي داود وغيرهما والمحمود وهو الوحي هنا لا يشبه بالمذموم اذ حقيقة التشبيه الحاق ناقص بكامل

فالجواب انه لا يلزم من التشبيه تساوى المشبه بالمشبه به فى الصفات كلها بل ولا فى أخص وصف له بل يكفى اشتراكهما فى صفة ما والمقصود هنا بيان الجنس فذكر ما ألف السامعون سماعه تقريبا لافهامهم والحاصل أن للصوت جهتين جهة قوة وبها وقع التشبيه وجهة طنين وبها وقع التنفير عنه وعلل بكونه مزمار الشيطان انتهى ببعض اختصار وقال التوربشتى لما سئل عليه السلام عن كيفية الوحى وكان من المسائل العويصة التى لا يماط نقاب التعزز عن وجهها لكل أحد ضرب لها فى الشاهد مثلا بالصوت المتدارك الذى يسمع ولا يفهم منه شئ تنبيها على أن اتيانها يرد على القلب فى هيئة الجلال وأبهة الكبرياء فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب وتلاقى من ثقل القول مالا علم له به مع وجود ذلك فاذا سرى عنه وجد القول المقول بينا ملقى فى الروع واقعا موقع المسموع وهذا الضرب من الوحى شبيه بما يوحى الى الملائكة على مارواه أبو هريرة مرفوعا اذا قضى الله فى السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير انتهى هذا وقد روى أحمد والحاكم وصححه والترمذى والنسائى عن عمر قال كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى سمع عنده دوى كدوى النحل الحديث فأفهم قوله عنده أن ذلك بالنسبة للصحابة ولذا قال الحافظ انه لا يعارض صلصلة الجرس لان سماع الدوى بالنسبة للحاضرين كما شبهه به عمر والصلصلة بالنسبة اليه كما شبهه به صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقامه انتهى وجزم فى فتح القريب بأن سماعه كدوى النحل حين كان يتمثل له رجلا انتهى وبه تعلم الصفة التى كان عليها حين خطابه بذلك الصوت (حتى) ابتدائية غائية متعلقة بمحذوف أى فتناله مشقة عظيمة حتى (ان) بكسر الهمزة (جبينه ليتفصد) بفاء وصاد مهملة مشددة أى يسيل (عرقا) بفتح الراء والنصب على التمييز شبه جبينه بالعرق المفصود مبالغة فى كثرة العرق من كثرة معاناة التعب والكرب عند نزوله لطروه على طبع البشر وذلك ليبلو صبره فيرتاض لما كلفه من اعباء النبوة وقراءته بالقاف تصحيف قاله العسكرى وغيره قال الدماميني والجبين غير الجبهة وهو فوق الصدغ والصدغ ما بين العين والاذن فللانسان جبينان يكتنفان الجبهة والمراد والله أعلم أن جبينيه معا يتفصدان وأفرده لجواز أنه يعاقب التثنية فى كل اثنين يغنى أحدهما عن الآخر كالعينين والاذنين تقول عين حسنة وتريد عينيه معا (فى اليوم الشديد البرد) قال المصنف الشديد صفة جرت على غير من هى له لانه صفة البرد لا اليوم (حتى) الاولى وحتى بالواو كما فى الشامية لانه عطف غاية على غاية لا غاية لغاية (ان راحلته لتبرك) بضم الراء (به فى) أى على (الارض) كما رواه البيهقى فى الدلائل فى حديث عائشة بلفظ وان كان ليوحى اليه وهو على ناقته فتضرب جرانها من ثقل ما يوحى اليه (ولقد جاءه الوحى مرة كذلك وفخذه) بكسر الخاء وتسكن تخفيفا (على فخذ زيد بن ثابت) الانصارى النجارى أحد كتاب الوحى ومن كان يفتى فى العصر النبوى وروى أحمد بسند صحيح أفرضكم زيد مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين (فثقلت) بضم القاف (عليه حتى كادت ترضها) بفتح الفوقية وشد المعجمة تكسرها

قوله المتدارك فى نسخة المتداول اه

كما

كما رواه البخاري عن زيد أنزل الله على رسوله وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ولما ذكر ابن القيم دليل المرتبتين الاولتين وكانت الثالثة والرابعة غير محتاجتين لذكر الدليل لشهرته في الصحيحين والموطأ عن عائشة أن الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي فقال صلى الله عليه وسلم احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا ولم يذكر دليل قوله حتى ان راحلته تبرك به المصنف تقوية لابن القيم فقال (قلت وروى الطبراني عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا نزل عليه) الوحي (أخذته برحاء) بضم الباء وفتح الراء وحاء مهملة والمد شدة أذى الحمى وغيرها (شديدة وعرق) بكسر الراء (عرقا) بفتحها أي رشح جلده رشحا (شديدا مثل الجمان) بضم الجيم وخفة الميم قال في الدر اللؤلؤ الصغار وقيل خرز يتخذ من الفضة مثله (ثم سري) بضم السين المهملة وكسر الراء الثقيلة أي انكشف الوحي (عنه وكنت أكتب وهو يملي علي) وربما وضع فخذه على فخذي حال الكتابة (فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل الوحي حتى أقول لا أمشي على رجلي أبدا) لظني كسرها (ولما نزلت عليه سورة المائدة) لعل المراد بعضها نحو اليوم أكملت لكم دينكم الآية فانها نزلت وهو صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة على راحلته كما في الصحيح (كادت) هي أي ناقته (أن ينكسر) والاصل كادت ناقته أن ينكسر عضدها لكنه لما حول الاسناد عن الاسم الظاهر الى الضمير لم يبق له مرجع نبه عليه بقوله (عضد ناقته) فلا يرد أن المناسب كاد بالتذكير لتأويل الفعل بعده بمصدر أي كاد انكسار على انه اسم كاد (من ثقل السورة ورواه أحمد والبيهقي في الشعب) وهذه المراتب ثلاث من صفات الوحي وواحدة من صفات حامله وهي تمثله رجلا * المرتبة (الخامسة) وهي من صفات حامله أيضا (أن يرى الملك) جبريل (في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح) كل جناح منها يسد أفق السماء حتى ما يرى في السماء شئ (فيوحي) يوصل (اليه ما شاء الله أن يوحيه وهذا وقع له مرتين) احداهما في الارض حين سأله أن يريه نفسه فرآه في الافق الاعلى قال الحافظ ابن كثير كانت والنبي بغار حراء أوائل البعثة بعد فترة الوحي والثانية عند سدرة المنتهى (كما) دل عليه قوله تعالى (في سورة النجم) ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى روى أحمد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن مسعود لم ير صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته الاصلية الا مرتين أما واحدة فانه سأله أن يريه نفسه فأراه نفسه فسد الافق وأما الاخرى فليلة الاسراء عند السدرة قال في الفتح وهو مبين لما في صحيح مسلم عن عائشة لم يره يعني جبريل على صورته التي خلق عليها الا مرتين وللترمذي من طريق مسروق عن عائشة لم ير محمد جبريل في صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في أجياد وهو يقوي رواية ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم أول ما رأى جبريل باجياد وصرخ يا محمد فنظر يمينا وشمالا فلم ير شيأ فرفع بصره

فاذا هو على أفق السماء فقال جبريل يا محمد فهرب فدخل فى الناس فلم يرشيأ ثم خرج عنهم فناداه فهرب ثم استعلن له جبريل من قبل حراء فذكر قصة اقرائه اقرأ باسم ربك ورأى حينئذ جبريل له جناحان من ياقوت يختطفان البصر فتكون هذه المرة غير المرتين وانما لم تضمها عائشة اليهما لاحتمال أن لا يكون رآه فيها على تمام صورته والعلم عند الله انتهى ووقع عند أبى الشيخ عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل وددت انى رأيتك فى صورتك الاصلية قال وتحب ذلك قال نعم قال موعدك كذا وكذا من الليل ببقيع الغرقد فلقيه موعده فنشر جناحا من أجنحته فسد أفق السماء حتى ما يرى فى السماء شئ وفى مرسل الزهرى عند ابن المبارك فى الزهد أنه سأله أن يتراءى له فى صورته الاصلية قال انك لن تطيق ذلك قال انى أحب أن تفعل فخرج الى المصلى فى ليلة مقمرة فأتاه جبريل فى صورته فغشى عليه حين رآه ثم أفاق الحديث فان صحا فيمكن انه أراه بعض صورته الاصلية كما هو صريح قوله فنشر جناحا الخ لا أنها مرة ثالثة على تمام الصحة فلا يخالف ما فى الصحيح ولا ما عدوه من خصائصه من رؤيته له مرتين على صورته الاصلية وقد كنت أبديت هذا قبل وقوفى على كلام الفتح الذى سقته فحمدت الله على الموافقة * المرتبة (السادسة وهى والثنتان بعدها من صفات الوحى (ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها) كالجهاد والهجرة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر كما صرح به فى حديث أبى سعيد عند البيهقى ان الله قال له ذلك ليلة الاسراء وساقه المصنف فى المقصد السادس وفى نسخة وغيره قال شيخنا وهى أولى لشمولها السنن وفرض غير الصلوات * المرتبة (السابعة كلام الله تعالى منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم موسى) ولا ينافى ذلك قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا لان معناه كما قال البيضاوى كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه ليس فى ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة أو هو ما يعم المشافهة به كما فى حديث المعراج وما وعد به فى حديث الرؤية والمهتف كما اتفق لموسى فى طوى والطور ولكن عطف قوله أو من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالآية دالة على جواز الرؤية لا على امتناعها انتهى * (وزاد بعضهم مرتبة ثامنة وهى تكليم الله له كفاحا) بكسر الكاف أى مواجهة (بغير حجاب انتهى) كلام ابن القيم (قال شيخ الاسلام) عبر به على عادتهم ان من ولى قاضى القضاة يطلقون عليه ذلك (الولى) أى ولى الدين فهو من التصرف فى العلم والراجح جوازه واسمه أحمد (بن عبد الرحيم) بن الحسين (العراقى) المصرى قاضيها الامام العلامة الحافظ ابن الحافظ الاصولى الفقيه ذو الفنون والتصانيف النافعة المشهورة تخرج فى الفن بأبيه واعتنى به أبوه فأسمعه الكثير من أصحاب الفخر وغيره واستملى على أبيه ولازم البلقينى فى الفقه وأملى أكثر من ستمائة مجلس توفى فى سابع عشرى شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة (وكأن ابن القيم أخذ ذلك) المذكور من المراتب الخمسة الاول (من روض السهيلى) فانه عدها سبعا فذكر الخمسة وكلام الله من وراء حجاب اما فى اليقظة أو المنام ونزول اسرافيل فدع عنك احتمالات العقول لا تغتر بها فى روض النقول (لكنه لم يذكر نزول اسرافيل اليه بكلمات من الوحى)

بعد ما أوحى اليه جبريل أول سورة اقرأ و (قيل) تتابع مجيء (جبريل) مع انه ذكره في الروض بقوله (فقد ثبت في الطرق الصحاح) بفتح الصاد وكسرها (عن عامر الشعبي) التابعي (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به) أي قرن كما هو المنقول عن الشعبي فيما يأتي بلفظ فقرن بنبوته (اسرافيل) على الثابت عن الشعبي لا ميكائيل وان جزم به ابن التين قاله الشامي كالحافظ (فكان يتراءى) أي يظهر (له) بحيث يراه النبي صلى الله عليه وسلم (ثلاث سنين) بناء على الظاهر من الرؤية وقيل كان يسمعه ولا يراه فان صح فيحتمل انه قبل النبوة وأنه بعدها ولا يلزم من التراءى الرؤية بل مجرد الالتقاء نحو فلما تراءت الفئتان أي التقت (ويأتيه بالكلمة) أي اللفظ الذي يخاطبه به (والشئ) الافعال والآداب التي يعلمه اياها وهذا أولى من أن الشئ تفسيري (ثم وكل) قرن (به جبريل) ليوحى اليه ما يؤمر بتبليغه له (فجاءه بالقرآن) والوحي هكذا بقية كلام الروض وكان المصنف حذفه لانه لم يقع في المسند عن الشعبي كما يأتي فلعله اقتصر على القرآن لانه الذي انفرد به جبريل ولانه أعظم المعجزات وظاهر هذا الاثر أن جبريل لم يأته تلك المدة وقد ورد انه لم ينقطع عنه وجمع بأنه كان يأتيه فيها أحيانا واسرافيل قرن به ليفعل معه كل ما يحتاج له فقد اجتمعا في المجيء اليه فيها لكن أثر الشعبي هذا وان صح اسناده اليه مرسل أو معضل وقد عارضه ما هو أصح منه كما يأتي قريبا وقد أنكر الواقدي كون غير جبريل وكل به قال الشامي وهو المعتمد انتهى فلذا لم يذكره ابن القيم (وأما قوله أعني ابن القيم السادسة ما أوحاه الله اليه فوق السموات يعني ليلة المعراج) مع قوله (السابعة كلام الله بلا واسطة) فلا يظهر التغاير بينهما حتى يجعلهما مرتبتين فلا يخلو من ارادة أحد أمرين (فان أراد ما أوحاه اليه جبريل) أي ما أوحاه الله اليه على لسانه (فهو داخل فيما تقدم) له من المراتب وذلك (لانه اما أن يكون جبريل في تلك الحالة على صورته الاصلية أو على صورة الآدمي وكلاهما قد تقدم ذكره) في كلامه فلا يصح كونها مرتبة مستقلة (وان أراد وحي الله اليه بلا واسطة) ملك (وهو الظاهر) المتبادر من قوله أوحاه الله اليه (فهي الصورة التي بعدها) وهي السابعة وأجاب شيخنا بأنه أراد الشق الاول ويمنع دخوله فيما قبله لجواز أنه أوحاه اليه بصفة من صفات الملائكة وليست صفته الاصلية فانه كما هو متمكن من مجيئه على صورة بني آدم متمكن من مجيئه على صورة ليست مألوفة ولا هي صورته الاصلية (وأما قوله وزاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحا بغير حجاب فهذا) بناء (على مذهب من يقول انه عليه السلام رأى ربه تعالى) وأما على مذهب من قال لم يره فلا يصح عدها مرتبة زائدة لدخولها في السابعة هذا تقريره قال شيخنا ولا يتعين لجواز أنهما حالتان وان قلنا بمنع الرؤية بأن يكون سمع الكلام بمجرده لكن مرة على وجه على غاية القرب اللائق به من كونه بعد مجاوزة الرفرف ومرة فيما دون ذلك قال ويجوز التغاير أيضا وان قلنا رآه بأن يكون كلمه مرة بدون واسطة ملك بلا رؤية ومرة بعد مجاوزة الرفرف برؤية (وهي مسئلة خلاف) الراجح منه عند أكثر العلماء أنه رآه كما قال النووي (يأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى) في المقصد الخامس ويأتي فيه ذكر

الحجب وكم هي في نفس كلام المصنف وأنها بفرض صحتها انما هي بالنسبة الى المخلوقين اما هو تعالى فلا يحجبه شئ ولذا قال ابن عطية ونقله عنه السبكي معنى من وراء حجاب أن يسمع كلامه من غير أن يعرف له جهة ولا حيزا أى من خفاء عن المتكلم لا يحده السامع ولا يتصوره بذهنه وليس كالحجاب في الشاهد انتهى (ويحتمل) في وجه التغاير بين السادسة والسابعة (ان ابن القيم رحمه الله أراد بالمرتبة السادسة وحى جبريل) لا ما هو الظاهر منه (و) لكنه (غاير بينه وبين ما قبله) من المراتب الخمسة (باعتبار محل الايحاء أى كونه فوق السموات بخلاف ما تقدم فانه كان في الارض) والاولى جواب شيخنا المار انه باعتبار الصفة (ولا يقال يلزم) على هذا الاحتمال (أن تتعدد أقسام) أى أنواع (الوحى باعتبار البقعة) بضم الباء أكثر من فتحها القطعة من الارض وجمعها على الضم بقع كغرف وعلى الفتح بقاع ككلاب وأل جنسية فيصدق بجميع الاماكن التى نزل عليه فيها فلا يرد أن الاولى التعبير بالجمع (التى جاء فيها الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو غير ممكن) لكثرة نزوله عليه في أماكن لا تحصى (لانا نقول الوحى الحاصل في السماء باعتبار ما في تلك المشاهد من الغيب نوع غير الارض على اختلاف بقاعها انتهى) كلام الولى العراقى ومحصله أن جميع بقاع الارض نوع واحد وما في السماء نوع واحد فلم يلزم تعدد أنواعه باعتبار البقعة (قلت ويزاد أيضا كلامه تعالى له في المنام) فقد عده في الروض منها قال في الاتقان وليس في القرآن من هذا النوع شئ فيما أعلم نعم يمكن أن يعد منه آخر سورة البقرة وبعض سورة الضحى وألم نشرح واستدل على ذلك بأخبار (كما في حديث الزهرى) نسبة الى جده الاعلى زهرة بن كلاب القرشى من رهط آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم اتفقوا على اتقانه وامامته بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أتاني) الليلة (ربى) تبارك وتعالى (في أحسن صورة) أى صفة هى أحسن الصفات وفي الرواية أحسبه قال في المنام (فقال يا محمد أتدرى) وفي رواية هل تدرى (فيم يختصم الملأ الاعلى) قال في النهاية أى فيم تتقاول الملائكة المقربون سوا الاوجوابا فيما بينهم وقال التوربشتى المراد بالاختصام التقاول الذى كان بينهم في الكفارات والدرجات شبه تقاولهم في ذلك وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين انتهى أى واستعيرله اسمه ثم اشتق منه يختصم فهو استعارة تصريحية تبعية وقال البيضاوى هو اما عبارة عن تبادرهم الى كتب تلك الاعمال والصعود بها الى السماء واما عن تقاولهم في فضلها وشرفها وانافتها على غيرها واما عن اغتباطهم الناس بتلك الفضائل لاختصاصهم بها وتفضيلهم على الملائكة بسببها مع تفاوتهم في الشهوات وتماديهم في الجنايات انتهى (الحديث) تمامه قلت لا فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى فعلمت ما في السموات وما في الارض فقال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الكفارات والدرجات فالكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشى على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في المكاره قال صدقت يا محمد ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم انى أسئلك فعل الخيرات وترك المنكرات

وحب المساكين وأن تغفرلى وترحمنى وتتوب على واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام رواه بتمامه عبد الرزاق وأحمد والترمذى والطبرانى عن ابن عباس مرفوعا والترمذى وابن مردويه والطبرانى من حديث معاذ (ثم مرتبة أخرى وهى العلم الذى يلقيه الله تعالى فى قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد فى الاحكام) على القول بأنه يجتهد وانما عد اجتهاده من مراتب الوحى (لأنه اتفق على انه عليه الصلاة والسلام اذا اجتهد أصاب قطعا) امّا الظهور الحق له ابتداء وامّا بالتنبيه عليه ان فرض خلافه فلا يقدح فيه القول بجواز وقوع الخطا فى اجتهاده لكن لا يقر عليه (وكان معصوما من الخطا) فلا يقع منه أصلا على الصحيح (وهذا خرق للعادة فى حقه دون الامة وهو) أى العلم الحاصل بالاجتهاد (يفارق النفث) أى ما يحصل به (فى الروع) فالمشبه به ليس نفس النفث لانه القاء الملك فى الروع ولا يحسن تشبيه العلم به (من حيث حصوله بالاجتهاد و) حصول (النفث) أى أثره لانه الحاصل فى الروع (بدونه) أى الاجتهاد (ومرتبة أخرى وهى مجىء جبريل فى صورة رجل غير دحية) كما فى الصحيحين عن أبى هريرة كان النبى صلى الله عليه وسلم بارزا للناس فأتاه رجل فقال ما الايمان الحديث وفى رواية فأتاه جبريل وفى آخره هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم ورواه مسلم أيضا عن عمر بلفظ بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فهذا صريح فى أنه تمثل بصورة رجل غير دحية (لان دحية كان معروفا عندهم ذكره) أى هذا النوع (ابن المنير) والاوفق ذكرها بالتأنيث لقوله مرتبة ولقوله (وان كانت داخلة فى المرتبة الثالثة التى ذكرها ابن القيم) لانه صدرها بقوله كان يتمثل له الملك رجلا ولا ترد هذه على قول السبكى فى تائيته

ولازمك الناموس امّا بشكله * وامّا بنفث أو بحلية دحية

لان هذه الاحوال الثلاثة لما غلبت لم يعتد بغيرها ولذا قال ولازمك على انه يمكن انه أراد لازمك على الصورة التى تعلم منها حين المجىء انه وحى وأمّا هذه فلم يعلم انه جبريل حتى ولى كما دل عليه قوله فى الصحيح ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيأ وصرح به فى حديث أبى عامر بلفظ والذى نفس محمد بيده ما جاءنى قط الا وأنا أعرفه الا أن تكون هذه المرة وفى رواية سليمان التيمى وابن حبان والذى نفسى بيده ما شبه على منذ أتانى قبل مرتى هذه وما عرفته حتى ولى (وذكر الحليمى) بالتكبير نسبة الى جد أبيه فانه العلامة البارع المحدث القاضى أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الشافعى الفقيه صاحب اليد الطولى فى العلوم والأدب والتصانيف المفيدة مات فى ربيع الاول سنة ثلاث وأربعمائة (ان الوحى كان يأتيه على ستة وأربعين نوعا فذكرها وغالبها كما قال فى فتح البارى من صفات حامل الوحى ومجموعها) أى جملتها (يدخل فيما ذكر والله أعلم) ومنها ما فى الاتقان أن الملك يأتيه فى النوم وهل نزل عليه فيه قرآن أم لا والاشبه انه نزل كله يقظة وفهم فاهمون من خبر مسلم وأبى داود والنسائى عن أنس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا اذ اغفى

اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله فقال أنزل على آنفا سورة فقرأ
بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر الى آخرها أن الكوثر نزلت فى تلك الاغفاءة لان
رؤيا الانبياء وحى وأجاب الرافعى بأنه خطر له فى النوم سورة الكوثر المنزلة فى اليقظة
أو عرض عليه الكوثر الذى نزلت فيه السورة فقرأها عليهم وفسرها لهم أو الاغفاءة ليست
نوما بل هى البرحاء التى كانت تعتريه عند الوحى قال صاحب الاتقان والاخير أصح
من الاول لان قوله أنزل على آنفا يدفع كونها نزلت قبل ذلك انتهى ووهم من ذكر هذا عند
قوله المار كلامه تعالى له فى المنام لانه فى الاتقان انما ذكره فى مجيء الملك مناما وما ذكر
فى تلك المرتبة الا ما قدمته عنه ومنها تصوره بصورة فحل من الابل فاتحا فاه ليلتقم أبا جهل
لما أراد أن يلقى على النبى صلى الله عليه وسلم حجرا كبيرا وهو يصلى وأخبر عليه السلام انه
جبريل ولما اقتضى منه دين الاراشى الذى مطله بثمن ابله وشكى لقريش فدلوه على المصطفى
استهزاء لعلمهم بشدة عداوته فلما أتاه قال لا تبرح حتى يأخذ حقه فعيره قريش فقال رأيت
فحلا من الابل لو امتنعت لاكلنى ذكرهما ابن اسحق (وذكر) القاضى ناصر الدين أحمد بن
محمد بن منصور المعروف بأنه (ابن المنير) الجروى الجذامى الاسكندرى قاضيها وخطيبها
المصقع الامام العلامة البارع الفقيه الاصولى المفسر المتبحر فى العلوم ذو التصانيف
الحسنة المفيدة والباع الطويل فى التفسير والقراآت والبلاغة والانشاء توفى أول ربيع
الاول سنة ثلاث وثمانين وستمائة عن ثلاث وستين سنة قال العز بن عبد السلام الديار المصرية
تفتخر برجلين فى طرفيها ابن دقيق العيد بقوص وابن المنير بالاسكندرية (ان الحال كان
يختلف فى الوحى باختلاف مقتضاه فان نزل بوعد) خاص بالخير حيث أطلق كالعدة كما قال
الفراء ولذا عطف عليه (وبشارة) بكسر الباء وتضم مختصة بالخير حيث أطلقت أيضا
لبيان المراد به ولعله أراد بها ما قابل التخويف بالعذاب فشمل القصص والاحكام وغيرها
مما لم يصرح فيه بالعذاب على أن القصص باعتبار ما سيقت له فيها ايماء بأن من لم يؤمن
ربما يصيبه ما أصاب من فيهم القصص (نزل الملك بصورة الآدمى وخاطبه من غير كد
اتعاب فى تلقى الوحى) (وان نزل بوعيد) بشر لاختصاصه به كالايعاد (ونذارة كان حينئذ
كصلصلة الجرس) وظاهره انه لا فرق فى انقسام ما نزل به الى القسمين بين القرآن وغيره
ولعله أشار الى أن هذا مراد ابن المنير والا فالذى فى كلامه تقسيم ما جاء به من القرآن الى
هذين ونظر فيه الحافظ بأن الظاهر أنه لا يختص بالقرآن ولما ذكر مراتب الوحى ناسب أن
يذكر عدد مراته وذكر غير المصطفى بيانا لزيادة كرامته على ربه وهذا أولى من جعله استطرادا
ولوقوعه فى كلام الناقل عنه فقال (وقد ذكر ابن عادل فى تفسيره أن جبريل عليه السلام
نزل على النبى صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة ونزل على آدم اثنتى عشرة مرة
ونزل على ادريس أربع مرات وعلى نوح خمسين مرة وعلى ابراهيم اثنتين وأربعين مرة)
وفى كلام الحافظ عثمان الديمى أربعين فقط (وعلى موسى أربعمائة مرة وعلى عيسى عشر
مرات) قال بعضهم ثلاث مرات فى صغره وسبع مرات فى كبره وزاد الحافظ الديمى كما نقله
عنه تلميذه الشمس التتائى فى شرح الرسالة وعلى يعقوب أربعا وعلى أيوب ثلاثا وظاهره كابن

عادل انه لم يبلغهما عدد في غيرهم وظاهرهما أيضا أن نزوله على الملك ورين يقظة وفي الاتقان عن بعضهم أن الوحي الى جميعهم مناما الا أولي العزم المصطفى ونوحا وابراهيم وموسى وعيسى فانه كان يأتيهم يقظة ومناما وقال بعض للملك صورتان حقيقية ومثالية فالحقيقية لم تقع الا للمصطفى والمثالية هي الواقعة لبقية الانبياء بل شاركهم فيها بعض الصحابة انتهى (كذا قال رحمه الله) تبرأ منه لانه لم يسنده ومثله يحتاج لتوقيف (وقد روى) مرضه لان له طرقا لا تخلو من مقال لكنها متعددة يحصل باجتماعها القوة واعتضاد بعضها ببعض فيفيد ان للحديث أصلا (أن جبريل بدا) أي ظهر وفي نسخة تبدى والاولى أوفق باللغة (له صلى الله عليه وسلم) وهو بأعلى مكة كما عند ابن اسحق أي بجبل حراء كما في الخميس وهو يفسر قول زيد بن حارثة عند ابن ماجه وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما أوحى اليه أتاه جبريل فعلمه الوضوء (في أحسن صورة وأطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك) بضم الياء والهمزة من اقرأ (السلام ويقول لك أنت رسولي الى الجن والانس) لعله اقتصر عليهما لقوله (فادعهم الى قول لا اله الا الله) أي ومحمد رسول الله فلا ينافي أنه مبعوث الى الملائكة أيضا على الاصح عند جمع محققين منهم البارزي وابن حزم والسبكي أو لاختصاص الدعوة في الابتداء بهما ويأتي ان شاء الله تعالى بسط ذلك في الخصائص (ثم ضرب برجله الارض) من اطلاق الكل على الجزء بدليل رواية ابن اسحق وغيره فهمز بعقبه بفتح العين وكسر القاف مؤخر القدم (فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل) زاد ابن اسحق ورسول الله ينظر اليه ليريه كيف الطهور الى الصلاة (ثم أمره أن يتوضأ) كما رآه يتوضأ وروى أحمد وابن ماجه والحرث وغيرهم عن أسامة بن زيد عن أبيه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم في أول ما أوحى اليه فأراه الوضوء والصلاة فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه (وقام جبريل يصلي وأمره أن يصلي معه) زاد في رواية أبي نعيم عن عائشة فصلى ركعتين نحو الكعبة (فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر) محركة جمع مدرة قطع الطين اليابس أو العلك الذي لا رمل فيه والمدن والحضر كما في القاموس (ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله) يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يرد عليها مكافأة وان لم يكن واجبا قاله الدلجي ورد بأن السلام شرع للتحية وليست من أهلها وبأنه يتوقف على نقل وفيه نظر فان المكافأة تكون ولو لغير الاهل وهو لم يجزم به حتى يطالب بنقل انما أبداه احتمالا وهو كاف في مثل هذا وسار صلى الله عليه وسلم (حتى أتى خديجة فأخبرها فغشي عليها من الفرح) زاد في رواية ثم أخذ بيدها وأتى بها الى العين فتوضأ ليريها الوضوء (ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل) زاد في رواية وكانت أول من صلى وفي رواية أبي نعيم فقالت أرني كيف أراك فأراها فتوضأت ثم صلت معه وقالت أشهد انك رسول الله (فكان ذلك أول فرضها) أي الصلاة من حيث هي لا الخمس لان فرضها انما كان صبح الاسراء وهذه وقعت عقب الوحي كما مر والمراد أول تقديرها (ركعتين) فلا يخالف ما يجيء عن النووي من أنه لم يفرض قبل الخمس الا قيام

الليل (ثم ان الله تعالى أقرّها) أى شرعها على هيئة ما كان يصليها قبل (فى السفر كذلك ركعتين (وأتمها فى الحضر) أربعا وبهذا التقرير اندفع الاشكال (وقال مقاتل) بن سليمان البلخى المفسر قال ابن المبارك ما أحسن تفسيره لو كان ثقة وقال وكيع كان كذابا وقال النسائى يضع الحديث مات سنة خمس ومائة وقيل بعدها (كانت الصلاة أول فرضها ركعتين بالغداة) وهى أول النهار والمتبادر أنه كان يصليها قبل طلوع الشمس كما يأتى عن الفتح (وركعتين بالعشى) قبل غروبها ويحتمل انه كان يقرأ فيهما ما أتاه من سورة اقرأ حتى نزلت الفاتحة (لقوله تعالى وسبح) صل ملتبسا (بحمد ربك بالعشى والابكار) قبل رده ماجاء ان تاجرا قدم الحج فى الجاهلية فأتى العباس ليبتاع منه فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وخديجة وعليا خرجوا من خباء وصلى بهم حين زالت الشمس وسأل التاجر العباس فأخبره بهم وان هذا الفعل صلاة مشروعة لهم ولا ردّ فيه فقد قيل العشى ما بين الزوال الى الغروب ومنه قيل للظهر والعصر صلاتا العشى وقيل هو آخر النهار وقيل من الزوال الى الصباح وقيل من المغرب الى العتمة (قال فى فتح البارى كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلى قطعا وكذلك أصحابه ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شئ من الصلاة أم لا فقيل ان الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها والحجة فيه) أى الدليل له (قوله تعالى وسبح) أى صل حال كونك ملتبسا (بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها انتهى وقال النووى) الامام الفقيه الحافظ الاوحد القدوة المتقن البارع الورع الزاهد الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر التارك لجميع ملاذ الدنيا حتى الزواج المهاب عند الملوك شيخ الاسلام علم الاولياء محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى المبارك له فى علمه وتصانيفه لحسن قصده المتوفى فى رابع عشرى رجب سنة ست وسبعين وستمائة عن ست وأربعين سنة (أول ما وجب الانذار والدعاء الى التوحيد) لقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر (ثم فرض الله تعالى من قيام الليل) عليه وعلى أمته (ما ذكره فى أول سورة المزمل) بقوله يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه (ثم نسخه بما فى آخرها) من قوله فاقرؤا ما تيسر منه اذ المراد صلوا ما تيسر لكم (ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة) فقد حكى الشيخ أبو حامد عن نص الشافعى أن قيام الليل كان واجبا أول الاسلام عليه وعلى أمته ثم نسخ عنه بما فى آخر سورة المزمل وعن أمته بالصلوات الخمس قال النووى وهو الاصح أو الصحيح وفى مسلم عن عائشة ما يدل عليه انتهى لكن الذى عليه الجمهور وأكثر أصحاب الشافعى وغيرهم انه لم ينسخ لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك أى عبادة زائدة فى فرائضك ثم نسخ الوجوب فى حق الامة وبقى الندب لاحاديث كثيرة (وأما ما ذكره فى هذه الرواية من أن جبريل علمه الوضوء وأمره به فيدل على أن فرضية الوضوء كانت قبل الاسراء) قال السهيلى فالوضوء على هذا الحديث مكى بالفرض مدنى بالتلاوة لان آية الوضوء مدنية وانما قالت عائشة فأنزل الله آية التيمم ولم تقل آية الوضوء وهى هى لان الوضوء كان مفروضا قبل غير أنه لم يكن قرآنا يتلى حتى نزلت آية المائدة انتهى ثم عقب المصنف هذا المبحث بفترة الوحى لبيان أن الوضوء

والصلاة

والصلاة كانا عقب الوحي قبل الفترة خلافا لمن توهم أنهما بعد نزول المدثر فقال (ثم فتر الوحي فترة حتى شق عليه صلى الله عليه وسلم وأحزنه) خوفا أن يكون لتقصير منه أولما أحوجه من تكذيب من بلغه كما مر عن عياض (وفترة الوحي) كما قال في الفتح (عبارة عن تأخره مدة من الزمان وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه السلام من الروع) بفتح الراء الفزع (وليحصل له التشوق الى العود) فقد روى البخاري من طريق معمر ما يدل على ذلك انتهى كلام الفتح يعني البلاغ المذكور آخر الحديث السابق (وكانت مدة فترة الوحي ثلاث سنين) وقال السهيلي جاء في بعض الاحاديث المسندة أنها سنتان ونصف وفي رواية أخرى أن مدة الرؤيا ستة أشهر فمن قال مكث بمكة عشرا حذف مدة الرؤيا والفترة ومن قال ثلاث عشرة أضافهما قال في الفتح ولا يثبت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس أن مدة الفترة كانت أياما انتهى وقال مغلطاي في الزهر يخدش فيه ما في تفسير ابن عباس أنها كانت أربعين يوما وفي تفسير ابن الجوزي ومعاني الزجاج خمسة عشر وفي تفسير مقاتل ثلاثة أيام ولعل هذا هو الاشبه بحاله عند ربه لا ما ذكره السهيلي وجنح لصحته انتهى وعلى فرض الصحة جمع بأنها كانت سنتين ونصفا فمن قال ثلاثة جبر الكسر ومن قال سنتان ألغاه والمراد بأربعين فما دونها أن مدة الانقطاع بحيث لا يأتيه فيها اسرافيل ولا جبريل اختلفت فأقلها ثلاثة أيام وأكثرها أربعون وفي بعضها خمسة عشر وبعضها اثنا عشر وقوله (كما جزم به) أي بأنها ثلاث سنين (ابن اسحق) مخالف لقول العيون تبعا للروض وفترة الوحي لم يذكر لها ابن اسحق مدة معينة انتهى وهو الصواب وتبع المصنف في ذلك الحافظ كما تبعه السيوطي ورد على الثلاثة جميعا بالصراحة الشامي فقال هذا وهم بلا شك وعزو ذلك بالجزم لابن اسحق أشد انتهى (و) دليل كونها ثلاث سنين ما (في تاريخ الامام أحمد) بن حنبل (ويعقوب بن سفيان) الحافظ (عن الشعبي) عامر بن شراحيل التابعي أنه قال (أنزلت عليه) صلى الله عليه وسلم (النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين وكان يعلمه الكلمة) اللفظ الذي يخاطبه به (والشيء) الافعال والآداب التي يعلمها له (ولم ينزل عليه القرآن على لسانه) لان انزال الكتب الالهية من خصائص جبريل (فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام فنزل عليه القرآن) وغيره (على لسانه) ومر أنه خص القرآن بالذكر لاختصاص جبريل به (عشرين سنة وكذا رواه) أي أثر الشعبي (ابن سعد والبيهقي) وأثر الشعبي هذا وان صح اسناده اليه مرسل أو معضل وكلاهما من أقسام الضعيف وقد أنكره الواقدي وقال لم يكرم به من الملائكة الا جبريل قال الشامي وهو المعتمد انتهى وتوقف الحافظ فيه بأن المثبت مقدم على النافي ان لم يصحبه دليل نفيه وجوابه قول الحافظ السيوطي قد ورد ما يوهي أثر الشعبي وهو ما أخرجه مسلم والنسائي والحاكم عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل اذ سمع نقيضا من السماء من فوق فرفع جبريل طرفه الى السماء فقال يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل الى الارض قط فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة قال جماعة من العلماء هذا

الملك اسرافيل وأخرج الطبرانى عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط على ملك من السماء ما هبط على نبى قبلى ولا يهبط على أحد بعدى وهو اسرافيل فقال أنا رسول ربى اليك أمرنى أن أخيرك ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فأومأ الى أن تواضع فلو أنى قلت نبيا ملكا لسارت معى الجبال ذهبا قال وهاتان القضيتان بعد ابتداء الوحى بسنين كما يعرف من سائر طرق الاحاديث وهما ظاهرتان فى أن اسرافيل لم ينزل اليه قبل ذلك فكيف يصح قول الشعبى انه أتاه فى ابتداء الوحى انتهى وفى شرح البخارى للمصنف تبعا للفتح قول الشعبى معارض بما روى عن ابن عباس أن الفترة المذكورة كانت أياما فلا يحتج بمرسله لاسيما مع ماعارضه انتهى فلم تكن الفترة الأياما كما قال مغلطاى انه الاشبه وهو صريح قوله فى حديث البخارى المار وفتر الوحى فترة حتى حزن حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل الخ وورد أنه لم ينقطع عنه كما مر أى الأياما على انه لو صح أن اسرافيل أتاه فى الابتداء لم يمنع مجئ جبريل فكانا يختلفان فى المجئ اليه زيادة اكرام له من ربه وقد صرح فى فتح البارى بأنه ليس المراد بفترة الوحى المقدرة بثلاث سنين بين نزول اقرأ ويا أيها المدثر عدم مجئ جبريل اليه بل تأخر نزول القرآن فقط اهـ (فقد تبين) من جملة ماساقه (أن نبوته عليه الصلاة والسلام كانت متقدمة على ارساله) لان نزول قم فأنذر انما كان بعد الفترة الواقعة بعد النبوة (كما قال أبو عمر) بن عبد البر (وغيره كما حكاه أبو أمامة بن النقاش وكان) الاولى الفاء لانه بيان لسبق نبوته (فى نزول سورة اقرأ نبوته وفى سورة المدثر ارساله بالنذارة والبشارة والتشريع وهذا قطعا متأخر عن الاول) فيفيد المدعى وهو سبق النبوة (لانه لما كانت سورة اقرأ متضمنة لذكر أطوار) جمع طور أى أحوال (الآدمى من الخلق والتعليم والافهام ناسب أن تكون أول سورة أنزلت وهذا هو الترتيب الطبيعى وهو أن يذكر سبحانه وتعالى ما أسداه الى نبيه عليه الصلاة والسلام من العلم والفهم والحكمة والنبوة ويمن عليه بذلك فى معرض) بفتح الميم وكسر الراء أى موضع ظهور (تعريف عباده بما أسداه) أوصله (اليهم من نعمة البيان الفهمى والنطق والخطى ثم يأمره سبحانه وتعالى أن يقوم فينذر عباده) فلهذه النكتة كانت النبوة سابقة وقيل هما متقارنان وذكر شيخنا فيما مر عن بعض شيوخه أنه الصحيح قال ويؤيده أن الوضوء والصلاة كانا أول الوحى مع نزول اقرأ فان مفاده انه لم يأمر خديجة وعليا بهما الا بعد الوحى اليه بذلك وهذا عين الرسالة وتأخر اظهارها لا يضر لجواز أنه أمر بالتبليغ حالا لمن علم اجابته وعدم ابائه كما كان يصلى مستخفيا (والله أعلم) بحقيقة ذلك

* ذكر أول من آمن بالله ورسوله *

(وكان أول) بالنصب (من آمن بالله وصدق) عطف تفسير فالايمان التصديق (صديقة) بالرفع اسم كان ويجوز عكسه والاول أولى اذ المجهول الاولية وأضافها لقوله (النساء) أى الدائمة الصدق منهن مع اختصاص الصديقة بالنساء دفعا لتوهم أنها صديقة الامة فيوهم تميزها على أبى بكر (خديجة) قاله ابن اسحق وموسى بن عقبة والواقدى

والاموى

والاموي وغيرهم قال النووي وهو الصواب عند جماعة من المحققين وحكى الثعلبي وابن عبد البر والسهيلي عليه الاتفاق وقال ابن الاثير لم يتقدمها رجل ولا امرأة باجماع المسلمين (فقامت بأعباء) أي بالمشاق التي يطلب تحملها وفاء بحقوق (الصديقية) والاعباء في الاصل الثقل فشبه الاحوال بها مبالغة ودليل قيامها بتلك الحقوق أنه (قال لها عليه الصلاة والسلام) لما رجع يرجف فؤاده بعد مجيء جبريل له (خشيت على نفسي فقالت له أبشر) بهمزة قطع (فوالله لا يخزيك الله أبدا ثم استدلت) على ذلك (بما فيه من الصفات الحميدة كقرى الضيف وحمل الكل) (والاخلاق) الزكية المرضية أي الملكات الحاملة على الافعال الحسنة (والشيم) بمعنى الاخلاق فالعطف مساو وعطفهما على الصفات عطف سبب على مسبب (على أن من كان كذلك لا يخزى أبدا) وهو من بديع علمها وقوة عارضتها قال ابن اسحق وازرته على أمره فخفف الله بذلك عنه فكان لا يسمع شيأ يكرهه من رد وتكذيب الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ولهذا السبق وحسن المعروف جزاها الله سبحانه فبعث جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بغار حراء كما في رواية الطبراني وقال له اقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب كما في الصحيح وفي الطبراني فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وفي النسائي وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته وهذا من وفور فقهها حيث جعلت مكان رد السلام على الله الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق به وما يليق بغيره قال ابن هشام والقصب هنا اللؤلؤ المجوف وأبدى السهيلي لنفي الصخب والنصب لطيفة هي أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا الى الايمان أجابت طوعا ولم تحوجه لرفع صوت ولا منازعة ولا نصب بل أزالت عنه كل تعب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب أن تكون منزلتها التي بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها رضي الله عنها واقراء السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها ولم تسؤه صلى الله عليه وسلم قط ولم تغاضبه وجازاها فلم يتزوج عليها مدة حياتها وبلغت منه مالم تبلغه امرأة قط من زوجاته (وكان أول) بالنصب والرفع على مامر رجل (ذكر آمن بعدها صديق الامة) لسبقه بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم وروى الطبراني برجال ثقات أن عليا كان يحلف بالله ان الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق وحكمه الرفع فلا مدخل فيه للرأي وقيل كان ابتداء تسميته بذلك صبيحة الاسراء (وأسبقها) أي الامة بعد خديجة (الى الاسلام أبو بكر) بدل أو عطف بيان لصديق على انه اسم كان وعلى انه خبرها فهو خبر مبتدا محذوف أي وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان أبي قحافة على المشهور ويقال كان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة قاله الفتح وفي جامع الاصول يقال كان اسمه في الجاهلية عبد رب الكعبة فغيره صلى الله عليه وسلم الى عبد الله وينافيه ما روى ابن عساكر عن عائشة أن اسمه الذي سماه به أهله عبد الله ولكن غلب عليه اسم عتيق الا أن يكون سمي بهما حين الولادة لكن اشتهر في الجاهلية بذا وفي الاسلام بعبد الله فمعنى سماه النبي عليه السلام قصر اسمه على عبد الله قال في الفتح وكان يسمى أيضا عتيقا واختلف

فى أنه اسم أصلى له أولانه ليس فى نسبه مايعاب به أولقدمه فى الخير ولسبقه الى الاسلام أولحسنه أولان أمه استقبلت به البيت وقالت اللهم هذا عتيقك من الموت لانه كان لايعيش لها ولد أولان النبى صلى الله عليه وسلم بشره بأن الله أعتقه من النار كما فى حديث عائشة عند الترمذى وصححه ابن حبان انتهى قال الزمخشرى ولعله كنى بأبى بكر لابتكاره الخصال الحميدة انتهى ولم أقف على من كناه به هل المصطفى أوغيره (فأزره) بالهمز أى واساه وعاونه وبالواو شاذ كما فى القاموس (فى) نصر دين (الله) بنفسه وماله (وعن ابن عباس انه أول الناس اسلاما واستشهد) ابن عباس وفى لفظ وتمثل (بقول حسان بن ثابت) الانصارى (اذا تذكرت شجوا) أى هما وحزنا يريد ما كابده أبو بكر فأطلق عليه شجوا لاقتضائه ذلك أو أراد حزنه مما جرى على المصطفى (من أخى ثقة *) أى صديق أوصاحب ائتمان والمعنى اذا تذكرت من يقتدى به فى تحمل المشاق القلبية والبدنية لاجل صديقه (فاذكر أخاك أبابكر بما فعلا) صلة اذكر وما مصدرية أى تذكر بفعله الجميل (خير البرية) بالنصب بدل من أبابكر أوصفة له (أتقاها) صفة بعد صفة والعاطف مقدر (وأعدلها * بعد النبى) تنازعه خير البرية وما عطف عليه وأل للعهد وهو المصطفى فالمراد بالبرية أمته وبالبعدية فى رتبة الفضل لا الزمانية فان خيريته ومابعدها كان ثابتا فى حياته صلى الله عليه وسلم هكذا نبهنا عليه شيخنا العلامة البابلى لما قرأ أول البخارى باب فضل أبى بكر بعد النبى صلى الله عليه وسلم أوأل للاستغراق فالمراد بها من عدا الانبياء (وأوفاها) اسم تفضيل من وفى بالعهد أى أحفظها (بما حملا) أى بالذى حمله عنه عليه السلام من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقيام بحقوق الله وآدابه وعطف على خير قوله (والثانى) للنبى صلى الله عليه وسلم فى الغار و(التالى) التابع له باذلا نفسه مفارقا أهله وماله ورياسته فى طاعة الله ورسوله وملازمته ومعاديا للناس فيه جاعلا نفسه وقاية عنه وغير ذلك من سيره الحميدة التى لاتحصى بحيث قال صلى الله عليه وسلم ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبابكر وقال ما أحد أعظم عندى يدا من أبى بكر واسانى بنفسه وماله رواه الطبرانى وقال ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر زوجنى ابنته وواسانى بنفسه رواه ابن عساكر وقال الشعبى عاتب الله أهل الارض جميعا فى هذه الآية أى آية الاتنصروه غير أبى بكر وقد جوزى بصحبة الغار الصحبة على الحوض كما فى حديث ابن عمر رفعه أنت صاحبى على الحوض وصاحبى فى الغار فيما نعم الجزاء (المحمود مشهده *) بفتح الهاء أى الممدوح مكان حضوره من الناس لانه كما قال ابن اسحق كان رجلا مألفا لقومه محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بها وبما كان فيها من خير وشر وكان تاجرا ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال من قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعوا الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فأسلم بدعائه جماعة عدهم كما يأتى (وأول الناس قدما) بكسر القاف وسكون الدال تخفيفا وأصلها الفتح أى قديما أو بضم القاف وسكون الدال أى تقدما وهو معمول لقوله (صدق الرسلا) بالجمع لان تصديقه تصديق لجميعهم كما فى نحو كذبت قوم نوح المرسلين وفى نسخة منهم

بدل

بدل قدماً أي حال كونه معدوداً منهم لهمامتهم فصرح بأنه أول من بادر لتصديق المرسلين وهو محل الاستشهاد من الابيات والالف في آخر كل منها للاطلاق وهو اشباع حركة الروي فيتولد منها حرف مجانس لها (رواه أبو عمر) بن عبد البر وكذا الطبراني في الكبير وروى الترمذي عن أبي سعيد قال قال أبو بكر ألست أول من أسلم (وممن وافق ابن عباس وحسانا) بالصرف ومنعه على أنه من الحس أو الحسن قاله الجوهري لكن قال ابن مالك المسموع فيه منع الصرف (على ان الصديق أول الناس اسلاما أسماء بنت أبي بكر) ذات النطاقين زوج الزبير المتوفاة بمكة سنة ثلاث وسبعين وقد بلغت المائة ولم يسقط لها سن ولم يتغير لها عقل (و) ابراهيم بن يزيد بن قيس (النخعي) بفتح النون والخاء المعجمة نسبة الى النخع قبيلة الكوفي الفقيه الحافظ التابعي الوسط المتوفى وهو مختف من الحجاج سنة ست وتسعين (وابن الماجشون) بفتح الجيم وكسرها وضم الشين لفظ فارسي لقب به لانه تعلق من الفارسية بكلمة اذا لقي الرجل يقول شوني شوني قاله الامام أحمد أو لانه لما نزل المدينة كان يلقى الناس ويقول جوني جوني قاله ابن أبي خيثمة أو لحمرة وجنتيه سمي بالفارسية الماه يكون فعربه أهل المدينة بذلك قاله الحربي وقال الغساني هو بالفارسية الماه كون فعرب ومعناه المورد ويقال الابيض الاحمر وقال الدارقطني لحمرة وجهه ويقال ان سكينة بالتصغير بنت الحسين بن علي لقبته بذلك وقال البخاري في تاريخه الاوسط الماجشون هو يعقوب بن أبي سلمة أخو عبد الله فجرى على بنيه وبني أخيه (ومحمد بن المنكدر) بن عبد الله التيمي التابعي الصغير كثير الحديث عن أبيه وجابر وابن عمر وابن عباس وأبي أيوب وأبي هريرة وعائشة وخلق وعنه الزهري ومالك وأبو حنيفة وشعبة والسفيانان قال ابن عيينة كان من معادن الصدق ويجتمع اليه الصالحون مات سنة ثلاثين وقيل احدى وثلاثين ومائة (والاخنس) بفتح الهمزة وخاء معجمة ساكنة ونون مفتوحة وسين مهملة ابن شريق بفتح المعجمة وكسر الراء وتحتية وقاف الثقفي واسم الاخنس أبي حليف بني زهرة صحابي من مسلمة الفتح وشهد حنينا وأعطي مع المؤلفة وتوفي أول خلافة عمر ذكره الطبري وابن شاهين هذا على ما في النسخ والذي عند البغوي بدله والشعبي وكذا رواه عنه في المستدرك ووقوع اسلام الصديق عقب خديجة لانه كان يتوقع ظهور نبوته عليه السلام لما سمعه من ورقة وكان يوما عند حكيم بن حزام اذ جاءت مولاة له فقالت ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم ان زوجها نبي مرسل مثل موسى فانسل أبو بكر حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وروى ابن اسحق بلاغا ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان من أبي بكر ما عكم عنه حين ذكرته له قال ابن هشام قوله ما عكم أي تلبث قال في الروض وكان من أسباب توفيق الله له أنه رأى القمر نزل مكة ثم تفرق على جميع منازلها وبيوتها فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كان جمعه في حجره فقصها على بعض الكتابيين فعبرها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه يتبعه ويكون أسعد الناس به فلما دعاه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام لم يتوقف وذكر ابن الاثير في أسد الغابة وابن ظفر في البشر عن ابن مسعود أن أبا بكر خرج الى اليمن قبل البعثة قال فنزلت على

شيخ قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس كثيرا فقال أحسبك حرميا قلت نعم وأحسبك قرشيا قلت نعم وأحسبك تيميا قلت نعم قال بقيت لى فيك واحدة قلت وما هى قال تكشف لى عن بطنك قلت لا أفعل أو تخبرنى لم ذاك قال أجد فى العلم الصحيح الصادق أن نبيا يبعث فى الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل اما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة وما عليك أن ترينى ما سألتك فقد تكاملت لى فيك الصفة الاما خفى على فكشفت له بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى فقال أنت هو ورب الكعبة وانى متقدم اليك فى أمره قلت وما هو قال اياك والميل عن الهدى وتمسك بالطريق الوسطى وخف الله فيما خولك وأعطاك فقضيت باليمن أربى ثم أتيت الشيخ لاودعه فقال أحامل أنت منى أبيا تا الى ذلك النبى قلت نعم فذكر أبيا تا فقدمت مكة وقد بعث صلى الله عليه وسلم فجاءنى صناديد قريش فقلت نابكم أو ظهر فيكم أمر قالوا أعظم الخطب يتيم أبى طالب يزعم انه نبى ولولا أنت ما انتظرنا به والكفاية فيك فصرفتهم على أحسن شئ وذهبت الى النبى فقرعت عليه الباب فخرج الى فقلت يا محمد قد حت منازل أهلك وتركت دين آبائك فقال انى رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله قلت وما دليلك قال الشيخ الذى لقيته باليمن قلت وكم لقيت من شيخ باليمن قال الذى أفادك الابيات قلت ومن أخبرك بهذا يا حبيبى قال الملك المعظم الذى يأتى الانبياء قبلى قلت مديدك فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فانصرفت وقد سر صلى الله عليه وسلم باسلامى وفى سياقه نكارة فان كان محفوظا أمكن الجمع بأن سفره لليمن قبل البعثة كما صرح به ورجوعه عقب اسلام خديجة واجتمع بحكيم وسمع الخبر عنده ولقيه الصناديد وقالوا له ماذكر فأتاه صلى الله عليه وسلم وآمن به بعد حصول الامرين وأما الجمع بأنه آمن به أولا ثم سافر الى اليمن ولم يظهر اسلامه لقومه فلما رجع وأخبروه بذلك أتى المصطفى وأظهر اسلامه بين يديه ثانيا ففاسد لتصريحه بأن سفره قبل البعثة ولانه لو كان آمن ما خاشنه فى الخطاب بقوله يا محمد قدحت الخ على انه مما لا يليق التفوه به فى هذا المقام كيف وقد صرح غير واحد منهم ابن اسحق بأنه لما أسلم أظهر اسلامه ودعا الى الله ورسوله (وقيل ان على بن أبى طالب) الهاشمى (أسلم بعد خديجة) قبل الصديق قطع به ابن اسحق وغيره محتجين بحديث أبى رافع صلى النبى صلى الله عليه وسلم أول يوم الاثنين وصلت خديجة آخره وصلى على يوم الثلاثاء رواه الطبرانى وعما فى المستدرك نبئ النبى يوم الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء وروى ابن عبد البر أن محمد بن كعب القرظى سئل عن أولهما اسلاما فقال سبحان الله على أولهما اسلاما وانما اشتبه على الناس لان عليا أخفى اسلامه عن أبيه وأبو بكر أظهره (وكان) مما أنعم الله به عليه كما قال ابن اسحق انه كان (فى حجر) مثلث الحاء أى منع (النبى صلى الله عليه وسلم) وكفالته وحفظه عما لا يليق به وذلك أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة فقال صلى الله عليه وسلم للعباس وكان من أيسر بنى هاشم يا عباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله آخذ من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكفهما عنه قال العباس نعم فانطلقا حتى أتياه

وأخبراه بما أرادا فقال اذا تركتما لى عقيلا ويقال وطالبا فاصنعا ماشئتما فأخذ المصطفى عليا فلم يزل معه حتى بعثه الله فاتبعه وآمن به وصدقه وأخذ العباس جعفرا فلم يزل عنده حتى أسلم واستغنى عنه (فعلى هذا) المذكور من كونه فى حجر النبى لاتنافى بين القولين فى أيهما بعد خديجة لامكان الجمع كما قال السهيلى بأنه (يكون أول من أسلم من الرجال) البالغين (أبو بكر ويكون على أول صبى أسلم لانه كان صبيا لم يدرك) أى لم يبلغ (ولذا قال) على ما حكى أن معاوية كتب اليه يا أبا حسن ان لى فضائل أنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبه فقال على والله ما أكتب اليه الاشعرا فكتب

محمد النبى أخى وصهرى * وحمزة سيد الشهداء عمى

وجعفر الذى يضحى ويمسى * يطير مع الملائكة ابن أمى

وبنت محمد سكنى وعرسى * مشوب لحمها بدمى ولحمى

وسبطا أحمد ابناى منها * فمن منكم له سهم كسهمى

(سبقتكم الى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت أوان حلمى)

فلما قرأ معاوية الكتاب قال خرقه يا غلام لايراه أهل الشام فيميلوا الى ابن أبى طالب قال البيهقى هذا الشعر مما يجب على كل متوان فى على حفظه ليعلم مفاخره فى الاسلام وطرا بضم الطاء المهملة وفتحها أى جميعا وما بلغت بيان للمراد من صغيرا لان الصغر يتفاوت وحلمى بضم المهملة وسكون اللام على احدى اللغتين والثانية بضمهما أى احتلامى أى خروج المنى وزعم المازنى وصوبه الزمخشرى انه لم يقل غير بيتين هما

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى * فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا

فان هلكت فرهن ذمتى لهم * بذات ودقين لايعفو لها أثر

وذات ودقين الداهية كأنها ذات وجهين ذكره القاموس وهو مردود بما فى مسلم فقال على أى مجيبا لمرحب اليهودى

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

وروى الزبير بن بكار فى عمارة المسجد النبوى عن أم سلمة وقال على بن أبى طالب

لايستوى من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

(وكان سن على اذذاك عشر سنين فيما حكاه الطبرى) وهو قول ابن اسحق واقتصر المصنف عليه لقول الحافظ انه أرجح الاقوال وروى ابن سفيان باسناد صحيح عن عروة قال أسلم على وهو ابن ثمان سنين وصدر به فى العيون لكن ابن عبد البر بعد أن حكاه عن أبى الاسود يتيم عروة قال لاأعلم أحدا قال كقوله وقيل اثنتى عشرة وقيل خمس عشرة وقيل ست وقيل خمس حكاهما العراقى (وقال ابن عبد البر وممن ذهب الى أن عليا أول من أسلم من الرجال) أى الذكور وان كان صبيا (سلمان) الفارسى (وأبوذر) جندب بن جنادة الغفارى الزاهد أحد السابقين روى الطبرانى عنهما قالا أخذ صلى الله عليه وسلم

بيد على فقال ان هذا أول من آمن بي (وخباب) بفتح المعجمة وشد الموحدة فألف فوحدة ابن الارت بشد الفوقية التميمي البدري أحد السباق روى عنه علقمة وقيس بن أبي حازم توفي سنة سبع وثلاثين (وجابر) بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما (وأبو سعيد سعد بن مالك بن سنان (الخدري) بدال مهملة (وزيد بن الارقم) بن زيد بن قيس الخزرجي أول مشاهده الخندق وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين مات سنة ست أو ثمان وستين والروايات عن هؤلاء بكونه أول من أسلم عند الطبراني بأسانيد ورواه أعني الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس موقوفا وبسند ضعيف عنه مرفوعا ورواه الترمذي من طريق آخر عنه موقوفا (وهو قول) محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله (بن شهاب) نسب الى جد جده لشهرته (وقتادة) بن دعامة الاكمه (وغيرهم) بالرفع أي غير سلمان ومن عطف عليه كأبي أيوب ويعلى بن مرة وعفيف الكندي وخزيمة بن ثابت وأنس كما أسنده عنهم الطبراني قال الحافظ في التقريب ورجحه جمع وجملة وهو قول معترضة ويصح جر غير بناء على أن الجمع ما فوق الواحد وأنشد المرزبان لخزيمة في علي

أليس أول من صلى لقبلتكم * وأعلم الناس بالقرآن والسنن

وقال كعب بن زهير من قصيدة يمدحه بها

ان عليا لميمون نقيبته * بالصالحات من الافعال مشهور
صهر النبي وخير الناس مفتخرا * فكل من رامه بالفخر مفخور
صلى الطهور مع الامي أولهم * قبل المعاد ورب الناس مكفور

(واتفقوا على أن خديجة أول من أسلم مطلقا) من جملة كلام ابن عبد البر ووافقه على حكاية الاتفاق الثعلبي والسهيلي (وقيل أول رجل) خرجت خديجة لانها آمنت قبل ذهابها بالمصطفى اليه (أسلم ورقة بن نوفل) قاله جماعة ومنعه آخرون (و) لكن (من يمنع انه أول من أسلم (يدعي) تأخر الرسالة عن النبوة و (أنه أدرك نبوته عليه السلام لا رسالته) التي لا يحكم بالاسلام الا لمن آمن بعدها (لكن) لا تسلم له هذه الدعوى فقد (جاء في السير) كما في زيادات المغازي من رواية يونس بن بكير عن ابن اسحق عن عمرو بن أبي اسحق عن أبيه عن أبي ميسرة التابعي الكبير مرسلا (وهي رواية أبي نعيم المتقدمة) قريبا قبل مراتب الوحي مسندة عن عائشة (انه) أي ورقة (قال أبشر فأنا أشهد) أقر وأذعن (انك) الرسول (الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل) أي صفة مماثلة لصفة (ناموس موسى وانك نبي مرسل) تأكيد زيادة في تطمينه (وانك ستؤمر بالجهاد) علم ذلك من الكتب القديمة لتبحره في علم النصرانية (وان أدرك ذلك لأجاهدن معك) وفي آخر هذا الحديث فلما توفي قال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لانه امن بي وصدقني وأخرجه البيهقي في الدلائل أيضا وروى ابن عدي عن جابر مرفوعا رأيت ورقة في بطنان الجنة عليه السندس ورواه ابن السكن بلفظ رأيت ورقة على نهر من أنهار الجنة (فهذا نص صريح منه بتصديقه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم) لكن يجوز أنه قاله قبل الرسالة لعلمه بالقرائن الدالة على ذلك فيكون كبحيرا سيما وقد مر أن ذهاب خديجة لورقة كان

عقب نزول اقرأ ولم تتأخر وفاته والى هذا أشار الحافظ فقال حديث الصحيح ظاهر في أنه أقر بنبوته ولكنه مات قبل أن يدعو الناس الى الاسلام فيكون مثل بحيرا وفي اثبات الصحبة له نظر وتعقبه تلميذه البرهان البقاعي فقال هذا من العجائب كيف يماثل بين من آمن بأنه قد بعث بعد ما جاءه الوحي فانطبق عليه تعريف الصحابي الذي ذكره في نخبته بمن آمن انه سيبعث ومات قبل أن يوحى اليه قال العلامة البرماوي ليس ورقة من هذا النوع لانه اجتمع به بعد الرسالة لما صح في الاحاديث انه جاءه بعد مجيء جبريل وانزال اقرأ وبعد قوله أبشر يا محمد أنا جبريل أرسلت اليك وانك رسول هذه الامة وقول ورقة أبشر وذكر ما ساقه المصنف وقال بعده ورؤيته عليه السلام لورقة في الجنة وعليه ثياب خضر وجاء انه قال لا تسبوه فاني رأيت له جنة أو جنتين رواه الحاكم في المستدرك وأما قول الذهبي في التجريد قال ابن منده اختلف في اسلامه والاظهر أنه مات بعد النبوة وقبل الرسالة فبعيد لما ذكرناه فهو صحابي قطعا بل أول الصحابة كما كان شيخنا شيخ الاسلام يعني البلقيني يقرره انتهى ونقل كلام البلقيني بقوله (قال) شيخ الاسلام علامة الدنيا سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصر (البلقيني) الحافظ الفقيه البارع المجتهد المفتي المصنف المتوفى سنة خمس وثمانمائة بضم الموحدة وسكون اللام والياء وكسر القاف نسبة الى قرية بمصر قرب المحلة كما في اللب والمراصد والنسخ المعتمدة من القاموس خلاف ما في بعضها من أن بلقين كغرنيق (بل يكون بذلك أول من أسلم من الرجال) وذكره وان استفيد مما قدمه لانه على انه بعد الرسالة ولم يتقدم تصريح به (وبه قال العراقي) الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم (في نكته على) كتاب (ابن الصلاح) في علوم الحديث وبه جزم في نظم السيرة حيث قال فهو الذي آمن بعد ثانيا وكان بر اصادقا مواتيا (وذكره ابن منده في الصحابة) حاكيا الخلاف كما مر وذكره فيهم أيضا الطبري والبغوي وابن قانع وابن السكن وغيرهم كما في الاصابة وحسبك بهم حجة ومر أن الصحيح أن النبوة والرسالة متقارنان وروى الزبير بن بكار عن عروة أن ورقة مر ببلال وهو يعذب برمضاء مكة ليشرك فيقول أحد أحد فقال ورقة أحد أحد يا بلال والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا قال في الاصابة وهذا مرسل جيد يدل على أن ورقة عاش الى أن دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام والجمع بينه وبين قول عائشة فلم ينشب ورقة ان توفى أي قبل أن يشتهر الاسلام ويؤمر المصطفى بالجهاد قال وما روى في مغازي ابن عائذ عن ابن عباس انه مات على نصرانيته فضعيف انتهى باختصار وقد أرخ الخميس وفاة ورقة في السنة الثالثة من النبوة قال وفي المنتقى في السنة الرابعة قلت وما وقع في الخميس من قوله وفي الصحيحين عن عائشة أن الوحي تتابع في حياة ورقة فغلط اذ الذي فيهما عنها فلم ينشب ورقة ان توفى (وحكى العراقي كون علي أول من أسلم عن أكثر العلماء) وقال الحاكم لا أعلم فيه خلافا بين أصحاب التواريخ قال والصحيح عند الجماعة أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال البالغين لحديث عمرو بن عبسة يعني حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم من معك على هذا قال حر وعبد يعني أبا بكر وبلالا رواه مسلم ولم يذكر عليا لصغره (وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه) فقال اتفقوا على أن خديجة أول من آمن ثم علي بعدها (وادعى

الثعلبي) أحمد بن محمد بن ابراهيم أبو اسحق النيسابوري صاحب التفسير والعرائس في قصص الانبياء قال الذهبي وكان حافظا راسا في التفسير والعربية متين الديانة والزهادة مات سنة سبع وعشرين أو سبع وثلاثين وأربعمائة ويقال له الثعلبي والثعالبي (اتفاق العلماء على أن أول من أسلم خديجة وأن اختلافهم انما هو فيمن أسلم بعدها) هل الصديق أو علي أو ورقة لانها آمنت قبل مجيئها بالمصطفى له لما أخبرها عن صفة ما رأى في الغار لما ثبت عندها قبل ذلك عن بحيرا وغيره أنه النبي المنتظر وقيل زيد بن حارثة ذكره معمر عن الزهري وقدمه ابن اسحق على الصديق فقال أول من آمن خديجة ثم علي ثم زيد ثم أبو بكر انتهى وقيل بلال وذكر عمر بن شبة أن خالد بن سعيد بن العاصي أسلم قبل علي وذكر ابن حبان أنه أسلم قبل الصديق (قال) شيخ الاسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان (بن الصلاح) بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري الامام الحافظ المتبحر في الاصول والفروع والتفسير والحديث الزاهد وافر الجلالة المتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة (والاورع) أي الادخل في الورع والاسلم من القول بما لا يطابق الواقع (أن) لا يطلق القول في تعيين أول المسلمين على الحقيقة لكونه هجوما على عظيم وتعارض الادلة فيه وعدم وجود قاطع يستند عليه بل يذكر قول يشمل جميع الاقوال بأن (يقال أول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر ومن الصبيان أو الاحداث) تنويع في العبارة (علي ومن النساء خديجة) وسبق ابن الصلاح لهذا الجمع الى هنا الحبر فأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة فتبعه العسكري وابن الصلاح وزادا العبيد والموالي فقالا (ومن الموالي زيد بن حارثة) حب المصطفى وولد حبه أسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بأربعمائة درهم فاستوهبه النبي صلى الله عليه وسلم منها فوهبته له وجاء أبوه وعمه كعب مكة وطلبا أن يفدياه فخيره عليه السلام بين أن يدفعه اليهما أو يثبت عنده فاختار أن يبقى عنده فلاماه فما رجع وقال لا أختار عليه أحدا فقام صلى الله عليه وسلم الى الحجر وقال اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه فطابت نفسهما وانصرفا فدعي زيد ابن محمد حتى جاء الله بالاسلام فصدقه وأسلم في قصة مطولة ذكرها ابن الكلبي وابن اسحق هذا حاصلها (ومن العبيد بلال) المؤذن (والله أعلم) بحقيقة الاولية المطلقة (انتهى وقال) نحوه الحافظ المحب (الطبري) بفتح الطاء والموحدة وراء نسبة الى طبرستان على غير قياس (الاولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال أول من أسلم مطلقا خديجة) لكنه خالف فيها ابن الصلاح لقوة الادلة كيف وقد قال ابن الاثير لم يتقدمها رجل ولا امرأة باجماع المسلمين (وأول ذكر أسلم علي بن أبي طالب وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان مستخفيا باسلامه) من أبيه (وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر اسلامه أبو بكر بن أبي قحافة) عبد الله بن عثمان (وأول من أسلم من الموالي زيد) بن حارثة بن شرحبيل بن كعب الكلبي (قال وهو متفق عليه لا اختلاف فيه) اطناب للتأكيد (وعليه يحمل قول من قال أول من أسلم من الرجال أبو بكر أي الرجال البالغين الاحرار) لا مطلقا (ويؤيد هذا ما روى عن الحسن أن علي بن أبي طالب قال) لما جاءه رجل فقال يا أمير المؤمنين كيف

سبق

سبق المهاجرون والانصار الى بيعة أبى بكر وأنت أسبق سابقة وأورى منه منقبة فقال على ويلك (انّ أبا بكر سبقنى الى أربع لم أوتهنّ) ولم اعتض منهنّ بشئ كما فى الرواية (سبقنى الى افشاء الاسلام) هذا محل التأييد وقد يمنع بأنّ السبق على افشائه لا يلزم منه السبق على الاسلام نفسه (وقدم الهجرة) لانه هاجر مع المصطفى وتأخر على بعده حتى أدّى عنه الودائع التى كانت عنده صلى الله عليه وسلم ثم لحقه بقباء (ومصاحبته فى الغار واقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب) بالكسر شعب بنى هاشم بمكة (يظهر اسلامه وأخفيه الحديث) تتمته يستحقرنى قريش وتستوفيه والله لو أنّ أبا بكر زال عن مزيته ما بلغ الدين العبرين يعنى الجانبين ولكان الناس كرعة ككرعة طالوت ويلك انّ الله ذمّ الناس ومدح أبا بكر فقال الا تنصروه فقد نصره الله الآية كلها (خرّجه صاحب فضائل أبى بكر وخيثمة) بن سليمان ابن حيدرة الامام الحافظ أبو الحسن القرشى الطرابلسى أحد الثقات الرحالة جمع فضائل الصحابة ولد سنة خمس وأربعين وثلثمائة قال ابن منده كتبت عنه بطرابلس ألف جزء (بمعناه) ورواه الدارقطنى فى الغرائب وضعفه قال فى الرياض النضرة بعد سوق الحديث تامّا وأورى من ورى الزند خرجت ناره وظهرت أى أظهر منقبة وأنور وتستوفيه أى توفيه حقه من الاعظام والاكرام والمزية الفضيلة أى لو زال عن فضيلته بالتقديم على الناس اماما وكرعة جمع كارع كركبة وراكب من كرع بالفتح يكرع اذا شرب الماء من فيه دون اناء ولعله أراد لولا أبو بكر لخالف الناس الدين كما خالفه كرعة طالوت بالشرب من النهر الذى نهوا عنه انتهى (وأمّا ماروى) عند ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس (من صحبة الصدّيق للنبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة وهم يريدون الشام فى تجارة وحديث بحيرا) أى سؤاله لابى بكر من الذى تحت الشجرة وقوله هو محمد بن عبد الله فقال هذا نبى (وانه وقع فى قلب أبى بكر اليقين) من ذلك (وقول ميمون ابن مهران) بكسر فسكون الكوفى أبى أيوب الجزرى نزيل الرقة الثقة الفقيه التابعى الوسط كثير الحديث والى الجزيرة لعمر بن عبد العزيز المتوفى فى سنة سبع عشرة ومائة وله سبع وسبعون سنة (والله لقد آمن أبو بكر بالنبى صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان) اللغوى وهو (اليقين بصدقه وهو ماوقر) ثبت (فى قلبه) فلا ينافى انه أوّل المسلمين أو ثانيهم أو ثالثهم بعد النبوّة (والا فالنبى صلى الله عليه وسلم تزوّج خديجة وسافر) مع غلامها ميسرة (الى الشام قبل المبعث) بعد تلك السفرة التى كان فيها أبو بكر وكان ذلك سبب التزوج بها وسنه صلى الله عليه وسلم خمس وعشرون سنة كما مرّ قالوا وعاطفت سابقا على لاحق على انه لا يصح ايراد قصة صحبته له فى تلك السفرة لانّ فى بقية خبرها كما مرّ ووقع فى قلب أبى بكر التصديق فلما بعث النبى اتبعه (ثم أسلم بعد زيد بن حارثة عثمان بن عفان) أمير المؤمنين ذو النورين لانه كما قال المهلب لم يعلم أحد تزوّج ابنتى نبى غيره أو لانه كان يختم القرآن فى الوتر فالقرآن نور وقيام الليل نور أو لانه اذا دخل الجنة برقت له برقتين أخرج أبو سعد فى الشرف عنه كنت بفناء الكعبة فقيل أنكح محمد عتبة ابنته رقية فدخلتنى حسرة أن لا أكون سبقت اليها فانصرفت الى منزلى فوجدت خالتى سعدى بنت كريز أى الصحابية العبشمية فأخبرتنى

ان الله أرسل محمدا وذكر حثها له على اتباعه مطولا قال وكان لي مجلس من الصديق فأصبته
فيه وحده فسألني عن تفكري فأخبرته بما سمعت من خالتي فذكر حثه له على الاسلام قال فما
كان بأسرع من ان مر صلى الله عليه وسلم ومعه علي يحمل له ثوبا فقام أبو بكر فساره فقعد
صلى الله عليه وسلم ثم أقبل علي فقال أجب الله الى جنته فاني رسول الله اليك والى جميع
خلقه فوالله ما تمالكت حين سمعته ان أسلمت ثم لم ألبث أن تزوجت رقية (والزبير بن
العوام) بن خويلد القرشي الاسدي الحواري وهو ابن ثنتي عشرة سنة عند الاكثر
وقيل خمس عشرة وقول عروة وهو ابن ثمان سنين أنكره ابن عبد البر وكان عمه يعلقه في حصير
ويدخن عليه بالنار ويقول ارجع فيقول لا أكفر أبدا (وعبد الرحمن بن عوف) القرشي
الزهري أحد العشرة والثمانية والستة (وسعد بن أبي وقاص) مالك الزهري أحد
العشرة وآخرهم موتا وأحد الستة والثمانية أسلم بعد ستة هو سابعهم وهو ابن تسع عشرة
سنة كما قاله ابن عبد البر وغيره وأما قوله لقد رأيتني وأنا ثالث الاسلام أخرجه البخاري
فحمل على ما اطلع هو عليه (وطلحة بن عبيد الله) التيمي أحد العشرة والثمانية السابقين
الى الاسلام والستة أصحاب الشورى ويقال ان سبب اسلامه ما أخرجه ابن سعد عنه قال
حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحد من
أهل الحرم قال طلحة نعم أنا فقال هل ظهر أحمد قلت من أحمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب
هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الانبياء ومخرجه من الحرم ومهاجره الى نخيل وحرة
وسباخ فاياك وان تسبق اليه فوقع في قلبي فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان
من حدث قالوا نعم محمد الامين تنبأ وقد تبعه ابن أبي قحافة فخرجت حتى أتيت أبا بكر فخرج بي
اليه فأسلمت فأخبرته بخبر الراهب (بدعاء أبي بكر الصديق) لانه كان محببا في قومه فجعل
يدعو من وثق به فأسلموا بدعائه (فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له)
أي أجابوا دعاءه اياهم (فأسلموا وصلوا) أي أظهروا اسلامهم عند المصطفى على ما أفادته
الفاء في قوله فجاء بهم من انه كان عقب اسلامهم والاظهر أن المراد انقادوا لدعائه فأسلموا
حين جاء بهم لقصة عثمان وطلحة (ثم أسلم) أمين هذه الامة (أبو عبيدة عامر) بن عبد الله
(ابن الجراح) القرشي الفهري اشتهر بجده (وأبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد) القرشي
المخزومي البدري توفي في حياته صلى الله عليه وسلم فخلفه على زوجه أم سلمة وأولاده منها
وهم أربعة حال كون اسلامهما جميعا (بعد تسعة أنفس) فيكون أبو سلمة الحادي عشر
كما قال ابن اسحق وهم خديجة وعلي وزيد والصديق والخمسة المسلمون على يده وأبو عبيدة
وأبو سلمة (والارقم بن أبي الارقم) عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي
(المخزومي) البدري وشهد أحدا والمشاهد كلها وأقطعه صلى الله عليه وسلم دارا بالمدينة
قيل أسلم بعد عشرة وفي المستدرك أسلم سابع سبعة وتوفي سنة خمس أو ثلاث وخمسين وهو ابن
خمس وثمانين سنة وأوصى أن يصلي عليه سعد بن أبي وقاص فصلى عليه (وعثمان بن
مظعون) بظاء معجمة وغفل من أهملها كما في النور بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح
القرشي (الجمحي) بضم الجيم وفتح الميم وحاء مهملة نسبة الى جده المذكور قال ابن اسحق

أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر الى الحبشة روى ابن شاهين والبيهقي عنه قلت يا رسول الله اني رجل يشق علي العزبة في المغازي فتأذن لي في الخصي فقال لا ولكن عليك يا ابن مظعون بالصوم وشهد بدرا وتوفي بعدها في السنة الثانية وهو أول مهاجري مات بالمدينة وأول من دفن بالبقيع منهم روى الترمذي عن عائشة قبل صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكي وعيناه تذرفان فلما توفي ابنه ابراهيم قال ألحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون (وأخواه قدامة) يكنى أبا عمر من السابقين الاولين هاجر الهجرتين وشهد بدرا وكانت تحته صفية بنت الخطاب أخت عمر واستعمله على البحرين فشرب فأحضره عمر فلما أراد حده قال لو شربت كما قالوا أي الذين شهدوا عليه ما كان لكم أن تحدوني قال الله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح الآية فقال عمر أخطأت التأويل انك اذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم ثم حده فلما حجا وقفلا من الحج قال عمر عجلوا بقدامة فوالله لقد أتاني آت في منامي فقال لي سالم قدامة فانه أخوك فأبي قدامة أن يأتي فقال عمر ان أبي فجروه فأتي اليه فكلمه واستغفر له رواه عبد الرزاق وغيره مطولا مات سنة ست وثلاثين أوست وخمسين وهو ابن ثمان وستين سنة (وعبد الله) يكنى أبا محمد هاجر الى الحبشة وشهد بدرا (وعبيدة) بضم العين وفتح الموحدة (ابن الحرث بن المطلب) أخي هاشم (ابن عبد مناف) بن قصي المستشهد يوم بدر (وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) بضم النون القرشي العدوي أحد العشرة (وامرأته فاطمة ابنة الخطاب) بن نفيل المذكور فهي ثانية النساء اسلاما (وقال ابن سعد أول امرأة أسلمت بعد خديجة ام الفضل) لبابة الكبرى بضم اللام وخفة الموحدتين بنت الحرث الهلالية (زوج العباس) وأم بنيه الستة النجباء ورده في الفتح بأنها وان كانت قديمة الاسلام لكنها لا تذكر في السابقين فقد سبقتها سمية والدة عمار وأم أيمن (وأسماء بنت أبي بكر) ذات النطاقين (وعائشة أختها) وهي صغيرة (كذا قاله ابن اسحق وغيره) ممن تبعه فلا يخالف قول العراقي

كذا ابن اسحق بذا انفردا * (وهو وهم) غلط (لانه لم تكن عائشة ولدت بعد) أي في ذلك الزمن وهو أول البعثة (فكيف أسلمت وكان مولدها سنة أربع) وبه جزم في العيون والاصابة وقال ابن اسحق سنة خمس (من النبوة قاله مغلطاي وغيره) وقد قالت لم أعقل أبوي الا وهما يدينان الدين كما في الصحيح ولم يذكر بناته صلى الله عليه وسلم لانه لا شك في تمسكهن قبل البعثة بهديه وسيرته وقد روى ابن اسحق عن عائشة لما أكرم الله نبيه بالنبوة أسلمت خديجة وبناته وكان أبو العاصي زوج زينب عظيما في قريش فكلمته قريش في فراقها على أن يتزوج من أحب من نسائهم فأبي وفي الشامية أسلمت رقية حين أسلمت أمها خديجة وبايعت حين بايع النساء وأم كلثوم حين أسلمت اخواتها وبايعت معهن اه وفاطمة لا يسأل عنها لولادتها بعد النبوة أو قبلها بخمس سنين والحاصل انه لا يحتاج للنص على سبقهن للاسلام لانه معلوم هذا ولا يشكل تزويج زينب بأبي العاصي ورقية وأم كلثوم بولدي أبي لهب مع صيانة النبي صلى الله عليه وسلم من قبل البعثة عن الجاهلية لان تحريم المسلمة على الكافر لم يكن ممنوعا حتى نزل قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقوله تعالى فلا

ترجعوهنّ الى الكفار بعد صلح الحديبية كما صرّح به العلماء وقد كفاه الله ولدى أبي لهب فطلقاهما قبل الدخول واستمرّت زينب حتى أسر أبو العاصي ببدر فأرسلت في فدائه فلما عاد بعثها اليه صلى الله عليه وسلم فلم تزل حتى أسلم وهاجر فردّها اليه صلى الله عليه وسلم ووقع في حديث عائشة عند ابن اسحق انّ الاسلام فرّق بينهما لكنه صلى الله عليه وسلم لم يقدر على نزعها منه حينئذ (ودخل الناس في الاسلام) أي تلبسوا به فالظرفية مجازية حال كونهم (أرسالا) جماعات متتابعين (من الرجال والنساء) وقد عدّ العراقي وغيره من كل جملة صالحة (ثم) بعد ذلك وفشوّ ذكره بمكة وتحدّث الناس به كما عند ابن اسحق (أمر الله رسوله بأن يصدع بما جاءه) منه (أي يواجه) يخاطب (المشركين) على وجه العموم فلا يخص بعضا دون بعض لانه صلى الله عليه وسلم بلغ ما أمر به لمن ظنّ اجابته دون مبالغة في التعميم فآمن به من مرّ مع كثيرين ثم أمر بالمبالغة في اظهار الدعوة بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (وقال مجاهد هو) أي الصدع المفهوم من فاصدع (الجهر بالقرآن في الصلاة) ومن لازمه المواجهة بما جاءه وخص الصلاة لانها كانت أعظم ما يخفيه لكنه على طريق الدلالة والاوّل شفاها كما صرّح به قول ابن اسحق ينادي الناس بأمره ويدعوهم اليه (وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود) الكوفي الثقة مشهور بكنيته قال الحافظ والاشهر أنه لا اسم له غيرها ويقال اسمه عامر والراجح انه لا يصح سماعه من أبيه مات بعد سنة ثمانين (مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا) هو والمسلمون في دار الارقم (حتى نزلت فاصدع بما تؤمر فجهر هو وأصحابه) ثم بعد بيان المراد من الآية ذكر مأخذها بقوله (وقال البيضاوي) في تفسير قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به (من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا) وعطف على فاجهر الذي حذفه المصنف من كلامه قوله (أو) بمعنى وقيل معناه (افرق به بين الحق والباطل) لانّ الصدع الفرق بين الشيئين فالصدع بالحجة يفرّق كلمة من ظهرت عليه وقهر بها أو كأنه صدع على جهة البيان والتشبيه لظلمة الجهل والشرك بظلمة الليل ولنور القرآن بنور الفجر لانّ الفجر يسمى صديعا قال الشاعر

ترى السرحان مفترشا يديه * كأنّ بياض غرّته صديع

(و) هو مجاز من صدع الشيء شقه اذ (أصله) لغة (الابانة والتميز) وفي القاموس صدعه كمنعه شقه أو شقه نصفين أو شقه ولم يفترق ولا منافاة لجواز أن يراد بالابانة الشق مع الفصل وهو مستفاد من شقه أي مطلقا وبالتميز الشق بلا فاصل وهو مستفاد من الاوّل والثالث (وما مصدرية) أي بأمرنا لك (أو موصولة والعائد) على انها موصولة (محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع انتهى) ولا يشكل بأن شرط حذف عائد الموصول أن يجرّ بمثل ما جرّ به الموصول لفظا ومتعلقا نحو ويشرب مما تشربون أي منه لانّ الصدع بمعنى الامر المؤثر ولا تشترط المناسبة اللفظية (قالوا وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوّة) تبرّأ منه لجزم الحافظ في سيرته بأنّ نزول الآية كان في السنة الثالثة (وهي المدة التي أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الى أن أمره الله تعالى باظهاره فبادى) قال البرهان

الظاهر أنه بموحدة أي جاهر (قومه بالاسلام و) لم يقتصر على مجرد المجاهرة بالدعوة بل
كرر ذلك وأكده وبالغ في اظهار الحجة حتى كأنه (صدع به) قلوبهم بما أورده عليهم من
الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها (كما أمره الله تعالى و) مع ذلك (لم يبعد منه قومه
ولم يردوا عليه) بل كانوا كما قال الزهري غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم
في مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء واستمروا على ذلك (حتى ذكر
آلهتهم وعابها) لما دخل المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال أبطلتم دين
أبيكم ابراهيم فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم (وكان
ذلك في سنة أربع) من النبوة (كما قاله العتقي) بضم المهملة وفتح الفوقية وقاف وقيل
سنة خمس وجمع بأن ابتداء الاظهار والمعاداة في الرابعة وكماله واشتداده في الخامسة
(فأجمعوا على خلافه) أي عزموا على مخالفته وصمموا عليه (و) على (عداوته الا من
عصم الله منهم بالاسلام) وهم قليل مستخفون كما في العيون ولا ينافيه قول الزهري
استجاب له من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به (وحدب) بفتح الحاء
وكسر الدال المهملتين فموحدة أي عطف (عليه عمه أبو طالب ومنعه) وأصل الحدب
انحناء في الظهر ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له كما في الشامية (وقام دونه) كناية عن
منعهم من الوصول له يقال هذا دون ذلك أي أقرب منه أي قام في مكان قريب منه حاجزا
بينه وبينهم (فاشتد الامر وتضارب القوم) ضرب بعضهم بعضا بالفعل كما جاء أن سعد بن
أبي وقاص كان في نفر من قريش يصلون في بعض شعاب مكة فظهر عليهم نفر من المشركين
فعابوا صنعهم حتى قاتلوهم فضرب سعد رجلا منهم بلحى بعير فشجه فهو أول دم أهريق
في الاسلام أو المعنى أرادوا التضارب وعزموا عليه اشارة الى ما كان بين أبي طالب وقومه
(وأظهر بعضهم لبعض العداوة وتذامرت قريش) بذال معجمة حض بعضهم بعضا كما في
النور وغيره وفي نسخة تآمرت بالواو أي تشاورت والاولى أنسب بقوله (على من أسلم منهم
يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب وبني هاشم) ما عدا أبا
لهب (وبني المطلب) أخي هاشم بن عبد مناف بطلب أبي طالب لذلك منهم لما رأى ما صنعوا
بالمسلمين فاجتمعوا اليه وأقاموا معه وفي بعض نسخ العيون وبني عبد المطلب قال النور
والصواب الاول (وقال مقاتل كان صلى الله عليه وسلم عند أبي طالب يدعوه الى الاسلام
فاجتمعت قريش الى أبي طالب يريدون بالنبي صلى الله عليه وسلم سوأ) هو أنهم أتوه بعمارة
ابن الوليد ليتخذه ولدا ويعطيهم النبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه (فقال أبو طالب) والله
لبئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله ما لا يكون
أبدا وقال (حين تروح الابل) ترجع من مراعيها (فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته
اليكم) تعليق على محال على طريق الزامهم انها لا تحن الى غيره مع كونها عجماء فكيف أنا مع
كوني من ذوي اللب والمعرفة (وقال) شعرا في النبي تطمينا له

(والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك) اجهر بالشيء الذي أمرت بتبليغه أو الامر مصدر بمعنى الطلب أي اصدع

بسبب أمر الله لك (ما عليك غضاضة *) بفتح الغين وضادين معجمات ذلة ومنقصة (وابشر) بحذف الهمزة للضرورة وأصله بقطع الهمزة كقوله تعالى وأبشروا بالجنة (وقر بذاك منك عيونا) بفتح القاف من قرت عينه سكنت أو بردت لكنه حول الاسناد من العين الى ذاته الكريمة وجيء بعيونا تمييزا للنسبة ولغة نجد كسر القاف وبهما قرئ وقري عينا (ودعوتني) طلبت مني الدخول في دينك (وزعمت) ذكرت لي (أنك ناصحي *) فلم يستعمل الزعم في معناه المشهور أنه القول الذي لا دليل عليه بدليل قوله (ولقد صدقت وكنت ثم) فيما دعوتني اليه (أمينا) لم تزد فيما أمرت بتبليغه ولم تنقص (وعرضت) أظهرت لنا (دينا لا محالة) بفتح الميم لا حيلة في دفع (انه * من خير أديان البرية دينا) اذ هو حق ثابت بالحجج القاطعة (لولا الملامة) العذل (أو حذاري) بكسر الحاء مصدر حاذر أي خوفي (سبة *) بضم السين عارا وفتح الحاء تعسف لانه يكون اسم فعل أمر ولا يصح هنا الا بتقدير أو خوفي من أن يقال لي حذار أي احذر العار مع جعل الياء للاشباع (لوجدتني سمحا بذاك) الذي دعوتني اليه (مبينا) ولما تكلم على المراد من آية الصدع جره ذلك الى ذكر الآية الثانية وان كان اليعمري انما ذكره بعد ذلك قبل انشقاق القمر فقال على ما في بعض النسخ (وقد كفى الله تعالى نبيه المستهزئين كما قال تعالى وأعرض عن المشركين أي لا تلتفت الى ما يقولون) وهذا كان قبل الامر بالجهاد (انا كفيناك المستهزئين) بك ومن استهزاء الحرث قوله غر محمد نفسه وصحبه اذ وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومر الايام والحوادث رواه ابن جرير عن قتادة (يعني بقمعهم) مصدر قمع كمنع أي بقهرهم واذلالهم (واهلاكهم) حكم على المجموع فلا ينافي ان من أسلم لم يهلك (وقد قيل) قد للتحقيق لان قول الجمهور ومنهم ابن عباس في أكثر الروايات عنه (انهم كانوا خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة) بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال البغوي وكان رأسهم (والعاصي بن وائل) السهمي (والحرث بن قيس) بن عدي السهمي ابن عم العاصي كان أحد أشراف قريش في الجاهلية واليه كانت الحكومة والاموال التي كانوا يسمونها قال ابن عبد البر أسلم وهاجر الى الحبشة مع بنيه الحرث وبشر ومعمر وتعقبه ابن الاثير بأن الزبير بن بكار وابن الكلبي ذكرا انه كان من المستهزئين وزاد الذهبي في التجريد لم يذكر أحد أنه أسلم الا أبو عمر ورده في الاصابة بأنه ذكره في الصحابة أيضا أبو عبيد ومصعب والطبري وغيرهم ولا مانع أن يكون تاب وصحب وهاجر والآية ليست صريحة في عدم توبة بعضهم انتهى وأمه كنانية واسمها العيطلة وينسب اليها روى ابن جرير عن أبي بكر الهذلي قال قيل للزهري ان سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين فقال سعيد الحرث بن عيطلة وقال عكرمة الحرث بن قيس فقال صدقا جميعا كانت أمه عيطلة وكان أبوه قيسا وما ذكر من انه الحرث هو ما وقفت عليه في نسخ صحيحة وفي بعضها وعدي بن قيس وهو وان قيل بأنه منهم لكن يعين الاولى قوله الآتي فأشار الى انف الحرث (والاسود بن عبد يغوث) بن وهب بن زهرة الزهري ابن خاله صلى الله عليه وسلم من استهزائه انه كان يقول اما كلمت اليوم من السماء يا محمد (والاسود

ابن المطلب) بن أسد بن عبد العزى (وكانوا يبالغون في ايذائه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء
به) فكان جبريل عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وسلم فمروا بهما واحدا بعد واحد
فشكاهم الى جبريل (فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فأومأ
الى ساق الوليد فمر بنبال) يريش نبله ويصلحها (فتعلق بثوبه سهم) وفي البغوي فعرضت شظية
من نبل (فلم ينعطف) ينثن (تعظيما لاخذه فأصاب عرقا في عقبه) زاد البغوي فمرض
(فمات) كافرا (وأومأ) جبريل (الى اخمص) بفتح أوله واسكان الخاء المعجمة فميم فصاد مهملة
(العاصي) فخرج يتنزه فنزل شعبا (فدخلت فيه شوكة) من رطب الضريع (فانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى) وفي البغوي كعنق البعير فمات مقامه (وأشار الى انف الحرث
فامتخط قيحا فمات) وقيل أكل حوتا مملوحا فما زال يشرب عليه حتى انقد بطنه وقيل أخذه الماء
الاصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات وعلى القول باسلامه فمعنى كفيناك باسلامه
وهو الذي يظهر من الاصابة ترجيحه فانه أورده في القسم الاول ورد على من جزم بخلافه
(و) أشار جبريل (الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه
الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات) على كفره وقيل أشار جبريل الى بطنه باصبعه
فاستسقى بطنه فمات رواه الطبراني بسند ضعيف وقيل خرج في رأسه قروح فمات ويمكن
انها سبب نطحه الشجرة وروى الطبراني والبيهقي والضياء باسناد صحيح ان جبريل أومأ الى
رأسه فضربته الاكلة فامتخض رأسه قيحا بخاء وضاد معجمتين أي تحرك شديدا وعند ابن أبي
حاتم والبلاذري بسند صحيح عن عكرمة انه حنى ظهره حتى احقوقف صدره فقال صلى الله
عليه وسلم خالي خالي فقال جبريل دعه عنك فقد كفيته احقوقف انحنى وقيل خرج من عند
أهله فأصابه السموم حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فرجع وصار
يطوف بشعاب مكة حتى مات عطشا ويقال انه عطش فشرب الماء حتى انشق بطنه وجمع
باحتمال أن جميع ذلك وقع له (و) أشار جبريل (الى عيني الاسود بن المطلب) قال ابن
عباس رماه بورقة خضراء (فعمي) بصره كما عميت بصيرته فلم يميز بين الحسن والقبيح ووجعت
عينه فضرب برأسه الجدار حتى هلك وهو يقول قتلني رب محمد وقال ابن عباس في رواية كانوا
ثمانية وصححه في الغرر وجزم به ابن عبد البر والعراقي فزادوا أبا لهب هلك بالعدسة وهي
ميتة شنيعة بعد بدر بأيام كما يأتي وعقبة بن أبي معيط قتل صبرا بعد انصرافه صلى الله
عليه وسلم من بدر والحكم بن العاصي بن أمية أسلم يوم الفتح وتوفي في آخر خلافة عثمان
قال العراقي

ثامنهم أسلم وهو الحكم * فقد كفاه شره اذ يسلم

وأسقط الشامي ابن أبي معيط وأبدله بمالك بن الطلاطلة وهو خلاف ما في العيون وتظم
السيرة على أن العمري سماه قبل ذكر المستهزئين بقليل في المجاهرين بالظلم الحرث بن
الطلاطلة الخزاعي بطاءين مهملتين الاولى مضمومة والثانية مكسورة بينهما لام خفيفة
ثم لام مفتوحة ثم تاء تأنيث وهي لغة الداء العضال الذي لا دواء له وعند ابن اسحق ان الحرث
هذا مر به صلى الله عليه وسلم فأشار الى رأسه فامتخض قيحا فقتله كافرا (وكان صلى الله

قوله يقول ان الخ في نسخة المتن يقول يا أيها الناس ان الخ اه

عليه وسلم) كما رواه عبد الله في زوائد المسند والحاكم وقال على شرطهما عن ربيعة ابن عباد بكسر العين مخففا الديلي الكناني الصحابي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم (يطوف على الناس) في أول أمره (في منازلهم يقول ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأبو لهب) عمه على المحفوظ ويروى أبو جهل قال ابن كثير وقد يكون وهما ويحتمل انهما تناوبا على ايذائه صلى الله عليه وسلم قال الشامي وهو الظاهر (وراءه) يتبعه اذا مشى (يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم) وذلك عار عليكم فانظر هذا الابتلاء في الله فلو كان من غير قريب كان أسهل لان العرب كانت تقول قوم الرجل اعلم به ولذا قال صلى الله عليه وسلم ما أوذى أحد ما أوذيت (ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر) مع اعترافه بانه باطل لكنه لعنه الله لما ضاقت عليه المذاهب قال انه أقرب القول فيه تنفير للناس عنه (وتبعه قومه على ذلك) بعد التشاور فيما يرمونه به فعند ابن اسحق والحاكم والبيهقي باسناد جيد انه اجتمع الى الوليد نفر من قريش وكان ذا سن فيهم فقال لهم يا معشر قريش قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بامر صاحبكم فاجمعوا فيه رأيا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا قالوا فانت فأقم لنا رأيا نقول به فيه قال بل أنتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه قالوا فنقول مجنون قال والله ما هو بمجنون لقد رأينا المجنون وعرفنا فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا شاعر قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه قالوا ساحر قال ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال والله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناه وما أنتم بقائلين من هذا شيأ الا أعرف انه باطل وان اقرب القول فيه أن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون لسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره فصدرت العرب من ذلك الموسم بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها وفي سيرة الحافظ فانتشر بذلك ذكره في الآفاق وانقلب مكرهم عليهم حتى كان من أمر الهجرة ما كان وقدم عليه عشرون من نجران فأسلموا فبلغ أبا جهل فسبهم واقذع في القول فقالوا له سلام عليكم وفيهم نزل واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآيات انتهى قال السهيلي رواية ابن اسحق لعذق بفتح المهملة وسكون المعجمة استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وهي العذق أفصح من رواية ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق وهو الماء الكثير ومنه يقال غدق الرجل اذا كثر بصاقه لانها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله وان فرعه لجناه استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها اذا جنى انتهى وفي حواشي أبي ذر لجناه أي فيه تمر يجنى انتهى فانظر هذا اللعين كيف نبقت نفسه الحق وحمله البطر والكبر على خلافه وقد ذمه الله ذما بليغا في قوله ولا تطع كل حلاف مهين حتى قوله على الخرطوم وقوله ذرني ومن خلقت حتى قوله سأصليه سقر

(وآذته قريش) أشد الاذية (ورمته بالشعر والكهانة والجنون) وبرأه الله من جميع ذلك فى الكتاب العزيز (ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه) كما روى أن فرعون هذه الامة أبا جهل رآه صلى الله عليه وسلم عند الحجون فصب التراب على رأسه ووطئ برجله على عاتقه (ويجعل الدم على بابه) كما قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جارين بين أبى لهب وعقبة بن أبى معيط ان كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابى حتى انهم ليأتون ببعض ما يطرحونه من الاذى فيطرحونه على بابى رواه ابن سعد عن عائشة (ووطئ عقبة بن أبى معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان) وروى البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد وأبو يعلى وابن حبان عن عمرو بن العاصى ما رأيت قريشا أرادوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم الا يوم أغروا به وهم فى ظل الكعبة جلوس وهو يصلى عند المقام فقام اليه عقبة فجعل رداءه فى عنقه ثم جذبه حتى وجب لركبتيه وتصايح الناس وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ثم انصرفوا عنه فلما قضى صلاته مر بهم فقال والذى نفسى بيده ما أرسلت اليكم الا بالذبح فقال له أبو جهل يا محمد ما كنت جهولا فقال أنت منهم (وخنقه خنقا) بفتح الخاء وكسر النون وتسكن للتخفيف كما فى المصباح (شديدا) قويا ونسبه اليهم مع أن الفعل من عقبة فقط كما فى رواية البخارى الآتية على الاثر لاقرارهم عليه ومعاونتهم له ان لم نقل بتعدد القصة (فقام أبو بكر دونه فجذبوا رأسه ولحيته صلى الله عليه وسلم) وسقطت الصلاة فى نسخة (حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو) يبكى و(يقول أتقتلون رجلا) لاجل (أن يقول ربى الله) فقال صلى الله عليه وسلم دعهم يا أبا بكر فوالذى نفسى بيده انى بعثت اليهم بالذبح ففرجوا عنه عليه السلام (وقال) عبد الله (بن عمرو) بفتح العين ابن العاصى الصحابى ابن الصحابى (كما فى البخارى) فى مناقب أبى بكر وفى باب مالقى النبى صلى الله عليه وسلم من المشركين بمكة عن عروة بن الزبير قال سألت ابن عمرو بن العاصى قلت أخبرنى بأشد شئ صنعه المشركون بالنبى صلى الله عليه وسلم قال (بينا) بلا ميم وفى رواية بالميم (رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة) لفظ البخارى فى الباب المذكور يصلى فى حجر الكعبة (اذ أقبل عقبة ابن أبى معيط فأخذ بمنكب النبى صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه) اى ثوب النبى صلى الله عليه وسلم (فى عنقه) الشريف (فخنقه) بفتح النون (خنقا) بكسرها وتسكن (شديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه) اى بمنكب عقبة بفتح الميم وكسر الكاف (ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) زاد ابن اسحق وهو يبكى ثم جزم عبد الله بأن هذا أشد ما صنعه المشركون بالمصطفى يخالف ما فى البخارى عن عائشة قلت هل أتى عليك يوم أشد من أحد قال لقد لقيت من قومك فذكر قصته بالطائف مع ثقيف لما ذهب اليهم بعد موت أبى طالب ويأتى الحديث فى محله قال الحافظ والجمع بينهما أن عبد الله استند الى ما رآه ولم يكن حاضرا للقصة التى وقعت بالطائف (وفى رواية) للبخارى أيضا (ثم قال) الصديق (أتقتلون رجلا) كراهية لـ(أن يقول ربى الله) بقية الرواية فى الباب الآتى وفى المناقب وقد جاءكم

بالبينات من ربكم استفهام انكاري وفي الكلام مايدل على حسن هذا الانكار لانه ما زاد على أن قال ربي الله وجاءكم بالبينات وذلك لا يوجب القتل البتة (وقد ذكر العلماء) وفي شرحه للبخاري بعضهم فكان أصله لبعضهم وسكت الباقون عليه فنسب للعلماء (ان أبا بكر أفضل من مؤمن آل فرعون) رجل من أقاربه وقيل غريب بينهم يظهر دينهم خوفا منهم وهو مؤمن باطنا قال الحافظ اختلف في اسمه فقيل هو يوشع بن نون وهو بعيد لانه من ذرية يوسف لا من آل فرعون وقد قيل ان قوله من آل فرعون متعلق بيكتم ايمانه والصحيح انه من آل فرعون قال الطبري لانه لو كان من بني اسرائيل لم يصغ اليه فرعون ولم يسمعه وقيل اسمه شمعان بالشين المعجمة وصححه السهيلي وقيل حبيز وقيل حزبيل وقيل جالوت وقيل حبيب ابن عم فرعون وقيل حبيب النجار وهو غلط وقيل خونك بن سود بن أسلم بن قضاعة اه باختصار (لان هذا اقتصر حين انتصر) لموسى حين أراد فرعون قتله (على اللسان) فقال أتقتلون رجلا الآية (وأما أبو بكر رضي الله عنه فأتبع اللسان يدا ونصر بالقول والفعل محمدا صلى الله عليه وسلم). والمراد أن هذا من جملة ما فضل به أبو بكر لا أن فضله انما جاء من هذه الحيثية ضرورة أن الحكم يدور مع العلة كذا أفاده بعض شيوخنا وأصل هذا المنسوب للعلماء جاء عن علي كرم الله وجهه بمعناه فقد روى البزار وأبو نعيم من رواية محمد ابن علي عن أبيه انه خطب فقال من اشجع الناس قالوا أنت قال أما اني ما بارزني أحد الا انتصفت منه ولكنه أبو بكر لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش فهذا يجؤه وهذا يتلببه ويقولون أنت جعلت الآلهة الها واحدا فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم بكى علي ثم قال أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر فسكت القوم فقال علي والله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم ايمانه وهذا أعلن ايمانه (وفي رواية البخاري أيضا) في الطهارة والصلاة والجزية والجهاد والمغازي والمذكور هنا لفظه في الصلاة عن عبد الله يعني ابن مسعود (كان عليه الصلاة والسلام) نقل بالمعنى فلفظه بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم (يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال قائل منهم) هو أبو جهل كما في مسلم وفي رواية قالوا ولا منافاة لجواز انه قاله ابتداء وتبعوه عليه (الا تنظرون الى هذا المرائي) يتعبد في الملا دون الخلوة (أيكم يقوم الى جزور) بفتح الجيم وضم الزاي يقع على الذكر والانثى وفي الفائق الجزور بفتح الجيم قبل النحر فاذا نحر قيل جزور بالضم (آل فلان) زاد مسلم وقد نحرت جزور بالامس (فيعمد) بكسر الميم وتفتح مرفوع عطفا على يقوم وفي رواية بالنصب جوابا للاستفهام (الى فرثها) بفتح الفاء وسكون الراء ومثلثة ما في كرشها (ودمها وسلاها) بفتح المهملة والقصر وعاء جنين البهيمة كالمشيمة للآدميات وبه يعلم أن الجزور كانت أنثى قال في المحكم ويقال في الآدميات أيضا سلى (فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم) وفي رواية الطهارة أشقى القوم وبه يفسر هذا الضمير وهو عقبة بن أبي معيط كما في الصحيحين أي بعثته نفسه الخبيثة من دونهم فاسرع السير وانما كان أشقاهم مع أن فيهم أبا

جهل وهو أشد كفرا وايذاء للمصطفى منه لاشتراكهم في الكفر والرضا وانفراد عقبة بالمباشرة ولذا قتلوا في الحرب وقتل هو صبرا وحكى ابن التين عن الداودي انه أبو جهل فان صح احتمل أن عقبة لما انبعث حمل أبا جهل شدة كفره فانبعث على أثره والذي جاء به عقبة وفي رواية فانبعث أشقى قوم بالتنكير وفيه مبالغة ليست في المعرفة لان معناه أشقى كل قوم من اقوام الدنيا قال الحافظ لكن المقام يقتضي التعريف لان الشقاء هنا بالنسبة الى أولئك القوم فقط (فلما سجد عليه السلام وضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا) لا يرفع رأسه كما في رواية (وضحكوا حتى مال بعضهم على) وفي رواية الى (بعض من الضحك) استهزاء لعنهم الله (فانطلق منطلق) قال الحافظ يحتمل أن يكون هو ابن مسعود انتهى أي وأبهم نفسه لغرض صحيح ولا ينافيه رواية فهبنا أن نلقيه عنه لما لا يخفى (الى فاطمة) بنته سيدة نساء هذه الامة ذات المناقب الجمة (وهي) يومئذ (جويرية) صغيرة السن لانها ولدت سنة احدى وأربعين من مولد أبيها صلى الله عليه وسلم على الصحيح (فأقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته) أي الذي وضعوه (عنه وأقبلت عليهم تسبهم) وفي رواية للشيخين ودعت على من صنع ذلك زاد البزار فلم يردوا عليها شيأ قال في الفتح وفيه قوة نفس فاطمة الزهراء من صغرها لشرفها في قومها ونفسها لكونها صرحت بشتمهم وهم رؤس قريش فلم يردوا عليها (فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش) اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش هكذا كرره البخاري في الصلاة لفظا وذكره في غيره بلفظ اللهم عليك بقريش ثلاث مرات وفي رواية مسلم وكان اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا والمراد باهلاك كفارهم على حذف المضاف أو الصفة أي بقريش الكفار أو من سمي منهم بعد فهو عام أريد به الخصوص وفي البخاري فشق عليهم اذ دعا عليهم وفي مسلم فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته وصريح الحديث أن الدعاء بعد الفراغ من الصلاة وفي رواية فسمعته يقول وهو قائم يصلي اللهم اشدد وطأتك على مضر سنين كسني يوسف فيمكن أنه دعا به في الصلاة وبعدها وهذا خير من تجويز أن معنى قضى صلاته قارب الفراغ منها وقوله وهو قائم ثابت في صلاته وان لم يكن في خصوص القيام لان فيه مع تعسفه اخراج المتبادر من لفظ كل من الحديثين مع امكان الجمع بدون ذلك (ثم سمى) أي عين في دعائه وفصل من أجل (فقال اللهم عليك بعمرو بن هشام) المخزومي الاحول المأبون فرعون هذه الامة كنته العرب بابي الحكم وكناه الشارع بأبي جهل ذكره غير واحد وللبخاري أيضا اللهم عليك بأبي جهل قال الحافظ فلعله سماه وكناه (وعتبة بن ربيعة و) أخيه (شيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة) بن ربيعة ثاني المذكورين قال الحافظ لم تختلف الروايات في انه بعين مهملة بعدها مثناة ساكنة ثم موحدة لكن عند مسلم من رواية زكريا بالقاف بدل المثناة وهو وهم قديم نبه عليه ابن سفيان الراوي عن مسلم اه قيل وسببه الوهم أن الوليد بن عقبة بالقاف لم يكن حينئذ موجودا أو كان صغيرا جدا قال في النور ويوضح فساده أن الزبير وغيره من علماء السير والخبر ذكروا أن الوليد وعمارة ابني عقبة خرجا الى ردا أختهما عن الهجرة بعد الحديبية ولا خلاف أن قوله تعالى ان جاءكم فاسق نزلت

فيه فالظاهر أنه كان كبيرا كما قال بعضهم انتهى يعنى فهو وهم بلا سبب (وأمية بن خلف) وفى بعض روايات البخارى أبى بن خلف قال فى الفتح وهو وهم والصواب وهو ما اطبق عليه أصحاب المغازى أمية لانه المقتول ببدر وأما أخوه أبى فانما قتل بأحد (وعقبة بن أبى معيط) أشقى القوم واسم والده أبان بن أبى عمرو واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس (وعمارة) بضم العين وخفة الميم (ابن الوليد) هكذا رواه البخارى فى الصلاة جزما من طريق اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله ورواه فى الوضوء من رواية اسحق وشعبة عن أبى اسحق عن عمرو عن ابن مسعود بلفظ وعد السابع فلم يحفظه ولمسلم من رواية الثورى قال أبو اسحق ونسيت السابع قال الحافظ ففيه أن فاعل عد عمرو بن ميمون ولم يحفظه أبو اسحق خلاف ترديد الكرمانى فى فاعل عد بين النبى وابن مسعود وفاعل فلم يحفظه بين ابن مسعود وعمرو بن ميمون على أن أبا اسحق تذكره مرة كما عند البخارى فى الصلاة وسماع اسرائيل منه فى غاية الاتقان للزومه اياه لانه جده وكان خصيصا به قال ابن مهدى ما فاتنى الذى فاتنى من حديث الثورى عن أبى اسحق الا اتكالا على اسرائيل لانه يأتى به أتم وقال اسرائيل كنت أحفظ حديث أبى اسحق كما أحفظ سورة الحمد انتهى ملخصا (قال عبد الله) بن مسعود (فوالله لقد رأيتهم) وفى رواية فوالذى نفسى بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وسلم (صرعى) موتى مطروحين على الارض (يوم بدر ثم سحبوا) أى جروا (الى القليب) بفتح القاف وكسر اللام البئر قبل أن تطوى أى تبنى بالحجارة ونحوها أو العادية القديمة التى لا يعرف صاحبها (قليب بدر) الرواية بالجر على البدل ويجوز الرفع بتقدير هو والنصب بأعنى كما أفاده المصنف وغيره قال العلماء وانما أمر بالقائهم فيه لئلا يتأذى الناس بريحهم والا فالحربى لا يجب دفنه والظاهر أن البئر لم يكن فيها ماء معين قاله الحافظ قال المصنف وتحقيرا لشأنهم (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبع أصحاب القليب لعنة) بضم الهمزة ورفع أصحاب اخبار منه صلى الله عليه وسلم بعد القائهم فى القليب بأن الله أتبعهم أى كما أنهم مقتولون فى الدنيا فهم مطرودون فى الآخرة عن رحمة الله ورواه أبو ذر بفتح الهمزة وكسر الموحدة ونصب أصحاب عطفا على عليك بقريش كأنه قال أهلكهم فى حياتهم وأتبعهم اللعنة فى مماتهم وهذا الحديث أخرجه أيضا مسلم والنسائى والبزار وغيرهم قال الحافظ رحمه الله وفيه جواز الدعاء على الظالم لكن قال بعضهم محله اذا كان كافرا فأما المسلم فيستحب الاستغفار له والدعاء بالتوبة ولو قيل لا دلالة فيه على الدعاء على الكافر ما بعد لاحتمال اطلاعه صلى الله عليه وسلم على أن المذكورين لا يؤمنون والاولى أن يدعى لكل أحد بالهداية وفيه حلمه صلى الله عليه وسلم عمن آذاه ففى رواية الطيالسى عن ابن مسعود لم أره دعا عليهم الا يومئذ وانما استحقوا الدعاء حينئذ لما قدموا عليه من الاستخفاف به حال عبادة ربه وفيه استحباب الدعاء ثلاثا وغير ذلك (واستدل بهذا الحديث على أن من عرض له فى صلاته ما يمنع انعقادها ابتداء) لان من شروطها طهارة الخبث عند الاكثرين (لا تبطل صلاته فلو كانت نجاسة فأزالها فى الحال) أو لم تستقر عليه ولا أثر لها صحت صلاته اتفاقا) وقال الخطابى لم يكن اذ ذاك حكم بنجاسة ما ألقى عليه كالخمر

فانهم كانوا يلاقون بثيابهم وأبدانهم الخمر قبل نزول التحريم ورده ابن بطال بأنه لاشك انها كانت بعد نزول قوله تعالى وثيابك فطهر لانها أول مانزل قبل كل صلاة اللهم الا أن يقال المراد بها طهارة القلب ونزاهة النفس عن الدنايا والآثام (واستدل به أيضا على طهارة فرث مايؤكل لحمه) وتعقب بأن الفرث لم يفرد بل كان مع الدم كما فى رواية اسرائيل والدم نجس اتفاقا وأجيب بان الفرث والدم كانا داخل السلى وجلدة السلى الظاهرة طاهرة فكان كحمل القارورة المرصصة ورد بانها ذبيحة عبدة اوثان فجميع أجزائها نجسة لانها ميتة وأجيب بأن ذلك كان قبل التعبد بتحريم ذبائحهم وتعقب بأنه يحتاج الى تاريخ ولا يكفى فيه الاحتمال (و) استدل به أيضا (على أن ازالة النجاسة ليست بفرض) بل سنة (وهو) أى الاستدلال (ضعيف) لانها قضية عين مع احتمال كون النجاسة داخل الجلدة (وأجاب النووى) قائلا انه الجواب المرضى (بأنه عليه السلام لم يعلم ماوضع على ظهره فاستمر فى سجوده استصحابا للاصل الطهارة) ولا يرد عليه انه كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما ينظر أمامه لجواز أن هذه الخصوصية انما كانت بعد هذه الواقعة ولكن تعقب بأنه يدل على علمه بما وضع عليه أن فاطمة ذهبت به قبل أن يرفع رأسه وعقب هو فى صلاته بالدعاء عليهم (وتعقب) أيضا (بأنه مشكل على قولنا بوجوب الاعادة فى مثل هذه الصورة) على الصحيح (وأجيب عنه بأن الاعادة انما تجب فى الفريضة) فلعل صلاته كانت نافلة (فان ثبت انها فريضة فالوقت متسع فلعله اعاد) صلاته (وتعقب بأنه لو أعاد لنقل ولم ينقل وبأن الله لا يقره على صلاة فاسدة) وقد خلع نعليه وهو فى الصلاة لما أخبره جبريل أن فيهما قذرا ويمكن الانفصال عنه هنا بأنه أقره لمصلحة اغاظة الكفار باظهار ثباته وعدم التفاته الى فعلهم كما اقر على السلام من ركعتين لتشريع عدم بطلانها بالسلام سهوا (وقد استشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد فى المذكورين لانه لم يقتل ببدر بل ذكر أصحاب المغازى انه مات بأرض الحبشة وله قصة مع النجاشى اذ تعرض لامرأته فأمر النجاشى ساحرا فنفخ فى احليل) مجرى بول (عمارة من سحره عقوبة له فتوحش وصار مع البهائم) وذلك كما ذكره أبو الفرج الاموى الاصبهانى وغيره أن المسلمين لما هاجروا الهجرة الثانية الى الحبشة بعثت قريش عمرا وعمارة الى النجاشى بهدية فألقى الله بينهما العداوة فى مسيرهما لان عمرا كان دميما ومعه امرأته وعمارة جميلا فهوى امرأة عمرو وهويته فعزما على دفع عمرو فى البحر فدفعاه فسبح ونادى أصحاب السفينة فأخذوه فرفعوه اليها فأضمرها فى نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلى ابن عمك عمارة لتطيب نفسه فلما اتيا الحبشة وردهما الله خائبين مكر عمرو بعمارة فقال له أنت جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لامرأة النجاشى لعلها أن تشفع لنا عنده فى قضاء حاجتنا ففعل وتكرر تردده اليها وأخذ من عطرها فأتى عمرو للنجاشى فأخبره فأدركته عزة الملك وقال لولا أنه جارى لقتلته ولكن سأفعل به ماهو شر من القتل فأمر الساحرات فنفخن فى احليله نفخة طار منها هائما على وجهه حتى لحق بالوحوش فى الجبال وكان اذا رأى آدميا ينفر منه (الى أن مات فى خلافة عمر) لما جاءه ابن عمه عبد الله بن أبى ربيعة الصحابى بعد أن استأذن عمر بن الخطاب فى السير اليه لعله يجده

فاذن له فسار الى الحبشة فاكثر الفحص عنه حتى أخبر أنه فى جبل يرد مع الوحوش ويصدر معها فسار اليه حتى كمن له فى طريقه الى الماء فاذا هو قد غطاه شعره وطالت أظفاره وتمزقت عليه ثيابه حتى كأنه شيطان فقبض عليه وجعل يذكره بالرحم ويستعطفه وهو ينتفض منه ويقول أرسلني أرسلني حتى مات بين يديه ذكره أيضا أبو الفرج فى كتاب الاغانى وكان عمرو قال يخاطب عمارة

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

قضى وطرا منها وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

(وأجيب بأن كلام ابن مسعود أنه رآهم صرعى فى القليب محمول على الاكثر ويدل عليه أن عقبة بن أبى معيط لم يصرع فى القليب) لانه لم يقتل ببدر بل اسر (وانما قتل) أى قتله عاصم ابن ثابت أو على بأمر النبى صلى الله عليه وسلم (صبرا) أى بعد حبسه فى المصباح كل ذى روح يوثق حتى يقتل فقد قتل صبرا (بعد أن) اسر و (رحلوا عن بدر مرحلة) بمحل يقال له عرق الظبية (وأمية بن خلف لم يطرح فى القليب كما هو بل مقطعا) فانه كان رجلا بادنا فقبل أن يبلغ به اليه (كما سيأتى ان شاء الله تعالى) فى غزوة بدر وفى ذكره تبعا للفتح امية شئ لان كلام ابن مسعود يصدق على انه رآه ولو مقطعا اذ لم يقل رأيتهم فيه بلا تقطيع (وقوله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبع أصحاب القليب لعنة يحتمل أن يكون من تمام الدعاء الماضى) فيكون عطفا على قوله عليك بقريش (فيكون فيه علم عظيم من أعلام النبوة) هو انه اطلع على انهم سيلقون فى القليب وأخبر بذلك فى ضمن دعائه وجاء كما قال وهذا على رواية أبى ذر أتبع بفتح الهمزة وكسر الموحدة ونصب أصحاب (ويحتمل أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم بعد أن ألقوا فى القليب) فيكون اخبارا بأن الله أتبعهم وهذا على رواية الباقين أتبع بالبناء للمفعول

* اسلام حمزة *

(ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب) سيد الشهداء أسد الله وأسد رسوله خير أعمام المصطفى وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة كما فى الصحيح ولا يشكل بأنه اسن من النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين أو أربع لانها ارضعتهما فى زمانين كما قال البلاذرى وقريبه من أمه أيضا لان أمه هالة بنت اهيب بن عبد مناف بن زهرة عم آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم يكنى أبا عمارة بضم العين بابن له من امرأة من بنى النجار وقيل هى بنت له كنى بها وقيل كنيته أبو يعلى وقدمه بعضهم قال السهيلى ولم يعش لحمزة ولد غير يعلى وأعقب خمسة بنين ثم انقرض عقبهم فيما ذكر مصعب (وكان) كما قال ابن اسحق (اعزفتى) أى أقوى شاب (فى قريش وأشده) أى أشد فتى والمراد به الجنس لان اسم التفضيل بعض ما يضاف اليه فلا بد من حمل فتى على ما يشمله وغيره ليكون الاعز والاشد واحدا منهم (شكيمة) بفتح المعجمة وكسر الكاف يقال كما فى الصحاح وغيره لمن كان عزيز النفس أبيا قويا وأصله من شكيمة اللجام الحديدة المعترضة فى فم الفرس التى فيها الفاس ويقال شكيم أيضا والجمع شكائم (وكان اسلامه فيما قاله العتقى) وابن الجوزى (سنة ست) من النبوة وقيل فى السنة الثانية بالنون قطع به فى الاصابة وصدر

به

به في الاستيعاب وتبعه المصنف في ذكر الاعمام وسببه أن أبا جهل آذى النبي صلى الله عليه وسلم وبالغ في تنقيصه وما جاء به عند الصفا كما لابن اسحق ولغيره عند الحجون ولا مانع من تكرره فأخبرته مولاة ابن جدعان كما عند ابن اسحق ولغيره صفية أخته ولا منافاة فعند ابن أبي حاتم فأخبره امرأتان فغضب حمزة لما أراد الله من اكرامه فجاء المسجد فعلا رأس اللعين بقوسه فشجه شجة منكرة وقال اتشتمه وأنا على دينه فرد ذلك علي ان استطعت فقام رجال من بني مخزوم لنصره فقال دعوا أبا عمارة فاني والله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا وعند ابن أبي حاتم فقال حمزة ديني دين محمد ان كنتم صادقين فامنعوني فوثبت اليه قريش فقالوا يا أبا يعلى يا أبا يعلى أي ماهذا الذي تصنع فأنزل الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية الى قوله وألزمهم كلمة التقوى (فعز به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفت عنه قريش قليلا) أي بعض ما كانوا ينالون منه كما عبر به ابن اسحق لشدته وعلمهم انه يمنعه (وقال حمزة حين أسلم حمدت الله حين هدى فؤادي * الى) الثبات على (الاسلام) بعد ترددي في البقاء عليه فعند يونس بن بكير عن ابن اسحق ثم رجع حمزة أي بعد اسلامه وشجه أبا جهل الى بيته فقال أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك للموت خير لك مما صنعت وقال اللهم ان كان هذا رشدا فاجعل تصديقه في قلبي والا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت مثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي اني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه واقامة مثلي على مالا أدري أهو رشد أم لا غي شديد فحدثني حديثا فقد اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثني فأقبل صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله في قلبه الايمان بما قاله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أنك الصادق فأظهر دينك فوالله ما أحب أن لي ما اظلته السماء وأنا على ديني الاول وتم حمزة على اسلامه وعلى ما بايع عليه النبي صلى الله عليه وسلم (والدين الحنيف) عطف تفسير بجعل الاسلام نفس الاحكام أو مغاير بحمله على الانقياد الباطني والدين على الاحكام المشروعة والمعنى حمدت الله حين دلني على حقيقة هذا الدين فانقدت اليه باطنا وتلبست به ظاهرا فيكون جمع بين التصديق والاذعان والاقرار والانقياد الظاهري (لدين) بدل من قوله الى الاسلام (جاء من رب عزيز *) ممتنع لا يدرك ولا ينال أو غالب أو جليل القدر أو لا نظير له أو معز لغيره وفي اتيانه بهذا الاسم هنا الطافة ومناسبة ظاهرة للايماء الى أن المشركين وان عاندوا وجحدوا اما لهم الى الذل بالقتل والاسر ومآل هذا الدين الحنيف الى العزة والظهور لمجيئه من العزيز (خبير بالعباد) مطلع على حقيقة الشئ عالم به أو مخبر أنبياءه ورسله بكلامه المنزل عليهم وعباده يوم القيامة بأعمالهم اذ لا يعزب عن علمه شئ وفي ذكره ايماء الى أن سبهم للمصطفى وايذاءهم سينالون عقابه من الخبير (بهم) متعلق بقوله (لطيف) مقدم عليه أي لطيف بعباده برهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعا وعطشا بمعاصيهم وفي ذكره رمز الى أن المشركين لا يغتروا بامهالهم وقد كذبوا المرسلين لان هذا من لطف الله بهم في الدنيا ومتاعها قليل (اذا تليت رسائله) أي أحكام الرب التي أمر بها (علينا *) وسمى ما جاء به من الله رسالة لان جبريل بلغه اياه عن الله وأمره بتبليغه للناس (تحدر) تساقط

قوله فقال الخ أي في نفسه اه

(دمع ذى اللب) العقل (الحصيف) بحاء وصاد مهملتين أى الكامل المحكم لينا اليها وتفكرا فيها وفى أحكامها بحجيب النظم وبديع المعانى وتفصيلها بالاحكام والقصص والمواعظ (رسائل جاء أحمد من) أجل (هداها*) أى الرشاد بها أو الدلالة عليها (بآيات) ظاهرة (مبينة الحروف) يعنى القرآن (وأحمد مصطفى) مختار من الخلق (فينا) متعلق بقوله (مطاع*) أى واجب الطاعة لما ظهر على يديه من الآيات فلا عبرة بمخالفة المنكرين ولا اعتداد بها لظهور بطلانها (فلا تغشوه) تغطوا ما جاء به من الحق (بالقول العنيف) الباطل الموقع فى المشقة والتعب من العنف بالضم ضد الرفق (فلا والله نسلمه لقوم*) ولا نترك نصرته (ولما نقض) بالنون والبناء للفاعل لحكم (فيهم) أى نستأصلهم قتلا (بالسيوف) بل نقاتل دونه الى منتهى الطاقة وهذا أولى من قراءة يقض بتحتية مبنيا للمفعول وبعده

ونترك منهم قتلى بقاع * عليها الطير كالورد العكوف

وقد خبرت ما صنعت ثقيف * به فجزى القبائل من ثقيف

اله الناس شر جزاء قوم * ولا اسقاهم صوب الخريف

الورد بكسر الواو وسكون الراء والعكوف بضم العين أى أن الطير مستديرة على القتلى كالقوم المجتمعين على الماء المستديرين حوله (وعند مغلطاى) بضم الميم وسكون الغين (وسألوه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم) حين أسلم حمزة ورأوا الصحابة يزيدون كما أخرجه ابن اسحق عن ابن عباس رضى الله عنهما وسمى السائلين ان عتبة وشيبة وابن حرب ورجلا من بنى عبد الدار وأبا البخترى والاسود بن المطلب وزمعة والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبد الله بن أبى أمية وأمية بن خلف والعاصى بن وائل ونبيها ومنبها اجتمعوا فقالوا يا محمد ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة فما من قبيح الا وقد جلبته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا و(ان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا) زاد فى رواية حتى لا نقطع أمرا دونك (وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا) فانظر الى حمقهم وجهلهم رضوه ملكا مع أن الغالب من الملوك التجبر وسلب الاموال بغير حق ولم يرضوا به نبيا رسولا يدعوهم الى الصراط المستقيم ويوصلهم جنات النعيم (وان كان هذا الامر الذى يأتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك) مثلث الطاء العلاج فى النفس والجسم كما فى النور والقاموس (حتى نبرئك منه أو نعذر) بفتح النون وضمها من عذر وأعذر أى يرتفع عنا اللوم كما فى المصباح وروى ابن أبى شيبة وغيره عن ابن عمر وأبو يعلى بسند جيد عن جابر اجتمع نفر من قريش يوما فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه قالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة وعند ابن اسحق والبيهقى وغيرهما عن محمد بن كعب القرظى قال حدثت أن عتبة قال يوما وكان جالسا فى نادى قريش والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا فقام حتى

جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة والمكان فى النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن أخى ان كنت فذكر الامور الاربع حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله يسمع منه قال له أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع منى قال افعل قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف ثم انتهى الى السجدة سجد ثم قال قد سمعت أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك الحديث فى عدم رجوع عتبة لقومه وظنهم اسلامه وذهابهم له وغضبه لذلك وحلفه لا يكلم محمدا أبدا وقال قد علمتم انه لا يكذب فخفت نزول العذاب عليكم فأطيعونى واعتزلوه فان يصبه غيركم كفيتموه وان ظهر فملكه ملككم وعزه عزكم فقال سحرك والله يا أبا الوليد قال هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم والظاهر أن هذه القصة فى مرة ثانية قبل مجىء عتبة مع الجماعة أو بعده فأجابه المصطفى بما ذكر وأما مع الجماعة فأجابهم (فقال لهم عليه الصلاة والسلام ما بى ما تقولون) أى ولا شئ منه بدليل قوله (ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا) بالجنة ان صدقتم (ونذيرا) منذرا بالنار ان كذبتم (فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوا على أصبر) بالجزم جواب الشرط (لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم) وفى بقية حديث ابن عباس هذا فقالوا له فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهارا كالشام والعراق ويبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصى فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أحق أم باطل وسله يبعث معك ملكا يصدقك ويراجعنا عنك ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عن المشى فى الاسواق والتماس المعاش فان لم تفعل فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل فانا لن نؤمن لك الا أن يفعل فقام صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فأقسم أبو جهل ليرضخن رأسه بحجر غدا فلما دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده وقال عرض لى فحل ابل ما رأيت مثله فهم أن يأكلنى قال ابن اسحق فذكر لى انه صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لأخذه (والرئى) بزنة كمى (بفتح الراء وقد تكسر) لاتباعها ما بعدها (ثم همزة فياء مشددة جنى يرى فيحب) فعيل أو مفعول سمى به لانه يتراءى لمتبوعه أو هو من الرأى من قولهم فلان رأى قومه اذا كان صاحب رأيهم كما فى النور (و) قيل الراء (المكسورة للمحبوب منها) أى جماعة الجن الا أن لفظ القاموس منهم وهو أصرح (قاله فى القاموس) اللغوى (ثم ان النضر) بنون وضاد معجمة ساكنة (ابن الحرث) بن علقمة بن كلدة بفتح الكاف واللام العبدرى المشترى لهو الحديث القائل اللهم ان كان هذا هو الحق الخ أسر ببدر وقتل كافرا

قوله قاله فى القاموس نص عبارته والرئى كغنى ويكسر جنى يرى فيحب أو المكسور للمحبوب منهم هكذا عبارته اهـ مصححه

بالصفراء باجماع أهل السير وهم ابن منده وأبو نعيم فقالا شهد حنينا مع النبي وأعطاه مائة من الابل وكان من المؤلفة وقلبا نسبه فقالا كلدة بن علقمة وأطنب الحافظ العز بن الاثير وغيره من الحفاظ في تغليطهما والرد عليهما وتعقب باحتمال أن يكون له أخ سمي باسمه فهو الذي ذكراه لا هذا المقتول كافرا كذا في الاصابة وفي مغازي ابن عبد البر ذكر في المؤلفة قلوبهم النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة أخو النضر بن الحرث المقتول ببدر صبرا انتهى فجزم بأنه أخوه (وعقبة) بقاف (ابن أبي معيط) أحد رؤس الكفر لعنه الله قتل بعد بدر (ذهبا) الى المدينة بعث قريش لهما بعد مراجعة بينهم وبين النضر كما رواه ابن اسحق والبيهقي عن ابن عباس قال ان النضر كان من شياطين قريش فقال يا معشر قريش والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم وأصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم الشيب في صدغيه وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ماهو بساحر وقلتم كاهن لا والله ماهو بكاهن وقلتم شاعر لا والله ماهو بشاعر وقلتم مجنون لا والله ماهو بمجنون فلما قال ذلك بعثوه مع عقبة (الى احبار) بفتح الهمزة جمع حبر بفتح الحاء وكسرها أي علماء (يهود) علم لمن دخل دين اليهودية غير مصروف للعلمية ووزن الفعل ويجوز دخول أل فلا يمتنع التنوين لنقله من وزن الفعل الى باب الاسماء (فسألاهم عنه عليه السلام) بعد اخبارهما لهم بصفته وبعض قوله وقولهما انكم أهل الكتاب الاول أي التوراة وعندكم علم ليس عندنا من علم الانبياء وقد أتيناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا كما في حديث ابن عباس (فقالوا لهما سلوه عن ثلاثة فان أخبركم بهن) على طريق الحقيقة والاجمال لانه لم يجب عن الروح الا اجمالا لانها مما استأثر الله بعلمه وفي بعض التفاسير ان اجابكم عن البعض فهو نبي وفي كتابهم ان الروح من الله وفي رواية ان اجابكم عن حقيقة الروح فليس بنبي وان أجابكم بأنها من أمر الله فهو نبي وفي رواية ان اجاب عن كلها أولم يجب عن شئ فليس بنبي وان أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحد (فهو نبي مرسل) تأسيس اذ لا يلزم من النبوة الرسالة على المشهور (وان لم يجب) عن شئ منها بأن سكت أو أجاب عن جميعها تفصيلا (فهو متقول) اسم فاعل من تقول أي ذاكر مالا حقيقة له (سلوه) أمر من سال مخفف سأل (عن فتية ذهبوا في الدهر الاول) أي الزمان المتقدم سموه أول بالنظر لتقدمه على زمانهم بمدة طويلة وبقية الرواية ما كان من أمرهم فانه كان لهم حديث عجيب (وعن رجل طواف) قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه (وعن الروح) يذكر وقد يؤنث ولذا قال (ماهو) فأقبل النضر وعقبة وقالا قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد فجاؤا رسول الله فسألوه (فقال لهم عليه السلام أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي اياما) خمسة عشر يوما كما عند ابن اسحق عن ابن عباس وفي سير التيمي وابن عقبة انما أبطأ ثلاثة أيام وعن مجاهد اثنا عشر وقيل أربعة وقيل أربعين حتى أرجف أهل مكة وقالوا قد قلاه ربه وتركه وقالت حمالة الحطب ما أرى صاحبك الا قد ودعك وقلاك وفي رواية فقالت امرأة من قريش أبطأ عليه شيطانه حتى احزنه ذلك صلى الله عليه وسلم وقد نزل في الرد عليهم والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وأفتاه الله تعالى في سورة الكهف والاسراء عن

قوله سلوه الخ هكذا في متن الشارح بضمائر الجمع باعتبار قريش الباعثين لهما وفي نسخة المتن سلاه الخ بضمائر التثنية باعتبار المشافهين للاحبار وهما النضر وعقبة كما لا يخفى اه مصححه

مسائلهم (ثم نزل قوله تعالى) عتابا لنبيه (ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) استثناء من النهى أى لا تقولن لشئ تعزم عليه انى فاعله فى المستقبل الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وقيل المراد وقت أن يشاء الله أن تقوله بمعنى أن يأذن لك فيه والاول أوفق بكونه عتابا على عدم الاستثناء (وأنزل الله تعالى ذكر الفتية) جمع قلة لفتى آثره على جمع الكثرة وهو فتيان لكونهم دون عشرة (الذين ذهبوا) ولا يعلمهم الا قليل قال ابن عباس انا من القليل وذكر أنهم سبعة وفى رواية عنه ثمانية أخرجهما ابن أبى حاتم وفى التلفظ بأسمائهم خلف تركته لقول الحافظ فى النطق بها اختلاف كثير لا يقع الوثوق من ضبطها بشئ انتهى وعن ابن عباس لم يبق منهم شئ بل صاروا ترابا قبل البعث وقيل لم تأكلهم الارض ولم تغيرهم وفى معجمات الاقران أكثر العلماء على انهم كانوا بعد عيسى وذهب ابن قتيبة الى أنهم كانوا قبله وأنه أخبر قومه خبرهم وأن يقظتهم بعد رفعه زمن الفترة وفى تفسير ابن مردويه عن ابن عباس أصحاب الكهف اعوان المهدى قال الحافظ وسنده ضعيف فان ثبت حمل على انهم لم يموتوا بل هم فى المنام الى أن يبعثوا لاعانة المهدى وقد ورد فى حديث آخر بسند واه انهم يحجون مع عيسى ابن مريم انتهى (وهم أصحاب الكهف) الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل أو الوادى الذى فيه كهفهم أو الصخرة التى أطبقت على الوادى أو اسم قريتهم أو كلبهم أو لوح من رصاص كتب فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف أو كتب فيه شرعهم الذى كانوا عليه أو الدواة واختلف فى مكان الكهف فالذى تظافرت به الاخبار أنه فى بلاد الروم وروى الطبرى باسناد ضعيف عن ابن عباس انه بالقرب من ايلة وقيل قرب طرسوس وقيل بين ايلة وفلسطين وقيل بقرب زيزا وقيل بغرناطة من الاندلس انتهى ملخصا من فتح البارى وذكر غيره أن اسم البلد الذى هو بها بالروم عربسوس وفى الفتح أيضا وقد روى عبد بن حميد باسناد صحيح عن ابن عباس قصة أصحاب الكهف مطولة غير مرفوعة وملخصها انهم كانوا فى مملكة جبار يعبد الاوثان فخرجوا منها فجمعهم الله على غير ميعاد فأخذ بعضهم على بعض العهود والمواثيق فجاء أهاليهم يطلبونهم ففقدوهم فأخبروا الملك فأمر بكتابة أسمائهم فى لوح من رصاص وجعله فى خزانته ودخل الفتية الكهف فضرب الله على آذانهم فناموا فأرسل الله من يقلبهم ويحول الشمس عنهم فلو طلعت عليهم لاحرقتهم ولولا انهم يقلبون لاكلتهم الارض ثم ذهب ذلك الملك وجاء آخر فكسر الاوثان وعبد الله وعدل فبعث الله أصحاب الكهف فبعثوا أحدهم يأتيهم بما يأكلون فدخل المدينة مستخفيا فرأى هيئة وناسا أنكرهم لطول المدة فدفع درهما لخباز فاستنكر ضربه وهم بأن يرفعه الى الملك فقال اتخوفنى بالملك وأبى دهقانه فقال من أبوك قال فلان فلم يعرفه فاجتمع الناس فرفعوه الى الملك فسأله فقال على باللوح وكان قد سمع به فسمى أصحابه فعرفهم من اللوح فكبر الناس وانطلقوا الى الكهف وسبق الفتى لئلا يخافوا من الجيش فلما دخل عليهم عمى الله على الملك ومن معه المكان فلم يدر أين ذهب الفتى فاتفقوا على أن يبنوا عليهم مسجدا فجعلوا يستغفرون لهم ويدعون لهم انتهى (وذكر الرجل الطواف وهو ذو القرنين) الاكبر الحميرى المختلف فى نبوته والاكثر وصحح انه كان من الملوك الصالحين

قوله والرقيم اسم الجبل الخ عبارة القاموس والرقيم قرية أصحاب الكهف أو جبلهم أو كلبهم أو الوادى أو الصخرة أو لوح رصاص نقش فيه نسبهم وأسماؤهم ودينهم ومم هربوا أو الدواة واللوح انتهت اه مصححه

وذكر الازرقي وغيره انه حج وطاف مع ابراهيم وآمن به واتبعه وكان الخضر وزيره وعن علي لا نبيا كان ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرني رأسه ضربتين وفيكم مثله يعني نفسه رواه الزبير بن بكار وابن عيينة في جامعه باسناد صحيح وصححه الضياء في المختارة وقيل كان من الملائكة حكاه الثعلبي وقيل أمه من بنات آدم وأبوه من الملائكة حكاه الجاحظ في كتاب الحيوان لقب بذي القرنين واسمه الصعب على الراجح كما في الفتح أو المنذر أو هرمس أو هرديس أو عبد الله أو غير ذلك وفي اسم أبيه أيضا خلاف لطوافه قرني الدنيا شرقها وغربها كما في حديث أو لانقراض قرنين من الناس في ايامه أو لانه كان له ضفيرتان من شعر والعرب تسمي الخصلة من الشعر قرنا أو لان لتاجه قرنين أو على رأسه ما يشبه القرنين أو لكرم طرفيه أما وأبا أو لرؤياه انه أخذ بقرني الشمس أو لغير ذلك أقوال قال البيضاوي ويحتمل لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع لانه ينطح أقرانه وأما ذو القرنين الاصغر فهو الاسكندر اليوناني قتل دارا وسلبه ملكه وتزوج بنته واجتمع له الروم وفارس ولذا سمي بذلك قال السهيلي ويحتمل انه لقب به تشبيها بالاول لملكه ما بين المشرق والمغرب فيما قيل أيضا واستظهره الحافظ وضعف قول من زعم أن الثاني هو المذكور في القرآن كما أشار اليه البخاري بذكره قبل ابراهيم لان الاسكندر كان قريبا من زمن عيسى وبين ابراهيم وعيسى أكثر من ألفي سنة قال والحق أن الذي قص الله نبأه في القرآن هو المتقدم والفرق بينهما من وجوه أحدها أن الذي يدل على تقدم ذي القرنين ما روى الفاكهي من طريق عبيد بن عمير أحد كبار التابعين أن ذا القرنين حج ماشيا فسمع به ابراهيم فتلقاه ومن طريق عطاء عن ابن عباس ان ذا القرنين دخل المسجد الحرام فسلم على ابراهيم وصافحه ويقال انه أول من صافح ومن طريق عثمان بن ساج أنه سأل ابراهيم أن يدعو له فقال وكيف وقد أفسدتم بئري فقال لم يكن ذلك عن أمري يعني أن بعض الجند فعل ذلك بغير علمه وذكر ابن هشام في التيجان أن ابراهيم تحاكم الى ذي القرنين في بئر فحكم له وروى ابن أبي حاتم من طريق علباء بن أحمر قدم ذو القرنين مكة فوجد ابراهيم واسمعيل يبنيان الكعبة فاستفهمهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مأموران فقال من يشهد لكما فقامت خمسة اكبش فشهدت فقال صدقتما قال وأظن الاكبش المذكورة حجارة ويحتمل أن تكون غنما فهذه الآثار يشد بعضها بعضا وتدل على قدم عهد ذي القرنين الوجه الثاني قال الفخر الرازي كان ذو القرنين نبيا والاسكندر كافرا ومعلمه ارسطاطاليس وكان يأتمر بأمره وهو من الكفار بلا شك ثالثها كان ذو القرنين من العرب والاسكندر من اليونان من ولد يافث بن نوح على الارجح والعرب كلها من ولد سام بن نوح باتفاق وان اختلف هل كلهم من ولد اسمعيل أم لا فافترقا وشبهة من قال ان ذا القرنين هو الاسكندر ما أخرجه ابن جرير ومحمد بن الربيع الجيزي أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين فقال كان من الروم فأعطي ملكا فسار الى مصر فبنى الاسكندرية فلما فرغ أتاه ملك فعرج به فقال انظر ما تحتك فقال أرى مدينتي ومدائن حولها ثم عرج به فقال انظر ما تحتك قال أرى مدينة واحدة قال تلك الارض كلها وانما أراد الله تعالى أن يريك وقد جعل الله لك

في الارض سلطانا فسر فيها وعلم الجاهل وثبت العالم وهذا اوضح لرفع النزاع لكنه ضعيف انتهى وذكر نحوه الحافظ ابن كثير وصوب أيضا أن ذا القرنين غير الاسكندر فعض عليه بالنواجذ (وقال فيما سألوه) ما مصدرية أى في جواب سؤالهم (عن الروح) ولعل حكمة المغايرة بينه وبين ما قبله انه بين فيه نفس المسئول عنه وهو الفتية والرجل ولم يبينه هنا بل ردّ علمه اليه سبحانه فقال تعالى (قل الروح من أمر ربي) أى علمه لا تعلمونه (وفي البخاري) في العلم والتفسير والاعتصام والتوحيد ما يعارض ما علم من أن السؤال من قريش بمكة فانه أخرج (من حديث عبد الله بن مسعود قال بينا انا) امشي (مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث) بفتح الحاء وراء مهملتين فمثلثة أى زرع وفي العلم في خرب المدينة بمعجمة مفتوحة وراء مكسورة وموحدة قال الحافظ والاول اصوب لرواية مسلم في نخل زاد في العلم بالمدينة وابن مردويه للانصار (وهو متكئ) معتمد وفي العلم وهو يتوكأ (على عسيب) بفتح العين وكسر السين المهملتين وسكون التحتانية وموحدة وهي الجريدة التي لا خوص فيها ولابن حبان ومعه جريد (اذ مر اليهود) كذا في التفسير بالرفع على الفاعلية وفي المواضع الثلاثة فمر بنفر من اليهود وكذا رواه مسلم قال الحافظ فيحمل على أن الفريقين تلاقوا فيصدق أن كلا مر بالآخر ولم أقف في شئ من الطرق على تسمية أحد من هؤلاء اليهود (فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح) وفي الاعتصام والتوحيد وقال بعضهم لا تسألوه (فقالوا) وفي العلم والتفسير قال بالافراد أى بعضهم (ما رابكم اليه) بلفظ الفعل الماضي بلا همز من الريب قال عياض أى ما شككم في أمر الروح أو ما الريب الذي رابكم حتى احتجتم الى معرفته والسؤال عنه أو ما دعاكم الى شئ يسوءكم عقباه ألا ترى قوله لا يستقبلكم الخ انتهى وللحموي ما رأبكم بهمزة مفتوحة وموحدة مضمومة من الرأب وهو الاصلاح يقال فيه رأب بين القوم اذا أصلح بينهم قال الحافظ وفي توجيه هذا بعد وقال الخطابي الصواب ما أربكم بتقديم الهمزة وفتحتين من الارب وهو الحاجة وهذا واضح المعنى لو ساعدته الرواية نعم رأيته في رواية المسعودي عن الاعمش عند الطبري كذلك قال وفي رواية القابسي قال المصنف ورأيته عن الحموي أيضا ما رأيكم بسكون الهمزة وتحتية بدل الموحدة من الرأي (وقال بعضهم لا يستقبلكم) بالرفع على الاستئناف أى لا تسألوه لئلا يستقبلكم لا بالجزم لانتفاء شرطه وهو صحة وقوع ان الشرطية قبل اداة النهي مع استقامة المعنى اذ لا يستقيم هنا ان لا تسألوه يستقبلكم قال في الفتح ويجوز السكون وكذا النصب أيضا انتهى ولعل الجزم على النهي مبني على رأي من لا يشترط ذلك (بشئ) وفي العلم لا تسألوه لا يجئ بشئ (تكرهونه) ان لم يفسره لانهم قالوا ان فسره فليس بنبي لان في التوراة ان الروح مما انفرد الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من عباده فاذا لم يفسره دل على نبوته وهم يكرهونها وقامت الحجة عليهم في نبوته وفي الاعتصام لا يسمعكم ما تكرهون (فقالوا سلوه فسألوه عن الروح فأمسك فلم يردّ عليهم شيأ) وللكشميهني عليه بالافراد أى السائل وفي العلم فقال بعضهم لنسألنه فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت وفي الاعتصام فقاموا اليه فقالوا يا أبا القاسم حدثنا

عن الروح فأقام ساعة ينظر قال ابن مسعود (فعلمت) وفى التوحيد فظننت وفى الاعتصام فقلت (انه يوحى اليه) وهى متقاربة واطلاق العلم على الظن مشهور وكذا اطلاق القول على ما يقع فى النفس كما فى الفتح (فقمت مقامى) أى مكثت بمحلى الذى كنت فيه وفى العلم فقمت فقط أى حتى لا أكون مشوشا عليه أو فقمت حائلا بينه وبينهم كما فى المصنف وفى الاعتصام فتأخرت قال الحافظ أى أدبا معه لئلا يتشوش بقربى منه انتهى ولا ينافيه رواية مقامى لانه تأخر قليلا فكانه فيه (فلما نزل الوحى) وفى العلم فلما انجلى عنه أى الكرب الذى كان يغشاه حال الوحى (قال) وفى الاعتصام حتى صعد الوحى فقال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) أى من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد عن أصل واقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى فى جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته لكونها اسما استأثر الله بعلمه ولان فى عدم بيانها تصديقا للنبوة زاد البخارى فى التوحيد وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه (قال الحافظ ابن كثير وهذا يقتضى فيما يظهر من بادئ الرأى) بالهمز أى أوله من غير تثبت وتفكر فيه أو ظاهره دون تفكر فيه باطنا (أن هذه آية مدنية وأنها انما نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية) وقيل الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات كما فى الانوار وبه جزم الجلال (وقد يجاب عن هذا) الاختلاف (بأنه قد تكون نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك) ومما يدل على نزولها بمكة ما روى الامام أحمد من حديث ابن عباس قال قالت قريش ليهود أعطونا) بفتح الهمزة (شيأ نسأل عنه هذا الرجل فقالوا اسلوه عن الروح فسألوه فنزلت الحديث انتهى وهذا الحديث) الذى عزاه ابن كثير لاحمد (رواه الترمذى أيضا) وقال انه صحيح فقصر ابن كثير بل عليه مغموز فى عزوه لاحمد فقط لان الحديث اذا كان فى أحد الستة لا ينقل من غيرها الا لزيادة أو صحة كما قال مغلطاى فكيف وقد صرح الترمذى راويه بصحته وهو ظاهر لانه (باسناد رجاله رجال مسلم) فهو من المرتبة السادسة من مراتب الصحيح كما فى الالفية وان كان لا يلزم انه كصحة ما رواه مسلم نفسه كما نبه على ذلك ابن الصلاح فى مقدمة شرح مسلم فقال من حكم لشخص بمجرد رواية مسلم عنه فى الصحيح بأنه من شرط الصحيح عند مسلم فقد غفل وأخطأ بل ذلك يتوقف على النظر فى كيفية روايته عنه وعلى أى وجه أخرج حديثه (فيحمل على تعدد النزول كما أشار اليه ابن كثير) وكذا الحافظ ابن حجر وحيث قلنا بذلك فالعلم حاصل فما وجه ترك المبادرة بالجواب (و) جهه كما قال الحافظ انه (يحمل سكوته فى المرة الثانية على توقع مزيد بيان فى ذلك) قال أعنى الحافظ فان ساغ هذا والا فما فى الصحيح أصح وفى الاتقان اذا استوى الاسناد ان صحة رجح أحدهما بحضور راويه القصة ونحو ذلك من وجوه الترجيحات ومثل بحديثى ابن مسعود وابن عباس المذكورين ثم قال وحديث ابن عباس يقتضى نزولها بمكة والاول خلافه وقد رجح بأن ما رواه البخارى أصح وبأن ابن مسعود كان حاضر القصة لكنه نقل فى الاتقان نفسه بعد قليل عن الزركشى فى البرهان قد ينزل الشئ مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث سببه خوف

نسيانه

نسيانه ثم ذكر منه آية الروح فان سورة الاسراء مكية وسبب نزولها يدل على أنها نزلت بالمدينة ولذا اشكل ذلك على بعضهم ولا اشكال لانها نزلت مرة بعد مرة انتهى (وقد اختلف فى المراد بالروح المسؤل عنه فى هذا الخبر) لان الروح جاء فى التنزيل على معان (فقيل روح الانسان) الذى يحيا به البدن وقيل روح الحيوان (وقيل جبريل) كقوله فارسلنا اليها روحنا (وقيل عيسى) كقوله وروح منه وقيل القرآن كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا وقيل الوحى كقوله يلقى الروح من أمره (وقيل ملك يقوم وحده صفا يوم القيامة وقيل غير ذلك) فقيل ملك له أحد عشر ألف جناح ووجه وقيل ملك له سبعون ألف لسان وقيل سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان ألف لغة يسبح الله بكلها فيخلق بكل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة وقيل ملك رجلاه فى الارض السفلى ورأسه عند قائمة العرش وقيل خلق كخلق بنى آدم يقال لهم الروح يأكلون ويشربون لا ينزل ملك من السماء الا ومعه واحد منهم وقيل خلق يرون الملائكة ولا تراهم الملائكة كالملائكة لبنى آدم كذا ذكره ابن التين بزيادات من كلام غيره قال الحافظ وهذا انما اجتمع من كلام أهل التفسير فى معنى لفظ الروح الوارد فى القرآن لا فى خصوص هذه الآية فمنه نزل به الروح وكذلك أوحينا اليك روحا يلقى الروح من أمره وايدهم بروح منه يوم يقوم الروح تنزل الملائكة والروح فالاول جبريل والثانى القرآن والثالث الوحى والرابع القوة والخامس والسادس محتمل لجبريل ولغيره وورد اطلاق روح الله على عيسى وروى اسحق يعنى ابن راهويه فى تفسيره باسناد صحيح عن ابن عباس قال الروح من أمر الله وخلق من خلق الله وصور كبنى آدم لا ينزل ملك الا ومعه واحد من الروح انتهى (قال القرطبى الراجح) وهو قول الاكثر (انهم سألوه عن روح الانسان لان اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله) واضح وأما قوله (ولا تجهل أن جبريل ملك وأن الملائكة أرواح) فغير واضح اذ سؤالهم تعنت وامتحان لا استفهام كما هو معلوم وجنح ابن القيم فى كتاب الروح الى ترجيح أن الروح المسؤل عنه ما وقع فى قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا قال فأما أرواح بنى آدم فلم تسم فى القرآن الا نفسا قال الحافظ ولا دلالة فيه لما رجحه بل الراجح الاول فقد أخرج الطبرى من طريق العوفى عن ابن عباس انهم قالوا أخبرنا عن الروح وكيف يعذب الروح الذى فى الجسد وانما الروح من الله فنزلت الآية (وقال الامام فخر الدين الرازى) (المختار انهم سألوه عن الروح الذى هو سبب الحياة وأن الجواب وقع على أحسن الوجوه وبيانه أن السؤال عن الروح يحتمل) انه عن (ماهيته) أى حقيقته (وهل هى متحيزة) منفصلة عن البدن غير حالة فيه تتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق وتدبر أمره على وجه لا يعلمه الا الله كما قاله الغزالى والحكماء وكثير من الصوفية (أم لا) بل حالة فيه حلول الزيت فى الزيتون كما قال جمهور أهل السنة (وهل هى حالة فى متحيز أم لا وهل هى قديمة) كما قال الزنادقة (أم حادثة) مخلوقة كما أجمع عليه أهل السنة وممن نقل الاجماع محمد بن نصر المروزى وابن قتيبة ومن الادلة عليه قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة والمجندة لا تكون الا مخلوقة (وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد) بالموت وهو

الصحيح والاخبار به طافحة ففى فنائها عند القيامة ثم عودها توفية بظاهر قوله تعالى كل من عليها فان وعدمه بل تكون مما استثنى الله فى قوله الا من شاء الله قولان حكاهما السبكى فى تفسيره وقال الاقرب الثانى (أو تفنى) كما قال الفلاسفة وشرذمة قليلة من الاندلسيين وشدد عليهم النكير ورد عليهم بما أخرجه ابن عساكر عن سحنون انه ذكر عنده رجل يذهب الى أن الارواح تموت بموت الاجساد فقال معاذ الله هذا قول أهل البدع وقال ابن القيم الصواب انه ان أريد بذوقها الموت مفارقتها للجسد فنعم هى ذائقة الموت بهذا المعنى وان أريد أنها تعدم فلا بل هى باقية باجماع فى نعيم أو عذاب (وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها وغير ذلك من متعلقاتها) قال وليس فى السؤال ما يخصص أحد هذه المعانى الا أن الاظهر أنهم سألوه عن الماهية وهل الروح قديمة أو حادثة والجواب) الصادر من الله لنبيه (يدل على انها شئ موجود مغاير للطبائع) جمع طبيعة وهى مزاج الانسان المركب من الاخلاط كما فى المصباح ونحوه فى القاموس (والاخلاط) جمع خلط قال فى القاموس أخلاط الانسان امزجته الاربعة (وتركيبها فهو جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا بمحدث وهو قوله تعالى كن) قيل هو عبارة عن سرعة الحصول اى متى تعلقت ارادته تعالى بشئ كان وقيل اذا أراد شيأ قال قولا نفسانيا له كن فيكون وعليه فكن علامة وسبب لوجود ما أراده تعالى (فكانه قال هى موجودة محدثة بأمر الله وتكوينه) ايجاده فهو تفسير للامر (ولها تأثير فى افادة الحياة للجسد) بجعل الله تعالى اياها سببا فى وجود الحياة فلا ينافى أن التأثير انما هو بارادته تعالى وخلقه (ولا يلزم من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه قال ويحتمل أن يكون المراد بالامر فى قوله من أمر ربى الفعل كقوله تعالى وما أمر فرعون برشيد) أى مرشد أو ذى رشد وانما هو غى محض وضلال صريح (أى فعله فيكون الجواب انها حادثة ثم قال سكت السلف عن البحث فى هذه الاشياء والتعمق فيها انتهى) كلام الرازى (وقال فى فتح البارى) فى التفسير بعد نقله كلامى القرطبى والرازى المذكورين (وقد تنطع قوم) من جميع الفرق أى تعمقوا وبالغوا فى الكلام وخرجوا عن الحد فى معرفة ماهية الروح (فتباينت أقوالهم) قال بعضهم وما ظفروا بطائل ولا رجعوا بنائل (فقيل هى النفس الداخل الخارج) وعزى للاشعرى (وقيل جسم لطيف يحل) بضم الحاء (فى جميع البدن) ويسرى فيه سريان ماء الورد فيه وهذا اعتقده عامة المتكلمين من أهل السنة كما قال المصنف وهو أقرب الاقوال (وقيل هى الدم) أسقط من الفتح وقيل هى عرض قبل قوله (وقيل ان الاقوال فيها بلغت المائة) وقيل هى أكثر من ألف قول قال ابن جماعة وليس فيها قول صحيح بل هى قياسات وتخيلات عقلية (ونقل ابن منده عن بعض المتكلمين أن لكل نبى خمسة أرواح) فبابه حياتهم روح وما ثبت فى قلوبهم من الايمان روح وما ترقوا به من معرفة الله وهدايتهم الى الاعمال الصالحة واجتنابهم المناهى روح ويشاركهم المؤمنون فى الثلاثة وهى المراد بقوله (ولكل مؤمن ثلاثة) وأيدت الانبياء زيادة عليهم بقبول وحى الله ويسمى روح الحياة القلوب به وبقوة خلقها الله فيهم فيتمكنون بها من سماع كلامه تعالى بلا واسطة فيتحققون انه ليس من جنس

كلام البشر ذكر الجملة هذه ابن القيم في كتاب الروح ملخصا ولا تشكل الاخيرة بأن الكلام لم يقع للجميع لانه لا يلزم من خلق القوة وقوعه بالفعل وهذا أولى من تفسير ثلاثة المؤمن بما ذكره الانصاري في شرح الرسالة القشيرية ان في باطن الجسد روح اليقظة وهي التي ما دامت فيه كان متيقظا فاذا فارقته نام ورأى المرائي وروح الحياة التي ما دامت فيه كان حيا فاذا فارقته مات فالنوم انقطاع الروح عن ظاهر البدن فقط والموت انقطاعه عن ظاهره وباطنه وروح الشيطان ومقرها الصدر لقوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس انتهى لان هذه ثلاثة لا تخص المؤمن بل يشاركه الكافر (ولكل حي واحدة) بقية نقل ابن منده كما في الفتح وان سقط في كثير من نسخ المصنف ونقل ابن القيم عن طائفة أن للكافر والمنافق روحا واحدة وقال أما الروح التي تتوفى وتقبض فواحدة وما زاد عليها مما سمى روحا مجاز والمراد خاصة نسبتها الروح الحياة كنسبة الروح الى الجسد فانه انما يحس ويدرك ويقوى بحلولها فيه فاذا فقدها كان بمنزلة الجسد اذا فقد روحه قال ويسمى قوى البدن روحا فيقال الروح الباصر والسامع والشام ويطلق على أخص من هذا كله وهو قوة معرفة الله والانابة اليه وانبعاث الهمة الى طلبه وارادته فللعلم روح وللاجساد روح وللاخلاص روح انتهى زاد البقاعي ولكل من التوكل والمحبة والصدق روح والناس متفاوتون فمن غلب عليه الارواح صار روحانيا ومن فقدها أو أكثرها صار أرضيا بهيميا (وقال) القاضي محمد أبو بكر (بن العربي) الحافظ المشهور (اختلفوا في الروح والنفس فقيل متغايران) كما عليه فرقة محدثون وفقهاء وصوفية قال السهيلي ويدل عليه فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وقوله تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فانه لا يصح جعل أحدهما موضع الآخر ولولا التغاير لساغ ذلك ولذا رجحها ابن العربي فقال (وهو الحق فالنفس تخرج في النوم والروح في الجسد والنفس لا تريد الا الدنيا والشيطان معها والروح تدعو الى الآخرة والملك معها (وقيل هما شيء واحد) قاله الاكثرون وهو الصحيح كما قال ابن القيم والسيوطي وسبقهما الامام أبو الوليد بن رشد أحد أئمة المالكية فقال انه الصواب وجزم به ابن السبكي وأقره شارحوه وقيل لابن آدم نفس مطمئنة ولوامة وأمارة قال الصفوي والتحقيق انها واحدة لها صفات تسمى باعتبار كل صفة باسم (قال) أي ابن العربي (وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس) حقيقة على الثاني ومجازا على الاول قال ابن العربي كما يعبر عن الروح وعن النفس بالقلب وبالعكس حتى يتعدى ذلك الى غير العقلاء بل الجماد مجازا (قال) العلامة أبو الحسن علي بن خلف (بن بطال) القرطبي شارح البخاري أحد شيوخ ابن عبد البر كان من أهل العلم والمعرفة والفهم عني بالحديث العناية التامة وأتقن ما قيد ومات سنة أربع وأربعين وأربعمائة (معرفة حقيقتها مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر) كالقرآن وتلك الاقوال تنطع (قال والحكمة في ابهامه) أي عدم بيان حقيقته (اختبار) بوحدة (الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم) يلجئهم (الى رد العلم اليه) وأبدلت التاء طاء لوقوعها بعد الضاد (وقال القرطبي الحكمة في ذلك اظهار عجز المرء لانه اذا لم يعلم حقيقة نفسه مع

القطع بوجوده كان عجزه عن ادراك حقيقة الحق من باب أولى) ذكره بعد سابقه اشارة الى أن الاختبار اذا نسب الى الحق كان مستعملا فى لازمه وهو اظهار عجز المختبر لان الاختبار الامتحان والقصد به طلب بيان ما عليه المختبر وانما يكون ممن لا يعلم حقيقة الحال لا من العليم بما فى الصدور (وقال بعضهم ليس فى الآية) ولا فى الحديث (دلالة على أن الله لم يطلع نبيه على حقيقة الروح بل يحتمل أن يكون أطلعه ولم يأمره أن يطلعهم) بل أمره بعدم اطلاعهم وذكر فى الانموذج هذا الاحتمال قولا قال شارحه والصحيح خلافه (وقد قالوا فى علم الساعة) وباقى الخمس المذكورة فى آية ان الله عنده علم الساعة (نحو هذا) يعنى انه أوتى علمها ثم أمر بكتمها قال بعضهم وظاهر الاحاديث يأباه (فالله أعلم) بحقيقة ذلك (انتهى) كلام الفتح (ملخصا) وفيه بعد هذا وممن رأى الامساك عن ذلك الاستاذ أبو القاسم القشيرى فقال بعد كلام الناس فى الروح وكان الاولى الامساك عن ذلك والتأدب بأدبه صلى الله عليه وسلم وقد قال الجنيد انها مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود وعلى ذلك جرى ابن عطية وجمع من أهل التفسير وأجاب من خاض فى ذلك بان اليهود سألوا عنها سؤال تعجيز وتغليط لكونه يطلق على أشياء فأضمروا انه بأى شئ أجاب قالوا ليس هذا المراد فرد الله كيدهم وأجابهم جوابا مجملا كسؤالهم المجمل وقال السهروردى يجوز أن من خاض فيها سلك التأويل لا التفسير اذ لا يسوغ الانقلا أما التأويل فتمتد العقول اليه بذكر ما تحتمل الآية من غير قطع بأنه المراد وقد خالف الجنيد ومن تبعه جماعة من متأخرى الصوفية فأكثروا من القول فى الروح وصرح بعضهم بمعرفة حقيقتها وعاب من أمسك عنها انتهى ثم ذكر المصنف بعض ما أوذى به المسلمون سنة الله فى الذين خلوا من قبل كما قال تعالى الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم الآية يقال نزلت فى عمار وفى البخارى عن خباب أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده فى ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه انتهى الا أن المصنف يشعر بأنه بعد اسلام حمزة وبعث المشركين الى اليهود وليس بمراد لان اسلام حمزة فى السادسة والهجرة الاولى فى الخامسة نعم يأتى على أن اسلامه فى الثانية فقال (ولما كثر المسلمون وظهر الايمان) لم يقل الاسلام مع أنه أنسب بالمسلمون ايماء الى أن ماصدقهما واحد اذ لا اعتداد بأحدهما دون الآخر شرعا فالاسلام النافع هو الانقياد ظاهرا وباطنا لاجابة النبى صلى الله عليه وسلم ولا يتحقق بدون الايمان كما أن الايمان الذى هو التصديق لا اعتداد به شرعا بدون انقياد (أقبل كفار قريش) أى اتفقوا وسعوا الا الاقبال بالوجه (على من آمن) باغراء أبى جهل (يعذبونهم) بانواع العذاب ان لم يكن لهم قوة ومنعة (ويؤذونهم) بالتوبيخ بالكلام ونحوه لمن له منعة كما روى

ان

ان أبا جهل كان اذا سمع برجل أسلم وله شرف ومنعة لامه وقال تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنغلبن رأيك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وان كان ضعيفا ضربه وأغرى به واستمر الملعون فى أذاه (حتى انه) بكسر الهمزة (مر عدو الله أبو جهل بسمية) بضم المهملة مصغرا احدى السابقات كانت سابع سبعة فى الاسلام (أم عمار بن ياسر وهى تعذب) هى وابناها عمار وعبد الله وأبوهما ياسر بن عامر كما رواه البلاذرى عن أم هانئ قالت فمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة فمات ياسر فى العذاب وأعطيت سمية لابى جهل (فطعنها فى فرجها) بحربة وهى عجوز كبيرة (فقتلها) ورمى عبد الله فسقط وقد روى ابن سعد بسند صحيح عن مجاهد أن سمية أول شهداء الاسلام وروى ابن عبد البر عن ابن مسعود ان أبا جهل طعن بحربة فى فخذ سمية أم عمار حتى بلغت فرجها فماتت فقال عمار يا رسول الله بلغ منا أو بلغ منها العذاب كل مبلغ فقال صلى الله عليه وسلم اصبر أبا اليقظان اللهم لا تعذب من آل ياسر أحدا بالنار وأما عمار ففرج الله عنه بعد طول تعذيبه فقد جاء انه كان يعذب حتى لا يدرى ما يقول ورئى فى ظهره أثر كالمخيط فسئل فقال هذا ما كانت تعذبنى قريش فى رمضاء مكة وجاء انهم أحرقوه بالنار فمر صلى الله عليه وسلم به فأمر يده عليه وقال يا نار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم (وكان الصديق اذا مر بأحد من العبيد يعذب) أراد ما يشمل الاناث لكونهن فيهم (اشتراه منهم) من ساداتهم المعذبين لهم (وأعتقه) ابتغاء وجه ربه الاعلى (منهم) من العبيد الذين اشتراهم (بلال) بن رباح براء مفتوحة فموحدة خفيفة فألف فمهملة الحبشى على المشهور وهو ما رواه الطبرانى وغيره عن انس وقيل النوبى ذكر ابن سعد أنه كان من مولدى السراة وكان مولى بعض بنى جمح ثم مولى الصديق روى ابن أبى شيبة بسند صحيح عن قيس بن أبى حازم أن أبا بكر اشتراه بخمس أواق وهو مدفون بالحجارة (وعامر بن فهيرة) بضم الفاء وفتح الهاء واسكان التحتانية وفتح الراء فتاء تأنيث أسلم قديما روى الطبرانى عن عروة انه كان ممن يعذب فى الله فاشتراه أبو بكر وأعتقه وكذا اشترى أبا فكيهة ذكر ابن اسحق انه أسلم حين أسلم بلال فعذبه أمية بن خلف فاشتراه أبو بكر فأعتقه واشترى أيضا حمامة بفتح المهملة وخفة الميم أم بلال وجارية بنى المؤمل قال فى الاصابة وردت فى غالب الروايات غير مسماة وسماها البلاذرى لبينة أى بلام وموحدة تصغير لبنة والنهدية وابنتها وزبيرة وأمة بنى زهرة (وعن ابى ذر كان أول من أظهر الاسلام) اظهارا تاما لا خفاء معه بحيث لا يبالى بمن علم به (سبعة) فلا ينافى اسلام كثيرين غيرهم واظهار بعضهم ببعض خفاء (رسول الله صلى الله عليه وسلم) ودعا الى الله وليس ثم من يوحده وهذا من أقوى شجاعته (وأبو بكر) وكانت له اليد العليا فى الاسلام وعادى قومه بعد ما كان محببا فيهم ودفع عن المصطفى قولا ويدا ودعا الى الله وحسبه أن فضلاء الصحابة أسلموا على يده (وعمار ابن ياسر المملوء ايمانا الصابر على البلوى أولا وآخرا المجاهد فى الله حق جهاده وروى الطبرانى فى الكبير عنه قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن والانس أرسلنى الى

بئر بدر فالتقت الشيطان فى صورة الانس فصارعنى فصرعته فجعلت ادقه بفهر أو بحجر معى فقال صلى الله عليه وسلم عمار لقى الشيطان عند البئر فقاتله فرجعت فأخبرته فقال ذلك الشيطان (وأمه سمية) بنت سلم قاله ابن سعد وقال شيخه الواقدى بنت خباط بمعجمة مضمومة وموحدة ثقيلة ويقال بمثناة تحتية وعند الفاكهى بنت خبط بفتح أوله بلا ألف مولاة أبى حذيفة بن المغيرة وكان ياسر حليفاله فزوجه سمية فولدت عمارا فأعتقه (وصهيب) بضم المهملة وفتح الهاء وتحتية ساكنة فوحدة ابن سنان الرومى مولى عبد الله ابن جدعان أسلم هو وعمار فى يوم واحد بعد بضع وثلاثين رجلا على يد المصطفى ومكثا عنده بقية يومهما ثم خرجا مستخفين فدخل عمار على أبويه فسألاه أين كان فأخبرهما باسلامه وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن فى يومه ذلك فأعجبهما فأسلما على يده فكان صلى الله عليه وسلم يسميه الطيب المطيب (وبلال) المؤذن (والمقداد) بن عمرو المعروف بابن الاسود لانه تبناه شهد بدرا والمشاهد كلها (فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله) من أذية الكفار البالغة المتوالية فلا ينافى وطء عقبة رقبته وسب أبى جهل ونحو ذلك (بعمه أبى طالب) وبغيره كبعث جبريل فى صورة فحل ليلتقم أبا جهل لما أراد أذاه ورؤيته أفق السماء سدّ عليه لما نذر أن يطأ عنقه الشريف ورؤيته رجالا عن يمينه وعن شماله معهم رماح حتى قال لو خالفته لكانت اياها أى لاتوا على نفسه لما أخذ صلى الله عليه وسلم بظلامة الزبيدى فى جماله التى كان اكسدها عليه وظلمه فأقبل اليه المصطفى وقال يا عمرو اياك أن تعود لمثل ما صنعت فترى منى ما تكره فجعل يقول لا أعود لا أعود كما بين فى الاخبار وكستر ملك له بجناحه لما ارادته امرأة أبى لهب فلم تره وغير ذلك من الآيات البينات (وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه) من الاذى المتوالى (وأما سائرهم) أى باقيهم (فأخذهم المشركون يعذبونهم فالبسوهم أدراع الحديد) جمع درع ولعل الاضافة للاحتراز عن نحو القمص (وصهروهم) بفتح الهاء مخففا طرحوهم (فى الشمس) لتؤثر حرارتها فيهم (وان بلالا) بكسر الهمزة استئناف (هانت نفسه عليه فى الله عزوجل) فلم يبال بتعذيبهم وصبر على أذاهم (وهان على قومه) أى مواليه (فأخذوه فأعطوه الولدان) جمع وليد (فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد) قال البرهان مرفوع منوّن كذا أحفظه وكذا هو فى أصلنا من سنن ابن ماجه خبر مبتدا محذوف أى الله أحد كأنه يشير الى انى لا أشرك بالله شيأ ويحتمل انه مرفوع غير منوّن أى يا أحد قال شيخنا وأما النطق به حكاية الكلام بلال فالظاهر أنه بالسكون لكونه موقوفا عليه غير موصول بما يقتضى تحريكه (رواه أحمد فى مسنده وعن مجاهد مثله) وفيه انه نزل فيهم ثم ان ربك الآية وأخرجه بقى ابن مخلد فى مسنده لكنه أبدل المقداد بخباب (وزاد) مجاهد (فى قصة بلال وجعلوا فى عنقه حبلا ودفعوه الى الصبيان يلعبون به حتى أثر الحبل فى عنقه) ليرجع الى الكفر والله يعيذه وحسبه بهذا منقبة قال عمر أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا وقال صلى الله عليه وسلم لبلال سمعت دق نعليك فى الجنة رواهما البخارى (فانظر كيف) تأمل صفته مع صبره فليست كيف للاستفهام أو هى له بتقدير مضاف أى انظر جواب السائل عن حاله بقوله

قوله فأسلما على يده لعل هذا على قول والا نافى ما تقدم من ان أمه سمية كانت سابع سبعة فى الاسلام فتنبه اه مصححه

كيف (فعل ببلال مافعل من الاكراه على الكفر) بيان لما (وهو يقول أحد أحد فرج) خلط (مرارة العذاب) مشقته وألمه (بحلاوة الايمان) أى الراحة الحاصلة به فهو استعارة تصريحية فشبه تحمله ألم العذاب بين خلط الصبر ونحوه بنحو سكر فسهل عليه تناوله على أن فى كون هذه الحلاوة حقيقية لاولياء الله أو استعارة خلاف بسطه المصنف فى مقصد المحبة (وهذا كما وقع له أيضا عند موته كانت امرأته تقول واحرباه) روى بفتح الحاء والراء المهملتين والموحدة من الحرب بالتحريك وهو كما فى النهاية نهب مال الانسان وتركه لاشئ له وبفتح الحاء والزاى ونون وبضم الحاء وسكون الزاى وروى واحوباه بفتح الحاء وسكون الواو فموحدة من الحوب وهو الاثم والمراد ألمها بشدة جزعها وقلتها فى المصيبة أو من الحوبة بمعنى رقة القلب وهو تكلف كما فى النسيم (وهو يقول واطرباه) أى فرحاه (غدا ألقى الاحبه *) الذين طال شوقى اليهم (محمدا وصحبه * فرج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله در أبى محمد الشقراطسى حيث قال) فى قصيدته المشهورة (لاقى بلال بلاء من أمية قد *) وروى اذ (احله) من الحلول بالمكان (الصبر فيه) أى أحله الصبر على البلاء الذى كان يعذب به لما أسلم ليرجع عن دينه فما أعطاهم كلمة مما يريدون وفى بمعنى على (أكرم) بالنصب على الظرف مواضع (النزل) وهو طعام الضيف الذى يكرم به اذا نزل وأكرم تلك المواضع هو الجنة قال تعالى الذى احلنا دار المقامة من فضله وفسر ما لاقاه بقوله (اذ) ظرف لقوله لاقى أو أحله (اجهدوه) حملوه فوق طاقته من العذاب من الجهد وهو المشقة (بضنك) ضيق (الاسر وهو على * شدائد الازل) بفتح الهمزة وبالزاى واللام الحبس والتضييق (ثبت) مصدر بمعنى اسم الفاعل (الازر) بزاى فراء القوة أى ثابت القوة (لم يزل) بفتح الزاى من زال أخت كان وبضمها أى لم يزل عن ذلك وبين سبب ذلك بقوله (ألقوه بطحا) مفعول مطلق أى القاه هو بطحا على وجهه أو حال من ضمير الفاعل أى باطحين أو المفعول أى مبطوحا (برمضاء) بفتح الراء وسكون الميم وضاد معجمة ممدود أى بأرض اشتد وقع الشمس فيها سواء كان بها رمل أو حصى أو غيرهما قاله أبو شامة وفى النور الرمضاء الرمل اذا اشتدت حرارته (البطاح) جمع بطحاء أو أبطح على غير القياس اذ قياس أبطح أباطح وبطحاء بطحاوات والكل مستعمل والاضافة من الاعم الى الاخص كشجر أراك أى فى أرض شديدة الحر هى أودية واسعة (وقد * عالوا) مثل أعلوا أى رفعوا (عليه صخورا جمة الثقل) أى كثيرته وألقوها عليه وأخرج الزبير بن بكار وأبو الفتح اليعمرى عن عروة قال مر ورقة بن نوفل على بلال وهو يعذب يلصق ظهره برمضاء البطحاء فى الحر وهو يقول أحد أحد فقال يا بلال صبرا يا بلال صبرا لم تعذبونه فوالذى نفسى بيده لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا يقول لاتمسحن به واستأنف قوله (فوحد الله) حال كون توحيده (اخلاصا) أو هو مفعول مطلق فى موضع توحيدا لانه بمعنى يوحد قال أبو شامة ويجوز أن يكون فوحد الله فى موضع الحال من ألقوه أو من عليه أى فى حال توحيده لله ورده شيخنا بان الحال لاتقع جملة الاخبرية غير مصدرة بعلم استقبال مرتبطة بالواو والضمير أو بالواو فقط كما هو مقرر (و) الحال انه (قد ظهرت * بظهره كندوب) جمع ندب بفتح

الدال أى آثار وقيل أثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد (الطل) المطر الضعيف (فى الطلل) ما شخص من آثار الديار على وجه الارض وقد يعبر به عن محل القوم ومنزلهم وهو مراده هنا فكأنه يقول أثر التعذيب فى ظهره كأثر المطر فى الاطلال نخدد أرضها ومحا رسومها قاله الطرابلسى قال أبو شامة واذا كان المطر ضعيفا ظهرت آثار نقطه فى الارض (ان قد ظهر ولى الله من دبر * قد قد قلب عدو الله من قبل) فيه كما قال أبو شامة من البديع اللفظى والمعنوى ذكر المتصفين فى الآيتين ان كان قميصه قد من قبل وان كان قميصه قد من دبر وجعل صفة بلال الصفة التى كان عليها نبى الله يوسف والصفة المكروهة صفة الكافر أمية فأضاف الى كل ما يليق بحاله والتجانس بين قد وقد وبين قلب عدو الله ومن قبل وذكره للقلب دون غيره من أعضاء الجسد مبالغة فى تقطيعه بالسيوف أى انها وصلت الى قلبه فقدته والمقابلة بين ولى الله وعدو الله وظهر وقلب اذ القلب من أعضاء الباطن والظهر بخلافه والاشارة بقوله من دبر الى أن تعذيبه كانت صورته صورة من أتى من ورائه غيلة لانه عذب بعد أن بطح وألقى عليه الصخر وعدو الله أتى من قبل وجهه لا غيلة ولا خديعة (يعنى ان كان ظهر ولى الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده فقد جوزى عدو الله أمية وقد قلبه يدر لانه قتل يومئذ) وكان السيف وصل الى قلبه فقده كما مر وأشار الى أن حذف الفاء للضرورة لانه من المواضع التى يجب اقتران الجواب فيها بالفاء لان الشرط ماض مقرون بقد وبه جزم الطرابلسى قال أبو شامة أو هو جواب قسم محذوف فلا تلزم الفاء نحو وان أطعتموهم انكم لمشركون لكن حذف لام القسم أى لقد قد فجواب الشرط محذوف لانه اذا قدر القسم قبله يكون مما اجتمع فيه الشرط والقسم فيحذف جواب المتأخر منهما قال ويجوز أنه عبر بقد قلبه عن كثرة همه ووجعه وتألمه وجزعه باخبار سعد بن معاذ اياه بمكة أن النبى صلى الله عليه وسلم يقتله ففزع لذلك فزعا شديدا ولم يخرج لبدر الا كرها كما فى الصحيح أو عبر بقد قلبه عن انفلاقه وتقطعه حسرة وغيظا لمشاهدته قتل صناديدهم يوم بدر واختلال أمرهم وعلو كلمة الاسلام وأسره هو ثم قتله وعذاب بلال كان غير مشعر بشئ من ذلك فكأنه من وراء وراء وعذاب أمية مباشرة مواجهة فقال فيه من قبل وفى بلال من دبر وهذا معنى دقيق انتهى (وكان عبد الرحمن بن عوف قد أسره يومئذ وأراد استبقاءه لاخوة كانت بينهما فى الجاهلية فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته) وكان حسن الندا فصيحا وما يروى سين بلال عند الله شين أنكره الحافظ المزى وغيره (يا أنصار الله) خصهم لمزيد اعتنائهم بالنصرة ومعاهدتهم المصطفى عليها وخشية أن المهاجرين لا يعينونه عليها اكراما لعبد الرحمن (رأس الكفر) قال السيوطى وغيره بالنصب على الاغراء والرفع على حذف المبتدأ أى هذا (أمية بن خلف لا نجوت ان نجا) وفى البخارى عن عبد الرحمن فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه عليا لاشغلهم فقتلوه ثم تبعونا وكان رجلا ثقيلا فلما أدركونا قلت له ابرك فبرك فألقيت عليه نفسى لامنعه (فنهسوه) تناولوه (بأسيافهم حتى قتلوه) ففيه استعارة تصريحية تبعية شبه ضربهم بالسيوف بالنهس بالمهملة أخذ اللحم بمقدم الاسنان للاكل وبالمعجمة أخذه بالاسنان

والاضراس

والاضراس وفى نسخة فنهبوه بموحدة وهو استعارة أيضا شبه ماذكر بالنهب وهو أخذ المال بالغلبة والقهر فظهر مصداق واعلم أن النصر مع الصبر صبر على تعذيبه له فكان قتله على يديه قيل فهناه الصديق بأبيات منها

هنيأ زادك الرحمن فضلا * فقد أدركت ثارك يا بلال

(وأخرج البيهقي عن عروة أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة) هم بلال وعامر بن فهيرة وأم عنيس بعين مهملة مضمومة فنون وقيل بموحدة فتحتية فسين مهملة أمة لبني زهرة كان الاسود بن عبد يغوث يعذبها وزنيرة والنهدية وبنتها والمؤملة كما في سيرة ابن هشام وذكر ابن اسحق انه أعتق أبا فكيهة وابن عبد البر وغيره انه أعتق أم بلال فاقتصار عروة على سبعة باعتبار ما بلغه فلا ينافي انهم تسعة وأخرج الحاكم عن عبد الله ابن الزبير قال قال أبو قحافة لابي بكر أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك فقال يا أبت اني انما أريد ما عند الله فنزلت هذه الآية فيه فأما من أعطى واتقى الى آخر السورة (منهم الزنيرة) الرومية أمة عمر بن الخطاب أسلمت قبله فكان يضربها (فذهب بصرها) عميت من شدة العذاب (وكانت ممن يعذب في الله) وروى الواقدي أن عمرا وأبا جهل كانا يعذبانها (فتأبى الا الاسلام) وكان أبو جهل يقول ألا تعجبون الى هؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى محمد خيرا وحقا ما سبقونا اليه أفتسبقنا زنيرة الى رشد وأخرج ابن المنذر عن عون بن أبي شداد قال كان لعمر أمة أسلمت قبله يقال لها زنيرة فكان يضربها على اسلامها حتى يفتر وكان كفار قريش يقولون لو كان خيرا ما سبقتنا اليه زنيرة فأنزل الله في شأنها وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا الآية وروى نحوه ابن سعد عن الضحاك والحسن (فقال المشركون ما أصاب بصرها الا اللات والعزى) وعند البلاذري فقال لها أبو جهل انهما فعلا بك ما ترين فيحتمل انهم تبعوه في قوله (فقالت) وهي لا تبصر (والله ما هو كذلك) وما يدري اللات والعزى من يعبدهما ولكن هذا أمر من السماء وربي قادر على أن يرد علي بصري (فرد الله عليها بصرها) صبيحة تلك الليلة فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر فأعتقها (والزنيرة بكسر الزاى وتشديد النون المكسورة) فتحتية فراء (كسكينة كما في القاموس) قال الشامي وهي لغة الحصاة الصغيرة ويروى زنبرة بفتح الزاى وسكون النون فموحدة انتهى وفي الاصابة زنيرة بكسر الزاى وشد النون المكسورة بعدها تحتية ساكنة الرومية ووقع في الاستيعاب زنبرة بنون وموحدة وزن عنبرة وتعقبه ابن فتحون وحكى عن مغازي الاموي بزاى ونون مصغرة من السابقات الى الاسلام وممن يعذب في الله انتهى والله أعلم

* الهجرة الاولى الى الحبشة *

(ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة للحبشة) بالجانب الغربي من بلاد اليمن ومسافتها طويلة جدا وهم أجناس وجميع فرق السودان يعطون الطاعة لملك الحبشة ويقال انهم من ولد حبش بن كوش بن حام قال ابن دريد جمع الحبش أحبوش بضم أوله وأما قولهم الحبشة فعلى غير قياس وقد قالوا أيضا حبشان وأحبش وأصل التحبيش

التجميع ذكره فى فتح البارى وعند ابن اسحق ان سبب الهجرة أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم قال لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرجوا اليها مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة فى الاسلام وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال لما كثر المسلمون وظهر الاسلام أقبل كفار قريش على من آمن من قبائلهم يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم فبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين تفرقوا فى الارض فان الله سيجمعكم قالوا الى أين نذهب قال الى ههنا وأشار بيده الى أرض الحبشة (وذلك فى رجب) بالصرف ولو كان معينا ففى المصباح رجب من الشهور ومصروف (سنة خمس من النبوة) كما قاله الواقدى وزاد فأقاموا شعبان وشهر رمضان وفيه كانت السجدة وقدموا فى شوال من سنة خمس (فهاجر اليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه وكانوا أحد عشر رجلا) عثمان بن عفان وعبد الرحمن والزبير بن العوام وأبو حذيفة بن عتبة هاربا من أبيه بدينه ومصعب وأبو سلمة بن عبد الاسد وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبى رهم وحاطب بن عمرو العامريان وابن مسعود كذا قال الواقدى قال فى الفتح وهو غير مستقيم مع قوله أول كلامه كانوا احد عشر فالصواب ما قال ابن اسحق انه اختلف فى الحادى عشر هل هو أبو سبرة أو حاطب وجزم ابن اسحق بأن ابن مسعود انما كان فى الهجرة الثانية ويؤيده ما عند أحمد باسناد حسن عنه قال بعثنا النبى صلى الله عليه وسلم الى النجاشى ونحن نحو من ثمانين رجلا انتهى وقال أبو عمر اختلف فى هجرة أبى سبرة الى الحبشة ولم يختلف فى شهوده بدرا قال فى النور ولم أر أحدا سماه (وقيل اثنى عشر رجلا) وجزم به فى العيون والحافظ فى سيرته الا أن الاول ترك الزبير وذكر سليط بن عمرو وأهمل الثانى حاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء وذكر بدلهما حاطب بن الحرث وهاشم بن عمرو (وأربع نسوة) السيدة رقية مع زوجها عثمان وسهلة بنت سهيل مع زوجها أبى حذيفة مراغمة لابيها فارة عنه بدينها فولدت له بالحبشة محمد بن أبى حذيفة وأم سلمة مع زوجها وليلى العدوية مع زوجها عامر بن ربيعة (وقيل وخمس نسوة) هؤلاء الاربع وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو زوج أبى سبرة وبهذا جزم الحافظ كالعمرى قائلا لم يذكرها ابن اسحق وذكر ابن عبد البر وتبعه ابن الاثير فى المهاجرات أم أيمن بركة الحاضنة قال البرهان وأظنها هاجرت مع رقية لانها جارية أبيها انتهى فلعل من أسقطها لكونها تبعا (وقيل وامرأتين) بالياء عطفا على أحد عشر وفى نسخة بالالف أى ومعهم امرأتان أو على لغة من يلزم المثنى الالف وقيل كانوا اثنى عشر رجلا وثلاث نسوة وقيل عشرة رجال وأربع نسوة (وأميرهم) قال ابن هشام فيما بلغنى (عثمان بن مظعون) بالظاء المعجمة (وأنكر ذلك الزهرى) محمد بن مسلم (وقال لم يكن لهم أمير) ويحتمل انهم أمروه بعد سيرهم باختيارهم ولم يؤمر المصطفى عليهم أحدا فلا خلف (وخرجوا) سرا من مكة (مشاة) ثم عرض لبعضهم الركوب وانتهوا فى خروجهم (الى البحر) فهو متعلق بمحذوف لا صلة

مشاة أو غلب المشاة لكثرتهم على الراكبين فلا تنافى بينه وبين قول العيون والمنتقى والسبل فخرجوا متسللين سرا حتى انتهوا الى الشعيبة منهم الراكب ومنهم الماشى والشعيبة بمعجمة مضمومة ومهملة مفتوحة فتحتية ساكنة فموحدة فتاء تانيث واد كما قال الصغانى والمجد كما فى النور وفى السبل مكان على ساحل البحر بطريق اليمن لكن وقع فى بعض نسخه الشعيبة بزيادة ياء بعد الموحدة وهو تحريف من النساخ لقوله تصغير شعبة اذ تصغيره بلا ياء وهو الذى فى الذيل والقاموس (فاستأجروا سفينة) جزم به تبعا لفتح البارى والذى فى العيون وغيرها فوفق الله ساعة للمسلمين جاؤا سفينتين للتجار حملوهم فيها (بنصف دينار) وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاؤا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهما أحدا ويحتمل الجمع بانهم استأجروا سفينة واحدة لقلتهم فضاقت عنهم لشحنها بالتجار وتجارتهم فحملوهم فى اثنتين واستئجار واحدة لا ينافى الحمل فى اثنتين وهذا أقرب من امكان انهم استأجروا صاحب السفينتين على حملهم الى مقصودهم فى السفينتين أو مجموعهما فاتفق حملهم بواحدة فالمصنف نظر الى الحمل وغيره لما وقع عليه التوافق لان فيه قصر حملهم فى واحدة وأتى به مع قولهم حملوهم فيهما (وكان أول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقيل حاطب بن عمرو وقيل سليط بن عمرو وحكاهما اليعمرى هنا وذكروا فى أزواج المصطفى وتبعه المصنف ثمة أن أم سلمة وزوجها أول من هاجر فهى أربعة أقوال (وأخرج يعقوب بن سفيان) الحافظ الفسوى بالفاء (بسند موصول الى انس) وأما بعده فمرسل صحابى (قال أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال) صلى الله عليه وسلم صحبهما الله كما فى نفس رواية يعقوب قبل قوله (ان عثمان لاول من هاجر بأهله بعد لوط) نبى الله هاجر من كوثى الى حران ولما وصلوا الحبشة أقاموا عند النجاشى آمنين وقالوا جاورنا بها خير جار على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيأ نكرهه (فلما رأت قريش استقرارهم فى الحبشة وأمنهم أرسلوا عمرو بن العاصى) القرشى السهمى الصحابى أسلم بعد ذلك على يد النجاشى وهى لطيفة صحابى أسلم على يد تابعى ولا يعلم مثله (وعبد الله ابن أبى ربيعة) عمرو بن المغيرة المخزومى المكى أسلم بعد وصحب وكان حسن الوجه ولاه صلى الله عليه وسلم الجند ومخاليفها فلما حوصر عثمان جاء لينصره فوقع عن راحلته بقرب مكة فمات (بهدايا وتحف من بلادهم الى النجاشى) بفتح النون وتكسر وخفة الجيم فياء ثقيلة وتخفف لقب قديم لملك الحبشة قال الحافظ وأما اليوم فيقال له الحطى بفتح الحاء وكسر الطاء الخفيفة المهملتين وتحتانية خفيفة (واسمه) كما فى البخارى (أصحمة) بمهملتين بوزن أربعة وفى مصنف ابن أبى شيبة صحمة بحذف الهمزة وحكى الاسماعيلى أصخمة بخاء معجمة وقيل اصحبة بموحدة بدل الميم وقيل صحبة بلا ألف وقيل مصحمة بميم أوله بدل الهمزة ابن أبجر وقيل اسمه مكحول بن صصه قال مغلطاى ولقب ملك الترك خاقان والروم قيصر واليمن تبع واليونان بطليموس واليهود القيطون فيما قيل والمعروف مالخ وملك الصابئة النمروذ ودهمز وملك الهند بعفور والزنج رعانة ومصر والشام فرعون

قوله منهما أى من السفينتين ولعل الاظهر منهم أى من المسلمين اه مصححه

فان أضيف اليهما الاسكندرية سمي العزيز ويقال المقوقس وملك العجم كسرى وملك فرغانة الاخشيد وملك العرب من قبل العجم النعمان وملك البربر جالوت (وكان معهما عمارة بن الوليد) بن المغيرة المخزومي والذى فى العيون وكان عمرو بن العاصي رسولا فى الهجرتين ومعه فى أحدهما عمارة وفى الاخرى عبد الله ثم قال فى الهجرة الثانية ولم يذكر ابن اسحق مع عمرو الا عبد الله فى رواية زياد وفى رواية ابن بكير لعمارة ذكر وفى الشامية الصحيح أن فى الاولى عمارة وفى الثانية عبد الله انتهى وهو خلاف ما اقتصر عليه الحافظ فى سيرته من أن عمرا وعمارة ذهبا فى الهجرة الثانية انتهى ورواه أحمد عن ابن مسعود (ليردهم) أى ليرد النجاشي المهاجرين (الى قومهم فأبى ذلك وردهما) أى عمرا وعبد الله (خائبين) لم يجبهما الى ما طلبا ولم يقبل هديتهما ولم يذكر عمارة لانه تبع لهما الا لما تقدم أنه توحش ولم يعد لان المتقدم انما هو فى الهجرة الثانية نعم على ما صححه الشامي ان ثبت يكون المعنى لم يجبهما وزاد عمارة خيبة بفعله ذلك معه

* اسلام عمر الفاروق *

(وأسلم عمر بن الخطاب) بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وتحتية وقيل بكسرها وموحدة وهو بعيد ابن عبد الله بن قرط بضم القاف واسكان الراء وطاء مهملة ابن رزاح بفتح الراء والزاى كما قاله الدارقطني وابن ماكولا وخلق وقيل بكسر الراء ابن عدى بن كعب ابن لؤى بن غالب يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم فى كعب قال فى الفتح وعدد ما بينهما من الآباء متفاوت بواحد فبين المصطفى وكعب سبعة آباء وبينه وبين عمر ثمانية قال ابن اسحق أسلم عقب الهجرة الاولى الى الحبشة وذكر ابن سعد عن ابن المسيب فى ذى الحجة سنة ست من المبعث وحكى عليه ابن الجوزى فى بعض كتبه الاتفاق لكنه قال فى التلقيح سنة ست وقيل سنة خمس (بعد حمزة بثلاثة أيام) لا أشهر كما قيل (فيما قاله أبو نعيم) لانه قد رواه عن ابن عباس قال سألت عمر عن اسلامه قال خرجت بعد اسلام حمزة بثلاثة أيام فذكر القصة وهو موافق لما حكاه ابن سعد أما على قول ابن اسحق فلا يجيء لان الهجرة فى الخامسة واسلام حمزة فى السادسة كما أنه لا يأتى على القول بان اسلام حمزة فى الثانية بالنون (بدعوته صلى الله عليه وسلم) كما رواه الترمذى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (اللهم أعز الاسلام بابى جهل) بن هشام (أو بعمر بن الخطاب) قال فاصبح فغدا عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ورواه أحمد والترمذى وقال حسن صحيح وابن سعد والبيهقى عن ابن عمر رفعه بلفظ اللهم أعز الاسلام باحب هذين الرجلين اليك بابى جهل أو بعمر بن الخطاب صححه ابن حبان ورواه أبو نعيم من وجه آخر عن ابن عمر قال قال صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الاسلام باحب الرجلين اليك عمر أو بابى جهل وأخرجه خيثمة فى فضل الصحابة من حديث على به والحاكم عن ابن مسعود بلفظ أيد بدل أعز والبغوى عن ربيعة السعدى وابن سعد من مرسل ابن المسيب وغيرهم الجمع بلفظ أبى جهل وفى حديث خباب عند البزار مرفوعا اللهم أيد الاسلام بابى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فيمكن أنه قال هذا مرة وهذا

أخرى ودعوى أن بابي جهل رواية بالمعنى لا تصح لانها ردّ للروايات المتعددة الطرق لرواية واحدة وأخرج الحاكم وصححه عن نافع عن ابن عمر عن ابن عباس رفعه اللهمّ أيد الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وأخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وأقرّه الذهبيّ من حديث عائشة وجمع ابن عساكر بانه صلى الله عليه وسلم دعا بالاول أولا فلما أوحى اليه أن أبا جهل لن يسلم خص عمر بدعائه انتهى ثم بحديث عائشة هذا الصحيح يردّ مانقل عن الدارقطنيّ أن عائشة قالت انما قال صلى الله عليه وسلم اللهمّ أعز عمر بالاسلام لان الاسلام يعز ولا يعز وقد قال السخاويّ مازعمه أبو بكر التاريخي أن عكرمة سئل عن قوله اللهمّ أيد الاسلام فقال معاذ الله دين الاسلام أعز من ذلك ولكنه قال اللهمّ أعز عمر بالدين أو أبا جهل فاحسبه غير صحيح انتهى وفي الدرّ قد اشتهر هذا الحديث الآن على الالسنة بلفظ بأحب العمرين ولا أصل له في شئ من طرق الحديث بعد الفحص البالغ (وكان المسلمون اذ ذاك بضعة) بكسر الباء وقد تفتح من ثلاثة الى سبعة ولا تستعمل فيما زاد على عشرين الا عند بعض المشايخ كما في المصباح (وأربعين رجلا) كما قاله السهيليّ وزادوا احدى عشرة امرأة لكنه مخالف لقول فتح الباري في مناقب عمر روى ابن أبي خيثمة عن عمر لقد رأيتني وما أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تسعة وثلاثون فكملتهم أربعين فأظهر الله دينه وأعز الاسلام وروى البزار نحوه من حديث ابن عباس وقال فيه فنزل جبريل فقال يا أيها النبيّ حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين انتهى اللهمّ الا أن يكون عمر لم يطلع على الزائد لان غالب من أسلم كان يخفيه خوفا من المشركين لاسيما وقد كان عمر عليهم شديدا فلذا أطلق انه كملهم أربعين ولم يذكر النساء لانه لا اعزاز بهنّ لضعفهنّ (وكان سبب اسلامه فيما ذكره أسامة بن زيد) بن أسلم العدوى مولاهم المدنيّ ضعيف من قبل حفظه مات في خلافة المنصور روى له ابن ماجه (عن أبيه) زيد بن أسلم العدويّ مولاهم المدنيّ أبو أسامة أو أبو عبد الله الفقيه العالم المفسر الثقة الحافظ التابعيّ المتوفى سنة ست وثلاثين ومائة روى له الستة (عن جدّه أسلم) مولى عمر اشتراه سنة احدى عشرة كنيته أبو خالد ويقال أبو زيد التابعيّ الكبير قيل انه من سبي عين التمر وقيل حبشي روى عن مولاه والصديق ومعاذ قال أبو زرعة ثقة مات سنة ثمانين وهو ابن أربع عشرة ومائة سنة أخرج له الجماعة (عن عمر أنه قال بلغني) من نعيم بن عبد الله النحام القرشيّ الصحابيّ كما في رواية ابن اسحق وجزم به ابن بشكوال وقال ان في كلام أبي القاسم البغويّ شاهده أو من سعد بن أبي وقاص كما في الصفوة ويحتمل أن يكونا معا بلغاه ذلك في سيره مريدا قتل النبيّ كما اتفق مع قريش على ذلك (اسلام أختي) فاطمة عند الاكثر وقيل أميمة حكاه الدارقطنيّ قال في الاصابة فكأنّ اسمها فاطمة ولقبها أميمة وكنيتها أم جميل وقيل اسمها رملة لها حديث أخرجه الواقديّ عن فاطمة بنت الخطاب انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال أمّتي بخير مالم يظهر فيهم حبّ الدنيا في علماء فساق وقرّاء جهال وجوره فاذا ظهرت خشيت أن يعمهم الله بعقاب وحذف المصنف صدر حديث أسلم فلفظه قال لنا عمر أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدو اسلامي قلنا

ثم قال كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا انا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش فقال أين تذهب انك تزعم أنك هكذا وقد دخل عليك هذا الامر في بيتك قلت وماذاك قال اختك قد صبأت فرجعت مغضبا وقد كان صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج أختي رجلين فجئت حتى قرعت الباب فقيل من هذا قلت ابن الخطاب قال وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا أو قال نسوا الصحيفة من أيديهم فقامت المرأة ففتحت لي (فدخلت عليها فقلت ياعدوة نفسها قد بلغني عنك انك صبوت) أي خرجت من دينك (ثم ضربتها) وفي الصفوة فوثب عمر على ختنه سعيد بن زيد وبطش بلحيته وضرب به الارض وجلس على صدره فجاءته أخته لتكفه عن زوجها فلطمها لطمة شج بها وجهها (فسال الدم فلما رأت الدم بكت وغضبت (وقالت) زاد في الصفوة أتضربني ياعدو الله على ان أوحد الله لقد أسلمنا على رغم أنفك (يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت) وفي رواية ابن عباس عن عمر عند ابن عساكر والبيهقي فوجدت همهمة فدخلت فقلت ماهذا فمازال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختني فضربته وأدميته فقامت الى أختي فأخذت برأسي وقالت قد كان ذلك على رغم أنفك فاستحييت حين رأيت الدماء (قال فدخلت وأنا مغضب) زاد في الرواية فجلست على السرير فنظرت (فاذا كتاب في ناحية) جانب من جوانب (البيت) أسقط من رواية أسلم فقلت ماهذا الكتاب أعطينيه فقالت لا أعطيكه لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تطهر وهذا لا يمسه الا المطهرون قال فلم أزل بها حتى أعطتنيه وفي الصفوة قال أعطوني هذا الكتاب أقرؤه وكان عمر يقرأ الكتب قالت أخته لا أفعل قال ويحك وقع في قلبي مما قلت فاعطينيها انظر اليها وأعطيك من المواثيق أن لا أخونك حتى تحوزيها حيث شئت قالت انك رجس فانطلق فاغتسل أو توضأ فانه كتاب لا يمسه الا المطهرون فخرج ليغتسل فخرج خباب فقال أتدفعين كتاب الله الى كافر قالت نعم اني ارجو أن يهدي الله أخي فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعته اليه (فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت) بضم الذال المعجمة وكسر المهملة أفزعت زاد في رواية البزار فجعلت أفكر من أي شيء اشتق (ورميت بالصحيفة من يدي ثم رجعت) لفظ الرواية ثم رجعت الى نفسي أي فأخذت الصحيفة (فاذا فيها سبح لله ما في السموات والارض) زاد البزار فجعلت اقرأ وأفكر (حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله) هذا لفظ رواية البزار كما في الروض ولفظ رواية غيره فاذا فيها سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم فكلما مررت باسم من أسماء الله ذعرت ثم ترجع الى نفسي حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين (فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) وفي رواية ابن عساكر وأبي نعيم عن ابن عباس والدارقطني عن انس كلاهما عن عمر فقلت أروني هذا الكتاب فقالوا انه لا يمسه الا المطهرون فقمت فاغتسلت فاخرجوا الى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أسماء طيبة طاهرة طه

ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى فعظمت فى صدرى وقلت من هذا فرت قريش فاسلمت وعند الدارقطنى فقام فتوضأ ثم أخذ الصحيفة وكذا ذكره ابن اسحق وأنه تشهد لما بلغ فلا يصدنك عنها وزاد يونس عنه أنه كان فيها مع سورة طه اذا الشمس كورت وأن عمر انتهى فى قراءتها الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت فيمكن أنه توضأ ثم اغتسل أو عكسه وانه وجد السور الثلاث فى صحيفة أو صحيفتين فقرأها وتشهد عقب بلوغ كل من الآيتين وفى الصفوة فلما بلغ اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى قال ما ينبغى لمن يقول هذا أن يعبد معه غيره دلونى على محمد (فخرج القوم) الذين كانوا عند أخته يعنى زوجها سعيد بن زيد وخباب بن الارت أحد الرجلين اللذين ضمهما المصطفى الى سعيد وكان خباب يقرؤهم القرآن والرجل الثانى قال فى النور لا أعرفه (يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه منى) وحمدوا الله ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم أعز الاسلام بعمر وأو عمرو وانا نرجو أن تكون دعوته لك فأبشر فلما عرفوا منى الصدق قلت أخبرونى بمكانه صلى الله عليه وسلم قالوا هو فى اسفل الصفا (فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت فى أسفل الصفا) هى دار الارقم الصحابى كان صلى الله عليه وسلم مختفيا فيها بمن معه من المسلمين قال المحب الطبرى ويقال لها اليوم دار الخيزران وفى الصفوة فقال عمر يا خباب انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام خباب وسعيد معه وفى حديث أسلم فقرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب قال وقد عرفوا اشدتى على رسول الله ولم يعلموا باسلامى فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب فقال صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وأخرجه ابن عائذ من حديث ابن عمر وقال هذا وهم انما الذى قال فان يرد الله به خيرا يهده والا كفيتموه باذن الله حمزة ويجوز أن الوهم انما هو فى نسبة قوله والا كفيتموه للنبى صلى الله عليه وسلم فلا ينافى ما فى الشامى من ان فان يرد الله به خيرا يهده من كلام المصطفى فيه نظر اذ كيف يأتى هذا مع قول ابن عائذ انما الذى الى آخره والشامى انما هو فى مقام سياق الحديث الذى حكم ابن عائذ على هذه القطعة منه بالوهم ولذا حسن من المصنف اسقاطها وفى رواية فلما رأى حمزة وجل القوم منه قال فان يرد الله به خيرا يسلم ويتبع النبى صلى الله عليه وسلم وان يرد غير ذلك كان قتله علينا هينا والنبى صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ففتح الباب (فدخلت عليه وأخذ رجلان) قال البرهان لا أعرفهما ولعل حمزة أحدهما لانه الذى أذن فى دخوله (بعضدى) بشد الياء تثنية عضد وفى هامش أن حمزة أخذ بيمينه والزبير بيساره (حتى دنوت من النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه) بفتح الهمزة أطلقوه (فأرسلونى فجلست بين يديه فأخذ بمجمع ثيابى) لفظ رواية أسلم بمجمع قميصى وعند ابن اسحق بحجزته أو بمجمع ردائه (فجذبنى اليه) جذبة شديدة كما فى الرواية وفى رواية فاستقبله النبى صلى الله عليه وسلم فى صحن الدار فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وفى لفظ أخذه ساعة وهزه فارتعد عمر من هيبته وجلس وفى آخر أخذ بمجامع ثيابه فنثره نثرة فما تمالك أن وقع عمر على ركبتيه وقال له فما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك ما أنزل بالوليد بن المغيرة يعنى

الخزى والنكال ولعله صلى الله عليه وسلم فعل معه ذلك ليثبته الله على الاسلام ويلقى حبه الطبيعى فى قلبه ويذهب عنه رجز الشيطان فكان كذلك حتى كان الشيطان يفر منه ولكون شديدا على الكفار وفى الدين فصار كذلك وعند ابن اسحق فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة فقال يارسول الله جئت لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله (ثم قال) صلى الله عليه وسلم بعد أخذه بمجامع ثوبه وهزه وقوله ماذكر (أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه) لفظ رواية أسلم اهده كما فى العيون والارشاد للمصنف فلعله هنا بالمعنى أوجمع بينهما وفى رواية اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب (قلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فكبر المسلمون) بعد تكبير النبى صلى الله عليه وسلم كما فى رواية (تكبيرة واحدة سمعت بطرق مكة وكان الرجل اذا أسلم استخفى) باسلامه زاد أبو نعيم وابن عساكر فى رواية ابن عباس عن عمر فقلت يارسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذى نفسى بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الخفاء يارسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال يا عمر انا قليل قد رأيت مالقينا فقال والذى بعثك بالحق نبيا لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان ثم خرج فى صفين أنا فى أحدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الينا فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فسماه رسول الله يومئذ الفاروق (ثم خرجت فذهبت) بعد كراهتى عدم ضربى لكن آمن واخبارى لخالى ورجل من عظماء قريش باسلامى وقول رجل قال فى النور لا أعرفه ويظهر أنه مسلم تحب أن يعلم اسلامك فارشدنى (الى رجل لم يكتم السر) هو جميل بفتح الجيم وكسر الميم ابن معمر بفتح الميم بينهما مهملة ساكنة ثم راء ابن حبيب الجمحى أسلم يوم الفتح وقد شاخ وشهد حنينا وفتح مصر ومات فى خلافة عمر فحزن عليه حزنا شديدا (فقلت له) سرا (انى صبوت) ملت من دين الى دين (قال فرفع صوته باعلاه ألا ان ابن الخطاب) عمر وكأنه لم يسمه لشهرته فيهم (قد صبأ) وروى ابن اسحق عن نافع عن ابن عمر لما أسلم عمر قال أى قريش أنقل للحديث فقيل له جميل فغدا عليه وغدوت اتبع أثره وأنا غلام أعقل ما رأيت حتى جاءه فقال أعلمت يا جميل انى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبى حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش وهم فى أنديتهم حول الكعبة ألا ان ابن الخطاب قد صبأ ويقول عمر من خلفه كذب ولكنى أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فتعبير عمر بجميل أولا بقوله صبوت يعنى على زعمكم (فمازال الناس يضربونى وأضربهم فقال خالى) يحتمل انه أبو جهل أوأخوه الحرث بن هشام لانهما خالاه مجازا لان عصبة الام اخوال الابن وأمه حنتمة بفتح المهملة وسكون النون وفتح الفوقية فتاء التأنيث ابنة هاشم بن المغيرة المخزومى وهاشم وهشام اخوان فهما ابناء عم أمه ومن قال انها بنت هشام فقد أخطأ وصحف هاشما بهشام كما قاله ابن عبد البر والسهيلى والحافظ وغيرهم ويحتمل أنه أراد غيرهما من بنى مخزوم كما قال البرهان فالجزم بانه أبو جهل يحتاج لبرهان واختيار أنه خاله حقيقة مبنى على خطا مخالف لما نبه عليه الحفاظ وأقره ختامهم

فى فتح البارى (ماهذا قالوا ابن الخطاب فقام) خالى (على الحجر) بكسر الحاء وغلط من فتحها كما فى النور (وأشار بكمه فقال ألا انى قد أجرت ابن أختى) قال فى النور أى هو فى ذمامى وعهدى وجوارى (قال فانكشف الناس عنى) لجلالة خاله عندهم وعند ابن اسحق فى حديث ابن عمر أن العاصى بن وائل اجاره منهم حينئذ فيحتمل انهما معا اجاراه وروى البخارى عن ابن عمر قال بينا عمر فى الدار خائفا اذ جاءه العاصى بن وائل السهمى أبو عمرو وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال مابالك قال زعم قومك انهم سيقتلوننى لانى أسلمت قال لا سبيل اليك بعد أن قال أمنت فخرج العاصى فلقى الناس قد سال بهم الوادى فقال أين تريدون قالوا نريد ابن الخطاب الذى قد صبا قال لا سبيل اليه فكر الناس وانصرفوا عنه وطريق الجمع أن العاصى اجاره مرتين مرة مع خاله والاخرى بعد كونه فى الدار والله أعلم (فمازلت) بعد رد جوار خالى كراهة أن لا أكون كالمسلمين وقول خالى لا تفعل يا ابن أختى فقلت بلى هو ذلك قال فمازلت كما فى حديث أسلم قال فمازلت (أضرب) بالبناء للفاعل (وأضرب) للمفعول (حتى أعز الله الاسلام) روى حديث أسلم عن عمر هذا بطوله البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى ورواه الدارقطنى من حديث انس وابن عساكر والبيهقى عن ابن عباس وأبو نعيم عن طلحة وعائشة كلهم عن عمر نحوه فهذه طرق يعضد بعضها بعضا فانجبر ما فيه من ضعف اسامة وفى فتح البارى لمح البخارى بايراد قصة سواد بن قارب فى باب اسلام عمر الى ماجاء عن عائشة وطلحة عن عمر أن هذه القصة كانت سبب اسلامه انتهى ومن جملة القصة التى رواها البخارى آخر حديث سواد قال عمر بينما انا عند آلهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع قط أشد صوتا منه يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا أنت فوثب القوم قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله فما نشبنا ان قيل هذا نبى وروى أبو نعيم فى الدلائل عن طلحة وعائشة عن عمر أن أبا جهل جعل لمن يقتل محمدا مائة ناقة حمراء أو سوداء وألف اوقية من فضة فقلت له يا أبا الحكم الضمان صحيح قال نعم فخرجت متقلدا السيف متنكبا كنانتى أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل وهم يريدون ذبحه فقمت أنظر اليه فاذا صائح يصيح من جوف العجل يا آل ذريح أمر نجيح رجل يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت فى نفسى ان هذا الامر ما يراد به الا انا ثم مررت بصنم فاذا هاتف من جوفه يقول

يا أيها الناس ذوو الاجسام * ما أنتم وطائش الاحلام
ومسند الحكم الى الاصنام * أصبحتم كراتع الانعام
أما ترون ما أرى أمامى * من ساطع يجلو دجى الظلام
قد لاح للناظر من تهام * وقد بدا للناظر الشامى
محمد ذو البر والاكرام * أكرمه الرحمن من امام
قد جاء بعد الشرك بالاسلام * يأمر بالصلاة والصيام
والبر والصلات للارحام * ويزجر الناس عن الآثام

فبادروا واسبقا الى الاسلام * بلا فتور وبلا احجام

قال عمر فقلت والله ما اراه الا ارادني ثم مررت بالضمار فاذا هاتف من جوفه يقول

اودى الضمار وكان يعبد مدة * قبل الكتاب وقبل بعث محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى
سيقول من عبد الضمار ومثله * ليت الضمار ومثله لم يعبد
أبشر أبا حفص بدين صادق * تهدى اليه وبالكتاب المرشد
واصبر أبا حفص فانك آمر * يأتيك عز غير عز بني عدى
لا تعجلن فأنت ناصر دينه * حقا يقينا باللسان وباليد

قال عمر فوالله لقد علمت انه أرادني فلقيني نعيم وكان يخفي اسلامه فرقا من قومه فقال أين تذهب قلت أريد هذا الصابي الذي فرق أمر قريش فأقتله فقال نعيم يا عمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الارض وبالغ في منعه ثم قال ألا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم فذكر دخوله على أخته القصة بطولها ولا تنافي بينهما فهو حديث واحد طوله مرة واختصره أخرى وفي رواية عند ابن اسحق ان سبب اسلامه انه دخل المسجد يريد الطواف فرأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فقال لو سمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت ان دنوت منه أستمع لاروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابه أي البيت فجعلت أمشي حتى قمت في قبلته وسمعت قراءته فرق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام فمكثت حتى انصرف فتبعته فالتفت في أثناء طريقه فرآني فظن أنما تبعته لاوذيه فنهمني ثم قال ما جاء بك في هذه الساعة قلت جئت لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله قال فحمد الله ثم قال قد هداك الله ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت عنه ودخل بيته * نهمني بالنون أي زجرني والنهم زجر الاسد كما في الروض ففيه من شجاعته صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وروى ابن سنجر في مسنده عن عمر خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت هو شاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت كاهن علم ما في نفسي فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون الى آخر السورة فوقع الاسلام في قلبي كل موقع قال العمري وقد ذكر غير هذا في خبر اسلامه والله أعلم أي ذلك كان انتهى والجمع بتعدد الواقعة تكفل شيخنا برده (قال ابن عباس لما أسلم عمر قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر) لان الله أعز به الدين ونصر به المستضعفين قال ابن مسعود كان اسلام عمر عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر رواه ابن أبي شيبة والطبراني وقال صهيب لما أسلم عمر قال المشركون انتصف القوم منا رواه ابن سعد وروى انه لما أسلم قال يا رسول الله لا ينبغي أن يكتم هذا الدين أظهر دينك فخرج ومعه المسلمون وعمر أمامهم معه سيف ينادي لا اله الا الله محمد رسول الله حتى دخل المسجد فقالت قريش لقد أتاكم عمر مسرورا ما وراءك يا عمر قال ورائي لا اله الا الله محمد رسول الله فان

تحرك أحد منكم لامكنت سيفي منه ثم تقدم أمامه صلى الله عليه وسلم يطوف ويحميه حتى فرغ من طوافه (رواه ابن ماجه) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الثقة المتفق عليه المحتج به له معرفة بالحديث وحفظه ومصنفات في السنن والتفسير والتاريخ والسماع بعدة أمصار مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين ورواه أيضا الحاكم وصححه ورده الذهبي بأن فيه عبد الله ابن حراش ضعفه الدارقطني انتهى وضعفه أيضا غيره ورواه ابن سعد عن الزهري وداود بن الحصين مرسلا والله أعلم

* دخول الشعب وخبر الصحيفة *

(ولما رأت قريش) كما قال ابن اسحق وابن عقبة وغيرهما بمعناه (عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه واسلام) بالجر أي وباسلام (عمر) وأحسن المصنف في تعقيب هذا لانه في آخر السادسة عند غير ابن اسحق ودخولهم في أول المحرم من السابعة (وعزة أصحابه بالحبشة) يريد بهم أهل الهجرة الثانية فان عود الاولين كان في الخامسة كما مر (وفشو الاسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم) وقالوا قد أفسد أبناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش فتريحونا وتريحون أنفسكم (فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني) أخيه (المطلب) فأمرهم (فأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم) بكسر الشين كان منزل بني هاشم غير مساكنهم ويعرف بشعب ابن يوسف كان لهاشم فقسمه عبد المطلب بين بنيه حين ضعف بصره وصار للنبي صلى الله عليه وسلم فيه حظ أبيه كذا في المطالع وتعقبه في النور بأن عبد الله مات في حياة أبيه وما أظنهم كانوا يخالفون شرعنا قال ويحتمل انه وصل اليه حصة أبيه بطريق آخر انتهى قال شيخنا في تقريره يجوز أن عبد المطلب قسمه في حياته على أولاده في حياة عبد الله فلما مات صار للمصطفى حظ أبيه وهو حسن وان كان شيخنا البابلي يتوقف فيه بأن القسم لم ينقل عن عبد المطلب في حياة عبد الله لانه احتمال يكفي في الجواب ويمكن أنهم جعلوا له بعد موت جده حصة أبيه أن لو كان حيا فهو ابتداء عطية من أعمامه وهذا حسن جدا وكل هذا على تسليم ظن البرهان انهم لا يخالفون شرعنا ومن أين ذلك الظن (ومنعوه ممن أراد قتله) لما سألهم أبو طالب (فأجابوه لذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك أجمعوا وائتمروا) تشاوروا في (أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا اليهم) بفتح حرف المضارعة أي لا يتزوجوا منهم فالى بمعنى من (ولا ينكحوهم) بضمها لا يزوجوهم (ولا يبيعوا منهم شيأ ولا يبتاعوا ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا) زاد في العيون ولا تأخذهم بهم رأفة (حتى يسلموا) من أسلم أو سلم منقلا (رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل) أي يخلوا بينه وبينهم (وكتبوه في صحيفة بخط منصور ابن عكرمة) كما ذكره ابن اسحق قائلا فشلت يده فيما يزعمون وصدر به في الفتح قال في النور والظاهر هلاكه على كفره (وقيل) بخط (بغيض) بموحدة ومعجمتين بينهما تحتية (ابن عامر) بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي قاله ابن سعد (فشلت) بفتح الشين المعجمة واللام المشددة وضم الشين خطأ أو قليل أو لغة رديئة والشلل نقص في الكف

وبطلان لعملها وليس معناه القطع كما زعم بعضهم قاله المصنف وفى الفتح يجوز ضمها فى لغية ذكرها الجبانى وقال ابن درستويه هى خطأ (يده) أى الكاتب سواء قيل منصور او بغيض لان القائل بالاول قال شلت كالثانى قال فى النور الظاهر أنه لم يسلم وهو بغيض كاتبه قال ابن هشام ويقال بخط النضر بن الحرث فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وقتل كافرا بعد بدر وقيل بخط هشام بن عمرو بن الحرث العامرى وهو من الذين سعوا فى نقضها قاله ابن اسحق وابن عقبة وغيرهما أسلم وكان من المؤلفة وقيل طلحة بن أبى طلحة العبدرى حكاه فى الفتح وقيل منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم حكاه الزبير بن بكار مع القول بأنه بغيض فقط قال السهيلى والزبير أعلم بالانساب وجمع البرهان وتبعه الشامى باحتمال أن يكون كتب بها نسخ (وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة) وتمادوا على العمل بما فيها وكان ذلك (هلال المحرّم سنة سبع من النبوّة) قاله ابن سعد وابن عبد البرّ وغيرهما وبه جزم فى الفتح وقيل سنة ثمان حكاه الحافظ فى سيرته وكان ذلك بخيف بنى كنانة كما فى الصحيح وهو المحصب (فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه) أضافه له لانه كبيرهم كذا نسبه فى الفتح لابن اسحق وهو ظاهر فى أن انحيازهم بعد كتابة الصحيفة للعطف بالفاء وفى العيون ودخلوا شعبهم مؤمنهم وكافرهم فالمؤمن دينا والكافر حمية فلما رأت قريش انه قد منعه قومه أجمعوا على كتابة صحيفة وهذا صريح فى أن كتابتها بعد دخولهم (الا أبا لهب فكان مع قريش) وأمّا المؤمنون من غير بنى هاشم والمطلب فظاهر العيون أنهم ذهبوا كلهم الى الحبشة (فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا) قاله ابن اسحق وأو تحتمل الشك والاشارة الى قول وجزم موسى بن عقبة بأنها ثلاث سنين (وقال ابن سعد سنتين حتى جهدوا) بالبناء للمفعول لقطعهم عنهم الميرة والمادّة (وكان لا يصل اليهم شئ الا سرّا) ولا يخرجون الا من موسم الى موسم وكان يصلهم فيه حكيم بن حزام وهشام بن عمرو العامرى وهو أوصلهم لبنى هاشم وكان أبو طالب مدّة اقامتهم فى الشعب يأمره صلى الله عليه وسلم فيأتى فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرّا أو غائلة فاذا نام الناس امر احد بنيه أو أخوته أو بنى عمه فاضطجع على فرش المصطفى وأمره أن يأتى بعض فرشهم فيرقد عليها (وقدم) فى شوّال سنة خمس كما مرّ (نفر من مهاجرة الحبشة) نخالف شرطه فى الترتيب على السنين ولو راعاه لذكرها قبل اسلام عمر كما فعل اليعمرى والشامى وغيرهما وهذا مما يعطى أن الشرط اغلبى ثم كلامه يقتضى انهم لم يقدموا كلهم وهو خلاف قول اليعمرى والحافظ وغيرهما وكان سبب رجوع الاثنى عشر وفى لفظ قدم أولئك الفقراء مكة (حين قرأ عليه الصلاة والسلام) وهو يصلى أو خارج الصلاة على اختلاف الروايات كما يأتى عن عياض وأمّا ما عند ابن مردوية والبيهقى عن ابن عمر صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ النجم فسجد بنا فأطال السجود فلم يذكر فيه هذه القصة فلا معنى لذكره هنا الموهم أن ابن عمر روى هذه القصة ولا قائل به لما يأتى انها لم تروعن صحابى سوى ابن عباس (والنجم اذا هوى حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان فى امنيته أى فى قراءته) يقال تمنى اذا قرأ قال حسان

بمدح عثمان

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

لان أصل معناه تفعل من المنى بمعنى القدر ومنه المنية وقوله الامانى أى تلاوة بلا معرفة فأجرى مجرى التمنى لما لا وجود له (تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى) ويروى لترتضى ويروى ان شفاعتها الترتجى وانها لمع الغرانيق الاولى وفى أخرى والغرانقة العلى ذكره فى الشفاء (فلما ختم السورة سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المشركون) والجن والانس كما فى الصحيحين غير أمية بن خلف كما فى تفسير سورة النجم من البخارى أخذ كفا من تراب فسجد عليه وقال يكفينى هذا وقيل الوليد بن المغيرة وقيل أبو لهب وفيهما نظر لانهما لم يقتلا وقيل عتبة بن ربيعة قال المنذرى وما رواه البخارى أصح وقول ابن بزيزة كان منافقا وهم قال فى النور لان النفاق انما كان بالمدينة انتهى وقيل انه المطلب بن أبى وداعة وهو باطل لانه صحابى أسلم فى الفتح والجمع بأنه لا مانع انهم فعلوه جميعا بعضهم تكبرا وبعضهم عجزا لا يصح فالمانع موجود وهو قول راوى الحديث الذى شاهده وهو ابن مسعود فما بقى أحد الا سجد الا رجلا فلقد رأيته قتل كافرا بالله يعنى يوم بدر (لتوهم انه ذكر آلهتهم بخير) كما ارتضاه الحافظ لا خوفا من مخالفة المسلمين فى ذلك المجلس كما جوزه الكرمانى اذ لا يظهر له وجه بل الظاهر العكس انتهى فرضوا وقالوا قد عرفنا أن الله يحيى ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فاما اذا جعلت لها نصيبا فنحن معك فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس فى البيت (وفشا ذلك فى الناس وأظهره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة و) بلغ (من بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا مع النبى صلى الله عليه وسلم وقد أمن المسلمون بمكة) من الاذى فقال القوم عشائرنا أحب الينا (فأقبلوا) حال كونهم (سراعا) أى مسرعين (من الحبشة) حتى اذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركبا من كنانة فسألوهم عن قريش فقالوا ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم عاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر فتركناهم على ذلك فائتمر القوم فى الرجوع الى الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة فندخل فننظر ما فيه قريش ويحدث عهدا من أراد باهله ثم نرجع فدخلوها ولم يدخل أحد منهم الا بجوار الا ابن مسعود فانه مكث يسيرا ثم رجع الى الحبشة كذا فى العيون وروى ابن اسحق عن صالح بن ابراهيم عمن حدثه عن عثمان بن مظعون انه لما رجع من الهجرة الاولى الى الحبشة دخل مكة فى جوار الوليد بن المغيرة فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين وهو آمن رد عليه جواره فبينما هو فى مجلس لقريش وقد عليهم لبيد بن ربيعة قبل اسلامه فقعد ينشدهم من شعره فقال لبيد

ألا كل شئ ما خلا الله باطل فقال عثمان صدقت فقال وكل نعيم لا محالة زائل

فقال كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد متى كان يؤذى جليسكم يا معشر قريش فقام رجل منهم فلطم عثمان فاخضرت عينه فلامه الوليد على رد جواره فقال قد كنت فى ذمة منيعة فقال عثمان ان عينى الاخرى الى ما أصاب أختها فى الله لفقيرة فقال له الوليد فعد الى جوارك فقال بل أرضى بجوار الله تعالى (والغرانيق) بغين معجمة المراد بها هنا الاصنام

وهى (فى الاصل المذكور من طير الماء) وقيل طير الماء مطلقا اذا كان أبيض طويل العنق وهى جمع (واحدها غرنوق) بضم الغين والنون وبكسر الغين واسكان الراء وفتح النون ذكرهما فى النور (وغرنيق) بضم المعجمة وفتح النون كما فى النور والقاموس وفى الشامى بكسر الغين وفتح النون (سمى به لبياضه وقيل هو الكركى" والغرنوق أيضا الشاب الابيض الناعم وكانوا يزعمون أن الاصنام تقربهم من الله وتشفع لهم) عنده كما فى التنزيل ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونقل الحلبى فى تفسير قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا أن مشركى العرب زعمت فى اللات والعزى ومناة أنها بنات الله تقربهم له لسماعهم كلامها وانما كان يكلمهم شياطين الجن من أجوافها (فشبهت) الاصنام (بالطيور التى تعلو فى السماء وترتفع) تشبيها بليغا بحذف الاداة أو استعارة بحذف المشبه والاصل تلك آلهة مرتفعة كالغرانيق فى ارتفاعها فحذف المشبه واستعمل اسم المشبه به فيه بجامع الارتفاع فيهما المعنوى" للاصنام الحسى" للطيور (ولما تبين للمشركين عدم ذلك) الذى توهموه من تعظيم النبى" صلى الله عليه وسلم لآلهتهم حاشاه (رجعوا الى أشد ما كانوا عليه) من ايذائه وايذاء أصحابه ولقى مهاجروا الحبشة منهم الاذى الشديد (وقد تكلم القاضى عياض فى الشفاء على هذه القصة) لاشكالها اذ مدح اله غير الله كفر ولا يصح نسبته الى نبى" فذكر لها محامل على تقدير الصحة (و) تكلم على (توهين) تضعيف (أصلها) من جهة الرواة (بما يشفى ويكفى لكن تعقب فى بعضه) وهو دعواه بطلانها وفى بعض المحامل (كما سيأتى ان شاء الله تعالى) قريبا (وقال الامام فخر الدين الرازى) نحو كلام عياض (مما تلخيصه من تفسيره هذه القصة باطلة موضوعة ولا يجوز القول بها) الا مع بيان بطلانها كما هو شأن الموضوع (قال الله تعالى وما ينطق) بما يأتيكم به (عن الهوى) هوى نفسه (ان) ما (هو الا وحى يوحى) اليه (وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى) فانه كان صلى الله عليه وسلم اذا أتاه جبريل بالوحى لم يفرغ جبريل من الوحى حتى يتكلم صلى الله عليه وسلم بأوله مخافة أن ينساه فأنزل الله سنقرئك فلا تنسى رواه الطبرانى" وابن أبى حاتم عن ابن عباس باسناد ضعيف (وقال البيهقى" هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعونون) من الحذف والايصال أى مطعون أى مقدوح فيهم (وأيضا فقد روى البخارى" فى صحيحه) وكذا مسلم عن ابن مسعود (أنه عليه الصلاة والسلام قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق) فدل على خطا من ذكرها (بل روى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها ألبتة) بهمزة قطع على غير قياس (حديث الغرانيق) فهذا دليل بطلانها من جهة الاسناد والرواية (و) أما من جهة النظر فانه (لاشك ان من جوز على الرسول تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم بالضرورة أن اعظم سعيه كان فى نفى الاوثان ولو جوزنا ذلك ارتفع الامان عن شرعه) وعطف سببا على مسبب قوله (وجوزنا فى كل واحد من الاحكام والشرائع أن يكون كذلك) أى مما ألقاه الشيطان على لسانه (ويبطل قوله) أى فائدة قوله (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) أى

فلم تكن عاملا بالآية اذ العمل بها تبليغ ما أنزل اليه فلو زاد انتفى التبليغ (فانه لا فرق فى الفعل بين النقصان فى الوحى والزيادة فيه فبهذه الوجوه) النقلية والعقلية (عرفنا على سبيل الاجمال أن هذه القصة موضوعة وقد قيل ان هذه القصة من موضوع الزنادقة لا أصل لها انتهى) وقال عياض لا شك فى ادخال بعض شياطين الانس او الجن هذا الحديث على بعض مغفلى المحدثين ليلبس على ضعفاء المسلمين انتهى (وليس كذلك بل لها أصل) قوى (فقد خرجها ابن أبى حاتم) الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر التميمى الحنظلى الرازى صاحب التصانيف الكثيرة الثقة كان بحرا فى العلوم ومعرفة الرجال وزاهدا يعد من الابدال توفى سنة سبع وعشرين وثلثمائة وقد ناهز التسعين (والطبرى) محمد بن جرير البغدادى عالم الدنيا (و) محمد بن ابراهيم (ابن المنذر) النيسابورى نزيل مكة صاحب التصانيف الحافظ كان غاية فى معرفة الخلاف والدليل فقيها مجتهدا لا يقلد أحدا مات سنة تسع أو عشر أو ست عشرة أو ثمان عشرة وثلثمائة (من طرق عن شعبة) بضم المعجمة وسكون المهملة ابن الحجاج الواسطى ثم البصرى أمير المؤمنين فى الحديث كان من سادات زمانه حفظا واتقانا وورعا وفضلا قال الشافعى لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ولد سنة اثنتين وثمانين ومات بالبصرة سنة ستين ومائة (عن أبى بشر) بكسر الموحدة وسكون المعجمة جعفر بن أبى وحشية بفتح الواو وسكون المهملة وكسر المعجمة وشد التحتية اسمه اياس بالكسر وخفة التحتية الواسطى الثقة من رجال الصحيح توفى سنة أربع أو خمس أو ست وعشرين ومائة (عن سعيد بن جبير) التابعى المشهور المقتول ظلما (وكذا) خرجها الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى (ابن مردويه) بفتح الميم وتكسر كما مر (والبزار) الحافظ العلامة الشهير أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى صاحب المسند الكبير المعلل مات بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين (وابن اسحق) محمد (فى السيرة وموسى بن عقبة) بالقاف ابن أبى عياش القرشى مولاهم المدنى التابعى الصغير الثقة الثبت الحافظ الفقيه توفى سنة احدى وأربعين ومائة (فى المغازى) له التى كان تلميذه مالك اذا سئل عنها قال عليك بمغازى الرجل الصالح موسى بن عقبة فانها أصح المغازى وقال الشافعى ليس فى المغازى أصح من كتاب موسى مع صغره وخلوه من أكثر ما يذكر فى كتب غيره رواه الخطيب (وأبو معشر) بفتح الميم واسكان المهملة وفتح المعجمة نجيح بن عبد الرحمن الهاشمى مولاهم السندى قال أحمد صدوق لا يقيم الاسناد و ابن معين ليس بالقوى وابن عدى يكتب حديثه مع ضعفه مات سنة سبعين ومائة (فى السيرة) وقد قال مغلطاى أبو معشر من المعتمدين فى السير (كما نبه عليه الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره لكن قال) ابن كثير (ان طرقها كلها مرسلة وانه لم يرها مسندة) أى موصولة (من وجه صحيح وهذا متعقب بما سيأتى) قريبا من اخراج جماعة لها عن ابن عباس وجوابه انه قيد عدم رؤيته بالصحة والآتى لم يبلغها فلا يتعقب به (وكذا نبه على ثبوت أصلها شيخ الاسلام والحفاظ أبو الفضل) أحمد بن على بن حجر (العسقلانى فقال أخرج ابن أبى حاتم) الحافظ الكبير ابن الحافظ الشهير (والطبرى) محمد بن جرير (وابن

المنذر) بضم الميم واسكان النون وكسر المعجمة ثم راء (من طرق عن شعبة) بن الحجاج بن الورد وليس الثقفى الطالم (عن أبى بشر) جعفر بن اياس (عن سعيد بن جبير) تقدم السنة قريبا (قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم) فى رمضان سنة خمس من المبعث وكان خروج أهل الحبشة اليها فى رجب وقدومهم فى شوال قاله الواقدى قال فى النور فهذا تباين لكن يحتمل انه تحدث بذلك قبل وقوعه وفيه مافيه انتهى وقد يقال لا تباين لان الحبشة باليمن كما مر فيمكن وصول الخبر فى تلك المدة ولا سيما البحر قد يقطع فيه مسافات كثيرة فى ايام قليلة (فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فقال المشركون ماذكر الهتنا بخير قبل اليوم فسجد) لما ختم السورة (وسجدوا) معه وكبر ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم (فنزلت هذه الآية) تسلية له (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته) أى فى قراءته بين كلمات القرآن (الآية) اتلها (وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد) بن الاسود العنسى أبى عبد الله البصرى مات سنة مائتين أو واحدى (عن شعبة فقال فى اسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب) أى اظن (ثم ساق الحديث) المذكور (وقال البزار) عقب تخريجه (لا يروى متصلا الا بهذا الاسناد وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور) أخرج له مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى مع كون سعيد لم يجزم بوصله اعاظنه كما علم (وقال) البزار أيضا (انما يروى هذا من طريق الكلبى عن أبى صالح) باذان بنون أو باذام بميم وذاله معجمة عن مولاته أم هانئ وعلى وعنه السدى وغيره أخرج له أصحاب السنن وقال أبو حاتم لا يحتج به وفى التقريب انه مقبول (عن ابن عباس انتهى والكلبى) وهو محمد بن السائب (متروك لا يعتمد عليه) بل قال ابن الجوزى انه من كبار الوضاعين وشيخه أبو صالح فيه مقال وقال ابن حبان يروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس التفسير وأبو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع الكلبى من أبى صالح الا الحرف بعد الحرف فلما احتيج اليه أخرجت الارض أفلاذ كبدها لا يحل ذكره فى الكتب فكيف الاحتجاج به (وكذا أخرجه النحاس) الحافظ الامام الصدوق أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى المصرى نزيل نيسابور ذو الرحلة الواسعة والمعرفة الجيدة روى عنه الحاكم وقال حافظ يتحرى الصدق فى مذاكراته مات سنة ست وسبعين وثلثمائة عن خمس وثمانين سنة (بسند آخر فيه الواقدى) محمد بن عمر بن واقد الاسلمى المدنى الذى استقر الاجماع على وهنه كما فى الميزان (وذكرها ابن اسحق فى السيرة) ذكرا (مطولا وأسندها عن محمد بن كعب) القرظى (وكذلك) ذكرها (موسى بن عقبة فى المغازى عن) شيخه (ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهرى (وكذا أبو معشر بالسيرة له عن محمد بن كعب القرظى) بضم القاف وفتح الراء وظاء معجمة نسبة الى بنى قريظة نزل الكوفة مدة ثقة عالم ولد سنة أربعين ووهم من قال فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فقد قال البخارى ان أباه كان ممن لم ينبت فى سبى قريظة مات محمد سنة عشرين ومائة وقيل قبل ذلك (ومحمد بن قيس) شيخ أبى معشر ضعيف ووهم من خلطه بمحمد بن قيس المدنى القاص الثقة كما فى

التقريب (وأورده من طريقه) أى أبى معشر (الطبرى) محمد بن جرير (وأورده ابن أبى حاتم من طريق أسباط) بن نصر الهمدانى بسكون الميم قال فى التقريب صدوق كثير الخطا يغرب (عن السدى) بضم السين وشد الدال المهملتين اسمعيل بن عبد الرحمن (ورواه ابن مردويه من طريق عباد بن صهيب) قال البخارى والنسائى وأبو حاتم متروك وابن المدينى ذهب حديثه وقال ابن حبان يروى المناكير عن المشاهير حتى يشهد المبتدئ فى الصناعة أنها موضوعة وقال زكريا الساجى كانت كتبه ملأى من الكذب وقال أبو داود هو صدوق فيما قد روى وقال أحمد ما كان بصاحب كذب وجمع الحافظ فى الامالى بأنه كان لا يتعمد الكذب بل يقع ذلك فى روايته من غلطه وغفلته ولذا تركوه (عن يحيى بن كثير أبى النضر ضعيف (عن الكلبى عن أبى صالح) البصرى اشتهر بكنيته ومر اسمه (وعن أبى بكر الهذلى) قيل اسمه سلمى بضم السين المهملة ابن عبد الله وقيل روح الاخبارى متروك الحديث كما فى التقريب مات سنة سبع وستين ومائة روى له ابن ماجه (وأيوب ابن كيسان البصرى التابعى الصغير قال فيه شعبة أيوب سيد الفقهاء ما رأيت مثله وقال ابن سعد كان ثقة ثبتا حجة عدلا جامعا ولد سنة أربع وستين ومات سنة احدى وثلاثين ومائة بالبصرة ويقال له السختيانى بفتح المهملة على الصحيح وحكى ضمها وكسرها وفتح الفوقية كما فى اللباب وكسرها كما فى المطالع نسبة الى بيع السختيان وهو الجلد أو الى عمله (عن عكرمة) بن عبد الله البربرى ثم المدنى مولى ابن عباس أحد الاعلام الكبار كان بحرا من البحار ونسبته للكذب على سيده أو البدعة أو سوء العقيدة لا تثبت كما بسطه الحافظ فى مقدمة الفتح مات سنة ست أو سبع ومائة (و) رواه ابن مردويه أيضا عن (سليمان) بن بلال (التيمى) مولاهم المدنى أحد علماء البصرة قال ابن سعد كان بربريا جميلا حسن الهيئة عاقلا ثقة كثير الحديث مات سنة اثنتين وسبعين ومائة (عمن حدثه ثلاثتهم) يعنى أبا صالح وعكرمة والذى حدث سليمان (عن ابن عباس وأوردها الطبرى من طريق العوفى) بسكون الواو وبالفاء عطية بن سعد بن جنادة بجيم مضمومة فنون خفيفة الجدلى بفتح الجيم والمهملة الكوفى أبى الحسن صدوق شيعى مدلس يخطئ كثيرا الا ان الترمذى يحسن حديثه خصوصا مع الشاهد وهذا له شواهد كما ترى مات سنة احدى عشرة ومائة أخرج له أبو داود والنسائى والترمذى وتجويز أن المراد سليمان بن يحيى قاضى مرو لانه يروى عن ابن عباس وابن عمر مردود فقد جزم فى الانساب من التقريب بأن العوفى عطية بن سعد (عن ابن عباس ومعناهم كلهم فى ذلك واحد وكلها) أى كل طريق منها (سوى طريق سعيد ابن جبير اما ضعيف واما منقطع لكن كثرة الطرق تدل على ان للقصة أصلا) وان كان فيها ذلك (مع ان لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح احدهما) أى الطريقين والطريق يذكر ويؤنث (ما أخرجه الطبرى من طريق يونس بن يزيد) بتحتية وزاى الايلى الحافظ روى عن الزهرى ونافع وغيرهما وعنه الليث وابن وهب والاوزاعى وخلق مات بمصر سنة سبع وخمسين ومائة على الصحيح روى له الجميع ووثقه الجمهور مطلقا حتى بالغ أحمد بن صالح فقال لا نقدم على يونس فى الزهرى أحدا (عن) محمد بن مسلم (بن شهاب)

الزهري العلم الشهير قال (حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام) بن المغيرة المخزومي المدني الثقة أحد الفقهاء السبعة التابعي الكبير كثير الحديث من سادات قريش قيل اسمه محمد وقيل المغيرة وقيل أبو بكر وكنيته أبو عبد الرحمن وقيل اسمه وكنيته واحد ولد في خلافة عمر ومات سنة ثلاث أو أربع أو خمس وتسعين (فذكر نحوه) وهذا رجاله على شرط الشيخين (والثاني ما أخرجه) ابن جرير (أيضا من طريق المعتمر بن سليمان) بن طرخان التيمي الثقة الحافظ البصري المتوفى بها سنة سبع وثمانين ومائة روى له الستة (وحماد بن سلمة) بفتحات ابن دينار البصري أحد الائمة الاثبات العابد الزاهد الحافظ مجاب الدعوة كان يعد من الابدال تزوج سبعين امرأة فلم يولد له لانه لا يولد للبدل احتج به مسلم والاربعة والبخاري في التاريخ وعلق له في الصحيح قال الحافظ ولم يخرج له فيه احتجاجا ولا مقرونا ولا متابعة الا في موضع واحد في الرقاق لانه ساء حفظه في الآخر مات سنة سبع وستين ومائة (كلاهما عن داود بن أبي هند) القشيري مولاهم أبو بكر أو أبو محمد ثقة متقن أخرج له مسلم والاربعة مات سنة أربعين ومائة فهذا على شرط مسلم (عن أبي العالية) بمهملة وتحتية رفيع بضم الراء وفتح الفاء ابن مهران الرياحي براء وتحتية ومهملة البصري التابعي الكبير أسلم بعد الوفاة النبوية بسنتين وقيل فيه ليس بعد الصحابة اعلم منه بالقرآن مات سنة تسعين وقيل ثلاث وقيل غير ذلك (قال الحافظ ابن حجر) أيضا اذ ما قبله كلامه (وقد تجرأ ابن العربي) الحافظ المتبحر في العلوم محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الاشبيلي المالكي القاضي يكنى أبا بكر له التصانيف الحسنة والمناقب الجمة والرحلة الى عدة بلاد في طلب العلوم توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (كعادته) في التجرؤ (فقال ذكر الطبري) يعني ابن جرير (في ذلك روايات كثيرة) باطلة كما في الفتح عنه قبل قوله (لا أصل لها وهو اطلاق مردود عليه) لكثرة الطرق مع المراسيل الثلاثة الصحيحة (وكذا قول القاضي عياض) في الشفاء (هذا الحديث لم يخرجه أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم) أي سالم من الطعن فيه (متصل) قال وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض أهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون (مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع أسانيده) واختلاف كلماته فقائل يقول في الصلاة وآخر في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول قالها الشيطان على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ماهكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي ذلك قال والله ماهكذا أنزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة (وكذا قوله) أي عياض عقب ما زدته منه (ومن حكيت عنه هذه القصة من التابعين) كالزهري وابن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن (والمفسرين) كابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر (لم يسندها أحد منهم) الى النبي صلى الله عليه وسلم (ولا رفعها الى صاحب) من أصحابه (وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية) ساقطة غير مرضية (قال) أي عياض (وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز

ذكره الا طريق) شعبة عن (أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله) من سعيد وهو قوله عن ابن عباس فيما أحسب قال ولم يسنده عن شعبة الا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد وانما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال القاضي (وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه) وكذبه كما أشار اليه البزار انتهى كلامه في الشفاء قال شارحه وفي قوله لقوة ضعفه طباق بديع جدا فهذا ارده من حيث الاسناد (ثم رده) أي عياض (من طريق النظر) أي الفكر الصادر عن عقل سليم مستقيم (بان ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم) لانهم اذا سمعوه مع قرب عهدهم بالاسلام اعتقدوا في الاصنام النفع فيميلون لها (قال ولم ينقل ذلك انتهى) قال الحافظ ابن حجر (وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها) جمع مخرج أي محل خروجها (دل ذلك على ان لها أصلا) اذ يبعد اتفاق طوائف متباينين على ما لا أصل له (وقد ذكرنا ان ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح) ولو لاحدهما وهي طريق ابن جبير وطريق أبي بكر بن عبد الرحمن وطريق أبي العالية (وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمراسيل) لصحتها (وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض) فحصلت لها القوة فقامت بها الحجة عند الفريقين (واذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى فان ذلك لا يجوز) أي يحرم باجماع (حمله على ظاهره لانه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس فيه) كيف وقد قال تعالى ولو تقول علينا الخ وقال اذا لاذقناك الآية (وكذا سهوا اذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته) وهذا يؤذن بجواز زيادته على ما في القرآن سهوا ان وافق ما جاء به من التوحيد وفيه ما فيه فلا يقع منه ذلك ولا سهوا اجماعا حكاه عياض وغيره (وقد سلك العلماء في ذلك مسالك) عبر عن تلبسهم بالاجوبة المختلفة بالدخول في الطرق المختلفة مجازا اذ سلوك الطريق الدخول فيه والمسالك الطرق التي يدخل فيها وقد انصف في الشفاء حيث قال أجاب عن ذلك أئمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين (فقيل جرى ذلك على لسانه حين أصابته) أي عرضت له (سنة) فتور مع أوائل النوم قبل الاستغراق فيه (وهو لا يشعر فلما علم الله) أظهر علمه للناس (بذلك أحكم آياته وهذا أخرجه الطبري عن قتادة) ونقله عياض عنه وعن مقاتل (ورده القاضي عياض بانه لا يصح) وقوعه منه (لكونه لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم) ولذا احتاجوا للجواب عن نومه في الوادي وأجاب شارح الهمزية بان هذا لا يثبت له الولاية عليه غاية الامر أن الشيطان لما رآه اصابته تلك السنة حكى قراءته بصوت يشبه صوته ودفعه شيخنا بان عياضا لم يرد بالولاية عليه السلطنة بحيث يصرفه على لما أمره به بل مراده بنفي الولاية انه لا تسلط له عليه في شيء مما يريد فعله بوجه ما أعم من أن يكون بحمله على موافقته أو بحكاية شيء عنه على وجه الكذب والبهتان (وقيل ان الشيطان ألجأه الى ان قال ذلك بغير اختياره ورده) محمد (بن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الآية قال فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لاحد قوة على طاعة) لانه اذا قدر على الجائه وحاشاه من ذلك

تمنا الناس بعده فهذا الجواب أقبح من القصة (وقيل ان المشركين كانوا اذا ذكروا آلهتهم وصفوها بذلك فعلق ذلك) بكسر اللام أى تعلق (بحفظه صلى الله عليه وسلم فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا وقد رد ذلك القاضى عياض فأجاد) حيث قال هذا انما يصح فيما لم يغير المعانى ويبدل الالفاظ وزيادة ماليس من القرآن بل الجائز عليه السهو عن اسقاط آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر عليه بل ينبه عليه ويذكر به للحين انتهى (وقيل لعله) صلى الله عليه وسلم (قال ذلك توبيخا للكفار) كقول ابراهيم هذا ربى على أحد التأويلات وقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته (قال القاضى عياض وهذا جائز اذا كانت هناك قرينة تدل على المراد) مع بيان الفصل وانه ليس من المتلو (ولاسيما وقد كان الكلام فى ذلك الوقت فى الصلاة جائزا) لفظ عياض ولا يعترض هذا بما روى أنه كان فى الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع (والى هذا نحا) مال القاضى أبو بكر محمد بن الطيب (الباقلانى) البصرى ثم البغدادى الملقب بشيخ السنة ولسان الامة الاصولى الاشعرى المالكى مجدد الدين على رأس المائة الرابعة على الصحيح كما قال الزناتى فى طبقات المالكية وفى الديباج انتهت اليه رياسة المالكية فى وقته وكان حسن الفقه عظيم الجدل وكان له بجامع المنصور حلقة عظيمة وحدث عنه أبو ذر وتوفى يوم السبت لسبع بقين من ذى القعدة سنة ثلاث وأربعمائة (وقيل انه لما وصل الى قوله ومناة الثالثة الاخرى خشى المشركون أن يأتى بعدها بشئ يذم آلهتهم به) كعادته اذا ذكرها (فبادروا الى ذلك الكلام فخلطوه فى تلاوة النبى صلى الله عليه وسلم على عادتهم فى قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرأه (والغوا فيه) أظهروا اللغو برفع الاصوات تخليطا وتشويشا عليه بما يشغل عنه الخواطر لعجزهم عن مثله زاد فى الشفاء واشاعوا ذلك واذاعوه فحزن النبى صلى الله عليه وسلم من كذبهم عليه فسلاه الله بقوله وما أرسلنا من قبلك الآية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن وأحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر الآية (ونسب ذلك للشيطان) ابليس (لكونه الحامل لهم على ذلك) كما جزم به عياض (أو المراد بالشيطان شيطان الانس) أى جنسه قال شيخنا وهذا الجواب أقرب الاجوبة فيما ينبغى وان قال فى شرح الهمزية انه تعسف (وقيل) واستظهره عياض (المراد بالغرانيق العلا الملائكة) كما قاله الكلبى بناء على رواية مجاهد والغرانقة العلا كما قال عياض لا على رواية تلك لانه لم يتقدم للملائكة ذكر حتى يرجع اليه اسم الاشارة (وكان الكفار يقولون الملائكة بنات الله ويعبدونها) قال القاضى فلا يبعد انه على هذا كان قرآنا (فنسق ذكر الكل) أتى به على نظام واحد فقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والغرانقة العلا وان شفاعتهن لترتجى (ليرد عليهم بقوله ألكم الذكر وله الانثى فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع) جهلا أو عنادا أو تلبيسا (وقالوا قد عظم آلهتنا ورضوا بذلك) مع انه انما يعود للغرانقة أى الملائكة لان استعارة الطير لهم أظهر من استعارته للاصنام قال عياض ورجاء الشفاعة منهم صحيح (فنسخ الله تينك الكلمتين) اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس وهما والغرانقة العلا

وان شفاعتهن لترتجى عبر عنهما بالكلمتين مجازا من تسمية الكل باسم الجزء (وأحكم آياته) كما نسخ كثيرا من القرآن وكان فى كل من انزالهما ونسخهما حكمة ليضل به من يشاء ويهدى من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ذكره القاضى عياض (وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن) ترتيلا ويفصل الآيات تفصيلا فى قراءته كما رواه عنه الثقات (فارتصده الشيطان فى سكتة من تلك السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة) أى صوت (النبى صلى الله عليه وسلم) والنغمة فى الاصل الصوت الخفى كما فى القاموس (بحيث سمعه من دنا اليه فظنها من قوله) أى مما تلاه من القرآن (وأشاعها) ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل على ما أنزلت وتحققهم حال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذم الاوثان بل حكى ابن عقبة أن المسلمين لم يسمعوها وانما ألقى الشيطان ذلك فى اسماع المشركين وقلوبهم ويكون حزنه صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة ذكره عياض مريدا به بيان القرينة القائمة على انه ليس من قوله ولا مما أوحى اليه فسقط الاعتراض عليه بانه لا سبيل للشيطان عليه حتى يتمكن من ادخاله فى كلامه ومتلوه ما ليس منه (وقال) أى عياض ما معناه (وهذا أحسن الوجوه) وهو الذى يظهر ويترجح (ويؤيده ما ورد عن ابن عباس من تفسير تمنى بتلا) قال تعالى لا يعلمون الكتاب الا امانى أى تلاوة (وكذا استحسن ابن العربى) الحافظ محمد (هذا التأويل وقال معنى قوله فى أمنيته أى فى تلاوته فاخبر الله تعالى أن سنة الله فى رسله) عليهم الصلاة والسلام (اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل) بكسر ففتح جهة (نفسه فهذا نص فى أن الشيطان زاد فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لا أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله) حتى يحتاج للعذر بشئ مما سبق (وقد سبق عياضا وابن العربى (الى ذلك) أبو جعفر بن جرير (الطبرى مع جلالة قدره وسعة علمه) بحيث قال فيه امام الائمة ابن خزيمة ما أعلم على أديم الارض اعلم منه وقال الخطيب كان أحد الائمة يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره حافظا للقرآن بصيرا بالمعانى فقيها فى أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين بصيرا بايام الناس واخبارهم له تاريخ الاسلام والتفسير الذى لم يصنف مثله (وشدة ساعده فى النظر) وله فى الاصول والفروع كتب كثيرة وعده السيوطى فى العشرة الذين دونت مذاهبهم وكان لهم أتباع يفتون بقولهم ويقضون ولم ينقرضوا الا بعد الخمسمائة لموت العلماء لكن قال ابن فرحون فى الديباج انقطعت أتباع الطبرى بعد الاربعمائة (فصوب هذا المعنى انتهى) كلام فتح البارى فى التفسير وكذا ارتضاه الامام الرازى وقال انه الجواب السديد واختاره أيضا فى المواقف والمدارك والانوار وغيرها والله أعلم

* الهجرة الثانية الى الحبشة ونقض الصحيفة *

(ثم هاجر المسلمون) الهجرة (الثانية الى أرض الحبشة) باذنه صلى الله عليه وسلم كما فى رواية

لما استقبلوهم حين رجعوا بالاذى والشر فرجع الاولون ومعهم خلق سواهم (وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم) فقد شك فيه ابن اسحق وقال السهيلي الاصح عند أهل السير كالواقدي وابن عقبة وغيرهما انه لم يكن فيهم انتهى وجزم في الاستيعاب بهجرته وكلام العيون كما في النور يقتضي اختياره لانه قال في تعدادهم وعمار ابن ياسر وفيه خلاف وقيل ان أبا موسى كان فيهم وليس كذلك ولكنه خرج في طائفة من قومه الى ارضهم باليمن يريدون المدينة فركبوا البحر فرمتهم الريح الى الحبشة فأقام هنالك حتى قدم مع جعفر انتهى وروى أحمد باسناد حسن عن ابن مسعود بعثنا صلى الله عليه وسلم الى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا فيهم ابن مسعود وجعفر وعبد الله بن عرفطة وعثمان ابن مظعون وأبو موسى الاشعري الحديث واستشكل ذكر أبي موسى لان الذي في الصحيحين عنه بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فركبنا سفينة فالقتنا سفينتنا الى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا المدينة فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فقال لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان قال الحافظ ويمكن الجمع بأن أبا موسى هاجر أولا الى مكة فأسلم فبعثه صلى الله عليه وسلم مع من بعث الى الحبشة فتوجه هو الى بلاد قومه وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي فلما تحققوا استقراره صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه الى المدينة فالقتهم السفينة لاجل هيجان الريح الى الحبشة فهذا محتمل وفيه جمع بين الاخبار فليعتمد وعلى هذا فقول أبي موسى بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم أي الى المدينة لا بلغنا مبعثه لانه يبعد كل البعد أن يتأخر علم مبعثه الى مضي نحو عشرين سنة ومع الحمل على مخرجه الى المدينة فلا بد من زيادة استقراره بها وانتصافه ممن عاداه ونحو ذلك اذ يبعد أيضا أن يخفى عنهم خبر خروجه الى المدينة ست سنين ويحتمل ان اقامة أبي موسى بالحبشة طالت لتأخر جعفر عن الحضور الى المدينة حتى يؤذنه صلى الله عليه وسلم بالقدوم وذكر ابن مظعون فيهم وان كان مذكورا في الاولى لانهم رجعوا معهم كما ذكره ابن اسحق وابن عقبة وغيرهما (وثماني عشرة امرأة) احدى عشرة قرشيات وسبع غرباء كما في العيون فالجملة مائة أو واثنان ان عد عمار وأبو موسى قال ابن اسحق فلما سمعوا بمهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلا وثمان نسوة فمات منهم رجلان بمكة وحبس سبعة وشهد منهم بدرا أربعة وعشرون (وكان منهم عبيد الله) بضم العين (ابن جحش) أخو عبد الله بفتح العين المستشهد باحد (مع امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتنصر هنالك) روى ابن سعد عنها رأيت في المنام كان زوجي عبيد الله باسوأ صورة ففزعت فاصبحت فاذا به قد تنصر فأخبرته بالمنام فلم يحفل به وأكب على الخمر حتى مات فأتاني آت في نومي فقال يا أم المؤمنين ففزعت فما هو الا ان انقضت عدتي فما شعرت الا برسول النجاشي يستأذن فاذا هي جارية يقال لها ابرهة فقالت ان الملك يقول لك وكلي من يزوجك فوكلت خالد بن سعيد بن العاصي الحديث (ثم مات على دين النصرانية وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة) رملة على الاصح وقيل هند اشتهرت بابنتها حبيبة من عبيد الله المذكور وهي صحابية ربيبة المصطفى

اختلاف هل ولدت بمكة أو الحبشة (بنت أبى سفيان) صخر بن حرب رضى الله عنه (سنة سبع من الهجرة الى المدينة) متعلق بالهجرة (وهى بالحبشة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى المقصد الثانى عند ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم) وروى أحمد باسناد حسن عن ابن مسعود قال بعثت قريش عمرو بن العاصى وعمارة بن الوليد بهدية فقدما على النجاشى فدخلا عليه وسجدا له وابتدراه فقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله فقالا ان نفرا من بنى عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال وأين هم قال هم بأرضك فأرسل فى طلبهم فقال جعفر أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه فدخل فسلم فقالوا مالك لا تسجد للملك فقال انا لا نسجد الا لله عز وجل قالوا ولم ذلك قال ان الله أرسل فينا رسولا وأمرنا أن لا نسجد الا لله وأمرنا بالصلاة والزكاة قال عمرو فانهم يخالفونك فى ابن مريم وأمه قال فما تقول فيهما قال نقول كما قال الله روح الله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول التى لم يمسها بشر ولم يعرضها ولد فرفع النجاشى عودا من الارض فقال يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ما يزيد على ما تقولون أشهد انه رسول الله وانه الذى بشر به عيسى فى الانجيل والله لولا ما انا فيه من الملك لاتيته فأكون انا الذى احمل نعليه وأوضئه وقال انزلوا حيث شئتم وأمر بهدية الآخرين فردت عليهما وتعجل ابن مسعود فشهد بدرا وفى رواية فقال النجاشى مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده وأنا أشهد أنه رسول الله وتوفى النجاشى بعد الهجرة سنة تسع عند الاكثر وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة كما ذكره البيهقى فى الدلائل (وخرج أبو بكر الصديق) كما فى الصحيح عن عائشة لم اعقل أبوى الا وهما يدينان الدين ولا يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر (رضى الله عنه) مهاجرا (الى الحبشة) ليلحق من سبقه من المهاجرين اليها (حتى بلغ برك) بفتح الموحدة وحكى كسرها وسكون الراء فكاف (الغماد) بكسر المعجمة على المشهور من الروايات وجزم ابن خالويه بضمها وخطأ الكسر وجوز أبو عبيد وغيره الضم والكسر والقزاز وغيره الفتح أيضا وذكره ابن عديس فى المثلث وأغرب من حكى اهمال العين وميم خفيفة فألف فدال مهملة قال الحازمى موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن وقال البكرى هى اقاصى هجر وقال الهمدانى فى اقصى اليمن قال الحافظ والاول أولى انتهى وعورض هذا بما رواه ابن اسحق عن الزهرى عن عروة عن عائشة استأذن أبو بكر رسول الله فى الهجرة فأذن له فخرج أبو بكر مهاجرا حتى اذا سار يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة الحديث وسنده حسن أو صحيح وبين برك الغماد وبين يوم أو يومين تباين كثير وجمع بأنهما لم تعن المكان المخصوص بل مكانا بعيدا فانها تقال فيما تباعد كسعفات هجر وحوض الثعلب أو أرادت حتى بلغ أقصى المعمور من مكة فان برك الغماد فسرت بذلك أو حديث الصحيح فيه زيادة فيؤخذ بها (ورجع فى جوار سيد القارة) بقاف وراء خفيفة قبيلة مشهورة من بنى الهون بضم الهاء والتخفيف ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكانوا حلفاء بنى زهرة من قريش ويضرب بهم المثل فى قوة الرمى قال الشاعر قد أنصف القارة من راماها (ابن الدغنة) قال فى النور لا أعلم له اسلاما (بفتح الدال المهملة وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون) كما ضبطه

الحافظ للرواة وقال قال الاصيلي قرأه انا المروزي بفتح الغين والصواب الكسر (وبضم الدال والغين وتشديد النون) عند أهل اللغة وبه رواه أبو ذر في الصحيح ولذا قال النووي روي بهما في الصحيح وفي الفتح ثبت بالتخفيف والتشديد من طريق وهي آمه وقيل أم أبيه وقيل دايته وقيل لاسترخاء كان في لسانه ومعنى الدغنة المسترخية وأصلها الغمامة الكثيرة المطر واختلف في اسمه فعند البلاذري من طريق الواقدي عن معمر عن الزهري انه الحرث ابن يزيد وحكى السهيلي انه مالك وقول الكرماني سماه ابن اسحق ربيعة بن ربيع وهم فالذي ذكره ابن اسحق شخص غير هذا اسلمي وهذا من القارة وأيضا انما ذكره في غزوة حنين وانه صحابي ولم يذكر في قصة الهجرة وكان رجوعه بطلب ابن الدغنة ففي الصحيح خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن اسيح في الارض واعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف عشية في اشراف قريش فقال ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر بذلك (يعبد ربه في داره) ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره قال الحافظ ولم يقع لي بيان المدة التي أقام فيها أبو بكر على ذلك (وابتنى) لفظ عائشة ثم بدا لابي بكر فابتنى (مسجدا بفناء داره) بكسر الفاء وخفة النون والمد أي أمامها (وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن) أي ما نزل منه كله أو بعضه (فيتقصف) بتحتية ففوقية فقاف فصاد مهملة ثقيلة مفتوحتين أي يزدحم (عليه نساء المشركين وأبناؤهم) حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر قال الحافظ وأطلق يتقصف مبالغة يعني لانهم لم يصلوا الى هذه الحالة وفي رواية المستملي والمروزي ينقذف بتحتية مفتوحة فنون ساكنة فقاف مفتوحة فذال معجمة مكسورة ففاء قال الخطابي ولا معنى له والمحفوظ الاول الا أن يكون من القذف أي يتدافعون فيقذف بعضهم بعضا فيتساقطون عليه فيرجع الى معنى الاول وفي رواية الكشميهني والجرجاني فينقصف بنون ساكنة بدل الفوقية وكسر الصاد أي يسقط (ويعجبون منه وكان أبو بكر رجلا بكاء) بشد الكاف كثير البكاء (لا يملك عينيه) قال الحافظ أي لا يطيق امساكهما عن البكاء من رقة قلبه (اذا قرأ القرآن) اذا ظرفية والعامل فيه لا يملك أو شرطية والجزاء مقدر (فأفزع ذلك) أي أخاف ما فعله أبو بكر (اشراف قريش من المشركين) لما يعلمونه من رقة قلوب النساء والشباب أن يميلوا الى الاسلام قال في الرواية فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم (فقالوا انا كنا اجرنا أبا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه و (انا قد خشينا أن يفتن) بفتح أوله أبو بكر (نساءنا وأبناءنا)

بالنصب مفعول كذا رواه أبو ذر ورواه الباقون بفتح بضم أوله نساؤنا بالرفع على البناء للمجهول قاله الحافظ (فانهم) عن ذلك (فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وان أبى الا أن يعلن فسله) بفتح السين وسكون اللام بلا همز نسب هذا الحافظ للكشميهنى وصدر بقوله فاسأله بالهمز (أن يرد اليك ذمتك) أمانك له (فانا قد كرهنا أن نخفرك) بضم النون وسكون المعجمة وكسر الفاء يقال خفره اذا حفظه وأخفره اذا غدر أى نغدرك قال فى الرواية ولسنا مقرين لابى بكر الاستعلان فأتى ابن الدغنة الى أبى بكر قال قد علمت الذى عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترجع الى ذمتى فانى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له (فقال أبو بكر لابن الدغنة فانى أرد اليك جوارك) بكسر الجيم وضمها وراء (وأرضى بجوار الله) عز وجل أى بحمايته (الحديث رواه البخارى) فى باب الهجرة الى المدينة مطولا وليس فى بقيته غرض يتعلق بما هنا فانما أراد المصنف افادة ان ماذكره قطعة منه ورواه البخارى أيضا فى مواضع مختصرا قال الحافظ وفيه من فضائل الصديق أشياء كثيرة قد امتاز بها عمن سواه ظاهرة لمن تأملها قال وفى موافقة ابن الدغنة فى وصف الصديق لخديجة فيما وصفت به النبى صلى الله عليه وسلم ما يدل على عظيم فضل الصديق واتصافه بالصفات البالغة فى أنواع الكمال انتهى ونحوه فى النور وزاد وفى الحديث كنت أنا وأبو بكر كفرسى رهان فسبقته الى النبوة وقد خلق النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر من طينة واحدة (ثم) فى السنة العاشرة أو التاسعة (قام رجال فى نقض الصحيفة) التى كتبت على بنى هاشم والمطلب أشدهم فى ذلك صنيعا هشام بن عمرو بن الحرث العامرى أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وكانت أم أبيه تحت هاشم بن عبد مناف قبل أن يتزوجها جده وكان يصلهم فى الشعب أدخل عليهم فى ليلة ثلاثة أحمال طعاما ما فعلمت قريش فمشوا اليه حين أصبح فكلموه فقال انى غير عائد لشئ خالفكم فانصرفوا عنه ثم عاد الثانية فأدخل عليهم حملا أو حملين فغالظته قريش وهمت به فقال أبو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل أهل رحمه أما انى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل لكان أحسن بنا ثم مشى هشام الى زهير بن أبى أمية وأسلم بعد وأمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت فقال ويحك يا هشام فماذا أصنع فانما أنا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها فقال أنا معك فقال ابغنا ثالثا ومشيا جميعا الى المطعم بن عدى وقالا له أرضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد فقال انما أنا واحد فقالا انا معك فقال ابغنا رابعا فذهب الى أبى البخترى القاضى ابن هشام فقال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة بن الاسود فقعد والسلايا على مكة وتعاقدوا على ذلك فلما جلسوا فى الحجر تكلموا فى ذلك وأنكروه فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل وفى آخر الامر أخرجوا الصحيفة ومزقوها وأبطلوا حكمها هذا ملخص ما ذكر ابن اسحق (فأطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على ان الارضة) بفتح الهمزة والراء والضاد المعجمة دويبة صغيرة كالعدسة تأكل الخشب (اكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع الا أسماء الله فقط) فيما ذكر ابن

هشام وأما ابن اسحق وابن عقبة وعروة فذكروا عكس ذلك وهو أن الارضة لم تدع اسماً لله الا أكلته وبقي ما فيها من الظلم والقطيعة قال البرهان ما حاصله وهذا أثبت من الاول فعلى تقدير تساوي الروايتين يجمع بأنهم كتبوا نسختين فأبقت في احداهما ذكر الله وفي الاخرى خلافه وعلقوا احداهما في الكعبة والاخرى عندهم فأكلت من بعضها اسم الله ومن بعضها ما عداه لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم انتهى قال في الرواية فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لعمه فقال أربك أخبرك بهذا قال نعم قال لا والثواقب ما كذبتني قط فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فأنكر قريش ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال أبو طالب جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم فائتوا بها لعل أن يكون بيننا وبينكم صلح وانما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها فأتوا بها معجبين لا يشكون أنه صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم فوضعوها بينهم وقالوا لابي طالب قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال انما أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم ان ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أن الله بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها اسماً لله الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم فان كان كما قال فأفيقوا فلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان باطلا دفعناه اليكم فقتلتم أو استحييتم فقالوا رضينا ففتحوها فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا والجمع بين هذا وبين ما مر من سعي رجال في نقضها باحتمال أنهم لما جلسوا في الحجر وتكلموا وافق قدوم أبي طالب وقومه عليهم بهذا الخبر فزادهم ذلك رغبة فيما هم فيه (فلما أنزلت لتمزق) اللام للعاقبة (وجدت كما قال عليه الصلاة والسلام) لا للتعليل فلا يرد أنها لم تنزل وقت سؤال أبي طالب لتمزق بل لينظر ما فيها فقط وأن القائمين في نقضها لم يستندوا فيه الى اخباره صلى الله عليه وسلم وأجاب شيخنا بأن انزالها للتمزق كان بفعل المجتهدين لانزالها لا لسؤال أبي طالب (وكان ذلك في السنة العاشرة) من النبوة بناء على ما صدر به فيما مر أن اقامتهم بالشعب ثلاث سنين أما على قول ابن سعد سنتين فيكون في التاسعة والله أعلم

* وفاة خديجة وأبي طالب *

(ولما أتت عليه صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر واحدى عشر يوما) كما حرره بعض المتقنين (مات عمه أبو طالب) بعد خروجهم من الشعب في ثاني عشر رمضان سنة عشر من النبوة (وقيل مات) بعد ذلك بقليل (في شوال من السنة العاشرة) متعلق بكل من القولين كما علم (وقال ابن الجزار قبل هجرته عليه الصلاة والسلام بثلاث سنين) وهذا يأتي على كلا القولين قبله لانه اذا مات في ذلك كان قبلها بثلاث وفي الاستيعاب خرجوا من الشعب في أول سنة خمسين وتوفي أبو طالب بعده بستة أشهر فتكون وفاته في رجب وفي سيرة الحافظ مات في السنة العاشرة بعد خروجهم من الشعب بثمانية أشهر وعشرين يوما (وروى) مرضه لان مجموع رواية ابن اسحق ضعيف فلا يرد أن صدر الحديث الى قوله فلما رأى أبو طالب صحيح فقد أخرجه البخاري في الجنائز والتفسير وباب قصة أبي

طالب

طالب عن سعيد بن المسيب عن أبيه أي المسيب بن حزن بفتح المهملة وسكون الزاي (أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته) قبل الغرغرة (يا عم) وفي رواية أي عم وأي هنا لنداء القريب (قل لا إله إلا الله) أي ومحمد رسول الله لان الكلمتين صارا كالكلمة الواحدة ويحتمل أن يكون أبو طالب كان يتحقق أنه رسول الله ولكن كان لا يقر بتوحيد الله ولذا قال في الابيات النونية

ودعوتني وعلمت أنك صادق * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

فاقتصر على أمره له بقوله لا إله إلا الله فاذا أقر بالتوحيد لم يتوقف على الشهادة له بالرسالة قاله الحافظ (كلمة) نصب بدل من مقول القول وهو لا إله إلا الله أو على الاختصاص قال الطيبي والاول أحسن ويجوز الرفع أي هي كلمة (أستحل لك بها الشفاعة) وفي الوفاة أحاج وفي الجنائز أشهد لك بها عند الله قال الطيبي مجزوم على جواب الامر أي ان تقل أشهد وقال الزركشي في موضع نصب صفة كلمة قال الحافظ كأنه صلى الله عليه وسلم فهم من امتناعه من الشهادة في تلك الحالة أنه ظن ان ذلك لا ينفعه لوقوعه عند الموت أو لكونه لم يتمكن من سائر الاعمال كالصلاة وغيرها فلهذا ذكر له المحاجة وأما لفظ الشهادة فيحتمل أن يكون ظن أن ذلك لا ينفعه اذ لم يحضره حينئذ أحد من المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وسلم فطيب قلبه بأنه يشهد له بها فينفعه (يوم القيامة) والشفاعة لا تستلزم أن تكون عن ذنب بل تكون في نحو رفع الدرجات في الجنة فلا يشكل بأن الاسلام يجب ما قبله فأي ذنب يشفع فيه لو أسلم ويتعسف الجواب بأنها فيما يحصل من الذنوب بتقدير وقوعها (فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم) على ايمانه (قال له يا ابن أخي لولا مخافة قول (قريش اني انما قلتها جزعا) بجيم وزاي خوفا كما نقله النووي عن جميع روايات المحدثين وأصحاب الاخبار أو بخاء معجمة وراء مفتوحتين كما قاله الهروي وثعلب وشمر واختاره الخطابي والزمخشري قال عياض ونبهنا غير واحد من شيوخنا على انه الصواب أي خورا وضعفا وقال شمر دهشا (من الموت لقلتها) ولو قلتها (لا أقولها الا لامر لتسربها) لا اذعانا حقيقة حكمة بالغة (فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فأصغى اليه باذنه فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها) لم يصرح بها العباس لانه لم يكن أسلم حينئذ (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع) وثبت في نسخة زيادة ولم يكن العباس حينئذ مسلما وهي وان صحت في نفسها لكنها ليست عند ابن اسحق (كذا في رواية ابن اسحق) عن ابن عباس باسناد فيه من لم يسم (أنه) أي افادة انه (أسلم عند الموت) من قول العباس لقد قال ولم يروه بلفظ انه أسلم عند الموت كما توهم فقد ساق ابن هشام في السيرة والحافظ في الفتح لفظه وما فيه ذلك وبهذا احتج الرافضة ومن تبعهم على اسلامه (وأجيب) كما قال الامام السهيلي في الروض (بأن شهادة العباس لابي طالب لو أداها بعد ما أسلم كانت مقبولة ولم ترد) شهادته (بقوله عليه السلام لم أسمع لان الشاهد العدل اذا قال سمعت وقال من هو أعدل منه لم أسمع أخذ بقول من أثبت السماع) قال السهيلي لان عدم السماع يحتمل اسبابا منعت الشاهد من السمع (ولكن العباس شهد

بذلك قبل أن يسلم) فلا تقبل شهادته (مع ان الصحيح من الحديث قد أثبت لابي طالب الوفاة على الكفر والشرك كما رويناه في صحيح البخاري) في مواضع (من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يردانه (حتى قال أبو طالب آخر) نصب على الظرفية (ما كلمهم) وفي رواية آخر شئ كلمهم به (على ملة عبد المطلب) خبر مبتدا محذوف أي هو وثبت ذلك في طريق أخرى قاله الحافظ قال السهيلي في الروض ظاهر الحديث يقتضي ان عبد المطلب مات مشركا وحكى المسعودي فيه خلافا وأنه قيل مات مسلما لما رأى من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وعلم أنه انما يبعث بالتوحيد لكن روى البزار والنسائي عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة وقد عزت قوما من الانصار عن ميتهم لعلك بلغت معهم الكدى قالت لا قال لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك قال وقد رواه أبو داود ولم يذكر فيه حتى يراها جد أبيك وفي قوله جد أبيك ولم يقل جدك تقوية الحديث الضعيف ان الله أحيا أباه وأمه وآمنا به قال ويحتمل أنه أراد تخويفها بذلك لان قوله صلى الله عليه وسلم حق وبلوغها معهم الكدى لا يوجب خلودا في النار انتهى لكن يؤيد القول باسلامه أن النبي صلى الله عليه وسلم انتسب اليه يوم حنين فقال انا ابن عبد المطلب مع نهيه عن الانتساب الى الآباء الكفار في عدة أحاديث وان كان حديث البخاري المذكور مصادما قويا الا يوجد له تأويل قريب والبعيد يأباه أهل الاصول ولذا وقف السهيلي عن الترجيح قال السيوطي وخطر لي في تأويله وجهان بعيدان فتركتهما وأما حديث النسائي فتأويله قريب وقد فتح السهيلي بابه ولم يستوفه انتهى قلت التأويل وان كان بعيدا لكنه قد يتعين هنا جمعا بينه وبين حديث البخاري عن أبي هريرة رفعه بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه وفي مسلم واصطفى من قريش بني هاشم ومعلوم ان الخيرية والاصطفاء من الله تعالى والافضلية عنده لا تكون مع الشرك وفي التنزيل ولعبد مؤمن خير من مشرك وقد أورده في الاصابة أعني عبد المطلب وقال ذكره ابن السكن في الصحابة لما جاء عنه انه ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم سيبعث كما ذكروا بحيرا الراهب وأنظاره ممن مات قبل البعثة انتهى (وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله) وفي رواية مسلم أما والله بزيادة اما قال النووي بألف ودونها وكلاهما صحيح قال ابن الشجري في اماليه ما الزائدة للتوكيد ركبوها مع همزة الاستفهام واستعملوا مجموعهما على وجهين أحدهما ان يراد به معنى حقا في قولهم أما والله لافعلن والآخر أن يكون افتتاحا للكلام بمنزلة ألا كقولك أما ان زيدا منطلق وأكثر ما تحذف الالف اذا وقع بعدها القسم ليدل على شدة اتصال الثاني بالاول لان الكلمة اذا بقيت على حرف لم تقم بنفسها فعلم بحذف ألف ما افتقارها الى الاتصال بالهمز انتهى (لاستغفرن لك) كما استغفر ابراهيم لابيه (مالم أنه) بضم الهمزة وسكون النون مبني للمفعول (عنك) أى ان لم ينهني الله عن الاستغفار

لك

لك (فانزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) ماصح الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم أي ظهر لهم انهم ماتوا على الشرك فهو كالعلة للمنع من الاستغفار ولا يشكل بأن براءة من اواخر مانزل بالمدينة وهذه القصة قبل الهجرة بثلاث سنين لان هذه الآية مستثناة من كون السورة مدنية كما نقله في الاتقان عن بعضهم وأقره فلا حاجة لتجويز أنه كان يستغفر له الى نزولها لان التشديد مع الكفار انما ظهر في هذه السورة ثم لفظ البخاري في التفسير فأنزل الله بعد ذلك فقال في الفتح الظاهر نزولها بعده بمدة لرواية التفسير انتهى وكأنه لم يقف على القول باستثنائها من كونها مدنية فان صح فلا يعارضه قوله بعد ذلك لكون المعنى بعد موته والاستغفار له بمكة أو بالمدينة فالبعدية محتملة وأما قول السيوطي في التوشيح المعروف انها نزلت لما زار صلى الله عليه وسلم قبر أمه واستأذن في الاستغفار لها كما رواه الحاكم وغيره فتساهل جدا لا يليق بمثله فانها لا تعادل رواية الصحيح وقد رد الذهبي في مختصر المستدرك تصحيح الحاكم بأن في اسناده أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين وتعجب السيوطي نفسه في الفوائد من الذهبي كيف اقر الحديث في ميزانه مع رده في مختصر المستدرك قال وله علة ثانية وهي مخالفته للمقطوع بصحته في البخاري من نزولها عقب موت أبي طالب ثم قال السيوطي بعد طعنه في جميع احاديث نزولها في آمنة نبان بهذا أن طرقه كلها معلولة خصوصا قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار لانه لا يمكن الجمع بينها وبين الاحاديث الصحيحة في تقدم نزولها في أبي طالب انتهى وقد تقدم ذلك مبسوطا بما يشفي ثم هذه الآية وان كان سببها خاصا عامة في حقه وحق غيره ولذا استشكل قوله صلى الله عليه وسلم يوم احد اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وأجيب بأنه أراد الدعاء لهم بالتوبة من الشرك حتى يغفر لهم بدليل رواية من روى اللهم اهد قومي وبأنه أراد مغفرة تصرف عنهم عقوبة الدنيا من مسخ وخسف (وأنزل الله في أبي طالب) أيضا (فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من أحببت) هدايته أو اقرابة أي ليس ذلك اليك (ولكن الله يهدي من يشاء) وانما عليك البلاغ ولا ينافيه قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم لان الذي اثبته واضافه اليه هداية الدعوة والدلالة والمنفي هداية التوفيق (وفي الصحيح) للبخاري ومسلم (عن العباس انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا طالب كان يحوطك) بضم الحاء المهملة من الحياطة وهي المراعاة وفي رواية يحفظك (وينصرك ويغضب لك) يشير الى ما كان يرد به عنه من قول وفعل وفيه تلميح الى ماذكره ابن اسحق قال ثم ان خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد وكانت خديجة وزيرة صدق له على الاسلام يسكن اليها وكان أبو طالب له عضدا وناصرا على قومه فلما هلك نالت قريش منه من الاذى مالم تطمع به في حياته حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته يقول ما نالتني قريش شيأ أكرهه حتى مات أبو طالب ذكره في الفتح (فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته الى ضحضاح) بضادين معجمتين مفتوحتين وحاءين

مهملتين أولاهما ساكنة وآخره ما رق من الماء على وجه الارض الى نحو الكعبين فاستعير للنار قاله المصنف وغيره وفى الفتح هو من الماء ما يبلغ الكعب ويقال أيضا لما قرب من الماء وهو ضد الغمر والمعنى انه خفف عنه العذاب انتهى زاد فى رواية ولولا أنا لكان فى الدرك الاسفل من النار وصريح هذا الحديث انه خفف عنه عذاب القبر فى الدنيا كما يومئ اليه كلام الحافظ ويوم القيامة يكون فى ضحضاح أيضا كما فى الحديث الآتى ففى سؤال العباس عن حاله دليل على ضعف رواية ابن اسحق لانه لو كانت تلك الشهادة عنده لم يسأل لعلمه بحاله وقد قال الحافظ هذا الحديث لو كانت طريقه صحيحة لعارضه هذا الحديث الذى هو أصح منه فضلا عن انه لا يصح ويضعف ما ذكره السهيلى أنه رأى فى بعض كتب المسعودى انه أسلم لان مثل ذلك لا يعارض ما فى الصحيح وروى أبو داود والنسائى وابن الجارود وابن خزيمة عن على لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله ان عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب فواره قلت انه مات مشركا قال اذهب فواره فلما واريته رجعت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى اغتسل وفى الحديث جواز زيارة القريب المشرك وعيادته وان التوبة مقبولة ولو فى شدة مرض الموت حتى يصل الى المعاينة فلا تقبل لقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وأن الكافر اذا شهد شهادة الحق نجا من العذاب لان الاسلام يجب ما قبله وأن عذاب الكفار متفاوت والنفع الذى حصل لابى طالب من خصائصه ببركة النبى صلى الله عليه وسلم وقد قال ان أهون أهل النار عذابا أبو طالب رواه مسلم انتهى ملخصا (وفى الصحيح) للبخارى ومسلم (أيضا) عن أبى سعيد الخدرى (انه صلى الله عليه وسلم قال) وذكر عنده عمه أبو طالب (لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى) بفتح أوله وسكون المعجمة وكسر اللام (منه دماغه) وفى رواية أم دماغه أى رأسه من تسمية الشئ بما يقاربه ويجاوره وقد صرح العلماء بأن الرجاء من الله ومن نبيه للوقوع بل فى النور عن بعض شيوخه اذا وردت عن الله ورسله وأوليائه معناها التحقيق (وفى رواية يونس) بن بكير الشيبانى الحافظ قال ابن معين صدوق وقال أبو داود ليس بحجة لكن احتج به مسلم وقال أبو حاتم محله الصدق وعلق له البخارى قليلا (عن ابن اسحق زيادة فقال يغلى منه دماغه حتى يسيل على قدميه) واستشكل الحديث بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وأجاب البيهقى بأنه خص لثبوت الخبر ولذا عد فى الخصائص النبوية والقرطبى بأن المنفعة فى الآية الاخراج من النار وفى الحديث بالتخفيف وقيل يجوز أن الله يضع عن بعض الكفار بعض جزاء معاصيهم تطييبا لقلب الشافع وقيل شفاعته صلى الله عليه وسلم فى أبى طالب بالحال لا بالمقال (قال السهيلى من باب النظر فى حكمة الله تعالى ومشاكلة الجزاء للعمل ان أبا طالب كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته متحيزا) ناصرا (له) وحده ويجمع بنى هاشم والمطلب لمناصرته (الا انه كان مثبتا لقدميه على ملة عبد المطلب حتى قال عند الموت) آخر كل شئ كلمهم (انا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على ملة آبائه) ولا يعارض هذا بقول الامام الرازى آباء الانبياء ما كانوا كفارا وأيده السيوطى بأدلة عامة وخاصة كما مر

لان

لان هذا بعد نسخ جميع الملل بالملة المحمدية فليس فى الحديث ولا كلام السهيلى أن عبد المطلب وآباءه كانوا مشركين (ثبتنا الله على الصراط المستقيم) قال فى الفتح ولا يخلو كلام السهيلى عن نظر انتهى فان كان وجهه أن الثبات على الدين انما هو بالقلب لانه اعتقاد فلا يحسن ماذكر توجيها لتخصيص القدم بالعذاب اجاب شيخنا بأنه لما لازم ما كان عليه ولم يتحول عنه شبه بمن وقف فى محل ولم يتحول عنه الى غيره وذلك يستدعى ثبوت القدم فى المحل الذى وقف فيه خصت العقوبة بالقدم (وفى شرح التنقيح) فى الاصول والمتن والشرح (للقرافى) العلامة شهاب الدين أبى العباس أحمد بن ادريس بن عبد الرحمن الصنهاجى البهنسى المصرى البارع فى العلوم ذى التصانيف الشهيرة كالقواعد والذخيرة وشرح المحصول مات فى جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة ودفن بالقرافة (الكفار على أربعة أقسام فذكر منها من آمن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع كما حكى عن أبى طالب انه كان يقول انى لاعلم ان ما يقوله ابن أخى لحق ولولا اخاف أن تعيرنى نساء قريش لاتبعته وفى شعره يقول) فى قصيدته المشهورة * (لقد علموا أن ابننا لا مكذب * يقينا ولا يعزى لقول الاباطل) * وفى شعره من هذا النحو كثير (قال) القرافى (فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يذعن) وحبه للمصطفى كان طبيعيا فكان يحوطه وينصره لا شرعيا فسبق القدر فيه واستمر على كفره ولله الحجة البالغة (انتهى) والاربعة حكاها ابن الاثير فى النهاية وكذا البغوى وهى كفر انكار وهو أن لا يعرف الله بقلبه ولا يعترف باللسان وكفر جحود وهو من عرفه بقلبه دون لسانه كابليس واليهود وكفر نفاق وهو المقر باللسان دون القلب وكفر عناد وهو ان يعرفه بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به كأبى طالب قال البغوى وجميع الاربعة سواء فى ان الله لا يغفر لاصحابها اذا ماتوا انتهى وأقبحها على الراجح كفر النفاق لجمعه بين الكفر والاستهزاء بالاسلام ولذا كان المنافقون فى الدرك الاسفل من النار وقيل أقبحها الكفر ظاهرا وباطنا وقيل الكفر صنفان احدهما الكفر بأصل الايمان وهو ضده والآخر الكفر بفرع من فروع الاسلام فلا يخرج به عن أصل الاسلام وبهذا صدر فى النهاية وقابله بقوله وقيل الكفر على أربعة أنحاء فذكرها (وحكى عن هشام بن السائب) نسبه لجده لانه ابن محمد بن السائب (الكلبى) أبى المنذر الكوفى وثقه ابن حبان وقال الدارقطنى هشام رافضى ليس بثقة مات سنة اربع وثمانين ومائة (أو أبيه) محمد شك (انه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش) وروى ابن اسحق عن ابن عباس لما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله قال بعضها لبعض ان حمزة وعمر قد أسلما وفشا أمر محمد فانطلقوا بنا الى أبى طالب يأخذ لنا على ابن أخيه ويعطه منا فمشى اليه عتبة وشيبة وأبو جهل وأمية وابن حرب فى رجال من اشرافهم فأخبروه بما جاؤا له فبعث أبو طالب اليه صلى الله عليه وسلم فجاءه فأخبره بمرادهم فقال عليه الصلاة والسلام نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل نعم وأبيك وعشر كلمات فعرض عليهم الاسلام فصفقوا وعجبوا ثم قالوا ما هو بمعطيكم شيأ ثم تفرقوا فيحتمل أن أبا طالب جمعهم بعد ذلك أو قال لهم ما حكى الكلبى فى هذه المرة

قبل عرض الاسلام أو بعده وقبل تفرقهم (فأوصاهم فقال يامعشر قريش انتم صفوة الله من خلقه) وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الب وانى اوصيكم بتعظيم هذه البنية يعنى الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم فان فى صلة الرحم منسأة أى فسحة فى الاجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم اجيبوا الداعى وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام (الى أن قال) عقب ماذكرته (وانى أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين فى قريش والصديق) الكثير الصدق (فى العرب) فلم يعرفوه من ابتداء نشأته الا بالامانة والصدق ومن ثم لما كذبوه قال بعضهم والله قد ظلمنا محمدا (وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به) من هذه الخصال الحميدة التى ذكرها فى وصيته لهم ومدحهم بها (وقد جاءنا بامر قبله الجنان) بالجيم (وأنكره اللسان مخافة الشنآن) أى البغض لما تعيرونه به من تبعيته لابن أخيه تربيته (وايم الله) بهمزة وصل عند الجمهور ويجوز القطع مبتدأ حذف خبره أى قسمى وقال الهروى بقطع الهمزة ووصلها وهى حلف ووهم الشارح فقال عبارة الشامى أما والله ثم قال قال النووى فذكر كلامه ظنا منه انه فى هذه الوصية مع ان ذاك اللفظ انما ذكره الشامى كغيره شرحا لقوله صلى الله عليه وسلم فى رواية مسلم أما والله لاستغفرن لك مالم انه عنك (كأنى انظر الى صعاليك) أى فقراء (العرب) جمع صعلوك كعصفور كما فى القاموس (واهل الاطراف) النواحى جمع طرف بفتحتين (والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت) وقد وقع ذلك يوم بدر (فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا) اتباعا وسفلة جمع صنديد وهو السيد الشجاع أو الحكيم أو الجواد أو الشريف كما فى القاموس (ودورها خرابا) حيث قتل سبعون وأسر سبعون (وضعفاؤها أربابا) ملوكا قال القاموس رب كل شئ مالكه ومستحقه أو صاحبه والجمع أرباب وربوب (واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه) كما وقع يوم فتح مكة (وأبعدهم منه احظاهم عنده قد محضته) بمهملة فمعجمة أخلصت له (العرب ودادها وأصفت) بالفاء (له فؤادها) ازالت مافيه من حسد وبغض وفى نسخة بالغين أى استمعوا بقلوبهم أى أمالوها له (وأعطته قيادها) كما انقاد له العرب لما سار بهم الى فتح مكة وكما وقع فى مجئ هوازن منقادين لحكمه فمن عليهم برد سبايا هم (يامعشر قريش) كذا فى النسخ وفيها سقط فلفظه كما فى الروض عن الكلبى دونكم يامعشر قريش ابن ابيكم (كونوا له ولاة) موالين ومناصرين (ولحزبه حماة) من أعدائهم وتأمل ما فى قوله ابن أبيكم من الترقيق والتقريع والتصريح بأنه منهم فعزه عزهم ونصره نصرهم فكيف يسعون فى خذلانه فانما هو خذلان لانفسهم وهذا من حيث النظر الى مجرد القرابة فكيف وهو على الصراط المستقيم ويدعو الى ما يوصل الى جنات النعيم كما أشار اليه مؤكدا بالقسم فقال (والله لا يسلك أحد سبيله الا رشد)

بكسر الشين وفتحها والكسر أولى بالسجع (ولا يأخذا حد بهديه الاسعد) في الدارين (ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز) بهاءين وزاءين منقوطتين بعد أولاهما ألف قال الجوهري الهزاهز الفتن تهتز فيها الناس وفي القاموس الهزاهز تحريك البلايا والحروب في الناس (ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك) على كفره فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة وكيف هذه المعرفة التامة بالحق وسبق فيه قدر القهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ولهذا الحب الطبيعي كان اهون أهل النار عذابا كما في مسلم وفي فتح الباري تكملة من عجائب الاتفاق ان الذين أدركهم الاسلام من اعمام النبي صلى الله عليه وسلم أربعة لم يسلم منهم اثنان وأسلم اثنان وكان اسم من لم يسلم ينافي اسامي المسلمين وهما ابو طالب واسمه عبد مناف وأبو لهب واسمه عبد العزى بخلاف من أسلم وهما حمزة والعباس (ثم بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل بخمسة) وقيل بشهر وقيل بشهر وخمسة أيام وقيل بخمسين يوما وقيل بخمسة أشهر وقيل ماتت قبله (في رمضان بعد البعث بعشر سنين على الصحيح) كما قال الحافظ وزاد وقيل بعده بثمان سنين وقيل بسبع (ماتت) الصديقة الطاهرة (خديجة رضي الله عنها) ودخل عليها صلى الله عليه وسلم وهي في الموت فقال تكرهين ما أرى منك وقد يجعل الله في الكره خيرا رواه الزبير بن بكار وأطعمها من عنب الجنة رواه الطبراني بسند ضعيف وأسند الواقدي عن حكيم بن حزام انها دفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم في حفرتها وهي ابنة خمس وستين سنة ولم تكن يومئذ الصلاة على الجنازة (وكان عليه الصلاة والسلام يسمي ذلك العام) الذي ماتا فيه (عام الحزن) وقالت له خولة بنت حكيم يا رسول الله كاني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة قال اجل كانت أم العيال وربة البيت وقال عبيد بن عمير وجد عليها حتى خشي عليه حتى تزوج عائشة رواهما ابن سعد (فيما ذكره صاعد) بن عبيد البجلي أبو محمد أو أبو سعيد الحراني مقبول من كبار العاشرة كما في التقريب يعني الطبقة التي أخذت عن تبع التابعين كما أفصح عنه في خطبته (وكانت مدة اقامتها معه خمسا وعشرين سنة على الصحيح) كما في الفتح وزاد وقال ابن عبد البر أربعا وعشرين سنة وأربعة أشهر (ثم بعد أيام من موت خديجة) الواقع في رمضان (تزوج عليه السلام) في شوال (بسودة بنت زمعة) بفتح الزاي واسكان الميم وتفتح كما في القاموس وبه يرد قول المصباح لم أظفر بسكونها في شيء من كتب اللغة وفي سيرة الدمياطي ماتت خديجة في رمضان وعقد على سودة في شوال ثم على عائشة وبنى بسودة قبل عائشة والله أعلم

* خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف *

(ثم خرج عليه السلام الى الطائف) قال ابن اسحق يلتمس النصر من ثقيف والمنعة ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءبه من الله تعالى قال المقريزي لانهم كانوا أخواله قال غيره ولم يكن بينه وبينهم عداوة (بعد موت خديجة بثلاثة أشهر في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة) هذا على موتها في رجب لا على ما جزم به انه في رمضان وعادة العلماء انهم اذا مشوا في محل على قول وفي آخر على غيره لا يعد تناقضا (لما ناله) صلة خرج واللام للتعليل أي خرج للاذى

الذى ناله (من قريش بعد موت أبى طالب وكان معه زيد بن حارثة) فيما رواه ابن سعد عن جبير بن مطعم وذكر ابن عقبة وابن اسحق وغيرهما انه خرج وحده ماشيا فيمكن ان زيدا لحقه بعد ولا يؤيده ما يأتى انه صار يقيه بنفسه ولم يحك فيه خلافا كما زعم لان الآتى انما هو كلام ابن سعد وحده الذى روى أنه كان معه (فأقام به شهرا) وقال ابن سعد عشرة أيام وجمع فى اسنى المطالب بان العشرة فى نفس الطائف والعشرين فيما حولها وطريقها وأقرب منه كما قال شيخنا ان الشهر كله فى الطائف لكنه مكث عشرين قبل اجتماعه بعبد ياليل وعشرة بعده لانه لم يرجع عقب دعائه بل مكث (يدعو اشراف ثقيف الى الله) ويدور عليهم واحدا واحدا رجاء ان احدا يجيبه (فلم يجيبوه) لا الى الاسلام ولا الى النصرة والمعاونة وعند ابن اسحق والواقدى وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم عمد الى عبد ياليل ومسعود وحبيب بنى عمرو بن عوف وهم اشراف ثقيف وساداتهم وعند أحدهم صفية بنت معمر القرشى الجمحى فجلس اليهم وكلمهم بما جاء له من نصرته على الاسلام والقيام على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك والثانى اما وجد الله أحدا يرسله غيرك والثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسول الله لانت أعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى ان اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خيرهم وقال اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا على وكره ان يبلغ قومه عنه ذلك فيزيدهم عليه فلم يفعلوا وقد أسلم مسعود وحبيب بعد ذلك وصحبا كما جزم به فى الاصابة وفى عبد ياليل خلف يأتى فيحتمل ان المصنف أراد باشرافهم هؤلاء الثلاثة وكأنه لم يعتد بغيرهم أو لانه دعاهم أولا لكونهم العظماء ثم عمم الدعوة ففى رواية انه لم يترك أحدا من أشرافهم الا جاء اليه وكلمه فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا يا محمد اخرج من بلدنا والحق بمحابك من الارض (وأغروا) بفتح الهمزة سلطوا (به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه) زاد ابن اسحق ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس (قال موسى بن عقبة ورموا عراقيبه) جمع عرقوب شفقته انظا كعريض الحواجب (بالحجارة) فقعدوا له صفين على طريقه فلما مر بين صفيهم جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة (حتى اختضبت نعلاه بالدماء زاد غيره) وهو سليمان التيمى (وكان اذا أزلقته) بمعجمة وقاف آلمته (الحجارة قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه) مبالغة فى اذاه اذ لم يمكنوه من القعود ليخف تعبه وليتمكنوا من ادامة رميه بالحجارة فى المراق والمفاصل التى ألم اصابتها أشد من غيرها (فاذا مشى رجموه وهم يضحكون) قال ابن سعد (وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج) زيد أى جرح (فى رأسه) احتراز عن الوجه اذ الجراحة انما تسمى شجة اذا كانت فى احدهما (شجاجا) بكسر المعجمة جمع شجة بفتحها ويقال أيضا شجات كما فى المصباح (وفى البخارى) فى ذكر الملائكة من بدء الخلق تاما وفى التوحيد مختصرا (ومسلم) فى المغازى والنساى فى البعوث (من حديث عائشة انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم) غزوة (أحد قال لقد لقيت من قومك) قريش وسقط المفعول فى رواية مسلم وثبت فى البخارى بلفظ لقيت من قومك ما لقيت وأبهمه تعظيما

(وكان أشد) بالرفع ولأبي ذر بالنصب خبر كان واسمه عائد الى مقدر وهو مفعول لقد لقيت (مالقيت منهم) من قومك قريش اذ كانوا سببا الذهابي الى ثقيف فهو من اضافة الشئ الى سببه فلا يرد أن ثقيفا ليسوا قومها (يوم العقبة) ظرف جزم المصنف بأنها التي بمنى وفيه ما فيه فأين منى والطائف ولذا قال شيخنا لعل المراد بها هنا موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبد ياليل لا عقبة منى التي اجتمع فيها مع الانصار (اذ) أي حين (عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال) كذا في الحديث والذي ذكره أهل المغازي ان الذي كلمه صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه وعند أهل النسب ان عبد كلال أخوه لا أبوه قاله الحافظ وغيره (فلم يجبني الى ما أردت) منه من النصرة والمعاونة والاسلام (فانطلقت وأنا مهموم على وجهي) قال المصنف أي الجهة المواجهة لي وقال الطيبي أي انطلقت حيران هائما لا أدري أين أتوجه من شدة ذلك (فلم استفق) أي أرجع (مما أنا فيه) من الغم (الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي واذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت) اليها (فاذا فيها جبريل) على غير صورته الاصلية لما مرّ أنه لم يره عليها الا بغار حراء وعند سدرة المنتهى (فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك) لك كما في الصحيحين فسقط من قلم المؤلف والاحسن انه يعني بقومه قريشا وغيرهم لا خصوص ثقيف لانهم وان كانوا قومه لانه بعث اليهم كغيرهم لكنهم ليسوا بمكة والاخشبان محيطان بها (وما ردّوا به عليك) ظاهر في انه اخبار عما قاله اشراف ثقيف ويحتمل انه أراد قريشا لما دعاهم للايمان فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون وغير ذلك (وقد بعث اليك) وفي رواية الكشميهني وقد بعث الله اليك (ملك الجبال) الذي سخرت له وبيده أمرها قال الحافظ لم أقف على اسمه (لتأمره بما شئت) فيهم قال صلى الله عليه وسلم (فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وما ردّوا عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثني اليك ربك لتأمرني بأمرك) هذا لفظ مسلم زاد الطبراني فما شئت ولفظ البخاري ثم قال يا محمد ذلك فيما شئت قال المصنف ذلك كما قال جبريل أو كما سمعت منه فيما ولأبي ذر عن الكشميهني بما شئت استفهام جزاؤه مقدر أي فعلت وعزا المصنف لفظه هنا في شرح البخاري للطبراني مع انه لفظ مسلم كما علمت لانه كما في الفتح أخرجه من طريق شيخ البخاري فيه (ان شئت أن أطبق) بضم الهمزة وسكون الطاء وكسر الموحدة (عليهم الاخشبين) بجيمتين جبلي مكة أبا قبيس ومقابله قعيقعان كما جزم به المصنف وغيره وبه صدّر البرهان وفي الفتح وكأنه قعيقعان وقال الصغاني بل هو الجبل الاحمر المشرف وجهه على قعيقعان انتهى وجرى ابن الاثير على الثاني وقول الكرماني ثور وهم وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما ويقال هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد قال الحافظ والمراد باطباقهما أن يلتقيا على من بمكة ويحتمل ان يصيرا طبقا واحدا وجزاء ان مقدر أي فعلت (قال النبي صلى الله عليه وسلم) لا اشاء ذلك (بل أرجو) وللكشميهني انا ارجو (أن يخرج الله) بضم الياء من الاخراج (من اصلابهم من يعبد الله) يوحده وقوله (وحده لا شريك له) تفسيره وهذا من مزيد شفقته وحلمه وعظيم عفوه وكرمه وعن عكرمة رفعه مرسلا جاءني جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهذا ملك

الجبال قد أرسله وأمره أن لا يفعل شيأ الا بأمرك فقال له ان شئت دممت عليهم الجبال وان شئت خسفت بهم الارض قال يا ملك الجبال فاني انى بهم لعله ان يخرج منهم ذرية يقولون لا اله الا الله فقال ملك الجبال انت كما سماك ربك رؤف رحيم ولعل هذين الاسمين كانا معلومين له عند الملائكة قبل نزول الآية فلا ينافى انها من أواخر ما نزل وبقى انه قيدهما بالمؤمنين وهؤلاء كفار فكيف قول الملك ولعله باعتبار مارجاه من ربه لانه محقق (وعبد يا ليل بتحتانية وبعدها ألف ثم لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام) بزنة هابيل كما فى القاموس قال فى الاصابة عبد يا ليل بن عمرو الثقفى قال ابن حبان له صحبة وكان من الوفد وقال غيره انما هو ولده مسعود اختلف فيه كلام ابن اسحق وقال موسى بن عقبة ان القصة لمسعود انتهى منه فى النوع الرابع فيمن ذكر فى الصحابة غلطا (ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام آخره لام) بعد الالف بوزن غراب (وكان ابن عبد يا ليل) مسعود أو كنانة (من أكابر أهل الطائف من ثقيف) كابيه وعمه وقد روى عبد بن حميد عن مجاهد فى قوله تعالى على رجل من القريتين عظيم قال نزلت فى عتبة بن ربيعة وابن عبد يا ليل الثقفى ورواه ابن أبي حاتم عن مجاهد وزاد يعنى كنانة وقال قتادة هما الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود رواه عبد بن حميد قال ابن عبد البر وفد كنانة وأسلم مع وفد ثقيف سنة عشر وكذا قال ابن اسحق وموسى بن عقبة وغير واحد وقال المدايني وفد فى قومه فأسلموا الا كنانة فقال لا يرثني رجل من قريش وخرج الى نجران ثم الى الروم فمات بها كافرا قال فى الاصابة ويقويه ما حكاه ابن عبد البر أن هرقل دفع ميراث أبي عامر الفاسق الى كنانة بن عبد يا ليل لكونه من أهل المدر كابي عامر انتهى فقول النور لا أعلم له اسلاما تقصير شديد (وقرن الثعالب) بفتح القاف واسكان الراء اتفاقا وحكى عياض ان بعض الرواة ذكره بفتح الراء قال وهو غلط وذكر القابسى ان من سكن الراء أراد الجبل ومن حركها أراد الطريق التى تتفرق منه وغلط الجوهرى فى فتحها ونسبة اويس اليها وانما هو الى قرن بفتح الراء بطن من مراد (هو ميقات أهل نجد) تلقاء مكة على يوم وليلة منها (ويقال له) أيضا (قرن المنازل) قال فى النور والفتح وأصله الجبل الصغير المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير (وأفاد ابن سعد) محمد (ان مدة اقامته عليه الصلاة والسلام بالطائف كانت عشرة أيام) خلاف ما مر أنها شهر ومر الجمع (ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف ولم يجيبوه) ورجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف كما عند ابن اسحق (مر فى طريقه بعتبة وشيبة ابنى ربيعة) الكافرين المقتولين ببدر (وهما فى حائط) بستان اذا كان عليه جدار كما فى النور وغيره وأطلق المصباح (لهما) بشراء أو غيره وهو من بساتين الطائف المنسوبة اليه كما يفيده قول موسى بن عقبة فخلص منهم ورجلاه تسيلان دما فعمد الى حائط من حوائطهم فاستظل فى ظل حبلة منه وهو مكروب موجع وكذا قول ابن اسحق فاجتمعوا عليه وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة والحبلة بفتح المهملة والموحدة وتسكن الاصل أو القضيب من شجر العنب كما فى النهاية وغيرها ولا ينافى استظلاله قوله فى الحديث فلم استفق الا وأنا بقرن الثعالب لجواز أنه لم يعتد استظلاله مكروبا موجعا محزونا مفكرا فيما أصابه افاقة (فلما رآيا مالقى

تحركت له رحمهما) قرابتهما لانهما من بنى عبد مناف (فبعثا له مع عداس) بفتح العين وشد الدال فألف فسين مهملات (النصرانى غلامهما قطف) بكسر القاف عنقود (عنب) وعند ابن عقبة ووضعه عداس فى طبق بأمرهما وقالا له اذهب الى ذلك الرجل فقل له يا كل منه ففعل ولم يذكر زيد بن حارثة لان هذا من كلام ابن عقبة وهو ممن قال انه خرج وحده أولانه تابع والحامل على بعث القطف انما هو المصطفى فخص بتقديمه له وخطابه (فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده فى القطف) ليأكل (قال بسم الله) فقط كما عند ابن عقبة وابن اسحق ووقع فى الخميس الرحمن الرحيم (ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت وما دينك قال نصرانى من نينوى) بكسر النون وسكون التحتية فنون مفتوحة على الاشهر قال أبوذر وروى بضمها فواو مفتوحة فألف قال ياقوت ممالة بلد قديم مقابل الموصل خرب وبقى من آثاره شئ وبه كان قوم يونس وقال الصغانى هى قرية يونس بالموصل (فقال له صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى) بفتح الميم وشد الفوقية مقصور واسم أبيه وفى تفسير عبد الرزاق انه اسم أمه وتبعه صاحب تاريخ حماة قائلا لم يشتهر باسمه غيره وغير عيسى ورده الحافظ بحديث ابن عباس عند البخارى لا ينبغى لعبد أن يقول انى خير من يونس بن متى ونسبه الى أبيه فان فيه اشارة الى الرد على من زعم ان متى اسم أمه وهو محكى عن وهب بن منبه وذكره الطبرى وتبعه ابن الاثير فى الكامل والذى فى الصحيح أصح وقيل سبب قوله ونسبه الى أبيه انه كان فى الاصل يونس بن فلان فنسى الراوى اسم أبيه وكنى عنه بفلان فقال الذى نسى يونس بن متى وهى أمه ثم اعتذر فقال ونسبه أى شيخه الى أبيه أى سماه فنسيته ولا يخفى بعد هذا التأويل وتكلفه قال ولم أقف فى شئ من الاخبار على اتصال نسبه وقد قيل انه كان فى زمن ملوك الطوائف من الفرس انتهى من فتح البارى ويؤيده ما نقله الثعلبى عن عطاء سألت كعب الاحبار عن متى فقال هو أبو يونس واسم أمه برورة أى صديقة بارة قانتة وهى من ولد هرون انتهى فقول السيوطى التأويل عندى أقوى وان استبعده الحافظ فيه نظر (فقال) عداس (وما يدريك) ما يونس بن متى كما فى الرواية وعند التيمى فقال عداس والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن أين عرفته وأنت امى فى امة أمية (قال ذاك أخى وهو نبى مثلى) وعند ابن عقبة والتيمى كان نبيا وأنا نبى (فاكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم) رضى الله عنه وهو معدود فى الصحابة وفى سير التيمى انه قال أشهد أنك عبد الله ورسوله وعند ابن اسحق ونظر اليه ابنا ربيعة فقال احدهما للآخر أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى بشد الياء مثنى ما فى الارض شئ خير من هذا القد أعلمنى بأمر لا يعلمه الا نبى قالا له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فانه خير من دينه وفى الروض ذكروا ان عداسا لما أراد سيداه الخروج الى بدر امراه بالخروج معهما فقال أقتال ذلك الرجل الذى رأيت بحائطكما تريدان والله ما تقوم له الجبال فقالا له ويحك يا عداس سحرك بلسانه وفى الاصابة عن الواقدى قيل قتل عداس

يد روقيل لم يقتل بل رجع فمات

* ذكر الجن *

(ولما نزل) صلى الله عليه وسلم في منصرفه من الطائف سنة عشر وهو ابن خمسين سنة تقريبا (نخلة) غير مصروف للعلمية والتانيث وفي مسلم بنخل قال البرهان والصواب نخلة ويحتمل ان يقال الوجهان انتهى (وهو موضع على ليلة من مكة صرف اليه) بالبناء للمفعول للعلم به قال الله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن (سبعة) كما رواه الحاكم في المستدرك وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع من طريق عاصم عن زر عن عبد الله قال هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا وكانوا سبعة أحدهم زوبعة واسناده جيد وقيل تسعة وقيل غير ذلك (من جن نصيبين) بنون مفتوحة وصاد مهملة مكسورة فتحتية ساكنة فوحدة مكسورة فتحتية ساكنة أيضا فنون بلد مشهور ويجوز صرفه وتركه وفي خبر ان جبريل رفعها للنبي صلى الله عليه وسلم ورآها فقال فسأل الله ان يعذب ماؤها ويطيب ثمرها ويكثر مطرها وهي بالجزيرة كما في مسلم وبه جزم غير واحد قال البرهان ووهم من قال باليمن وقوله (مدينة بالشام) تبع فيه ابن التين السفاقسي قال الحافظ وفيه تجوز فان الجزيرة بين الشام والعراق انتهى وفي تفسير عبد بن حميد أنهم من نينوى وقيل ثلاثة من نجران وأربعة من نصيبين وعن عكرمة كانوا اثنى عشر ألفا من جزيرة الموصل (وكان عليه السلام قد قام في جوف الليل يصلي) كما ذكر ابن اسحق ولا يعارضه ما في الصحيحين عن ابن عباس وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر لانه كان قبل في أول مرة عند المبعث لما منعوا من استراق السمع ثم وقع لبعض من ساق القصة التي هنا وهو يصلي الفجر فان صح فيكون اطلق على وقت الفجر جوف الليل لاتصاله به أو ابتدأ الصلاة في الجوف واستمر حتى دخل وقت الفجر أو صلى فيهما وسمعوهما معا والمراد بالفجر الركعتان اللتان كان يصليهما قبل طلوع الشمس واطلاق الفجر عليهما صحيح لوقوعهما بعد دخول وقته فسقط اعتراض البرهان بأن صلاة الفجر لم تكن فرضت وقال الحافظ في حديث ابن عباس وهو يصلي بأصحابه لم يضبط من كان معه في تلك السفرة غير زيد بن حارثة فلعل بعض الصحابة تلقاه لما رجع انتهى وكأنه بناه على تسليم اتحاد مجيء الجن (فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن) قاله ابن اسحق وأقره اليعمري ومغلطاي واعترضه البرهان بما في الصحيح أنها انما نزلت بعد استماعهم وجوابه أن الذي في الصحيح كان في المرة الاولى عند المبعث كما هو صريحه وهذه بعده بمدة فلا تعترض به (وفي الصحيح) عن ابن مسعود (أن الذي آذنه) بالمد أعلمه صلى الله عليه وسلم (بالجن ليلة الجن شجرة) هي كما في مسند اسحق بن راهويه سمرة بفتح السين وضم الميم من شجر الطلح جمعه كرجل وفيه معجزة باهرة (وأنهم سألوه الزاد) أي ما يفضل من طعام الانس وقد يتعلق به من يقول الاشياء قبل الشرع على الحظر حتى ترد الاباحة ويجاب عنه بمنع الدلالة على ذلك بل لا حكم قبل الشرع على الصحيح قاله في فتح الباري وقال شيخنا أي نوعا يختصهم به كما جعل للانس في المطعوم حلالا وحراما ولعلهم قبل السؤال كانوا يأكلون ما اتفق لهم أكله بغير

فيه

قيد نوع مخصوص أو مالم يذكر اسم الله عليه من طعام الانس (فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه) هو زادكم (يقع فى يد أحدكم أوفر ما كان لحما) ولابى داود كل عظم لم يذكر اسم الله عليه وجمع بأن رواية مسلم فى حق المؤمنين وهذه فى حق شياطينهم قال السهيلى وهو صحيح يعضده الاحاديث (وكل بعر علف لدوابكم) زاد ابن سلام فى تفسيره ان البعر يعود خضرا لدوابهم واعترض على المؤلف ومتبوعه السهيلى فى سياق حديث الصحيح هنا بما صرح به الحافظ الدمياطى أنه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بهم حين استمعوه فى رجوعه من الطائف حتى نزل عليه واذ صرفنا اليك نفرا الآية قال وسؤالهم الزاد كان فى قصة أخرى (وفى هذا دليل على ان الجن يأكلون ويشربون و) رد على من زعم ان الجن لاتأكل ولاتشرب) لان صيرورته لحما انما تكون للاكل حقيقة ثم اختلف هل أكلهم مضغ وبلع أو يتغذون بالشم وقوله عليه الصلاة والسلام ان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله مجاز أى يحبه الشيطان ويزينه ويدعو اليه قال ابن عبد البر وهذا ليس بشئ فلا معنى لحمل شئ من الكلام على المجاز اذا امكنت فيه الحقيقة بوجه ما انتهى وهو الراجح عند جماعة من العلماء حتى قال ابن العربى من نفى عن الجن الاكل والشرب فقد وقع فى حبالة الحاد وعدم رشاد بل الشيطان وجميع الجان يأكلون ويشربون وينكحون ويولد لهم ويموتون وذلك جائز عقلا وورد به الشرع وتظافرت به الاخبار فلا يخرج عن هذا المضمار الا حمار ومن زعم ان أكلهم شم فما شم رائحة العلم انتهى وروى ابن عبد البر عن وهب بن منبه الجن اصناف فخالصهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون وصنف يفعل ذلك ومنهم السعالى والغيلان والقطرب قال الحافظ وهذا ان ثبت كان جامعا للقولين ويؤيده ماروى ابن حبان والحاكم عن أبى ثعلبة الخشنى مرفوعا الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم اجنحة يطيرون فى الهواء وصنف حيات وعقارب وصنف يحلون ويظعنون ويرحلون وروى ابن أبى الدنيا عن أبى الدرداء مرفوعا نحوه لكن قال فى الثالث وصنف عليهم الحساب والعقاب انتهى قال السهيلى ولعل هذا الصنف الطيار هو الذى لايأكل ولايشرب ان صح القول به انتهى وقال صاحب اكام المرجان وبالجملة فالقائلون الجن لاتأكل ولاتشرب ان أرادوا جميعهم فباطل لمصادمة الاحاديث الصحيحة وان أرادوا صنفا منهم فمحتمل لكن العمومات تقتضى ان الكل يأكلون ويشربون (وذكر صاحب الروض) السهيلى فيه هنا (من اسماء السبعة الذين أتوه عليه السلام عن ابن دريد منشى) بميم فنون فمعجمة (وناشى) بنون (وشاصر) بشين معجمة فألف فصاد فراء (وماضر) بميم فألف فمعجمة ضبطهما فى الاصابة (والاحقب) قال فى الروض (لم يزد) ابن دريد (على تسمية هؤلاء) الخمسة وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم يعنى قبيل المبعث اذ قال وعمرو بن جابر وسرق انتهى وفى الاصابة الارقم الجنى أحد من استمع القرآن من جن نصيبين ذكر اسمعيل بن زياد فى تفسيره عن ابن عباس انهم تسعة سليط وشاصر وماضر وحسا ونسا وبجعم والارقم والادرس وخاضر نقلته مجودا من خط مغلطاى ثم ضبط فى الاصابة خاضرا بخاء وضاد معجمتين وآخره راء وسرق بضم السين وفتح الراء المشددة المهملتين وقاف قال وضبطه العسكرى بتخفيف

الراء على وزن عمر وأنكر على أصحاب الحديث شدّ الراء انتهى فهؤلاء اربعة عشر صحابة من الجن وترجم فى الاصابة أبيض الجنى ذكره فى كتاب السنن لابى على بن الاشعث أحد المتروكين المتهمين فأخرج باسناده انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة اخزى الله شيطانك الحديث وفيه ولكن الله اعانى عليه حتى أسلم واسمه أبيض وهو فى الجنة وهامة بن الهيم بن الاقيس ابن ابليس فى الجنة انتهى وفى التجريد هامة بن الهيم حديثه موضوع انتهى وسمحج بسين مهملة أوله بوزن أحمر آخره جيم وسماه المصطفى عبد الله رواه الفاكهى وغيره كما فى الاصابة وعدّ أبو موسى المدينى فى الصحابة عمرو بن جابر المتقدم ومالك بن مالك وعمرو بن طارق وزوبعة ووردان قال الذهبى وزوبعة ما القب لواحد منهم أو اسم له والمذكور لقب ولم يذكر ذلك صاحب الاصابة بل ترجم لكل منهم فاقتضى ان زوبعة اسم علم على جنى غير الاربعة وهو الاصل وذكر فى عمرو بن طلق ويقال ابن طارق أخرج الطبرانى فى الكبير عن عثمان بن صالح قال حدثنى عمرو الجنى قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ سورة والنجم فسجد وسجدت معه وأخرج ابن عدى عن عثمان بن صالح قال رأيت عمرو بن طلق الجنى فقلت له رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وبايعته وأسلمت معه وصليت خلفه الصبح فقرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وعشيم الجنى وعرفطة بن سمراح الجنى من بنى نجاح ذكره الخرائطى فى الهواتف عن سلمان الفارسى بسند ضعيف جدا انتهى وعبد النور الجنى قال الذهبى روى شيخنا ابن جوية عن رجل عنه وهذه خرافة مهتوكة انتهى وامرأة اسمها رفاعة وفى رواية عفراء قال ابن الجوزى حديثها موضوع ولو صح لعدّت فى الصحابيات ولم أر أحدا ذكرها لا فى رفاعة ولا فى عفراء ثم ذكر الحديث من وجه آخر وسماها الفارعة بنت المستورد وترجم لها فى الاصابة الفارعة وذكر حديثها وقال فى سنده من لا يعرف وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال اعنى صاحب الاصابة فى ترجمة زوبعة أنكر ابن الاثير على أبى موسى المدينى ترجمة الجن فى الصحابة ولا معنى لانكاره لانهم مكلفون وقد أرسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم وأما قوله كان الاولى ان يذكر جبريل ففيه نظر لان الخلاف فى انه أرسل الى الملائكة مشهور بخلاف الجن وفى فتح البارى الراجح دخول الجن لانه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغى التردد فى ذكره فى الصحابة وان كان ابن الاثير عاب ذلك على أبى موسى فلم يستند فى ذلك الى حجة وأما الملائكة فيتوقف عدهم فيهم على ثبوت بعثته اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم انتهى (قال الحافظ ابن كثير وقد ذكر ابن اسحق خروجه عليه السلام الى أهل الطائف ودعاءه اياهم وانه لما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن) أى بعضه وهو كما مرّ سورة الجن وقيل اقرأ وقيل الرحمن وجمع بأن اقرأ فى الاولى والرحمن فى الثانية أى والجن فى الثالثة (فاستمعه الجن من أهل نصيبين) من العرب من يجعله اسما واحدا ويلزمه الاعراب كالاسماء المفردة الممنوعة الصرف والنسبة نصيبينى باثبات النون ومنهم من يجريه مجرى الجمع والنسبة نصيبى بحذف النون وعكس ذلك الجوهرى فاعترض لان المثنى والجمع وما ألحق بهما ان

جعلا

جعلا علمين وبقي اعرابهما بالحروف ثم نسب اليهما ردّا الى مفردهما وان جعلا اسمين تامّين اعربا بالحركات على النون ونسب اليهما على لفظهما بلا خلاف (قال وهذا صحيح لكن قوله ان الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فان الجن كان استماعهم في ابتداء الايحاء) ولا تطر فهذه المرة بعد ثلاث وقد جزم في فتح الباري بأن كلام ابن اسحق ليس صريحا في اوّلية قدوم بعضهم قال والذي يظهر من سياق الحديث الذي فيه المبالغة في رمي الشهب لحراسة السماء من استراق الجن السمع دال على ان ذلك كان عند المبعث النبوي وانزال الوحي الى الارض فكشفوا عن ذلك الى ان وقفوا على السبب ولذا لم يقيد البخاري الترجمة بقدوم ولا وفادة أي وانما قال باب ذكر الجن ثم لما انتشرت الدعوة وأسلم من أسلم قدموا فسمعوا فأسلموا وكان ذلك بين الهجرتين ثم تعدد مجيئهم حتى في المدينة انتهى ونقله الشامي عن ابن كثير نفسه أيضا (ويدل له حديث ابن عباس عند أحمد قال كان الجن يستمعون الوحي) هو ما كانت تسمعه الملائكة مما ينزل الارض فيتكلمون به (فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك) البعث النبوي (فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده الا رمى بشهاب يحرق ما أصابه منه) ولا يشكل هذا بما مرّ أن السماء حرست بمولده صلى الله عليه وسلم لجواز أنه بقي لهم بعض قدرة على الاستماع كاللص فلما بعث زال ذلك بل قال السهيلي انه بقي منه بقايا يسيرة بدليل وجوده نادرا في بعض الازمنة وبعض البلاد وقال البيضاوي لعل المراد منعهم من كثرة وقوعه (فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا من أمر قد حدث فبث جنوده) في الارض وفي الصحيحين فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمن النفر جماعة اخذوا نحو تهامة (فاذا هم بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه) أي ابليس (فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض ورواه النسائي وصححه الترمذي) ورواه الشيخان بنحوه ولم يعزه لهما الزيادة فيما ذكر على روايتهما (قال) ابن كثير (وخروجه عليه السلام الى الطائف كان بعد موت عمه) أبي طالب الواقع في السنة العاشرة من النبوة والاستماع كان عقب البعثة فلا يصح ما في ابن اسحق وقد علم جوابه (وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال) ان الجن (هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن) وفي نسخة وهو يقرأ الجن أي سورة الجن لكن الاولى هي المعزوّة في لباب النقول لابن أبي شيبة (ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا) حذف من رواية ابن أبي شيبة بعد قوله أنصتوا قالوا صه وكانوا تسعة أحدهم زوبعة (فأنزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية) يريد جنسها فلفظ ابن أبي شيبة فأنزل الله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى قوله ضلال مبين وقولهم من بعد موسى قيل لانهم كانوا يهودا وفي الجن ملل كالانس وقيل لم يسمعوا بعيسى واستبعد وقيل لانهم كانوا يعلمون بشارة موسى به وكأنهم قالوا هذا الذي بشر به موسى ومن بعده (فهذا) أي حديث ابن مسعود (مع حديث ابن عباس) الذي قبله (يقتضي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم) وبهذا جزم الدمياطي فقال فلما انصرف من

الطائف راجعا الى مكة ونزل نخلة قام يصلى من الليل فصرف اليه نفر سبعة من أهل نصيبين فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن ولم يشعر بهم حتى نزل عليه واذ صرفنا اليك انتهى وبه تعقب قول من قال لما وصل فى رجوعه الى نخلة جاءه الجن وعرضوا اسلامهم عليه (ثم بعد ذلك وفدوا اليه أرسالا) بفتح الهمزة وأبدل منه قوله (قوما بعد قوم وفوجا) أى جماعة جمعه فؤوج وأفواج وجمع الجمع افاوج وأفاويج كما فى القاموس (بعد فوج) كما تفيده الاحاديث العديدة ففى حديث انهم كانوا على ستين راحلة وآخر ثلثمائة وآخر خمسة عشر وعن عكرمة اثنى عشر ألفا فهذا الاختلاف دليل على تكرر وفادتهم كما أشار اليه البيهقى وابن عطية وقال انه التحرير بمكة والمدينة فالمحصل من الاخبار انهم وفدوا عليه لما خرجوا يضربون مشارق الارض ومغاربها لاستكشاف الخبر عن حراسة السماء بالشهب فوافوه صلى الله عليه وسلم بنخلة عامدا سوق عكاظ يصلى بأصحابه الفجر فسمعوا القرآن وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا فأنزل الله قل أوحى الى وماقرأ عليهم ولا رآهم كما قاله ابن عباس فى الصحيحين وغيرهما وأخرى بنخلة وهو عائد من الطائف وأخرى بالحجون وفى لفظ بأعلى مكة بالجبال لما أتاه داعى الجن فذهب معه وقرأ عليهم القرآن ورجع لاصحابه من جهة حراء وأخرى ببقيع الغرقد وفى هاتين حضر ابن مسعود وخط عليه خطا بأمر المصطفى وأخرى خارج المدينة وحضرها الزبير وأخرى فى بعض أسفاره وحضرها بلال بن الحرث بل حديث أبى هريرة فى الصحيح يحتمل انهم أتوه حين حمل أبو هريرة للنبى صلى الله عليه وسلم الاداوة وانما قدم أبو هريرة فى سابعة الهجرة وبهذا لا يبقى تعارض بين الاخبار ويحصل الجمع كما قال الحافظ بين نفى ابن عباس رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لهم قال المصنف وهو ظاهر القرآن وبين ما أثبته غيره من رؤيته لهم والله أعلم (وفى طريقه عليه السلام هذه) لما اطمأن فى ظل الحبلة أى الكرمة (دعا بالدعاء المشهور) المسمى كما قال بعضهم بدعاء الطائف وهو (اللهم اليك أشكو) قدم المعمول لبفيد الحصر أى لا الى غيرك فان الشكوى الى الغير لا تنفع (ضعف قوتى) بضم الضاد أرجح من فتحها وهما لغتان كما فى الانوار وفى المصباح الضم لغة قريش وفى القاموس الضعف بالفتح والضم ويحرك ضد القوة (وقلة حيلتى) فى مخلص أتوصل به الى القيام بما كلفتنى (وهوانى على الناس) احتقارهم لى واستهانتهم بى واستخفافهم بشأنى واستهزاءهم والشكوى اليه عز وجل لا تنافى أمره بالصبر فى التنزيل لان اعراضه عن الشكوى لغيره وجعلها اليه وحده هو الصبر والله سبحانه يمقت من يشكوه الى خلقه ويحب من يشكو مابه اليه (يا أرحم الراحمين) أى يا موصوفا بكمال الاحسان (أنت أرحم الراحمين) وصف له تعالى بغاية الرحمة بعد ماذكر لنفسه مايوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب بصريح اللفظ تلطفا فى السؤال وأدبا وأكد ذلك ولمح للمراد فقال (وأنت رب المستضعفين) ففى ذكر لفظ رب والاضافة اليهم مزيد الاستعطاف فطوى فى ضمن هذه الالفاظ العذبة البديعة نحو أن يقول فقونى واجعل لى المخلص وأعزنى فى الناس وعدل الى الثناء على ربه بهاتين الجملتين الثابتتين عند ابن اسحق الساقطتين فى رواية الطبرانى لان الكريم بالثناء يعطى المراد

ولا أكرم منه سبحانه وتعالى (الى من تكلنى) تفوض أمرى (الى عدو بعيد) وسقط فى رواية الطبرانى لفظ بعيد (يتجهمنى) بتحتية ففوقية فجيم فهاء مشددة مفتوحات والاستفهام للاستعطاف بحذف الاداة أى أتكلنى الى عدو (ام الى صديق قريب ملكته امرى) جعلته مسلطا على ايذاءى ولا استطيع دفعه والجملة دالة على المدعو به أى لا تجعل لى ذلك (ان لم تكن غضبانا) وفى رواية ان لم تكن ساخطا وأخرى ان لم يكن بك سخط وأخرى ان لم يكن بك غضب (على فلا أبالى) بما تصنع بى أعداءى وأقاربى من الايذاء طلبا لمرضاتك ووثوقا بما عندك (غير أن عافيتك) وهى السلامة من البلايا والاسقام مصدر جاء على فاعلة (أوسع لى) فيه أن الدعاء بالعافية مطلوب محبوب ونحوه لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية وهكذا عادة الانبياء عليهم السلام انما يسألون بعد البلاء عنهم (أعوذ بنور وجهك) أى ذاتك زاد الطبرانى الكريم أى الشريف والكريم يطلق على الشريف النافع الدائم نفعه قال السهيلى وأتى بالوجه ايذانا بأن بغيته الرضا والقبول والاقبال لان من رضى عنك أقبل عليك بوجهه لا صلة للتأكيد كما زعم من غلظ طبعه ولو قال بنورك لحسن ولكنه توسل اليه بما أودع قلبه من نوره فتوسل الى نعمته بنعمته والى فضله ورحمته بفضله ورحمته انتهى (الذى) زاد الطبرانى أضاءت له السموات والارض و (أشرقت) بالبناء للفاعل أى أضاءت (له الظلمات) أى أزيلت وعطفه عليه فى رواية الطبرانى مع انه بمعناه لان اختلاف اللفظ سوغ العطف ولذا غاير فى التعبير كراهة توالى لفظين بمعنى ولم يسقطه للاطناب المطلوب فى الدعاء وضبط بعضهم أشرقت بالبناء للمفعول لقول الزمخشرى فى قراءة وأشرقت الارض بنور ربها بالمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به مردود فانما هو ظاهر فى الآية لا الحديث اذ لا يظهر فيه امتلاءت الظلمات بالضوء الا بتعسف قال فى الروض النور هنا عبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الالهية وأشرقت الظلمات أى محالها وهى القلوب التى كانت فيها ظلمات الجهالات والشكوك فاستنارت بنور الله تعالى قال وقد تكون الظلمات هنا أيضا المحسوسة واشراقها دلالتها على خالقها وكذلك الانوار المحسوسة الكل دال عليه فهو نور النور أى مظهره ومنور الظلمات أى جاعلها نورا فى حكم الدلالة عليه سبحانه انتهى والحمل على ما يشمل الحسى والمعنوى اولى وان آخره وقلله فيكون من استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه أو عموم المجاز ثم لا يشكل الحديث بأن المعروف انه لا ظلمة فى الملا الاعلى لانه انما هو به تعالى وله وما أحسن قول صاحب الحكم الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو قبله أو عنده أو بعده فقد اعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار انتهى (وصلح) بفتح اللام وتضم استقام وانتظم (عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك أو يحل) بكسر الحاء يجب وضمها أى ينزل وبهما قرئ فيحل عليكم غضبى (بى سخطك) أى غضبك فهو من عطف الرديف مرفوعان فاعل ينزل ويحل بالتحتية ومنصوبان على المفعولية لكن بالفوقية فى الفعلين مضمومة مع كسر حاء تحل فقط وأفاد بعضهم ان الوجهين رواية فى لفظ الطبرانى ان يحل على غضبك أو ينزل على سخطك (ولك العتبى) بضم العين وألف

قوله ولو قال بنورك الخ لعله بك أو بوجهك كما يفيده ما بعده اهـ

مقصورة أى اطلب رضاك (حتى ترضى) قال فى النهاية استعتب طلب ان يرضى عنه وقال الهروى يقال عتب عليه وجد فاذا فاوضه ماعتب عليه قيل عاتبه والاسم العتبى وهو رجوع المعتوب عليه الى مايرضى المعاتب انتهى ولايظهر تفسير الشامى العتبى بالرضا لركة قولنا لك الرضا حتى ترضى (ولاحول) أى تحول عن المعاصى (ولاقوة) على فعل الطاعات (الابك) بتوفيقك واستعاذ بما بعد الاستعاذة بذاته تعالى للاشارة الى انه لايوجد حركة ولاسكون فى خير أوشر الابأمره تعالى التابع لمشيئته انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (أورده ابن اسحق) محمد فى السيرة بلفظ فلما اطمأن قال فيما ذكر فساقه (ورواه الطبرانى) سليمان بن أحمد بن أيوب (فى كتاب الدعاء) وهو مجلد وكذا رواه فى معجمه الكبير (عن عبد الله بن جعفر) بن أبى طالب الصحابى ابن الصحابى (قال) وهذا مرسل صحابى لانه ولد بالحبشة فلم يدرك ما حدث به لقوله (لما توفى أبو طالب خرج النبى صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطائف) بلد معروف سمى بذلك لان رجلا من حضرموت أصاب دما فى قومه وفر اليه فقال لهم ألا أبنى لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه أو لان الطائف المذكور فى القرآن وهو جبريل اقتلع الجنة التى كانت بصوران على فراسخ من صنعاء فأصبحت كالصريم وهو الليل وأتى بها الى مكة فطاف بها ثم وضعها به فكان الماء والشجر بالطائف دون ما حولها أولغير ذلك أقوال (فدعاهم الى الاسلام) أوالى نصره وعونه حتى يبلغ رسالة ربه (فلم يجيبوه) لاالى الاسلام ولاالى غيره (فأتى ظل شجرة) من عنب فعند ابن اسحق جلس الى ظل حبلة بمهملة فموحدة مفتوحة قال السهيلى وسكونها ليس بالمعروف أى كرمة اشتق اسمها من الحبل لانها تحبل بالعنب ولذا فتح حمل الشجرة والنخلة فقيل حمل بفتح الحاء تشبيها بحمل المرأة وقد يقال حمل بكسرها تشبيها بالحمل على الظهر انتهى (فصلى ركعتين) قبل الدعاء ليكون أسرع اجابة وليزول غمه وهمه بمناجاة ربه فيها (ثم قال اللهم اليك أشكو فذكره) بنحو ما أورده ابن اسحق وقد بينا ألفاظه التى زادها ونقصها (وقوله يتجهمنى بتقديم الجيم على الهاء) المشددة (أى يلقانى بالغلظة والوجه الكريه) قاله فى النهاية وقال الزمخشرى وجه جهم غليظ وهو البائس الكريه ويوصف به الاسد وتجهمت الرجل وجهمته استقبلته بوجه كريه وقيل هو أن يغلظ له فى القول ومن المجاز الدهر يتجهم الكرام وتجهمه أمله اذا لم يصبه (ثم دخل عليه السلام مكة فى جوار المطعم بن عدى) بعد أن أقام بنخلة أياما وقال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك فقال يازيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله مظهر دينه وناصر نبيه ثم انتهى الى حراء وبعث عبد الله بن الاريقط الى الاخنس بن شريق ليجيره فقال أنا حليف والحليف لايجير فبعث الى سهيل بن عمرو فقال ان بنى عامر لاتجير على بنى كعب فبعث الى المطعم بن عدى فأجابه فدخل صلى الله عليه وسلم فبات عنده فلما أصبح تسلح المطعم هو وبنوه وهم ستة أوسبعة فقالوا له صلى الله عليه وسلم طف واحتبوا بحمائل سيوفهم بالمطاف فقال أبو سفيان للمطعم أمجير أم تابع قال بل مجير قال اذن لانخفر قد أجرنا من أجرت فقضى صلى الله عليه وسلم طوافه وانصرفوا معه الى منزله ذكر ابن اسحق هذه القصة مبسوطة وأوردها

انتهى باسناد حسن مرسل لكن فيه أنه أمر أربعة من أولاده فلبسوا السلاح وقام كل واحد عند ركن من الكعبة فقالت له قريش أنت الرجل الذي لا تخفر ذمتك ويمكن الجمع بأن الاربعة عند الاركان والمطعم وباقيهم في المطاف قال في النور وفي جواب سهيل والاخنس نظر لانهما ولم يكونا ممن يجير لما ساءهما النبي صلى الله عليه وسلم كيف وعامر الذي هو جد سهيل وكعب اخوان ولدا لؤي انتهى قيل ولذا قال صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له وقيل لقيامه في نقض الصحيفة ولا مانع انه لكليهما وسماهم نتنى لكفرهم كما في النهاية وغيرها وقول المصنف المراد قتلى بدر الذين صاروا جيفا يرده قول الحديث في اسارى بدر وهذا من شيمه صلى الله عليه وسلم الكريمة تذكر وقت النصر والظفر للمطعم هذا الجميل ولم يذكر قوله صبح الاسراء كل أمرك كان قبل اليوم أمما هو يشهد أنك كاذب وقد قال واصفه لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولما مات المطعم قبل وقعة بدر رثاه حسان بن ثابت كما سأذكره ان شاء الله في غزوتها ولا ضير فيه لان الرثاء تعداد المحاسن بعد الموت ولاريب ان فعله مع المصطفى من أجلها فلا مانع منه ومن ذكر نحو كرم أصله وشرفهم هذا وذكر ابن الجوزي في دخوله صلى الله عليه وسلم في جوار كافر وقوله في المواسم من يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي حكمتين احداهما اختبار المبتلى أي معاملته معاملة من يختبر ليسكن قلبه الى الرضا بالبلاء فيؤدي القلب ما كلف به من ذلك والثانية أن بث الشبهة في خلال الحجج لثبات المجتهد في دفع الشبهة انتهى

* وقت الاسراء *

(ولما كان في شهر ربيع الاول) أو الآخر أو رجب أو رمضان أو شوال أقوال خمسة (اسرى بروحه وجسده يقظة) لا مناما مرة واحدة في ليلة واحدة عند جمهور المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عنه وقيل وقع الاسراء والمعراج في مرتين مناما ويقظة وقيل الاسراء في ليلة والمعراج في ليلة وقيل الاسراء يقظة والمعراج منام وقيل الخلاف في انه يقظة أو منام خاص بالمعراج لا بالاسراء وقيل الاسراء مرتان يقظة الاولى بلا معراج والثانية به (من المسجد الحرام) عند البيت في الحطيم أو الحجر وفي رواية فرج سقف بيتي وفي أخرى أنه أسرى به من شعب أبي طالب وفي أخرى من بيت أم هانئ وجمع الحافظ بانه كان في بيت أم هانئ وهو عند شعب أبي طالب ففرج سقف بيته وأضافه اليه لانه كان يسكنه فنزل منه الملك فأخرجه منه حتى أتى المسجد وبه أثر النعاس ثم أخرجه الى باب المسجد فأركبه البراق (الى المسجد الاقصى) وصرحت السنة بأنه دخله واليه أشار بقوله (ثم عرج به من المسجد الاقصى الى فوق سبع سموات) الى حيث شاء العلي الاعلى (ورأى ربه بعيني رأسه) على ما رجحه جمع ونفتها عائشة وابن مسعود ورجح في المفهم القول بالوقف وعزاه لجماعة من المحققين وقول عائشة ما فقدت جسده انما احتج به من قال ان الاسراء كان مناما كما سيأتي بسط ذلك للمصنف في مقصده (وأوحى اليه ما أوحى) أبهم للتعظيم فلا يطلع عليه بل يتعبد بالايمان به أو ألم أجدك يتيما

فاكويتك الخ أو الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك أو تخصيصه بالكوثر أو الصلوات الخمس أقوال (وفرض عليه الصلاة ثم انصرف في ليلته الى مكة فأخبر بذلك) الناس مؤمنهم وكافرهم (فصدقه الصديق) قيل فلقب بذلك يومئذ (وكل من آمن بالله) تعالى ايمانا قويا لا تعرض له الشكوك والاوهام فلا ينافي انه ارتد كثير استبعاد اللخبر (وكذب به الكفار) وزادوا عليه عتوا (واستوصفوه مسجد بيت المقدس) فسألوه عن أشياء لم يثبتها قال صلى الله عليه وسلم فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله قط ومن جملة الاشياء قولهم كم للمسجد من باب قال ولم أكن عددتها (فمثله الله له) وعند ابن سعد فخيل الى بيت المقدس وطفقت أخبرهم عن آياته قال الحافظ يحتمل ان المراد مثل قريبا منه كما قيل في حديث أريت الجنة والنار وفي البخاري فجلى الله لى بيت المقدس أى كشف الحجب بينى وبينه حتى رأيته ويحتمل أنه حمل حتى وضع حيث يراه ثم أعيد ففي حديث ابن عباس عند أحمد والبزار فجيء بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وأنا أنظر اليه وهذا أبلغ في المعجزة ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس في طرفة عين انتهى ملخصا (فجعل ينظر اليه ويصفه) فيطابق ما عندهم ولكن من يضلل الله فماله من هاد (قال الزهري) الاولى العطف بالواو لانه مقابل ما أفاده قوله في شهر ربيع الاول من أنه من سنة احدى عشرة من المبعث لانه يرتب الوقائع على السنين (وكان ذلك) الاسراء (بعد المبعث) كذا في النسخ والذي في الفتح عن الزهري قبل الهجرة (بخمس سنين) فيكون بعد المبعث بثمان لانه أقام بمكة ثلاث عشرة سنة اللهم الا ان يكون المصنف ألغى مدة الفترة على انها ثلاث سنين وهذا ان أمكن به صحته لكن المنقول عن الزهري كما ترى خلافه (حكاه عنه القاضي عياض) ورجحه كما في الفتح عنه (و) كذا (رجحه القرطبي والنووي) تبعا لعياض ثلاثتهم في شرح مسلم (واحتج) عياض وتابعاه (بأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة اما بثلاث أو بخمس ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الاسراء وتعقب بأن موت خديجة بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح في رمضان وذلك قبل أن تفرض الصلاة) فبطل قولهم صلت معه الخمس اتفاقا (ويؤيده) أى الصحيح (اطلاق حديث عائشة أن خديجة ماتت قبل أن تفرض الصلوات الخمس ويلزم منه أن يكون موتها قبل الاسراء وهو المعتمد وأما تردده) أى عياض وتابعيه (في سنة وفاتها) بقوله اما بثلاث أو بخمس (فيرده جزم عائشة) عند البخاري (بانها ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين قاله الحافظ ابن حجر) في فتح الباري وقال فيه في باب المعراج في جميع ما نفاه أى عياض وتابعاه من الخلاف نظر أما أولا فقد حكى العسكري انها ماتت قبل الهجرة بسبع سنين وقيل بأربع وعن ابن الاعرابي انها ماتت عام الهجرة وأما ثانيا فان فرض الصلاة اختلف فيه فقيل كان من أول البعثة وكان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي وأما الذي فرض ليلة الاسراء فالصلوات الخمس وأما ثالثا فقد جزمت عائشة بأن خديجة ماتت قبل ان تفرض الصلاة المكتوبة فالمعتمد أن مراد من قال بعد أن فرضت الصلاة ما فرض قبل الصلوات الخمس ان ثبت ذلك ومراد عائشة

الصلوات الخمس فيجمع بين القولين بذلك ويلزم منه انها ماتت قبل الاسراء انتهى (وقيل) كان الاسراء (قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر قاله السدي وأخرجه من طريقه) أي عنه (الطبري) بن جرير (والبيهقي فعلى هذا كان في شوال) لما يجيء انه خرج الى المدينة لهلال ربيع الاول وقدمها لاثنتي عشرة خلت منه وقال الحافظ فعلى هذا كان في رمضان أو شوال على الغاء الكسرين (وقيل كان في رجب حكاه) أبو عمر يوسف (بن عبد البر) النمري بفتحتين القرطبي الحافظ المشهور ساد أهل الزمان في الحفظ والاتقان ولد في ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة ومات سنة ثلاث وستين وأربعمائة مر بعض ترجمته (و) حكاه (قبله) بسكون الباء ظرف أبو محمد عبد الله بن مسلم (بن قتيبة) الدينوري بفتح الدال وتكسر النحوي اللغوي مؤلف ادب الكاتب وغيره ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين ومات سنة سبع وستين ومائتين (وبه جزم النووي في الروضة) تبعا للرافعي (وقيل قبل الهجرة بسنة) واحدة قاله ابن سعد وغيره وبه جزم النووي (وقاله ابن حزم) وبالغ (وادعى فيه الاجماع) قال الحافظ وهو مردود ففي ذلك خلاف يزيد على عشرة أقوال (وقيل قبل الهجرة بسنة وثلاثة أشهر فعلى هذا يكون في ذي الحجة) لما مر في خروجه من المدينة (وبه جزم) أحمد (بن فارس) اللغوي أبو الحسين الرازي الامام في علوم شتى المالكي الفقيه غلب عليه علم النحو ولسان العرب فشهر به له مصنفات وأشعار جيدة مات سنة تسعين وقيل خمس وسبعين وثلثمائة (وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين ذكره ابن الاثير) وقيل قبلها بثمانية أشهر وقيل بستة أشهر حكاهما ابن الجوزي وقيل بسنة وشهرين حكاه ابن عبد البر (وقال) ابراهيم بن اسحق (الحربي) نسبة الى محلة الحربية ببغداد البغدادي الحافظ شيخ الاسلام الامام البارع في العلوم الزاهد مات في ذي الحجة سنة خمس وسبعين ومائتين (انه كان في سابع عشري ربيع الآخر) قبل الهجرة بسنة واحدة ورجحه ابن المنير في شرح سيرة ابن عبد البر كذا نسبه للحربي جمع منهم الحافظ في الفتح وابن دحية في الابتهاج والذي نقله ابن دحية في التنوير والمعراج الصغير وأبو شامة في الباعث والحافظ في فضائل رجب عن الحربي ربيع الاول (وكذا قال النووي في فتاويه) على ما في بعض نسخها (لكن قال في شرح مسلم) على ما في بعض نسخه (ربيع الاول) وفي أكثر نسخ الشرح ربيع الآخر والذي في النسخ المعتمدة من الفتاوى الاول وهكذا نقله عنها الاسنوي والاذرعي والدميري (وقيل كان ليلة السابع والعشرين من رجب) وعليه عمل الناس قال بعضهم وهو الاقوى فان المسئلة اذا كان فيها خلاف للسلف ولم يقم دليل على الترجيح واقترن العمل بأحد القولين أو الاقوال وتلقى بالقبول فان ذلك مما يغلب على الظن كونه راجحا (و) لذا (اختاره الحافظ عبد الغني) بن عبد الواحد بن علي (بن سرور المقدسي) فنسبه لجد أبيه الحنبلي الامام أوحد زمانه في الحديث والحفظ الزاهد العابد صاحب العمدة والكمال وغير ذلك نزل مصر في آخر عمره وبها مات يوم الاثنين ثالث عشري ربيع الآخر سنة ستمائة وله تسع وخمسون سنة وقال ابن عطية بعد نقل الخلاف والتحقيق انه كان بعد شق الصحيفة وقبل بيعة العقبة وقيل كان قبل المبعث قال الحافظ

وهو شاذ الا ان حمل على انه وقع حينئذ فى المنام (وأما اليوم الذى يسفر) بفتح الياء وكسر الفاء من سفرت الشمس طلعت (عن ليلتها) أى الذى يطلع فجره بعد ليلتها وبضمها من أسفر الصبح اسفارا أضاء أى الذى يضىء بعد ليلتها وعن بمعنى بعد عليهما (فقيل) هو (الجمعة) أى اليوم المسمى به (وقيل) هو (السبت) أى يومه (وعن ابن دحية) الحافظ أبى الخطاب عمر بفتح الدال وكسرها نسبة الى جده الاعلى دحية بن خليفة الكلبى الصحابى لانه كان يقول انه من ولده (يكون ان شاء الله تعالى يوم الاثنين ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة فان هذه اطوار الانتقالات وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة) لكن فى عده المعراج شئ لانه محل النزاع فكيف يستدل به وحاصله كما قال الشامى انه استنبطه بمقدمات حساب من تاريخ الهجرة وحاول موافقته لتلك الاطوار وقال يكون الاثنين فى حقه كالجمعة لآدم (وسيأتى ان شاء الله تعالى قصة الاسراء والمعراج وما فيهما من المباحث) فى المقصد الخامس وانما ذكرها هنا زمن وقوعه مراعاة لالتزامه ترتيب الوقائع (والله الموفق) للخير (والمعين) عليه لا غيره

* ذكر عرض المصطفى نفسه على القبائل ووفود الانصار *

(ولما أراد الله تعالى اظهار دينه) انتشاره بين الناس ودخولهم فيه (واعزاز نبيه) تصييره عزيزا معظما عند جميع الناس ومنع من يريده بسوء بعد ما لقى من قومه (وانجاز موعده) تعالى (له) صلى الله عليه وسلم أى نصره على أعدائه فهو تفسير لما قبله وقد قال الله تعالى ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وفى الصحيح ان الله زوى لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها (خرج صلى الله عليه وسلم فى الموسم) وكان فى رجب كما فى حديث جابر عند أصحاب السنن (الذى لقى فيه الانصار) جمع ناصر كأصحاب وصاحب على تقدير حذف ألف ناصر لزيادتها فهو ثلاثى يجمع على افعال قياسا ويقال جمع نصير كشريف وأشراف على القياس وجمعوا جمع قلة وان كانوا ألوفا لان جمع القلة والكثرة انما يعتبران فى نكرات الجموع أما فى المعارف فلا فرق بينهما وتسميتهم بالانصار حينئذ باعتبار المآل والا فهو اسم اسلامى لما فازوا به دون غيرهم من نصره صلى الله عليه وسلم وايوائه ومن معه ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم (الاوس والخزرج) بنصبهما على البدلية وفى نسخة بواو عطف التفسير سموا باسم جديهما الاعلين الاوس والخزرج الاكبر ولدى حارثة بن ثعلبة قال السهيلى الاوس فى الاصل الذئب والعطية والخزرج الريح الباردة وفى الصحاح الاوس العطية والذئب وبه سمى الرجل وفيه أيضا الخزرج ريح قال الفراء هى الجنوب غير مجراة فلم يقيده بالباردة وتبعه القاموس لكنه قال الاوس الاعطاء وبينه وبين العطية التى عبر بها فرق (فعرض صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب) بأمر الله تعالى كما فى حديث على الآتى (كما كان يصنع فى كل موسم) ذكر الواقدى أنه صلى الله عليه وسلم مكث ثلاث سنين مستخفيا ثم اعلن فى الرابعة فدعا الناس الى الاسلام عشر سنين يوافى المواسم كل عام يتبع الحاج فى منازلهم بعكاظ ومجنة وذى المجاز يدعوهم الى

أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه فلا يجد أحدا ينصره ولا يجيبه حتى انه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة فيردون عليه أقبح الرد ويؤذونه ويقولون قومك أعلم بك فكان ممن سمى لنا من تلك القبائل بنو عامر بن صعصعة ومحارب وفزارة وغسان ومرة وحنيفة وسليم وعبس وبنو نصر والبكاء وكندة وكعب والحرث بن كعب وعذرة والحضارمة وذكر نحوه ابن اسحق بأسانيد متفرقة وقال موسى بن عقبة عن الزهرى كان قبل الهجرة يعرض نفسه على القبائل ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم الا ان يؤوه ويمنعوه ويقول لا أكره أحدا منكم على شئ بل أريد أن تمنعوا من يؤذينى حتى ابلغ رسالات ربى فلا يقبله أحد بل يقولون قوم الرجل اعلم به وأخرج أحمد والبيهقى وصححه ابن حبان عن ربيعة بن عباد بكسر المهملة وخفة الموحدة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز يتبع الناس فى منازلهم يدعوهم الى الله تعالى وروى أحمد وأصحاب السنن وصححه الحاكم عن جابر كان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول هل من رجل يحملنى الى قومه فان قريشا قد منعونى أن ابلغ كلام ربى فأتاه رجل من همدان فأجابه ثم خشى أن لا يتبعه قومه فجاءاليه فقال آتى قومى فأخبرهم ثم آتيك من العام المقبل فانطلق الرجل وجاء وفد الانصار فى رجب وأخرج الحاكم وأبو نعيم والبيهقى باسناد حسن عن ابن عباس حدثنى على بن أبى طالب قال لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر الى منى حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب وتقدم أبو بكر وكان نسابة فقال من القوم قالوا من ربيعة قال من أى ربيعة أنتم قالوا من ذهل فذكر حديثا طويلا فى مراجعتهم وتوقفهم اخيرا عن الاجابة قال ثم دفعنا الى مجلس الاوس والخزرج وهم الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار لكونهم أجابوه الى ايوائه ونصره قال فمانهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم (فبينما هو عند العقبة) الاولى كما فى ابن اسحق أى عقبة الجمرة كما جزم به غير واحد واستظهره البرهان تبعا للمحب الطبرى اذليس ثم عقبة أظهر منها ويجوز أن المراد بها المكان المرتفع عن يسار قاصد منى ويعرف عند أهل مكة بمسجد البيعة وعليه فالمعنى فى مكان قريب من العقبة (لقى رهطا) رجالا دون عشرة (من الخزرج) لا ينافى قوله أولا الاوس والخزرج لجواز أنه لقيهم من جملة القبائل قبل لقى أولئك الرهط من الخزرج (أراد الله بهم خيرا) هو الهداية للدين القويم (فقال لهم من أنتم قالوا نفر) بفتحتين (من الخزرج) زاد ابن اسحق قال أمن موالى يهود قالوا نعم يعنى من حلفائهم لانهم كانوا تحالفوا على التناصر والتعاضد (قال أفلا تجلسون أكلمكم) بالجزم جواب الطلب وجازمه شرط مقدر على الصحيح ويجوز الرفع على الاستئناف (قالوا بلى) زاد فى رواية من أنت فانتسب لهم وأخبرهم خبره (فجلسوا معه) وفى رواية وجدهم يحلقون رؤسهم فجلس اليهم (فدعاهم الى الله) وبين المراد منه بقوله (وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن) أى بعضه (وكان من صنع الله أن اليهود كانوا معهم) مع الاوس والخزرج (فى بلادهم وكانوا أهل كتاب) وعلم وكانوا هم أصحاب شرك أصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم كما عند

ابن اسحق (وكان الاوس والخزرج أكثر منهم فكانوا اذا كان بينهم شئ) من خصومة أو محاربة (قالوا) أى اليهود (ان نبيا سيبعث) السين لتخليص الفعل عن وقت التكلم فلا تنافى بينه وبين قوله (الآن) أى الزمان الذى فيه الحروب والمخالفة بينهم وان امتد وأطلق اسم الآن عليه للعرف فى مثله ولفظ المصنف هو ما فى الفتح عن ابن اسحق ولفظ العيون عنه ان نبيا مبعوث الآن (قد أظل) قرب (زمانه نتبعه فنقتلكم معه) قتل عاد وارم كما فى ابن اسحق أى نستأصلكم (فلما كلمهم النبى صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت) الوصف الذى كانوا يسمعونه قبل من اليهود (فقال بعضهم لبعض) بادروا لاتباعه (لا تسبقنا اليهود اليه) وفى رواية فلما سمعوا قوله أيقنوا به واطمأنت قلوبهم الى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون من صفته فقال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله انه للنبى الذى توعدكم به اليهود فلا يسبقونكم اليه (فأجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام) وكانوا من أسباب الخير الذى سببه له صلى الله عليه وسلم (فأسلم منهم ستة نفر) وقيل ثمانية ذكره غير واحد (وكلهم من الخزرج) أتى به مع علمه من قوله لقى رهطا من الخزرج لما قد يتوهم انه انضم اليهم وقت الاسلام بعض الاوس أو لدفع توهم التغليب لما جرت به عادتهم من تغليب الخزرج على الاوس والخزرج معا قال شيخنا البابلى ولم يعكس ذلك فرارا من اشعار لفظ الاوس بالذم لانه معناه لغة الذئب ولزجر البقر والمعز بخلاف لفظ الخزرج فانما يشعر بالمدح لانه الريح أو الريح الباردة (وهم أبو أمامة أسعد) بألف قبل السين الساكنة (ابن زرارة) بضم الزاى النجارى شهد العقبات الثلاث وكان أول من صلى الجمعة على قول وأول من مات من الصحابة بعد الهجرة وأول ميت صلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم هذا قول الانصار أما المهاجرون فقالوا أول ميت صلى عليه عثمان بن مظعون رواه الواقدى قال فى الاصابة واتفق أهل المغازى والاخبار على ان أسعد مات فى حياته صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة احدى من الهجرة فى شوال (وعوف بن الحرث بن رفاعة) بكسر الراء وبالفاء النجارى استشهد ببدر (وهو ابن عفراء) بنت عبيد النجارية الصحابية وهى أم معاذ ومعوذ واليها ينسبون (ورافع بن مالك بن العجلان) ضد العالى الزرقى بزاى فراء فقاف العقبى اختلف فى شهوده بدرا قال ابن اسحق هو أول من قدم المدينة بسورة يوسف وروى الزبير بن بكار عن عمر بن حنظلة ان مسجد بنى زريق أول مسجد قرئ فيه القرآن وأن رافع بن مالك لما لقيه صلى الله عليه وسلم بالعقبة أعطاه ما أنزل عليه فى العشر سنين التى خلت وقدم به رافع المدينة ثم جمع قومه فقرأ عليهم فى موضعه قال وتعجب صلى الله عليه وسلم من اعتدال قبلته استشهد باحد (وقطبة) بضم القاف وسكون المهملة (ابن عامر بن حديدة) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين أبو الوليد السلمى حضر العقبات الثلاث وبدرا والمشاهد قال أبو حاتم مات فى خلافة عمر وقال ابن حبان فى خلافة عثمان (وعقبة) بضم العين وسكون القاف (ابن عامر بن نابى) بنون فألف فموحدة منقوص كالقاضى قال ابن دريد من نبا ينبو اذا ارتفع كما فى النور وفى سبل الرشاد بنون فألف فموحدة فتحتية السلمى حضر بدرا وسائر المشاهد

واستشهد باليمامة (وجابر بن عبد الله بن رياب) بكسر الراء فتحتية خفيفة فألف فوحدة ضبطه ابن ماكولا وغيره ابن النعمان بن سنان السلمي شهد بدرا وما بعدها له حديث عند الكلبي عن أبي صالح عنه رفعه في قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قال يمحو من الرزق قال ابن عبد البر لا أعلم له غيره ورقم في الاصابة بان البغوي وابن السكن وغيرهما رووا عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال مر بي ميكائيل في نفر من الملائكة الحديث قال البغوي لا أعرف له غيره وهو مردود أيضا بالحديث قبله وبأن البخاري في التاريخ روى عنه قصة أبي ياسر بن أخطب والاحاديث الثلاثة طرقها ضعيفة انتهى ملخصا (وليس) جابر هذا (بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام) بفتح المهملة الانصاري الصحابي ابن الصحابي وجابر بن عبد الله في الصحابة خمسة الثالث جابر بن عبد الله العبدي من عبد القيس الرابع جابر بن عبد الله الراسبي نزل البصرة روى ابن منده عنه رفعه من عفا عن قاتله دخل الجنة قال ابن منده غريب ان كان محفوظا وقال أبو نعيم قوله لراسبي وهم انما هو الانصاري الخامس جابر بن عبد الله الانصاري استصغره النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرده وليس بالذي يروى عنه الحديث رواه ابن سعد عن زيد ابن حارثة وذكره الطبري وكذا العمري في المغازي كما في الاصابة فقصر البرهان في قوله انهم أربعة فترك الخامس مع ان من ذكره العمري الذي حشاه هو ونبه على انه غير راوي الحديث لكن البرهان قال في غزوة أحد هو اما الراسبي أو العبدي انتهى وفيه نظر للتصريح بأنه أنصاري وأيضا فالعبدي من وفد عبد القيس وانما وفدوا سنة تسع ولهم قدمة قبلها سنة خمس وأحد سنة ثلاث باتفاق وقوله أيضا لا أعلم رواية لغير جابر بن عبد الله بن عمرو تقصير فقد علمت أن لابن رياب ثلاثة أحاديث وكذا العبدي فقد روى أحمد والبغوي عنه قال كنت في وفد عبد القيس مع أبي فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن الشرب في الاوعية الحديث (ومن أهل العلم بالسير) كما قال أبو عمر (من يجعل فيهم عبادة بن الصامت) أبا الوليد البدري وحضر سائر المشاهد مات بفلسطين ودفن ببيت المقدس على الاشهر وقيل بالرملة سنة أربع وثلاثين وحكى ابن سعد أنه بقي الى خلافة معاوية وأمه قرة العين بنت عبادة أسلمت وبايعت (ويسقط جابر بن رياب) نسبة لجده كما علم ولكن الاول قول ابن اسحق وتبعه جماعة وبه صدر في الفتح ثم قال وقال موسى بن عقبة عن الزهري وأبو الاسود عن عروة هم أسعد ورافع ومعاذ بن عفراء ويزيد بن ثعلبة وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة ويقال كان فيهم عبادة بن الصامت وذكوان انتهى واختلف في أول الانصار اسلاما فقال ابن الكلبي وغيره أولهم رافع بن مالك وقال ابن عبد البر جابر بن عبد الله بن رياب وقال مغلطاي لما ذكر ابتداء اسلام الانصار فاسلم منهم أسعد ابن زرارة وذكوان بن عبد قيس فلما كان من العام المقبل في رجب أسلم منهم ستة وقيل ثمانية فذكرهم انتهى ويمكن الجمع بأن أسعد ما أظهره الامع الخمسة أو السبعة المذكورين معه وأن رافعا وابن رياب أول من أظهره من الستة (فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي فقالوا يا رسول الله انما كانت بعاث)

بضم الموحدة وحكى القزاز فتحها وتخفيف المهملة فألف فمثلثة وذكر الازهرى ان الليث صحفه عن الخليل بغين معجمة وذكر عياض أن الاصيلى رواه بالمهملة والمعجمة وان رواية أبى ذر بالمعجمة فقط ويقال ان أبا عبيدة ذكره بالمعجمة أيضا وهو مكان ويقال حصن ويقال مزرعة عند بنى قريظة على ميلين من المدينة كانت به وقعة بين الاوس والخزرج قتل فيها كثير منهم وكان رئيس الاوس حضير والد أسيد الصحابى ويقال له رئيس الكتائب ورئيس الخزرج عمرو بن النعمان البياضى وقتلا يومئذ وكان النصر فيها أولا للخزرج ثم ثبتهم حضير فرجعوا وانتصرت الاوس ذكره الفتح قال فى المطالع يجوز صرف بعاث وتركه قال العينى اذا كان اسم يوم صرف واذا كان اسم بقعة منع للتأنيث والعلمية انتهى (عام أول) بالاضافة ومنعه ابن السكيت وأجازه غيره كالعام الاول وهو (يوم من أيامنا اقتتلنا به) ذكر أبو الفرج الاصبهانى فى الاغانى ان سبب ذلك أنه كان من قاعدتهم أن الاصيل لا يقتل بالحليف فقتل اوسى حليفا للخزرج فأرادوا أن يقتدوه فامتنعت فوقعت الحرب بينهم لاجل ذلك فقتل فيها من أكابرهم من كان لا يؤمن أن يتكبر ويأنف أن يدخل فى الاسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره والى ذلك أشارت عائشة رضى الله عنها بقولها فى الصحيح كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فقدم رسول الله وقد افترق ملاهم وقتلت سرواتهم وجرحوا قال الحافظ وقد كان بقى منهم من هذا النحو عبد الله بن أبى ابن سلول وكانت هذه الوقعة قبل الهجرة بخمس سنين على الاصح وقيل بأربعين سنة وقيل باكثر (فان تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا) وقد فعل كما أشار اليه صلى الله عليه وسلم يوم خطبهم بقوله ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فألفكم الله بى (وندعوهم) أى عشائرنا (الى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد) بالنصب اسم لا النافية للجنس (أعز منك) بالرفع خبرها وهو أظهر من رفع أحد ونصب أعز على انها نافية للوحدة لافادة النافية للجنس التنصيص على العموم (وموعدك الموسم العام المقبل وانصرفوا الى المدينة ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم) لتحدثهم بما علموا منه فظهر وانتشر (فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وفى الاكليل) اسم كتاب للحاكم بكسر الهمزة وسكون الكاف وهو فى الاصل كما فى الفتح العصابة التى تحيط بالرأس وأكثر استعماله اذا كانت العصابة مكللة بالجوهر وهى من سمات ملوك الفرس وقيل أصله ما أحاط بالظفر من اللحم ثم أطلق على كل ما أحاط بشئ ثم (احد عشر وهى العقبة الثانية) وعدها أولى ابن اسحق وغيره باعتبار المبايعة أو بالنسبة للثالثة كما فى نحو ادخلوا الاول فالاول فسمى غير الاول أولا بالنسبة لمن بعده (فأسلموا فيهم خمسة من الستة المذكورين) فى الاولى (وهم أبو أمامة) أسعد بن زرارة (وعوف ابن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى ولم يكن منهم جابر ابن عبد الله بن رياب لم يحضرها) صفة لازمة لمجرد التأكيد (والسبعة تتمة الاثنى عشر وهم معاذ بن الحرث بن رفاعة) كما فى العيون وأقره البرهان وبه جزم فى الاصابة وأبدل

الشامى" معاذا اباخيه معوذ وضبطه بصيغة اسم الفاعل ولكن لم يذكر ذلك فى الاصابة فى ترجمة معوذ (وهو) أى معاذ المشهور بأنه (ابن عفراء) أمه (أخو عوف المذكور) وأخو معوذ أيضا الثلاثة أشقاء وأخوتهم لامهم اياس وعاقل وخالد" وعامر بنو البكير الليثى" وشهد السبعة بدرا وهل جرح معاذ بأحد فمات بالمدينة من جراحته أو شهد جميع المشاهد ومات فى خلافة عثمان أو فى خلافة على" أقوال حكاها أبو عمر قال ابن الاثير وزعم ابن الكلبى" أنه استشهد ببدر لم يوافق عليه (وذكوان) بفتح المعجمة واسكان الكاف (ابن عبد قيس) البدرى" (الزرقى) بتقديم الزاى المضمومة على الراء وكذا كل ما فى نسب الانصار قاله ابن ماكولا وغيره نسبة الى جده زريق الخزرجى يكنى أبا السبع (وقيل انه رحل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فسكنها معه فهو مهاجرى" انصارى") وبه جزم أبو عمر وتبعه الذهبى" وروى الواقدى" عن حبيب بن عبد الرحمن قال خرج أسعد بن زرارة وذكوان ابن عبد قيس الى عتبة بن ربيعة بمكة فسمعا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتياه فأسلما ولم يقربا عتبة وكانا أول من قدم المدينة بالاسلام (قتل يوم أحد) قتله أبو الحكم بن الاخنس بن شريق فشد على" رضى الله عنه على أبى الحكم فقتله وقال صلى الله عليه وسلم من أحب ان ينظر الى رجل يطأ بقدمه غدا خضرة الجنة فلينظر الى هذا رواه ابن المبارك (وعبادة) بمهملة مضمومة فموحدة (ابن الصامت بن قيس) بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن الخزرج (وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة) بن خزمة بفتح المعجمتين ضبطه الدارقطنى" كالطبرى" وقال ابن اسحق والكلبى" بسكون الزاى ابن أصرم بن عمرو بن عمارة بفتح العين وشد الميم ابن مالك بن فران بفتح الفاء وتخفيف الراء وتشديدها ويقال فيه أيضا فاران بن بلى (البلوى") بفتحتين نسبة الى جده بلى هذا حليف الخزرج ذكر ابن اسحق أنه شهد العقبة الثانية وقال الطبرى" شهد العقبتين (والعباس بن عبادة بن نضلة) بنون مفتوحة وضاد معجمة ابن مالك بن العجلان روى ابن اسحق أنه قال انكم تأخذون محمدا على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون أنكم اذا انهكتكم الحرب اسلمتموه فمن الآن فاتركوه وان صبرتم على ذلك فخذوه وقال عاصم بن عمر والله ما قال ذلك الا ليشد العقد وقال عبد الله بن أبى بكر لحضور ابن سلول وأقام العباس بمكة حتى هاجر معه صلى الله عليه وسلم فكان انصاريا مهاجريا واستشهد بأحد (وهؤلاء من الخزرج ومن الاوس رجلان أبو الهيثم) مالك ويقال عبد الله (ابن التيهان) بفتح الفوقية فتحتية مخففة عند أهل الحجاز مشددة عند غيرهم قال السهيلى" واسمه أيضا مالك لكن فى الاصابة يقال التيهان لقب واسمه مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن زعوراء الانصارى" الاوسى" وزعوراء أخو عبد الاشهل شهد العقبة وبدرا والمشاهد كلها وشهد صفين مع على" فى قول الاكثر ويقال قتل بها سنة سبع وثلاثين ويقال مات سنة عشرين ويقال سنة احدى وعشرين قال أبو أحمد الحاكم ولعلها أصوب وقد قال الواقدى" لم أر من يعرف أنه قتل بصفين ولا يثبته وقيل مات فى حياة النبى" صلى الله عليه وسلم قال أبو عمر هذا لم يتابع عليه قائله انتهى ملخصا (من بنى عبد الاشهل) على حذف مضاف أى بنى أخى عبد

الاشهل وفى الاستيعاب حليف بنى عبد الاشهل ونسبه أوسيا قال السهيلى وأنشد فيه ابن رواحة

فلم أركالاسلام عزالاهله * ولامثل أضياف الاراشىّ معشرا

فجعله أراشيا نسبة الى أراشة فى خزاعة والى أراش بن لحيان بن الغوث وقيل انه بلوى من بنى أراشة بن فاران بن بلى والهيثم لغة العقاب وضرب من العشب وبه أوبالاول سمى الرجل انتهى (وعويم) بضم المهملة وفتح الواو وسكون التحتية فميم ليس بعدها راء. (ابن ساعدة) بن عائش بتحتية وشين معجمة بن قيس بن النعمان شهد العقبتين وبدرا وباقى المشاهد ومات فى خلافة عمر عن خمس أوست وستين سنة ووقف عمر على قبره وقال لا يستطيع أحد أن يقول انا خير من صاحب هذا القبر مانصبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم راية الا وعويم تحت ظلها أخرجه البخارى فى التاريخ وبه جزم غير واحد وهو أصح من قول الواقدى مات عويم فى حياته صلى الله عليه وسلم كما فى الاصابة (فأسلموا وبايعوا) كما رواه ابن اسحق عن عبادة قال كنت فيمن حضر العقبة وكنا اثنى عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (على بيعة النساء أى على وفق بيعتهم) أى المذكورين من اضافة المصدر لمفعوله أى ان بيعة النساء (التى أنزلت عند فتح مكة) وفق بيعة هؤلاء النفر وجعل بيعة النساء موافقة لتأخرها عن هذه (وهى أن لا نشرك بالله شيأ) عام لانه نكرة فى سياق النهى كالنفى وقدم على مابعده لانه الاصل (ولا نسرق) بحذف المفعول ليدل على العموم كان فيه قطع أم لا (ولا نزنى ولا نقتل أولادنا) خصهم بالذكر لانهم كانوا غالبا يقتلونهم خشية الاملاق ولانه قتل وقطيعة رحم فصرف العناية اليه اكثر (ولا نأتى ببهتان) قال المصنف وغيره أى بكذب يبهت سامعه أى يدهشه لفظاعته كالرمى بالزنا والفضيحة والعار (نفتريه) نختلقه (بين أيدينا وأرجلنا) أى من قبل أنفسنا فكنى باليد والرجل عن الذات لان معظم الافعال بهما أوأن البهتان ناشئ عما يختلقه القلب الذى هو بين الايدى والارجل ثم يبرزه بلسانه أوالمعنى لا نبهت الناس بالمعايب كفاحا مواجهة انتهى (ولا نعصيه) صلى الله عليه وسلم (فى معروف) قيد به تطييبا لقلوبهم اذ لا يأمر الا به أوتنبيها على أنه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق (و) نعطيه (السمع والطاعة) فهما بالنصب بفعل محذوف أوبالجر عطف على بيعة النساء أوعلى معروف قال الباجى السمع هنا يرجع الى معنى الطاعة (فى العسر واليسر) أى عسر المال ويسره (والمنشط) بفتح الميم والمعجمة بينهما نون ساكنة أى ما تنشط له النفوس مما يسرّها (والمكره) ما تكرهه النفوس مما يشق عليها والمراد أنهم يطيعونه صلى الله عليه وسلم فى كل أمره ونهيه سهل أوشق (واثرة) بضم الهمزة وسكون المثلثة وبفتحهما وبكسر الهمزة وسكون المثلثة كما ذكره المصنف فى حديث ستلقون بعدى اثرة وهو بالجر والنصب أيضا أى وعلى اثرة أو نعطيه اثرة (علينا) بأن نرضى بفعله استبد لنفسه أو لغيره لكن لم يقع استيثاره لنفسه الشريفة فى الامور الدنيوية عليهم ولا على غيرهم الا فى نحو الزوجات ولسن بدنيوية محضة (وان لا ننازع الامر) الملك والامارة (أهله) فلا نتعرض لولاة الامور حيث كانوا على الحق قال الباجى فى شرح الموطا

يحتمل أنه شرط على الانصار ومن ليس من قريش ان لا ينازعوا قريشا ويحتمل عمومه في جميع الناس أن لا ينازعوا من ولاه الله الامر منهم وان كان فيهم من يصلح له اذا صار لغيره قال السيوطي والصحيح الثاني ويؤيده انّ في مسند أحمد زيادة وان رأيت أنّ لك في الامر حقا ولابن حبان وان أكلوا مالك وضربوا ظهرك وزاد البخاري الا أن تروا كفرا بواحا أي ظاهرا باديا انتهى (وان نقول) ضمنه معنى نعترف فعدّاه بالباء (بالحق) أي نعترف به (حيث كنا لانخاف في الله لومة لائم) بل نتصلب في ديننا واللومة المرّة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان (ثم قال عليه الصلاة والسلام) بعد هذه المبايعة (فان وفيتم فلكم الجنة) فضلا من الله (ومن غشي) بغين وشين معجمتين أي فعل (من ذلك شيأ كان أمره) مفوّضا (الى الله ان شاء عذبه) بعدله (وان شاء عفا عنه) بفضله (ولم يفرض يومئذ القتال) فلم يبايعهم عليه وهذا الحديث أخرجه الشيخان وغيرهما بألفاظ متقاربة لكن لم يقع في رواية الشيخين التصريح بأن المبايعة هذه ليلة العقبة نعم اخراج البخاري الحديث في وفود الانصار ظاهر في وقوعها الليلتئذ وبه جزم عياض وغيره لكن رجح الحافظ أن المبايعة ليلة العقبة انما كانت على الايواء والنصر وما يتعلق بذلك وأما على الصفة المذكورة فانما هي بعد فتح مكة وبعد نزول آية الممتحنة بدليل ما في البخاري في حديث عبادة هذا أنه صلى الله عليه وسلم لما بايعهم قرأ الآية كلها ولمسلم فتلا علينا آية النساء وله أيضا أخذ علينا كما أخذ على النساء وعند النسائي ألا تبايعوني على ما أبايع عليه النساء وفي حديث أبي هريرة ما أدري الحدود كفارة لاهلها أم لا واسلام أبي هريرة متأخر عن ليلة العقبة وعند ابن أبي خيثمة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال قال صلى الله عليه وسلم أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيأ فذكر نحو حديث عبادة ورجاله ثقات فاذا كان عبد الله بن عمرو ممن حضر البيعة وليس انصاريا ولا ممن حضر بيعتهم وانما أسلم قرب اسلام أبي هريرة وضح تغاير البيعتين وانما حصل الالتباس من جهة ان عبادة حضر البيعتين معا وكانت بيعة العقبة من أجل ما يتمدّح به فكان يذكرها اذا حدّث تنويها بسابقته فلما ذكر هذه البيعة التي صدرت على مثل بيعة النساء توهم من لم يقف على حقيقة الحال أن بيعة العقبة وقعت على ذلك وانما وقعت على الايواء والنصر وما يتعلق بذلك انتهى ملخصا وقال المصنف الراجح أن التصريح بذلك أي بأن بيعة العقبة وقعت على وفق بيعة النساء وهم من بعض الرواة والذي دل عليه الاحاديث أن البيعة ثلاثة العقبة وكانت قبل فرض الحرب والثانية بعد الحرب على عدم الفرار والثالثة على نظير بيعة النساء انتهى (ثم انصرفوا الى المدينة فاظهر الله الاسلام وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم) وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كان أبي اذا سمع الاذان للجمعة استغفر لاسعد بن زرارة فسألته فقال كان أوّل من جمع بنا بالمدينة (وكتب الاوس والخزرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ابعث الينا من يقرئنا القرآن فبعث اليهم مصعب بن عمير) وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين وكان يسمى بالمدينة المقرئ والقارئ ونزل على أسعد بن زرارة وذلك أن الاوس

والخزرج فكره بعضهم أن يؤمّهم بعض هكذا ذكره ابن اسحق في رواية وذكر في رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم بعث مع الاثني عشر رجلا مصعب بن عمير العبدري وهو الذي ذكره ابن عقبة قال البيهقي وسياق ابن اسحق أتم انتهى وجمع بجواز أنه أرسله معهم ابتداء واتفق أنهم كانوا كتبوا له قبل علمهم بارساله وفيه بعد (وروى الدارقطني عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير أن يجمع بهم الحديث) ولفظه عن ابن عباس أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر ولم يستطع أن يجمع بمكة ولا يبدي ذلك لهم فكتب الى مصعب بن عمير * أما بعد فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا زال النهار عن شطره فتقربوا الى الله بركعتين قال فهو أول من جمع حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمع عند الزوال وأظهر ذلك ولا تنافي بين هذا وبين قوله قبل كان أسعد يجمع بهم الموافق لقول كعب بن مالك أول من جمع بهم أسعد لان جمع مصعب بمعاونته لانه لما نزل عليه وكان يقوم بأمره وسعى في التجميع نسب اليه لكونه مسببا في الجمع (وكانوا أربعين رجلا) كما رواه أبو داود وصريح هذا انهم انما جمعوا بأمره صلى الله عليه وسلم وروى عبد بن حميد باسناد صحيح عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل ان يقدم رسول الله المدينة وقبل ان ينزل بهم الجمعة فقال الانصار ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وأنزل الله بعد ذلك اذا نودي للصلاة الآية قال الحافظ فهذا يدل على انهم اختاروه بالاجتهاد وقال السهيلي تجميع الصحابة الجمعة وتسميتهم اياها بهذا الاسم هداية من الله لهم قبل أن يؤمروا بها ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاستقر فرضها واستمر حكمها ولذا قال صلى الله عليه وسلم أضلته اليهود والنصارى وهدانا الله له قال الحافظ ولا يبعد أنه صلى الله عليه وسلم علم بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن من اقامتها وقد ورد فيه حديث ابن عباس عند الدارقطني ولذا جمع بهم أول ما قدم المدينة كما حكاه ابن اسحق وغيره وعلى هذا فقد حصلت الهداية للجمعة بجهتي البيان والتوقيف انتهى يعني انهم لما اجتهدوا فيه واجمعوا على فعله يوم الجمعة قدم عليهم الكتاب النبوي الى مصعب بالجمع بهم فوافق اجتهادهم النص فلذا قال هدانا الله له (فأسلم على يد مصعب بن عمير خلق كثير من الانصار وأسلم في جماعتهم سعد بن معاذ) بذال معجمة بن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الاشهل الانصاري الاوسي سيدهم وافق حكمه حكم الله واهتز عرش الرحمن لموته (وأسيد) بضم الهمزة وفتح السين (ابن حضير) بضم المهملة وفتح المعجمة ابن سماك بن عتيك الانصاري الاوسي الاشهلي المتوفى في خلافة عمر سنة عشرين على الاصح وصلى عليه عمر أسلما في يوم واحد أسيد أولا ثم سعد والقصة مبسوطة في السير (وأسلم باسلامهما جميع بني عبد الاشهل) بفتح الهمزة والهاء بينهما معجمة ساكنة آخره لام ابن جشم بن الحرث بن الخزرج الاصغر بن عمرو بن مالك ابن الاوس قال ابن دريد زعموا أن الاشهل صنم (في يوم واحد الرجال والنساء ولم يبق

منهم

منهم أحد الا أسلم) وذلك ان سعدا لما ذهب لمصعب وأسلم أقبل الى نادى قومه ومعه أسيد فقال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال في الرواية فوالله ما أمسى فيهم رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة (حاشى الاصيرم) بصاد مهملة تصغير اصرم وبه يلقب أيضا وقدمه بعض على المصغر (وهو عمرو) بفتح العين (ابن ثابت) بمثلثة (ابن وقش) بفتح الواو وسكون القاف وتفتح وشين معجمة ويقال اقيش وقد ينسب الى جده فيقال عمرو بن اقيش (فانه تأخر اسلامه الى يوم احد فأسلم واستشهد) بأحد (ولم يسجد لله سجدة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة) رواه ابن اسحق باسناد حسن مطولا عن أبي هريرة أنه كان يقول حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل صلاة قط فاذا لم يعرفه الناس قال هو أصيرم بني عبد الاشهل فذكر الحديث (ولم يكن في) بني (عبد الاشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضي الله عنهم) وهذه منقبة عظيمة (ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة الثالثة في العام المقبل في ذي الحجة اوسط ايام التشريق منهم) أي الانصار (سبعون رجلا) كما ورد من حديث جابر وأبي مسعود الانصاري وقطع به الحافظ في سيرته وقدمه مغلطاي (وقال ابن سعد يزيدون رجلا أو رجلين وامرأتان) عطف على سبعون (وقال ابن اسحق ثلاث وسبعون رجلا وامرأتان) وعينهما ابن اسحق فقال نسيبة أي بفتح النون وكسر المهملة بنت كعب بن عمرو بن عوف المازنية النجارية شهدت هذه العقبة مع زوجها زيد بن عاصم وولديها حبيب وعبد الله والثانية أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي وقد صدر في الاستيعاب بقول ابن اسحق قال اليعمري هذا العدد هو المعروف وان زاد في التفصيل على ذلك فليس بزيادة في الجملة وانما هو بجعل الخلاف فيمن شهد فبعض الرواة يثبته وبعضهم يثبت غيره بدله وقد وقع ذلك في أهل بدر وشهداء أحد وغير ذلك انتهى وبينهم هو وغيره بما يطول ذكره (وقال الحاكم خمسة وسبعون نفسا) هو عين ما قبله ان لم يثبت انه كان فيهم أكثر من امرأتين (فكان) كما روى الحاكم من طريق ابن اسحق عن عكرمة عن ابن عباس (أول من ضرب على يده عليه السلام) في البيعة ليلة العقبة (البراء) بفتح الباء والراء ممدودا مخففا (ابن معرور) بميم مفتوحة فمهملة ساكنة فراء مضمومة فواو فراء ثانية قال السهيلي معناه مقصود ابن صخر الخزرجي السلمي ابن عمة سعد بن معاذ كان سيد قومه وأفضلهم قدم في هذه العقبة مسلما وصلى في سفره ذلك الى الكعبة مع نسخها باجتهاد منه وخالفه غيره فلما سأله صلى الله عليه وسلم قال له قد كنت على قبلة لو صبرت عليها ولم يأمره بالاعادة قال السهيلي لانه كان متأولا ثم أمره أن يستقبل المقدس فأطاع فلما حضره موته أمر أهله أن يوجهوه قبل الكعبة ومات في صفر قبل قدومه صلى الله عليه وسلم بشهر قاله ابن اسحق وغيره وأوصى بثلث ماله الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبله ثم رده على ولده وهو أول من أوصى بثلثه (ويقال) كما نقله ابن اسحق عن بني عبد الاشهل (أسعد بن زرارة) ورواه العدني عن جابر وزاد وهو أصغر السبعين الا أنا وأخرج ابن سعد عن سليمان بن سحيم

قال تفاخرت الاوس والخزرج فيمن ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أول الناس فقالوا الا أحد أعلم به من العباس بن عبد المطلب فسألوه فقال ما أحد أعلم بهذا مني أول من ضرب على يده صلى الله عليه وسلم تلك الليلة أسعد بن زرارة ثم البراء بن معرور ثم أسيد بن الحضير (على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود) قال في النور يعني العرب والعجم والظاهر أنه لا يجيء فيه ما جاء في بعثه صلى الله عليه وسلم الى الاسود والاحمر العجم والعرب أو الجن والانس لانه مبعوث للكل بخلاف الحرب (وكانت أول آية نزلت في الاذن بالقتال اذن للذين يقاتلون الآية) كما قاله الزهري عن عروة عن عائشة أخرجه النسائي (وفي الاكليل) أول آية نزلت في الاذن به (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية) وهذه فائدة استطرادية هنا لمناسبة المبايعة على الحرب (ونقب عليهم اثنى عشر نقيبا) قال السهيلي اقتداء بقوله تعالى في قوم موسى وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا قال ابن اسحق تسعة من الخزرج أسعد بن زرارة وعبد الله بن رواحة وسعد بن الربيع ورافع بن مالك وأبو جابر عبد الله بن عمرو والبراء بن معرور وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وعبادة بن الصامت وثلاثة من الاوس أسيد بن حضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر قال ابن هشام وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعة وروى البيهقي عن الامام مالك حدثني شيخ من الانصار أن جبريل كان يشير له الى من يجعله نقيبا وقال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم قالوا نعم (وفي حديث جابر) بن عبد الله (عند أحمد باسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان مكث صلى الله عليه وسلم) بمكة (عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بمنى وغيرها يقول من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة) ان أسلم (حتى بعثنا) معشر الانصار (الله له من يثرب) المدينة المنورة (فذكر الحديث) وهو فصدقناه فرحل اليه منا سبعون رجلا فواعدناه شعب العقبة فقلنا علام نبايعك فقال على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (وفيه) عقب هذا (وعلى ان تنصروني اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة الحديث) ولاحمد من وجه آخر عن جابر قال كان العباس آخذا بيد رسول الله فلما فرغنا قال صلى الله عليه وسلم أخذت وأعطيت وللبزار عن جابر قال قال صلى الله عليه وسلم للنقباء من الانصار تؤووني وتمنعوني قالوا نعم فما لنا قال الجنة وروى البيهقي باسناد قوي عن الشعبي ووصله الطبري من حديث أبي مسعود الانصاري قال انطلق صلى الله عليه وسلم معه العباس عمه الى السبعين من الانصار عند العقبة فقال له أبو أمامة يعني أسعد بن زرارة سل يا محمد لربك ولنفسك ما شئت ثم أخبرنا ما لنا من الثواب قال أسئلكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأسئلكم لنفسي ولاصحابي ان تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فما لنا قال الجنة قالوا ذلك لك وأخرجه أحمد من الوجهين جميعا وعند ابن اسحق فقال

ابو

أبو الهيثم يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال أي اليهود حبالا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم (وحضر العباس العقبة تلك الليلة متوثقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على أهل يثرب وكان يومئذ على دين قومه) الا انه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه فلما جلس كان أول متكلم فقال ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد أبي الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده فقالوا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لربك ولنفسك ما أحببت الحديث ذكره ابن اسحق والله أعلم

(باب هجرة المصطفى وأصحابه الى المدينة)

قال صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام اني أهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلي الى انها اليمامة أو هجر فاذا هي المدينة يثرب رواه الشيخان وروى البيهقي عن صهيب رفعه أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرتين فاما أن تكون هجرا أو يثرب ولم يذكر اليمامة وأخرج الترمذي والحاكم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله أوحى الي أي هؤلاء الثلاثة نزلت هي دار هجرتك المدينة او البحرين او قنسرين زاد الحاكم فاختار المدينة صححه الحاكم وأقره الذهبي في تلخيصه لكنه قال في الميزان حديث منكر ما أقدم الترمذي على تحسينه بل قال غريب وقال الحافظ في ثبوته نظر لمخالفته ما في الصحيح من ذكر اليمامة لان قنسرين من الشام من جهة حلب واليمامة الى جهة اليمن الا ان حمل على اختلاف المأخذ فالاول جرى على مقتضى الرؤية والثاني خير بالوحي فيحتمل انه أري أولا ثم خير ثانيا فاختار المدينة وفي الصحيح مرفوعا أريت دار هجرتكم بين لابتين قال الزهري وهما الحرتان قال ابن التين رأى صلى الله عليه وسلم دار هجرته بصفة تجمع المدينة وغيرها ثم رأى الصفة المختصة بالمدينة فتعينت انتهى (قال ابن اسحق ولما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانت سرا) عن كفار قومهم و(عن كفار قريش) هكذا عند ابن اسحق أنها كانت سرا عن الفريقين فكأنه سقط من قلم المصنف أو لم يتعلق به غرضه أي كفار الانصار الذين قدموا معهم حجاجا قال الحاكم وكانوا خمسمائة ثم ظهرت لهم بعد ففي حديث عائشة وأبي امامة بن سهل لما صدر السبعون من عنده صلى الله عليه وسلم طابت نفسه وقد جعل الله له منعة أهل حرب ونجدة وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج فضيقوا على أصحابه وأتعبوهم ونالوا منهم مالم يكونوا ينالون من الشتم والاذى فشكوا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد أريت دار هجرتكم سبخة ثم مكث أياما ثم خرج مسرورا فقال قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فمن أراد منكم أن يخرج فليخرج اليها فجعلوا

يتجهزون ويترافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك وهذا معنى قوله (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة) بعد الاذى والشكوى والرؤيا والاخبار بالوحى انها يثرب خلاف مقتضى جعله جواب لما من اتصاله بالبيعة وأنهما فى زمن واحد (الى المدينة) علم على النبوية بحيث اذا أطلق لا يتبادر الى غيرها سميت بذلك فى القرآن وبالدار ودار الايمان وفى التوراة بطابة وطائب وطيبة والمسكينة والجابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة وفى مسلم ان الله سمى المدينة طابة وفى الطبرانى ان الله أمرنى أن أسمى المدينة طيبة ومن أسمائها دار الاخيار والاسلام ودار الابرار وغير ذلك الى نحو مائة اسم وكثرة الاسماء آية شرف المسمى وألف فى ذلك المجد الشيرازى مؤلفا حافلا (فخرجوا أرسالا) بفتح الهمزة أى افواجا وفرقا منقطعة واحدهم رسل بفتح الراء والسين كما فى النور قال شيخنا وفيه تغليب فقد خرج كثير منهم منفردين مستخفين (وأقام) صلى الله عليه وسلم (بمكة ينتظر أن يؤذن له فى الخروج فكان أول من هاجر من مكة الى المدينة) بنصب أول خبر كان واسمها (أبو سلمة) عبد الله (بن عبد الاسد) بسين ودال مهملتين كما فى السبل ابن هلال المخزومى البدرى أخو المصطفى من الرضاعة وابن عمته برة وقال فيه أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الاسد رواه ابن أبى عاصم توفى سنة أربع عند الجمهور وهو الراجح وفى الاستيعاب سنة ثلاث وفى التجريد تبعا لابن منده سنة اثنتين (قبل بيعة العقبة بسنة) وذلك أنه (قدم من الحبشة لمكة فآذاه أهلها وبلغه اسلام من أسلم من الانصار) وهم الاثنا عشر أصحاب العقبة الثانية كما قال ابن عقبة (فخرج اليهم) وكلام المصنف متناف اذ أوله صريح فى أن خروج أبى سلمة بعد العقبة الثالثة وهذا صريح فى أنه قبلها الا أن تكون الفاء بمنزلة الواو وليست مرتبة على أمره صلى الله عليه وسلم بل غرضه مجرد الاخبار عن أول من هاجر وهذا قول ابن اسحق وبه جزم ابن عقبة وأنه أول من هاجر مطلقا وفى الصحيح عن البراء أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن ام مكتوم قال الحافظ فيجمع بينهما بحمل الاولية على صفة خاصة هى أن أبا سلمة خرج لا لقصد الاقامة بالمدينة بل فرارا من المشركين بخلاف مصعب فكان على نية الاقامة بها وجمع شيخنا بأن خروج مصعب لما كان لتعليم من أسلم بالمدينة لم يعده من الخارجين لاذى المشركين بخلاف أبى سلمة انتهى وفى النور حاصل الاحاديث فى أول من هاجر هل هو مصعب وبعده ابن أم مكتوم أو أبو سلمة او عبد الله بن جحش وحاصلها فى النسوة أم سلمة أو ليلى بنت أبى حثمة أو أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط او الفارعة بنت ابى سفيان (ثم عامر بن ربيعة) المذحجى أو العنزى بسكون النون من عنز بن وائل أحد السابقين الاولين هاجر الى الحبشة بزوجته أيضا وشهد بدرا وما بعدها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين وغيرهما توفى سنة ثلاث أو اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك (و) معه (امرأته ليلى) بنت أبى حثمة بفتح المهملة وسكون المثلثة ابن غانم قال أبو عمر هى أول ظعينة قدمت المدينة وقال موسى ابن عقبة وغيره أولهن أم سلمة وجمع بأن ليلى أول ظعينة مع زوجها وأم سلمة وحدها فقد

ذكر

ذكر ابن اسحق أن أهلها بني المغيرة حبسوها عن زوجها سنة ثم أذنوا لها في اللحاق به فهاجرت وحدها حتى اذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة العبدري وكان يومئذ مشركا فشيعها حتى اذا أوفى على قباء قال لها زوجك في هذه القرية ثم رجع الى مكة فكانت تقول ما رأيت صاحبا قط أكرم من عثمان كان اذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى اذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده بالشجر ثم يضطجع تحت شجرة فاذا دنا الرواح قام الى البعير فرحله ثم استأخر عني وقال اركبي فاذا استويت عليه أخذ بخطامه فقادني قال البرهان ويكفيه من مناقبه هذه التي يشاب عليها في الاسلام على الصحيح لحديث حكيم أسلمت على ما سلف لك من خير انتهى (ثم عبد الله بن جحش) بأهله وأخيه أبي أحمد عبد بلا اضافة على الصحيح كما قال السهيلي تبعا لابن عبد البر وقيل اسمه ثمامة ولا يصح وقيل عبد الله وليس بشئ كان ضريرا يطوف أعلى مكة وأسفلها بلا قائد فصيحا شاعرا وعنده الفارعة بمهملة بنت أبي سفيان ومات بعد العشرين وكان منزلهما ومنزل أبي سلمة على مبشر بن عبد المنذر بقباء في بني عمرو بن عوف قال أبو عمر هاجر جميع بني جحش بنسائهم فعدا أبو سفيان على دارهم فتملكها زاد غيره فباعها من عمرو بن علقمة العامري فذكر ذلك عبد الله بن جحش لما بلغه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا في الجنة خيرا منها قال بلى قال فذلك لك فلما فتح مكة كلمه أبو أحمد في دارهم فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الناس يا أبا أحمد انه صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا في شئ أصيب منكم في الله فأمسك أبو أحمد عن كلام رسول الله هكذا في العيون وسقط في الشامية فاعل أمسك فأوهم أنه أمر وانما هو فعل ماض (ثم المسلمون ارسالا) ومنهم عمار بن ياسر وبلال وسعد بن أبي وقاص كما في الصحيح أنهم هاجروا قبل عمر (ثم عمر بن الخطاب) أمير المؤمنين تقدم قول ابن مسعود كان اسلام عمر عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة وأخرج ابن عساكر وابن السمان في الموافقة عن علي قال ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وأنفض بدنه أي أخرج أسهما من كنانته وجعلها في يديه معدة للرمي بها واختصر عنزته أي حملها مضمومة الى خاصرته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال لهم شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس من أراد أن تثكله أمه أو يؤتم ولده أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه أحد الا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم اليه ثم مضى لوجهه (وأخوه زيد) بن الخطاب أسن من عمر وأسلم قبله وشهد بدرا والمشاهد واستشهد باليمامة وراية المسلمين بيده سنة ثنتي عشرة وحزن عليه عمر شديدا وقال سبقني الى الحسنيين أسلم قبلي واستشهد قبلي (وعياش) بفتح المهملة وشد التحتية وشين معجمة (ابن أبي ربيعة) واسمه عمرو ويلقب ذا الرمحين ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي من السابقين الاولين وهاجر الهجرتين ثم خدعه أبو جهل الى أن رجع من المدينة الى مكة فحبسوه فكان صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت كما في الصحيحين وقول العسكري شهد بدرا غلط ومات

بالشام سنة خمس عشرة وقيل استشهد باليمامة وقيل باليرموك (في عشرين راكبا) كما في الصحيح عن البراء وسمى ابن اسحق منهم زيدا وعياشا المذكورين وعمرا وعبد الله ابني سراقة بن المعتمر العدوى وخنيس بن حذافة السهمي وسعيد بن زيد وواقد بن عبد الله وخولى بن أبي خولى ومالك بن أبي خولى واسم أبي خولى عمرو بن زهير وبنو البكير أربعتهم اياس وعاقل وعامر وخالد وزاد ابن عائذ في مغازيه الزبير قال في الفتح فلعل بقية العشرين كانوا من أتباعهم (فقدموا المدينة فنزلوا) على رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بقباء كما قاله ابن اسحق وهو بيان قوله تبعا لابي عمر (في العوالى) جمع عالية قال السمهودى وهي ما كان في جهة قبلتها من قباء وغيرها على ميل فاكثر لما قالوه في السنح بضم المهملة وسكون النون وبضم وحاء مهملة انه بالعوالى على ميل من المسجد النبوى وهو أدناها وأقصاها عمارة ثلاثة أميال أو أربعة وأقصاها مطلقا ثمانية أميال أو ستة (ثم خرج عثمان ابن عفان) ذو النورين أمير المؤمنين وتتابع الناس بعده (حتى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا على بن أبي طالب وأبو بكر) الصديق (كذا قال ابن اسحق) وغيره (قال مغلطاى وفيه نظر لما يأتى بعده) في كلام مغلطاى من أنه لما رأى ذلك أى هجرة الجماعة من كان بمكة يطيق الخروج خرجوا فطلبهم أبو سفيان وغيره فردوهم وسجنوهم فافتتن منهم ناس ولما ذكر ابن هشام وغيره أن صهيبا لما أراد الهجرة قال له الكفار اتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك فقال صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى قالوا نعم قال فانى جعلت لكم مالى فتركوه فسار حتى قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ربح بيعك ثلاثا والجواب أن المعنى لم يبق ممن قدر على الخروج وقد عبر اليعمرى وغيره بلفظ لم يتخلف معه أحد من المهاجرين الا من حبس بمكة أو افتتن الا على وأبو بكر قال البرهان الحلبي هذا صحيح لا اعتراض عليه (وكان الصديق كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة) الى المدينة بعد أن رد على ابن الدغنة جواره كما في حديث عائشة في البخارى قالت وتجهز أبو بكر قبل المدينة ولابن حبان عنها استأذن أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم في الخروج من مكة (فيقول لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكون هو) وعند البخارى فقال له صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر ورسلك بكسر الراء مهملة والرسل السير الرفيق وفي رواية ابن حبان فقال اصبر ولفظ أنت مبتدأ خبره بأبي ويحتمل أنه تأكيد لفاعل ترجو وبأبي قسم وحبس نفسه منعها وفي رواية ابن حبان فانتظره أبو بكر والسمر بفتح المهملة وضم الميم وقوله وهو الخبط مدرج من تفسير الزهرى وفي قوله أربعة أشهر بيان المدة التى كانت بين ابتداء هجرة الصحابة بين العقبة الاولى والثانية وبين هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ومر أن بين العقبة الثانية وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهرين وبعض شهر على التحرير انتهى من فتح البارى (ثم اجتمع قريش)

قال

قال ابن اسحق لما رأوا هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له أصحاب من غيرهم فحذروا خروجه وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا (ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي) وذلك أنه وقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه بت بفتح الموحدة وشد الفوقية قيل كساء غليظ أو طيلسان من خز قال في النور والظاهر أنه فعل ذلك تعظيما لنفسه فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل (في دار الندوة) بفتح النون والواو بينهما مهملة ساكنة ثم تاء تأنيث (دار قصي بن كلاب) قال ابن الكلبي وهي أول دار بنيت بمكة وحكى الازرقي أنها سميت بذلك لاجتماع الندى فيها يتشاورون والندى الجماعة ينتدون أي يتحدثون فلما حج معاوية اشتراها من الزبير العبدري بمائة ألف درهم ثم صارت كلها بالمسجد الحرام وهي في جانبه الشمالي وقال الماوردي صارت بعد قصي لولده عبد الدار فاشتراها معاوية من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وجعلها دار الامارة وقال السهيلي صارت بعد بني عبد الدار الى حكيم بن حزام فباعها في الاسلام بمائة ألف درهم زمن معاوية فلامه وقال أبعت مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم ذهبت والله المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله فأينا المغبون ذكر ذلك الدارقطني في رجال الموطا انتهى (وكانت قريش لا تقضي أمرا الا فيها) قيل وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشي الا ان بلغ أربعين سنة بخلاف القرشي وقد أدخلوا أبا جهل ولم تتكامل لحيته واجتمعوا يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة (يتشاورون فيما يصنعون في أمره عليه الصلاة والسلام) وكانوا مائة رجل كما في المورد لابن دحية وزعم ابن دريد في الوشاح انهم كانوا خمسة عشر رجلا فقال أبو البختري بفتح الموحدة وسكون المعجمة وفتح الفوقية وراء فياء كما النسب ابن هشام المقتول كافرا ببدر احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء قبله فقال النجدي ما هذا برأي والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى أصحابه فلا وشكوا ان يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم تكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأي فانظروا في غيره فقال أبو الاسود ربيعة بن عمرو العامري قال في النور ولا أعلم ماذا جرى له نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فقال النجدي لعنه الله والله ما هذا برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك لما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد ادبروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله ان لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه أرى ان تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فنعقله لهم فقال النجدي لعنه الله القول ما قال لا رأي غيره (فأجمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك) هكذا رواه ابن اسحق وفي خلاصة

الوفاء وصوّب ابليس قول أبي جهل أرى ان يعطى خمسة رجال من خمس قبائل سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد انتهى فلعلهم استبعدوا عليه قوله من كل قبيلة اذ لا يكن عشرون مثلا ان يضربوا شخصا ضربة واحدة فقال لهم خمسة رجال (فان قيل لم تمثل الشيطان فى صورة نجدى فالجواب) كما قال السهيلى فى الروض (لانهم قالوا كما ذكره بعض أهل السير لا يدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة لان هواهم) أى ميلهم (مع محمد فلذلك تمثل فى صورة نجدى انتهى) ووقع له ذلك أيضا يوم وضع الحجر الاسود قبل النبوة فصاح يا معشر قريش أقد رضيتم ان يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوى اسنانكم فان صح فلمعنى آخر (ثم أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه) بضم الصاد يرقبونه (حتى ينام فيثبوا عليه فأمر عليه السلام عليا فنام مكانه وغطى ببرد) له صلى الله عليه وسلم بأمره بقوله كما رواه ابن اسحق وتسج بردى هذا الحضرى الاخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم وكان صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك اذا نام (أخضر) قيل كان يشهد به الجمعة والعيدين بعد ذلك عند فعلهما وعورض بقول جابر كان يلبس رداء أحمر فى العيدين والجمعة وجمع باحتمال ان الخضرة لم تكن شديدة فتجوّز من قال أحمر (فكان على أوّل من شرى) باع (نفسه فى الله ووقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم) واستشكل هذا بقوله عليه السلام لن يخلص اليك شئ تكرهه لانه بعد خبر الصادق تحقق ان لا يصيبه ضرر وأجيب بجواز أنه أخبره بذلك بعد أمره بالنوم وامتثاله فصدق انه بالامتثال باع نفسه قبل بلوغ الخبر ويحتمل انه فهم انه لن يخلص اليك ما دام البرد عليك لجعله ذلك علة لامره بتغطيه به والبرد لا يؤمن زواله عنه بريح أو انقلاب فى نوم فصدق مع هذا انه باع نفسه وأما معارضة رواية ابن اسحق لن يخلص اليك بأنه لم يذكرها المقريزى فى الامتاع وانما فيه انه أمره ان ينام مكانه لامر جبريل له بذلك ففاسدة اذ الترك لا يقضى على الذاكر مع ان روايته لا علة لها الا ارسال الصحابى وليس بعلة وهب أن ما فى الامتاع رواية لا علة فيها فزيادة الثقة مقبولة ولكن القوس فى يد غير باريها (وفى ذلك يقول على

وقيت بنفسى خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول اله خاف أن يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر)

وبعدهما فى الشامية وغيرها

وبات رسول الله فى الغار آمنا * موقى وفى حفظ الاله وفى ستر

وبت أراعيهم وما يتهمونى * وقد وطنت نفسى على القتل والاسر

يتهمونى بضم التحتية من اتهمه بكذا اتهاما ادخل عليه التهمة كما فى القاموس ومر ما صوبه الزمخشرى انه لم يقل الابيتين مر أفى أوّل من أسلم لكن فى مسلم فقال على أى مجيبا لمرحب اليهودى يوم خيبر

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

الآن يقال لم يقل في غير الافتخار الجائز في الحرب هذا وما في الاحياء ان الله أوحى الى جبريل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بحياة فاختار كل منهما الحياة فأوحى الله اليهما افلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة وفيه نزل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله الآية فقال الحافظ ابن تيمية انه كذب باتفاق علماء الحديث والسير وقال الحافظ العراقي في تخريج الاحياء رواه أحمد مختصرا عن ابن عباس شرى علي نفسه فلبس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم أقف لهذه الزيادة على أصل والحديث منكر انتهى ورد أيضا بأن الآية في البقرة وهي مدنية اتفاقا وقد صحح الحاكم نزولها في صهيب (ثم خرج صلى الله عليه وسلم) من الباب عليهم (وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم) وروى ابن منده وغيره عن مارية خادم النبي صلى الله عليه وسلم انها طأطأت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا ليلة فر من المشركين قال البرهان والاول أولى لان ابن اسحق أسنده وما فيه الا الارسال أي ارسال الصحابي وهو ابن عباس وحديث مارية فيه مجاهيل فان صحا وفق بينهما انتهى بأن يكون صعد الحائط ليراهم ثم رجع وخرج من الباب أو يكون أراد ذلك أولا كراهة رؤيتهم ثم تركه ذلك ثقة بالله تعالى وخرج من الباب (ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون) قال الامام السهيلي يؤخذ منه ان الشخص اذا أراد النجاة من ظالم أو من يريد به سوءا أو أراد الدخول عليه يتلو هذه الآيات وقد روى ابن أبي أسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر في فضل يس ان قرأها خائف أمن أو جائع أشبع أو عار كسي أو عاطش سقي أو سقيم شفي حتى ذكر خلالا كثيرة (ثم انصرف حيث أراد) روى أحمد باسناد حسن تشاورت قريش الحديث وفيه فأطلع الله نبيه على ذلك فبات علي على فراشه وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار أي غار ثور كما في رواية ابن هشام وغيره فأفاد أنه توارى فيه حتى أتى أبا بكر منه في نحر الظهيرة ثم خرج اليه هو وأبو بكر ثانيا وبهذا علم الجواب عن قوله في النور لم أقف على ما صنع من حين خروجه الى ان جاء الى أبي بكر في نحر الظهيرة ووقع في البيضاوي فبيت عليا على مضجعه وخرج مع أبي بكر الى الغار وفي سيرة الدمياطي انه ذهب تلك الليلة الى بيت أبي بكر فكان فيه الى الليلة أي المقبلة ثم خرج هو وأبو بكر الى جبل ثور انتهى وفيه ان الثابت في الصحيح أنه عليه السلام أتى أبا بكر في نحر الظهيرة وفي رواية أحمد جعل انتهاء خروجه بعد أن بيت عليا على فرشه لخروجه بالغار فيقصد ما قلنا والله أعلم (فأتاهم آت) قال في النور لا أعرفه (ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا) قال البرهان وحكمة وضع التراب دون غيره الاشارة لهم بأنهم الارذلون الاصغرون الذين ارغموا وألصقوا بالرغام وهو التراب أو أنه

سيلصقهم بالتراب بعد هذا (وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب) بقية رواية ابن اسحق ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي عن الفراش فقالوا لقد صدقنا الذي كان حدثنا وعند أحمد فبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم يعني ينتظرونه حتى يقوم فيفعلون به ما اتفقوا عليه فلما أصبحوا ورأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك قال لا أدري وعند ابن عقبة عن الزهري وباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه فلما أصبحوا اذا هم بعلي قال السهيلي ذكر بعض أهل السير أنهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله انها للسبة في العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا فهذا الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا (وفي رواية ابن أبي حاتم مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس فما أصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا) لا يشكل على القول بأنهم كانوا مائة وقتلى بدر سبعون لجواز أن التراب الذي كان بيده فيه حصى فمن أصابه الحصى قتل ومن أصابه التراب لم يقتل (وفي هذا نزل) بعد ذلك بالمدينة يذكره الله نعمته عليه كما في نفس رواية ابن أبي حاتم هذه (قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا) وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة (ليثبتوك) يوثقوك ويحبسوك اشارة لرأي أبي البختري فيه (أو يقتلوك) كلهم قتلة رجل واحد اشارة لرأي أبي جهل فيه الذي صوبه صديقه ابليس لعنهما الله (أو يخرجوك) من مكة منفيا اشارة لرأي أبي الاسود الى (الآية) أي بقيتها وهي ويمكرون ويمكر الله أي بهم بتدبير أمرك بأن أوحى اليك ما دبروه وأمرك بالخروج والله خير الماكرين أعلمهم به زاد ابن اسحق ونزل قوله تعالى أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين هذا وروى ابن جرير عن المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما يأتمر بك قومك قال يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني قال من حدثك بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا قال أنا أستوصي به هو يستوصي بي فنزلت واذ يمكر بك الذين كفروا الآية قال الحافظ ابن كثير ذكر أبي طالب فيه غريب بل منكر لان القصة ليلة الهجرة وذلك بعد موت أبي طالب بثلاث سنين (ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب أدخلني) المدينة (مدخل صدق) ادخالا مرضيا لا أرى فيه ما أكره (وأخرجني) من مكة (مخرج صدق) اخراجا لا التفت اليها بقلبي (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) قوة تنصرني بها على أعدائك (أخرجه الترمذي وصححه) هو و (الحاكم) في المستدرك (فان قيل ما الحكمة في هجرته عليه السلام) من مكة (الى المدينة واقامته بها الى أن انتقل الى ربه عز وجل) وهلا أقام بها اذ هي دار أبيه اسمعيل التي نشأ ومات بها وفي حديث قبر اسمعيل في الحجر رواه الديلمي عن عائشة مرفوعا بسند ضعيف (أجيب بأن حكمة الله تعالى قد اقتضت انه عليه السلام تتشرف به الاشياء) حتى الازمنة والامكنة (لا أنه

يتشرف بها فلو بقي عليه السلام في مكة الى انتقاله الى ربه لكان يتوهم انه قد تشرف بها اذ أن شرفها قد سبق بالخليل واسمعيل فأراد الله تعالى أن يظهر شرفه عليه السلام فأمره بالهجرة الى المدينة) ولذا لم تكن الى الارض المقدسة مع انها أرض المحشر والمنشر وموضع أكثر الانبياء لئلا يتوهم ماذكر أيضا (فلما هاجر اليها تشرفت به) لحلوله فيها وقبره بها (حتى وقع الاجماع) كما حكاه عياض والباجي وابن عساكر (على ان أفضل البقاع الموضع الذى ضم أعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه) حتى من الكعبة لحلوله فيه بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي انه أفضل من العرش وصرح الفاكهاني بتفضيله على السموات بل قال البرماوي الحق ان مواضع أجساد الانبياء وأرواحهم أشرف من كل ماسواها من الارض والسماء ومحل الخلاف في ان السماء أفضل أو الارض غير ذلك كما كان شيخنا شيخ الاسلام البلقيني يقرره انتهى يعني وأفضل تلك المواضع القبر الشريف بالاجماع واستشكله العز بن عبد السلام بأن معنى التفضيل ان ثواب العمل في أحدهما أكثر من الآخر وكذا التفضيل في الازمان وموضع القبر الشريف لايمكن العمل فيه لان العمل فيه يحرم فيه عقاب شديد ورده عليه تلميذه العلامة الشهاب القرافي بأن التفضيل للمجاورة والحلول كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود فلا يمسه محدث ولا يلابس بقذر لالكثرة الثواب والالزمه أن لا يكون جلد المصحف بل ولا المصحف نفسه أفضل من غيره لتعذر العمل فيه وهو خلاف المعلوم من الدين بالضرورة وأسباب التفضيل اعم من الثواب فانها منتهية الى عشرين قاعدة وبينها في كتابه الفروق ثم قال بل انها اكثر وانه لا يقدر على احصائها خشية الاسهاب وقال التقي السبكي قد يكون التفضيل بكثرة الثواب وقد يكون لامر آخر وان لم يكن عمل فان القبر الشريف ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ماتقصر العقول عنه فكيف لا يكون أفضل الامكنة وأيضا فباعتبار ماقيل كل أحد يدفن في الموضع الذى خلق منه وقد تكون الاعمال مضاعفة فيه باعتبار حياته صلى الله عليه وسلم به وان أعماله مضاعفة أكثر من كل أحد قال السمهودى والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الامة وهي غير متناهية لدوام ترقياته صلى الله عليه وسلم فهو منبع الخيرات انتهى (وذكر الحاكم أن خروجه عليه السلام) من مكة (كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريبا منها وجزم ابن اسحق أنه خرج أول يوم من ربيع الاول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما) لان البيعة كما مر في ذى الحجة ليلة ثاني أيام التشريق فالباقي من الشهر ثمانية عشر يوما ان كان تاما والا فسبعة عشر (وكذا جزم الاموى) بفتح الهمزة وضمها كما ضبطه في النور في أول من أسلم نسبة لبني أمية قال الحافظ في تقريبه يحيى بن سعيد بن ابان بن سعيد بن العاصي الاموى أبو أيوب الكوفي نزيل بغداد لقبه الجمل صدوق يضطرب من كبار التاسعة مات سنة أربع وتسعين ومائتين روى له الستة انتهى فنسبه أموى يا مفلس هو الحافظ محمد بن خير الاموى بفتح الهمزة والميم بلا مد نسبة الى أمة جبل بالمغرب كما ترجى من مجرد قول التبصير له برناج حافل فانه فاسد نقلا كما علم وعقلا لان التبصير قال انه خال السهيلي أي أخو أمه وزمنه متأخر عن هذا

بكثير فقد أرخوا وفاة ابن نمير فى ربيع الاول سنة خمس وسبعين وخمسمائة وقد قال المصنف (فى المغازى) وهو يروى فيها عن أبيه وغيره (عن ابن اسحق) وهو قد توفى فى سنة خمسين ومائة فلا يدرك ابن نمير اتباعه وفى الالقاب للحافظ فى حرف الجيم جمل يحيى بن سعيد الاموى صاحب المغازى من الثقات (فقال) كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال أتى بنصه لفائدة فيه لم تستفد مما قبله (وخرج) صلى الله عليه وسلم من مكة (لهلال ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتى عشرة خلت من ربيع) الاول على الراجح وقيل لثمان خلت منه كما فى الاستيعاب وقيل خرج فى صفر وقدم فى ربيع حكاه فى الصفوة (قال فى فتح البارى وعلى هذا خرج يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار أن خروجه كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين الا ان محمد بن موسى الخوارزمى قال انه خرج من مكة يوم الخميس) وهذا يوافق نقل الاموى ويخالف ما تواترت به الاخبار قال الحافظ (ويجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس) وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه أقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج اثناء ليلة الاثنين) فقول الحاكم تواترت الاخبار أن خروجه يوم الاثنين مجاز أطلق اليوم مريدا به الليلة لقربه منها والمراد الخروج من الغار لا مكة وفى الاستيعاب عن الكلبى قدم المدينة يوم الجمعة والله أعلم (وكانت مدة مقامه بمكة من حين النبوة الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة) ثلاث عشرة سنة كما رواه البخارى عن ابن عباس وروى مسلم عنه خمس عشرة قال الحافظ والاول أصح انتهى وهو قول الجمهور (ويدل عليه قول صرمة) بكسر الصاد ابن انس ويقال ابن قيس ويقال ابن أبى انس بن مالك بن عدى أبى قيس الانصارى النجارى صحابى له أشعار حسان فيها حكم ووصايا وكان قوالا بالحق ولا يدخل بيتا فيه جنب ولا حائض معظما فى قومه الى أن أدرك الاسلام شيخا كبيرا وعاش عشرين ومائة سنة (ثوى) بمثلثة أقام صلى الله عليه وسلم (فى قريش بضع) بكسر الباء وتفتح (عشرة حجة) بكسر الحاء على الراجح وتفتح (يذكر) الناس بما جاء به من عند الله فيدعوهم اليه وحده ويتحمل مشاقه ويود (لو يلقى صديقا مواتيا) موافقا ومطيعا فلو للتمنى فلا جواب لها أوجوابها محذوف نحو لسهل عليه أمرهم وهذا البيت ثبت فى بعض نسخ مسلم وهو من قصيدة لصرمة عند ابن اسحق (وقيل غير ذلك) فعن عروة انها عشر سنين ورواه أحمد عن ابن عباس والبخارى فى باب الوفاة عنه وعن عائشة لكن أول بأنهما لم يحسبا مدة الفترة بناء على قول الشعبى انها ثلاث سنين لقولهما اقام عشرا ينزل عليه القرآن والا نافى ما رواه البخارى عقبه عن عائشة أنه توفى وهو ابن ثلاث وستين (وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر) روى الحاكم عن على أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معى قال أبو بكر الصديق قال الحاكم صحيح غريب (وأخبر عليه السلام عليا بمخرجه) بفتح فسكون مصدر ميمى بمعنى الخروج أى بارادة خروجه (وأمره ان يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس) قاله ابن اسحق وزاد وليس بمكة أحد عنده شئ يخاف عليه الا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته (قال ابن شهاب) الزهرى فيما رواه عنه البخارى فى الحديث الطويل المتقدم بعضه فى ارادة

أبى بكر الهجرة للحبشة ورجوعه فى جوار ابن الدغنة ثم قال قال ابن شهاب قال الحافظ هو بالاسناد المذكور أولا (قال عروة) بن الزبير بن العوام أحد الفقهاء (قالت عائشة فبينما) بالميم (نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر فى نحر) بفتح النون وسكون المهملة (الظهيرة) بفتح المعجمة وكسر الهاء قال الحافظ أى أول الزوال وهو أشد ما يكون من حرارة النهار والغالب فى أيام الحر القيلولة فيها وفى رواية ابن حبان فأتاه ذات يوم ظهرا وفى حديث أسماء عند الطبرانى كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشية فلما كان يوم من ذلك جاءنا فى الظهيرة فقلت يا أبة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال قائل) قال الحافظ فى مقدمة الفتح يحتمل أن يفسر بعامر بن فهيرة وفى الطبرانى ان قائل ذلك أسماء بنت أبى بكر انتهى أى وهو لا يمنع الاحتمال المذكور لجواز أنهما معا قالا (لابى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا) أى مغطيا رأسه قاله المصنف وقال الحافظ أى متطيلسا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها وفى رواية موسى بن عقبة قال ابن شهاب قالت عائشة وليس عند أبى بكر الا أنا وأسماء قيل فيه جواز لبس الطيلسان وجزم ابن القيم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يلبسه ولا أحد من الصحابة وأجاب عن الحديث بأن التقنع يخالف التطيلس قال ولم يكن يفعل التقنع عادة بل للحاجة وتعقب بأن فى حديث أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكثر التقنع وفى طبقات ابن سعد مرسلا وذكر الطيلسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثوب لا يؤدى شكره انتهى ويأتى بسط ذلك فى اللباس ان شاء الله تعالى (قال أبو بكر فدى) بكسر الفاء والقصر وللحموى والمستملى فداء بالمد والهمز (له أبى وأمى) فيه حجة لاصح القولين بجواز التفدية بهما قال البرهان وما أظن الخلاف الا فى غير النبى صلى الله عليه وسلم لان كل الناس يجب عليهم بذل أنفسهم دون نفسه (والله ما جاء به فى هذه الساعة الا أمر) وفى رواية يعقوب بن سفيان ان جاء به الا النائبة يعنى ما ولابن عقبة فقال أبو بكر يا رسول الله ما جاء بك الا أمر حدث (قالت) عائشة (فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له) أبو بكر (فدخل) زاد فى رواية فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله (فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر أخرج) بهمزة قطع مفتوحة (من عندك) هكذا فى البخارى فى الهجرة وله فى محل آخر ما عندك بما مر اداهما من يعلم نحو لما خلقت بيدى والسماء وما بناها ولا أنتم عابدون ما أعبد (فقال أبو بكر انما هم أهلك) يعنى عائشة وأسماء ففى رواية ابن عقبة فقال لا عين عليك انما هما ابنتاى وكذا فى رواية هشام (بأبى أنت وأمى قال السهيلى وذلك) أى وجه قوله هم أهلك (أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه عليه الصلاة والسلام) قبل ذلك واسماء صارت بمنزلة أهله لنكاحه أختها فلا يخشى عليه منهما كما يرشد اليه قوله لا عين عليك وقيل كما فى النور أطلق عليهما أهله كقول الانسان حريى حريمك وأهلى أهلك يعنى أنا وأنت كالشئ الواحد وقول من قال كانت أمهما عنده وتركها استرابة قول عائشة وليس عنده الا أنا وأسماء وأيضا فأم عائشة غير أم أسماء (فقال صلى الله عليه وسلم فانه) كذا رواه الكشميهنى وللاكثر فانى (قد أذن) بالبناء للمفعول (لى فى الخروج) من مكة الى المدينة (فقال

أبو بكر) أريد (الصحبة) ويجوز الرفع خبر مبتدا محذوف أى مطلوبى (بأبى أنت وأمى يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم) زاد ابن اسحق قالت عائشة فرأيت أبا بكر يبكى وما كنت أحسب ان أحدا يبكى من الفرح وفى رواية هشام قال الصحبة يارسول الله قال الصحبة (فقال أبو بكر فخذ بأبى أنت وأمى يارسول الله احدى راحلتى" هاتين) اشارة للتين كان علفهما أربعة أشهر لما قال المصطفى انه يرجو الهجرة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذها مجانا (بل بالثمن) وعند ابن اسحق قال لا اركب بعيرا ليس هو لى قال فهو لك قال لا ولكن بالثمن الذى ابتعتها به قال أخذتها بكذا وكذا قال هى لك وفى حديث أسماء عند الطبرانى" فقال بثمنها يا أبا بكر فقال بثمنها ان شئت وأفاد الواقدى" ان الثمن ثمانمائة درهم وأن التى أخذها النبى" صلى الله عليه وسلم هى القصواء وكانت من نعم بنى قشير وعاشت بعده عليه السلام قليلا وماتت فى خلافة أبى بكر وكانت مرسلة ترعى بالبقيع وذكر ابن اسحق انها الجدعاء وكانت من ابل بنى الحريش وكذا فى رواية ابن حبان عن هشام عن أبيه عن عائشة انها الجدعاء ذكره فى فتح البارى وعجيب ابعاده النجعة بالعزو لابن حبان فقد رواه البخارى" فى غزوة الرجيع من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بلفظ فأعطى النبى" صلى الله عليه وسلم احداهما وهى الجدعاء والحريش بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين وسكون التحتية وشين معجمة وفى سيرة عبد الغنى وغيره ان الثمن كان أربعمائة درهم كما فى المقدمة فصدق حفظ البرهان اذ قال فى النور فى حفظى انه أربعمائة انتهى وكانه مستند من قال الثمانمائة ثمن الراحلتين (فان قلت لم يقبلها الا بالثمن وقد أنفق عليه أبو بكر من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل) بموحدة وحذف المفعول أى فقبله فقد روى ابن حبان عن عائشة قالت انفق أبو بكر على النبى" صلى الله عليه وسلم أربعين ألف درهم وروى الزبير بن بكار عنها ان أبا بكر لما مات ما ترك دينارا ولا درهما وفى الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم ليس أحد من الناس أمن على" فى نفسه وماله من أبى بكر وروى الترمذى مرفوعا ما لاحد عندنا يدا الا كافأناه عليها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة (أجيب) كما ذكره السهيلى" حدثنى بعض أصحابنا قال ابن دحية يعنى ابن قرقول عن الفقيه الزاهد أبى الحسن بن اللوان (بانه انما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى وأن تكون على أتم الاحوال) قال السهيلى" وهو قول حسن (انتهى) وهذا الحديث الصحيح يعارض ما رواه ابن عساكر عن انس رفعه ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر زوجنى ابنته وواسانى بنفسه وان خير المسلمين مالا أبو بكر أعتق منه بلالا وحملنى الى دار الهجرة والمنكر منه آخره فقط وهو حمله الى الهجرة فان كان محفوظا فالحمل مجاز عن المعاونة والخدمة فى السفر وعلف الدابة أربعة أشهر حتى باعها للمصطفى بحيث لم يحتج لتطلب شراء دابة فلا معارضة (قالت عائشة) عند البخارى باسناده (فجهزناهما احث) بمهملة ومثلثة أسرع وفى رواية بموحدة والاولى أصح (الجهاز) قال الحافظ بفتح الجيم وتكسر ومنهم من أنكره وهو ما يحتاج اليه فى السفر وقال فى النور بكسر الجيم افصح من فتحها بل لحن من فتح والذى فى الصحاح وأما جهاز العروس والسفر فيفتح ويكسر انتهى

وصنعنا

(وصنعنا لهما سفرة من) كذا في النسخ والذي في البخاري في (جراب) قال الحافظ سفرة أي زادا في جراب لأن أصل السفرة لغة الزاد الذي يصنع للمسافر ثم استعمل في وعاء الزاد ومثله المزادة للماء وكذا الراوية فاستعملت هنا على أصل اللغة وأفاد الواقدي انه كان في السفرة شاة مطبوخة انتهى (فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها) بكسر النون (فربطت بها على فم الجراب) بكسر الجيم وفتحها لغتان الكسر أفصح وأشهر وهو وعاء من جلد قاله النووي تبعا لعياض وفي القاموس الجراب ولا يفتح أو هو لغية فيما ذكره عياض وغيره المزود أو الوعاء (فبذلك سميت بذات النطاقين) بالتثنية رواية الكشميهني ورواية غيره النطاق بالافراد قال الحافظ النطاق ما يشد به الوسط وقيل هو ازار فيه تكة وقيل ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الاعلى على الاسفل قاله أبو عبيد الهروي قال وسميت ذات النطاقين لانها كانت تجعل نطاقا على نطاق وقيل كان لها نطاقان تلبس احدهما وتحمل في الآخر الزاد قال الحافظ والمحفوظ كما سيأتي بعد هذا الحديث أي في البخاري انها شقت نطاقها نصفين فشدت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر فمن ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين بالتثنية والافراد بهذين الاعتبارين وعند ابن سعد في حديث الباب شقت نطاقها فأوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاقين انتهى (قالت) عائشة (ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور) بمثلثة ولفظ البخاري بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال (جبل بمكة) بجره على البدلية ورفعه على الخبرية وهو أولى لانه من كلام المصنف لا من الحديث قال في الانوار الغار نقب في أعلى ثور في يمنى مكة على مسيرة ساعة وقيل انه من مكة على ثلاثة أميال وفي معجم ما استعجم انه منها على ميلين وارتفاعه نحو ميل وفي اعلاه الغار الذي دخله النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهو المذكور في القرآن والبحيري من أعلى هذا الجبل وفيه من كل نبات الحجاز وشجره وفيه شجر البان وفي القاموس ثور جبل بمكة فيه الغار المذكور في التنزيل ويقال له ثور أطحل واسم الجبل اطحل نزله ثور بن عبد مناة فنسب له انتهى فقول النور انه كالثور الذي يحرث عليه أي في النطق ولم أر فيه انه سمي به لانه على صورة الثور كما تصرف عليه من زعمه ثم فصل المؤلف بين اجزاء حديث الصحيح بجمل وسيعود الى بقية منه أولها وكان يبيت عندهما عبد الله الخ فقال (وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة) بفتح المهملة فزاي ساكنة فواو فراء سوق كان بمكة ادخلت في المسجد وعن الشافعي الناس يشددونها وهي مخففة (ونظر الى البيت والله انك) بكسر الكاف خطاب لمكة (لاحب أرض الله الي وانك لاحب أرض الله الى الله) من عطف العلة على المعلول (ولولا ان أهلك أخرجوني) تسببوا في اخراجي (ماخرجت منك) أخرجه أحمد والترمذي وصححه عن عبد الله بن عدي بلفظ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحزورة فقال والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا اني أخرجت منك ما خرجت وروى الترمذي أيضا وقال حسن صحيح عن ابن عباس رفعه ما أطيبك من بلد وأحبك الي ولولا ان قومي اخرجوني منك ما سكنت غيرك (وهذا من أصح ما يحتج به

فى تفضيل مكة على المدينة) وجوابه ان التفضيل انما يكون بين شيئين يأتى بينهما تفضيل وفضل المدينة لم يكن حصل حتى يكون هذا حجة ولوسلم ففى الحجج البينة هو مؤول بأنه قبل ان يعلم تفضيل المدينة أو بأنها خير الارض ماعدا المدينة كما قاله ابن العربى وهو أحد التأويلين فى قوله عليه السلام لمن قال له ياخير البرية ذاك ابراهيم ومعارض بما فى البخارى عن عائشة رفعته اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ونحن نقطع باجابة دعائه صلى الله عليه وسلم فقد كانت أحب اليه من مكة وفى الصحيحين مرفوعا اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ماجعلت بمكة من البركة انتهى وقال غيره قد استجاب الله دعوة المصطفى للمدينة فصار يجبى اليها فى زمن الخلفاء الراشدين من مشارق الارض ومغاربها ثمرات كل شئ وكذا مكة ببركة دعاء الخليل وزادت المدينة عليها لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك وانى عبدك ونبيك وانه دعاك لمكة وانى أدعوك للمدينة بمثل مادعاك به لمكة ومثله معه أخرجه الترمذى عن أبى هريرة شيئان أحدهما فى ابتداء الامر وهو كنوز كسرى وقيصر وغيرهما وانفاقها فى سبيل الله على أهلها وثانيهما فى آخر الامر وهو أن الايمان يأرز اليها من الاقطار انتهى وقد اختلف السلف أى البلدين افضل فذهب الاكثر الى تفضيل مكة وبه قال الشافعى وابن وهب ومطرف وابن حبيب واختاره من متأخرى المالكية ابن رشد وابن عرفة كما قاله الابى وذهب عمر بن الخطاب فى طائفة وأكثر المدنيين الى تفضيل المدينة على مكة وهو مذهب مالك ومال اليه من متأخرى الشافعية السمهودى والسيوطى والمصنف فى المقصد الاخير واعتذر عن مخالفة مذهبه بأن هوى كل نفس حيث حل حبيبها والادلة كثيرة من الجانبين حتى قال الامام ابن أبى جمرة بتساوى البلدين والسيوطى المختار الوقف عن التفضيل لتعارض الادلة بل الذى تميل اليه النفس تفضيل المدينة ثم قال واذا تأمل ذو البصيرة لم يجد فضلا أعطيته مكة الا وأعطيت المدينة نظيره وأعلى منه هكذا قال فى الحجج البينة وجزم فى انموذجه بان المختار تفضيل المدينة وأما التشبث بأن مكة حرمها الله يوم خلق السموات والارض والمدينة حرمها المصطفى وما حرمه الله أعظم فشبهة فاسدة لان الاشياء كلها حرامها وحلالها حرم وأحل من القدم بخطابه تعالى القديم النفسى وفى البخارى حرمت المدينة على لسانى فهذا صريح فى أن الله حرمها قال فى الحجج وأما كون مكة بها المشاعر والمناسك فقد عوض الله تعالى المدينة عن الحج والعمرة بأمرين وعدا الثواب عليهما أما العمرة ففى الصحيح صلاة فى مسجد قباء كعمرة وأما الحج فعن أبى امامة مرفوعا من خرج على طهر لايريد الا الصلاة فى مسجدى حتى يصلى فيه كان بمنزلة حجة انتهى ومحل الخلاف كما مر فيما عدا البقعة التى ضمت أعضاءه صلى الله عليه وسلم فانها أفضل اجماعا ويليها الكعبة فهى أفضل من بقية المدينة اتفاقا كما قال الشريف السمهودى وذكر الدمامينى ان الروضة تنضم لموضع القبر فى الاجماع على تفضيله بالدليل الواضح اذ لم يثبت لبقعة انها من الجنة بخصوصها الاهى فلذا أورد البخارى حديث مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة تعريضا بفضل المدينة اذ لاشك فى تفضيل الجنة على الدنيا كذا قال ولايخلو من نظر لما فيه من الاحتجاج بالاحتمال لان فى معنى روضة احتمالات

قوله شيئان الخ لعله معمول لقوله وزادت المدينة فكان الاصوب نصبه بالياء فليتأمل اهـ مصححه

كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة فى الجنة وكون الموضع نفسه روضة من رياض الجنة الآن ويعود روضة كما كان وان كان لا مانع من الجمع بين الثلاثة كما هو معلوم فى محله هذا وكان من قوله صلى الله عليه وسلم أيضا لما خرج مهاجرا الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيأ اللهم اعنى على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والايام اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى وبارك لى فيما رزقتنى ولك فذللنى وعلى صالح خلق فقومنى والىك رب فحببنى والى الناس فلا تكلنى أنت رب المستضعفين وأنت ربى أعوذ بوجهك الكريم الذى اشرقت له السموات والارض وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الاولين والآخرين ان يحل بى غضبك أو ينزل على سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك وفجاة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندى حيثما استطعت ولا حول ولا قوة الا بك رواه أبو نعيم عن ابن اسحق بلاغا (ولم يعلم بخروجه عليه السلام الا على) لكونه خلفه مكانه (وآل أبى بكر) لانه ذهب اليه فعلم به من عنده وآل الرجل لغة أهله وعياله فشمل عامر بن فهيرة لانه مولاه (وروى) عند الواقدى (أنهما خرجا من خوخة) بفتح المعجمتين بينهما واو ساكنة باب صغير (لابى بكر فى ظهر بيته) بعد دخوله عليه فى نحر الظهيرة كما مر فخرجا (ليلا) ومضيا (الى الغار) وروى أن أبا جهل لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا قالت أسماء وخرج أبو بكر بماله خمسة آلاف درهم قال البلاذرى وكان ماله يوم أسلم أربعين ألف درهم فخرج الى المدينة للهجرة وماله خمسة آلاف أو أربعة فبعث ابنه عبد الله فحملها الى الغار (ولما فقدت) بفتح القاف (قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة اعلاها وأسفلها وبعثوا القافة) جمع قائف وهو الذى يعرف الاثر (أثره) بفتحتين وبكسر فسكون أى عقب خروجه (فى كل وجه) وذكر الواقدى انهم بعثوا فى أثرهما قاصدين أحدهما كرز بن علقمة ولم يسم الاخر وسماه أبو نعيم فى الدلائل من حديث زيد بن ارقم وغيره سراقة بن جعشم كما فى الفتح (فوجد الذى ذهب قبل) بكسر ففتح جهة (ثور أثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور) وروى انه قعد وبال فى أصل الشجرة ثم قال ههنا انقطع الاثر ولا أدرى اخذ يمينا أم شمالا أم صعد الجبل وفى رواية فقال لهم القائف هذا القدم قدم ابن أبى قحافة وهذا الآخر لا أعرفه الا انه يشبه القدم الذى فى المقام يعنى مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شئ ولا يشكل هذا بما روى انه عليه السلام كان يمشى على اطراف اصابعه لئلا يظهر أثرهما على الارض ويقول لابى بكر ضع قدمك موضع قدمى فان الرمل لا ينم بفتح أوله وضم النون وكسرها أى لا يظهر أثر القدم حين تضع قدمك موضع قدمى لجواز أنهما لما قربا من الغار مشيا ووضع المصطفى جميع قدمه فلما وصل القائف وجد أثر القدمين فأخبر بما رأى (وشق على قريش خروجه وجزعوا) بكسر الزاى لم يصبروا (لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده) عن سيره ذلك بقتل او أسر فلا ينافى ما فى الصحيح جعلوا الدية لمن قتله أو أسره (ولله در الشيخ شرف الدين) محمد ابن سعيد بن حماد الدلاصى المولد المغربى الاصل البوصيرى المنشا ولد بناحية دلاص يوم الثلاثاء أول شوال سنة ثمان وستمائة وبرع فى النظم قال فيه الحافظ ابن سيد الناس هو

أحسن من الجزار والوراق مات سنة خمس وتسعين وستمائة ذكره السيوطي وقوله (الابوصيري) فيه نظر لان اسم القرى وهي أربعة بعصر بوصير بضم الموحدة واسكان الواو وكسر الصاد المهملة واسكان التحتية وراء والنسبة اليها بوصيري كما في المراصد واللباب وانه في باب الموحدة ولم يذكروا شيأ في الهمزة قال ابن حجر الهيتمي كان أحد أبوي المذكور من بوصير الصعيد والآخر من دلاص أي بفتح الدال المهملة قرية بالبهنسي أي كفر مصري كما في المراصد والقاموس فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصيري ثم اشتهر بالبوصيري قيل ولعلها بلد أبيه فغلبت عليه انتهى أولنشأته بها كما مر عن السيوطي ولو سلم ان القرية بلفظ الكنية فانما يقال في النسبة صيري بحذف الجزء الاول كما يقال بكري في النسبة الى أبي بكر اذ لا ينسب الى الاسمين معا المضاف والمضاف اليه لان اعراب أولهما بحسب العوامل والثاني مخفوض بالاضافة كما بينه الشاطبي والرضي وغيرهما (حيث قال ويح) نصب بفعل محذوف لا بالنداء كلمة ترحم لمن وقع في مهلكة لا يستحقها فالترحم من حيث قرابتهم له عليه السلام وأنهم من عمود نسبه وجلدته ولا محظور فيه لالان كثيرا منهم أسلم بعد فالترحم باعتبار المآل اذ لم يقعوا في هلكة أصلا فلا يقال فيهم ويح (قوم جفوا نبيا) أبغضوه وآذوه أشد الاذى بل قصدوا قتله (بأرض * ألفته ضبابها) جمع ضب (والظباء) جمع ظبي ويأتي حديثهما في المعجزات (وسلوه) أي نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته فيهم وعلمهم بغاية نزاهته وكماله (و) الحال انه قد (حن جذع اليه *) كان يخطب عليه بالمدينة قبل ان يصنع له المنبر فصار يخور كخور الثور حتى نزل وضمه كما يأتي ان شاء الله تعالى في المعجزات (وقلوه) أبغضوه (و) الحال انه قد (وده الغرباء) كالانصار الذين ليسوا من عشيرته ولا عرفوا في ابتداء ودادهم له ما عرفه قومه من كماله الطاهر وفضله الباهر (أخرجوه) بدل من جفوه أي كانوا السبب في خروجه (منها) من تلك الارض التي هي وطنه ووطن آبائه (وآواه غار *) بجبل ثور (وحمته) منهم (حمامة ورقاء) لونها أبيض يخالطه سواد فباضت عليه (وكفته بنسجها عنكبوت *) دويبة تنسج في الهواء يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والجمع العناكب (ما) أي الاعداء الذين (كفته) اياهم (الحمامة الحصداء يقال) لغة (شجرة حصداء أي كثيرة الورق فكأنه استعارها للحمامة لكثرة ريشها) أي استعارة مصرحة حيث شبه كثرة الريش بكثرة الورق واستعار له اسمها ووصفها بورقاء وحصداء لاجتماعهما فيها ومنع تعدد الوصف انما هو اذا كان بمتضادين أو متماثلين وزعم ان البيت حرفه شراحه والمصنف وانما هو ما كفته الجنانة بجيم ونونين لانها تجن البدن أي تستره والحصداء المحكمة النسج كما في اللغة رده شيخنا بأن المناسب للسياق والقصة ما ذكروه وهم ثقات وتلقوه بسندهم الى الناظم وادرى بكلامه فلا وجه للعدول عنه الى غيره وان صح في نفسه لغة (وفي حديث مروي في الهجرة) وذكره عياض في الشفاء (أنه عليه السلام ناداه ثبير) لما صعده (اهبط عني فاني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب) بالنصب عطفا على تقتل وانما خاف العذاب لانه لو لم يذكر له ذلك مع علمه بأنه لا مكان فيه يستره كان غشا منه يستحق به العذاب أو لانه لو قتل على ظهره غضب الله على المكان الذي

يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما غضب على ارض ثمود فلا يرد كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر أخرى ويوجه بأن خوفه يعني حزنه وتأسفه عليه ونحو ذلك مما لا وجه له (فناداه حراء الي يارسول الله) وهو مقابل ثبير مما يلي شمال الشمس وبينهما الوادي وهما على يسار السالك الى منى ولم يذهب له لسبق تعبده فيه فخشي طلبهم فيه لما عهدوه من ذهابه اليه فذهب الى ثور دون غيره لحبه الفأل الحسن فقد قيل الارض مستقرة على قرن الثور فناسب استقراره فيه تفاؤلا بالطمأنينة والاستقرار فيما قصده هو وصاحبه قال السهيلي وأحسب في الحديث ان ثورا ناداه أيضا لما قال له ثبير اهبط عني انتهى وذكر بعضهم انه ذهب الى حنين فناداه اهبط عني فاني أخاف ان تقتل على ظهري فأعذب فناداه ثور الي يارسول الله فان صح ذلك كله فيحتمل انه ذهب له أولا فلما قال ذلك وناداه حراء لم يذهب له لما ذكر فناداه ثور ان صح أو ذهب اليه دون نداء لكن الذي في الحديث الصحيح انهما وعبد الدليل غار ثور بعد ثلاث ليال يقتضي انهما ما خرجا الا قاصدين اليه (وذكر قاسم بن ثابت) ابن حزم أبو محمد العوفي السرقسطي الاندلسي المالكي الفقيه المحدث المقدم في المعرفة بالغريب والنحو والشعر المشارك لابيه في رحلته وشيوخه الورع الناسك مجاب الدعوة سأله الامير أن يلي القضاء فامتنع فأراد أبوه اكراهه فقال امهلني ثلاثة أيام فمات فيها سنة ستين وثلثمائة فكانوا يرون انه دعا على نفسه بالموت (في الدلائل) في شرح ما اغفل أبو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث مات قاسم ولم يكمله فأتمه أبوه ثابت الحافظ المشهور (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبو بكر معه انبت الله على بابه الراءة) بالراء المهملة والمد والهمز والجمع الراء بلا هاء كما في القاموس (قال) قاسم المذكور (وهي شجرة معروفة) فحجبت عن الغار أعين الكفار الى هنا كلام قاسم كما في النور قال المصنف تبعا لابن هشام (وهي أم غيلان) بفتح المعجمة ضرب من العضاه كما في المصباح (وعن أبي حنيفة) الدينوري كما في الشامية لا الامام الراءة من اعلاث الشجر و(تكون مثل قامة الانسان لها خيطان وزهر أبيض يحشى به المخاد) بفتح الميم جمع مخدة بكسرها (فيكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن فحجبت عن الغار أعين الكفار) من كلام قاسم كما علم قال في النور هذه الشجرة التي وصفها أبو حنيفة غالب ظني انها العشار كذا رأيتها بأرض البركة خارج القاهرة وهي تنفتق عن مثل قطن يشبه الريش في الخفة ورأيت من يجعله في اللحف في القاهرة انتهى (وفي مسند البزار) من حديث أبي مصعب المكي قال ادركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك يحدثون ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة بات في الغار أمر الله تعالى شجرة فنبتت في وجه الغار فسترت وجه النبي صلى الله عليه وسلم و(أن الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار) هكذا أوله عند البزار ولو ساقه المصنف من أوله كان أولى لان فيه تقوية ما ذكره قاسم وما كان يزيد به الكتاب وقد رواه أحمد عن ابن عباس وفيه ونسج العنكبوت على بابه أي فالشجرة لما نبتت على وجه الغار انتشرت أغصانها فغطته ونسج العنكبوت عليه فصار نسجها بين اغصانها وفتحة الغار وقول بعض نسجت ما بين فروع الشجرة كنسج أربع سنين مخالف لرواية البزار

ولرواية أحمد أشد مخالفة اللهم الا ان يراد أنها نسجت على مقابل وجهه فيصدق بالملتصق بفمه وبما بين اغصان الشجرة المقابلة لفم الغار لكن فيه رد الروايات المسندة الى كلام لايعلم حاله (وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار) فعششتا على بابه (وأن ذلك مما صد المشركين عنه وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين) جزاء ووفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل وحمايته فى الحرم فلا يتعرض له وفى المثل آمن من حمام الحرم (ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم) بفتح الهاء الاولى جمع هراوة وهى العصا الضخمة فهو عطف خاص على عام قال البرهان وكان ينبغى ان يكتب بالالف وينطق بها فيقال هراواهم أو أنه يقال هراوى وهراوى كصحارى وصحارى (وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر فى الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار) هذا ظاهر فى قربه منه جدا وفى الشامية حتى اذا كانوا من الغار على أربعين ذراعا جعل بعضهم ينظر فيه ولامنافاة ففى الاكتفاء حتى اذا كانوا من النبى صلى الله عليه وسلم على قدر أربعين ذراعا تقدم أحدهم فنظر فرأى الحمامتين (فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد) زاد فى رواية فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ما قال فعرف ان الله قد درأ عنه (وقال آخر ادخلوا الغار فقال امية بن خلف) الكافر المقتول ببدر (وما أربكم) بفتحتين وبكسر فسكون أى حاجتكم (الى الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد) تتمة الحديث ثم جاء فبال وفى حديث أسماء عند الطبرانى وخرجت قريش حين فقدوهما وجعلوا فى النبى صلى الله عليه وسلم مائة ناقة وطافوا فى جبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذى فيه صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يارسول الله ان هذا الرجل ليرانا وكان مواجهه فقال كلا ان ثلاثة من الملائكة تسترنا بأجنحتها فجلس ذلك الرجل يبول مواجه الغار فقال صلى الله عليه وسلم لو كان يرانا ما فعل هذا ومر أن القائف قعد وبال فيحتمل انه هو أو أمية أو غيرهما (وقد روى ان الحمامتين باضتا فى أسفل النقب ونسج) بالجيم (العنكبوت) والنسج فى الاصل الحياكة استعمل فى فعل العنكبوت مجازا لما بينهما من المشابهة وفى حياة الحيوان العنكبوت دويبة تنسج فى الهواء ومنه نوع من حكمته أنه يمد السداء ثم يعمل اللحمة ويبتدئ من الوسط ونسجها ليس من جوفها بل من خارج جلدها وفمها مشقوق بالطول وهذا النوع ينسج بيته دائما مثلث الشكل وسعته بحيث يغيب فيه شخصها (فقالوا لو دخل لكسر البيض وتفسخ) بمعجمة تقطع (العنكبوت وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود) لانها معتادة ونبات الشجرة وبيض الحمام ونسج العنكبوت فى زمن يسير مع حصول الوقاية به خارق للعادة (فتأمل) انظر بعين البصيرة (كيف اظلت الشجرة المطلوب وأضلت) حيرت (الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان) أى نزلت فيه وثبتت من قولهم حاك فى صدرى كذا اذا رسخ (فحاكت ثوب نسجها) أى أوجدت الثوب الذى نسجته وهو ما على فم الغار من نسجها (فحاكت) أى أثرت (سترا) بما نسجته (حتى عمى على القائف الطلب) من قولهم حاك الشئ اذا أثر وأنشد لغيره بيتا هو (والعنكبوت أجادت) أحكمت

(حوك

(حولك) نسج (حلتها *) أي ما نسجته والحلة لغة ازار ورداء فاستعارله اسمها وأطلقه على ما نسجته (فما تحال) تظن (خلال النسج من خلل) أي فبسبب ذلك الاحكام لا ترى خللا فيما نسجته وعبر عن الرؤية بالظن مجازا (ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك) وروى ان حمام مكة اظلته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فدعالها بالبركة ونهى عن قتل العنكبوت وقال هي جند من جنود الله وقد روى الديلمي في مسند الفردوس مسلسلا بمحبة العنكبوت حديثا فقال اخبرنا والدى قال وأنا احبها اخبرنا فلان وأنا احبها حتى قال عن أبي بكر لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت النبي صلى الله عليه وسلم احبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت علي وعليك يا أبابكر في الغار حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا الينا وكذا رواه أبو سعد السمان البصري في مسلسلاته قال في العمدة الا ان البيوت تطهر من نسجها انتهى وأسند الثعلبي وابن عطية وغيرهما عن علي قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر وأخرج ابن عدي عن ابن عمر رفعه العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه وهو حديث ضعيف ورواه أبو داود مرسلا بدون مسخه الله (وما أحسن قول ابن النقيب) محمد بن الحسن الكناني من مشاهير الشعراء مات سنة سبع وثمانين وستمائة عن تسع وسبعين سنة (ودود القزان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل شئ) أي في كل حال من الاحوال للملابس فليست اشرف من غيرها مطلقا (فان العنكبوت اجل منها * بما نسجت على رأس النبي) فهو علة لجواب الشرط المحذوف وما مصدرية أي بنسجها (وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم) بهمزة قطع (أبصارهم) اجعلها كالعمياء الادراك ولم يرد الدعاء عليهم بالعمى الحقيقي اذ لو أراده لعموا لانه مجاب الدعوة ولم يعموا كما أفاده قوله (فعميت عن دخوله) ويصرح به قوله (وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه قول صاحب البردة أقسمت) حلفت (بالقمر المنشق) آية للنبي صلى الله عليه وسلم وجواب القسم (ان له *) أي للقمر المنشق (من قلبه نسبة) شبها بقلب المصطفى في انشقاق كل منهما وما أحلى قوله في الهمزية * شق عن قلبه وشق له البدر * (مبرورة القسم) صفة يمينا دل عليه اقسمت قيل والقسم جائز بالقمر ويحتمل تقدير مضاف أي برب القمر (وما) منصوب بتقدير اذكر أو مجرور عطفا على القمر وجوابه مقدر بما قبله أي ان له من قلبه نسبة أي واذكر من اوو أقسمت بمن (حوى) جمعه (الغار من خير ومن كرم *) يعني المصطفى والصديق وصفهما بما هو من شأنهما وجوزبقاءما على معناها وحمل الخير والكرم على صفاتهما أي ما جمعه الغار من الخير والكرم الصادرين من النبي صلى الله عليه وسلم والصديق وقال المصنف من خير بكسر الخاء وقيل بفتحها فالكرم عطف خاص على عام وقال غيره بفتح الخاء وقيل بكسرها والخطب سهل (وكل طرف) بصر (من الكفار عنه) عن المحوى (عمى) والجملة حال من ما وعمى يحتمل الفعل والاسم وسكن الياء على الاول للوقف وردها على الثاني له أيضا على لغة (فالصدق) أي النبي صلى الله عليه وسلم مبالغة اوذو الصدق وهو (في الغار والصديق) وهو فيه (لم يرما *) بكسر الراء لم يبرحا يقال لا اريم مكانه اى

لا أبرح وأصله يريءايا بياء قبل الميم حذفت تبعا لحذفها فى اسناده الى المفرد لالتقاء الساكنين والمعروف فى مثله اثبات الياء نحو فاستقيما (وهم) أى الكفار (يقولون ما بالغار من أرم) بفتح الهمزة وكسر الراء أى أحد نظرا الى حوم الحمام حول الغار ونسج العنكبوت عليه كما أشار اليه قوله (ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية) الخلق (لم تنسج) بفتح التاء وكسر السين وضمها العنكبوت (ولم تحم) لم تدر الحمام حوله ففيه لف ونشر مقلوب (وقاية الله) حفظه بهذين الضعيفين جدا من عدوه مع شدة بأسه (أغنت) كفت (عن مضاعفة * من الدروع) بمهملة أى عن الدروع المضاعفة وهى المنسوجة حلقتين حلقتين تلبس للحفظ من العدو (وعن عال من الاطم) بضم الهمزة والطاء الحصون التى يتحصن فيها (أى عموا عما فى الغار مع خلق الله ذلك) العمى المفهوم من قوله قبل فعميت عن دخوله (فيهم) والمراد أن الله خلق فى اعينهم هيئة منعتهم الرؤية مع سلامة أبصارهم (لانهم ظنوا ان الحمام لا تحوم حوله عليه السلام) لان عادته النفرة (وأن العنكبوت لا تنسج عليه عليه السلام لما جرت) به (العادة أن هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معمورا فهما أحسا بالانسان فرا منه) وقد روى ان المشركين لما مروا على باب الغار طارت الحمامتان فنظروا بيضهما ونسج العنكبوت فقالوا لو كان هنا أحد لما كان هنا حمام فلما سمع صلى الله عليه وسلم حديثهم علم ان الله حماهما بالحمام وصرف كيدهم بالعنكبوت (وما علموا ان الله يسخر ماشاء من خلقه لمن شاء من خلقه) وقد سخر الاسد ولبوته لدانيال فى الجب حتى صارا يلحسانه وسخر العصا ثعبانا لموسى وهرون اذا ناما تدور حولهما وتحميهما ولكن ماهنا أبلغ فى اذلال المشركين لما نالهم من شدة الحسرة لما علموا بعد ذلك وأنهم منعوا بشئ لا يضرهم لو أزالوه بزعمهم بخلاف الاسد والحية (وأن وقاية الله عبده بما شاء تغنى عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالى من الاطم وهى الحصون فلله در الابوصيرى من شاعر وما أحسن قوله فى قصيدته اللامية) التى أولها

الى متى أنت باللذات مشغول * وأنت عن كل ما قدمت مسؤل

(حيث قال) فى الجمع بين هذا وما قبله تسامح (واغبرتا حين اضحى الغار وهو به *) عبر بالندبة اسما على ما فعله قومه معه حتى ألجؤه الى دخول الغار (كمثل قلبى) صفة مصدر محذوف أى تعميرا وتأهيلا كتعمير وتأهيل قلبى (معمور ومأهول) والجملة خبر أضحى (كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصـ * ـديق ليثان) أسدان (قد آواهما غيل) بكسر المعجمة اجمة أو شجر كثير ملتف فلا يستطاع الوصول اليهما (وجلل) بجيم غطى (الغار نسج العنكبوت على * وهن) ضعف (فيا حبذا نسج وتجليل) تغطية (عناية) بكسر العين وفتحها مصدر عناه يعنيه ويعنوه (ضل) من الضلال ضد الرشاد (كيد المشركين) مكرهم وخديعتهم (بها * وما مكايدهم الا الاضاليل) جمع اضليلة من الضلال (اذ ينظرون) للحمام وبيضه ونسج العنكبوت (وهم لا يبصرونهما *) أى النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه (كأن أبصارهم من زيغها حول) وهذا مع بقاء بصرهم ابلغ من عماهم (وفى) الحديث (الصحيح) الذى أخرجه البخارى فى المناقب والهجرة والتفسير ومسلم فى الفضائل

والترمذى فى التفسير والامام أحمد كلهم (عن انس) قال (قال أبو بكر) وفى التفسير من البخارى حدثنا انس قال حدثنى أبو بكر قال قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار وزاد فى الهجرة فرفعت رأسى فرأيت أقدام القوم (لو أن أحدهم نظر الى قدميه) بالتثنية (لرآنا) لابصرنا قال الحافظ وفيه مجىء لو الشرطية للاستقبال خلافا للاكثر واستدل من جوزه بمجىء الفعل المضارع بعدها كقوله تعالى لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم وعلى هذا فيكون قاله حالة وقوفهم على الغار وعلى قول الاكثر يكون قاله بعد مضيهم شكرا لله تعالى على صيانتهما (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك) استفهام تعظيم أى أى ظن تظنه أى لا تظن الا أعظم ظن (باثنين الله ثالثهما) أى جاعلهما ثلاثة بضم ذاته تعالى اليهما فى المعية المعنوية المشار اليها بقوله تعالى ان الله معنا وهو من قوله ثانى اثنين اذهما فى الغار ومن لازم ذلك الظن انه لا يصل اليهما سوء وذكر بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال له صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولكن لم يرد ذلك باسناد قوى ولا ضعيف ولسنا نثبت شيأ من تلقاء انفسنا (وروى ان ابا بكر قال نظرت الى قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وقد تقطرتا دما) اى سال دمهما فدما تمييز محوّل عن الفاعل اى اثر حفاه فى قدميه حتى أسال دمهما (فاستبكيت) السين زائدة للتأكيد لا للطلب لما ألم من رقة قلبه وشدة حبه للمصطفى المقتضى لغلبة البكاء بلا استجلاب له (وعلمت انه) بحذف مفعول علمت أى ان ما أصابه انما هو لما ناله من المشقة لانه (لم يكن تعوّد الحفى) بفتح المهملة مقصور المشى بلا خف ولا نعل (والجفوة) بفتح الجيم وتكسر أى الجفاء أى لم يتعوّد كونه مجفوّا أو لم يتعوّد أن فى قومه جفوة له قال فى الرياض النضرة ويشبه ان يكون ذلك من خشونة الجبل وكان حافيا والا فبعد المكان لا يحتمل ذلك أو لعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه رواية فمشى رسول الله ولا يحتمل ذلك مشى ليلة الا بتقدير ذلك أو سلوك غير الطريق تعمية على الطالب انتهى ويروى انه عليه السلام خلع نعليه فى الطريق وعند ابن حبان انهما ركبا حتى اتيا الغار فتواريا ولا ينافى ذلك ما روى من تعب المصطفى وحمل أبى بكر اياه على كاهله لاحتمال ان يكون ذلك فى بعض الطريق قال فى الوفا ولا ينافى ركوبهما مواعدتهما الدليل بأن يأتى بالراحلتين بعد ثلاث لاحتمال انهما ركبا غير الراحلتين أو همّا ثم ذهب بهما ابن فهيرة الى الدليل ليأتى بعد ثلاث وفى دلائل النبوة من مرسل ابن سيرين وهو عند أبى القاسم البغوى من مرسل ابن أبى مليكة وابن هشام عن الحسن البصرى بلاغا ان أبا بكر ليلة انطلق معه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان يمشى بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة فسأله فقال اذكر الطلب فأمشى خلفك وأذكر الرصد فامشى امامك فقال لو كان شئ أحببت ان تقتل دونى قال اى والذى بعثك بالحق فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار فاستبرأه (وروى أن ابا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وانه رأى جحرا) بضم الجيم واسكان المهملة (فيه فألقمه

عقبه) بعد أن سد غيره بثوبه فيروى انه قال والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى ادخله قبلك فان كان فيه شئ نزل بى قبلك فدخله فجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقى جحر فوضع عقبه عليه وروى ابن أبى شيبة وابن المنذر عن أبى بكر أنهما لما انتهيا الى الغار اذا جحر فألقمه أبو بكر رجليه وقال يارسول الله ان كانت لدغة أولسعة كانت بى وهو صريح فى القامه رجليه جميعا فتحمل رواية عقبه على الجنس فتصدق بهما وهى مبينة للمراد من رجليه (لئلا يخرج منه ما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم) لاشتهاره بكونه مسكن الهوام فدخل فرأى غارا مظلما فجلس وجعل يلتمس بيده كلما وجد جحرا ادخل فيه أصبعه حتى انتهى الى جحر كبير فأدخل رجله الى فخذه كذا فى البغوى (فجعلت الحيات والافاعى تضربنه وتلسعنه) عطف تفسير (فجعلت دموعه تحدر) من ألم لسعها (وفى رواية) عن عمر بن الخطاب ثم قال أى بعد استبرائه الغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فانى سويت لك مكانا (فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه فى حجر أبى بكر) بكسر الحاء وسكون الجيم (ونام فلدغ) بمهملة فمعجمة لذوات السموم وعكسه للذع النار (أبو بكر فى رجله من الجحر ولم يتحرك) لئلا يوقظ المصطفى (فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبى وأمى فتفل) بالفوقية (عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده رواه ابن رزين) بفتح الراء وكسر الزاى ابن معاوية أبو الحسن العبدرى السرقسطى الاندلسى المالكى مؤلف تجريد الصحاح جمع فيه الموطأ والصحيحين وسنن أبى داود والترمذى والنسائى قال ابن بشكوال كان صالحا فاضلا عالما بالحديث وغيره جاور بمكة اعواما وبها مات سنة خمس وعشرين وقيل خمس وثلاثين وخمسمائة وفى الرياض النضرة فلما أصبح رأى على أبى بكر أثر الورم فسأله فقال من لدغة الحية فقال هلا اخبرتنى قال كرهت أن أوقظك فمسحه فذهب ما به من الورم ولابى نعيم عن أنس فلما أصبح قال لابى بكر اين ثوبك فأخبره بالذى صنع فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى فى الجنة فأوحى الله اليه قد استجبنا لك وعن ابن عباس فقال له صلى الله عليه وسلم رحمك الله صدقتنى حين كذبنى الناس ونصرتنى حين خذلنى الناس وآمنت بى حين كفر بى الناس وآنستنى فى وحشتى والظاهر كما قال شيخنا انه كان عليه غير ثوبه مما يستر جميع البدن اذ لم ينقل طلبه لغيره ممن كان يأتى لهما بالغار كابنه وابن فهيرة وروى ابن مردويه عن جندب بن سفيان قال لما انطلق أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار قال يارسول الله لا تدخل الغار حتى أستبرئه لقطع الشبهة عنى فدخل أبو بكر الغار فأصاب يده شئ فجعل يمسح الدم عن اصبعه ويقول

هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

وذكر الواقدى وابن هشام ان ذا البيت للوليد بن الوليد بن المغيرة الصحابى لما رجع فى صلح الحديبية الى المدينة وعثر بحرتها فانقطعت اصبعه وروى ابن أبى الدنيا ان جعفرا لما قتل بمؤتة دعا الناس بعبد الله بن رواحة فأقبل فأصيب اصبعه فارتجز يقول

هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت
يا نفس الا تقتلى تموتى * هذا حياض الموت قد صليت
وما تمنيه فقد لقيت * ان تفعلى فعلهما هديت

وروى الشيخان وغيرهما عن جندب بينما نحن مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت اصبعه فقال هل انت البيت والذى يظهر أنه من انشاء الصديق وأن كلا من المصطفى والوليد تمثل به والممتنع على النبى عليه السلام انشاء الشعر لا انشاده وضمنه ابن رواحة شعره المذكور (وروى أيضا أن أبا بكر لما رأى القافة) أتوا على ثور وطلعوا فوقه كما فى رواية (اشتد حزنه) وبكى وأقبل عليه الهم والخوف والحزن (على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت انا فانما انا رجل واحد) لا تهلك الامة بقتلى فلا يفوتهم نفع ولا يلحقهم ضرر (وان قتلت انت هلكت الامة) بهلاك الدين (فعندها) وبعد فراغه من الصلاة (قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا) فروى عن الحسن البصرى جاءت قريش يطلبون النبى صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى وأبو بكر يرتقب فقال هؤلاء قومك يطلبونك أما والله ما على نفسى ابكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره فقال لا تحزن ان الله معنا (يعنى بالمعونة والنصر) فالمراد المعنوية لاستحالة الحسية فى حقه تعالى لا بالعلم فقط اذ لا يختص بهما وهو معكم أينما كنتم (فأنزل الله سكينته) عليه (وهى) أى السكينة (أمنة) بفتحتين أى حالة للنفس (تسكن عندها القلوب) لانها مما تكرهه (على أبى بكر) فالضمير فى الآية عائد على صاحبه فى قول الاكثر قال البيضاوى وهو الاظهر (لانه كان منزعجا) لا على النبى صلى الله عليه وسلم لانه لم تزل السكينة معه قاله ابن عباس كما رواه ابن مردويه والبيهقى وغيرهما (وأيده يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعنى الملائكة ليحرسوه فى الغار وليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته) عطف سبب على مسبب أى ليحرسوه بصرف وجوههم عنه وفى نسخ بأو يعنى أن القصد أحد الامرين وان لزم أولهما للثانى وقيل معناه ألقوا الرعب فى قلوب الكفار حتى رجعوا حكاهما البغوى مصدرا بما اقتصر عليه المصنف (انظر) تأمل بعين البصيرة فى أمر المصطفى وشفقته على الصديق (لما رأى) علم (الرسول حزن الصديق) مفعول رأى الاول والثانى (قد اشتد) ويجوز أنها بصرية مجازا لانه لما رأى ما علاه من الكآبة نزل الحزن القائم به منزلة المبصر حتى جعله مرئيا وعليه فالجملة حال (لكن لا على نفسه قوى) الرسول عليه السلام (قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا وكانت تحفة) بفتح الحاء وتسكن ما اتحفت به غيرك كما فى المصباح بمعنى الاتحاف أى كان اتحاف المصطفى لابى بكر بكونه (ثانى اثنين مدخرة له دون الجميع) أى جميع الصحابة (فهو الثانى) من الرجال (فى الاسلام والثانى فى بذل النفس والعمر وسبب الموت) عطف تفسير والمراد أنه لما جعل نفسه وقاية له كأنه بذل نفسه وعمره حفظا له عليه السلام (لما وقى الرسول صلى الله عليه وسلم بماله ونفسه) مستأنف استئنافا بيانيا كأنه قيل ما كان جزاؤه فيما فعل فقيل (جوزى بمواراته معه فى رمسه وقام مؤذن التشريف ينادى على منائر الامصار) جمع منارة بفتح الميم والقياس كسرها لانها

آلة (ثانى اثنين اذ هما فى الغار ولقد أحسن حسان حيث قال) يمدحه (وثانى اثنين فى الغار المنيف) الزائد فى الشرف على غيره بدخول أفضل الخلق فيه واقامته به هو وصاحبه (وقد * طاف العدو به اذ) لمجرد الوقت (صاعد) بالالف لعله بمعنى صعد بالتشديد لكن لم يذكرا الجوهرى ولا المجد ولا المصباح صاعد (الجبلا) نصب بنزع الخافض والالف للاطلاق والمعنى اذا رتقى العدو على الجبل (وكان) الصديق (حب) بكسر الحاء محبوب (رسول الله قد علموا) أى عامة الناس العارفين بحال المصطفى والصديق مسلما أوغيره (من الخلائق) متعلق بيعدل من قوله (لم يعدل به بدلا) وأنشده الشامى رجلا والتقدير علم كل أحد انه عليه السلام لم يعدل بأبى بكر أحدا أى لم ينزل أحدا منزلته بحيث يجعله قائما مقامه وروى ابن عدى وابن عساكر عن أنس انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان هل قلت فى أبى بكر شيأ قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال وثانى اثنين الخ فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلته فصريح هذا انه قالهما فى حياته وفى ينبوع الحياة الذى أعرف انهما من أبيات رثى بها حسان أبابكر فهذا يخالف ذلك اذ الرثاء تعداد المحاسن بعد الموت وجمع باحتمال انه مدحه بهما فى حياته ثم أدخلهما فى مرثيته بعد وفاته (وتأمل) عطف على انظر (قول موسى ابنى اسرائيل كلا ان معى ربى سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا) قدم المسند اليه للاشارة الى انه لا يزول عن الخاطر لشدة التعلق به أولانه يستلذ به لكونه محبوبا للعباد اذ لا انفكاك لاحد عن الاحتياج اليه أولتعظيمه بوصفه بالالوهية لان سائر صفات الكمال تتفرع عليه (فموسى خص) من ربه (بشهود المعية) له وحده (ولم يتعد ذلك الشهود (منه الى أتباعه ونبينا تعدى منه) شهوده (الى الصديق و) لهذا (لم يقل معى لانه أمد أبابكر بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة الى أبى بكر والالم يثبت تحت أعباء هذا التجلى والشهود) اذ ليس فى طوق البشر الابذلك الامداد (وأين) استفهام تعجب وتعظيم للفرق بين المقامين (معية الربوبية فى قصة موسى عليه السلام) حيث قال ان معى ربى والرب من التربية وهى التنمية والاصلاح (من معية الالهية فى قصة نبينا صلى الله عليه وسلم) حيث عبر بالاسم الجامع لصفات الكمال (قاله العارف شمس الدين بن اللبان) محمد بن أحمد الدمشقى ثم المصرى الشافعى الفقيه الاصولى النحوى الاديب الشاعر قدم مصر من دمشق فأكرمه ابن الرفعة اكراما كثيرا اختصر الروضة ورتب الام مات بالطاعون فى شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة هذا ومانقله الشارح عن شرح الهمزية هو معنى مانقله المصنف عن ابن اللبان (وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن عطاء بن ميسرة) الخراسانى صدوق يهم ويرسل كثيرا روى له مسلم والاربعة ولم يصح أن البخارى أخرج له كما زعم المزى مات سنة خمس وثلاثين ومائة (قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود) عليه السلام (حين كان طالوت) بن قيس من ذرية بنيامين شقيق يوسف عليه السلام يقال انه كان سقاء ويقال كان دباغا (يطلبه) لان داود لما قتل جالوت رأس الجبارين وكان طالوت وعد من قتله أن يزوجه ابنته ويقاسمه الملك

فوفى طالوت لداود لما قتله وعظم قدر داود فى بنى اسرائيل حتى استقل بالمملكة فتغيرت نية طالوت لداود وهمّ بقتله فلم يتفق له ذلك ثم رآه فى برية فقال اليوم أقتله ففر منه ووجد مغارة فتوارى بها فنسجت العنكبوت عليه فربه طالوت فلم يره فتاب وانخلع من الملك وخرج مجاهدا هو ومن معه من ولده حتى ماتوا كلهم شهداء وكانت مدة ملك طالوت أربعين سنة وانتقل ملكه الى داود واجتمعت عليه بنواسرائيل ولم تجتمع على ملك واحد الا عليه ومدة ملكه سبع سنين فى قصة طويلة مذكورة فى المبتدا لابن اسحق كما فى فتح البارى (ومرة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار) لان كل كرامة ومعجزة أوتيها نبى لابد وأن يكون للمصطفى مثلها أونظيرها أوأجل فنسج عليه العنكبوت كداود وتعدى الى بعض أصحابه وذريته كما قال (وكذا نسجت على الغار الذى دخله عبدالله بن أنيس) بن أسعد الجهنى الانصارى السلمى (لما بعثه صلى الله عليه وسلم لقتل خالد) بن سفيان (بن نبيح) بضم النون وفتح الموحدة واسكان التحتية وحاء مهملة (الهذلى) فنسبه المصنف لجده بناء على قول ابن اسحق ان البعث لخالد بن سفيان بن نبيح وذكر ابن سعد انه سفيان بن خالد بن نبيح وتبعه المصنف فيما يأتى واليعمرى وغيرهما لانه كان يجمع الجموع للنبى صلى الله عليه وسلم (بعرنة) بالنون وادى عرفة (فقتله ثم حمل رأسه ودخل فى غار فنسجت عليه العنكبوت فجاء الطلب فلم يجدوا شيأ فانصرفوا راجعين) ثم سار بالرأس فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال أفلح الوجه قال وجهك يارسول الله ووضع الرأس بين يديه وأخبره الخبر فدفع صلى الله عليه وسلم اليه عصا كانت بيده وقال تخصر بهذه فى الجنة فلما حضره الموت أوصى أهله أن يجعلوها فى كفنه ففعلوا (وفى تاريخ ابن عساكر أن العنكبوت نسجت أيضا على عورة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب) رضى الله عنهم أبى الحسين المدنى الثقة ولد سنة ثمانين وروى عن أبيه وجماعة وأخرج له أصحاب السنن (لما صلب عريانا) أربع سنين كما فى تاريخ ابن عساكر وبه جزم غير واحد وقيل خمس سنين وكان قد بايعه خلق كثير من أهل الكوفة وقالوا تبرأ من أبى بكر وعمر فأبى فقالوا نرفضك فسموا الرافضة وقالت طائفة نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما فسموا الزيدية فخرجوا معه وحارب متولى العراق لهشام بن عبد الملك وهو يوسف بن عمر ابن عم الحجاج الثقفى فظفر به يوسف فقتله وصلبه ووجهه لغير القبلة فاستدارت خشبته الى القبلة ثم أحرقوا جسده وخشبته وذرى رماده فى الرياح على شاطئ الفرات وكان قتله وصلبه (فى) صفر (سنة احدى وعشرين ومائة) فيما قاله سعيد بن عفير وأبو بكر بن أبى شيبة وخليفة وآخرون قائلين وبقى مصلوبا الى سنة ست وعشرين وقال ابن سعد ومصعب فى ثانى صفر سنة عشرين وقال الليث بن سعد وهشام الكلبى والهيثم بن عدى والزبير بن بكار وآخرون قتل يوم الاثنين ليومين مضيا من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة وقال ابن عساكر صلب فى سنة ست وعشرين قال البرهان وعليه يكون فى خلافة الوليد بن يزيد لان هشاما مات سنة خمس وعشرين ومائة (وكان مكثه صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى الغار ثلاث ليال) كما فى الصحيح فمكثا فيه ثلاث ليال (وقيل بضعة عشر يوما) رواه أحمد والحاكم عن

طلحة البصري مرسلا قال قال صلى الله عليه وسلم لبثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر يوما مالنا طعام الا طعام البرير (والاول هو المشهور) كما قال ابن عبد البر وغيره وجمع الحاكم بأنهما كمنا في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما لكن قال الحافظ لم يقع في رواية أحد ذكر الغار وهي زيادة في الخبر من بعض رواته ولا يصح حمله على حال الهجرة لما في الصحيح كما تراه من أن عامر بن فهيرة كان يروح عليهما في الغار باللبن ولما وقع لهما في الطريق من لقي الراعي ومن النزول بخيمة أم معبد وغير ذلك فالذي يظهر أنها قصة أخرى انتهى (وكان يبيت عندهما) في الغار (عبد الله بن أبي بكر) الصديق أصابه سهم في غزوة الطائف فاندمل جرحه ثم نقض بعد ذلك فمات في خلافة أبيه قال الحافظ وفي نسخة من البخاري عبد الرحمن وهو وهم (وهو غلام شاب ثقف) بفتح المثلثة وكسر القاف ويجوز اسكانها وفتحها كما قال الحافظ وتبعه المصنف وجوز البرهان ضمها وأسقطه الفتح بعدها فاء (أي حاذق (ثابت المعرفة بما يحتاج اليه) تفسير من المصنف زائد على الحديث وهو من الفتح وما ألطف قوله في مقدمته أي فطن وزنا ومعنى (لقن) بفتح اللام وكسر القاف وتسكن كما في النور فنون أي سريع الفهم (فيدلج) بضم الياء وسكون الدال ولابي ذر بشد الدال بعدها جيم كما قال المصنف واقتصر الحافظ وتبعه الشامي على رواية أبي ذر أي يخرج (من عندهما بسحر) الى مكة (فيصبح مع قريش بمكة كبائت) لشدة رجوعه بغلس يظنه من لا يعرف حقيقة أمره مثل البائت (فلا يسمع بأمر يكادان به) بضم التحتية فكاف فألف رواية الكشميهني ولغيره يكادانه بفتح أوله وفوقية بعد الكاف أي يطلب لهما فيه المكروه وهو من الكيد (الا وعاه) حفظه (حتى يأتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة) بضم الفاء مصغر (مولى أبي بكر) من السابقين الاولين ذكر ابن عقبة عن ابن شهاب أن أبا بكر اشتراه من الطفيل بن سخبرة فأسلم فأعتقه وهو مخالف لما رواه الطبراني عن عروة انه كان ممن يعذب في الله فاشتراه أبو بكر فأعتقه استشهد ببئر معونة (منحة) بكسر الميم وسكون النون وفتح المهملة شاة تحلب اناء بالغداة واناء بالعشي قال الحافظ وتطلق أيضا على كل شاة (من غنم) ذكر ابن عقبة عن الزهري انها كانت لابي بكر فكان يروح عليهما الغنم كل ليلة فيحلبان ثم يسرح بكرة فيصبح في رعيان الناس فلا يفطن له (فيريحها) بضم أوله أي يردها كما قال المصنف أي الشاة أو الغنم (عليهما حين تذهب ساعة من العشاء) فيحلبان ويشربان (فيبيتان في رسل) بكسر الراء وسكون المهملة لبن طري (وهو لبن منحتهما) أسقط من الرواية ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس * رضيف بفتح الراء وكسر المعجمة بزنة رغيف لبن فيه حجارة محماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته وهو بالرفع ويجوز الجر * وينعق بكسر المهملة يصيح بغنمه ويزجرها وفي رواية بهما بالتثنية أي يسمع المصطفى والصديق صوته اذا زجر غنمه (يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث) ولابن عقبة عن ابن شهاب وكان عامر أمينا مؤتمنا حسن الاسلام وفي رواية وكانت أسماء تأتيهما من مكة اذا أمست بما يصلحهما من الطعام وعند ابن اسحق فاذا أمسى عامر أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا فاذا غدا عبد الله

ابن

لما صح لا يقوم ذلك المقام أحد غيرى يمنى الذى عن يمين العرش (ألا) بالفتح والتخفيف (وان امتى أول الامم يحاسبون يوم القيامة ثم أبشر) يا على بهمزة قطع نحو أبشر وابالجنة (فأول من يدعى بك) أى من الامة بعد الانبياء (فيدفع لك لوائى وهو لواء الحمد) بكسر اللام والمد (فتسير به بين السماطين آدم وجميع ما خلق الله تعالى يستظلون بظل لوائى يوم القيامة وطوله مسيرة ألف سنة وسمائة سنة سنانه ياقوتة خضراء) وفى نسخة حمراء ولعل المراد بالسنان هنا ما يجعل فى رأس اللواء (قبضته) المحل الذى يقبض منه أى يمسك (فضة بيضاء زجه) بضم الزاى وبالجيم (درة خضراء له ثلاث ذوائب) بذال معجمة (من نور ذؤابة فى المشرق وذؤابة فى المغرب والثالثة فى وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثانى الحمد لله رب العالمين الثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر ألف سنة وعرضه مسيرة ألف سنة) فنقص كل سطر عن طوله بسمائة سنة لانه قدم ان طوله ألف وسمائة (فتسير) يا على (باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن شمالك حتى تقف بينى وبين ابراهيم عليه السلام فى ظل العرش ثم تكسى) يا على (حلة من الجنة والسماطان من الناس والنخل الجانبان ورواه ابن سبع) بفتح السين وسكون الموحدة وضمها أبو الربيع (فى) كتاب (الخصائص بلفظ قال سأل عبد الله بن سلام) الصحابى المبشر بالجنة (رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لواء الحمد ما صفته فقال طوله مسيرة) ألف سنة فذكر (الحديث) المذكور (فقال الحافظ قطب الدين) عبد الكريم بن عبد النور الحلبى ثم المصرى مفيد الديار المصرية وشيخها وكان حبرا عالما متواضعا حسن السمت غزير المعرفة متقنا بلغ شيوخه الالف ولد فى رجب سنة أربع وستين وسمائة ومات فى رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وله تصانيف عديدة (كما نقله عنه المحب بن الهائم انه موضوع بين) أى ظاهر (الوضع) ولا يقدح ذلك فى جلالة من خرجه أحمد بن حنبل لان المحدثين اذا أبرزوا الحديث بسنده برئوا من عهدته (قال) القطب (والله أعلم) بحقيقة لواء الحمد فيه ايماء الى انه حقيقى لا معنوى وفيه قولان نقلهما الطيبى وغيره أحدهما أنه معنوى لان حقيقة اللواء الراية والمراد انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته على رؤس الخلائق بالحمد وقيل حقيقى ورجح وعليه التوربشتى حيث قال لا مقام من مقامات عباد الله الصالحين أرفع وأعلى من مقام الحمد ودونه تنتهى جميع المقامات ولما كان صلى الله عليه وسلم أحمد الخلق فى الدارين أعطى لواء الحمد ليأوى الى لوائه الاولون والآخرون وأضاف اللواء الى الحمد الذى هو الثناء على الله بما هو أهله لانه منصبه فى الموقف وهو المقام المحمود المختص به انتهى (وفى حديث أبى سعيد) سعد بن مالك الخدرى (عند الترمذى بسند حسن) قال الترمذى حسن صحيح (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى الحديث) قدم المصنف تتمته قريبا وهو وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر ومر أن باقيه وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر (واللواء) بالكسر والمد (الراية وفى عرفهم) أى العرب (لا يمسكها) بحملها (الا صاحب الجيش ورئيسه) عظيمه الشريف القدر (ويحتمل

أن تكون) مراد ه وقد تجعل (بيد غيره باذنه وتكون تابعة له متحركة بحركته تميل معه حيثما مال لانه يمسكها بيده اذ هذه الحالة أشرف) من كونه يمسكها أى يحملها بيده (وفى استعمال العرب عند الحروب انما يمسكها صاحبها ولا يمنعه ذلك من القتال بها بل يقاتل بها) حال كونه (ممسكا لها اشد القتال) معمول يقاتل (ولذا لا يليق بامساكها كل أحد بل) البطل الشجاع الصنديد (مثل على رضى الله عنه كما قال صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) أراد وجود حقيقة المحبة والا فكل مسلم يشترك مع على فى مطلق هذه الصفة وفيه تلميح بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فكأنه أشار الى أن عليا تام الاتباع له صلى الله عليه وسلم حتى وصفه بصفة محبة الله ولذا كانت محبته علامة الايمان وبغضه علامة النفاق كما فى مسلم وغيره مرفوعا وقدم الجملة الاولى على الثانية اشارة الى أن محبة الله ورسوله لعلى جزاء له على محبته لهما (وانما أضاف اللواء الى الحمد الذى هو الثناء على الله بما هو أهله لان ذلك هو منصبه فى ذلك الموقف دون غيره من الانبياء) وهو المقام المحمود المخصوص به واللواء فى عرصات القيامة مقامات لاهل الخير والشر ينصب فى كل مقام لكل متبوع لواء يعرف به قدره كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به عند استه رواه أحمد والطيالسى عن أنس باسناد حسن وأعلى تلك المقامات مقام الحمد فأعطى لاحد الخلائق حمد أعظم الالوية وهو لواء الحمد ليأوى اليه الاولون والآخرون فهو لواء حقيقى وعند الله علم حقيقته ولا وجه لصرفه الى المجاز وان افتى به السيوطى لانه لا يعدل عن الحقيقة ما وجد اليها سبيل كما نص على ذلك ابن عبد البر وغيره فى حديث أكل الشيطان (وقد اختلف فى هيئة حشر الناس) أتى بلفظ هيئة اشارة الى انه لا خلاف فى الحشر انما الخلاف فى صفته (ففى البخارى من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلاث) ولمسلم ثلاثة (طرائق) جمع طريق يذكر ويؤنث قال المصنف أى فرق فرقة (راغبين راهبين) بغير واو فى الفرع كأصله وقال فى الفتح وراهبين بالواو وفى مسلم بغير واو وعلى الروايتين فهى الطريقة الاولى (و) الفرقة الثانية (اثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة) يعتقبون (على بعير) قال المصنف باثبات الواو فى الاربعة فى فرع اليونينية كهى وقال الحافظ ابن حجر بالواو فى الاول فقط وفى رواية مسلم والاسماعيلى بالواو فى الجميع ولم يذكر الخمسة والستة الى العشرة ايجازا واكتفاء بما ذكر من الاعداد مع ان الاعتقاب ليس مجزوما به ولا مانع أن يجعل الله فى البعير ما يقوى به على حمل العشرة قال ولم يذكر أن واحدا على بعير اشارة الى أنه يكون لمن فوقهم كالانبياء قال ويحتمل أن يمشوا وقتا ثم يركبوا أو يكونوا ركبانا فاذا قاربوا المحشر نزلوا فمشوا وأما الكفار فانهم مشاة على وجوههم انتهى وقال البيهقى قوله راغبين اشارة الى الابرار وراهبين اشارة الى المخلطين الذين هم بين الرجاء والخوف والذين تحشرهم النار الكفار وذكر الحليمى مثله وزاد أن الابرار وهم المتقون يؤتون بنجائب من الجنة وأما البعير الذى يحمل عليه المخلطون

فيحتمل أنه من ابل الجنة وأنه من الابل التي تحيا وتحشر يوم القيامة وهذا أشبه لانهم بين الرجاء والخوف فلم يلق أن يردوا موقف الحساب على نجائب الجنة قال ويشبه أيضا تخصيص هؤلاء بمن تغفرلهم ذنوبهم عند الحساب ولا يعذبون أما المعذبون بذنوبهم فيكونون مشاة على أقدامهم نقله في البدور (وتحشر بقيتهم النار) لعجزهم عن تحصيل ما يركبونه وهم الفرقة الثالثة والمراد بالنار هنا نار الدنيا لانار الآخرة فلمسلم في حديث ذكر فيه الآيات الكائنة قبل قيام الساعة كطلوع الشمس من مغربها فقيه وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس وفي رواية له تطرد الناس الى حشرهم قال المصنف وقيل المراد نار الفتنة وليس المراد نار الآخرة قال الطيبي لانه جعل النار هي الحاشرة ولو أريد نار الآخرة لقال الى النار ولقوله (تقيل) من القيلولة (معهم حيث قالوا وتبيت) من البيتوتة (معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا) فانها جملة مستأنفة بيان للكلام السابق فان الضمير في تقيل راجع الى النار الحاشرة وهو من الاستعارة فيدل على انها ليست النار الحقيقية بل نار الفتنة كما قال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله انتهى ولا يمتنع اطلاق النار على الحقيقية وهي التي تخرج من قعر عدن وعلى المجازية وهي الفتنة اذ لا تنافي بينهما (رواه الشيخان) باعتبار أصله وان اختلفا في بعض ألفاظه ولذا نسبه أولا للبخاري فلو قال أولا فعن أبي هريرة ثم قال هنا رواه الشيخان واللفظ للبخاري لكان أحسن (وقد مال الحليمي الى أن هذا الحشر) المذكور في حديث أبي هريرة (يكون عند الخروج من القبور وجزم به الغزالي وقيل) واليه أشار الخطابي (انهم يخرجون من القبور بالوصف المذكور في حديث ابن عباس عند الشيخين) الذي قصر المصنف آنفا في عزوه للبخاري وحده (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) وفي رواية عن ابن عباس قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال (انكم تحشرون) بضم الفوقية مبني للمفعول وفي رواية محشورون بفتح الميم اسم مفعول وفي رواية عن ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول انكم ملاقو الله (حفاة عراة غرلا) بضم المعجمة واسكان الراء جمع أغرل أي اقلف زاد في رواية للشيخين مشاة (ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) الاعادة والبعث ونصب وعدا على المصدر المؤكد لمضمون الجملة المتقدمة فناصبه مضمر أي وعدناه ذلك وعدا ورواه الشيخان أيضا عن عائشة بزيادة فقلت يارسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض فقال ياعائشة الامر يومئذ أشد من ذلك وللطبراني والبيهقي عن سودة بنت زمعة قلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض قال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وللطبراني بسند صحيح عن ام سلمة فقلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس قلت ما شغلهم قال نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل (ثم يفترق حالهم من ثم) أي من عند القبور (الى الموقف كما) قال (في حديث أبي هريرة) المذكور يحشر الناس على ثلاث طرائق الخ فلا خلف بينه وبين حديث ابن عباس (ويحشر الكافر على وجهه) كما قال تعالى ونحشرهم يوم القيامة

على وجوههم وقال الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم الآية (قال رجل) قال الحافظ لم أعرف اسمه (يارسول الله كيف يحشر الكافر) ماشيا (على وجهه) وحكمة ذلك المعاقبة على عدم سجوده لله فى الدنيا وكفره فمشى على وجهه اظهارا لهوانه فى ذلك المحشر العظيم جزاء وفاقا والسؤال للاستفهام عما سمعه السائل فى القرآن فلا حاجة لقول المصنف هذا السؤال مسبوق بمثل قوله يحشر بعض الناس يوم القيامة على وجوههم (قال) صلى الله عليه وسلم (أليس الذى امشاه على الرجلين فى الدنيا قادر) بالرفع خبر الذى واسم ليس ضمير الشأن وروى بالنصب خبر ليس (على أن يمشيه) بضم التحتية وسكون الميم (على وجهه يوم القيامة) ولاحمد عن أبى هريرة أنهم قالوا يارسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك قال الحافظ ظاهر الحديث أن المشى حقيقة فلذلك استغربوه حتى سألوا عن كيفيته وزعم بعض المفسرين أنه مثل وأنه كقوله تعالى أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا قال مجاهد هذا مثل المؤمن والكافر قلت لا يلزم من تفسير مجاهد لهذه الآية بهذا أن يفسر به الآية الاخرى فالجواب الصادر من النبى صلى الله عليه وسلم ظاهر فى تقرير المشى على حقيقته انتهى (رواه الشيخان) البخارى فى تفسير سورة الفرقان وفى الرقاق ومسلم فى التوبة عن أنس (وفى حديث أبى ذر عند النسائى) وأحمد والحاكم والبيهقى مرفوعا قال حدثنى الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم (أن الناس يحشرون) اسقط من الحديث يوم القيامة (على ثلاثة أفواج فوجا) كذا فى النسخ بالنصب والذى فى شرحه للبخارى والبدور السافرة فوج بالخفض بدل من ثلاثة المجرور بعلى وهى ثابتة فى الحديث وفى أصل نسخ المواهب ولما رآها الجهال فوجا بالنصب تجاسروا وضربوا على لفظ على مع أنه لو روى بالنصب لكان بتقدير أعنى ولا داعية لشطب على (راكبين طاعمين كاسين) وهم الابرار (وفوجا) بالخفض على الصواب وان كان فى النسخ فوجا (تسحبهم الملائكة على وجوههم) وهم الكفار (وفوجا) صوابه وفوج (يمشون ويسعون) وهم المؤمنون العاصون والرواية كما فى شرحه للبخارى والبدور بتقديم قوله وفوج يمشون على قوله وفوج تسحبهم الخ قال المصنف فى بقية الحديث انهم سألوا عن السبب فى مشى المذكورين فقال صلى الله عليه وسلم يلقى الله الآفة على الظهر حتى لا تبقى ذات ظهر حتى ان الرجل ليعطى الحديقة المعجبة بالشارف ذات القتب أى يشترى الناقة المسنة لاجل كونها تحمله على القتب بالبستان الكريم لهوان العقار الذى عزم على الرحيل عنه وعزة الظهر الذى يوصله الى مقصوده وهذا الائق بأحوال الدنيا لكن استشكل قوله فيه يوم القيامة وأجيب بأنه مؤول على أن المراد به ان يوم القيامة بعقب ذلك فيكون من مجاز المجاورة ويتعين ذلك لما وقع فيه أن الظهر يقل الخ فانه ظاهر جدا فى أنه من أحوال الدنيا لا بعد البعث ومن أين للذين يبعثون حفاة عراة حدائق يدفعونها فى الشوارف ومال الحليمى وغيره الى أن هذا الحشر يكون عند الخروج من

القبور

متصلا من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء قالت (لما خفي علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال أين أبوك يا ابنة أبي بكر (فقلت والله لا أدري أين أبي قالت فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة) واحدة (خرج منها) أي بسبب اللطمة وفي رواية خرم وفي أخرى طرح منها (قرطي) بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة نوع من حلي الاذن معروف (ثم انصرفوا) قالت (وا لما ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل) بعد ثلاث ليال كما في رواية الغيلانيات وفي رواية العمري فلبثنا اياما ثلاثة أو أربعة أو خمس ليال لا ندري أين وجهه ولا يأتينا عنه خبر حتى اقبل رجل (من الجن) من مؤمنيهم ولا أعرف اسمه قاله في النور وفي رواية عن أسماء اذ أقبل رجل من الجن من اسفل مكة تغني بأبيات غنى بها العرب وان الناس يتبعونه (يسمعون صوته ولا يرونه) وفي رواية الغيلانيات عن أبي سليط حتى سمعوا اهاتفا على أبي قبيس والعمري ذكر الروايتين وعذر شيخنا انه لم يقرأ له الرواية الاولى التي عن أبي سليط (وهو ينشد هذه الابيات جزى الله رب الناس خير جزائه *) هكذا رواية أسماء ورواية أبي سليط جزى الله خيرا والجزاء بكفه (رفيقين) مفعول جزى (حلا) من الحلول كما في نسخة صحيحة من الاستيعاب بالهامش ورواه العمري قالا من القيلولة وضبب عليها في الاستيعاب كما في النور (خيمتي أم معبد) تثنية خيمة بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر قال ابن الانباري لا تكون عندهم من ثياب بل من أربعة أعواد ثم تسقف بالثمام وفي معجم ما استعجم من قديد الى المشلل ثلاثة أميال بينهما خيمتا أم معبد (هما نزلا بالبر) ضد الاثم (ثم ترحلا *) وفي رواية هما نزلا بالهدى واغتدوا به (فأفلح) وفي رواية هما رحلا بالحق وانتزلا به وفي أخرى هما نزلاها بالهدى فاهتدت به فقد فاز (من أمسى رفيق محمد) فعيل يستوي فيه الواحد والمثنى والجمع فيدخل في قوله رفيقين عامر بن فهيرة وقد يتنافيه حلا الا ان يكون ثنى نظرا للفظ (فيا لقصي) بضم القاف وفتح المهملة وشد التحتية (مازوى) بفتح الزاي والواو أي جمع وقبض (الله عنكم * به من فعال) قال البرهان وتبعه الشامي الظاهر أنه بفتح الفاء وخفة العين وهو الكرم ويجوز أن يكون بكسر الفاء جمعا (لا تجاري) بالراء وفي رواية بالزاي (وسودد) بضم السين واسكان الواو ومصدر ساد (ليهن) بفتح الياء وتثليث النون أي ليسر (بني كعب) هو ابن عمرو أبو خزاعة (مكان) فاعل يهن وفي نسخة مقام بفتح الميم (فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد) بفتح الميم والصاد أي مقعدها بمكان ترصد أي ترقب المؤمنين فيه لتواسيهم (سلوا أختكم) أم معبد (عن) المعجزة التي شاهدتها في (شاتها) التي حلبها المصطفى ولم يطرقها فحل ولم تستطع الرعي من الهزال (وانائها *) الذي حلب فيه منها مرارا فانها معجزة باهرة لا تنكر (فانكم ان تسألوا الشاة تشهد دعاها بشاة حائل) لا حمل بها (فتحلبت * له) مطاوع احتلبها وضمنه معنى سمحت فعداه بالباء في (بصريح) بصاد وحاء مهملتين ابن خالص لم يخالط (ضرة) بفتح الضاد وشد الراء والفوقية اصل الضرع كما في النهاية مرفوع فاعل تحلبت (الشاة مزبد) بضم الميم واسكان الزاي وكسر الموحدة

فدال مهملة علاه الزبد (فغادرها) تركها (رهنا لديها الحالب * يرددها) الحالب (في مصدر ثم مورد) أي يحلبها مرة ثم أخرى والمعنى ترك الشاة عندها ذات لبن مستمر يردد الحالب الحلب عليها مرة بعد مرة لكثرة لبنها (فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم) وفي الرواية فلما سمع حسان الابيات قال يجاوب الهاتف قال في النور والظاهر أنه انما قاله بعد اسلامه

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقدس من يسري اليه ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا * عمى وهداة يهتدون بمهتدي
وقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم باسعد
نبي يرى مالا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وان قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها في اليوم أو في ضحى غد
ليهن ابابكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد

(وقوله مرملين أي نفدت) بالمهملة (أزوادهم ومسنتين أي مجدبين) بالمهملة أي اصابتهم سنة جدبة (ويروى مشتين) بشين معجمة اسم فاعل من اشتى القوم (أي دخلوا في الشتاء) وحينئذ يقل طعامهم (وكسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها وسكون السين) المهملة (جانبها) وهذه رواية ابن عبد البر والحاكم والبيهقي وفسرها ابن المنير وغيره بما ذكر ورواه اليعمري بلفظ قال ما هذه الشاة التي ارى لشاة رآها في كفاء البيت قال البرهان بكسر الكاف وبالفاء المخففة ممدود قال المؤلف يعني اليعمري في الفوائد كفاء البيت ستره من اعلاه الى أسفله من مؤخره وقيل الكفاء الشقة التي تكون في مؤخر الخباء وقيل كساء يلقى على الخباء كالازار حتى يبلغ الارض وقد اكفأ البيت ذكره ابن سيده انتهى والجمع بين الروايتين سهل بأن تكون الشاة في جانب الخيمة تحت كفائها فالمعبر بهذا أو ذاك صادق (وتفاجت بتشديد الجيم فتحت ما بين رجليها ويربض الرهط بضم المثناة التحتية وكسر الموحدة أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من ربض بالمكان يربض اذا لصق به وأقام) ملازما له يقال اربضت الشمس اذا اشتد حرها حتى تربض الوحوش في كناسها أي تجعلها تربض ويروى بتحتية بدل الموحدة أي يرويهم بعض الري من أراض الحوض اذا صب فيه من الماء ما يوارى ارضه والمشهور الرواية الاولى بالموحدة كما في النور ولذا اقتصر عليها المصنف (والثج) بمثلثة وجيم (السيلان وفي رواية فحلب ثجا حتى علاه الثمال بضم المثلثة الرغوة) مثلث الراء لبن الزبد (واحده ثمالة) لكن في تفسيره الجمع بالمفرد نظر والاظهر لو قال الثمال واحده ثمالة وهي الرغوة الا ان يراد جنس الرغوة وأن كل جزء منها على وجه اللبن رغوة (والبهاء بهاء اللبن وهو وبيص) بمهملة أي لمعان (رغوته وتساوكن هزلا أي تمايلن) من الهزال (ويروى تشاركن) بمعجمة بدل المهملة والراء بدل الواو (من المشاركة أي تساوين في الهزال وغادره

بالغين

بالغين المعجمة) أى (أبقاه) تفسير باللازم اذ هو الترك (والشاء عازب أى بعيدة المرعى والحيال بكسر الحاء المهملة جمع حائل وهى التى ليس بها حمل والابلج با) لموحدة وا (لجيم المشرق الوجه المضيئه) وفى النور مبلج الوجه مشرقه مسفره ومنه تبلج الصبح وابتلج فأما الابلج فهو الذى وضح ما بين حاجبيه فلم يقترنا والاسم البلج بفتح اللام ولم ترده أم معبد لانها وصفته بالقرن (والثجلة بفتح المثلثة) كذا فى النسخ والذى فى النور والسبل بضم المثلثة (وسكون الجيم) وفتح اللام آخره تاء (عظم البطن) وسعته يقال رجل اثجل بين الثجل وامرأة ثجلاء قال أبو ذر فى حواشيه فالثجلة عظم البطن يقال بطن اثجل اذا كان عظيما (ويروى بالنون والحاء) المهملة (أى نحول ودقة) من الجسم الناحل وهو القليل اللحم قاله أبو ذر (والصعلة بفتح الصاد) واسكان العين المهملتين (صغر الرأس وهى أيضا الدقة والنحول فى البدن) كما قال ابن الاثير وفى رواية سقلة بقاف وبسين معها على الابدال من الصاد وذكره ابن الاثير بالصاد والسين مع القاف وبالعين المهملة وكذا الهروى فى الغريبين لكن لم يذكر السين ومعناه نحول ودقة قال شمر من صقلت الناقة ضمرتها وصقلها السير أضمرها والصقل الخاصرة وقال غيره ارادت انه لم يكن منتفخ الخاصرة جدا ولا ناحلا جدا انتهى وفى حواشى أبى ذر لم تزر أى لم تقصر والصقل والصقلة جلدة الخاصرة تريد أنه ناعم الخاصرة وهذا من الاوصاف الحسنة انتهى وعلى كلام غيره هو نفى للاوصاف الغير الحسنة وقال ابن المنير الصعلة انتفاخ الاضلاع وقيل الرقة وقيل صغر الرأس واختير فى هذه الكلمة فتح العين ذكره الهروى انتهى ولم أر ذلك فى الغريبين (والوسيم الحسن وكذلك القسيم وفى عينيه دعج أى سواد) شديد (والوطف قال فى القاموس محركة) أى مفتوح الطاء (كثرة شعر الحاجبين والعينين) وفى الغريبين فى أشفاره وطف أى طول وقد وطف يوطف انتهى وفى حواشى أبى ذر فى أشفاره غطف أو عطف ويروى وطف الوطف طول أشفار العين وفى كتاب العين الغطف بالغين المعجمة مثل الوطف وأما بالمهملة فلا معنى له هنا وفسره بعضهم بأن تطول أشفار العين حتى تنعطف انتهى واقتصر ابن المنير على المعجمة وقال لم يعرفه الرياشى بغيرها (وفى صوته صحل بالتحريك) أى فتح الحاء وكذا الصاد المهملتين فلام (هو كالبحة بضم الموحدة وأن لايكون حاد الصوت) يقال منه صحل الرجل بالكسر يصحل صحلا بفتحهما اذا صار أبح فهو صحل وصاحل (وأحور قال فى القاموس الحور بالتحريك) أى فتح الواو (ان يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها) وهو المحمود المحبوب ولذا كان اغزل ما قالت العرب قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به * وهن اضعف خلق الله انسانا

(والكحل بفتحتين سواد فى اجفان العين خلقة والرجل أكحل وكحيل) والمرأة كحلاء وكثر تغزل المولدين بذلك كقول ابن النبيه

كحلاء نجلاء لها ناظر * منزه عن لوثة المرود

(والازج الدقيق طرف الحاجبين وفى القاموس والزجج محركة) أى مفتوح الجيم الاولى

(دقة الحاجبين فى طول) أى امتداد الى مؤخر العين والزجج خلقة والتزجيج ما كان بصنع كما قال وزججن الحواجب والعيونا أى صنعن ذلك وهو ما تسميه العوام تحفيفا بمهملة (والاقرن المقرون الحاجبين) قال ثابت فى كتاب خلق الانسان رجل اقرن وامرأة قرناء فاذا نسب الى الحاجبين قالوا مقرون الحاجبين ولا يقال اقرن الحاجبين انتهى (وفى عنقه سطع بفتحتين أى ارتفاع وطول) كما قاله الهروى وزاد يقال عنق سطعاء وهى المنتصبة الطويلة ورجل اسطع ومن هذا قيل للصبح أول ما ينشق مستطيلا قد سطع يسطع (وفى لحيته كثاثة بمثلثتين الكثاثة فى اللحية ان تكون غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثاثة يقال رجل كث اللحية بالفتح) للكاف (وقوم كث بالضم) لها (واذا تكلم سما وعلاه البهاء أى ارتفع وعلا على جلسائه وفصل بالصاد المهملة لا نزر بسكون المعجمة) التى هى الزاى أى قليل (ولا هذر بفتحها) أى المعجمة التى هى الذال أى كثير بل وسط هكذا ضبطه الحافظ العلاءى وغيره بالفتح وضبطه بعض شراح الشفاء بسكون الذال مصدر قال وبفتحها الاسم وفى غريبى الهروى فى وصف كلامه عليه السلام لا نزر ولا هذر أى لا قليل ولا كثير ورجل هذر وهذار ومهذار وهذريان كثير الكلام وقوله (أى بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل) تفسير لقولها فصل وقال العلائى يفسره قولها لا نزر ولا هذر (ولا تشنؤه من طول كذا جاء فى رواية أى لا يبغض لفرط طوله ويروى لا يشنى من طول أبدل من الهمزة ياء) ثم قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها (يقال شنئته أشنؤه شنأ) بوزن فلس كما فى المصباح (وشنآنا كما قاله ابن الاثير) فى النهاية (ولا تقتحمه عين من قصر أى لا تتجاوزه الى غيره احتقارا له وكل شئ ازدريته فقد اقتحمته) قاله أبو بكر بن الانبارى كما فى الغريبين (ومحفود أى مخدوم والمحشود الذى عنده حشد) بفتح المهملة وسكون المعجمة وتفتح فدال مهملة (وهم الجماعة ولا عابس من عبوس الوجه والمفند الذى يكثر اللوم) فهو اسم فاعل (وهو التفنيد والضرة لحمة الضرع) وقال الهروى اصل الضرع (وغادرها أى خلف الشاة عنده امرتهنة بأن تدر) بضم الدال (انتهى) ما أراده من شرح غريبه قال ابن المنير وفى الحديث من الفقه انه لا يسوغ التصرف فى ملك الغير ولا اصلاحه وتنميته الا باذنه ولهذا استأذنها فى اصلاح شاتها وفيه لطيفة عجيبة وهو ان اللبن المحتلب من الشاة لا بذات يفرض مملوكا والملك ههنا دائر بين صاحب الشاة وبين النبى صلى الله عليه وسلم وأشبه شئ بذلك المساقاة فانها تكرمة الاصل واصلاحه بجزء من الثمرة وكذلك فعل النبى صلى الله عليه وسلم اكرم الشاة وأصلحها بجزء من اللبن ويحتمل ان يقال ان اللبن مملوك للنبى صلى الله عليه وسلم وسقاها تفضلا منه لانه ببركته كان وعن دعائه وجد والفقه الاول ادق وألطف انتهى (وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق الواقدى) محمد بن عمر بن واقد الاسلمى أبى عبد الله المدنى قال (حدثنى حزام بن هشام) بكسر الحاء المهملة وبالزاى كما ضبطه الامير وغيره (عن أبيه) هشام بن خنيس بمعجمة ونون ومهملة مصغر عند ابراهيم ابن سعد وسلمة بن الفضل عن ابن اسحق ولغيرهما عنه حبيش بضم المهملة وفتح الموحدة فياء فشين معجمة قال فى الاصابة وهو الصواب ابن خالد الخزاعى (عن) عمته (أم معبد قالت

بقيت.

بقيت الشاة التى لمس عليه السلام ضرعها عندنا حتى كان زمن الرمادة) سنة ثمان أو سبع عشرة من الهجرة قيل لها ذلك لان الريح كانت اذا هبت القت ترابا كالرماد وأجدبت الارض الى الغاية حتى أوت الوحوش الى الانس (زمن عمر بن الخطاب) رضى الله عنه وآلى أن لا يذوق لحما ولا سمنا ولا لبنا حتى يحيي الناس أى يأتى البهم الحيا بالقصر وهو المطر وقال كيف لا يعنينى شأن الرعية اذا لم يمسنى ما مسهم حتى استسقى بالعباس باشارة كعب فسقوا وفى ذلك يقول عقيل

بعمى سقى الله البلاد وأهلها * عشية يستسقى بشيبته عمر
توجه بالعباس فى الجدب داعيا * فما جاز حتى جاد بالديمة المطر

(وكنا نحلبها) بضم اللام وكسرها كما فى القاموس وما بالعهد من قدم (صبوحا) بفتح المهملة وضم الموحدة ماشرب بالغداة مما دون القائلة (وغبوقا) بفتح الغين المعجمة الشرب بالعشى (وما فى الارض لبن قليل ولا كثير) وفى بقية حديث هشام هذا وكانت أم معبد يوم نزل عليها النبى صلى الله عليه وسلم مسلمة قال الواقدى وقال غير هشام قدمت بعد ذلك وأسلمت وبايعت كما فى الاصابة وذكر السهيلى عن هشام المذكور قال انا رأيتها وانها لتأدم أم معبد وجميع صرمها أى أهل ذلك الماء وذكر الزمخشرى فى ربيع الابرار عن هند بنت الجون قالت نزل صلى الله عليه وسلم خيمة خالتى أم معبد فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج فى عوسجة الى جانب الخيمة فاصبحت كاعظم دوحة وجاءت بثمر كاعظم ما يكون فى لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع الاشبع ولا ظمآن الاروى ولا سقيم الابرئ ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة الادر لبنها وكنا نسميها المباركة حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا فما راعنا الانعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك وذهبت صفرتها فما شعرنا الا بقتل أمير المؤمنين على فما أثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها ثم اصبحنا واذا بها قد نبع من أسفلها دم عبيط وقد ذبل ورقها فبينما نحن فزعون مهمومون اذ أتانا خبر قتل الحسين ويبست الشجرة على اثر ذلك وذهبت والعجب كيف لم يشتهر أمر هذه الشجرة كالشاة كذا ذكره وعهدته عليه والله أعلم

ه قصة سراقة *

(ثم) بعد رواحهم من عند أم معبد كما عند مغلطاى (تعرض) أى تصدى (لهما) يريد منعهما وردهما الى قومهما وذكر ابن سعد أن سراقة عارضهم يوم الثلاثاء (بقديد) ولا يخالفه قول مغلطاى فلما راحوا من قديد لان معناه لما ساروا وان لم ينفصلوا عنه تعرض لهما (سراقة بن مالك بن جعشم) بضم الجيم والشين المعجمة بينهما مهملة ساكنة ثم ميم وحكى الجوهرى فتح الجيم والشين نقله النووى فى التهذيب والبرهان فى النور وان انتقد بعدم وجوده فى نسخ الصحاح لانه ما جنة أى حجة (المدلجى) بضم الميم وسكون المهملة وكسر اللام ثم جيم من بنى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكنانى الحجازى أسلم سراقة عنده صلى الله عليه وسلم بالجعرانة منصرفه من حنين والطائف وروى عنه

ابن عباس وجابر وابن أخيه عبد الرحمن بن مالك بن جعشم وابن المسيب وطاوس ومات
سنة أربع وعشرين فى أول خلافة عثمان وقيل مات بعده والصحيح الاول أخرج له البخارى
والاربعة وأحمد وسبب تعرّضه لهما مارواه البخارى عنه قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون
فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما انا جالس
فى مجالس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة انى قد
رأيت آنفا اسودة بالساحل آراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم
ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت
جاريتى ان تخرج بفرسى من وراء اكمة فتحبسها علىّ واخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت
الحديث وفيه انه لما دنا منهم سقط عن فرسه واستقسم بالازلام فخرج ما يكره لا يضرهم
ثم ركبها ثانيا وقرب حتى سمع قراءة النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر
الالتفات فساخت يدا فرسه فى الارض الى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم
بالازلام فخرج الذى يكره فناداهم بالامان وفى رواية ابن عقبة وكنت أرجو أن أردّه فآخذ
المائة ناقة وفى رواية عن أبى بكر تبعنا سراقة ونحن فى جلد من الارض فقلت هذا الطلب
لقد لحقنا فقال لا تحزن ان الله معنا فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت
هذا الطلب لقد لحقنا وبكيت قال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قلت أما والله ما على نفسى
ابكى ولكن عليك (فبكى أبو بكر وقال يارسول الله أتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بدعوات) وعند الاسماعيلى وغيره فقال اللهم اكفناه بما شئت وفى حديث انس
عند البخارىّ فقال اللهم اصرعه فصرعه فرسه (فساخت) بسين مهملة وخاء معجمة أى
غاصت (قوائم فرسه) حتى بلغت الركبتين كما فى حديث عائشة وفى حديث اسماء عند
الطبرانىّ فوقعت لمنخريها وللبزار فارتطمت به فرسه الى بطنها وللاسماعيلى فساخت
فى الارض الى بطنها (وطلب الامان فقال) زاد ابن اسحق أنا سراقة انظرونى أكلمكم
فوالله لا يأتيكم منى شئ تكرهونه (اعلم ان قد دعوتما علىّ فادعوا لى) وللاسماعيلى قد
علمت يا محمد ان هذا عملك فادع الله ان ينجينى مما أنا فيه (ولكما) خبر مقدم (ان اردّ
الناس) فى تأويل المصدر مبتدأ أى لكما علىّ ردّ الناس (عنكما) وفى رواية فالله لكما مبتدأ
وخبر أى ناصر وعلىّ ان أردّ وبالجر على القسم والنصب باسقاط حرف القسم كانه قال اقسم
بالله فحذف فنصب (ولا اضرّكما) وفى حديث ابن عباس وأنا لكم نافع غير ضار ولا أدرى
لعل الحى يعنى قومه فزعوا لركوبى وأنا راجع ورادّهم عنكم (قال فوقفا لى) وفى حديث
البراء قال ادع لى ولا أضرك فدعا له صلى الله عليه وسلم (فركبت فرسى حتى جئتهما قال
ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت) من الحبس عنهم كما فى حديث عائشة (ان سيظهر)
مرفوع وان مخففة أى أنه سيظهر (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفى رواية ابن
اسحق أنه قد منع منى قال (فأخبرتهما خبر ما يريد بهما الناس) من الحرص على الظفر
بهما وبذل المال لمن يحصلهما وفى حديث ابن عباس وعاهدهم أن لا يقاتلهم ولا يخبر عنهم
وأن يكتم عنهم ثلاث ليال (وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآنى) بفتح أوله وسكون

الراء فزاي فهمزة أي لم ينقصاني مما معي شيأ ولا لاسماعيلي وهذه كنانتي فخذ منها سهما فانك تمر على ابلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال لا حاجة لنا في ابلك ودعا له وفي حديث عائشة ولم يسألاني شيأ الا أن قال أخف عنا بفتح الهمزة وسكون المعجمة بعدها فاء أمر من الاخفاء فسألته ان يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من اديم وفي حديث انس فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا فكان أول النهار جاهدا على نبي الله وكان آخر النهار مسلحة له رواهما البخاري أي حارسا له بسلاحه وذكر ابن سعد أنه لما رجع قال لقريش قد عرفتم نظري بالطريق وبالاثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيأ فرجعوا وفي رواية ابن اسحق وابن عقبة فسألته كتابا يكون بيني وبينك آية فأمر أبا بكر فكتب لي في عظم أو رقعة أو خرقة ثم ألقاه الي فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت وجمع في النور بأن عامرا كتب طلب سراقة كتابة الصديق لشهرته وعظمته وعند ابن عقبة وابن اسحق فلم أذكر شيأ مما كان حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين خرجت لالقاه ومعي الكتاب فلقيته بالجعرانة حتى دنوت منه فرفعت يدي بالكتاب فقلت يا رسول الله هذا كتابك قال يوم وفاء وبر ادن فدنوت منه وأسلمت وروى ابن مردويه وابن أبي حاتم عن الحسن عن سراقة فبلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد الى قومي فأتيته فقلت أحب ان توادع قومي فان أسلم قومك أسلموا والا امنت منهم فأخذ صلى الله عليه وسلم بيد خالد فقال اذهب معه فافعل ما يريد فصالحهم خالد على ان لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أسلمت قريش أسلموا معهم فأنزل الله الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق فكان من وصل اليهم كان معهم على عهدهم قال ابن اسحق ولما بلغ أبا جهل مالقي سراقة ولامه في تركهم أنشده

أبا حكم واللات لو كنت شاهدا * لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمدا * نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه

زاد بعضهم

عليك بكف القوم عنه فانني * أرى أمره يوما ستبدو معالمه

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى وذكر ابن المنير أنه عليه السلام قال له ذلك يوم لحقهما في الهجرة فعجب من ذلك فلما أتى بهما عمر وبتاجه ومنطقته دعا سراقة فألبسه السوارين وقال ارفع يديك وقل الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك اعرابيا من بني مدلج ورفع عمر صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين (واجتاز صلى الله عليه وسلم في وجهه) أي طريقه (ذلك) الذي هو مار به (بعبد) قال في النور أسود ولا أعرفه ولم أر من ذكره في الصحابة (يرعى غنما فكان من شأنه ما رويناه من طريق البيهقي) بسنده عن قيس بن النعمان) السكوني أحد وفد عبد القيس الكوفي يقال قرأ القرآن على عهد المصطفى وأحصاه على عهد عمر له حديث في سنن أبي داود (قال لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر) حال كونهما (مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب) بالبناء

للمفعول (غير أن هه‍نا عناقا) بفتح العين الانثى من ولد المعز قبل استكمال الحول كذا في المصباح فلعله عبر بالعناق مجازا من تسمية الشئ بما يقرب منه والا فانى قوله (حملت عام أول وما بقي لها لبن) فانه ظاهر في انه سبق لها حمل وولادة لكن رواية البيهقي كما في العيون حملت أول باسقاط عام وزيادة وقد أخدجت وما بقي لها لبن وأخدجت بفتح الهمزة واسكان المعجمة فمهملة فجيم مفتوحتين فتاء تأنيث أي ألقت ولدها ناقص الخلق وان تم حملها أو ألقته وقد استبان حمله كما في أفعال ابن القطاع ورواه أبو الوليد الطيالسي بلفظ حملت أول الشتاء وقد أخدجت وما بقي لها حمل (فقال ادع بها) فدعا بها كما في رواية البيهقي فكانه سقط من قلم المصنف (فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا) ربه (حتى أنزلت) اللبن (وجاء أبو بكر بمجن) بكسر الميم وفتح الجيم وشد النون ترس سمي مجنا لانه يواري حامله أي يستره والميم زائدة (فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قال أوتراك) الهمزة داخلة على محذوف أي أأخبرك وتراك (تكتم علي حتى أخبرك قال نعم قال فاني محمد رسول الله قال أنت الذي تزعم قريش انه صابئ) بالهمز خارج من دين الى دين سموه بذلك زعما منهم أنه خرج من دينهم الى الاسلام مع انه ما دخل دينهم قط اجماعا ولذا (قال) صلى الله عليه وسلم (انهم ليقولون ذلك) أي وهم فيه كاذبون (قال فأشهد أنك نبي وأن ما جئت به حق وأنه لا يفعل ما فعلت الا نبي وأنا متبعك) أي ذاهب معك الى ما تريد على المتبادر لا أنه اتبعه في الدين (قال انك لن تستطيع ذلك يومك) لعلمه انه اذا ذهب معه تبعه قومه ومنعوه من ذهابه معه وعاقبوه والمراد باليوم مطلق الزمن لا خصوص اليوم الذي هو فيه بدليل قوله (فاذا بلغك اني قد ظهرت فأتنا) وهو يرد احتمال انا متبعك فأظهر ايماني وأن نهيه خوفا عليه من الايذاء ثم هذا الحديث قطعا غير قصة الراعي الذي أتى يريد ظل الصخرة التي نام تحتها صلى الله عليه وسلم لانه قال ان في غنمه لبنا وحلب هو لابي بكر وبرد أبو بكر اللبن حتى استيقظ المصطفى كراهة ان يوقظه ثم سقاه وأما هذا العبد فذكر أنه لا لبن معه وانما أتى اللبن معجزة والنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي حلب وسقاه بعد أبي بكر ثم شرب هو آخرهم فني ظن صاحب الخميس اتحادهما فانه ذكر قطعة من حديث الراعي وعقبها بخبر العبد ثم قال أورد في المواهب قصة العبد الراعي بعد قصة أم معبد نظر ظاهر وقصة الراعي كانت قبل قصة سراقة وهي بعد قصة أم معبد كما أفاده في فتح الباري فقال قبل حديث سراقة في قوله فأخذ بهم طريق الساحل تقدم في علامات النبوة وفي مناقب أبي بكر ما اتفق لهما حين خرجا من الغار من لقي راعي الغنم وشربهما من اللبن انتهى (قال الحافظ مغلطاي بعد ذكره لقصة أم معبد وفي الاكليل) للحاكم أبي عبد الله (قصة أخرى شبيهة بقصة أم معبد قال الحاكم فلا أدري اهي هي أم غيرها) وفي قوله أخرى وقوله شبيهة رد لتردد الحاكم فيها وقد رواها تلميذه البيهقي بسند حسنه ابن كثير عن أبي بكر قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فانتهينا الى حي من أحياء العرب فنزلنا على بيت منه لم يكن فيه الا امرأة وذلك عند المساء فجاء ابن لها بأعنز يسوقها فقالت له أمه انطلق بهذه الشفرة والشاة لهذين الرجلين

وقل لهما اذبحاها وكلا منها وأطعمانا فرد النبي صلى الله عليه وسلم الشفرة وقال له ائتني بقدح فقال له انها عزبة أي لم يطرقها الفحل قال انطلق فانطلق فجاء بقدح فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها ثم حلب ملء القدح وأرسلها الاتم الغلام معه فشربت حتى رويت ثم دعا صلى الله عليه وسلم بأخرى ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ثم دعا بأخرى ففعل بها كذلك وشرب صلى الله عليه وسلم فلبثنا ليلتين ثم انطلقنا فكانت تسميه المبارك وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا الى المدينة فمرّ أبو بكر عليها فعرفه ابنها وقال لها هذا الذي كان مع المبارك فسألته عنه فقال لها هو نبي الله صلى الله عليه وسلم فأدخلها عليه فأطعمها وأعطاها قال ولا أعلمه الا قال أسلمت قال البيهقي في الدلائل وهذه القصة قريبة من قصة أم معبد ويشبه ان تكونا واحدة وذكر ابن اسحق ما يدل على انهما واحدة فيحتمل انه رأى التي في كسر الخيمة أولا ثم رجع ابنها بأعنز ففعل بها ما مر ثم لما اتى زوجها وصفته له والله أعلم انتهى والذي يظهر انها غيرها كما أشار اليه مغلطاي كيف وفي قصة أم معبد أن الشاة التي حلب انما هي التي في كسر الخيمة وسقى الجميع منها ثم شرب وأن الآتي بالاعنز انما هو زوجها بعد ما ذهبوا وأيضا فقد قال في هذه فلبثنا ليلتين اذ لو لبثاهما لادركهما زوجها على المتبادر ولا مانع من التعدد والى هذا جنح في فتح الباري فقال أخرج البيهقي في الدلائل شبيها بأصل قصة أم معبد في لبن الشاة المهزولة دون ما فيها من صفته صلى الله عليه وسلم لكنه لم يسمها في هذه الرواية ولا نسبها فاحتمل التعدد انتهى والله أعلم * خاتمة * ومما وقع لهم في الطريق أنه صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابا بيضا رواه البخاري عن عروة مرسلا ووصله الحاكم عن عروة عن أبيه الزبير وكذا لقيهما طلحة بن عبيد الله وكساهما رواه ابن أبي شيبة وغيره وأخرج البيهقي عن بريدة بن الحصيب قال لما جعلت قريش مائة من الابل لمن يرد النبي صلى الله عليه وسلم حملني الطمع فركبت في سبعين من بني سهم فلقيته فقال من أنت قلت بريدة فالتفت صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر وقال برد أمرنا وصلح ثم قال ممن أنت قلت من أسلم قال سلمنا ثم قال ممن قلت من بني سهم قال خرج سهمك يا أبا بكر فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال انا محمد بن عبد الله رسول الله فقال بريدة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا قال بريدة الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين فلما أصبح قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة (ولما بلغ المسلمين) حال كونهم (بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة) ولعله بلغهم لما سمع أهل مكة الهاتف أو نحو ذلك فلا ينافي انه لم يعلم بخروجه من مكة الا علي وآل أبي بكر (فكانوا) جواب لما دخلته الفاء على قلة (يغدون) بسكون المعجمة يخرجون غدوة وأتى بقوله (كل غداة) أي بكرة النهار مع قوله يغدون اشارة الى تكرر ذلك منهم وهو أقوى من كان مع المضارع لان منهم من صحح انها لا تفيد التكرار أو لانه لما استعمل الغدو في الذهاب أي وقت كان كما ذكره الازهري أتى به ليعين المراد منه (الى الحرة) بفتح المهملة وشد الراء

أرض ذات حجارة سود كانت بها الوقعة المشهورة ايام يزيد (ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة) كما في حديث عائشة في البخاري وعند ابن سعد فاذا أحرقتهم الشمس رجعوا الى منازلهم وللحاكم عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة عن رجال من قومه كنا نخرج فنجلس بظاهر الحرة نلجأ الى ظل المدر حتى تغلبنا عليه الشمس ثم نرجع الى رحالنا ولم أر عدة الايام التي فعلوا ذلك فيها ويحتمل انها الثلاثة التي مكثها في الغار واليومان اللذان لبثهما عند المرأة (فانقلبوا يوما بعد ما طال انتظارهم) له عليه السلام (فلما اووا الى بيوتهم أوفى) بفتح الهمزة والفاء طلع (رجل من يهود) قال الحافظ لم أقف على اسمه (على أطم) بضم الهمزة والطاء (من آطامهم) وهو الحصن ويقال انه كان بناء من حجارة كالقصر كما في الفتح (فبصر) بفتح الموحدة وضم المهملة أي علم (برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه) كابي بكر ومولاه والدليل وبريدة حال كونهم (مبيضين) أي عليهم الثياب البيض التي كساها اياهم الزبير وطلحة وقال ابن التين يحتمل ان معناه مستعجلين قال ابن فارس يقال بائض اى مستعجل ويدل عليه (يزول بهم) اى يرفعهم ويظهرهم (السراب) المرئي نصف النهار في شدة الحر كانه ماء وفي الفتح أي يزول بسبب عروضهم له وقيل معناه ظهرت حركتهم فيه للعين (فلم يملك اليهودي نفسه فصاح بأعلى صوته يا بني قيلة) بفتح القاف وسكون التحتية الجدة الكبرى للانصار والدة الاوس والخزرج وهي بنت كاهل بن عذرة (هذا جدكم) بفتح الجيم وشد المهملة (أي حظكم ومطلوبكم) وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه وفي رواية هذا صاحبكم (قد أقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج سراعا بسلاحهم) اظهارا للقوة والشجاعة لتطمئن نفسه صلى الله عليه وسلم بقدومه عليهم ويظهر صدقهم له في مبايعتهم اياه على ان يمنعوه مما يمنعون منه ابناءهم وأنفسهم (فنزل بقباء على بني عمرو ابن عوف) بن مالك بن الاوس بن حارثة على فرسخ من المسجد النبوي وكان نزوله على كلثوم ابن الهدم قيل وكان يومئذ مشركا وجزم به محمد بن زبالة (الحديث رواه البخاري) من حديث عائشة (وفيه ان أبا بكر قام للناس) يتلقاهم (وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق) بكسر الفاء وفتحها جعل (من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر) أي يسلم عليه يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في رواية ابن عقبة عن ابن شهاب وهو ظاهر السياق خلافا لقول ابن التين لمعرفتهم أبا بكر لكثرة تردده لهم في التجارة الى الشام بخلاف المصطفى فلم يأتها بعد أن كبر قاله الحافظ ملخصا أي وأما من رآه كاهل العقبات فانهم يحيونه لمعرفتهم به لكن لو وقع لعله غيرهم ممن لم يره بتحية الرأس فلعلهم تأخروا ذلك الوقت لعذر (حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله عند ذلك) وعند ابن عقبة عن الزهري فطفق من جاء من الانصار ممن لم يكن رآه يحسبه اياه حتى اذا أصابته الشمس أقبل أبو بكر بشيء اظله به وعند ابن اسحق عن عبد الرحمن بن عويم اناخ الى الظل هو وأبو بكر والله ما أدري أيهما هو حتى رأينا أبا بكر ينحاز له عن الظل فعرفناه بذلك (وظاهر هذا انه عليه الصلاة والسلام كانت الشمس تصيبه وما تقدم

من

من تظليل الغمام والملك له كان قبل بعثته كما هو صريح فى موضعه) فلا ينافى ما هنا (قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب وكان قدومه عليه السلام لهلال ربيع الاول أى أول يوم منه) فليس دخوله مقارنا لطلوع الهلال كما قد يتوهم من قوله لهلال اذ اللام بمعنى عند (وفى رواية جرير بن حازم) بن زيد بن عبد الله الازدى" البصرى" الثقة المتوفى سنة سبعين ومائة (عن ابن اسحق قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول) وهذا يجمع بينه وبين ماقبله بالاختلاف فى رؤية الهلال كما يأتى قريبا (ونحوه عند أبى معشر) نجيح ابن عبد الرحمن الهاشمى" مولاهم السندى" بكسر المهملة وسكون النون فيه مقال لكن قال مغلطاى هو من المعتمدين فى السير مر بعض ترجمته (لكنه قال ليلة الاثنين) ومثله عن ابن البرقى" وثبت كذلك فى أواخر مسلم قال مغلطاى وفيه نظر والدمياطى" هو غير محفوظ ويأتى جمع الحافظ (وعن ابن سعد) ليس هو محمد بن سعد كاتب الواقدى" كما هو المتبادر عند الاطلاق وانما هو هنا كما فى فتح البارى ابراهيم بن سعد عن ابن اسحق (قدمها لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول) وابراهيم هذا آخر من روى المغازى عن ابن اسحق كما فى الروض (وفى) كتاب (شرف المصطفى) لابى سعد النيسابورى" (من طريق أبى بكر) ابن محمد بن عمرو (بن حزم) بمهملة وزاى الانصارى" النجارى قاضى المدينة ثم أميرها مات سنة عشرين ومائة عن اربع وثمانين سنة (قدم لثلاث عشرة من ربيع الاول) قال الحافظ فى الفتح (وهذا) أى المذكور (يجمع بينه وبين الذى قبله) من القولين الاولين وهما الهلال والليلتين والاخيرين وهما لاثنتى عشرة ولثلاث عشرة (بالحمل على الاختلاف فى رؤية الهلال) زاد فى الفتح وعند أبى سعد فى الشرف من حديث عمر ثم نزل على بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الاول كذا فيه ولعله كان خلتا ليوافق رواية جرير بن حازم (وقيل كان حين اشتد الضحاء) بالفتح والمد كما فى النور أى قوى وكمل ببلوغه آخر وقته فلا ينافى مامر أن اليهودى رآهم يزول بهم السراب وأما الضحى بالضم والقصر فالشمس كما فى القاموس (يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت منه وبه جزم النووى" فى كتاب السير من الروضة) ونبه به فى الاشارة (وقال ابن الكلبى") هشام بن محمد (خرج من الغار يوم) الذى فى الفتح عن ابن الكلبى" ليلة (الاثنين أول ربيع الاول) قال الحافظ ويوافقه جزم ابن حزم بأنه خرج من مكة لثلاث ليال بقين من صفر فان كان محفوظا فلعل قدومه قباء كان يوم الاثنين ثامن ربيع الاول انتهى وهذا الذى ترجاه صدر به مغلطاى فى الاشارة قال الحافظ وان ضم الى قول أنس اقام بقباء أربع عشرة ليلة خرج منه ان دخوله المدينة كان لاثنين وعشرين منه لكنه قال (ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة خلت منه) فعلى هذا تكون اقامته بقباء أربع ليال فقط وبه جزم ابن حبان فانه قال اقام بها الثلاثاء والاربعاء والخميس يعنى وخرج يوم الجمعة فلم يعتد بيوم الخروج وكذا قال ابن عقبة انه أقام فيهم ثلاث ليال فكانه لم يعتد بيوم الخروج ولا الدخول انتهى (وقيل لليلتين خلتا منه) قاله ابن الجوزى قال مغلطاى وفيه نظر وعند الزبير عن الزهرى" قدم فى نصف ربيع الاول وقيل فى سابعه والاكثر أنه قدم نهارا وفى مسلم ليلا وجمع الحافظ بأن القدوم كان آخر الليل

فدخل فيه نهارا (وعند البيهقي لاثنتين وعشرين ليلة) فيوافق قول انس أقام بقباء أربع عشرة ليلة مع ضمه لقوله (وقال ابن حزم خرجا من مكة وقد بقي من صفر ثلاث ليال) فيكون خروجهما يوم الخميس والاقامة بالغار ليلة الجمعة والسبت والاحد والخروج منه ليلة الاثنين وهذا يوافق الجمع السابق (وأقام على بمكة بعد مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام) حتى ادى للناس ودائعهم التي كانت عند المصطفى وخلفه لردها (ثم أدركه بقباء يوم الاثنين سابع وقيل ثامن عشر ربيع الاول وكانت مدة مقامه مع النبي صلى الله عليه وسلم) بقباء (ليلة أو ليلتين) وفي روضة الاحباب وكان على يسير بالليل ويختفى بالنهار وقد نقبت قدماه فمسحهما النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له بالشفاء فبرئتا في الحال وما اشتكاهما بعد اليوم قط (وأمر صلى الله عليه وسلم) وهو بقباء (بالتاريخ) قال الجوهري هو تعريف الوقت والتوريخ مثله يقال ارخت وورخت وقيل اشتقاقه من الارخ وهو الانثى من بقر الوحش كأنه شئ حدث كما يحدث الولد وقيل هو معرب ويقال أول ما أحدث التاريخ من الطوفان قاله في الفتح واصطلاحا قيل توقيت الفعل بالزمان ليعلم ما بين مقدار ابتدائه وبين أي غاية وضعت له فاذا قلت كتبت كذا في يوم كذا من شهر كذا ثم قرئ بعد سنة مثلا علم ان ما بين القراءة والكتابة سنة وقيل هو أول مدة من الشهر ليعلم به مقدار ما مضى واختصت العرب بأنها تؤرخ بالسنة القمرية لا الشمسية فلذا قدمت الليالي لان الهلال انما يظهر ليلا (فكتب من حين الهجرة) رواه الحاكم في الاكليل عن الزهري وهو معضل والمشهور خلافه وأن ذلك زمن عمر كما قال الحافظ (وقيل ان عمر أول من أرخ) أخرج أبو نعيم الفضل بن دكين في تاريخه ومن طريقه الحاكم عن الشعبي ان أبا موسى كتب الى عمر انه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس فقال بعضهم أرخ بالمبعث وبعضهم بالهجرة فقال عمر الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها وبالمحرم لانه منصرف الناس من حجهم فاتفقوا عليه وذلك سنة سبع عشرة ورواه ابن أبي خيثمة عن ابن سيرين بنحوه قال وذلك في سنة سبع عشرة وقيل ست عشرة في ربيع الاول فلذا قال (وجعله من المحرم) لان ابتداء العزم على الهجرة كان فيه اذ البيعة وقعت أثناء ذي الحجة وهي مقدمة الهجرة وأول هلال استهل بعدها والعزم على الهجرة هلال المحرم فناسب أن يجعل مبتدأ والمتحصل من مجموع آثار ان الذي أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلي وذكر السهيلي أن الصحابة أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله لمسجد أسس على التقوى من أول يوم لان من المعلوم انه ليس أول الايام مطلقا فتعين انه اضيف الى شئ مضمر وهو أول الزمن الذي عز فيه الاسلام وعبد النبي صلى الله عليه وسلم ربه آمنا وابتدأ فيه بناء المسجد فوافق رأى الصحابة ابتداء التاريخ من ذلك اليوم وفهمنا من فعلهم ان قوله تعالى من أول يوم انه أول التاريخ الاسلامي قال في الفتح كذا قال والمتبادر أن معنى قوله من أول يوم أي دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة انتهى وقد قال ابن المنير كلام السهيلي تكلف وتعسف وخروج عن تقدير الاقدمين فانهم قدروه من تأسيس أول يوم فكأنه قيل من أول يوم وقع فيه التاسيس وهذا تقدير تقتضيه

العربية وتشهد له الآية وقيل أول من أرخ يعلى بن أمية حين كان باليمن حكاه مغلطاى ورواه أحمد باسناد صحيح عن يعلى قال الحافظ لكن فيه انقطاع بين عمرو بن دينار ويعلى ولم يؤرخوا بالمولد ولا بالمبعث لان وقتهما لا يخلو من نزاع من حيث الاختلاف فيهما ولا بالوفاة النبوية لما يقع فى تذكره من الاسف والتألم على فراقه وقيل بل أرخ بوفاته عليه السلام حكاه مغلطاى (و) اختلف فى قدر اقامته فى قباء فذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب عن مجمع بن جارية أنه (أقام عليه السلام بقباء فى بنى عمرو بن عوف اثنتين وعشرين ليلة) وحكاه الزبير بن بكار عن قوم من بنى عمرو (وفى صحيح مسلم) لا وجه للاقتصار عليه بل والبخارى كلاهما عن انس (أقام فيهم أربع عشرة ليلة) وبه يفسر قول عائشة بضع عشرة ليلة (ويقال انه أقام يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس) قاله ابن اسحق وجزم به ابن حبان قال اليعمرى وهو المشهور عند أصحاب المغازى وقيل أقام ثلاثا فقط رواه ابن عائذ عن ابن عباس وابن عقبة عن الزهرى وقال ابن اسحق أقام فيهم خمسا وبنو عمرو بن عوف يزعمون أكثر من ذلك قال الحافظ انس ليس من بنى عمرو فانهم من الاوس وأنس من الخزرج وقد جزم بما ذكر فهو أولى بالقبول من غيره انتهى لاسيما مع صحة الطريق اليه لاتفاق الشيخين عليه وفى ذخائر العقبى أقام ليلة أو ليلتين (وأسس) صلى الله عليه وسلم (مسجد قباء) وصلى فيه روى ابن زبالة انه كان لكلثوم بن الهدم مربد فأخذه منه صلى الله عليه وسلم فأسسه وبناه مسجدا وأخرج عبد الرزاق والبخارى عن عروة وابن عائذ عن ابن عباس الذى بنى فيهم المسجد الذى اسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف وروى يونس فى زيادات المغازى عن الحكم بن عتيبة لما نزل صلى الله عليه وسلم قباء قال عمار بن ياسر مالرسول الله بد من ان نجعل له مكانا يستظل فيه اذا استيقظ ويصلى فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قباء فهو أول مسجد بنى يعنى فى الاسلام وروى ابن أبى شيبة عن جابر قال لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة ولذا أقبل المتقدمون فى الهجرة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والانصار بقباء قد بنوا مسجدا يصلون فيه فلما هاجر صلى الله عليه وسلم وورد بقباء صلى فيه الى بيت المقدس ولم يحدث فيه شيأ وجمع بينهما بما حاصله انه لم يحدث فيه شيأ فى أول بنائه لكن لما قدم وصلى فيه غير بناءه وقدم القبلة موضعها اليوم كما فى حديث عند ابن أبى شيبة أيضا (الذى أسس على التقوى على الصحيح) فى تفسير الآية وهو ظاهرها وقول الجمهور وبه جزم عروة بن الزبير عند البخارى وغيره كما علم وذهب قوم منهم ابن عمر وأبو سعيد وزيد بن ثابت الى انه مسجد المدينة وحجته قوية فقد صح مرفوعا نصا أخرج مسلم عن أبى سعيد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال هو مسجدكم هذا وروى أحمد والترمذى عن أبى سعيد اختلف رجلان فى المسجد الذى اسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر هو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال هو هذا وفى ذلك خير كثير وأخرجه أحمد عن سهل بن سعد نحوه وأخرجه من وجه آخر عن سهل عن أبى بن

كعب مرفوعا ولهذه الاحاديث وصحتها جزم الامام مالك فى العتبية بأن الذى اسس على التقوى مسجد المدينة وقال ابن رشد فى شرحها انه الصحيح قال الحافظ والحق أن كلا منهما اسس على التقوى وقوله تعالى فى بقية الآية يحبون أن يتطهروا يؤيد كون المراد مسجد قباء وعند أبى داود باسناد صحيح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نزلت رجال يحبون أن يتطهروا فى أهل قباء وعلى هذا فالسر فى جوابه صلى الله عليه وسلم بأن المسجد الذى أسس على التقوى مسجده رفع توهم ان ذلك خاص بمسجد قباء قال الداودى وغيره ليس هذا اختلافا لان كلا منهما أسس على التقوى وكذا قال السهيلى وزاد غير أن قوله من أول يوم يقتضى مسجد قباء لان تأسيسه فى أول يوم حل النبى صلى الله عليه وسلم بدار الهجرة انتهى (وهو) فى التحقيق كما قال الحافظ (أول مسجد بنى فى الاسلام وأول مسجد صلى فيه عليه السلام بأصحابه جماعة ظاهرا وأول مسجد بنى لجماعة المسلمين عامة وان كان تقدم بناء غيره من المساجد) كبناء أبى بكر بفناء داره (لكن لخصوص الذى بناه) فلا يعادل هذا وقد روى الترمذى عن أسيد بن ظهير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الصلاة فى مسجد قباء ركعتين أحب الى من ان آتى بيت المقدس مرتين لو يعلمون ما فى قباء لضربوا اليه اكباد الابل وأخرج الشيخان عن ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم يزور قباء أو يأتى قباء راكبا أو ماشيا وأخرجا عنه أيضا رفعه من صلى فيه كان كعدل عمرة وروى ابن ماجه عن سهل بن حنيف رفعه من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان كأجر عمرة وأخرج مالك وأحمد والبخارى والنسائى والحاكم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا وكان عبد الله يفعله (ثم خرج عليه السلام من قباء يوم الجمعة) كما عند ابن عائذ وابن اسحق وانما يأتى على انه أقام بقباء أربعة أيام كما قال زين الحفاظ

اقام أربعا لديهم وطلع * فى يوم جمعة فصلى وجمع
فى مسجد الجمعة وهو أول * ما جمع النبى فيما نقلوا
وقيل بل اقام أربع عشره * فيهم وهم ينتحلون ذكره
وهو الذى أخرجه الشيخان * لكن ما مر من الاتيان
لمسجد الجمعة يوم جمعة * لا يستقيم مع هذى المدة
الا على القول بكون القدمة * الى قبا كانت بيوم الجمعة

(حين ارتفع النهار فأدركته الجمعة) أى صلاتها وتعبيره بيوم الجمعة مشعر بقدم تسميتها بذلك وهو أحد الاقوال لجمع الخلائق فيه يوم القيامة أو لان خلق آدم جمع فيه وقيل أول من سماه بذلك كعب بن لؤى وقيل قصى كما مر فى النسب الكريم وقيل التسمية به اسلامية لاجتماع الناس للصلاة فيه لما جمع أسعد بن زرارة بالناس قبل الهجرة النبوية (فى) أرض أو مساكن (بنى سالم بن عوف فصلاها) بمسجدهم (بمن كان معه من المسلمين وهم مائة) وقيل أربعون ولا ينافيهما رواية انه حين قدم عليه السلام استقبله زهاء خمسمائة بقباء لجواز أنهم رجعوا بعد الى المدينة فلم يبق معه لما دخل بنى سالم

الاهؤلاء (في بطن وادي رانونا) براء مهملة ونونين ممدودا كعاشوراء وتاسوعاء واسم المسجد غبيب بضم الغين المعجمة) وفتح الموحدة وسكون التحتية فموحدة (بتصغير غب كما ضبطه صاحب المغانم المطابة) في فضائل طابة وهو المجد الشيرازي صاحب القاموس ويقع في بعض النسخ السقيمة زيادة وفي القاموس الغبغب كجندب وكان أصله طرة معارضة لضبط المصنف لان تصغيره على هذا غبيب بشد الياء ألحقها من لا يميز وهي خطأ شنيع لان القاموس انما ذكره في العين المهملة فقال العب شرب الماء الى ان قال والعبعب كجندب كثرة الماء وواد وصرح في الغين المعجمة بمثل ما هنا فقال وكزبير موضع بالمدينة (والوادي اسمه (ذي صلب) كذا في نسخ بالباء وكان اسمه بالياء فقصد حكايته وفي نسخة ذو صلب وأخرى والوادي وادي صلب وهما ظاهرتان وفي القاموس الصلب بالضم وكسكر وأمير (ولذا) أي لصلاته عليه السلام فيه (سمي مسجد الجمعة) وهي أول جمعة صلاها وأول خطبة خطبها في الاسلام كما قال ابن اسحق وجزم به اليعمري وقيل كان يصلي الجمعة في مسجد قباء مدة اقامته (وهو مسجد صغير مبني بحجارة قدر نصف القامة وهو على يمين السالك الى مسجد قباء) أي وكان مختصا ببني سالم لما مر أن أول مسجد بني لعامة المسلمين مسجد قباء وبكونه للعامة لا ينافيه قول جابر لقد لبثنا بالمدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم سنتين نعمر المساجد ولا يرد أن التحرير أن بين ابتداء هجرة الصحابة وبين الهجرة النبوية شهرين وبعض شهر لان ابتداء الهجرة كان بعد العقبة الثانية بتلك المدة وعمارة المساجد بعد الاولى ودفع استشكاله بزيادة المدة على سنتين بأنهم لم يعمروا بمجرد رجوع الستة الاولين الى المدينة بل بعد ظهور الاسلام بها (وركب صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد) صلاة (الجمعة متوجها الى المدينة وروى انس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم اقبل الى المدينة وهو مردف أبا بكر) خلفه على الراحلة التي هو عليها اكراما له والا فقد كان له راحلة كما مر وفي فتح الباري قال الداودي يحتمل أنه مرتدف خلفه على راحلته ويحتمل أن يكون على راحلة أخرى قال الله تعالى بألف من الملائكة مردفين أي يتلو بعضهم بعضا ورجح ابن التين الاول وقال لا يصح الثاني لانه يلزم منه أن يمشي أبو بكر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قلت انما يلزم ذلك لو كان الخبر جاء بالعكس كان يقول والنبي مرتدف خلف أبي بكر فأما ولفظه وهو مردف أبا بكر فلا وسيأتي في الباب بعده يعني في البخاري من وجه آخر عن انس فكأني أنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر ردفه انتهى وذكر ابن هشام انهم لما وصلوا الى العرج أبطأ عليهم بعض ظهرهم فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن حجر الاسلمي على جمل له الى المدينة وبعث معه غلاما يقال له مسعود بن هنيدة وأخرجه الطبراني وغيره عن أوس وفيه انه أعطاهما فحل ابله وأرسل معهما غلامه مسعودا وأمره أن لا يفارقهما حتى يصلا المدينة (وأبو بكر شيخ) قد أسرع اليه الشيب (يعرف) لانه كان يمر على أهل المدينة في سفر التجارة كما في الفتح (والنبي صلى الله عليه وسلم شاب) لا شيب فيه (لا يعرف) لعدم تردده اليهم فانه كان بعيد العهد بالسفر من مكة (قال) انس (فيلقى الرجل أبا بكر فيقول يا أبا بكر من هذا

الذى بين يديك فيقول هذا الرجل يهدينى السبيل فيحسب) بفتح السين فى لغة جميع العرب الابنى كنانة فكسروها فى المضارع والماضى على غير قياس (الحاسب انه انما يعنى الطريق) الحسية (وانما يعنى) أبو بكر (سبيل الخير الحديث) ذكر فى بقيته تعرض سراقة وتلقى الانصار ثم ركوبه الى ان وصل دار أبى أيوب (رواه البخارى) فى الهجرة (وقد روى) محمد (بن سعد) ما يبين سبب هذه التورية وهو (أنه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر أله) بفتح الهمزة واسكان اللام (عنى الناس فكان اذا سئل من أنت قال باغى حاجة فاذا قيل من هذا معك) حذف الموصول الاسمى وأبقى صلته أى الذى معك وهو جائز عند الكوفيين أو هو حال من ذا (قال هذا يهدينى السبيل) وهذا من معاريض الكلام المغنية عن الكذب جمعا بين المصلحتين (وفى حديث الطبرانى من رواية أسماء بنت الصديق (وكان أبو بكر رجلا معروفا فى الناس فاذا لقيه لاق يقول لابى بكر من هذا) حال كونه (معك) أو الذى معك (فيقول هذا يهدينى الطريق يريد الهداية فى الدين) المتجددة المتكررة لتعبيره بالمضارع دون الماضى (ويحسبه الآخر) الذى سأله (دليلا) للطريق الحقيقى والى هنا انتهى ما نقله من رواية الطبرانى وبين المصنف سبب قول انس يعرف ولا يعرف فقال (وانما كان أبو بكر معروفا لاهل المدينة لانه مر عليهم فى سفره للتجارة) الى الشام مرورا وتردد ومخالطة حتى عرفوه لا مجرد السير اذ لا يستدعى المعرفة وفى الفتح لانه كان يمر على أهل المدينة فى سفر التجارة بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم فى الامرين فانه كان بعيد العهد بالسفر من مكة أى لانه سافر مع عمه وهو صغير كما مر (وكان صلى الله عليه وسلم لم يشب) حينئذ ثم شاب بعض شعرات فى رأسه ولحيته كما يأتى فى شمائله (و) الا فى نفس الامر (كان صلى الله عليه وسلم اسن من أبى بكر) فانه استكمل بمدة خلافته سن المصطفى على الصحيح خلاف ما يتوهم من قوله شاب وأبو بكر شيخ وقد ذكر أبو عمر من رواية حبيب بن الشهيد عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الاصم أنه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر أيما أسن أنا أو أنت قال انت أكرم يا رسول الله منى وأكبر وأنا أسن منك قال أبو عمر هذا مرسل ولا أظنه الا وهما قال الحافظ وهو كما ظن وانما يعرف هذا للعباس وأما أبو بكر ففى مسلم عن معاوية انه عاش ثلاثا وستين سنة وعاش بعد المصطفى سنتين وأشهرا فيلزم على الصحيح فى سنه صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر أصغر منه باكثر من سنتين انتهى ولا يرد عليه قول انس شيخ لانه من جاوز الاربعين كما فى المصباح (وفى حديث انس) عند البخارى (لم يكن فى الذين هاجروا أشمط) بفتح الهمزة والميم بينهما معجمة ساكنة ثم طاء مهملة أى خالط سواد شعره بياضه (غير أبى بكر) فغلفها بالحناء والكتم حتى قنأ لونها غلف بفتح الغين المعجمة واللام الثقيلة كما قال عياض انه الرواية وبالفاء قال الحافظ أى خضبها والمراد اللحية وان لم يقع لها ذكر حتى قنأ بفتح القاف والنون والهمزة أى اشتدت حمرتها اه أى حتى ضربت الى السواد واطلاق الشمط على شيب غير الرأس نقله فى المغرب عن الليث وخصه غيره بشيب الرأس والحديث شاهد للاول والكتم بفتح الكاف والمثناة الخفيفة وحكى تثقيلها ورق يخضب به كالآس ينبت فى أصعر الصخور فيتدلى خيطانا

لطافا ومجتناه صعب ولذا قل" وقيل انه يخلط بالوسمة وقيل انه الوسمة وقيل هو النيل وقيل حناء قريش وصبغه أصفر (وكان عليه الصلاة والسلام كلما مر على دار من دور الانصار يدعونه الى المقام) بضم الميم أى الاقامة (عندهم) بقولهم (يارسول الله هلم الى القوة والمنعة) العز والجماعة الذين يمنعونك ويحمونك بحيث لا يقدر عليك من استعمال المشترك فى معنييه فالمنعة بفتحتين مشترك بين العز والجماعة الذين يحمون وان سكنت النون فبمعنى العز فقط قال الحافظ وسمى ممن سأله النزول عندهم عتبان بن مالك فى بنى سالم وفروة بن عمرو فى بنى بياضة والمنذر بن عمرو وسعد بن عبادة وغيرهما فى بنى ساعدة وأبو سليط وغيره فى بنى عدى" (فيقول) لكل منهم (خلوا سبيلها يعنى ناقته) القصواء أو الجدعاء وفى انهما ثنتان أو واحدة لها القبان خلاف وفى الالفية عضباء جدعاء هما القصواء لكن روى البزار عن انس خطبنا النبى" صلى الله عليه وسلم على العضباء وليست بالجدعاء قال السهيلى" فهذا من قول أنس انها غير الجدعاء وهو الصحيح (فانها مأمورة) قال ابن المنير الحكمة البالغة فى احالة الامر على الناقة أن يكون تخصيصه عليه السلام لمن خصه الله بنزوله عنده آية معجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ولا يحيك ذلك فى صدر أحد منهم شيأ (وقد أرخى زمامها وما يحركها وهى تنظر يمينا وشمالا حتى اذا أتت دار مالك بن النجار بركت) بفتح الراء (على باب المسجد) كذا عند ابن اسحق ولابن عائذ وسعيد بن منصور مرسلا عند موضع المنبر من المسجد وفى الصحيح عن عائشة عند مسجد النبى" صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين وفى حديث البراء عن أبى بكر فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه فقال انى أنزل على اخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك وقد قيل يشبه أن يكون هذا أول قدومه من مكة قبل نزوله قباء لا فى قدومه باطن المدينة فلا يخالف قوله انها مأمورة (وهو يومئذ مربد) بكسر الميم وسكون الراء وفتح الموحدة هو الموضع الذى يجفف فيه التمر وقال الاصمعى" المربد كل شئ حبست فيه الابل أو الغنم وبه سمى مربد البصرة لانه كان موضع سوق الابل قاله الحافظ وفى النور أصله من ربد بالمكان اذا أقام فيه وربده حبسه والمربد أيضا الذى يجعل فيه التمر لينشف كالبيدر للحنطة انتهى والمراد هنا التمر ففى البخارى" عن عائشة وكان مربدا للتمر (لسهل) مكبرا ذكره العمرى" فى البدريين وقال أبو عمر لم يشهدها وقال ابن منده يقال شهد أحدا ومات فى خلافة عمر (وسهيل) مصغرا شهد بدرا وما بعدها وتوفى فى خلافة عمر قاله ابن عبد البر" قال فى الاصابة وزعم ابن الكلبى" أنه قتل مع على" بصفين (ابنى رافع بن عمرو) كما عند ابن الكلبى" وتبعه الزبير بن بكار وابن عبد البر" والذهبى" وغيرهم وقال الزهرى" وابن اسحق هما ابنا عمرو وقال العمرى" وهو الاشهر والحافظ فى الاصابة هو الارجح وحاول السهيلى" التوفيق فقال هما ابنا رافع بن عمرو يعنى كما صرح به الجماعة فنسبهما الزهرى" وابن اسحق الى جدهما وهذا حسن وان عقبه فى الاصابة بأن الارجح قول الزهرى" وتلميذه لانه ذكر فى الفتح ما جمع به السهيلى" عن نص الزبير بن بكار وهو وابن الكلبى" اماما أهل النسب فتعين جمع السهيلى" (وهما يتيمان فى حجر معاذ بن عفراء) كما عند ابن اسحق وأبى عبيد فى الغريب

(ويقال آسعد) بالالف (ابن زرارة) أبو امامة من سياق الانصار الى الاسلام ذكر ابن سعد أن أسعد كان يصلي فيه قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم (وهو الراجح) اذ هو الثابت في البخاري وغيره قال في الاصابة ويمكن الجمع بأنهما كانا تحت حجرهما معا ولذا وقع في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم يابني النجار ثامنوني ووقع في رواية أبي ذر وحده للبخاري سعد بلا ألف والصواب كما في الفتح والنور أسعد بالالف وهو الذي في رواية الباقين قال الحافظ وسعد تأخر اسلامه انتهى وذكره غير واحد في الصحابة قال عياض ولم يذكره كثيرون لانه ذكر في المنافقين وحكى الزبير أنهما كانا في حجر أبي أيوب قال في فتح البارى وأسعد أثبت وقد يجمع باشتراكهم أو بانتقال ذلك بعد أسعد الى من ذكر واحدا بعد واحد (ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها) ومشت (حتى بركت على باب أبي أيوب) خالد ابن زيد بن كليب (الانصاري) من بني مالك بن النجار من كبار الصحابة شهد بدرا والمشاهد ومات غازيا الروم سنة خمسين وقيل سنة احدى وقيل اثنتين وخمسين وهو الاكثر (ثم ثارت) بمثلثة وفوقية قامت منه (وبركت في مبركها الاول) عند المسجد اشارة الى أن بروكها في الاول بطريق القصد لا الاتفاق قاله الحافظ أو الى انه منزله حيا وميتا وقد يكون مشيها قليلا ثم رجوعها اشارة الى الاختلاف اليسير الذي وقع في دفنه ثم الموافقة لرأى أبي بكر في انه يحط له تحت الفرش الذي توفي عليه قاله البرهان البقاعي (وألقت جرانها) بكسر الجيم (بالارض يعني باطن عنقها) كما قاله السهيلي (أومقدمه من المذبح) الى المنحر وبه جزم المجد وذكر السهيلي عن بعض السير أنها لما ألقت جرانها في دار بني النجار جعل جبار بن صخر السلمي ينخسها بحديدة رجاء أن تقوم فتنزل في دار بني سلمة فلم تفعل (وأرزمت) بهمزة فراء ساكنة فزاى مفتوحة (يعني صوتت من غير أن تفتح فاها) قاله أبو زيد قال وذلك على ولدها حين ترأمه وقال صاحب العين أرزمت بالالف معناه رغت ورجعت في رغائها ويقال منه أرزم الرعد وأرزمت الريح انتهى ويروى رزمت بلا ألف أي نامت من الاعياء والهزال ولم تحرك (ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله) باذنه صلى الله عليه وسلم (وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار أوسط دور الانصار وأفضلها) عطف تفسير لاوسط كما في الصحيح مرفوعا خير دور الانصار بنو النجار (وهم أخوال عبد المطلب جده عليه السلام) ولذا أكرمهم بنزوله عليهم كما مر وروى ابن عائذ وسعيد بن منصور عن عطاف بن خالد أنها استناخت به أولا فجاءه ناس فقالوا المنزل يارسول الله فقال دعوها فانبعثت حتى اناخت عند موضع المنبر من المسجد ثم تحلحلت فنزل عنها فأتاه أبو أيوب فقال ان منزلي أقرب المنازل فائذن لي ان انقل رحلك قال نعم فنقله وأناخ الناقة في منزله وذكر ابن سعد أن أبا أيوب لما نقل رحله قال صلى الله عليه وسلم المرء مع رحله وأن أسعد بن زرارة جاء فأخذ ناقته فكانت عنده قال وهذا أثبت (وفي حديث أبي أيوب الانصاري) النجاري (عند أبي يوسف يعقوب) بن ابراهيم الانصاري الامام العلامة الحافظ فقيه العراق الكوفي صاحب أبي حنيفة وروى عن هشام بن عروة وأبي اسحق الشيباني وعطاء بن السائب

وطبقتهم وعنه محمد بن الحسن وابن حنبل وابن معين وخلق نشأ في طلب العلم وكان أبوه فقيرا فكان أبو حنيفة يتعاهد أبا يوسف بمائة بعد مائة قال ابن معين ليس في أصحاب الرأى أكثر حديثا ولا اثبت من أبي يوسف وهو صاحب حديث وسنة مات في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائة عن تسع وستين سنة (في كتاب الذكر والدعاء له قال) أبو أيوب (لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت في العلو) وفي رواية ابن اسحق لما نزل صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السفل وكنت أنا وأم أيوب في العلو فقلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي اني أكره وأعظم ان أكون فوقك وتكون تحتي فاظهر انت فكن في العلو وننزل نحن ونكون في السفل فقال يا أبا أيوب ان الارفق بنا ومن يغشانا أن نكون في سفل البيت قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم في سفله وكنا فوقه في المسكن (فلما خلوت الى أم أيوب) زوجته بنت خالة قيس بن سعد الانصارية النجارية الصحابية لم يذكر لها اسما في الاصابة (قلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالعلو ومنا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي فما بت تلك الليلة لا أنا ولا أم أيوب) بحالة هنية بل بشر ليلة لتلك الفكرة أو استعمل المبيت في النوم كأنه قال ما نمنا من اشتغال الفكرة بذلك وفي رواية ان أبا أيوب انتبه ليلا فقال نمشي فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحول فباتوا في جانب وفي رواية ابن اسحق فلقد انكسر لنا حب فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها تخوفا أن يقطر على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ فيؤذيه (فلما أصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب قال لم يا أبا أيوب قال قلت كنت) أنت (أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي) زاد في رواية فقال صلى الله عليه وسلم الاسفل ارفق بنا فقلت (لا) يكون ذلك فهي داخلة على محذوف فقوله (والذي بعثك بالحق لا أعلو سقيفة انت تحتها أبدا) تأكيد لاشتماله على القسم زاد في رواية فلم يزل أبو أيوب يتضرع اليه حتى تحول الى العلو وأبو أيوب في السفل (الحديث) تمامه وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فاذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا اليه بعشائه وقد جعلنا فيه بصلا أو ثوما فرده ولم أر ليده فيه أثرا فجئته فزعا قال اني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل اناجي فأما انتم فكلوه فأكلناه ولم تصنع له تلك الشجرة بعد أخرجه بتمامه ابن اسحق في السيرة (ورواه الحاكم أيضا) وغيرهم (وقد ذكر) في المبتدا لابن اسحق وقصص الانبياء (ان هذا البيت لابي أيوب بناه له عليه الصلاة والسلام تبع الاول) بن حسان الحميري الذي قال صلى الله عليه وسلم فيه لا تسبوا تبعا فانه قد أسلم أخرجه الطبراني وذكر ابن اسحق في السيرة ان اسمه تبان بضم الفوقية وخفة الموحدة فألف فنون وحدة ابن سعد وفي مغاص الجوهر في انساب حمير أنه كان تدين بالزبور (لما مر بالمدينة) في رجوعه من مكة (وترك فيها أربعمائة عالم) روى ابن عساكر في ترجمته انه قدم مكة وكسا الكعبة وخرج الى يثرب وكان في مائة ألف وثلاثين ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة ولما نزلها اجمع أربعمائة رجل من الحكماء والعلماء وتبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة في مقامهم فقالوا ان شرف البيت

وشرف هذه البلدة بهذا الرجل الذي يخرج يقال له محمد صلى الله عليه وسلم فأراد تبع أن يقيم وأمر ببناء أربعمائة دار لكل رجل دار واشترى لكل منهم جارية وأعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاء جزيلا وأمرهم بالاقامة الى وقت خروجه (وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم) فيه اسلامه ومنه

شهدت على أحمد أنه * رسول من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيراله وابن عم

وختمه بالذهب (ودفعه الى كبيرهم وسأله أن يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم) وعند ابن عساكر ودفع الكتاب الى عالم عظيم فصيح كان معه يدبره وأمره أن يدفع الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ان ادركه والا من أدركه من ولده وولد ولده أبدا الى حين خروجه وكان في الكتاب انه آمن به وعلى دينه وخرج تبع من يثرب فمات بالهند ومن موته الى مولده صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء (فتداول الدار) التي بناها تبع للنبي صلى الله عليه وسلم لينزلها اذا قدم المدينة كما في المبتدا والقصص (الملاك الى ان صارت لابي أيوب وهو من ولد ذلك العالم) الذي دفع اليه الكتاب ولما خرج صلى الله عليه وسلم أرسلوا اليه كتاب تبع مع أبي ليلى فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له أنت أبو ليلى ومعه كتاب تبع الاول فبقي أبو ليلى متفكرا ولم يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أنت فاني لم أر في وجهك أثر السحر وتوهم انه ساحر فقال انا محمد هات الكتاب فلما قرأه قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات (قال وأهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من ولد أولئك العلماء) الاربعمائة وفي رواية انهم كانوا الاوس والخزرج (فعلى هذا) المذكور من أن تبعا بنى للمصطفى دارا (انما نزل في منزل نفسه لا في منزل غيره كذا حكاه في تحقيق النصرة) في تاريخ دار الهجرة لقاضيها الشيخ زين الدين بن الحسين المراغي من مراغة الصعيد من فضلاء طلبة الجمال الاسنوى (وفرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم) روى البخاري عن البراء بن عازب فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو داود عن انس لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحا بقدومه (وأشرقت المدينة بحلوله فيها وسرى السرور الى القلوب قال انس بن مالك لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء) فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الايدى حتى انكرنا قلوبنا أخرجه الترمذي في المناقب وقال صحيح غريب وابن ماجه في الجنائز واقتصر المصنف على حاجته منه هنا وروى ابن أبي خيثمة والدارمي عن أنس أيضا شهدت يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فلم أر يوما أحسن منه ولا اضوأ من يوم دخل علينا فيه صلى الله عليه وسلم المدينة (وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير) بجيمين جمع اجار وفي لغة الاناجير بالنون أى الاسطحة (عند قدومه يقلن تهنئة له حال دخوله

(طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا * مادعا لله داعي)

قوله وأبو بكر فى بعض النسخ وأبو الحسن اه مصححه

زاد رزين أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

(قلت انشاد هذا الشعر عند قدومه عليه السلام المدينة رواه البيهقى فى الدلائل النبوية (وأبو بكر المقرى) بضم الميم وسكون القاف الحافظ محمد بن ابراهيم بن على بن عاصم الاصبهانى صاحب المعجم الكبير وغيره سمع أبا يعلى وعبدان وعنه ابن مردويه وأبو نعيم وأبو الشيخ مات سنة احدى وثمانين وثلثمائة (فى كتاب الشمائل له عن ابن عائشة) عبيد الله بضم العين ابن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمى ثقة مات سنة ثمان وعشرين ومائتين روى له أبو داود والترمذى والنساى قال الحافظ ورمى بالقدر ولا يثبت ويقال له ابن عائشة والعائشى والعيشى نسبة الى عائشة بنت طلحة لانه من ذريتها وذكر ابن أبى شيبة انه أنفق على اخوانه أربعمائة ألف دينار حتى التجا الى ان باع سقف بيته (وذكره الطبرى فى الرياض) النضرة (عن ابن الفضل الجمحى قال سمعت ابن عائشة يقول أراه) أظنه (عن أبيه) محمد بن حفص التيمى (فذكره وقال المحب الطبرى) (خرجه الحلوانى) بضم المهملة وسكون اللام نسبة الى حلوان آخر العراق الحسن بن على بن محمد الهذلى أبو على الخلال نسبة الى الخل نزيل مكة ثقة حافظ له تصانيف شيخ الجماعة خلا النساى مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين (على شرط الشيخين انتهى) كلام الطبرى وفيه معمر فالشيخان لم يخرجا لابن عائشة فلا يكون على شرطهما ولو صح الاسناد اليه (وسميت ثنية الوداع لانه عليه السلام ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة فى بعض أسفاره) هو غزوة تبوك (وقيل لانه عليه السلام شيع اليها بعض سراياه) هى سرية مونة (فودعه عندها) وهذان يعطيان أن التسمية حادثة (وقيل لان المسافر من المدينة كان يشيع اليها ويودع عندها قديما وصحح القاضى عياض الاخير واستدل عليه بقول نساء الانصار حين قدومه عليه السلام * طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * فدل على انه اسم قديم) وهى فى الاصل ما ارتفع من الارض وقيل الطريق فى الجبل (وقال ابن بطال انما سميت بثنية الوداع لانهم كانوا يشيعون الحاج والغزاة اليها ويودعونهم عندها واليها كانوا يخرجون عند التلقى انتهى قال شيخ الاسلام الولى بن العراقى وهذا كله مردود ففى صحيح البخارى) فى الجهاد والمغازى (وسنن أبى داود والترمذى عن السائب بن يزيد) بن سعيد بن ثمامة الكندى وقيل فى نسبه غير ذلك صحابى صغير له أحاديث قليلة وولاه عمر سوق المدينة وهو آخر من مات بها سنة احدى وتسعين أو قبلها (قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك خرج الناس) كلهم رجالا ونساء وصبيانا وولائد فرحا به وسرورا بضد ما أرجف به المنافقون اذ كانوا يخبرون عنه أخبار السوء فى غيبته ولانهن ألفنه صلى الله عليه وسلم بخلاف الهجرة صعدت المخدرات على الاسطحة لانهن لم يكن رأينه وان فشا فيهم الاسلام (يتلقونه من ثنية الوداع قال) ابن العراقى (وهذا صريح فى انها من جهة الشام) لا مكة فظهر منه رد كلام ابن بطال وأثر ابن عائشة ولم يظهر منه رد كلام عياض لانه لم يقل حين قدومه من مكة فيحمل على انه حين قدومه من تبوك وكذا القولان قبله فى سبب التسمية لان بعض أسفاره وسراياه مبهم فيحمل على تبوك ومونة فى قوله وهذا كله

مردود نظر بل بعضه (ولهذا لما نقل والدى) الحافظ عبد الرحيم (رحمه الله فى شرح
الترمذى" كلام ابن بطال قال انه وهم) بفتحتين غلط (قال وكلام ابن عائشة معضل
لاتقوم به حجة انتهى) ونحوه قول الفتح هنا بعد نقل أثر ابن عائشة وعزوه لتخريج أبى سعد
فى الشرف والخلعى" فى فوائده هذا اسند معضل ولعل ذلك كان فى قدومه من غزوة تبوك
انتهى وأما قوله فى الفتح فى تبوك فى شرح حديث السائب انكر الداودى هذا وتبعه ابن
القيم وقال ثنية الوداع من جهة مكة لامن جهة تبوك بل هى مقابلها كالمشرق والمغرب
قال الا أن يكون هناك ثنية أخرى فى تلك الجهة قلت لايمنع كونها من جهة الحجاز أن يكون
خروج المسافر من جهتها وهذا واضح كما فى دخول مكة من ثنية والخروج منها من أخرى
وينتهى كلاهما الى طريق واحدة وقد روينا بسند منقطع فى الخلعيات قول النسوة لما قدم
المدينة طلع البدر علينا من ثنيات الوداع فقيل ذلك عند قدومه من غزوة تبوك انتهى
فهو مع مافيه من المخالفة لكلام شيخه العراقى" وابنه وكلامه نفسه هنا آخره مخالف لاوله
ونقله عن ابن القيم مخالف لقول المصنف (وسبقه الى ذلك ابن القيم فى الهدى النبوى")
أى كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد (فقال هذا وهم من بعض الرواة لان ثنية الوداع
انما هى من ناحية الشام لايراها القادم من مكة ولايمر بها الا اذا توجه الى الشام وانما وقع
ذلك عند قدومه من تبوك) وأجاب الشريف السمهودى" بأن كونها شامى" المدينة لايمنع
كون هذه الابيات أنشدت عند الهجرة لانه صلى الله عليه وسلم ركب ناقته وأرخى زمامها
وقال دعوها فانها مأمورة ومر بدور الانصار من بنى ساعدة ودارهم شامى" المدينة وقرب
ثنية الوداع فلم يدخل باطن المدينة الا من تلك الناحية فلا وهم وهو جواب حسن وان
كان شيخنا البابلى" رحمه الله يستبعده بأنه يلزم عليه أن يرجع ويمر على قباء" ثانيا فلا بعد فيه
ولو لزم ذلك لارخائه زمام الناقة وكونها مأمورة (لكن قال ابن العراقى أيضا ويحتمل
فى دفع الوهم (ان تكون الثنية التى من كل جهة يصل اليها المشيعون يسمونها بثنية
الوداع) قال الخميس يشبه ان هذا هو الحق ويؤيده جمع الثنيات اذ لو كان المراد التى من
جهة الشام لم تجمع قال ولا مانع من تعدد وقوع هذا الشعر مرة عند الهجرة ومرة عند
قدومه من تبوك فلا ينافى مافى البخارى" وغيره ولا ماقاله ابن القيم انتهى (وفى شرف
المصطفى) لابن سعد النيسابورى" (وأخرجه البيهقى") وشيخه الحاكم (عن انس لما
بركت الناقة على باب أبى أيوب خرج جوار) فى الطرقات (من بنى النجار) زاد الحاكم
يضربن (بالدفوف) جمع دف بضم الدال وفتحها لغة (ويقلن) عطف على يضربن
(نحن جوار) جمع جارية وهى الشابة امة أو حرة وهو المراد لقولهن (من بنى النجار*) دون
لبنى النجار (يا) قومنا (حبذا) فدخل حرف النداء على مقدر لانه لايدخل على
الافعال وحب" فعل ماض (محمد من جار) تمييز (فقال صلى الله عليه وسلم أتحببننى)
بضم التاء من أحب وبفتحها وكسر الموحدة الاولى من حب (قلن نعم يارسول الله
وفى رواية الطبرانى" فى الصغير) زيادة (فقال عليه السلام الله يعلم أن قلبى يحبكم) بالميم
يامعشر الانصار الذين انتن منهم أو الميم للتعظيم كقوله

وان شئت حرمت النساء سواكم * وفي رواية فقال والله وأنا أحبكن قالها ثلاث مرات فلعله قال الجميع أو ذا البعض وذا البعض (وقال الطبري وتفرق الغلمان) جمع غلام وهو الابن الصغير (والخدم) جمع خادم ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبيرا (في الطرق ينادون) فرحا (جاء محمد جاء رسول الله) وهذا أخرجه الحاكم في الاكليل عن البراء ولفظه فخرج الناس حين قدم المدينة في الطرق والغلمان والخدم يقولون جاء محمد رسول الله الله أكبر جاء محمد رسول الله (و) لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة (وعك) بضم الواو وكسر العين أي حم (أبو بكر وبلال) قالت عائشة فدخلت عليهما فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك كما في رواية للبخاري وأخرج ابن اسحق والنسائي عنها لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبأ أرض الله أصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه وأصابت أبا بكر وبلالا وعامر بن فهيرة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فأذن لي فدخلت عليهم وهم في بيت واحد قالت (وكان أبو بكر اذا أخذته الحمى يقول) وفي رواية ابن اسحق والنسائي فقلت كيف تجدك يا أبت فقال (كل امرئ مصبح) بضم الميم وفتح المهملة والموحدة الثقيلة أي مصاب بالموت صباحا وقيل يقال له صبحك الله بالخير وهو منعم (في أهله * والموت أدنى) أقرب اليه (من شراك) بكسر المعجمة وخفة الراء سير (نعله) الذي على ظهر القدم والمعنى أن الموت أقرب الى الشخص من قرب شراك نعله الى رجله وذكر عمر بن شبة في أخبار المدينة أن هذا الرجز لحنظلة بن سيار قاله يوم ذي قار وتمثل به الصديق رضي الله عنه وفي رواية ابن اسحق والنسائي فقلت انا لله ان أبي ليهذي وما يدري ما يقول ثم دنوت الى عامر فقلت كيف تجدك يا عامر فقال

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه * كل امرئ مجاهد بطوقه
كالثور يحمي انفه بروقه

فقلت هذا والله ما يدري ما يقول أي لانها سألتهم عن حالهم فأجابوها بما لا يتعلق به والطوق الطاقة والروق القرن يضرب مثلا في الحث على حفظ الحريم قال السهيلي ويذكر أن هذا الشعر لعمرو بن مامة (وكان بلال اذا أقلعت) بفتح الهمزة واللام ولابي ذر بضم الهمزة وكسر اللام (عنه الحمى) أي تركته كما في رواية ابن اسحق والنسائي وزادا اضطجع بفناء البيت ثم (يرفع عقيرته) بفتح المهملة وكسر القاف وسكون التحتية وفتح الراء وفوقية أي صوته بالبكاء (ويقول ألا) بخفة اللام اداة استفتاح (ليت شعري) أي مشعوري أي ليتني علمت بجواب ما تضمنه قولي (هل أبيتن ليلة * بواد) هو وادي مكة (وحولي اذخر) بكسر الهمزة وسكون الذال وكسر الخاء المعجمتين حشيش مكة ذو الرائحة الطيبة (وجليل) بجيم نبت ضعيف (وهل أردن) بنون التوكيد الخفيفة (يوما مياه) بالهاء (مجنة *) بفتح الميم والجيم والنون المشددة وتكسر الميم موضع على اميال من مكة كان به سوق في الجاهلية (وهل يبدون) بنون التأكيد الخفيفة يظهرن (لي شامة) بمعجمة وميم خفيفة على المعروف (وطفيل) بفتح المهملة وكسر الفاء وسكون التحتية

قيل وهذان البيتان ليسا لبلال بل لبكر بن غالب الجرهمي أنشدهما لما نفتهم خزاعة من
مكة فتمثل بهما بلال (اللهم العن) عتبة بن ربيعة و (شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف) هكذا
ثبت لعنه للثلاثة في البخاري آخر كتاب الحج وسقط الاول من قلم المصنف سهوا وبه يستقيم
الجمع في (كما أخرجونا) فلا حاجة للاعتذار بأن المراد ومن كان على طريقهما في الايذاء
ولذا جمع والكاف للتعليل وما مصدرية أي أخرجهم من رحمتك لاخراجهم ايانا (من
أرضنا) التي توطناها ولا يشكل بأن لعن المعين لا يجوز لامكان أنه علم من النبي صلى الله
عليه وسلم انهم لا يؤمنون وقد قيل في آية ان الذين كفروا سواء عليهم انها نزلت في معينين
كأبي جهل وأضرابه (الى أرض الوبا) بالقصر والمد المرض العام وهو أعم من الطاعون
وقال المصنف في مقصد الطب الدليل على مغايرة الطاعون للوبا أن الطاعون لم يدخل
المدينة وقد قالت عائشة دخلنا المدينة وهي أوبأ أرض الله وقال بلال اخرجونا من
أرضنا الى أرض الوبا انتهى فلا يعارض قدومه اليها وهي وبئة نهيه عن القدوم على
الطاعون لاختصاص النهي به وبنحوه من الموت السريع لا المرض ولو عم (ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم) بعد أن أخبرته عائشة بشأنهما ففي رواية البخاري هنا قالت عائشة
فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته وفي رواية ابن اسحق والنسائي فذكرت ذلك
لرسول الله فقلت يارسول الله انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فنظر الى السماء وقال
(اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد) فاستجاب الله له وكانت أحب اليه من مكة
كما جزم به السيوطي (اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا) فاستجاب الله له
فطيب هواءها وترابها وساكنها والعيش بها قال ابن بطال وغيره من أقام بها يجد من تربتها
وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها قال العلامة الشامي وقد تكرر دعاؤه عليه
الصلاة والسلام بتحبيب المدينة والبركة في ثمارها والظاهر أن الاجابة حصلت بالاول
والتكرير لطلب المزيد فيها من الدين والدنيا وقد ظهر ذلك في نفس الكيل بحيث يكفي المد بها
مالا يكفيه بغيرها وهذا أمر محسوس لمن سكنها (وانقل حماها الى الجحفة) بضم الجيم
وسكون المهملة وفتح الفاء قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكة نحو خمس مراحل
وثمانية من المدينة وكانت تسمى مهيعة وبه عبر هنا في رواية ابن اسحق والنسائي بفتح الميم
والتحتية بينهما هاء ساكنة فعين مهملة فهاء على المشهور وحكى عياض كسر الهاء وسكون
الياء على وزن جميلة وكانت يومئذ مسكن اليهود وهي الآن ميقات مصر والشام والمغرب
ففيه جواز الدعاء على الكفار بالامراض والهلاك وللمسلمين بالصحة واظهار معجزة عجيبة
فانها من يومئذ وبئة لا يشرب أحد من مائها الا حم ولا يمر بها طائر الا حم وسقط وروى
البخاري والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رفعه رأيت في المنام كأن امرأة سوداء ثائرة
الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة فتأولتها أن وبا المدينة نقل اليها وفي رواية
قدم انسان من طريق مكة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل لقيت أحدا قال لا يارسول
الله الا امرأة سوداء عريانة ثائرة الرأس فقال صلى الله عليه وسلم تلك الحمى ولن تعود بعد
اليوم ولا مانع من تجسم الاعراض خرقا للعادة لتحصل الطمأنينة لهم باخراجها قال

السمهودي والموجود الآن من الحمى بالمدينة ليس حمى الوباء بل رحمة ربنا ودعوة نبينا للتكفير قال وفي الحديث أصح المدينة ما بين حرة بني قريظة والعريض وهو يؤذن ببقاء شيء منها بها وأن الذي نقل عنها أصلا ورأسا سلطانها وشدتها ووباؤها وكثرتها بحيث لا يعد الباقي بالنسبة اليها شيأ قال ويحتمل انها رفعت بالكلية ثم اعيدت خفيفة لئلا يفوت ثوابها كما أشار اليه الحافظ ابن حجر ويدل له ما رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان والطبراني عن جابر استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقالت أم ملدم فأمر بها الى أهل قباء فبلغوا مالا يعلمه الا الله فشكوا ذلك اليه فقال ما شئتم ان شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا أو تفعل قال نعم قالوا فدعها انتهى (قالت) يعني عائشة وقدمنا المدينة) بعد ذلك والمسجد يبنى كما يأتي (وهي أوبأ أرض الله) أي أكثر وباء وأشد من غيرها زاد ابن اسحق قال هشام بن عروة وكان وباؤها معروفا في الجاهلية وكان الانسان اذا دخلها وأراد أن يسلم من وبائها قيل انهق فينهق كما ينهق الحمار وفي ذلك يقول الشاعر

لعمري لئن غنيت من خيفة الردى * نهيق حمار انني لمروع

وفي حديث البراء عند البخاري ان عائشة وعكت أيضا وكان أبو بكر يدخل عليها وأخرج ابن اسحق عن الزهري عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال اصابت الحمى الصحابة حتى جهدوا وامرضوا وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه حتى ما كانوا يصلون الا وهم قعود فخرج صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك فقال اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فتجشموا القيام أي تكلفوه على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل (فكان بطحان) بضم الموحدة وحكى فتحها وسكون الطاء المهملة معهما وقيل بفتح أوله وكسر الطاء وعزا عياض الاول للمحدثين والثالث للغويين واد بالمدينة روى البزار وابن أبي شيبة عن عائشة مرفوعا بطحان على ترعة من الجنة بضم الفوقية أي باب أو درجة (يجري نجلا) بفتح النون وسكون الجيم أي ينز نزا أي ماء قليلا وقيل هو الماء حين يسيل وقيل الغدير الذي لا يزال فيه الماء وقال البخاري (تعني) عائشة (ماء آجنا) أي متغير الطعم واللون وخطأه عياض ورده الحافظ بأنها قالته كالتعليل لكون المدينة وبئة ولا شك ان النجل اذا فسر بالماء الحاصل من النز فهو بصدد أن يتغير واذا تغير كان استعماله مما يحدث الوباء في العادة انتهى (و) استجاب الله لرسوله فسكن محبة المدينة في قلوب صحبه حتى (قال عمر اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك) لما في كل منهما من الفضل العظيم فقد روى أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها أي أخصه بشفاعة غير العامة زيادة في اكرامه قال السمهودي فيه بشرى لساكنها بالموت على الاسلام لاختصاص الشفاعة بالمسلمين وكفى به مزية فكل من مات بها مبشر بذلك وقال ابن الحاج فيه دليل على فضلها على مكة لافراده اياها بالذكر انتهى واستجاب الله دعاء الفاروق فرزقه الشهادة بها على يد فيروز النصراني عبد المغيرة ودفن عند حبيبه (رواه) أي هذا

الحديث الذى أوله وعك أبو بكر (البخارى) عن عائشة فى كتاب الحج وغيره ورواه أيضا مسلم وأحمد وابن اسحق والنساى (وقوله يرفع عقيرته أى صوته لان العقيرة الساق المقطوعة كما فى القاموس فغيرها لا يسمى به (وكان) فعل ماض (الذى قطعت رجله رفعها) كما قال الاصمعى أصله ان رجلا انعقرت رجله فرفعها (وصاح ثم قيل لكل من صاح ذلك) وان لم يرفع رجله (حكاه الجوهرى) قال ثعلب وهذا من الاسماء التى استعملت على غير أصلها انتهى فجعله مأخوذا من العقيرة بمعنى الساق اشارة الى انه الاصل لا أنه لا يمكن غيره فانه يمكن تفسيره بالصوت الكائن من ألم الحمى التى أصابته ففى القاموس اطلاق العقيرة على صوت الباكى (وشامة وطفيل عينان بقرب مكة) كما ارتضاه الخطابى فقال كنت احسبهما جبلين حتى مررت بهما ووقفت عليهما فاذا هما عينان من ماء وقواه السهيلى بقول كثير

وما أنس مشيا ولا انس موقفا * لنا ولها بالخب خب طفيل

والخب منخفض الارض انتهى وقيل هما جبلان على نحو ثلاثين ميلا من مكة وقال البكرى مشرفان على مجنة على بريد من مكة وجمع باحتمال ان العينين بقرب الجبلين أو فيهما الا ان كلام الخطابى يبعد الثانى وزعم فى القاموس أن شامة بالميم تصحيف من المتقدمين والصواب شابة بالباء قال وبالميم وقع فى كتب الحديث جميعها كذا قال وأشار الحافظ لرده فقال زعم بعضهم ان الصواب بالموحدة بدل الميم والمعروف بالميم انتهى (والمراد بالوادى) فى قول بلال بواد (وادى مكة) وقد رواه النساى وغيره بفج وهو أيضا واد خارج مكة يقول فيه الشاعر

ماذا بفج من الاسواق والطيب * ومن جوار نقيات عرابيب

(وجليل نبت ضعيف) له خوص أو شئ يشبه الخوص يحشى به البيوت وغيرها وهو الثمام بضم المثلثة قال السهيلى رحمه الله وفى هذا الخبر وما ذكر فيهم من حنينهم الى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه وقد جاء فى حديث أصيل الغفارى ويقال فيه الهذلى أنه قدم من مكة فسألته عائشة كيف تركت مكة يا أصيل فقال تركتها حين ابيضت اباطحها وأحجن ثمامها وأغدق اذخرها وأبشر سلمها فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تشوقنا يا أصيل ويروى أنه قال له دع القلوب تقر وقد قال الاول

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة * بوادى الخزامى حيث ربتنى أهلى
بلاد بها نيطت على تمائمى * وقطعن عنى حين أدركنى عقلى

انتهى وأصيل بالتصغير كما فى الاصابة (وأقام صلى الله عليه وسلم عند أبى أيوب سبعة أشهر) قاله ابن سعد وجزم به فى الفتح (وقيل الى صفر من السنة الثانية وقال الدولابى) أقام عنده (شهرا) حكى الاقوال الثلاثة مغلطاى والله أعلم

* ذكر بناء المسجد النبوى وعمل المنبر *

(وكان) عليه الصلاة والسلام (يصلى حيث أدركته الصلاة) فأراد بناء مسجد جامع

للمصلين

للمصلين معه (ولما أراد عليه السلام بناء المسجد الشريف قال) الاظهر فلما بالفاء كما عبر بها انس أخرج الشيخان وغيرهما عنه كان صلى الله عليه وسلم يحب أن يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم فأرسل الى ملا من بني النجار فقال (يا بني النجار ثامنوني) بالمثلثة اى اذكروا لي ثمنه لاشتريه منكم قاله الحافظ في كتاب الصلاة وقال هنا أي قرروا معي ثمنه أو ساوموني بثمنه تقول ثامنت الرجل اذا ساومته واقتصر المصنف على الثاني ونحوه قول الشامي أي بايعوني وقاولوني انتهى وهو بالنظر الى الصيغة فقط اذ ليس ثم مفاعلة فالاول أولى وخاطب البعض بخطاب الكل لان المخاطبين اشرافهم (بحائطكم) أي بستانكم وتقدم أنه كان مربدا فلعله كان أولا حائطا ثم خرب فصار مربدا ويؤيده قوله أي انس انه كان فيه نخل وحرث وقيل كان بعضه بستانا وبعضه مربدا قاله الحافظ ويؤيده أيضا حديث عائشة فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا ولا ينافيه حديث انس لانه لا مانع من وجود النخل والحرث في المربد وسماه حائطا باعتبار ما كان وفي رواية ابن عيينة فكلم عمهما أي الذي كانا في حجره أن يبتاعه منهما (قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله) قال الحافظ تقديره من أحد لكن الامر فيه الى الله أو الى بمعنى من كما في رواية الاسماعيلي وزاد ابن ماجه أبدا (فأبى) أي كره (ذلك صلى الله عليه وسلم) وامتنع من قبوله الا بالثمن (وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر الصديق رضي الله عنه) كما رواه الواقدي عن الزهري أي ابتاعها من اليتيمين أو من وليهما ان كانا غير بالغين ولا ينافيه وصفهما باليتم لانه باعتبار ما كان أو كانا يتيمين وقت المساومة وبلغا قبل التبايع وفي حديث عائشة عند البخاري ثم دعا الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا قال الحافظ ولا منافاة بينه وبين حديث أنس فيجمع بانهم لما قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله سأل عمن يختص بملكه منهم فعينوا له الغلامين فابتاعه منهما وحينئذ يحتمل ان القائلين لا نطلب ثمنه الا الى الله تحملوا عنه للغلامين بالثمن وعند الزبير أن أبا أيوب ارضاهما عن ثمنه انتهى وكذا عند أبي معشر وفي رواية ان أسعد بن زرارة عوضهما نخلا في بني بياضة وفي أخرى ان معاذ بن عفراء قال انا ارضيهما قال الشامي ويجمع بأن كلا منهم ارضى اليتيمين بشئ فنسب ذلك لكل منهم ورغب أبو بكر في الخير فدفع العشرة زيادة على ما دفعه أولئك أو أنه صلى الله عليه وسلم أخذ أولا بعض المربد في بنائه الاول سنة قدومه ثم أخذ بعضا آخر لانه بناه مرتين وزاد فيه فكان الثمن من مال أبي بكر في احداهما ومن الآخرين في الاخرى انتهى وذكر البلاذري ان العشرة التي دفعها من مال أبي بكر كانت ثمن أرض متصلة بالمسجد لسهل وسهيل وعرض عليه أسعد أن يأخذها ويغرم عنه لهما ثمنها فأبى وجمع البرهان بأنهما قضيتان وأرضان كلتاهما لليتيمين فاشترى كل واحدة بعشرة احداهما المسجد والاخرى زيادة فيه وأدى ثمنهما معا أبو بكر والواحدة عاقده عليها أسعد والاخرى معاذ قال وما ذكر من شراء أبي أيوب منهما فيحمل على المجاز أنه كان متكلما بينهما أو عقد معهما بطريق الوكالة أو الوصية أو أنها أرض ثالثة وفيه بعد انتهى (وكان قد خرج من مكة بماله كله) وهو أربعة آلاف

أو خمسة فأمره صلى الله عليه وسلم أن يعطيهما ثمنه عشرة دنانير ذكره ابن سعد عن الواقدي عن معمر وغيره عن الزهري وقبوله لعموم نفع المسجد له ولغيره على عادته من قبول ماله في المصالح بخلاف الهجرة فأحب كونها من ماله عليه السلام كما مرّ (قال انس) بن مالك فيما رواه الشيخان وغيرهما (وكان في موضع المسجد نخل وخرب) بفتح المعجمة وكسر الراء فموحدة جمع خربة ككلم وكلمة هكذا ضبط في سنن أبي داود قال الخطابي وهي رواية الاكثر قال ابن الجوزي وهو المعروف وحكى الخطابي كسر أوله وفتح ثانيه جمع خربة كعنب وعنبة وللكشميهني بفتح المهملة وسكون الراء ومثلثة وهو وهم لان البخاري أخرجه من طريق عبد الوارث وبين أبو داود أن رواية عبد الوارث بمعجمة وموحدة ورواية حماد بن سلمة بمهملة ومثلثة ذكره الحافظ فالوهم انما هو في روايته في البخاري وان ثبتت في رواية غيره فهي ثلاث روايات وجوّز الخطابي انه حرب بضم المهملة وسكون الراء وموحدة وهي الحروق المستديرة في الارض أو حدب بمهملتين أي مرتفع من الارض أو جرف بكسر الجيم وفتح الراء ما تجرفه السيول وتأكله الارض قال وهذا الائق بقوله فسوّيت لانه انما يسوّى المكان المحدودب أو الذي جرفته الارض أما الخراب فيبنى ويعمر دون أن يصلح ويسوى ورده الحافظ فقال ما المانع من تسوية الخراب بأن يزال ما بقي منه وتسوّى أرضه ولا ينبغي الالتفات الى هذه الاحتمالات مع توجيه الرواية الصحيحة انتهى (ومقابر مشركين) زاد في رواية من الجاهلية (فأمر بالقبور فنبشت) زاد في رواية وبالعظام فغيبت (وبالخرب فسوّيت) بازالة ما كان فيها (وبالنخل فقطعت) وجعلت عمد المسجد فيه جواز التصرف في المقبرة المملوكة بالهبة والبيع ونبش القبور الدارسة اذا لم تكن محترمة قال ابن بطال لم أجد في نبش قبور المشركين لتتخذ مسجدا نصا عن أحد من العلماء نعم اختلفوا هل تنبش لطلب المال فأجازه الجمهور ومنعه الاوزاعي وهذا الحديث حجة للجواز لان المشرك لا حرمة له حيا ولا ميتا وفيه جواز الصلاة في مقابر المشركين بعد نبشها واخراج ما فيها وجواز بناء المساجد في أماكنها قيل وفيه جواز قطع الاشجار المثمرة للحاجة وفيه نظر لاحتمال أن تكون مما لا يثمر واحتج من أجاز بيع غير المالك بهذه القصة لان المساومة وقعت مع غير الغلامين وأجيب باحتمال انهما كانا من بني النجار فساومهما واشترك معهما في المساومة عمهما الذي كانا في حجره كما تقدم ذكره في فتح الباري في موضعين (ثم أمر باتخاذ اللبن) بفتح اللام وكسر الموحدة الطوب النيء (فاتخذ وبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده) بفتح أوله وثانيه ويجوز ضمهما (خشب) بفتحتين وبضم فسكون (النخل) الذي كان في الحائط وفي حديث انس فصفوا النخل قبلة المسجد وظاهر هذا الحديث الصحيح ان بناءه باللبن وتسقيفه بالجريد من يومئذ وروى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن انس قال بنى صلى الله عليه وسلم مسجده أوّل ما بناه بالجريد وانما بناه باللبن بعد الهجرة بأربع سنين فان صح أمكن ان معنى أوّل ما بناه أي سقفه وانما بناه أي طينه ويؤيده ما أخرجه رزين عن جعفر بن محمد أنه بنى ولم يلطخ وجعلوا خشبه وسواريه جذوعا وظللوا بالجريد فشكوا الحرّ فطينوه بالطين فان ساغ هذا والا فما في الصحيح أصح ولاسيما وقد اتفق عليه انس وابن عمر

وعائشة

وعائشة وأبو سعيد وأحاديثهم فى الصحيح وروى محمد بن الحسن المخزومى وغيره عن شهر ابن حوشب لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يبنى المسجد قال ابنوا لى عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام أصاب رأسه السقف فلم يزل المسجد كذلك حتى قبض صلى الله عليه وسلم وثمامات بضم المثلثة جمع ثمام واحده ثمامة نبت ضعيف وذكر فى الاوج ان قامة موسى وعصاه ووثبته سبعة أذرع فهو تشبيه تام لانه جعل ارتفاع سقف المسجد سبعة وعلى ماذكر ابن كثير أن قامة موسى وعصاه ووثبته عشرة فالتشبيه فى ان السقف يصيب رأسه لا بقيد الطول ثم مرسل ابن حوشب هذا لا معارضة فيه لخبر الصحيح أصلا لان ذلك لا يمنع أن جدرانه باللبن كما هو ظاهر ووقع عند ابن عائذ عن عطاف بن خالد أنه عليه السلام صلى فيه وهو عريش اثنى عشر يوما ثم بناه وسقفه (وعمل فيه المسلمون) روى أبو يعلى برجال الصحيح عن عائشة والبيهقى عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا لما بنى صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة وضع حجرا ثم قال ليضع أبو بكر حجره الى جنب حجرى ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر أبى بكر ثم ليضع عثمان حجره الى جنب حجر عمر ثم ليضع على فسئل عن ذلك فقال هؤلاء الخلفاء من بعدى وأخرج أحمد عن طلق بن على قال بنيت المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يقول قربوا اليمامى من الطين فانه احسنكم له مسيسا وروى أحمد عنه أيضا جئت الى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبنون المسجد وكانه لم يعجبه عملهم فأخذت المسحاة فخلطت الطين فكانه أعجبه فقال دعوا الحنفى والطين فانه اضبطكم للطين وعند ابن حبان فقلت يارسول الله أأنقل كما ينقلون قال لا ولكن اخلط لهم الطين فأنت أعلم به (وكان) المسلمون يحملون لبنة لبنة وكان (عمار بن ياسر ينقل لبنتين) كما فى البخارى عن أبى سعيد وزاد معمر فى جامعه عنه (لبنة عنه ولبنة عن النبى صلى الله عليه وسلم) وفى رواية الاسماعيلى وأبى نعيم فقال صلى الله عليه وسلم يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك قال انى أريد من الله الاجر (فقال له عليه السلام) بعد مسح ظهره ونفض التراب عنه (للناس أجر ولك أجران) فيه جواز ارتكاب المشقة فى عمل البر وتوقير الرئيس والقيام عنه بما يتعاطاه من المصالح (وآخر زادك من الدنيا شربة لبن) فكان كذلك أخرج الطبرانى فى الكبير باسناد حسن عن أبى سنان الدؤلى الصحابى قال رأيت عمار بن ياسر دعا غلاما له بشراب فأتاه بقدح من لبن فشرب منه ثم قال صدق الله ورسوله اليوم ألقى الاحبه محمدا وحزبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان آخر شئ تزوده من الدنيا صبحة لبن ثم قال والله لو هزمونا حتى بلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل يعنى لقوله صلى الله عليه وسلم (وتقتلك الفئة الباغية) فقتل مع على بصفين ودفن بها سنة سبع وثلاثين عن ثلاث أو أربع وتسعين سنة والباغية هم أهل الشام أصحاب معاوية وروى البخارى فى بعض نسخه ومسلم والترمذى وغيرهم مرفوعا ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار أى الى سبب فيهما واستشكل بأن معاوية كان معه جماعة من الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء الى النار وأجاب الحافظ بما حاصله

انهم ظنوا انهم يدعونه الى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم وان كان فى نفس الامر بخلاف ذلك فان الامام الواجب الطاعة اذذاك هو على الذى كان عمار يدعوهم اليه كما أرشد له بقوله يدعوهم الى الجنة ويجعله قتلة عمار بغاة وقول ابن بطال تبعا للمهلب انما يصح هذا فى الخوارج الذين بعث اليهم على عمارا يدعوهم الى الجماعة وهم اذ الخوارج انما خرجوا على على بعد عمار اتفاقا وأما الذين بعثه اليهم فانما هم أهل الكوفة يستنفرهم على قتال عائشة ومن معها قبل وقعة الجمل وكان فيهم من الصحابة جماعة كمن كان مع معاوية وأفضل فما فرّ منه المهلب وقع فى مثله مع زيادة اطلاق عليهم الخوارج وحاشاهم من ذلك وفى الحديث فضيلة ظاهرة لعلى وعمار ورد على النواصب الزاعمين ان عليا لم يكن مصيبا فى حروبه انتهى ملخصا (وروينا) فى صحيح البخارى فى حديث عائشة الطويل (أنه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن) بفتح اللام وكسر الموحدة الطوب النى (فى بنائه) ولا يعارضه ان عمارا كان يحمل عنه لانه عليه السلام ابتدأ فى النقل ترغيبا لهم فى العمل (ويقول وهو ينقل اللبن) هذا هو الصواب المروى عند البخارى فما فى بعض النسخ السقيمة الاحمال تصحيف (هذا الحمال لاحمال) بالرفع ولا وجه لنصبه قاله فى النور (خيبر * هذا ابر) بموحدة وشدّ الراء يا (ربنا وأطهر) بمهملة أى أشد طهارة وهذا البيت لعبد الله بن رواحة ويقول (اللهم ان الاجر أجر الآخره * فارحم الانصار والمهاجره) بكسر الجيم وهذا البيت لابن رواحة أيضا كما قال ابن بطال وتبعه فى الفتح وغيره وبعضهم نسبه لامرأة من الانصار وفى حديث انس عند الشيخين اللهم لاخير الاخير الآخره * فانصر الانصار والمهاجره وزعم الكرمانى فى كتاب الصلاة انه كان يقف على الآخرة والمهاجرة بالتاء ليخرجه عن الوزن قال الحافظ ولم يذكر مستنده والكلام الذى بعد هذا يعنى كلام الزهرى يرده انتهى بل فيه الوقف على متحرك وليس عربيا فكيف ينسب الى سيد الفصحاء وزعم الداودى أن ابن رواحة انما قال لاهم الخ فأتى به بعض الرواة على المعنى وانما يتزن هكذا ورده الدماميني بأنه توهيم للرواة بلا داعية فلا يمتنع أنه قاله بألف ولام على جهة الخزم بمعجمتين وهو الزيادة على أول البيت حرفا فصاعدا الى أربعة وكذا على أول النصف الثانى حرفا أو اثنين على الصحيح هذا لانزاع فيه بين العروضيين ولم يقل أحد بامتناعه وان لم يستحسنوه وما قال أحد ان الخزم يقتضى الغاء ما هو فيه على ان يعدّ شعرا نعم الزيادة لا يعتدّ بها فى الوزن ويكون ابتداء النظم ما بعدها فكذا ما نحن فيه انتهى (قال ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهرى (ولم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم تمثل بشعر تام غير هذا) البيت كما هو بقية قوله فى البخارى ولابى ذر غير هذه الابيات أى البيتين المذكورين وزاد ابن عائذ عن الزهرى التى كان يرتجزهن وهو ينقل اللبن لبنيان المسجد (انتهى) قول الزهرى قال الحافظ ولا اعتراض عليه ولو ثبت أنه صلى الله عليه وسلم أنشد غير ما نقله لانه نفى أن يكون بلغه ولم يطلق النفى واستشكل هذا بقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ولذا قال ابن التين أنكر هذا على الزهرى لان العلماء اختلفوا هل أنشد صلى الله عليه وسلم شعرا أم لا وعلى الجواز هل ينشد بيتا واحدا أو يزيد وقيل البيت الواحد ليس

بشعر وفيه نظر (و) أجاب الحافظ وتبعه المصنف بأنه (قد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده ولا دليل على منع انشاده متمثلا) فالمفهوم من الآية الكريمة منع انشائه لا انشاده قال ابن التين أيضا وأنكر على الزهرى من جهة انه رجز لا شعر ولذا يقال لقائله راجز وأنشد رجزا لا شاعر وأنشد شعرا وأجاب الحافظ بأن الجمهور على ان الرجز الموزون من الشعر وقد قيل انه صلى الله عليه وسلم كان لا يطلق القافية بل يقولها متحركة ولا يثبت ذلك وسيأتى فى الخندق من حديث سهل بلفظ فاغفر للمهاجرين والانصار وهذا ليس بموزون انتهى وقال فى المصابيح لا نسلم ان هذا الحمال لا حمال البيت من الرجز وانما هو من مشطور السريع دخله الكشف والخبن انتهى (وقوله هذا الحمال بكسر الحاء المهملة) وكذا فى لاحمال ولابى ذر بفتحها فيهما ذكره المصنف (وتخفيف الميم) وهو جمع أى هذا الحمل أو مصدر بمعنى المفعول (أى) هذا (المحمول من اللبن ابر عند الله) قال الحافظ أى أبقى ذخرا وأكثر ثوابا وأدوم منفعة وأشد طهارة (من حمال خيبر أى التى يحمل منها من التمر والزبيب ونحو ذلك) وتفسيره بهذا مراد المتمثل به صلى الله عليه وسلم وقول القاموس يعنى ثمر الجنة وأنه لا ينفد مراد منشئ الشعر ابن رواحة (وفى رواية المستملى) أبى اسحق ابراهيم البلخى المتوفى سنة ست وسبعين وثلثمائة أحد رواة البخارى عن الفربرى (بالجيم) المفتوحة على ما فى بعض النسخ عنه كما فى الفتح ولذا قال فى العيون قيل رواه المستملى بالجيم فيهما وله وجه والاول أظهر ونحوه فى المطالع أى لان وجه تخصيصها بالذكر كونها تأتى بما يحتاج اليه من تمر وزبيب ونحوهما (وفى كتاب تحقيق النصرة) للزين المراغى (قيل وضع عليه السلام رداءه فوضع الناس أرديتهم) أى ما كان على عواتقهم ففى رواية وضعوا أرديتهم وأكسيتهم (وهم) يعملون و (يقولون لئن قعدنا والنبى يعمل * ذاك اذا) التنوين عوض عن المضاف اليه أى ذاك اذا فعلناه (للعمل المضلل) صاحبه ففيه حذف وايصال والذى رواه الزبير ابن بكار عن مجمع بن يزيد ومن طريق آخر عن أم سلمة قال قائل من المسلمين فى ذلك قال فى النور ولا أعرفه

لئن قعدنا والنبى يعمل * لذاك منا العمل المضلل

وهو كذلك فى بعض نسخ المصنف (وآخرون يقولون) ورواه ابن بكار عن أم سلمة بلفظ وقال على بن أبى طالب (لا يستوى من يعمر المساجدا *) بألف الاطلاق (يدأب) يجد فى عمله (فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا *) أى مائلا قال ابن هشام سألت غير واحد من علماء الشعر عن هذا الرجز فقالوا بلغنا أن عليا ارتجزبه فلا يدرى أهو قائله أم غيره قال وانما قال على ذلك مباسطة ومطايبة كما هو عادة الجماعة اذا اجتمعوا على عمل وليس ذلك طعنا انتهى وعند البيهقى عن الحسن لما بنى صلى الله عليه وسلم المسجد اعانه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره وكان عثمان بن مظعون رجلا متنطعا بميم مضمومة ففوقية فنون مفتوحتين فطاء مكسورة فعين مهملتين من تنطع اذا تغالى وتأنق وكان يحمل اللبنة فيجافى بها عن ثوبه فاذا وضعها نفض كمه ونظر الى ثوبه فان

أصابه شئ من التراب نفضه فنظر اليه علىّ بن أبى طالب فانشد يقول لايستوى الخ سمعها عمار بن ياسر فجعل يرتجزها ولايدرى من يعنى بها فمرّ بعثمان فقال يا ابن سمية لاعرفنّ بمن تعرض ومعه حديدة فقال لتكفنّ أولاعترضنّ بها وجهك فسمعه صلى الله عليه وسلم فغضب ثم قالوا لعمار انه قد غضب فيك ونخاف ان ينزل فينا قران فقال انا ارضيه كما غضب فقال يارسول الله مالى ولاصحابك قال مالك ولهم قال يريدون قتلى يحملون لبنة لبنة ويحملون علىّ لبنتين فأخذه صلى الله عليه وسلم بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح وفرته ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة الباغية وقوله يحملون الخ استعطاف وملاطفة ليزول الغضب وانما كان يحمل عن المصطفى ارادة للاجر كامرّ وفى هذه الاحاديث جواز قول الشعر وأنواعه خصوصا الرجز فى الحرب وفى التعاون على سائر الاعمال الشاقة لما فيه من تحريك الهمم وتشجيع النفوس وتحريكها على معالجة الامور الصعبة (وجعلت قبلته القدس) كما رواه ابن النجار وغيره ووقع فى الشفاء رواه الزبير ابن بكار عن نافع بن جبير وداود بن قيس وابن شهاب مرسلا رفعت له الكعبة حين بنى مسجده وفى الروض روى عن الشفاء بنت عبد الرحمن الانصارية قالت كان صلى الله عليه وسلم حين بنى المسجد يؤمّه جبريل الى الكعبة ويقيم له القبلة انتهى وأخرج الطبرانى برجال ثقات عن الشموس بنت النعمان الانصارية رضى الله عنها واسمعيل الازدى عن رجل من الانصار والغرافى بغين معجمة وفاء من طريق مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم اقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبريل فقال ضع القبلة وأنت تنظر الى الكعبة ثم قال بيده هكذا فانماط كل جبل بينه وبين الكعبة فوضع تربيع المسجد وهو ينظر الى الكعبة لايحول دون بصره شئ فلما فرغ قال جبريل بيده هكذا فاعاد الجبال والشجر والاشياء على حالها وصارت القبلة على الميزاب واستشكل بأنه صلى الله عليه وسلم لما هاجر كان يستقبل القدس واستمرّ بعد الهجرة مدة كما يأتى ولذا قال التجانى فى شرح الشفاء ان ما فيها غريب والمعروف أنّ جبريل أعلمه بحقيقة القبلة وأراه سمتها الا انه رفع له الكعبة حتى رآها ولذا جاءت الآثار من غير تقييد وقال أبو الوليد بن رشد فى شرح قول مالك فى العتبية سمعت أنّ جبريل هو الذى أقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مسجد المدينة يعنى أراه سمتها وبين له جهتها والصواب ان ذلك كان حين حولت القبلة لاحين بناء مسجده وكون جبريل اراه سمتها لايقتضى رفعها انتهى وأجيب بانه لامانع من أن يسأل جبريل أن يريه سمتها حتى اذا وقع استقبالها لم يتردد فيه ولايتحير وفى الاصابة خطرلى فى جوابه أنه أطلق الكعبة وأراد القبلة أو الكعبة على الحقيقة فاذا بين له جهتها كان اذا استدبرها استقبل بيت المقدس وتكون النكتة فيه انه سيحول الى الكعبة فلا يحتاج الى تقويم آخر قال ويرجح الاحتمال الاول رواية محمد بن الحسن المخزومى بلفظ تراءى له جبريل حتى أمّ له القبلة انتهى وأكثر الناس الاجوبة عن ذلك بما فيه نزاع وهذان أحسنها (وجعل له ثلاثة أبواب باب فى مؤخره) وهو المعروف بباب أبى بكر (وباب يقال له باب الرحمة) وكان يقال له باب عاتكة (والباب الذى يدخل منه) وهو المعروف

بباب

بباب آل عثمان ولما حولت القبلة سد صلى الله عليه وسلم الباب الذي كان في مؤخره وفتح
بابا حذاءه ولم يبق من الابواب الا باب عثمان المعروف بباب جبريل ذكره ابن النجار
(وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع) كما رواه يحيى بن الحسن عن زيد
ابن حارثة ورواه رزين عن محمد الباقر وروى ابن النجار وغيره عن خارجة بن ثابت قال
بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده مربعا وجعل قبلته الى بيت المقدس وطوله
سبعون ذراعا في ستين ذراعا أو يزيد فيحتمل انه كان كذلك ثم زاد فيه فبلغ المائة
ويؤيده قول أهل السير بنى صلى الله عليه وسلم مسجده حين قدم المدينة اقل من مائة في مائة
ثم بناه وزاد فيه (وفي الجانبين) أي العرض (مثل ذلك) كما في خبر محمد الباقر وزيد بن
حارثة فكان مربعا (أو دونه) اشارة للقول بأن عرضه كان أقل من مائة حكاه غير واحد
(وجعلوا أساسه) أي طرفه الثابت في الارض (قريبا من ثلاثة أذرع) بالحجارة ولم يسطح
فشكوا الحر فجعل خشبه وسواريه جذوعا وظللوه بالجريد ثم بالخص فلما وكف عليهم
طينوه بالطين وجعلوا وسطه رحبة وكان جداره قبل ان يسقف قامة وشيأ رواه رزين عن
جعفر بن محمد وذكر البلاذري وروى يحيى بن الحسن عن النوار أم زيد بن ثابت انها رأت
أسعد بن زرارة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس الصلوات الخمس ويجمع
بهم في مسجد بناه في مربد سهل وسهيل قالت فكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قدم صلى بهم في ذلك المسجد وبناه فهو مسجده فان صح فكأنه هدم بناء أسعد وزاد
فيه أو زاد بدون هدم لضيقه عن المسلمين أو نحو ذلك والا فما في الصحيح أصح من انه اشترى
المربد وبناه كما قالت عائشة وقال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم رواه انس هذا وفي
البخاري وأبي داود عن ابن عمر أن المسجد كان على عهده صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن
وسقفه الجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيأ وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه
في عهده صلى الله عليه وسلم وأعاد عمده خشبا ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى
جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده حجارة منقوشة وسقفه بالساج قال ابن بطال
وغيره هذا يدل على ان السنة في بنيان المسجد القصد وترك الغلو في تحسينه فقد كان عمر
مع كثرة الفتوح في ايامه وسعة بيت المال عنده لم يغيره عما كان عليه وانما احتاج الى
تجديد لان جريد النخل قد نخر في ايامه فكلم العباس في بيع داره ليزيدها فيه فوهبها العباس
لله وللمسلمين فزادها عمر في المسجد ثم كان عثمان والمال في زمانه أكثر فحسنه بما لا يقتضي
الزخرفة ومع ذلك انكر عليه بعض الصحابة وأول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك
وذلك في أواخر عصر الصحابة وسكت العلماء عن انكار ذلك خوف الفتنة ورخص فيه
بعضهم وهو قول أبي حنيفة اذا وقع تعظيما للمساجد ولم يصرف عليه من بيت المال وقال
ابن المنير لما شيد الناس بيوتهم وزخرفوها ناسب ان يصنع ذلك بالمساجد صونا لها عن
الاستهانة وتعقب بأن المنع ان كان للحث على اتباع السلف في ترك الرفاهية فهو كما قال وان
كان لخشية شغل بال المصلي للزخرفة فلا لبقاء العلة (وبنى بيوتا) أي بيتين فقط كما صرح به
غير واحد (الى جنبه) أي المسجد (باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد) ويفيد أنهما

بيان قوله (فلما فرغ من البناء) للمسجد (بنى لعائشة) لانها كانت زوجته وان تأخر دخوله بها (فى البيت الذى يليه شارعا الى المسجد) وكان باب عائشة مواجه الشام بمصراع واحد من عرعر أوساج ذكره ابن زبالة عن محمد بن هلال (وجعل سودة بنت زمعة) بفتح الزاى وسكون الميم عند المحدثين وصدر به المجد فقول المصباح لم اظفر بالسكون فى كتب اللغة قصور (فى البيت الآخر الذى يليه الى الباب الذى يلى) باب (آل عثمان) ثم بنى عليه السلام بقية الحجرات عند الحاجة اليها قال الواقدى كان لحارثة ابن النعمان منازل قرب المسجد وحوله فكلما احدث صلى الله عليه وسلم اهلا نزل له حارثة عن منزل أى محل حجرة حتى صارت منازله كلها له عليه السلام قال أهل السير ضرب الحجرات ما بين بيت عائشة وبين القبلة والشرق الى المسجد ولم يضربها فى غربيه وكانت خارجة من المسجد مديرة به الامن المغرب وكانت أبوابها شارعة من المسجد قال ابن الجوزى كانت كلها فى الشق الايسر الى وجه الامام فى وجه المنبر الى جهة الشام وعن عطاء الخراسانى ومحمد بن هلال ادركنا حجر الزوجات من جريد على أبوابها مسوح من شعر أسود وروى البخارى فى الادب عن داود بن قيس رأيت الحجرات من جريد النخل مغشى من خارج بمسوح الشعر وأظن أن عرض البيت من باب الحجرة الى البيت نحوا من ستة أو سبعة أذرع ومن داخل عشرة أذرع وأظن السمك ما بين الثمان والسبع وعند ابن سعد وعلى أبوابها المسوح السود من الشعر وكتب الوليد بن عبد الملك بادخالها فى المسجد فهدمت فقال ابن المسيب ليتها تركت ليراها من يأتى بعد فيزهد الناس فى التكاثر والتفاخر وقال أبو امامة بن سهل بن حنيف ليتها تركت ليرى الناس ما رضى الله لنبيه ومفاتيح خزائن الدنيا بيده قال ابن سعد أوصت سودة ببيتها لعائشة وباع اولياء صفية بيتها من معاوية بمائة ألف وقيل بثمانين ألفا وتركت حفصة بيتها فورثه ابن عمر فلم يأخذ له ثمنا وأدخل المسجد قال ابن النجار وبيت فاطمة اليوم جوف المقصورة وفيه محراب وهو خلف حجرة النبى صلى الله عليه وسلم وقال السمهودى المقصورة اليوم دائرة على بيت فاطمة وعلى حجرة عائشة من جهة الزوراء وبينهما موضع يحترمه الناس ولا يدوسونه بأرجلهم ويذكر أنه قبر فاطمة على أحد الاقوال (ثم تحول عليه السلام من دار أبى أيوب الى مساكنه التى بناها وكان قد أرسل زيد بن حارثة) كما رواه الطبرانى عن عائشة قالت لما هاجر صلى الله عليه وسلم وأبو بكر خلفنا بمكة فلما استقر بالمدينة بعث زيد بن حارثة (وأبا رافع مولاه الى مكة) قالت وبعث أبو بكر عبد الله بن اريقط وكتب الى عبد الله بن أبى بكر أن يحمل معه أم رومان وأم أبى بكر وأنا وأختى أسماء فخرج بنا وخرج زيد وأبو رافع (فقدما بفاطمة وأم كلثوم) وأمارقية فسبقت مع زوجها عثمان وزينب اخرت عند زوجها أبى العاصى بن الربيع حتى أسر ببدر فلما من عليه أرسلها الى المدينة (وسودة بنت زمعة واسامة بن زيد وأم أيمن) وولدها أيمن كما فى رواية الطبرانى (وخرج عبد الله بن أبى بكر معهم بعيال أبيه) ومنهم عائشة كما علم لانه انما بنى بها بعد قالت عائشة واصطحبنا حتى قدمنا المدينة فنزلنا فى عيال أبى بكر ونزل آل النبى صلى الله عليه وسلم عنده وهو يومئذ يبنى

مسجده

٩٠

مسجده وبيوته فأدخل سودة احدى تلك البيوت وكان يكون عندها رواه الطبراني (وكان في المسجد موضع مظلل يأوي اليه المساكين يسمى الصفة) بضم الصاد وشد الفاء قال عياض واليها نسبوا على أشهر الاقاويل وقال الذهبي كانت القبلة قبل ان تحول في شمال المسجد فلما حولت بقي حائط القبلة الاولى مكان أهل الصفة وقال الحافظ الصفة مكان في مؤخر المسجد مظلل اعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر وفي الحلية من مرسل الحسن بنيت صفة في المسجد لضعفاء المسلمين (وكان أهله يسمون أهل الصفة) قال عبد الرحمن بن أبي بكر كان أصحاب الصفة الفقراء وقال أبو هريرة أهل الصفة اضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد اذا أتته صلى الله عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيأ واذا أتته هدية أرسل اليهم واصاب منها واشركهم فيها رواهما البخاري (وكان عليه السلام يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه) لاحتياجهم وعدم ما يكفيهم عنده (وتتعشى طائفة منهم معه عليه السلام) مواساة وتكرما منه وتواضعا لربه وفي حديث ان فاطمة طلبت منه فقال لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم (وفي البخاري من حديث أبي هريرة لقد) وفي رواية بحذف لقد (رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء) بكسر الراء ما يستر أعالي البدن فقط لشدة فقرهم لا يزيد الواحد منهم على ساتر عورته كما أفاده بقوله (اما ازار) فقط (واما كساء) على الهيئة المشروحة بقوله (قد ربطوا) الاكسية فحذف المفعول للعلم به (في أعناقهم) لعدم تيسر ما يستر عورتهم وجمع لان المراد بالرجل الجنس (فمنها) أي الاكسية قال المصنف والجمع باعتبار أن الكساء جنس (ما يبلغ نصف الساق) وفي نسخة آخر الساق والذي في البخاري نصف الساقين بالتثنية وهو أنسب بقوله (ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه) الواحد منهم (بيده كراهية أن ترى عورته) لانه لا يستمسك بنفسه وربطه على تلك الهيئة انما يمنع سقوطه لا ظهور العورة قال الحافظ وزاد الاسماعيلي ان ذلك في حال كونهم في الصلاة ومحصله انه لم يكن لاحد منهم ثوبان انتهى وفي شرح المصنف الاصيلي بدل الاسماعيلي وهو سبق قلم (وهذا) أي قوله من اصحاب الصفة (يشعر بأنهم كانوا أكثر من سبعين) لان من للتبعيض على المتبادر وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن سيرين قال كان أهل الصفة اذا أمسوا انطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة فأما سعد بن عبادة فكان ينطلق بثمانين (وهؤلاء الذين رآهم أبو هريرة غير السبعين الذين بعثهم) النبي صلى الله عليه وسلم (في غزوة بئر معونة) سنة ثلاث من الهجرة بعد أحد (وكانوا من أهل الصفة أيضا لكنهم استشهدوا قبل اسلام أبي هريرة) لانه كان عام خيبر سنة سبع وذكر المصنف قصتهم في المغازي فذكرها هنا تكثير للسواد (وقد اعتنى بجمع أصحاب الصفة ابن الاعرابي) الامام الحافظ الزاهد أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري الصوفي الورع الثقة الثبت العابد الرباني كبير القدر صاحب التصانيف سمع أبا داود وخلقا عمل لهم معجما وعنه ابن منده وغيره ولد سنة ست وأربعين ومائتين ومات سنة أربع وثلثمائة (والسلمي) في كتاب تاريخ أهل

الصفة بضم السين نسبة لجده اسمه سليم هو الامام الزاهد محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري أبو عبد الرحمن الرحال سمع الاصم وغيره وعنه الحاكم والقشيري والبيهقي وحدث أكثر من أربعين سنة وكان وافر الجلالة وصنف نحو مائة وقيل نحو ألف وفي اللسان كاصله ليس بعمدة ونسبه البيهقي للوهم وقال القطان كان يضع للصوفية الاحاديث وخالفه الخطيب وقال انه ثقة صاحب علم وحال قال السبكي وهو الصحيح ولاعبرة بالطعن فيه مات سنة اثنتي عشرة وأربعمائة (والحاكم) في الاكليل (وأبو نعيم) في الحلية فزادوا عنده على مائة (وعند كل منهم ماليس عند الآخر وفيما ذكروه اعتراض ومناقشة) لايسعها هذا المختصر (قاله في فتح الباري) وقال ابن تيمية جملة من اوى الى الصفة مع تفرقهم قيل أربعمائة وقيل أكثر (وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع) بمعجمة واحد الجذوع وهو ساق النخلة قيل ولا يسمى جذعا الا بعد يبسه وقيل يسمى اخضر أو يابسا بعد قطعه (في المسجد قائما فقال ان القيام قد شق علي فصنع له المنبر) من اثل الغابة كما في الصحيحين عن سهل بن سعد بفتح الهمزة وسكون المثلثة شجر كالطرفاء لاشوك له وخشبه جيد يعمل منه القصاع والاواني والغابة بمعجمة وموحدة موضع بالعوالي واختلف في اسم صانعه فروى قاسم بن اصبغ وأبو سعد في الشرف عن سهل أنه ميمون قال الحافظ وغيره وهو الاصح الاشهر والاقرب وهو مولى امرأة من الانصار كما في الصحيح وقيل انه مولى سعد بن عبادة فكانه في الاصل مولى امرأته ونسب الى سعد مجازا واسم امرأته فكيهة بنت عمه عبيد بن دليم أسلمت وبايعت لكن عند ابن راهويه انه مولى لبني بياضة وقول جعفر المستغفري اسمها علاثة بمهملة ومثلثة تصحيف كما قاله أبو موسى المديني وعند الطبراني في الاوسط اسمها عائشة واسناده ضعيف وروى أبو نعيم أن صانعه باقوم بموحدة فألف فقاف فواو فميم الرومي مولى سعيد بن العاصي أو باقول بلام آخره وهي رواية عبد الرزاق أو صباح بضم المهملة وخفة الموحدة أو قبيصة المخزومي أو مينا بكسر الميم أو صالح مولى العباس أو ابراهيم أو كلاب وهو أيضا مولى العباس أو تميم الداري روى أبو داود وغيره عن ابن عمر أن تميما الداري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كثر لحمه ألا نتخذ لك منبرا يحمل عظامك قال بلى فاتخذ له منبرا الحديث قال في الفتح وليس في جميع الروايات التي سمى فيها النجار شيء قوي السند الا حديث ابن عمر فان اسناده جيد لكن لاتصريح فيه بان صانعه تميم بل بين ابن سعد في روايته من حديث أبي هريرة أن تميما لم يعمله وأشبه الاقوال بالصواب القول بأنه ميمون لكونه من طريق سهل بن سعد وأما الاقوال الاخر فلا اعتداد بها لوهائها ويبعد جدا أن يجمع بينها بأن النجار كانت له أسماء متعددة وأما احتمال كون الجميع اشتركوا في عمله فيمنع منه قوله في كثير من الروايات السابقة لم يكن بالمدينة الانجار واحد يقال له ميمون الا ان حمل على ان المراد بالواحد في صناعته والبقية أعوانه فيمكن وكان ثلاث درجات الى ان زاده مروان في خلافة معاوية ست درجات وسبب ذلك أن معاوية كتب اليه أن يحمل اليه المنبر فأمر بقلعه فقلع فأظلمت المدينة وانكسفت الشمس حتى رأوا النجوم فخرج مروان فخطب فقال انما أمرني أمير المؤمنين ان ارفعه فدعا نجارا فزاد

فيه ست درجات وقال انما زدت فيه حين كثر الناس أخرجه الزبير بن بكار في اخبار المدينة من طرق واستمر على ذلك الى ان احترق مسجد المدينة سنة أربع وخمسين وستمائة فاحترق فجدد المظفر صاحب اليمن سنة ست وخمسين منبرا ثم أرسل الظاهر بيبرس بعد عشر سنين منبرا فازيل منبر المظفر فلم يزل منبر بيبرس الى سنة عشرين وثمانمائة فأرسل المؤيد شيخ منبرا فبقي الى سنة سبع وستين وثمانمائة فارسل الظاهر خشقدم منبرا (وكان عمله) أي المنبر النبوي (وحنين الجذع في السنة الثامنة بالميم) والنون احترازا من الثانية بنون وياء (من الهجرة) حكاه ابن سعد (وبه جزم ابن النجار) الحافظ الامام البارع المؤرخ أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي الثقة الدين الورع الفهم ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وسمع ابن الجوزي وطبقته وله ثلاثة آلاف شيخ وتصانيف ومات سنة ثلاث وأربعين وستمائة (وعورض بما في حديث الافك في الصحيحين) لما رقي صلى الله عليه وسلم المنبر وقال يا معشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغني اذاه في أهلي يعني عبد الله بن أبي والله ما علمت على اهلي الا خيرا فقام سعد بن معاذ فقال انا يا رسول الله اعذرك فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة فقال لسعد كذبت لعمر والله لاتقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت ان يقتل فقام أسيد بن حضير فقال لابن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه (قالت عائشة فثار الحيان الاوس والخزرج) بمثلثة أي نهض بعضهم الى بعض من الغضب (حتى كادوا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل فخفضهم) بالتشديد أي تلطف بهم (حتى سكتوا) وتركوا المخاصمة وسكت عليه السلام وقصة الافك كانت في سنة خمس كما في مغازي ابن عقبة ونقل البخاري عنه سنة أربع وهم كما قاله الحافظ وغيره وقال ابن اسحق سنة ست فعلى كل لا يصح كون عمله في الثامنة قال الحافظ فان حمل على التجوز في ذكر المنبر والا فهو أصح مما مضى انتهى يعني القول بأنه سنة ثمان وبأنه سنة سبع ولولا ذكر تميم فيه لامكن الجواب باحتمال أن المنبر الذي رقاه في قصة الافك الجذع الذي كان يخطب عليه اذ المنبر كما في الصحاح وغيره كل ما ارتفع وأما جواب شيخنا البابلي باحتمال انه منبر آخر غير هذا فيرده قول ابن سعد ان هذا أول منبر عمل في الاسلام (وجزم ابن سعد بأن عمل المنبر كان في السابعة) بسين فألف فموحدة (وعورض بذكر العباس) بن عبد المطلب (وتميم) الداري (فيه وكان قدوم العباس) المدينة (بعد الفتح) لمكة (في آخر سنة ثمان وقدوم تميم سنة تسع) بفوقية فسين (وعن بعض أهل السير أنه عليه السلام كان يخطب على منبر من طين قبل أن يتخذ المنبر الذي من خشب) ولو صح لامكن الجواب به وسقط الاشكال (و) لكن (عورض بأن الاحاديث الصحيحة) المروية في الصحيحين وغيرهما من عدة طرق (انه كان يستند الى الجذع اذا خطب) قبل اتخاذه المنبر الذي من خشب (وستأتي قصة حنين الجذع ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات) وهو الرابع

* ذكر المواخاة بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين *

وكانت كما قال ابن عبد البر وغيره مرتين الاولى بمكة قبل الهجرة بين المهاجرين بعضهم بعضا على الحق والمواساة فآخى بين أبي بكر وعمر وطلحة والزبير وبين عثمان وعبد الرحمن رواه الحاكم وفي رواية له بين الزبير وبين ابن مسعود وبين حمزة وزيد بن حارثة وهكذا بين كل اثنين منهم الى ان بقي على فقال آخيت بين أصحابك فمن أخي قال انا أخوك وجاءت أحاديث كثيرة في مواخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلى وقد روى الترمذى وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى أما ترضى أن أكون اخاك قال بلى قال أنت أخي في الدنيا والآخرة وأنكر ابن تيمية هذه المواخاة بين المهاجرين خصوصا بين المصطفى وعلى وزعم أن ذلك من الاكاذيب وأنه لم يواخ بين مهاجرى ومهاجرى قال لانها شرعت لارفاق بعضهم بعضا ولتأليف قلوب بعضهم على بعض فلا معنى لمواخاته لاحد ولا لمواخاة المهاجرين ورده الحافظ بأنه رد للنص بالقياس واغفال عن حكمة المواخاة لان بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة فآخى بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى ويستعين الاعلى بالادنى وبهذا تظهر حكمة مواخاته لعلى لانه هو الذى كان يقوم به من الصبا قبل البعثة واستمر وكذا مواخاة حمزة وزيد لان زيدا مولاهم فقد ثبتت اخوتهما وهما من المهاجرين وفي الصحيح في عمرة القضاء أن زيدا قال ان بنت حمزة ابنة أخي وأخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن عن ابن عباس آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين الزبير وابن مسعود وهما من المهاجرين وأخرجه الضياء في المختارة وابن تيمية يصرح بأن أحاديث المختارة أصح وأقوى من أحاديث المستدرك انتهى والثانية هي التي ذكرها المصنف فقال (ولما كان بعد قدومه بخمسة أشهر) كما قال أبو عمر وقيل بثمانية وقيل بسبعة وقيل بسنة وثلاثة أشهر قبل بدر وقيل والمسجد يبنى وقيل قبل بنائه (آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار) قال السهيلى ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث وجعل المؤمنين كلهم اخوة وأنزل انما المؤمنون اخوة يعني في التوادد وشمول الدعوة انتهى وقال العز بن عبد السلام الاخوة حقيقية ومجازية فالحقيقية المشابهة يقال هذا أخو هذا لانه شابهه في خروجه من البطن الذى خرج منه ومن الظهر أيضا وآثارها المعاضدة والمناصرة فتستعمل في هذه الآثار من التعبير بالسبب عن المسبب ومنه قوله تعالى انما المؤمنون اخوة هو خبر معناه الامر أى لينصر بعضهم بعضا وقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن اخو المؤمن خبر أيضا بمعنى الامر ولما انقسمت الحقيقية الى اعلى المراتب كالشقيق والى مادون ذلك كالاخ للاب أو للام كانت المجازية كذلك فالاخوة الناشئة عن الاسلام هي الدنيا من المجازية ثم انها كملت بالاخوة التي سنها صلى الله عليه وسلم بمواخاته بين جماعة من أصحابه ومعناها أنه امر أمر ندب أن يعين كل واحد اخاه على المعروف ويعاضده وينصره فصار المسلمان في هذه الاخوة الثانية في أعلى مراتب الاخوة المجازية كالشقيقين في الحقيقية فان قيل هذه الاخوة مستفادة من أصل الاسلام فانه يقتضى المعاونة على كل أمر جوابه أن الامر الثاني مؤكد لا منشئ لامر آخر لانه

لا يستوي من وعدته بالمعروف من المسلمين ومن لم تعده فان الموعود قد وجد في حقه سببان الاسلام والمواعدة وهذه الاخوة هي التزام ومواعدة ولا شك ان طلب الشارع للوفاء بالخير الموعود به أعلى رتبة من طلب الخير الذي لم يعد به فقد تحقق طلب لم يكن ثابتا بأصل الاسلام وفيها فائدة أخرى وهي أن هذا العزم المتجدد من هذا الوعد يترتب عليه من الثواب على عدد معلوم انه لقوله صلى الله عليه وسلم ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ولا شك ان هذا ثواب عظيم وكذلك كل من وعد بخير فانه يثاب على عزمه ووعده ما لا يثاب على العزم المتلقى عن أصل الاسلام انتهى (وكانوا تسعين رجلا من كل طائفة خمسة وأربعون) كما ذكره ابن سعد بأسانيد الواقدي قائلا وقيل مائة من كل طائفة خمسون وروى ابن اسحق أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم تآخوا في الله اخوين اخوين ثم أخذ بيد علي فقال هذا أخي وآخى بينهم في دار أنس بن مالك كما في الصحيح وعند أبي سعد في الشرف آخى بينهم في المسجد (على الحق والمواساة) وبذل الانصار رضي الله عنهم في ذلك جهدهم حتى عرض سعد بن الربيع على اخيه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه نصف ماله وكان له زوجان فقال اختر احداهما اطلقها وتزوجها كما في الصحيح وروى أبو داود والترمذي عن أنس لقد رأيتنا وما الرجل المسلم أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم وعزاه اليعمري لمسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر وتعقبه في النور بأنه لم يره فيهم بعد التفتيش (و) على (التوارث) وشدد الله عقد نبيه بقوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا الى قوله ورزق كريم فأحكم الله بهذه الآيات العقد الذي عقده بينهم يتوارث الذين تآخوا دون من كان مقيما بمكة والقرابات (وكانوا كذلك الى أن نزل بعد بدر) حين أعز الله الاسلام وجمع الشمل وذهبت الوحشة (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض الآية) فانقطعت المواخاة في الميراث وبقيت في التوادد وشمول الدعوة والمناصرة * تتميم * روى البخاري عن عاصم قلت لانس أبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا حلف في الاسلام فقال قد حالف النبي صلى الله عليه وسلم بين قريش والانصار في داري وأخرجه أبو داود بلفظ حالف بين المهاجرين والانصار في دارنا مرتين أو ثلاثا وروى أبو داود عن جبير بن مطعم مرفوعا لا حلف في الاسلام وأي حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة وروى أحمد والترمذي وحسنه عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رفعه اوفوا بحلف الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام قال في النهاية أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال والغارات فذلك الذي نهى عنه بقوله لا حلف في الاسلام وما كان منه على نصر المظلوم وصلة الارحام كحلف المطيبين وما جرى مجراه فذلك الذي قال فيه وأي حلف الخ يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق انتهى وقول سفيان بن عيينة حمل العلماء قول انس على المواخاة تعقبه الحافظ بأن سياق عاصم عنه يقتضي أنه أراد المحالفة حقيقة والا لما كان الجواب مطابقا وقول البخاري باب الاخاء والحلف ظاهر في المغايرة بينهما (وبنى بعائشة على رأس تسعة أشهر) من هجرته (وقيل ثمانية وقيل ثمانية عشر شهرا) من الهجرة

فيكون البناء في السنة الثانية وبه صدر المصنف في الزوجات وجزم به النووي في تهذيبه قال الحافظ ويخالفه ما ثبت انه دخل بها بعد خديجة بثلاث سنين (في شوال) كما في مسلم عنها ولذا كانت تحب ان تدخل اهلها وأحبتها على أزواجهن في شوال قاله أبو عمر وقيل بنى بها في الثامن والعشرين من ذي الحجة والاول أصح قال الحافظ واذا ثبت انه بنى بها في شوال من السنة الاولى قوى قول من قال دخل بها بعد الهجرة بسبعة أشهر ووهاه النووي في تهذيبه وليس بواه اذا عددناه من ربيع الاول انتهى

* باب بدء الاذان *

هو لغة الاعلام قال

آذنتنا ببينها أسماء * ليت شعري متى يكون اللقاء

وشرعا الاعلام بوقت الصلاة المفروضة بألفاظ مخصوصة وهو كالاقامة من خصائص الامة المحمدية واستشكل بما رواه الحاكم وابن عساكر وأبو نعيم باسناد فيه مجاهيل أن آدم لما نزل الهند استوحش فنزل جبريل فنادى بالاذان وأجيب بأن مشروعيته للصلاة هو الخصوصية واستطرد بعض هنا بعض خصائص سيذكرها المصنف في المقصد الرابع واستأنف فقال (وكان الناس كما في السير وغيرها انما يجتمعون الى الصلاة لتحين) بكسر اللام وفتح الفوقية وكسر الحاء المهملة وسكون التحتية مضافا الى (مواقيتها) في المختار الحين الوقت وربما ادخلوا عليه التاء فقالوا لتحين بمعنى حين فضبطه بفتح الحاء وشد التحتية مضمومة يخالفه مع عدم ظهور المعنى اذ التحين ضرب الحين أي الوقت الا أن يوجه بأنهم لا يحضرونها حتى يطلبوا الها وقتا يعرفون به دخولها بمعنى ان كل واحد منهم يتخذ له علامة يهتدي بها لدخول الوقت (من غير دعوة) بل اذا عرفوا دخوله بعلامة أتوا المسجد وقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر كان المسلمون لما قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادي لها فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم نتخذ ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود فقال عمر أولا تبعثون رجلا منكم ينادي بالصلاة فقال صلى الله عليه وسلم يا بلال قم فناد بالصلاة (وأخرج ابن سعد في الطبقات) للصحابة والتابعين فمن بعدهم الى وقته فأجاد فيه وأحسن قاله الخطيب (من مراسيل سعيد بن المسيب) بفتح الياء على المشهور وبكسرها قاله عياض وابن المديني ابن حزن القرشي المخزومي التابعي الكبير فقيه الفقهاء ابن الصحابي مات سنة أربع أو ثلاث وتسعين (ان بلالا كان ينادي للصلاة) قبل التشاور والرؤيا وبعد قول عمر تبعثون رجلا ينادي بالصلاة فاستحسن عليه السلام ذلك فأمر بلالا أن ينادي (الصلاة جامعة) بنصب الاول على الاغراء والثاني على الحال ورفعهما على الابتداء والخبر ونصب الاول ورفع الثاني وعكسه قاله الحافظ وغيره وعن الزهري ونافع بن جبير وابن المسيب وبقي أي بعد فرض الاذان ينادي في الناس الصلاة جامعة للامر يحدث فيحضرون له يخبرون به وان كان في غير وقت صلاة (وشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة) لما كثر المسلمون وروى أبو داود باسناد صحيح اهتم النبي صلى الله عليه وسلم

للصلاة

للصلاة كيف يجمع الناس لها (وذلك فيما قيل في السنة الثانية) مرّضه لقول الحافظ
الراجح انه شرع في السنة الاولى من الهجرة وروى عن ابن عباس أن فرض الاذان نزل
مع قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة رواه أبو الشيخ وذكر
أهل التفسير أن اليهود لما سمعوا الاذان قالوا يا محمد لقد أبدعت شيأ لم يكن فيما مضى
فنزلت واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا الآية وعدّى النداء في الاولى باللام
وفي الثانية بالى لان صلات الافعال تختلف بحسب مقاصد الكلام فقصد في الاولى معنى
الاختصاص وفي الثانية معنى الانتهاء قاله الكرماني ويحتمل أن اللام بمعنى الى أو العكس
انتهى (فقال بعضهم) الذي يجمع به (ناقوس) وفي أبي داود قيل له انصب راية فاذا
رأوها اذن بعضهم بعضا فلم يعجبه ذلك فذكر له ناقوس (كناقوس النصارى) الذين
يعلمون به أوقات صلاتهم وهو خشبة طويلة تضرب بخشبة أصغر منها فيخرج منهما صوت
كما في الفتح والنور وغيرهما وقال في مقدمة الفتح وتبعه الشامي آلة من نحاس أو غيره
تضرب فتصوت ولابي الشيخ في كتاب الاذان فقالوا لو اتخذنا ناقوسا فقال عليه السلام
ذلك للنصارى ولابي داود فقال هو من أمر النصارى (وقال آخرون بوق) بضم الموحدة
قرن ينفخ فيه (كبوق اليهود) ولابي الشيخ فقالوا لو اتخذنا بوقا فقال ذلك لليهود ولابي
داود فذكر له القنع يعني الشبور فلم يعجبه ذلك وقال هو من أمر اليهود القنع بضم
القاف وسكون النون ومهملة وروى بموحدة مفتوحة وروى بفوقية ساكنة وروى
بمثلثة ساكنة بدل النون والنون أشهر قال السهيلي وهو أولى بالصواب والشبور بفتح
المعجمة وضم الموحدة مشددة كما في الفتح وغيره وقول النور بفتحهما سبق قلم ففي القاموس
وكتنور البوق (وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس اقبلوا الى الصلاة)
ولابي الشيخ فقالوا لو رفعنا نارا فقال ذلك للمجوس وعند أبي داود فانصرف عبد الله بن
زيد وهو مهتم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه)
أبو محمد الانصاري العقبي البدري قال الترمذي لا نعرف له عن النبي صلى الله عليه
وسلم شيأ يصح الا هذا الحديث الواحد في الاذان وكذا قال ابن عدي قال في الاصابة
وأطلق غير واحد أنه ماله غيره وهو خطأ فقد جاءت عنه أحاديث ستة أو سبعة جمعتها
في جزء مفرد مات سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن أربع وستين وصلى عليه عثمان قاله ولده
محمد بن عبد الله نقله المدائني وقال الحاكم الصحيح انه قتل بأحد فالروايات عنه كلها منقطعة
وخالف ذلك في المستدرك انتهى (في منامه رجلا) يحمل ناقوسا (فعلمه الاذان
والاقامة فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما رأى) وفي حديث ابن عمر عند
ابن ماجه ان عبد الله بن زيد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا وجمع باحتمال أن المراد
فلما قارب الصباح (وفي رواية معاذ بن جبل عند الامام أحمد قال) عبد الله بن زيد ففيه
من اللطائف رواية صحابي عن صحابي فليس معاذ راويا ولا قائلا (يا رسول الله انى رأيت
فيما) أي الحالة التي (يرى النائم) فيها أشار من أول كلامه الى انه غير حقيقي وأفصح
بذلك في قوله (ولو قلت انى لم أكن نائما لصدقت) لقرب نومه من اليقظة فروحه كالمتوسطة

بين النوم واليقظة قال السيوطي يظهر من هذا أن يحمل على الحالة التي تعتري أرباب الاحوال ويشاهدون فيها مايشاهدون ويسمعون مايسمعون والصحابة رؤس أرباب الاحوال (رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران) زاد في رواية ابن اسحق الآتية يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله أتبيع الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى (فاستقبل القبلة فقال الله أكبر الله أكبر) بسكون الراء وضمها عامى لانه روى موقوفا قاله ابن الاثير والهروى وزاد وكان المبرد يقول الاولى مفتوحة والثانية ساكنة والاصل اسكان الراء فحركت فتحة الالف من اسم الله في اللفظة الثانية لسكون الراء قبلها ففتحت كقوله تعالى الم الله لا اله الا هو وفي المطالع اختلف في فتح الراء الاولى وضمها وتسكينها وأما الثانية فتضم أو تسكن (مثنى مثنى حتى فرغ من الاذان الحديث) وفيه (فقال عليه السلام انها لرؤيا حق) بالرفع صفة رؤيا والجر باضافة رؤيا اليه لادنى ملابسة أى انها مخصوصة بكونها حقا لمطابقتها للواقع (ان شاء الله قم مع بلال فألق) بفتح الهمزة ثلاثى مزيد (عليه ما رأيت فليؤذن به) ولابى داود عن أبى بشر فأخبرنى أبو عمير أن الانصار تزعم أن عبد الله ابن زيد لولا انه كان مريضا لجعله صلى الله عليه وسلم مؤذنا وكانه عبر بلفظ تزعم لانه مناف بحسب الظاهر لقوله (فانه أندى منك صوتا) بفتح الهمزة وسكون النون أى أرفع وأعلى أو أحسن وأعذب أو أبعد حكاها ابن الاثير ولا مانع من ارادة الثلاثة والظاهر كما قال شيخنا تساوى الاول والثالث بحسب التحقيق اذ يلزم من كونه أرفع وأعلى أن يكون أبعد وفي هذا رد للحديث المشهور على الالسنة سين بلال عند الله شين وقد قال الحافظ المزى لم نره في شئ من الكتب وذكر بعضهم مناسبة اختصاص بلال بالاذان انه لما عذب ليرجع عن الاسلام كان يقول أحد أحد فجوزى بولاية الاذان المشتمل على التوحيد من ابتدائه وانتهائه (قال فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو في بيته فخرج يجر رداءه) استعجالا وفرحا بصحة منامه وموافقة غيره لرؤياه (يقول والذى بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى) وكانه أخبر بذلك في طريقه قبل وصوله له عليه السلام قال الحافظ ولا يخالفه ما رواه أبو داود باسناد صحيح عن أبى عمير بن أنس عن عمومته من الانصار قال وكان عمر قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوما ثم أخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ما منعك أن تخبرنى فقال سبقنى عبد الله بن زيد فاستحييت لانه يحمل على انه لم يخبر بذلك عقب اخبار عبد الله بن زيد بل متراخيا عنه لقوله ما منعك أن تخبرنا أى عقب اخبار عبد الله فاعتذر بالاستحياء فدل على انه لم يخبره على الفور (ووقع في الاوسط للطبرانى أن أبا بكر أيضا رأى الاذان) أخرجه من طريق زفر بن الهذيل عن أبى حنيفة عن علقمة بن مرثد عن ابن بريدة عن أبيه أن رجلا من الانصار مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حزين لامر الاذان بالصلاة فبينما هو كذلك اذ نعس فأتاه آت في النوم فقال قد علمت ما حزنت له فذكر قصة الاذان فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخبرنا بمثل ذلك أبو بكر فأمر بلالا بالاذان قال

قوله ان يخبرنا الذى سبق ان تخبرنى ولعله لفظ الحديث اه مصححه

الطبرانى

الطبراني لم يروه عن علقمة الا أبو حنيفة (وفي الوسيط للغزالي انه رآه بضعة عشر رجلا وعبارة الجيلي في شرح التنبيه) رآه (أربعة عشر) فيمكن أن يفسر بها قول الغزالي بضعة عشر (وأنكره ابن الصلاح) فقال لم أجد هذا بعد امعان البحث (ثم النووي) في تنقيحه فقال هذا ليس بثابت ولا معروف وانما الثابت خروج عمر يجر رداءه (وفي سيرة مغلطاي) عن بعض كتب الفقهاء (انه رآه سبعة من الانصار قال الحافظ أبو الفضل بن حجر رحمه الله) في فتح الباري (ولا يثبت شيء من ذلك الا لعبد الله بن زيد وقصة عمر جاءت في بعض الطرق) في سنن أبي داود (قال السهيلي) في الروض (فان قلت ما الحكمة التي خصت الاذان بأن يراه رجل من المسلمين في نومه ولم يكن عن وحي من الله لنبيه كسائر العبادات والاحكام الشرعية) فانها كلها عن وحي قال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا يرد هذا على القول بأنه يجتهد لانه مأذون فيه من ربه ولا يقول الاحقا فكانه وحي (وفي قوله عليه السلام انها الرؤيا حق ثم بنى حكم الاذان عليها وهل كان ذلك) أي بناؤه حكم الاذان على الرؤيا (عن وحي من الله له) عليه السلام يعني ان ابن زيد حين رأى ولم يكن عن وحي هل أوحى اليه بعد حتى بنى حكم الاذان عليها (أم لا) فهذا الاستفهام راجع لابتناء حكم الاذان فلا ينافي جزمه أولا بأنه لم يكن عن وحي لانه بخصوص الرؤيا حين وجدت من ابن زيد (وأجاب بانه صلى الله عليه وسلم قد أريه ليلة الاسراء فروى البزار) في مسنده فقال حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد قال حدثنا أبي عن زياد بن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده (عن علي) بن أبي طالب (قال لما أراد الله أن يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق) بضم الموحدة (فركبها حتى أتى الحجاب الذي يلي الرحمن) وهذا يأتي على أنه عرج به على البراق كظاهر حديث البخاري والصحيح أن العروج انما كان على المعراج قال النعماني ولا مانع انه ركب البراق فوق المعراج (فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب) بالنسبة للمخلوق أما الخالق تبارك وتعالى فلا يحجبه شيء (فقال يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا) في العالم العلوي (وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا أكبر انا أكبر وذكر بقية الاذان) وفي هذا انه شرع بمكة قبل الهجرة قال الحافظ ويمكن على تقدير صحته أن يحمل على تعدد الاسراء فيكون ذلك وقع بالمدينة وأما قول القرطبي لا يلزم من كونه سمعه ليلة الاسراء أن يكون مشروعا في حقه ففيه نظر لقوله أوله لما أراد الله أن يعلم رسوله الاذان وكذا قول المحب الطبري يحمل الاذان ليلة الاسراء على المعنى اللغوي وهو الاعلام ففيه نظر أيضا لتصريحه بكيفيته المشروعة فيه انتهى (قال السهيلي) بعد ميله الى صحة هذا الخبر قائلا لما يعضده ويشاكله من حديث الاسراء (وهذا أقوى من الوحي) لانه سماع بواسطة وهذا بدونها (فلما تأخر فرض) أي مشروعية (الاذان الى المدينة وأراد اعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحي) أي تأخر نزوله (حتى رأى عبد الله الرؤيا فوافقت ما رأى صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انها الرؤيا حق ان شاء الله)

قاله تبركا أو قبل الوحى اعتمادا على رؤيته فى السماء ان ثبت ولم يفهمه انها وحى جبرائيل ابتداء
مع العزم على اخباره بحقيقة الامر بعد لا تعلقا فيما فى العلم بحقيقتها حيث كانت عن
وحى (وعلم حينئذ) أى حين أقر المصطفى رؤياه وقال انها الرؤيا حق (أن مراد الله بما
أراه) له وفى نسخة بما رآه أى النبى عليه السلام بارادة الله تعالى اياه ذلك (فى السماء
أن يكون سنة فى الارض وقوى ذلك عنده موافقة رؤيا عمر للانصارى) قال السهيلى
لان السكينة تنطق على لسان عمر (انتهى) كلام السهيلى قال فى الفتح وحاول بذلك
الجمع بين حديث كونه رؤيا وبين الاحاديث الدالة على انه شرع بمكة قبل الهجرة فتكلف
وتعسف والاخذ بما صح أولى (وتعقب بأن حديث البزار) لا يصح الاحتجاج به لان
(فى اسناده زياد بن المنذر) وهو (أبو الجارود) الاعمى الكوفى الرافضى المتوفى بعد
الخمسين ومائة (وهو متروك) وان خرج له الترمذى بل قال ابن معين هو كذاب عدوّ الله
وقال الذهبى وابن كثير هذا الحديث من وضعه قال السهيلى أيضا ما ملخصه والحكمة أيضا
فى اعلام الناس به على غير لسانه صلى الله عليه وسلم التنويه بقدره والرفع لذكره بلسان غيره
ليكون أقوى لامره وأفخر لشأنه قال الحافظ وهذا حسن بديع ويؤخذ منه حكمة عدم
الاكتفاء برؤيا عبد الله بن زيد حتى اضيف عمر للتقوية التى ذكرها ولم يقتصر على عمر ليصير
فى معنى الشهادة (وقال فى فتح البارى وقد استشكل اثبات حكم الاذان برؤيا عبد الله بن
زيد لان رؤيا غير الانبياء لا ينبنى عليها حكم شرعى) بل ورؤيا الشخص للنبى كذلك وان كان
حقا لان النائم لا يضبط ما يقال له (واجيب باحتمال مقارنة الوحى لذلك) لم يجزم به لعدم
وقوفه على التصريح به (ويؤيده ما رواه عبد الرزاق) بن همام الحافظ الصنعانى (وأبو
داود فى المراسيل من طريق عبيد بن عمير) بن قتادة (الليثى أحد كبار التابعين) المكى
قاضيها ولد فى حياة النبوّة وقيل له رؤية ومات قبل ابن عمر (أن عمر لما رأى الاذان جاء
ليخبر النبى صلى الله عليه وسلم فوجد الوحى قد جاء) وفى نسخة قد ورد (بذلك فما راعه
الا اذان بلال) أى ما اشعر عمر أى ما اعلمه قاله الشامى فحقيقة الروع هنا منتفية واستعمل
فى لازمه لان من فزع من شئ استشعر وجوده ولكن قد لا يحصل من الشعور العلم فتدرج
فى البيان ففسره لغة ثم مرادا (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم سبقك بذلك الوحى)
فهذا يؤيد احتمال المقارنة وليس نصا فيه لجواز أن الوحى انما جاء بعد اذنه فى الاذان
اعتمادا على ما ظهر له عند الاخبار بالرؤيا فيكون مقررا للامر به (وهذا) المرسل (أصح
مما حكى الداودى) أحمد بن نصر البشكرى أبو جعفر الاسدى الطرابلسى وبها ألف
شرح الموطا وسماه النامى العالم الفاضل المالكى الفقيه المفتن المجيد له حظ من اللسان
والحديث والنظر ثم انتقل الى تلمسان والف الواعى فى الفقه وشرح البخارى وسماه النصيحة
وغير ذلك وحمل عنه أبو عبد الملك البونى وأبو بكر بن محمد بن أبى زيد وتوفى بتلمسان سنة
ثلاثين وأربعمائة (عن ابن اسحق) محمد امام المغازى (أن جبريل أتى النبى صلى الله
عليه وسلم قبل أن يخبره عبد الله بن زيد وعمر بثمانية أيام) ولو صح أمكن حمله كما قال شيخنا
على انه اوحى اليه باعلام الناس بوقت الصلاة من غير بيان ما يعلم به وبهذا الاجمال وقعت

المشاورة

المشاورة فيما يعلم به ثم بعدها جاء الوحي بخصوص كلمات الاذان ليلة الرؤيا فلما أخبربها قال سبقك الوحي بهذه الكلمات وأجاب في الفتح أيضا عن الاشكال بأنه عليه السلام أمر بمقتضى الرؤيا لينظر أيقرّ على ذلك أم لا ولاسيما لما رأى نظمها يبعد دخول الوسواس فيه وهذا ينبني على القول بجواز اجتهاده صلى الله عليه وسلم في الاحكام وهو المنصور في الاصول انتهى (وقد عرفت) بالبناء للمفعول زيادة على مامرّ (رؤيا عبد الله بن زيد برواية ابن اسحق) وليس عرفت بالخطاب كما ضبط بالقلم اذلم تتقدم رواية ابن اسحق (وغيره) كأبي داود والترمذي وابن ماجه كلهم من طريقه (وذلك انه) أي عبد الله كما أخرجه ابن اسحق فقال حدثني محمد بن ابراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد قال حدثني أبي (قال) لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس يعمل ليضرب به للناس بجمع الصلاة (طاف بي) أي دار حولي (وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده فقلت ياعبد الله) يقال لمن لا يعرف اسمه على أصل معناه الحقيقي لان الكل عبد الله (اتبيع هذا الناقوس قال وماتصنع به قال ندعو) أنا ومن معي من المسلمين (به) الناس (الى الصلاة قال افلا ادلك على ماهو خير لك من ذلك) ولم يقل افأدلك مع أن القصد الدلالة لاعدمها لانه لما رآه راغبا في طلب الناقوس نزله منزلة المعرض عن غيره الراغب في نفي ارادة الدلالة فاستفهمه عن النفي والهمزة داخلة على مقدر أي أأعرض عنك فلا ادلك أم لا فأدلك ولذا أجابه بقوله (فقلت بلى) الذي هو ردّ النفي (قال) بعد أن استقبل القبلة كما مرّ (تقول الله أكبر الله أكبر وذكر بقية كلمات الاذان قال ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال اذا قمت الى الصلاة فقل الله أكبر الله أكبر الى آخر كلمات الاقامة ورواه أبو داود) وفيه عنده ابن اسحق وهو ثقة يدلس لكنه صرح هنا بالتحديث فانتفت تهمة تدليسه ولذا قال (باسناد صحيح) وقال الترمذي بعد اخراجه من طريقه حسن صحيح وأخرجه من طريقه أيضا ابن حبان وابن خزيمة ناقلا عن الذهلي باللام انه ليس في طرقه أصح منه (ولم تعرف كيفية رؤيا عمر حين رأى النداء وقد قال رأيت مثل الذي رأى) وغاية ماتفيده المثلية المشاركة في أصل رؤيا الاذان ولا يستلزم انه رأى رجلا يطوف الخ ماوقع لابن زيد (وفي مسند الحرث ابن أبي اسامة بسند واه عن كثير الحضرمي (أوّل من أذن بالصلاة جبريل أذن في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بها) ثم جاء بلال (فقال عليه السلام لبلال سبقك بها عمر) وهذا لو صح لم يدل على تقدمها على رؤيا عبد الله لاحتمال سماعهما ذلك بعد رؤياه (وظاهره ان عمر وبلالا سمعا النداء في اليقظة) بقضية ضد النوم ولامانع من ذلك كرامة لهما (وقد وردت أحاديث تدل على أن الاذان شرع بمكة قبل الهجرة) لكن لا يصح منها شئ (منها ما للطبراني من طريق سالم ابن عبد الله بن عمر) بن الخطاب أحد الفقهاء اشبه ولد أبيه به مات في ذي القعدة أو الحجة سنة ست أو خمس أو سبع أو ثمان ومائة (عن أبيه قال لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم أوحى اليه الاذان فنزل) ملتبسا (به) حيث علمه (وعلمه بلالا وفي اسناده طلحة بن زيد) القرشي أبو مسكين أو أبو محمد الرقي وأصله دمشقي روى له ابن ماجه (وهو متروك)

كما في الفتح والتقريب وزاد فيه قال أحمد وعلي وأبو داود كان يضع (ومنها ما للدارقطني في الافراد) بفتح الهمزة (من حديث انس ان جبريل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان حين فرضت الصلاة واسناده ضعيف) فلا حجة فيه (ومنها حديث ابزار عن علي المتقدم) قريبا وأن فيه زياد بن المنذر متروك وغفل الشارح فنقل كلام ابن كثير في زياد هذا في قول المصنف في اسناده طلحة ومنها حديث عائشة عند ابن مردويه مرفوعا لما أسرى بي أذن جبريل فظنت الملائكة أنه يصلي بهم فقدمني فصليت وفيه من لا يعرف كما في الفتح ومنها ما عند ابن شاهين عن زياد بن المنذر المتروك قال قلت لابن الحنفية كنا نتحدث أن الاذان كان رؤيا فقال هذا والله باطل لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج به بعث اليه ملك علمه الاذان قال الذهبي هذا باطل (قال في فتح الباري) أيضا اذ الذي قبله كله منه (والحق انه لا يصح شئ من هذه الاحاديث) الدالة على مشروعية الاذان بمكة ومر قوله أيضا لا يصح شئ من ذلك أي رؤيا الاذان لاحد من الصحابة الا عبد الله بن زيد وهذا غير ذلك كما هو واضح جدا (وقد جزم ابن المنذر بأنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى أن هاجر الى المدينة الى أن وقع التشاور في ذلك) فأمر به بعد رؤيا ابن زيد في السنة الاولى أو الثانية فجزمه بذلك دليل على ضعف تلك الاحاديث عنده (والله أعلم) بضعفها في نفس الامر وعدمه فان الحكم انما هو على ظاهر الاسانيد (فان قلت هل أذن عليه الصلاة والسلام بنفسه قط) فقد كثر السؤال عنه (أجاب السهيلي بأنه قد روى الترمذي من طريق يدور) يرجع وان تعددت طرقه (على عمر بن الرماح) هو ابن ميمون بن بحر بن سعد الرماح البلخي أبي علي وسعد هو الرماح كما في التقريب فنسبه لجده الاعلى (قاضي بلخ) المتوفى سنة احدى وسبعين ومائة روى له الترمذي ووثقه ابن معين وأبو داود فلا يقصر حديثه عن درجة الحسن ولو انفرد به لانه ثقة (يرفعه الى أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم أذن في سفر وصلى وهم على رواحلهم الحديث قال) السهيلي (فنزع بعض الناس بهذا الحديث الى انه عليه السلام أذن بنفسه) وتبع هذا البعض النووي (انتهى وليس هذا الحديث من حديث أبي هريرة انما هو) عند الترمذي والدارقطني (من حديث يعلى بن مرة) بن وهب الثقفي ممن بايع تحت الشجرة فسبق السهيلي حفظه أو سبق قلمه لانه كان ضريرا فقال أبو هريرة (وكذا جزم النووي) في شرح المهذب وغيره (بانه عليه السلام أذن مرة في السفر وعزاه للترمذي وقواه) فقال في الخلاصة حديث صحيح وفي المجموع قد ثبت فذكره انتهى وقال الترمذي غريب تفرد به عمر بن الرماح ولا يعرف الا من حديثه (لكن روى الحديث الدارقطني) بسند الترمذي ومتنه (وقال فيه أمر بالاذان) وفيه بعده فقام المؤذن فأذن (ولم يقل اذن) كما قاله في رواية الترمذي (قال السهيلي والمفصل يقضي على المجمل المحتمل) فلا يصح تمسك بعض الناس به وجزمه وان تبعه النووي وعجبت كيف لم يقف على كلام السهيلي مع انه متأخر عنه وجواب الشهاب الهيتمي بأن هذا انما يصار اليه لو لم يحتمل تعدد الواقعة أما اذا أمكن فيجب المصير اليه ابقاء لاذن على حقيقته عملا بقاعدة الاصول انه يجب ابقاء اللفظ على حقيقته مردود بأن

ذاك انما يصح اذا اختلف سند الحديث ومخرجه أما مع الاتحاد فلا ويجب رجوع المجمل للمفصل كما هو قاعدة المحدثين وأهل الاصول وقد قال بعض الحفاظ لو لم نكتب الحديث من ستين وجها ما عقلناه لاختلاف الرواة في اسناده وألفاظه وليس كل احتمال يعمل به خصوصا في الحديث فهذه قصة المعراج والاسراء وردت عن نحو أربعين صحابيا مع اختلاف أسانيدها ومتونها الى الغاية ومع ذلك فالجمهور على انها واحدة حتى قال ابن كثير وغيره من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فقد أبعد وأغرب وهرب الى غير مهرب وحديث الاذان من هذا القبيل لقوله في رواية الدارقطني فقام المؤذن فاذن (و) لقوله (في مسند أحمد من الوجه) أي الطريق (الذي أخرج منه الترمذي هذا الحديث فأمر بلالا فاذن قال في فتح الباري فعرف) من روايتي أحمد والدارقطني (أن في رواية الترمذي اختصارا وأن قوله أذن) معناه أمر (كما يقال اعطى الخليفة فلانا ألفا وانما باشر العطاء) اسم من الاعطاء ولم يعبر به لانه لا وجود لشيء من المصادر في الخارج بل آثارها (غيره ونسب للخليفة لكونه أمر انتهى) كلام فتح الباري وهذا سائغ شائع ثم قال السيوطي في شرح البخاري قد ظفرت بحديث آخر مرسل أخرجه سعيد بن منصور في سننه حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي عن ابن أبي مليكة قال أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة فقال حي على الفلاح وهذه رواية لا تقبل التاويل انتهى فهذا الذي يجزم فيه بالتعدد لاختلاف سنده وانظر ما أحسن قوله آخر ولذا قال في شرحه للترمذي من قال انه صلى الله عليه وسلم لم يباشر هذه العبادة بنفسه وألغز في ذلك بقوله ما سنة أمر بها ولم يفعلها فقد غفل انتهى وفي التحفة أذن مرة فقال أشهد أني محمدا رسول الله انتهى هذا وانما لم يواظب صلى الله عليه وسلم على الاذان مع فضله المنوه عليه بنحو قوله صلى الله عليه وسلم المؤذنون اطول اعناقا يوم القيامة أخرجه مسلم وفي شعب البيهقي عن داود السجستاني المؤذنون لا يعطشون يوم القيامة فأعناقهم قائمة لاشتغاله كما قال العز بن عبد السلام في الفتاوى الموصلية بالقيام بأعباء الرسالة ومصالح الشريعة كالقتال والفصل بين الناس وغير ذلك التي هي خير من الاذان وأفضل ولذا قال عمر لولا الخليفى لاذنت ولانه كان اذا عمل عملا اثبته وداوم عليه وقول بعضهم مخافة أن يعتقد أن محمدا غيره اذا قال أشهد أن محمدا رسول الله غلط انتهى ملخصا وفي الفتح اختلف في الجمع بين الامامة والاذان فقيل يكره وفي البيهقي عن جابر مرفوعا النهي عن ذلك لكن سنده ضعيف وصح عن عمر لو أطيق الاذان مع الخليفى لاذنت رواه سعيد بن منصور وغيره وقيل خلاف الاولى وقيل يستحب وصححه النووي انتهى وقول الشيخ أبي الحسن الشاذلي في شرح الترغيب تبعا للنيسابوري وغيره لان فيه ثناء وتزكية وشهادة للنفس وهي غير مقبولة ولان في حي على الصلاة أمر ايجاب فان معناه أقبلوا فلو أذن لوجبت الاجابة مردود بأن النهي عن تزكية النفس انما هو اذا كان افتخارا وهو منه عليه السلام ليس كذلك بل تحدثا بالنعمة وعدم قبول الشهادة للنفس انما هو في نحو حق مالي على غيره وهذا ليس منه بل هي شهادة أريد بها طلب ما أوجبه الله على الناس انقاذا لهم من الضلال

ولا يزيد قوله فى الاذان أشهد أن محمدا رسول الله على قوله للناس ادعوكم الى وحدانية الله وشهادة انى رسوله فلم يخرج عن قوله تعالى بلغ ما أنزل اليك من ربك على أن من خصائصه أن يشهد ويحكم لنفسه وليس القصد بحى على الصلاة فى الاذان خصوص طلب الحضور بل الاعلام بدخول الوقت لانه شرعا الاعلام بوقت الصلاة المفروضة (فان قلت هل صلى النبى صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أصحابه قلت نعم) كذا فى نسخ وهو حسن وفى أكثرها اسقاط السؤال والاقتصار على نعم وليس استدراكا على ما قبله بل تقرير لسؤال نشأ منه تقديره هذا ما تقرر فى الاذان ومعلوم انه كان يؤم فهل أمه أحد أو هو استدراك من جهة نفيه اذ انه مع تقرر امامته فقد يتوهم انه لم يقتد بغيره فنفاه بقوله نعم (ثبت فى صحيح مسلم وغيره أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف عبد الرحمن بن عوف) وهذا السؤال سئل عنه الصحابى قديما فأخرج ابن سعد فى الطبقات باسناد صحيح عن المغيرة بن شعبة أنه سئل هل أم النبى صلى الله عليه وسلم أحد من هذه الامة غير أبى بكر قال نعم فذكر الحديث (ولفظه) أى مسلم (عن المغيرة بن شعبة انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك) بعدم الصرف على المشهور للتأنيث والعلمية كذا قال النووى وتبعه فى الفتح ورد بأنه سهو لان علة منعه كونه على مثال الفعل كتقول والمذكر والمؤنث فى ذلك سواء ومن صرف أراد الموضع (فتبرز) بالتشديد (صلى الله عليه وسلم) أى خرج لقضاء حاجته وعند ابن سعد لما كنا بين الحجر وتبوك ذهب لحاجته (قبل) بكسر ففتح أى جهة (الغائط) أى المكان المطمئن الذى تقضى فيه الحاجة فاستعمل فى أصل حقيقته اللغوية فليس المراد الفضلة والظاهر أن تبرز معمول لقال مقدرة لظهر قوله (فحملت) وفى نسخة فحمل وهو أنسب بما قبله (معه اداوة قبل صلاة الفجر) أى الصبح ولابن سعد وتبعته بماء بعد الفجر ويجمع بأن خروجه كان بعد طلوع الفجر وقبل صلاة الصبح (الحديث الى ان قال) أسقط منه فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت أهريق على يديه من الاداوة وغسل يديه ثلاث مرات ثم غسل وجهه ثم ذهب يخرج جبته عن ذراعيه فضاق كما جبته فأدخل يديه فى الجبة حتى أخرج ذراعيه الى المرفقين ثم توضأ على خفيه ثم اقبل (قال) المغيرة (فأقبلت معه حتى نجد) بمعنى الماضى أى وسرنا الى ان وجدنا (الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف) ولابن سعد فأسفر الناس بصلاتهم حتى خافوا الشمس فقدموا عبد الرحمن (فصلى بهم) أى احرم ولابن سعد فانتهينا الى عبد الرحمن وقد ركع ركعة فسبح الناس له حين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كادوا يفتنون فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكص فأشار اليه صلى الله عليه وسلم أن اثبت فليس المراد فرغ من صلاته والاناقى أيضا قوله (فأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى الركعتين) أى الثانية لقوله (فصلى مع الناس الركعة الآخرة) ودفع به توهم أن معنى ادرك حضر ولا يلزم منه الاقتداء لجواز صلاته مفردا أو بجماعة لم يصلوا أو انتظر سلامه فأتى بها كاملة وعند ابن سعد فصلى خلف عبد الرحمن بن عوف ركعة (فلما سلم عبد الرحمن بن عوف قام صلى الله عليه وسلم يتم صلاته فأفزع ذلك المسلمين) لسبقهم النبى صلى الله عليه وسلم (فأكثروا التسبيح) رجاء أن يشير لهم هل يعيدونها معه

ام لا

أم لا وليس لظنهم انه ادرك الصلاة من أولها وأن قيامه لامر حدث كأنهم ظنوا الزيادة في الصلاة لتصريحه في رواية ابن سعد بأنهم علموا ان النبي صلى الله عليه وسلم حين دخل معهم فسبحوا حتى كادوا يفتتنون ويحتمل ان الفاء في فأفزع بمعنى الواو ولرواية ابن سعد أن التسبيح حين رأوا النبي كما رأيت (فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته أقبل عليهم ثم قال أحسنتم أو قال أصبتم) شك الراوي قال ذلك (يغبطهم) بالتشديد أي يحملهم على الغبط لاجل (ان صلوا لوقتها) ويجعل هذا الفعل عندهم مما يغبط عليه وان روى بالتخفيف فيكون قد غبطهم لتقدمهم وسبقهم الى الصلاة قاله في النهاية (ورواه أبو داود) سليمان بن الاشعث السجستاني (في السنن بنحوه ولفظه ووجدنا) فأفاد هذا ان رواية مسلم نجد من استعمال المضارع بمعنى الماضي (عبد الرحمن وقد ركع بهم ركعة من الفجر) الصبح (فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصف نفسه (مع المسلمين) بأن دخل معهم في الصف أو هو لازم بمعنى اصطف أي دخل معهم فيه وصف جاء لازما ومتعديا (فصلى وراء عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية) ففي هذا بيان للمعية في رواية مسلم وتصريح بأنه صلى خلفه (ثم سلم عبد الرحمن فقام النبي صلى الله عليه وسلم يقضي صلاته الحديث) بنحوه والمراد من سوق هذا منه ايضاح ما قد يخفى في رواية مسلم فالروايات تفسر بعضها (قال النووي) في شرح مسلم (فيه) من الفوائد (جواز اقتداء الفاضل بالمفضول) وان كان تقديم الفاضل أفضل (وجواز صلاة النبي صلى الله عليه وسلم خلف بعض أمته وأما بقاء عبد الرحمن بن عوف في صلاته وتأخر أبي بكر ليتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فالفرق بينهما أن عبد الرحمن كان قد ركع ركعة فترك النبي صلى الله عليه وسلم التقدم لئلا يختل ترتيب صلاة القوم) قال شيخنا لانه اذا قام لاتمام صلاته وربما لم يعلموه فيجلسون أو يغفلون عن كون المطلوب منهم نية المفارقة وعدم الانتظار لانه ان تقدم من غير سبق اقتدائه لم يكن خليفته حتى يجلس موضع جلوسه في التشهد الاخير بل يكون اماما مستقلا بحيث يحتاجون في متابعته الى نية الاقتداء به وان اقتدى به ثم تأخر بعد اقتدائه بحيث ينقطع اقتداء القوم به احتاج عليه السلام الى الجلوس لنظم صلاة الاصلي لانه خليفته واذا قام مشيرا لهم بمفارقته فقد لا يفهمون انتهى وهذا على مذهب الشافعية وفرق أيضا بأنه أراد أن يبين لهم حكم قضاء المسبوق بفعله وان العمل اليسير مغتفر لكن أي عمل فعله زائد على المطلوب حتى يقال مغتفر الان يقال على بعد هو اشارة لتأخر أبي بكر فانه ليس من افعال الصلاة فربما يتوهم اضراره وان كان لمصلحة (بخلاف صلاة أبي بكر) فلا اختلال فيها لان الامام انما هو المصطفى وأبو بكر انما كان يسمع الناس (نعم في السيرة الهشامية) لعبد الملك بن هشام روى سيرة ابن اسحق عن البكائي عنه وهذبها فنسبت اليه (ان أبابكر كان هو الامام وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتم به) ولفظه قال ابن اسحق حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة قال لما كان يوم الاثنين خرج صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه الى الصبح وأبو بكر يصلي ففرح الناس فعرف أبو بكر فنكص على مصلاه فدفع صلى الله عليه وسلم في ظهره وقال صل بالناس (لكنه كما قال

السهيلي حديث مرسل في السيرة) لان ابن أبي مليكة تابعي (والمعروف في) الاحاديث (الصحاح) بكسر الصاد جمع صحيح والفتح لغة (ان أبا بكر كان يصلي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبي بكر) وفي رواية للشيخين ان أبا بكر كان يسمع الناس تكبير النبي صلى الله عليه وسلم (لكن قد روى عن انس من طريق متصل) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح (ان أبا بكر كان الامام يومئذ) فاعتضد به مرسل السيرة (واختلف فيه عن عائشة رضي الله عنها) فروى الاسود عنها وعبيد الله عنها وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم أمّ الناس وأبو بكر عن يمينه يسمع الناس تكبيره وروى مسروق وعبيد الله عنها وحميد عن انس أنه صلى الله عليه وسلم كان خلف أبي بكر في الصف (انتهى) كلام السهيلي (وفي الترمذي مصححا) له (من حديث جابر أن آخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد متوشحا به خلف أبي بكر) ورواه النسائي من حديث انس (قال ابن الملقن) الامام الفقيه الحافظ ذو التصانيف الكثيرة سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد بن محمد الانصاري أحد شيوخ الشافعية وأئمة المحدثين ولد سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ومات ليلة سادس ربيع الاول سنة أربع وثمانمائة (وقد نصر هذا القول غير واحد من الحفاظ منهم الضياء) الحافظ الامام الحجة ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد السعدي الحنبلي الثقة محدث الشام شيخ السنة الدين الزاهد الورع سمع ابن الجوزي وغيره مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة (وابن ناصر) الامام الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي بالتخفيف نسبة الى دار السلام بغداد محدث العراق الشافعي ثم الحنبلي روى عن جماعة وعنه خلق منهم ابن الجوزي وقال كان ثقة حافظا ضابطا من أهل السنة لا مغمز فيه توفي ثامن عشر شعبان سنة خمسين وخمسمائة واياك أن تظن ان المراد الشمس بن ناصر الدمشقي لان ابن الملقن ولد قبله بستين سنة فلا ينقل عنه (وقال صح وثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر مقتديا به) دفع به توهم انه خلفه وأبو بكر ماموم له (في مرضه الذي مات فيه ثلاث مرات ولا ينكر هذا الا جاهل لا علم له بالرواية) فقد حمل الامام الشافعي اختلاف الاحاديث في كون المصطفى الامام وأبي بكر الماموم وعكسه على التعدد لانه صلى الله عليه وسلم مرض أياما واستخلف فيها ابا بكر فلا يبعد أن يكون خرج الى الصلاة فيها مرارا (وقيل انه كان) ما صلاه مع أبي بكر (مرتين) في مرضه اقتدى به في احداهما وأمّه في الاخرى (جمعا بين الاحاديث وبه جزم ابن حبان) الحافظ أبو حاتم البستي فقال ونحن نقول بمشيئة الله وتوفيقه ان الاخبار كلها صحاح وليس شئ منها يعارض الآخر ولكنه صلى الله عليه وسلم صلى في علته صلاتين في المسجد جماعة لا صلاة واحدة في احداهما كان مأموما وفي الاخرى كان اماما قال والدليل على انها كانت صلاتين لا صلاة أن في خبر عبيد الله بن عبد الله عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بين رجلين تريد بأحدهما العباس وبالآخر عليا وفي خبر مسروق عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بين بريرة ونوبة فهذا يدل على انها كانت صلاتين انتهى وكذا جزم به ابن حزم والبيهقي وبين أن الصلاة التي صلاها أبو بكر وهو مأموم صلاة الظهر

والتي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر هي صلاة الصبح يوم الاثنين وهي آخر صلاة صلاها واختلف في نوبة المذكور أرجل أم امرأة وهو بنون وموحدة (وروى الدارقطني) وأحمد والحاكم (من طريق المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما مات نبي) أراد به ما يشمل الرسول (حتى يؤمه رجل من أمته) وأخرجه البزار من حديث الصديق مرفوعا ما قبض نبي الخ وفي حديث المغيرة عند ابن سعد فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى خلف عبد الرحمن بن عوف ما قبض نبي قط حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته فان قلت هذا كله يرد قول الانموذج من خصائصه فيما حكى عياض انه لا يجوز لاحد أن يؤمه لانه لا يجوز التقدم بين يديه في الصلاة ولا غيرها لا لعذر ولا لغيره وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون أحد شافعا له وقد قال أئمتكم شفعاؤكم ولذلك قال أبو بكر ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت كان معناه لا يجوز لاحد أن يؤمه ابتداء ولو لعذر أما اذا أم غيره فجاء وأبقاه عليه السلام فيجوز بدليل قصتي أبي بكر وعبد الرحمن فأما الصديق فانما أم لغيبته لمرضه وأما ابن عوف فانما أم لغيبته بتقديم الناس له حين خافوا طلوع الشمس ولهذا لما أتى صلى الله عليه وسلم هم كل منهما أن ينكص حتى أشار اليه أن اثبت والله أعلم (ولما كان بعد شهر من مقدمه عليه الصلاة والسلام) المدينة (لاثنتي عشرة) ليلة (خلت من ربيع الآخر) كما في سيرة مغلطاي وصدر بعضهم بانه الاول (قال الدولابي يوم الثلاثاء) بالمد والجمع ثلاثاوات بقلب الهمزة واوا كما في المصباح وعلى هذا التاريخ كان الاولى تقديمه على الاذان لكن أخره لتعلقه بالسفر المتعلق بالمغازي وأما صلاته خلف عبد الرحمن فتأخرة عن هذا بكثير لتصريحه في الحديث بأنه في غزوة تبوك وهي آخر مغازيه فانما ذكرت استطرادا للمناسبة الاذان (وقال السهيلي بعد الهجرة بعام أو نحوه زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان) بالتكرير لافادة عموم التثنية لكل صلاة (وتركت صلاة الفجر) أي الصبح (لطول القراءة فيها) استحبابا والظهر وان وليتها في الطول دونها (وصلاة المغرب لانها وتر النهار) فلم تزد ولم تنقص (واقرت صلاة السفر) رواه ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي عن عائشة قالت فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتين ركعتين فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة واطمأن زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة وصلاة المغرب لانها وتر النهار (وفي البخاري) في مواضع والمذكور هنا لفظه في الهجرة والتقصير من طريق معمر عن الزهري عن عروة (عن عائشة) قالت (فرضت الصلاة) بمكة وللبخاري في أول الصلاة من حديث مالك عن صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها (ركعتين ركعتين) زاد البخاري في الصلاة في الحضر والسفر وزاد أحمد من طريق ابن اسحق عن صالح عن عروة عنها الا المغرب فانها كانت ثلاثا (ثم هاجر عليه السلام الى المدينة ففرضت أربعا) أربعا (وتركت صلاة السفر) ركعتين ركعتين (على الفريضة الاولى) بضم الهمزة ولابي ذر على الاول أي من عدم وجوب الزائد بخلاف صلاة الحضر فزيد في ثلاث منها ركعتان وفي حديث مالك المذكور فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة

الحضر واحتج بظاهره الحنفية وموافقوهم على ان القصر عزيمة لا رخصة فلا يجوز للمسافر الاتمام وأجيب بأن معناه لمن أراد الاقتصار جمعا بين الاخبار لان عائشة نفسها أتمت في السفر والعبرة عند الحنفية برأى الصحابي لا بمرويه فقد خالفوا أصلهم وأجاب الحافظ بان عروة الراوى عنها لما سئل عن اتمامها في السفر قال انها تأولت كما تأول عثمان فلا تعارض بين روايتها ورأيها فروايتها صحيحة ورأيها مبنى على ما تأولت انتهى واختلف العلماء في تاويلهما والصحيح الذى عليه المحققون كما قال النووى انهما رأيا القصر جائزا والاتمام جائزا فأخذا بأحد الجائزين وهو الاتمام انتهى ودليلنا كالشافعى وأحمد قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة لان نفى الجناح لا يدل على العزيمة وقوله صلى الله عليه وسلم صدقة تصدق الله بها عليكم رواه مسلم (وقيل انما فرضت أربعا ثم خفف عن المسافر ويدل له حديث) الترمذى وصححه عن انس بن مالك الكعبى القشيرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ان الله وضع) أى اسقط (عن المسافر شطر الصلاة) أى نصفها وأخرجه أبو داود والنساى وأحمد وابن ماجه عن انس المذكور مرفوعا بلفظ ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة ففيه انهما كانا واجبين ثم نسخ وجوبهما وجاز الفطر والقصر واطلاق الكل وارادة البعض لانه قال شطر وانما وضع شطر ثلاث على أن الشطر قد يطلق على غير النصف قاله الحافظ الزين العراقى (وقيل انما فرضت في الحضر أربعا وفى السفر ركعتين وهو قول ابن عباس قال رضى الله عنه فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعا وفى السفر ركعتين رواه مسلم وغيره) كابى داود والنساى وهو من حجج من قال القصر عزيمة (وسيأتى مزيد) قليل (لذلك ان شاء الله تعالى في أوائل الصلاة من مقصد عباداته عليه السلام) وهو التاسع (قال ابن اسحق وغيره ونصبت) اظهرت وتوافقت (احبار) جمع حبر بفتح الحاء وكسرها أى علماء (يهود) وسمى منهم حيى وياسر وجدى بضم الجيم وفتح الدال وشد الياء بنو أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع وكعب بن الاشرف وعبد الله بن صوريا وابن صلوبا ومخيريق ثم اسلم وصحب وأوصى بماله وهو سبع حوائط للنبى صلى الله عليه وسلم كما قاله عياض وغيره وكان نصبهم عند الاذان ففى العيون بعد ذكره ونصبت عند ذلك احبار يهود (العداوة للنبى صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا) لما خص الله به العرب من أخذه رسوله منهم ولمشاهدتهم كمال شرف المصطفى وتاييد الله له بنصره وبعباده المؤمنين وتأليفه بين قلوبهم بعد مزيد العداوة وذلك يقتضى ضعف كلمتهم وجعلهم أتباعا بعد أن كانوا رؤساء فشمروا عن ساق العداوة وجعلوا يتعنتون على النبى صلى الله عليه وسلم ليلبسوا الحق بالباطل فكان القرآن ينزل في غالب مايسالون عنه ولما استمروا على العداوة وتزايدوا فيها حتى سحروا المصطفى بعد عوده من الحديبية ناسب أن يقول هنا (وسحره) بأمرهم (لبيد) بفتح اللام وكسر الموحدة واسكان التحتية ودال مهملة (ابن الاعصم) بمهملتين وزن أحمر (وهو من يهود بنى زريق) بضم الزاى وفتح الراء كما روى عن عائشة وذكر الواقدى أنه كان حليفا فيهم وبين السنة التى سحر فيها فروى بسنده عن عمر بن الحكم مرسلا لما رجع صلى الله عليه

وسلم

وسلم من الحديبية في ذي الحجة سنة ست جاءت رؤساء يهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا في بني زريق وكان ساحرا فقالوا انت اسحرنا وقد سحرنا فلم نصنع شيأ ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير فسحره (فكان) كما في الصحيح عن عائشة (يخيل اليه) في أمور الدنيا (انه يفعل الفعل وهو لا يفعله) لانه في ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالامراض فغير بعيد أن يخيل اليه في أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثله في أمور الدين قاله المازري وأيد برواية الصحيح أيضا حتى كان يرى انه يأتي النساء ولا يأتيهن وقال غيره لا يلزم من التخييل أن يجزم بفعله وانما يكون من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت (وجعل سحره) أي نفثه في العقد الاحدى عشرة وتمثال الشمع الذي على صورة النبي صلى الله عليه وسلم فيه ابر مغروزة كما في رواية (في مشط) الآلة التي يمشط بها والجمع امشاط ووقع في رواية القابسي مشاط الحديد وغلط قاله الحافظ وفي القاموس المشط مثلث الميم وككتف وعنق وعتل ومنبر آلة يمتشط بها (ومشاطة) بضم الميم ما يمشط من الشعر ويخرج في المشط منه ويروى بالقاف بدل الطاء ومعناه مثله وقيل ما يمشط عن الكتان قاله الحافظ زاد البخاري وجف طلع نخلة ذكر بضم الجيم وتشديد الفاء ويروى بموحدة أي في جوفه وهما معا وعاء الطلع أي غشاؤه قاله ابن الاثير والهروي وغيرهما من شراح الكتاب فما في بعض نسخ الشامية بالقاف تحريف من النساخ (ودفنه في بئر ذي أروان) كذا رواه الاصيلي وكأنه الاصل فسهلت الهمزة ولكن غلطوه (و) لذا كان (أكثر أهل الحديث يقولون) وهو رواية غير الاصيلي (ذروان) بفتح الذال المعجمة واسكان الراء (تحت راعوفة البئر) براء فالف عند أكثر الرواة وبعضهم يحذفها فهملة فراو ففاء وفي رواية بمثلثة بدل الفاء وهي لغة وفيها لغة رابعة زعوبة بزاي وموحدة وهي صخرة تترك في أسفل البئر اذا حفرت ليجلس عليها المستقي عند نزحها (كما ثبت في الصحيح) من حديث عائشة وهو رد على بعض المبتدعة انكاره لانه بعد صحته لا ينكر وفي حديث كعب بن مالك عند ابن سعد انما سحره بنات لبيد ولبيد هو الذي ذهب به فان صح فنسب اليه مجازا لكونه أخذه من بناته وذهب به الى البئر ومكث صلى الله عليه وسلم في السحر أربعين يوما رواه الاسماعيلي وعند أحمد ستة أشهر وجمع بأنها من ابتداء تغير مزاجه والاربعين يوما من استحكامه (وليس هذا) أي سحره (بقادح في النبوة فان الانبياء يبتلون في أبدانهم بالجراحات) كما جرح عليه السلام في أحد (والسموم) كسمه في الشاة (والقتل) كقتل يحيى وغيره (وغير ذلك مما جوزه العلماء عليهم) وفي الحديث أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وانما القادح فيها ما يخل بالمقصود ومنها كعدم ضبط ما يبلغه وهو معصوم منه فتجويزه عليه بنحو السحر باطل لا يعول عليه قاله المازري وغيره (وانضاف) انضم (الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا انهم قهروا بظهور الاسلام) بينهم واجتماع قومهم عليه (فاظهروه واتخذوه جنة) وقاية (من القتل ونافقوا في السر) فالنفاق في القلب وهو اسم اسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو فعل المنافق الذي يستر كفره ويغيبه بالاسلام كما يستتر الرجل بالنفق بفتحتين

قوله ويغيبه كذا في النسخ والمعروف يغيبه وهو الذي اقتصر عليه في المصباح اه مصححه

وهو السرب فى الارض له مخرج من موضع غير الذى يدخل اليه منه فقيل اشتق من هذا وقيل من نافقى اليربوع اذا دخل قاصعاء وخرج من نافقائه وبالعكس فان لجحر اليربوع النافقاء والقاصعاء والراهطاء والداماء (منهم عبد الله بن أبى) بالتنوين والجر ابن مالك بن الحرث الخزرجى (ابن سلول) برفع ابن وكتابته بالالف لان عادتهم اذا أضيف ابن الى انثى كتب بالالف وعدم صرف سلول للعلمية والتأنيث وهى خزاعية أم عبد الله على الصحيح كما فى النور وقيل جدته أم أبيه وبه جزم ابن عبد البر والسهيلى وابن الاثير (وكان رأس المنافقين) ومن نفاقه ما أخرجه الثعلبى والواحدى بسندواه عن ابن عباس قال نزلت واذا لقوا الذين آمنوا فى عبد الله بن أبى وأصحابه وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن أبى انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء فأخذ بيد أبى بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ماخلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فأثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت هذه الآية (وهو الذى قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز) يعنون أنفسهم (منها الاذل) يعنون النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين الآية (كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى غزوة بنى المصطلق) والمنافقون كثير ذكرهم ابن الجوزى واليعمرى وغيرهما والله أعلم

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* كتاب المغازى *

(وأذن الله تعالى لرسوله عليه السلام بالقتال) لاثنتى عشرة ليلة مضت من صفر فى السنة الثانية من الهجرة (قال الزهرى) محمد بن مسلم شيخ الاسلام (أول آية نزلت فى الاذن بالقتال) كما أخبرنى عروة عن عائشة (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير أخرجه النساى باسناد صحيح) موقوفا على عائشة كما هو فى النساى وحكمه الرفع لا على الزهرى كما أوهمه المصنف ثم رواه ابن عائذ عن الزهرى معضلا باسقاط قوله كما أخبرنى عروة عن عائشة وزاد تلاوة الآية التى تليها الى قوله لقوى عزيز وأخرج أحمد والترمذى وحسنه والنساى وابن سعد والحاكم وصححه عن ابن عباس قال لما أخرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم ليهلكن فنزلت اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية قال ابن عباس فهى أول آية أنزلت فى القتال وقيل قوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم أخرجه ابن جرير عن أبى العالية وفى الاكليل للحاكم أول آية نزلت فيه ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم (قال فى البحر) أى التفسير الكبير لابى حيان (والمأذون فيه أى فى الآية محذوف أى فى القتال لدلالة الذين يقاتلون عليه وعلل فى الآية فهو مبنى للمفعول أو الفاعل أى الله الاذن لهم فى القتال (بأنهم ظلموا كانوا يأتون

رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فأذن له بالقتال) ولم يفرض عليهم وظاهره أنه لم يؤمر بالصبر بعد الهجرة مع انه أمر بالصبر على اذى اليهود ووعد بالنصر عليهم كما قال العلماء فيما نقله فى الشامية لكنه نزله كالعدم بالنسبة لاذى أهل مكة فانه كان بالمدينة فى غاية العزة والقوة من أول يوم وأذى اليهود غايته بالمجادلة والتعنت فى السؤال وكان جبريل يأتيه من ربه بغالب الاجوبة أو لقلة مدته أتى بالتعقيب أى فأذن له بعد صبر قليل على أذى اليهود لما قويت الشوكة واشتد الجناح (بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية) غالبها مكية (انتهى) ثم فرض عليهم قتال من قاتلهم دون من لم يقاتل ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وبين المصنف فى غزوة قينقاع أن الكفار بعد الهجرة كانوا معه ثلاثة أقسام (وقال غيره) فى بيان حكمة تأخر مشروعية الجهاد حتى هاجر (وانما شرع الله الجهاد فى الوقت الاليق به لانهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا فلو أمر) الله (المسلمين وهم قليل بقتال الباغين لشق عليهم فلما بغى المشركون وأخرجوه عليه السلام من بين أظهرهم وهموا بقتله) عطف على بغى (واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه أصحابه) المهاجرون والانصار (وقاموا بنصره وصارت المدينة دار اسلام ومعقلا) بفتح الميم وكسر القاف ملجأ (يلجؤن اليه) تصريح بما علم من المعقل وفى هامش تفسير المعقل بالحصن الكبير (شرع الله جهاد الاعداء) جواب لما بغى وفى نسخة ولما استقر بزيادة لما وحذفها أولى لاحتياجها الى تقدير جواب لما بغى أى هاجر (فبعث عليه السلام البعوث والسرايا وغزا) بنفسه وقد جرت عادة المحدثين وأهل السير واصطلاحاتهم غالبا أن يسموا كل عسكر حضره النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة ومالم يحضره بل أرسل بعضا من أصحابه الى العدو سرية وبعثا (وقاتل هو وأصحابه حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا أفواجا) جماعات بعد جماعات جاؤه بعد الفتح من أقطار الارض طائعين (وكان عدد مغازيه عليه السلام) قال فى الفتح جمع مغزى يقال غزا غزوا ومغزى والاصل غزو والواحدة غزوة وغزاة والميم زائدة وعن ثعلب الغزوة المرة والغزاة عمل سنة كاملة وأصل الغزو القصد ومغزى الكلام مقصده والمراد بالمغازى هنا ما وقع من قصد النبى صلى الله عليه وسلم الكفار بنفسه أو بجيش من قبله وقصدهم أعم من أن يكون الى بلادهم أو الى الاماكن التى حلوها حتى دخل مثل أحد والخندق انتهى (التى خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين) كما قاله أئمة المغازى موسى بن عقبة وابن اسحق وأبو معشر والواقدى وابن سعد وأسنده عن هؤلاء وجزم به ابن الجوزى والدمياطى والعراقى وغيرهم وقال ابن اسحق فى رواية البكائى عنه ستا وعشرين وجزم به فى ديباجة الاستيعاب قائلا وهذا أكثر ما قيل قال السهيلى وانما جاء الخلاف لان غزوة خيبر اتصلت بغزوة وادى القرى فجعلهما ابن اسحق غزوة واحدة وقيل خمسا وعشرين ولعبد الرزاق بسند صحيح عن ابن المسيب أربعا وعشرين وعند أبى يعلى باسناد صحيح عن جابر أنها احدى وعشرون غزاة وروى الشيخان والترمذى عن زيد بن ارقم انها تسع عشرة وفى خلاصة السير للمحب الطبرى جملة المشهور منها اثنتان وعشرون ويمكن الجمع على نحو ما قال السهيلى بأن

من عدها دون سبع وعشرين نظر الى شدة قرب بعض الغزوات من غيره فجمع بين غزوتين وعدهما واحدة فضم للابواء بواط لقربهما جدا اذ الابواء فى صفر وبواط فى ربيع الاول وضم حمراء الاسد لاحد لكونها صبيحتها وقريظة للخندق لكونها ناشئة عنها وتلتها ووادى القرى لخيبر لوقوعها فى رجوعه من خيبر قبل دخول المدينة والطائف لحنين لانصرافه منها اليها فبهذا تصير اثنتين وعشرين والى هذا أشار الحافظ فقال بعد نقل كلام السهيلى المار وقول جابر احدى وعشرين فلعل الستة الزائدة من هذا القبيل وأما من قال تسع عشرة فلعله أسقط الابواء وبواطا وكان ذلك خفى عليه لصغره ويؤيد ما قلته ماوقع عند مسلم بلفظ قلت ما أول غزوة غزاها قال ذات العسير أو العسيرة والعسيرة هى الثالثة انتهى (وقاتل فى تسع منها) قال ابن تيمية لا يعلم انه قاتل فى غزاة الا فى احد ولم يقتل أحدا الا أبى بن خلف فيها فلا يفهم من قولهم قاتل فى كذا انه بنفسه كما فهمه بعض الطلبة ممن لا اطلاع له على أحواله عليه السلام انتهى ففى قوله (بنفسه) شئ وأجيب بأن المراد قتال أصحابه بحضوره فنسب اليه لكونه سببا فى قتالهم ولم يقع فى باقى الغزوات قتال منه ولا منهم قال فى النور قد يرد على ابن تيمية حديث كنا اذا لقينا كتيبة أو جيشا أول من يضرب النبى صلى الله عليه وسلم ويمكن تأويله (بدر وأحد والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف) وقال ابن عقبة قاتل فى ثمان وأهمل عد قريظة لانه ضمها للخندق لكونها اثرها وأفردها غيره لوقوعها مفردة بعد هزيمة الاحزاب وكذا وقع لغيره عد الطائف وحنين واحدة لكونها كانت فى اثرها هكذا فى فتح البارى وأيا ما كان لا ينفى انه قاتل فى جميعها غايته أنه على عد الاثنتين واحدة بالاعتبار المذكور يكون قاتل فى موضعين منها (وهذا على قول من قال) وهم الجمهور (فتحت مكة عنوة) أى بالقهر والغلبة وأما على قول الاول فتحت صلحا فيكون القتال فى ثمان (وكانت سراياه) أراد بها ما يشمل البعوث لقوله الآتى وكان أول بعوثه ولقوله (التى بعث فيها سبعا وأربعين سرية) كما رواه ابن سعد عمن ذكر فى عد المغازى وبه جزم أول الاستيعاب فيما قال الشامى والذى فى النور قال ابن عبد البر فى ديباجة الاستيعاب كانت بعوثه وسراياه خمسا وثلاثين من بعث وسرية انتهى وقال ابن اسحق رواية البكائى ثمانيا وثلاثين وفى الفتح عن ابن اسحق ستا وثلاثين والواقدى ثمانيا وأربعين وابن الجوزى ستا وخمسين والمسعودى ستين ومحمد بن نصر المروزى سبعين والحاكم فى الاكليل انها فوق المائة قال العراقى ولم أجده لغيره وقال الحافظ لعله أراد بضم المغازى اليها وقرأت بخط مغلطاى أن مجموع الغزوات والسرايا مائة وهو كما قال انتهى (وقيل) وحكاه اليعمرى بلفظ وفى بعض رواياتهم (انه قاتل فى بنى النضير) ولكن الله جعلها له نفلا خاصة وقاتل فى غزوة وادى القرى وقاتل فى الغابة انتهى ولم يتقدم هذا على عد السرايا الا انه أراد حكاية المروى عن الجماعة على حدة ثم تذكر ما فى بعض رواياتهم وأفاد صلى الله عليه وسلم حكمة بعوثه وسراياه فقال والذى نفسى بيده لولا أن اشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعونى ويشق أن يقعدوا بعدى والذى نفسى بيده لوددت انى اغزو فى سبيل الله فأقتل

ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل ثم أحيا ثم اقتل رواه مالك وأحمد والشيخان عن أبى هريرة بتكرير ثم ست مرات (وأفاد فى فتح البارى أن السرية بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتية هى التى تخرج بالليل) وجمعها سرايا وسريات مثل عطية وعطايا وعطيات (والسارية) بالتحتية أيضا وقراءته بموحدة غلط (التى تخرج بالنهار) سموا بذلك لانهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشئ النفيس كما فى النهاية (قال) فى الفتح (وقيل سميت بذلك لانها تخفى ذهابها) فتسرى فى خفية (وهذا يقتضى انها أخذت من السر ولا يصح لاختلاف المادة) لان لام السر راء وهذه ياء قاله ابن الاثير وأجاب شيخنا بأن اختلاف المادة انما يمنع الاشتقاق الصغير وهو رد فرع الى أصل لمناسبة بينهما فى المعنى والحروف الاصلية ويجوز أنه أراد بالاخذ مجرد الرد للمناسبة والاشتراك فى أكثر الحروف (وهى قطعة من الجيش تخرج منه) فتغير (وتعود اليه) وكانه أريد بالجيش عسكر الامام فيشمل ما اذا بعث طائفة مستقلة كسرية حمزة (وهى من مائة الى خمسمائة) قضيته أن مادونها لا يسمى سرية وهو مخالف لقوله نفسه فى مقدمة الفتح قال ابن السكيت السرية ما بين الخمسة الى الثلثمائة وقال الخليل نحو أربعمائة انتهى ونحوه فى القاموس بل فى النهاية يبلغ اقصاها أربعمائة (وما زاد على الخمسمائة يقال له منسر بالنون ثم المهملة) بوزن مجلس ومنبر كما فى القاموس وهذا لا يوافق المصباح ولا القاموس فانه حكى أقوالا أكثرها أن المنسر من المائة الى المائتين وصدر به المصباح وقابله بقول الفارابى جماعة من الخيل ويقال هو الجيش لا يمر بشئ الا اقتلعه (فان زاد على الثمانمائة) الاولى حذف أل لقولهم انها لا تدخل على أول المتضايفين مع تجرد الثانى باجماع كالثلاثة أثواب قاله فى الهمع الا أن يقرأ مائة بالنصب باجراء أل فى تصحيح التمييز مجرى التنوين والنون كما فى التصريح فى نحوه (سمى جيشا) وقال ابن خالويه الجيش من ألف الى أربعة آلاف وأسقط المصنف من الفتح قوله وما بين المنسر والجيش يسمى هبطة لانه فسر الجيش بما زاد على ثمانمائة فلم يكن بين المنسر والجيش واسطة ثم حرر ضبط هبطة (فان زاد على أربعة آلاف سمى جحفلا) بفتح الجيم والفاء بينهما مهملة ساكنة وأسقط من الفتح قوله فان زاد فجيش جرار بفتح الجيم وراءين مهملتين الاولى مشددة (والخميس) بلفظ اليوم (الجيش العظيم) الكثير وكذا المجر والمدهم والعرمرم كما فى سامى الاسامى وقال ابن خالويه الخميس من أربعة آلاف الى اثنى عشر ألفا (وما افترق من السرية يسمى بعثا) وتقدم أن مبدأها مائة فظاهره أن مادون المائة يسمى بعثا لكن بقية كلام الفتح وهو فالعشرة فما بعدها تسمى حفيرة والاربعون عصبة والى ثلثمائة مقنب بقاف ونون وموحدة أى بكسر الميم وسكون القاف وفتح النون فان زاد سمى جمرة بجيم مفتوحة وسكون الميم انتهى يفيد تخصيص البعث بما دون العشرة (والكتيبة) بفتح الكاف وكسر الفوقية واسكان التحتية فموحدة فتاء تأنيث (ما اجتمع ولم ينتشر) وفى القاموس الكتيبة الجيش أو الجماعة المتحيزة من الخيل أو جماعة الخيل اذا اغارت من المائة الى الالف (انتهى) كلام فتح البارى فى قول البخارى فى أواخر المغازى باب السرية التى قبل نجد (ملخصا) يعنى انه اسقط منه ما ذكرته

عنه لا التخصيص المتعارف ومقتضاه أن ما أرسله الامام مستقلا وهو دون مائة لا يسمى بعثا ولا سرية وفى القاموس البعث ويحرك الجيش جمعه بعوث وقال ابن خالويه أقل العساكر الجريدة وهى قطعة جردت من سائرها الوجه ما ثم السرية أكثرها وهى من خمسين الى أربعمائة ثم الكتيبة من أربعمائة الى ألف ثم الجيش من ألف الى أربعة آلاف وكذلك الفيلق والجحفل ثم الخميس من أربعة آلاف الى اثنى عشر ألفا والعسكر يجمعها انتهى روى أحمد وأبو داود والنساى والترمذى وحسنه عن صخر بن وداعة مرفوعا اللهم بارك لامتى فى بكورها قال صخر وكان صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية بعثها أول النهار وكان صخر تاجرا وكان لا يبعث غلمانه الامن أول النهار فكثر ماله حتى كان لا يدرى أين يضعه وروى الطبرانى عن عمران كان صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية أغزاها أول النهار وقال اللهم بارك لامتى فى بكورها

* بعث حمزة رضى الله عنه *

(وكان أول بعوثه صلى الله عليه سلم) حال كونه (على رأس سبعة أشهر فى رمضان) قاله ابن سعد أى تقريبا أو اعتبرت السبعة من أول تهيئه للخروج من مكة فلا ينافى ما مر أن قدومه كان لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول أو ثلاثة عشر أو ثنتين وعشرين أو لليلتين (وقيل فى ربيع الاول سنة اثنتين) قاله المدائنى وقال أبو عمر بعد ربيع الآخر (بعث عمه حمزة) كما رواه ابن عائذ عن عروة وجزم به ابن عقبة والواقدى وأبو معشر وابن سعد فى آخرين وقيل أولها بعث عبيدة وقيل عبد الله بن جحش قال ابن عبد البر والاول أصح (وأمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين) قاله ابن سعد وغيره (وقيل من الانصار) كذا فى النسخ وصوابه ومن الانصار بالواو اذ لم يقل أحد بخلوهم من المهاجرين وقد حكى مغلطاى وغيره القولين على ما صوب وذكر بعضهم انهم كانوا شطرين من المهاجرين والانصار (وفيه نظر لانه) كما قال ابن سعد (لم يبعث أحدا من الانصار حتى غزا بهم بدرا لانهم شرطوا له) ليلة العقبة (أن يمنعوه فى دارهم) ولذا لما أراد بدرا صار يقول أشيروا على حتى قال الانصارى كانك تريدنا يارسول الله قال فى النور وذكر ابن سعد فى غزوة بواط أن سعد بن معاذ حمل اللواء وكان أبيض فهذا تناقض منه ويحتمل أن خروج سعد فيها من غير أن ينتدبه عليه السلام الا أن حمل اللواء يعكر على ذلك والظاهر أن ابن سعد أراد أنه لم يبعث أحدا منهم وتخلف عليه السلام الى غزوة بدر وبعدها جهزهم وتعدلكن آخر الكلام يعكر على هذا التأويل انتهى (نخرجوا يعترضون عيرا لقريش) جاءت من الشام تريد مكة أى يتعرضون لها ليمنعوها من مقصدها باستيلائهم عليها (فيها أبو جهل اللعين فلقيه فى ثلثمائة راكب) قاله ابن اسحق وابن سعد وقال ابن عقبة فى ثلاثين ومائة راكب من المشركين (فبلغوا سيف) بكسر المهملة وسكون التحتية وبالفاء ساحل (البحر من ناحية العيص) بكسر العين وسكون التحتية وصاد مهملتين (فلما تصافوا) للقتال (حجز) بفتح الحاء والجيم وبالزاى فصل (بينهم مجدى) بفتح الميم وسكون الجيم وكسر الدال المهملة وياء كياء النسب (ابن عمرو الجهنى) وكان موادعا للفريقين أى مصالحا مسالما

قال في النور ولا أعلم له اسلاما فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال وأفاد الواقدي أن رهط مجدي قدموا عليه صلى الله عليه وسلم فكساهم وقال في مجدي انه ماعلمت ميمون النقيبة مبارك الامر أو قال رشيد الامر (وكان عليه الصلاة والسلام قد عقد له) أي لحمزة (لواء) بكسر اللام والمد روى أبو يعلى عن أنس رفعه ان الله اكرم أمتي بالالوية وسنده ضعيف (أبيض) زاد ابن سعد وكان الذي يحمله أبو مرثد البدري أي بفتح الميم واسكان الراء وفتح المثلثة ودال مهملة كناز بفتح الكاف وشد النون فألف فزاي ابن الحصين بمهملتين مصغرا الغنوي بفتح المعجمة والنون نسبة الى غنى بن يعصر حليف حمزة (واللواء) كما قال الحافظ في غزاة خيبر (هو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع صاحب) أي أمير (الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يدفعه لمقدم العسكر) وفي الفتح أيضا في الجهاد اللواء الراية ويسمى أيضا العلم وكان الاصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه (وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادف اللواء والراية) فقالوا في كل منهما علم الجيش ويقال أصل الراية الهمز وآثرت العرب تركه تخفيفا ومنهم من ينكر هذا القول ويقول لم يسمع الهمز (لكن روى أحمد والترمذي عن ابن عباس) قال (كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه أبيض ومثله عند الطبراني عن بريدة) ابن الحصيب بمهملتين مصغرا الاسلمي (و) مثله (عند ابن عدي) الحافظ عبد الله أبي أحمد الجرجاني أحد الاعلام مات سنة خمس وستين وثلثمائة (عن أبي هريرة وزاد مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله) وروى أبو داود عن رجل رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء وجمع الحافظ بينهما باختلاف الاوقات قال وقيل كانت له راية تسمى العقاب سوداء مربعة وراية تسمى الرية بيضاء وربما جعل فيها شئ أسود (وهو ظاهر في التغاير بين اللواء والراية وبه جزم ابن العربي فقال اللواء غير الراية فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح وقيل اللواء دون الراية وقيل اللواء العلم الضخم والعلم علامة لمحل الامير يدور معه حيث دار والراية يتولاها صاحب الحرب (فلعل التفرقة فيه عرفية) فلا يخالف ما صرح به الجماعة من الترادف وقد جنح الترمذي الى التفرقة فترجم الالوية وأورد حديث البراء أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض ثم ترجم الرايات وأورد حديث البراء كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء مربعة وحديث ابن عباس المذكور أولا (وذكر ابن اسحق) محمد امام المغازي (وكذا أبو الاسود) محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الاسدي النوفلي المدني يتيم عروة ووثقه أبو حاتم والنسائي وأخرج له الجميع (عن عروة) بن الزبير أحد الفقهاء (ان أول ما حدثت الرايات) جمع راية (يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية) وهذا أيضا ظاهر في التغاير بينهما (انتهى) لفظ فتح الباري في خيبر

* سرية عبيدة المطلبي *

(ثم سرية عبيدة) بضم العين وفتح الموحدة واسكان التحتية فدال فهاء (ابن الحرث)

ابن المطلب بن عبد مناف المستشهد ببدر (الى بطن رابغ) بموحدة مكسورة وغين معجمة (فى شوال على رأس ثمانية أشهر) من الهجرة تقريبا أو تحقيقا على ما مر واوردها ابن هشام وأبو الربيع فى الاكتفاء بعد غزوة الابواء فى السنة الثانية فى ربيع الاول ورواه ابن عائذ عن ابن عباس وبه صرح بعض أهل السير لكن ذكر غير واحد أن الراجح الاول فلذا اقتصر عليه المصنف (فى ستين رجلا) أو ثمانين كذا عند ابن اسحق فيحتمل انه شك أو اشارة الى قولين ولفظه فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد (وعقد) عليه السلام (له) لعبيدة (لواء أبيض حمله مسطح) بميم مكسورة وسين ساكنة وطاء مفتوحة وحاء مهملات (ابن أثاثة) بضم الهمزة وخفة المثلثتين ابن عباد بن المطلب بن عبد مناف ابن قصى المطلبى اسمه عوف ومسطح لقبه أسلم قديما ومات سنة أربع وثلاثين فى خلافة عثمان ويقال عاش الى خلافة على وشهد معه صفين ومات تلك السنة سنة سبع وثلاثين (يلقى أبا سفيان) صخر (بن حرب) أسلم فى الفتح رضى الله عنه (وكان على المشركين) كما قال الواقدى انه الثبت عندنا وصدر به مغلطاى (وقيل) أى قال ابن هشام عن أبى عمرو بن العلاء المدنى يلقى (مكرز) بكسر الميم واسكان الكاف وفتح الراء وزاى كما ضبطه الغسانى وغيره قال السهيلى وهكذا الرواية حيث وقع قال ابن ماكولا ووجدته بخط ابن عبده النسابة بفتح الميم قال الحافظ وبخط يوسف بن خليل بضم الميم وكسر الراء والمعتمد الاول (ابن حفص) بن الاخيف بفتح الهمزة وسكون المعجمة وفتح التحتية وبالفاء ابن علقمة العامرى وهو الذى جاء فى فداء سهيل بن عمرو بعد بدر وجاء أيضا فى قصة الحديبية قال فى الاصابة والنور ولم أر من ذكره فى الصحابة الا ابن حبان فقال فى ثقاته يقال له صحبة (وقيل) أى قال ابن اسحق يلقى (عكرمة بن أبى جهل) أسلم فى الفتح (فى مائتين ولم يكن بينهم قتال الا أن سعد بن أبى وقاص) مالك (رمى) يومئذ (بسهم فكان أول سهم رمى به فى الاسلام) كذا عند ابن اسحق والمراد جنس سهم فلا ينافى قول الواقدى انه نثر كنانته وتقدم أمام أصحابه وقد تترسوا عنه فرمى بما فى كنانته وكان فيها عشرون سهما ما منها سهم الا ويجرح انسانا أو دابة قال ابن اسحق ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار (قال ابن اسحق وكانت راية عبيدة فيما بلغنا أول راية عقدت فى الاسلام) قال وبعض العلماء يزعم أنه صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الابواء قبل أن يصل الى المدينة قال (وبعض الناس يقول) كانت (راية حمزة) أول راية (قال وانما أشكل أمرهما لانه عليه السلام بعثهما معا فاشتبه ذلك على الناس) فكل من قال ذلك فى واحد منهما فهو صادق (انتهى) قول ابن اسحق بما زدته من سيرته (وهذا يشكل بقولهم ان بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر) فى رمضان وبعث عبيدة على رأس ثمانية فى شوال فكيف يشتبه مع هذا (لكن يحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم عقد رايتيهما معا ثم تأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية لامر اقتضاه) فيلتئم القولان (والله أعلم) بحقيقة الحال

* سرية سعد بن مالك *

(ثم)

(ثم سرية سعد بن أبي وقاص) واسمه مالك الزهري آخر العشرة موتا من السابقين الاولين المختص بكثرة جمع المصطفى له ابويه يوم أحد حيث كرر له ارم فداك أبي وأمي رضي الله عنه (الى الخرار بخاء معجمة) مفتوحة (وراءين مهملتين) الاولى ثقيلة كما ذكره الصغاني في نور والجد في فصل الخاء من باب الراء وهو الذي في النور في نسخة صحيحة مقروءة على ابن مصنفها فما في نسخة محرفة منه ومن سيرة الشامي وتشديد الزاي الاولى لا يلتفت اليه ولعلها كانت همزة عقب الالف فصحفت ياء فظنت زايا من تحريف النساخ (وهو) كما في سيرة مغلطاي (واد في الحجاز يصب في الجحفة) وفي ذيل الصغاني موضع قرب الجحفة وفي القاموس عين قرب الجحفة (وكان ذلك في القعدة) بكسر القاف وفتحها (على رأس تسعة أشهر) عند ابن سعد وشيخه الواقدي وجعلها ابن اسحق في السنة الثانية وتبعه أبو عمر فقال بعد بدر (وعقد له لواء أبيض حمله المقداد) بكسر الميم وسكون القاف ودالين مهملتين (ابن عمرو) بن ثعلبة الكندي البدري المعروف بابن الاسود لانه تبناه (في عشرين رجلا) من المهاجرين وقيل ثمانية (يعترض عيرا) ابلا تحمل الطعام وغيره من التجارات ولا تسمى عيرا الا اذا كانت كذلك كما في النور وكانت (لقريش) فخرجوا على أقدامهم (فصبحوها) أي الخرار وانث لانها اسم عين وهي مؤنثة (صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالامس) فرجعوا ولم يلقوا كيدا والله أعلم

* أول المغازي ودان *

قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وقال زين العابدين علي بن الحسين بن علي كنا نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السور من القرآن رواهما الخطيب وابن عساكر وعن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول يا بني هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها * (ثم غزوة ودان) بفتح الواو وشد المهملة فألف فنون قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع وقيل واد في الطريق يقطعه المصعدون من حجاج المدينة (وهي) أي غزوة ودان (الابواء) بفتح الهمزة وسكون الموحدة والمد قرية من عمل الفرع بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلا قيل سميت بذلك لما فيها من الوباء وهو على القلب والا لقيل الاوباء والصحيح كما قال قاسم بن ثابت انها سميت بذلك لتبوء السيول بها ومراد المصنف ان منهم من اضافها لودان وبعضهم للابواء لتقاربهما فليس ضمير هي راجعا لودان لاقتضائه انه مكان واحد له اسمان وهو خلاف الواقع كما يأتي (وهي) أي غزوة ودان (أول مغازيه) صلى الله عليه وسلم (كما ذكره ابن اسحق وغيره) وآخرها تبوك ولا يرجع ضمير هي للابواء وان كان أقرب مذكور لانه لا يتخيل تناف حتى يحتاج للجواب الآتي (وفي صحيح البخاري عنه) أي ابن اسحق تعليقا (أولها) أي المغازي (الابواء) ثم بواط ثم العشيرة ولا تنافي كما يأتي (خرج صلى الله عليه وسلم في صفر) لاثنتي عشرة مضت منه كما عند بعض الرواة عن ابن اسحق (على رأس) أي عند أول (اثني عشر شهرا) ففي المصباح رأس الشهر أوله (من مقدمه المدينة يريد قريشا) زاد ابن اسحق وبني ضمرة فكأنه قصره على قريش لانهم المقصودون بالذات والمراد غيرهم (في ستين رجلا)

من المهاجرين ليس فيهم انصارى (وحمل اللواء) قال أبو عمر كان أبيض (حمزة بن عبد المطلب) سيد الشهداء (فكانت الموادعة) أى فكان الاثر المترتب على خروجه الموادعة (أى المصالحة) مع بنى ضمرة ولم يدرك العير التى أراد (على ان بنى ضمرة) بفتح المعجمة واسكان الميم ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة (لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوّا) وانه اذا دعاهم لنصر اجابوه قال ابن اسحق وابن سعد وأبو عمر عقد ذلك معه سيدهم مخشى بن عمرو الضمرى وقال ابن الكلبى وابن حزم عمارة بن مخشى بن خويلد ومخشى بفتح الميم وسكون الخاء وكسر الشين المعجمتين ثم ياء مشددة كياء النسبة قال البرهان لا أعلم له اسلاما وقال الشامى لم أر من ذكر له اسلاما وكتب بينهم بذلك كتابا كما قال السهيلى وسيذكره المصنف بعد بواط والاولى تقديمه هنا (واستعمل على المدينة سعد بن عبادة) كما ذكره ابن هشام وابن سعد وابن عبد البر وغاب عنها خمسة عشر يوما ثم رجع ولم يلق كيدا (و) أفاد فى فتح البارى انه (ليس بين ما وقع فى سيرة ابن اسحق) من ان أول غزواته ودّان (وبين ما نقله عنه البخارى) ان أولها الابواء (اختلاف لان الابواء وودّان مكانان متقاربان بينهما ستة أميال) وبه جزم اليعمرى (أو ثمانية) كما قال غيره زاد فى الفتح ولهذا وقع فى حديث الصعب بن جثامة وهو بالابواء أو بودّان كما مرّ فى الحج وفى مغازى الاموى حدثنى أبى عن ابن اسحق قال ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم غازيا بنفسه حتى انتهى الى ودّان وهى الابواء وعند ابن عائذ عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم وصل الى الابواء انتهى فكما وقع فى العيون انه سار حتى بلغ ودّان وقع فى غيره أنه سار حتى بلغ الابواء وروى البخارى فى التاريخ الصغير والطبرانى عن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال أول غزوة غزوناها مع النبى صلى الله عليه وسلم الابواء

* (ثم غزوة بواط بفتح الموحدة) عند الاصيلى والمستملى من رواة البخارى والعذرى من رواة مسلم وصدر به فى الفتح فتبعه السيوطى والمصنف هنا قائلين (وقد تضم) صريح فى قلته مع انه الاعرف كما قاله فى المطالع واقتصر عليه فى المقدمة والمصنف فى الشرح وصاحب القاموس (وتخفيف الواو) فألف (وآخره) طاء (مهملة) جبل من جبال جهينة بقرب ينبع على أربعة برد من المدينة وقال السهيلى بواط جبلان فرعان لاصل واحد أحدهما جلسى والآخر غورى وفى الجلسى بنو دينار ينسبون الى دينار مولى عبد الملك بن مروان (غزاها صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول) قاله ابن اسحق وقال أبو عمرو وتلميذه ابن حزم فى ربيع الآخر (على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة حتى بلغها من ناحية رضوى بفتح الراء وسكون) الضاد (المعجمة مقصور) جبل بالمدينة والنسبة اليه رضوى قاله الجوهرى وفى السبل على أربعة برد من المدينة وبه يفسر قول المجد على ابراد وفى خلاصة الوفاء رضوى كسكرى جبل على يوم من ينبع وأربعة أيام من المدينة ذو شعاب وأودية وبه مياه وأشجار هذا هو المعروف ومنه يقطع احجار المنارة قيل هو أول تهامة انتهى وهو مباين لكلام أولئك بكثير ويذكر أن رضوى من الجبال التى بنى منها البيت وأنه من جبال الجنة وفى حديث رضوى رضى الله عنه وقدس وتزعم الكيسانية أن محمد ابن الحنفية

مقيم به حتى يرزق (في مائتين من أصحابه) المهاجرين وحمل لواءه وكان أبيض سعد بن أبي وقاص كما في الشامية وغيرها وفي العيون سعد بن معاذ فيما ذكر ابن سعد وتقدم مناقضة البرهان له وتأويله ولكن الأقرب انه ابن أبي وقاص للتصريح بأن الذين خرجوا من المهاجرين نعم قيل انه استخلف ابن معاذ على المدينة قال شيخنا فلعله التبس للاستخلاف بالحمل (يعترض عيرا) لتجار قريش عدتها ألفان وخمسمائة بعير قاله ابن سعد وشيخه الواقدي (فيهم أمية بن خلف الجمحي) ومائة رجل من قريش (واستعمل على المدينة) فيما قال ابن هشام وابن عبد البر ومغلطاي (السائب بن عثمان بن مظعون) الجمحي أسلم قديما وهاجر الى الحبشة وشهد بدرا في قول الجميع الا ابن الكلبي فقال الذي شهدها عمه ووهمه ابن سعد لمخالفته جميع أهل السير واستشهد يوم اليمامة وفي نسخة من سيرة ابن هشام كما في الفتح استخلف السائب بن مظعون وجرى عليه السهيلي انتهى وهو أخو عثمان شهد بدرا عند ابن اسحق ولم يذكره موسى بن عقبة فيهم وبما علم من انهما نسختان عن ابن هشام سقط انتقاد البرهان وتبعه الشامي على السهيلي بأن الذي في الهشامية السائب ابن الاخ لا عمه وقال الواقدي استخلف عليها سعد بن معاذ (فرجع) عليه السلام (ولم يلق كيدا أي حربا قال ابن الاثير) في النهاية أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم بن محمد الشيباني الجزري العالم النبيل أحد الفضلاء صاحب التصانيف الشهيرة ولد في سنة أربع وأربعين وخمسمائة ومات بالموصل يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة (والكيد الاحتيال والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدا) مجازا لاقترانها بالاشتهار فيه وذكر القاموس من معاني الكيد الحرب فمقتضاه اشتراكه فيه وفي غيره وضعا وجمع شيخنا بأن القاموس أراد التنبيه على المعاني التي يصدق عليها الكيد أعم من أن يكون حقيقة أو مجازا والله أعلم

* (ثم غزوة العشيرة) بالعين المهملة المضمومة وب (الشين المعجمة والتصغير آخره هاء) قال السهيلي واحدة العشير مصغر (لم يختلف أهل المغازي في ذلك) الضبط قال في المشارق وهو المعروف قال الحافظ وهو الصواب ووقع في الصحيحين خلافه فنبه عليه فقال (وفي البخاري) ومسلم والترمذي من طريق أبي اسحق سألت زيد بن أرقم الحديث وفيه فأيهم كانت أول قال (العشير أو العسيرة) هكذا ثبت في أصل الحافظ من البخاري فقال في الفتح (بالتصغير) فيهما (والاولى بالمعجمة بلا هاء والثانية بالمهملة وبالهاء) وفي أصل المصنف من البخاري العسيرة أو العشير فقال بالتصغير فيهما وبالمهملة مع الهاء في الاولى والمعجمة بلا هاء في الثانية ولابي ذر العسير بالمهملة بلا هاء أو العشير بالمعجمة بلا هاء وللاصيلي العشير أو العسير بالمعجمة في الاول والمهملة في الثاني مع حذف الهاء والتصغير في الكل وفي نسخة عن الاصيلي العشير بفتح العين وكسر الشين المعجمة بغير هاء كذا رأيته في الفرع كأصله انتهى وفي مسلم العسير أو العشير قال النووي هكذا في جميع نسخ صحيح مسلم بضم العين والاول بالسين المهملة والثاني بالمعجمة انتهى ورواية الترمذي كرواية مسلم كما أفاده الحافظ وبهذا كله بان خطأ من زعم انه بالهمز ومنشؤه قراءته العشيراء بالمد والعسيرة بالواو

(وأما غزوة العسرة بالمهملة بغير تصغير فهي غزوة تبوك) قال الله تعالى الذين اتبعوه في ساعة العسرة (وستأتي ان شاء الله تعالى) سميت بذلك لما كان فيها من المشقة كما يأتي بيانه ولما كان يتوهم في هذه على ضبطه الثاني انها سميت بذلك لما سميت به تبوك وصغرت دفع هذا الوهم وخصها دون السابقتين فقال (ونسبت هذه الى المكان الذي وصلوا اليه وهو موضع لبني مدلج بينبع) ليس بينها وبين البلد الا الطريق السالك كما في النور وغيره وفي القاموس موضع ناحية ينبع وفيه ينبع كينصر حصن له عيون ونخيل وزرع بطريق حاج مصر فهو غير مصروف كيشكر وفي الفتح يذكر ويؤنث قال ابن اسحق موضع ببطن ينبع وفي الروض معنى العسيرا والعسيرة انه اسم مصغر من العسرى والعسر واذا صغر تصغير ترخيم قيل عسير وهي بقلة تكون اذنة أي عصيفة ثم تكون سحاء ثم يقال لها العسرى (وخرج اليها صلى الله عليه وسلم في جمادى الاولى) قاله ابن اسحق وتبعه ابن حزم وغيره (وقيل الآخرة) قاله ابن سعد أي المتأخرة وفي نسخة الاخرى وعبر به لمقابلتها بالاولى فاندفع اللبس بالواحدة المتناولة للمتقدمة والمتأخرة وقد ذكر السيوطي في الشماريخ ما حاصله انه اذا دلت قرينة على المراد ساغ التعبير بالآخر والاخرى وفي نسخة الاول وقيل الآخر بتذكيرهما ذهابا الى معنى الشهر وان كان المصباح انما نقل تاويله اذا وقع في شعر والا فجمادان مؤنثان دون الشهور ويخرج تذكير الآخر أيضا على مفاد الشماريخ (على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة في خمسين ومائة رجل وقيل) في (مائتين) حكاهما ابن سعد وزاد من قريش من المهاجرين ممن انتدب ولم يكره أحدا على الخروج (رجلا) تمييز مائتين وهو شاذ كقوله

اذا عاش الفتى مائتين عاما * فقد ذهب المسرة والفتاء

ولا يقاس عليه عند الجمهور والقياس في مائتي رجل بالاضافة (ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها) يركبها بعضهم ثم ينزل فيركب غيره (وحمل اللواء وكان أبيض حمزة) اسد الله وأسد رسوله (يريد عير قريش التي صدرت من مكة الى الشام بالتجارة) وكانت قريش جمعت أموالها في تلك العير ويقال ان فيها خمسين ألف دينار وألف بعير ولا يرد على هذا أن العير الابل التي تحمل الميرة لقول المصباح انها غلبت على كل قافلة (فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت) قبل ذلك بأيام وهي العير التي خرج اليها حين رجعت من الشام فكان بسببها وقعة بدر الكبرى كما في العيون وغيرها قال أبو عمر فأقام هنالك بقية جمادى الاولى وليالي من جمادى الآخرة وبه يعلم أن في قول اليعمري فأقام بها جمادى الاولى الخ تجوزا بدليل قوله أولا خرج في أثناء جمادى الاولى (ووادع) في هذه السفرة (بني مدلج) زاد ابن اسحق وحلفاءهم من بني ضمرة وتقدم في ودان انه وادع بني ضمرة فلعلها تأكيد للاولى أو أن حلفاء بني مدلج كانوا خارجين عن بني ضمرة لامر ما وبسببه حالفوا بني مدلج فكان ابتداء صلح لبني مدلج (من كنانة) هي تجمع بني مدلج وبني ضمرة لان كلا قبيلة من كنانة وذكر الواقدي أن هذه السفرات الثلاث كان صلى الله عليه وسلم يخرج فيها للتلقي تجار قريش حين يمرون الى الشام ذهابا وايابا وبسبب ذلك كانت وقعة بدر وكذلك السرايا

التي

التي بعثها قبل بدر * تتميم * روى ابن اسحق وأحمد من طريقه عن عمار أن النبي صلى الله عليه وسلم كنى عليا أبا تراب حين نام هو وعمار في نخل لبني مدلج مجتمع والصق بهما التراب قال فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحركنا برجله وقد تتربنا فيومئذ قال لعلي بن أبي طالب مالك يا أبا تراب ويعارضه ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد عليا فقال لها اين ابن عمك قالت كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي فقال صلى الله عليه وسلم لانسان انظر أين هو فجاء فقال يا رسول الله هو في المسجد راقد فجاء صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول قم أبا تراب وفي رواية اجلس أبا تراب مرتين قال سهل وما كان له اسم أحب اليه منه وغلط ابن القيم رواية السيرة وقال انما كناه بذلك بعد بدر وهو أول يوم كناه فيه وقال السهيلي ما في الصحيح أصح الا أن يكون كناه بها مرة في هذه الغزوة ومرة بعدها في المسجد وقال الحافظ وصاحب النور الى ذا الجمع لكنهما قالا فان صح فيكون كناه الخ اشارة للتوقف فيه فان اسناده لا يخلو من مقال قيل ولهذا اختص علي بقولهم كرم الله وجهه دون غيره من الصحابة والآل وقيل لانه لم يسجد لصنم قط وقيل غير ذلك وروى الطبراني عن ابن عباس وابن عساكر عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم لما آخى بين أصحابه ولم يواخ بين علي وبين أحد غضب فذهب الى المسجد فذكر نحو حديث الصحيح قال الحافظ ويمتنع الجمع بينهما الا أن المواخاة كانت أول ما قدم المدينة ودخول علي على فاطمة بعد ذلك بمدة وما في الصحيح أصح انتهى ولم يظهر من تعليله امتناع الجمع فانه يمكن بمثل ما جمعوا به بين الحديثين قبله فيكون كناه ثلاث مرات أولها يوم المواخاة في المسجد وثانيها في هذه الغزوة في نخل بني مدلج وثالثها بعد بدر في المسجد لما غاضب الزهراء وانما يمتنع لو قال في رواية الصحيحين انه أول يوم كناه فيه كما ادعى ابن القيم (وكانت نسخة الموادعة) بينه صلى الله عليه وسلم وبين بني ضمرة الواقعة في غزوة ودان وذكرها هنا وان كان الاولى تقديمها ثم كما فعل السهيلي وأتباعه لانه أراد ذكر الغزوات الثلاث على حدة ولم يخش لبس انها لبني مدلج لتصريح الكتاب أنها لبني ضمرة ولذا أسقط أولا قول ابن اسحق وحلفاؤهم من بني ضمرة (فيما ذكر غير ابن اسحق) كما أفاده السهيلي في الروض (بسم الله الرحمن الرحيم) فيه ندب افتتاح الكتب بالبسملة فقط وقد جمعت كتبه صلى الله عليه وسلم الى الملوك وغيرهم فوجدت مفتتحة بها دون حمدلة وغيرها (هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة بأنهم) بالباء الموحدة كما هو المنقول في الروض وغيره ويقع في نسخ فانهم بالفاء وفي توجيهها عسر (آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من رامهم) أي قصدهم بسوء بشرط (أن لا يحاربوا) أي يخالفوا (في دين الله) بارادتهم ابطال ما جاء به الشرع أو المعنى على من قصدهم يريد منهم أن لا يحاربوا في نصرة دين الله (ما بل بحر صوفة) كناية عن تأبيد مناصرتهم اذ معلوم أن ماء البحر لا ينقطع (وان النبي) صلى الله عليه وسلم (اذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله) بكسر الذال المعجمة أي عهده (و) عهد (رسوله) وقصرها الشامي بأمانه والاول أولى وفي مقدمة

الفتح ذمة الله أى ضمانه وقيل الذمام الامان زاد فى الروض ولهم النصر على من برّ منهم واتقى وعلى بمعنى اللام أى لمن برّ منهم واتقى النصر منا على عدوهم (قال ابن هشام) عبد الملك (واستعمل) صلى الله عليه وسلم (على المدينة) فى خروجه للعشيرة (أباسلمة) عبد الله (ابن عبد الاسد) بسين ودال مهملتين المخزومى البدرى أحد السابقين

* ثم غزوة بدر الاولى *

(قال ابن اسحق ولما رجع عليه الصلاة والسلام أى من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالى) قلائل لا تبلغ العشر كما هو نص ابن اسحق (وقال ابن حزم بعد العشيرة بعشرة أيام) نقله عنه مغلطاى ونقل الشامى عنه انه عليه السلام خرج فى ربيع الاول على رأس ثلاثة عشر شهرا وهو مبنى على أن هذه قبل العشيرة كما ذهب اليه ابن سعد ورزين وغيرهما وابن اسحق الى انها بعدها (حتى) غاية للاثبات المستفاد من نقض النفى بالا فكأنه قال استمرت اقامته الى أن (أغار كرز) بضم الكاف وسكون الراء وبالزاى (ابن جابر الفهرى) نسبة الى جده الاعلى فهر بن مالك بن النضر كان من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب وأمّر على سرية واستشهد فى غزوة فتح مكة (على سرح المدينة) بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات الابل والمواشى التى تسرح للرعى بالغداة كما فى النور والسبل ولعل المراد بالمواشى المال السائم كما فى المختار فى الشرح وان كانت المواشى كما فى القاموس الابل والغنم وفى العيون السرح ما رعوا من نعمهم ويروى انه اغار عليهم من سعر وفى خلاصة الوفاء سعر كزفر جمع سعير الوادى جبل بأصل حمى أمّ خالد يهبط منه الى بطن العقيق كان يرعى بها السرح (فخرج صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سفوان بفتح المهملة و) فتح (الفاء) وبالنون (موضع من ناحية بدر) ذكره فى النهاية وتبعه السمهودى فقال سفوان بفتحات واد من ناحية بدر وقيل الفاء ساكنة (ففاته كرز بن جابر وتسمى بدرا الاولى قال ابن هشام واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللواء) وكان أبيض كما فى الشامية (على بن أبى طالب رضى الله عنه) فرجع ولم يلق كيدا

(ثم سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش) بن رياب براء مكسورة فتحتية فموحدة ابن معمر الاسدى أحد السابقين البدرى وهاجر الى الحبشة واستشهد بأحد روى أبو القاسم البغوى عن سعد بن أبى وقاص بعثنا صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال لابعثن عليكم رجلا اصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش فكان أول أمير فى الاسلام قال اليعمرى سمى فى هذه السرية أمير المؤمنين وقال غيره سماه صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين فهو أول من تسمى به فى الاسلام ولا ينافيه القول بأن أول من تسمى به عمر لان المراد من الخلفاء أو على العموم وهذا على من معه (فى رجب) عند الاكثر وقطع به الحافظ فى سيرته وفى الفتح وقيل فى جمادى الآخرة (على رأس سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية) كما رواه ابن اسحق وسماهم فقال أبو حذيفة بن عتبة العبشمى وعكاشة بن محصن الاسدى وعتبة ابن غزوان وسعد بن أبى وقاص وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن البكير وسهيل ابن بيضاء (وقيل اثنا عشر) فزيد عامر بن اياس والمقداد بن عمرو وصفوان بن بيضاء فلعل القائل بالثانى عدّ الامير منهم وهو ظاهر قول الحافظ فى كتاب العلم وكانوا اثنى عشر

رجلا

رجلا انتهى وزيادة بعضهم وجابر السلمي خطأ لانه انصاري وقد قال المؤلف كغيره (من المهاجرين) زاد ابن سعد ليس فيهم من الانصار أحد يعتقب كل اثنين منهم بعيرا (الى نخلة على ليلة من مكة) بين مكة والطائف وفي المعجم نخلة على يوم وليلة من مكة وهي التي ينسب اليها بطن نخلة التي استمعه الجن فيها روى ابن اسحق عن عروة مرسلا ووصله الطبراني باسناد حسن من حديث جندب البجلي أنه صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا فلما سار يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فقال سمعا وطاعة وأخبر أصحابه انه نهاه أن يستكره أحدا منهم فلم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى اذا كان ببحران بفتح الموحدة وضمها اضل سعد وعتبة بعيرهما الذي كانا يعتقبان عليه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله وأصحابه حتى نزل بنخلة (يترصد قريشا فمرت به عيرهم تحمل زبيبا وأدما) بفتح الهمزة والدال أي جلودا زاد ابن القيم وغيره وتجارة من تجارة قريش أي مالا من أموالهم وفي الفتح لقوا أناسا من قريش راجعين بتجارة من الشام (فيها عمرو ابن الحضرمي) بمهملة ومعجمة ساكنة واسمه عبد الله بن عباد أو ابن عمار له عمرو هذا وعامر والعلاء وأختهم الصعبة أسلم والعلاء كان من أفاضل الصحابة وكذا الصعبة وهي أم طلحة ابن عبيد الله وفيها أيضا عثمان ونوفل ابنا عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان فنزلوا قريبهم فهابوهم فأرشدهم عبد الله الى ما يزيل فزعهم فحلق عكاشة رأسه وقيل واقد وأشرف عليهم فلما رأوهم أمنوا وقالوا عمار بضم العين وشد الميم أي معتمرون لا بأس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاما (فتشاور المسلمون وقالوا نحن في آخر يوم من رجب) ويقال أول يوم من شعبان وقيل في آخر يوم من جمادى الآخرة وفي الاستيعاب الاكثر أن سرية عبد الله في غرة رجب الى نخلة وفيها قتل ابن الحضرمي لليلة بقيت من جمادى الآخرة قال البرهان وهو تباين ولعله غلط من الناسخ صوابه لليلة بقيت من رجب فيتفق الكلامان مع تأويل أي قوله في غرة رجب وقوله بقيت من رجب على ما صوب مع تأويل اليوم بالليلة لقربها منه أو الليلة باليوم وقد يقال لا تباين ولا غلط بل هو اشارة للشك الذي وقع لهم ففي حديث جندب عند الطبراني وغيره ولم يدروا أذلك اليوم من رجب أو من جمادى وحاصله انهم شكوا في اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا (فان قتلناهم هتكنا حرمة الشهر) الحرام (وان تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة) فامتنعوا به منا ثم شجعوا أنفسهم عليهم (فأجمعوا على قتلهم) أي قتل من قدروا عليه منهم كما في الرواية (فقتلوا عمرا) الحضرمي وفيه تجوز لانه لما كان برضاهم نسب اليهم والا فالقاتل له كما في الرواية واقد بن عبد الله رماه بسهم فقتله (واستأسروا) أي أسروا (عثمان بن عبد الله ابن المغيرة المخزومي) (والحكم بن كيسان) بفتح الكاف وسكون التحتية وسين مهملة ونون روى الواقدي عن المقداد قال أنا الذي اسرت الحكم فأراد واقد قتله فاسلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهرب من هرب) وسمي في الرواية منهم نوفل بن عبد الله

(واستاقوا العير) أى ساقوها فالجرّد والمزيد بمعنى كما فى القاموس أى أخذوها (فكانت أوّل غنيمة فى الاسلام) قال فى الفتح وأوّل قتل وقع فى الاسلام (فقسمها ابن جحش) بين أصحابه (وعزل الخمس من ذلك) باجتهاد منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قبل ان يفرض) الخمس كما رواه ابن اسحق عن بعض آل عبد الله قال ابن سعد فكان أوّل خمس خمس فى الاسلام (ويقال بل قدموا بالغنيمة كلها) المدينة فقسمها صلى الله عليه وسلم بعد بدر ويقال تسلمها منهم وخمسها ثم قسمها عليهم ولم يحك لمنابذته للمروى عند ابن اسحق والطبرانى بلفظ فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فأخر الاسيرين والغنيمة) لتوقفه فى حل ذلك وأبى أن يأخذ شيأ من ذلك وفيه أن شرع من قبلنا شرع لنا حتى يرد ناسخ قال فى الرواية فلما قال صلى الله عليه وسلم ذلك سقط فى أيدى القوم وظنوا انهم هلكوا وعنفهم اخوانهم فيما صنعوا (حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائمها) على غانميها فقط لا انه خلطها مع غنائم بدر وعمّ بها الجميع وذكر ابن وهب أنه صلى الله عليه وسلم ردّ الغنيمة وودى القتيل قال ابن القيم والمعروف فى السير خلافه (وتكلمت قريش ان محمدا اسفك الدماء وأخذ المال) أى أمر بهما (فى الشهر الحرام) أوهو حقيقة بأن علوا أوظنوا أخذه عليه السلام الغنيمة من أصحابه زاد ابن اسحق فى روايته وأمر فيه الرجال فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كانوا بمكة انما أصابوا ما أصابوا فى شعبان وقالت يهود تفاءل بذلك عليه صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمى حضرت الحرب وواقد وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم (فأنزل الله تعالى) بعد أن أكثر الناس القول (يسألونك) قال البيضاوى أى الكفار بعثوا يعيرون وقيل أصحاب السرية (عن الشهر الحرام قتال فيه) بدل اشتمال (الآية) قال فى الرواية ففرج الله عن المسلمين وأهل السرية ما كانوا فيه ولكنهم ظنوا أنه انما نفى عنهم الاثم فلا أجر لهم فطمعوا فيه فقالوا يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين وفى رواية ان لم يكونوا أصابوا وزرا فلا أجر لهم فأنزل الله ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم فوضعهم الله تعالى من ذلك على أعظم الرجاء (وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش) كما قال ابن هشام وقال ابن اسحق الصديق ورجح البرهان الاول بما فى الاستيعاب عن الزهرى ان أبا بكر لم يقل شعرا فى الاسلام حتى مات فان صح فلا يعارضه كل امرئ مصبح فى أهله البيت لانه تمثل به وانما هو لحنظلة بن سيار كما قاله عمر بن شبة وقد ذكرها ابن اسحق ستة أبيات اقتصر المصنف كاليعمرى على ثلاثة وأذكر ما حذفه فقال (تعدون قتلا فى) الشهر (الحرام عظيمة * وأعظم) أكبر وأشد (منه) من القتل الواقع منا فيه وجملة (لو يرى الرشد راشد *) معترضة وجواب لو محذوف أى لعلم أن فعلكم أعظم (صدودكم) خبر أعظم (عما يقول محمد * وكفر به والله راء وشاهد *) جملة حالية والثالث والرابع

واخراجكم من مسجد الله أهله * لئلا يرى لله فى البيت ساجد

فانا وان عيرتمونا بقتله * وارجف بالاسلام باغ وحاسد

(سقينا من) عمرو (بن) عبدالله (الحضرمى رماحنا * بنخلة لما) حين (أوقد الحرب واقد) بن عبدالله التميمى برميه ابن الحضرمى بسهم قتله به والبيت السادس هو

دما وابن عبدالله عثمان بيننا * ينازعه غل من القيد عاقد

وغل بضم المعجمة طوق من حديد يجعل فى العنق وأما بكسرها فالحقد كما فى المصباح ولم يذكر الناظم الحكم مع انه اسير أيضا لجواز أنه بعد اسلامه أو قبله وصرفه الله عن ذلك لعلمه بأنه من السعداء الشهداء (وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسيرين وهما عثمان بن عبدالله) المخزومى (والحكم بن كيسان) فقال صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعدا وعتبة فانا نخشاكم عليهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة بعدهم بأيام (ففداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم) كل واحد بأربعين أوقية كما فى الشامية (فأما الحكم) بن كيسان مولى عمرو المخزومى والد أبى جهل (فأسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا) ذكره ابن اسحق وابن عقبة وعروة بن الزبير وروى الهيثم بن عدى عن يونس عن ابن عباس وعن أبى بكر بن أبى جهم قالا تزوج الحكم بن كيسان مولى بنى مخزوم وكان حجاما آمنة بنت عفان أخت عثمان وكانت ماشطة ذكره فى الاصابة (وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا) ومن يضلل الله فلا هادى له

* تحويل القبلة وفرض رمضان وزكاة الفطر *

(ثم حولت القبلة) أى الاستقبال لا ما يستقبله المصلى اذ لا يتعلق به تحويل أو حول أى غير وجوب استقبال المقدس (الى الكعبة) الترتيب ذكرى لا زمانى فلا يرد عليه جزمه ان السرية على رأس سبعة عشر شهرا فى رجب وحكايته الخلاف الآتى فى التحويل (وكان صلى الله عليه وسلم يصلى الى) صخرة (بيت المقدس) التى كان موسى يصلى اليها بحذاء الكعبة وهى قبلة الانبياء كلهم نقله القرطبى عن بعضهم وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظى قال ما خالف نبى نبيا فى قبلة ولا سنة الا انه صلى الله عليه وسلم استقبل بيت المقدس ثم تحول الى الكعبة وروى أبو داود فى الناسخ والمنسوخ عن الحسن فى قوله تعالى ان أول بيت وضع للناس الآية قال اعلم قبلته فلم يبعث نبى الا وقبلته البيت وهذا قواه الحافظ العلائى فقال فى تذكرته الراجح عند العلماء أن الكعبة قبلة الانبياء كلهم كما دلت عليه الآثار قال بعضهم وهو الاصح انتهى واختار ابن العربى وتلميذه السهيلى أن قبلة الانبياء بيت المقدس قال بعض وهو الصحيح المعروف فعد صاحب الانموذج من خصائص المصطفى وأمته استقبال الكعبة انما هو على أحد القولين المرجحين نعم ذكر فيما اختص به على جميع الانبياء والمرسلين أن الله جمع له بين القبلتين صلى الله عليه وسلم (بالمدينة) حال (ستة عشر) شهرا كما رواه مسلم عن أبى الاحوص والنسائى عن زكريا بن أبى زائدة وشريك وأبو عوانة عن عمار بن رزيق بتقديم الراء مصغرا اربعتهم عن أبى اسحق عن البراء بن عازب جزما ورواه أحمد بسند صحيح عن ابن عباس ورجحه النووى

فى شرح مسلم وفى رواية زهير عند البخارى واسرائيل عنده وعند الترمذى عن أبى اسحق عن البراء ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا بالشك (وقيل سبعة عشر) شهرا رواه البزار والطبرانى من حديث عمرو بن عوف والطبرانى أيضا من حديث ابن عباس وهو قول ابن المسيب ومالك وابن اسحق قال القرطبى وهو الصحيح قال الحافظ والجمع بينهما سهل بأن من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرا والغى الايام الزائدة ومن جزم بسبعة عشر عدهما معا ومن شك تردد فى ذلك وذلك أن القدوم كان فى شهر ربيع الاول بلاخلاف وكان التحويل فى نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح وبه جزم الجمهور ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس وقال ابن حبان سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام وهو مبنى على أن القدوم كان فى ثانى ربيع الاول انتهى قال البرهان ويمكن أن هذا مراد من قال سبعة عشر بالغاء الكسر (وقيل ثمانية عشر شهرا) رواه ابن ماجه من طريق أبى بكر بن عياش عن أبى اسحق عن البراء قال الحافظ وهو شاذ وأبو بكر سيئ الحفظ وقد اضطرب فيه فعند ابن جرير من طريقه فى رواية سبعة عشر وفى أخرى ستة عشر قال ومن الشذوذ أيضا رواية ثلاثة عشر شهرا ورواية تسعة أشهر أو عشرة أشهر ورواية شهرين ورواية سنتين ويمكن حمل الاخيرة على الصواب وأسانيد الجميع ضعيفة والاعتماد على الثلاثة الاول فجملة ما حكى تسع روايات انتهى وكانه لم يعد رواية الشك والا كانت عشرة وكذا لم يعدها البرهان وعد الاقوال عشرة فزاد القول بأنه بضعة عشر شهرا ولم يعده الحافظ لانه يمكن تفسيره بكل مازاد على العشرة (وقال) ابراهيم (الحربى قدم عليه الصلاة والسلام المدينة فى ربيع الاول فصلى الى بيت المقدس تمام السنة وصلى من سنة اثنتين ستة أشهر ثم حولت القبلة) وهذا محتمل لان يكون المراد أن مدة الصلاة لبيت المقدس دون ستة عشر ولذا قال فى النور هذا كاد أن يكون قولا انتهى ومحتمل لان يكون مراده ستة عشر بشهر القدوم (وقيل كان تحويلها فى جمادى الآخرة وبه جزم ابن عقبة (وقيل كان يوم الثلاثاء فى نصف شعبان) قاله محمد بن حبيب وجزم به فى الروضة مع ترجيحه فى شرح مسلم رواية ستة عشر شهرا للجزم بها فى مسلم كما مر قال الحافظ ولا يستقيم انه فى شعبان الا بالغاء شهرى القدوم والتحويل انتهى نعم هو يوافق رواية سبعة عشر بتلفيق واحد من شهرى القدوم والتحويل والقول الشاذ بانه ثمانية عشر بالغاء الكسر واعتبار شهرى التحويل والقدوم (وقيل يوم الاثنين نصف رجب) رواه أحمد عن ابن عباس باسناد صحيح قال الواقدى وهذا أثبت قال الحافظ وهو الصحيح وبه جزم الجمهور كما مر وهو صالح لروايتى ستة عشر وسبعة عشر والشك فالحاصل فى الشهر ثلاثة أقوال وفى اليوم قولان (وظاهر حديث البراء) بتخفيف الراء والمد على الاشهر ابن عازب الانصارى الاوسى الصحابى ابن الصحابى (فى البخارى انها) أى الصلاة التى وقع فيها التحويل (كانت صلاة العصر) لقوله وانه أى النبى صلى الله عليه وسلم صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر أى متوجها الى الكعبة (ووقع عند النسائى من رواية أبى سعيد بن المعلى) بضم الميم وفتح المهملة وشد اللام صحابى جليل اسمه

سعيد

سعيد وقيل رافع ووهاه ابن عبد البر وقوى الاول (انها الظهر) وكذا عند الطبرانى والبزار من حديث انس وعند ابن سعد حولت فى صلاة الظهر أو العصر وجمع الحافظ فقال فى كتاب الايمان التحقيق أن أول صلاة صلاها فى بنى سلمة لما مات بشر بن البراء بن معرور الظهر وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوى العصر (وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر الى صلاة الفجر) أى الصبح (من اليوم الثانى) وقال فى كتاب الصلاة لا منافاة بين الخبرين لان الخبر وصل وقت العصر الى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة ووصل وقت الصبح الى من هو خارجها وهم أهل قباء (كما فى الصحيحين) البخارى فى الصلاة والتفسير ومسلم فى الصلاة وكذا النسائى (عن ابن عمر) بن الخطاب (أنه قال بينا الناس) المعهودون فى الذهن (بقباء) بالمد والتذكير والصرف على الاشهر ويجوز القصر وعدم الصرف ويؤنث موضع معروف ظاهر المدينة وفيه مجاز الحذف أى بمسجد قباء (فى صلاة الصبح) ولمسلم فى صلاة الغداة وهو احد أسمائها ونقل بعضهم كراهة تسميتها بذلك (اذ جاءهم آت) قال الحافظ لم يسم وان كان ابن طاهر وغيره نقلوا أنه عباد بن بشر ففيه نظر لان ذلك انما ورد فى حق بنى حارثة فى صلاة العصر فان كان ما نقلوه محفوظا فيحتمل أن عبادا أتى بنى حارثة أولا وقت العصر ثم توجه الى أهل قباء فأعلمهم بذلك فى الصبح ومما يدل على تعددهما أن مسلما روى عن أنس أن رجلا من بنى سلمة مر وهم ركوع فى صلاة الفجر فهذا موافق لرواية ابن عمر فى تعيين الصلاة وبنو سلمة غير بنى حارثة انتهى وكون مخبر بنى حارثة عباد بن بشر رواه ابن منده وابن أبى خيثمة وقيل عباد بن نهيك بفتح النون وكسر الهاء ورجح أبو عمر الاول وقيل عباد بن نصر الانصارى قال الحافظ والمحفوظ عباد بن بشر انتهى وقيل عباد بن وهب قال البرهان ولا أعرفه فى الصحابة الا أن يكون نسب الى جده أو جد له أعلى أو الى خلاف الظاهر انتهى (فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم) أسقط من الحديث ما لفظه قد انزل عليه الليلة قرآن قال الحافظ فيه اطلاق الليلة على بعض اليوم الماضى وما يليه مجازا والتنكير لارادة البعضية والمراد قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآية و(قد أمر) بضم الهمزة مبنيا للمفعول (أن) أى بأن (يستقبل) بكسر الموحدة أى باستقبال (الكعبة فاستقبلوها) بفتح الموحدة عند أكثر رواة الصحيحين على أنه فعل ماض أى تحول أهل قباء الى جهة الكعبة (وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة) وضمير استقبلوها ووجوههم لاهل قباء ويحتمل أنه للنبى صلى الله عليه وسلم ومن معه وفى رواية الاصيلى للبخارى والعذرى لمسلم فاستقبلوها بكسر الموحدة بصيغة الامر قال الحافظ وفى ضمير وجوههم الاحتمالان المذكوران وعوده الى أهل قباء أظهر وترجح رواية الكسر رواية البخارى فى التفسير بلفظ وقد أمر أن يستقبل الكعبة الا فاستقبلوها فدخول حرف الاستفتاح يشعر بأن الذى بعده أمر لا أنه بقية الخبر الذى قبله انتهى وفى النور أن بعض الحفاظ قال الكسر افصح وأشهر وهو الذى يقتضيه تمام الكلام بعده (وفى هذا) الحديث من الفوائد (أن الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله لانهم لم يؤمروا باعادة العصر والمغرب والعشاء) زاد الحافظ

واستنبط منه الطحاوى أن من لم تبلغه الدعوة ولم يمكنه استعلام فالفرض غير لازم له وفيه جواز الاجتهاد فى زمنه صلى الله عليه وسلم لانهم لما تمادوا فى الصلاة ولم يقطعوها دل على انه رجح عندهم التمادى والتحول على القطع والاستئناف ولا يكون ذلك الاعن اجتهاد كذا قيل وفيه نظر لاحتمال أن عندهم فى ذلك يقينا سابقا لانه عليه السلام كان مترقبا للتحويل فلا مانع من تعليمهم ما صنعوا من التمادى والتحول وفيه قبول خبر الواحد ووجوب العمل به ونسخ ما تقرر بطريق العلم به لان صلاتهم الى بيت المقدس كانت عندهم بطريق القطع لمشاهدتهم صلاته صلى الله عليه وسلم اليه وتحولوا الى جهة الكعبة بخبر هذا الواحد وأجيب بأن الخبر المذكور احتفت به قرائن ومقدمات افادت العلم عندهم بصدق الخبر فلم ينسخ عندهم ما يفيد العلم الا بما يفيد العلم وقيل كان النسخ بخبر الواحد جائزا فى زمنه صلى الله عليه وسلم مطلقا وانما منع بعده ويحتاج الى دليل انتهى (وروى الطبرى) محمد بن جرير من طريق على بن أبى طلحة (عن ابن عباس) قال (لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود أكثر أهلها يستقبلون) خبر ثان لليهود أو لمبتدا محذوف أى وهم يستقبلون (بيت المقدس أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس) ليجمع له بين القبلتين كما عده السيوطى من خصائصه على الانبياء والمرسلين وتأليفا لليهود كما قال أبو العالية (ففرحت اليهود) لظنهم أنه استقبله اقتداء بهم مع انه انما كان لامر ربه (فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلى الله عليه وسلم يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم) وعند الطبرى أيضا من طريق مجاهد عن ابن عباس قال انما أحب أن يتحول الى الكعبة لان اليهود قالوا يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا وعند ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل وددت ان الله صرف وجهى عن قبلة يهود فقال جبريل انما أنا عبد فادع ربك وسله وعند السدى فى الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يحبه أن يصلى قبل الكعبة لانها قبلة آبائه ابراهيم واسمعيل فقال لجبريل وددت أنك سألت الله أن يصرفنى الى الكعبة فقال جبريل لست أستطيع أن أبتدئ الله عز وجل بالمسئلة ولكن ان سألنى أخبرته (فكان يدعو) دعاء محبة لذلك بالحال لا بالقال فنى الفتح فيه بيان شرف المصطفى وكرامته على ربه لاعطائه له ما احب من غير تصريح بالسؤال وعليه فالعطف تفسيرى فى قوله (وينظر الى السماء) ينتظر جبريل ينزل عليه كما عند السدى وغيره ولانها قبلة الداعى (فنزلت الآية) يعنى قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وبقية حديث ابن عباس هذا عند ابن جرير فارتاب فى ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها فأنزل الله قل لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله (قال فى فتح البارى) فى كتاب الصلاة (وظاهر حديث ابن عباس هذا أن استقبال بيت المقدس انما وقع بعد الهجرة الى المدينة لكن أخرج أحمد من وجه آخر عن ابن عباس) قال (كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه) فحصل تخالف بين حديثيه اذ مقتضى الاول انه انما أمر به فى المدينة وهذا صريح فى انه كان بمكة (قال) يعنى فى الفتح (والجمع بينهما ممكن بأن يكون أمر) صلى الله عليه وسلم

(لما

(لما هاجر أن يستمر على الصلاة لبيت المقدس) فالامر بابتداء استقباله كان بمكة والذى بالمدينة باستمراره ثم نسخ باستقبال الكعبة فلم يقع نسخ بيت المقدس الامرة واحدة (وأخرج الطبرى) محمد بن جرير (أيضا من طريق ابن جريج) بجيمين مصغر عبد الملك ابن عبد العزيز بن جريج الاموى مولاهم المكى الثقة الفقيه الحافظ أحد الاعلام مات سنة خمسين ومائة (قال صلى النبى صلى الله عليه وسلم أول ماصلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج) بكسر المهملة وفتح الجيم الاولى وكسر الثانية منون أى سنين بناء على أن الاسراء قبل الهجرة بخمس سنين أما على انه قبلها بسنة أو نحوها فالمراد ما كان يصليه قبل فرض الخمس (ثم هاجر فصلى اليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله الى الكعبة) فهذا الاثر صريح فى الجمع المذكور فلا بأس به وقوله فى حديث ابن عباس الثانى والكعبة بين يديه يخالف قول البراء عند ابن ماجه صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهرا وصرفت القبلة الى الكعبة بعد دخول المدينة فان ظاهره انه كان يصلى بمكة الى بيت المقدس محضا * وحكى الزهرى خلافا فى انه كان بمكة يجعل الكعبة خلف ظهره أو يجعلها بينه وبين بيت المقدس قال الحافظ فعلى الاول كان يجعل الميزاب خلفه وعلى الثانى كان يصلى بين الركنين اليمانيين وزعم ناس انه لم يزل يستقبل الكعبة بمكة فلما قدم المدينة استقبل بيت المقدس ثم نسخ وحمل ابن عبد البر هذا على القول الثانى ويؤيد حمله على ظاهره امامة جبريل ففى بعض طرقه ان ذلك كان عند البيت وفى الفتح أيضا اختلفوا فى الجهة التى كان يصلى اليها بمكة فقال ابن عباس وغيره كان يصلى الى بيت المقدس لكنه كان لا يستدبر الكعبة بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس وأطلق آخرون أنه كان يصلى الى بيت المقدس وقال آخرون كان يصلى الى الكعبة فلما هاجر استقبل المقدس وهذا ضعيف ويلزم منه دعوى النسخ مرتين والاول أصح لانه يجمع به بين القولين وقد صححه الحاكم وغيره من حديث ابن عباس انتهى ولا يخالفه قول ابن العربى نسخ الله القبلة ونكاح المتعة ولحوم الحمر الاهلية مرتين مرتين ولا أحفظ رابعا وقال أبو العباس العزفى بفتح المهملة والزاى وبالفاء رابعها الوضوء مما مست النار ونظم ذلك السيوطى لان مراد الحافظ أن خصوص نسخ بيت المقدس لم يتكرر وما أثبته ابن العربى النسخ للقبلة فى الجملة بمعنى انه أمر باستقبال الكعبة ثم نسخ باستقبال بيت المقدس ثم نسخ بالكعبة كما هو مدلول كلاميهما ودل عليه اثر ابن جريج (وقوله فى حديث ابن عباس الاول أمره الله يرد قول من قال) وهو الحسن البصرى (انه صلى الى بيت المقدس باجتهاد) وكذا قول الطبرى كان مخيرا بينه وبين الكعبة فاختاره طمعا فى ايمان اليهود ويرده أيضا سؤاله لجبريل اذ لو كان مخيرا لاختار الكعبة لما احبها من غير سؤال قال شيخنا الا أن يقال بعد اختياره وجب عليه لكنه استبعد هذا بمجلسه لان فيه تضييقا عليه ولو خير كان كتخييره بين المسح على الخفين وغسل الرجلين والذى عليه الجمهور كما قال القرطبى انه انما كان بأمر الله ووحيه (وعن أبى العالية) رفيع بضم الراء مصغر ابن مهران بكسر الميم الرماحى بكسر الراء وتحتية مولاهم البصرى التابعى الكبير أخرج له

الجميع (انه صلى الى بيت المقدس يتألف أهل الكتاب) وعن الزجاج امتحانا للمشركين لانهم ألفوا الكعبة (وهذا لاينفى أن يكون بتوقيف) فقد يكون الامر به لتأليفهم (واختلفوا فى المسجد الذى كان يصلى فيه) حين حولت القبلة (فعند ابن سعد فى الطبقات أنه) صلى الله عليه وسلم (صلى ركعتين من الظهر فى مسجده) النبوى (بالمسلمين ثم أمر أن يتوجه الى المسجد الحرام) أى الكعبة وعبر به كالآية دون الكعبة لانه كما قال البيضاوى كان عليه السلام بالمدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها أى للبعيد حرج عليه بخلاف القريب (فاستداروا اليه ودار معه المسلمون) فصلى بهم ركعتين أخريين لان الظهر كانت يومئذ أربعا فثنتان منها لبيت المقدس وثنتان للكعبة ووقع التحويل فى ركوع الثالثة كما فى النور فجعلت كلها ركعة للكعبة مع ان قيامها وقراءتها وابتداء ركوعها للقدس لانه لا اعتداد بالركعة الا بعد الرفع من الركوع ولذا يدركها المسبوق قبله (ويقال انه عليه السلام زار أم بشر بن البراء بن معرور) بمهملات يقال اسمها خليدة كما فى التجريد (فى بنى سلمة) بكسر اللام والنسبة اليها بفتحها على المشهور وفى الالفية والسلمى افتحه فى الانصار وفى اللب كسرها المحدثون فى النسبة أيضا (فصنعت له طعاما وكانت) أى وجدت (الظهر) أى دخل وقتها فكان تامة لكن المذكور فى الفتح الذى هو ناقل عنه وكذا العيون والسبل عن ابن سعد بلفظ وحانت الظهر بمهملة أى دنا وقتها (فصلى عليه السلام بأصحابه ركعتين ثم امر) باستقبال الكعبة فى ركوع الثالثة (فاستداروا الى الكعبة) بأن تحول الامام من مكانه الذى كان يصلى فيه الى مؤخره فتحولت الرجال حتى صاروا خلفه وتحولت النساء حتى صرن خلف الرجال ولا يشكل بأنه عمل كثير لاحتمال أنه قبل تحريمه فيها كالكلام أو اغتفر هذا العمل للمصلحة أو لم تتوال الخطا عند التحويل بل وقعت متفرقة (فسمى مسجد القبلتين) لنزول النسخ وتحويله عليه السلام فيه ابتداء فلا يرد أن التحويل وقع فى مسجدى قباء وبنى حارثة ولم يسميا بذلك وأيضا فحكمة التسمية لا يلزم اطرادها (قال ابن سعد قال الواقدى هذا عندنا أثبت) من القول الاول ان التحويل وقع فى المسجد النبوى (ولما حول الله القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار) المشركين من قريش (واليهود ارتياب) شك (وزيغ) ميل (عن الهدى وشك فيه (وقالوا ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) على استقبالها فى الصلاة (أى ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا) وصريحه أن هذا قول الطوائف الثلاث وبه صرح البيضاوى وسيذكر المصنف مقابله أخيرا (فأنزل الله جوابهم فى قوله) سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها (قل لله المشرق والمغرب) أى الجهات كلها لانهما ناحيتا الارض فيامر بالتوجه الى أى جهة شاء لا اعتراض عليه كما فى الجلال فحمله على الحقيقة وحمله المصنف على المجاز فقال (أى الحكم والتصرف والامر كله لله) لايسأل عما يفعل (فحيثما وجهنا توجهنا فالطاعة فى امتثال أمره ولو وجهنا كل يوم مرات الى جهات متعددة فنحن عبيده وفى تصريفه و) نحن (خدامه حيثما وجهنا توجهنا) وقد قال تعالى ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله

تقدم عن ابن عباس أن سبب نزولها انكار اليهود قال السيوطي واسناده قوى فليعتمد وفي سببها روايات أخر ضعيفة (ولله تعالى بنبينا عليه الصلاة والسلام وبأمته عناية) أى رعاية (عظيمة اذ هداهم الى قبلة خليله ابراهيم) وألقى حبها فى قلب حبيبه عليه السلام ولم يفعل ذلك بغير أمته بل تركوا على ضلالهم الذى وقعوا فيه مع انها قبلة الانبياء كلهم على أحد القولين كما مر وربما يؤيده الحديث الذى ذكره بقوله (قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد عن عائشة ان اليهود لا يحسدونا على شئ كما يحسدونا على يوم الجمعة التى هدانا الله اليها) قال الحافظ يحتمل بأن نص لنا عليه و يحتمل بالاجتهاد ويشهد له اثر ابن سيرين فى جمع أهل المدينة قبل قدوم المصطفى فانه يدل على أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد ولا يمنع ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه بالوحى وهو بمكة فلم يتمكن من اقامتها ثم قد ورد فيه حديث ابن عباس عند الدارقطنى ولذا جمع بهم أول ماقدم المدينة كما حكاه ابن اسحق وغيره وعلى هذا فقد حصلت الهداية للجمعة بجهتى البيان والتوفيق انتهى ملخصا (وضلوا عنها) لانه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل الى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم فاختلفوا فى أى الايام هو ولم يهتدوا ليوم الجمعة قاله ابن بطال ومال اليه عياض وقواه وقال النووى يمكن انهم أمروا به صريحا فاختلفوا هل يلزم بعينه أم يسوغ ابداله بيوم آخر فاجتهدوا فأخطؤا قال الحافظ ويشهد له ما للطبرى عن مجاهد فى قوله تعالى انما جعل السبت قال أرادوا الجمعة فاخطؤا وأخذوا السبت مكانه وقد روى ابن أبى حاتم عن السدى التصريح بأنه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه ولفظه ان الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا ياموسى ان الله لم يخلق يوم السبت شيأ فاجعله لنا فجعل عليهم وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم فى قوله تعالى ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وغير ذلك وكيف لا وهم القائلون سمعنا وعصينا انتهى (وعلى القبلة التى هدانا الله اليها) بصريح البيان بالامر المكرر أولا لبيان تساوى حكم السفر وغيره وثانيا للتأكيد (وضلوا عنها) لانهم لم يؤمروا باستقبال الصخرة كما دل عليه هذا الحديث وهو يؤيد مارواه أبو داود فى الناسخ والمنسوخ عن خالد بن يزيد بن معاوية قال لم تجد اليهود فى التوراة القبلة ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة فلما غضب الله على بنى اسرائيل رفعه وكانت صلاتهم الى الصخرة عن مشورة منهم وروى أبو داود أيضا أن يهوديا خاصم أبا العالية فى القبلة فقال أبو العالية كان موسى يصلى عند الصخرة ويستقبل البيت الحرام فكانت الكعبة قبلته وكانت الصخرة بين يديه وقال اليهودى بينى وبينك مسجد صالح النبى عليه السلام فقال أبو العالية فانى صليت فى مسجد صالح وقبلته الى الكعبة وفى مسجد ذى القرنين وقبلته اليها وفى البغوى فى تفسير قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة روى ابن جريج عن ابن عباس قال كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه انتهى وبه قطع الزمخشرى والبيضاوى (وعلى قولنا خلف الامام آمين) فانها لم يعطها أحد ممن كان قبلكم الا هرون فانه كان يؤمن على دعاء موسى كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث أنس عند ابن مردويه وغيره (و) روى ابن اسحق وغيره عن البراء قال (قال بعض المؤمنين) لما حولت

القبلة (فكيف صلاتنا التى صليناها نحو بيت المقدس وكيف من مات من اخواننا) من المسلمين قال فى الفتح وهم عشرة فبمكة من قريش عبدالله بن شهاب والمطلب بن ازهر الزهريان والسكران بن عمرو العامرى وبأرض الحبشة حطاب بالمهملة ابن الحرث الجمحى وعمرو بن أمية الاسدى وعبدالله بن الحرث السهمى وعروة بن عبد العزى وعدى بن نضلة العدويان ومن الانصار بالمدينة البراء بن معرور بمهملات وأسعد بن زرارة فهؤلاء العشرة متفق عليهم ومات فى المدة أيضا اياس بن معاذ الاشهلى لكنه مختلف فى اسلامه (وهم يصلون الى بيت المقدس فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم) أى صلاتكم الى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لان سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل كما ترى قال فى الفتح وقع النص على هذا التفسير عند الطيالسى والنسائى عن البراء بلفظ فأنزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم صلاتكم الى بيت المقدس انتهى وبهذا جزم الجلال فلا عليك ممن قال ايمانكم بالقبلة المنسوخة وروى البخارى من طريق زهير عن أبى اسحق عن البراء مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم قال الحافظ وباقى الروايات انما فيها ذكر الموت فقط وكذلك روى أبو داود والترمذى وابن حبان والحاكم صحيحا عن ابن عباس ولم أجد فى شئ من الاخبار أن أحدا قتل من المسلمين قبل تحويل القبلة لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع فان كانت هذه اللفظة محفوظة فتحمل على أن بعض المسلمين ممن لم يشتهر قتل فى تلك المدة فى غير جهاد ولم يضبط اسمه لقلة الاعتناء بالتاريخ اذ ذاك ثم وجدت فى المغازى رجلا اختلف فى اسلامه فقد ذكر ابن اسحق أن سويد بن الصامت لقى النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يلقاه الانصار فى العقبة فعرض عليه الاسلام فقال ان هذا القول حسن وانصرف الى المدينة فقتل بها فى وقعة بعاث بضم الموحدة واهمال العين ومثلثة وكانت قبل الهجرة قال وكان قومه يقولون لقد قتل وهو مسلم وذكر لى بعض الفضلاء انه يجوز أن يراد من قتل بمكة من المستضعفين كابوى عمار فقلت يحتاج الى ثبوت أن قتلهما بعد الاسراء انتهى (وقيل قال اليهود) مقابل ما فهم من كلامه المتقدم أن ماولاهم عن قبلتهم صدر عنهم وعن المنافقين والمشركين (اشتاق الى بلد أبيه) مكة (وهو يريد أن يرضى قومه) قريشا (ولو ثبت على قبلتنا لرجونا أن يكون هو النبى الذى ننتظر أن يأتى) وهذا القول نقله فى العيون عن السدى وزاد عنه وقال المنافقون ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها وقال كفار قريش تحير على محمد دينه فاستقبل قبلتكم وعلم انكم أهدى منه ويوشك أن يدخل فى دينكم (فأنزل الله تعالى) فى اليهود (وان الذين أوتوا الكتاب) أى التوراة (ليعلمون انه الحق من ربهم) يعنى أن اليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون أن الله تعالى سيوجهك اليها بما فى كتبهم عن أنبيائهم قال السدى وأنزل فيهم ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب الآية وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآيتين قال أى يعرفون أن قبلة النبى الذى يبعث من ولد اسمعيل قبل الكعبة كذلك هو مكتوب عندهم فى التوراة وهم يعرفونه بذلك كما يعرفون أبناءهم وهم يكتمون ذلك وهم

يعلمون

يعلمون انه الحق يقول الله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين أى الشاكين وأنزل الله في المنافقين قل لله المشرق والمغرب وفي المشركين لئلا يكون للناس عليكم حجة (ثم فرض صيام شهر رمضان) ذكر بعضهم حكمة كونه شهرا فقال لما تاب آدم من أكل الشجرة تأخر قبول توبته لما بقي في جسده من تلك الاكلة ثلاثين يوما فلما صفا جسده منها تيب عليه ففرض على ذريته صيام شهر انتهى روى الواقدي عن عائشة وابن عمر وأبي سعيد الخدري قالوا انزل فرض شهر رمضان (بعد ما حولت القبلة الى الكعبة بشهر في شعبان) أى في نصفه بناء على أن التحويل في نصف رجب أوفي أوله بناء على أنه في آخر جمادى الآخرة ولا يأتي هذا القول بأنها حولت في نصف شعبان لانه يلزم أن فرض الصوم في نصف رمضان (على رأس) أى أول (ثمانية عشر شهرا من مقدمه عليه السلام) المدينة تقريبا فلا بد من التجوز اما في شهر او في ثمانية عشر (و) فرضت (زكاة الفطر) في هذه السنة كما في حديث الثلاثة وزاد المؤلف تبعا لما في أسد الغابة (قبل العيد بيومين) وهي كما في حديثهم (أن يخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر أو صاع من شعير) بفتح الشين وتكسر (أو صاع من زبيب أو صاع من بر) أى قمح كذا في حديث الثلاثة كرواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند أبي داود وأحمد والترمذي وحسنه وذكر أبو داود أن عمر بن الخطاب جعل نصف صاع من بر مكان هذه الاشياء وفي الصحيحين أن معاوية هو الذي قوم ذلك وعند الدارقطني عن عمر أمر صلى الله عليه وسلم عمرو بن حزم بنصف صاع من حنطة ورواه أبو داود والنسائي عن ابن عباس مرفوعا وفيه فقال علي أما اذ وسع الله فاوسعوا اجعلوه صاعا من بر وغيره ويروى صاعا من دقيق ولكنها وهم من سفيان بن عيينة نبه عليه أبو داود (وذلك قبل أن تفرض زكاة الاموال) من جملة حديث عائشة وابن عمر وأبي سعيد (وقيل ان زكاة الاموال فرضت فيها) أى السنة الثانية وقيل بعدها وقيل سنة تسع (وقيل) فرضت زكاة الاموال (قبل الهجرة) حكاه مغلطاي وغيره واعترض بأنه لم يفرض بمكة بعد الايمان الا الصلاة كل الفروض بالمدينة وان قيل فرض الحج قبل الهجرة فالصحيح خلافه والاكثر أن فرض الزكاة انما كان بعد الهجرة (والله أعلم) بالصواب من ذلك وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

* باب غزوة بدر العظمى *

(ثم) بعد مجموع ما ذكر (غزوة بدر) أوفي العطف تغليب أو الترتيب ذكري فلا يرد تأخر زكاة الفطر عن وقت بدر (الكبرى) نعت لغزوة لا لبدر (وتسمى العظمى والثانية وبدر القتال) لوقوعه فيها دون الاولى والثالثة وتسمى أيضا بدر الفرقان (وهي قرية مشهورة) بين مكة والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة قاله النووي وفي معجم ما استعجم على ثمانية وعشرين فرسخا من المدينة يذكر ولا يؤنث جعلوه اسم ماء (نسبت الى بدر بن يخلد) بفتح التحتية واسكان الخاء المعجمة وضم اللام غير منصرف للعلمية ووزن الفعل هكذا في نسخة صحيحة وهو المنقول لها في أكثر النسخ كبعض نسخ الفتح مخلد بالميم

تحريف من النساخ (ابن النضر) بضاد معجمة جماع قريش ولا يستعمل الا باللام فلا يلتبس بنصر بمهملة لانه بلا لام (ابن كنانة) لانه (كان نزلها) وعلى هذا اقتصر اليعمرى وصدر به فى الفتح (وقيل بدر بن الحرث حافر بئرها) وبهذا صدر مغلطاى وأسقط الاول قائلا وقيل بدر بن كلدة (وقيل) نسبت القرية الى (بدر) فهو مجرور منون (اسم البئر التى بها سميت) البئر بدرا (لاستدارتها) كبدر السماء (أو) يعنى وقيل كما فى سيرة مغلطاى سميت البئر بدرا (لصفائها) أى صفاء مائها (ورؤية لبدر فيها) .قال ابن قتيبة كانت البئر لرجل يسمى بدرا من غفار وقيل بدر رجل من بنى ضمرة وحكى الواقدى انكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بنى غفار وانما هى مأوانا ومنازلنا وما ملكها أحد قط يقال له بدر وانما هو علم عليها كغيرها من البلاد قال البغوى وهذا قول الاكثر (قال ابن كثير وهو) أى يوم بدر (يوم الفرقان) المذكور فى قوله تعالى وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان لان الله فرق فيه بين الحق والباطل قاله ابن عباس رواه ابن جرير وابن المنذر وصححه الحاكم (الذى أعز الله فيه الاسلام) قواه وأظهره (و) قوى (أهله ودمغ) الله (فيه الشرك) اخفاه وأذهب شوكته يقال دمغه كسر عظم دماغه فشبه الشرك بالدماغ المكسورة استعارة بالكناية واثبت الدمغ له تخييلا أو الاستعارة فى الفعل فهى تبعية (وخرب محله) أى أهله الذين كانوا يعظمونه أو خرب الاماكن التى كان ظاهرا فيها والاول أظهر لان تخريب أماكنه انما كان بعد فتح مكة بهدم العزى وتكسير هبل وازالة جميع الاصنام (وهذا) المذكور من عز الاسلام ودمغ الشرك حاصل (مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو) فهو آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله (مع ما) أى حال (كانوا) أى العدو (فيه من) القوة الحاصلة لهم بلبس (سوابغ الحديد) أى الدروع الحديد السوابغ أى الواسعة من اضافة الصفة للموصوف وتقدير القوة الخ لان السوابغ ليست حالا حتى يبين بها ما كانوا عليه (والعدة) بضم العين (الكاملة) أى الاستعداد والتاهب والعدة ما أعددته من المال والسلاح أو غير ذلك كما فى المصباح فعطفه على ما قبله عطف عام على خاص على الثانى ومسبب على سبب على الاول (والخيل) جمع لا واحد له من لفظه (المسومة) الراعية أو من السمة وهى العلامة أو البارعة الجمال وذكره بعد العدة من الخاص بعد العام (والخيلاء) بضم الخاء وكسرها الكبر (الزائد) فذكر رعاية لمعناه وفى نسخة الزائدة بالهاء رعاية للفظه لان فيه ألف التأنيث (أعز الله به رسوله وأظهر وحيه وتنزيله) أى القرآن عطف أخص على اعم أو تفسير ان أريد الاعم على أن الوحى بمعنى الموحى والتنزيل بمعنى المنزل أعم من أن يكون لفظا أو معنى (وبيض وجه النبى) كناية عن ظهور بهجة السرور فاطلق البياض وأريد لازمه نحو يوم تبيض وجوه أى أظهر سرور النبى صلى الله عليه وسلم (وقبيله) أى أتباعه بالنصب عطف على رسوله أو على وجه بتقدير مضاف أى وبيض وجه قبيله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (وأخزى الشيطان) ابليس وغيره من الشياطين (وجيله) أتباعه من أهل الضلال والزيغ نسبوا اليه لقبولهم ما وسوس به فضلوا عن الحق واتبعوه أو المراد ابليس وأعوانه من الشياطين

والاول أولى لافادته العموم فى أنه أخزى شياطين الجن والانس (ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين) قال شيخنا اضافهم اليه تشريفا فالمراد الكاملون فى الايمان فقوله (وحزبه) أى أنصار دينه (المتقين) مساو لما قبله بالنظر لتحقق والوجود وهو ما صدق عليه المؤمن والمتقى ومباين له فى المفهوم فان العبد معناه الذى لا يملك لنفسه شيأ مع سيده فكانه قال على عباده الذين لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا بل كانوا منقادين له بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) حال من الضمير ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم (أى قليل عددكم) فهو من ذكر السبب وارادة المسبب والاذلة جمع ذليل ضد عزيز وقلة العدد سبب لذلك أى قليلون بالنسبة الى من لقيتم من المشركين من جهة انهم كانوا مشاة الا قليلا وعارين من السلاح لانهم لم يأخذوا أهبة القتال كما ينبغى وانما خرجوا لتلقى العير بخلاف المشركين (لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله) كما قال تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم (لا بكثرة العدد) بفتح العين (والعدد) بضمها جمع عدة كغرفة وغرف (انتهى) كلام ابن كثير (فقد كانت هذه الغزوة أعظم غزوات الاسلام) أى أفضلها وأشرفها قال فى الاستيعاب وليس فى غزواته ما يصل لها فى الفضل ويقرب منها غزوة الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان انتهى فليس المراد العظم من حيث كثرة الجند والشدة لان فى غيرها ما هو أقوى منها فى ذلك ويدل لهذا قوله (اذ منها كان ظهوره) أى كمال انتشار الاسلام وكثرة الداخلين فيه (وبعد وقوعها أشرق على الآفاق) جمع افق بضمتين وبسكون الفاء أيضا كما مر فى وضاءت بنورك الافق وفى القاموس الافق بضمة وبضمتين الناحية انتهى أى من الارض والسماء (نوره) عدله واصلاحه بعد الشدة التى كان فيهما من المشركين سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق (ومن حين) أى وقت (وقوعها أذل الله الكفار) بقتل صناديدهم وأسرهم (وأعز الله من حضرها من المسلمين) والملائكة (فهو عنده من الابرار) الاتقياء المقربين فقد قال صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم وقال فى حارثة بن سراقة الانصارى وقد اصيب يومئذ وانه فى جنة الفردوس وجاءه جبريل فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة رواها كلها البخارى وهى بشارة عظيمة وقد قال العلماء الترجى فى كلام الله ورسوله للوقوع على أن أحمد وأبا داود وغيرهما رووه بلفظ ان الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية رواه مسلم (وكان خروجهم يوم السبت) كما جزم به مغلطاى وعند ابن سعد يوم الاثنين وقالا معا (لثنتى عشرة) ليلة (خلت من رمضان) وزاد مغلطاى (على رأس تسعة عشر شهرا) لان باقى سنة القدوم عشرة أشهر تقريبا والماضى من السنة الثانية ثمانية أشهر كاملة وما مضى من رمضان فى مقابلة الماضى من ربيع الاول (ويقال لثمان خلون منه قاله) أى هذا القول الثانى عبد الملك (بن هشام) تفسير القول شيخ شيخه ابن اسحق خرج لليال مضت من رمضان (واستخلف أبا لبابة) بشيرا وقيل رفاعة بن عبد المنذر

الاوسى ردّه من الروحاء والياء على المدينة كذا قاله ابن اسحق قال الحاكم لم يتابع على
ذلك انما كان أبو لبابة زميل النبى صلى الله عليه وسلم ورده مغلطاى بما بعده له هو
فى المستدرك قال وبنحوه ذكره ابن سعد وابن عقبة وابن حبان انتهى فكونه زميل
المصطفى حصل قبل رده اياه من الروحاء قرية على ليلتين من المدينة وعند ابن هشام من زيادته
انه استعمل على الصلاة ابن أم مكتوم وفى الهدى انه استخلفه على المدينة والصلاة معاً
قبل رد أبى لبابة من الروحاء انتهى أى فبقى على الصلاة فقط (وخرجت معه الانصار
ولم تكن قبل ذلك خرجت معه) وماظنوا انه يقع قتال لان خروجهم انما كان لتلقى العير
(وكان عدة) البدريين ثلثمائة وثلاثة عشر كما رواه أحمد والبزار والطبرانى عن ابن عباس
وهو المشهور عند ابن اسحق وجماعة من أهل المغازى وللطبرانى والبيهقى عن أبى أيوب
قال خرج صلى الله عليه وسلم الى بدر فقال لاصحابه تعادّوا فوجدهم ثلثمائة وأربعة عشر
رجلا ثم قال لهم تعادّوا فتعادّوا مرتين فاقبل رجل على بكر له ضعيف وهم يتعادّون
فتمت العدة ثلثمائة وخمسة عشر وللبيهقى أيضا بسند حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاصى
قال خرج صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومعه ثلثمائة وخمسة عشر ولا تنافى لاحتمال أن الاول
لم يعدّ المصطفى ولا الرجل الآتى آخرا وفى حديث عمر عند مسلم ثلثمائة وتسعة عشر قال
الحافظ فيحمل على انه ضم اليهم من استصغر ولم يؤذن له فى القتال كابن عمر والبراء وأنس
وجابر وللبزار من حديث أبى موسى ثلثمائة وسبعة عشر وحكى السهيلى أنه حضر مع
المسلمين سبعون نفسا من الجن كانوا أسلموا واذا تحرر هذا فليعلم أن الجميع لم يشهدوا القتال
وانما عدة (من خرج معه) واستمر حتى شهد القتال (ثلثمائة وخمسة) قاله ابن سعد ولابن
جرير عن ابن عباس وستة قال الحافظ فكان ابن سعد لم يعدّ النبى صلى الله عليه وسلم فيهم
قال ابن سعد المهاجرون منهم أربعة وستون وسائرهم من الانصار وهو يفسر قول البراء
عند البخارى كان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين والانصار نيفا وأربعين ومائتين
وفى البخارى عن الزبير قال ضربت يوم بدر للمهاجرين بمائة سهم وجمع الحافظ بأن حديث
البراء فيمن شهدها حسا وحديث الزبير فيمن شهدها حسا وحكما أو المراد بالعدد الاول
الاحرار والثانى بانضمام مواليهم وأتباعهم وسرد ابن اسحق أسماء من شهدها من المهاجرين
وذكر معهم حلفاءهم ومواليهم فبلغوا ثلاثة وثمانين رجلا وزاد عليه ابن هشام ثلاثة
وسردهم الواقدى خمسة وثمانين ولاحمد والبزار والطبرانى عن ابن عباس ان المهاجرين
ببدر كانوا سبعة وسبعين فلعله لم يذكر من ضرب له بسهم ممن لم يشهدها حسا وقال الداودى
كانوا على التحرير أربعة وثمانين ومعهم ثلاثة أفراس فأسهم لهم بسهمين وضرب لرجال
أرسلهم فى بعض أمره بسهامهم فصح انها كانت مائة بهذا الاعتبار قال الحافظ ولا باس
بما قاله لكن ظهر لى أن اطلاق المائة انما هو باعتبار الخمس وذلك أنه عزله ثم قسم ما عداه
على ثمانين سهما عدد من شهدها ومن ألحق بهم فاذا اضيف له الخمس كان ذلك من حساب
مائة سهم انتهى وقد ينازع فيما ظهر له بان الخمس لا يكون نسبته للمهاجرين فقط وسرد
اليعمرى المهاجرين أربعة وتسعين والخزرج مائة وخمسة وتسعين والاوس أربعة وسبعين

فذلك

فذلك ثلثمائة وثلاثة وستون قال وانما ذلك من جهة الخلاف في بعضهم وفي الكواكب
فائدة ذكرهم معرفة فضيلة السبق وترجيحهم على غيرهم والدعاء لهم بالرضوان على التعيين
وقال العلامة الدواني سمعنا من مشايخ الحديث ان الدعاء عند ذكرهم في البخاري
مستجاب وقد جرب (وثمانية لم يحضروها) لكنهم (انما) تخلفوا للضرورات ولذا (ضرب لهم
بسهمهم) بأن اعطاهم ما يخصهم من الغنيمة (واجرهم) بأن أخبرهم أن لهم أجر من شهدها
(فكانوا كمن حضرها) فعدوا في أهلها وهم عثمان بن عفان تخلف على زوجته رقية بنت
النبي صلى الله عليه وسلم باذنه وكانت مريضة مرض الموت فقال له صلى الله عليه وسلم
كما في البخاري ان لك لاجر رجل ممن شهدها وسهمه وطلحة وسعيد بن زيد بعثهما
يتجسسان عير قريش ومن الانصار أبو لبابة استخلفه على المدينة وعاصم بن عدي على
أهل العالية والحرث بن حاطب على بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم والحرث بن الصمة وقع
بالروحاء فكسر فردّ هؤلاء من الروحاء وخوات بن جبير أصابه حجر في ساقه فردّه من الصفراء
هؤلاء الذين ذكرهم ابن سعد وذكر الواقدي سعد بن مالك الساعدي والد سهل قال تجهز
ليخرج لبدر فمات فضرب له بسهمه وأجره وممن اختلف فيه هل شهدها أو ردّ لحاجة سعد بن
عبادة وصبيح مولى أبي احيحة رجع لمرضه وفي المستدرك ان جعفر بن أبي طالب ضرب له
صلى الله عليه وسلم يومئذ بسهمه وأجره وهو بالحبشة وأقرّه الذهبي فهؤلاء اثنا عشر (وكان
معهم ثلاثة أفراس بعزجة) بفتح الموحدة واسكان المهملة فزاي فجيم مفتوحتين فتاء
تأنيث كما في النور وحرّف نساخ الشامية الزاي بالراء فقد قال السهيلي البعزجة شدّة
جري الفرس في مغالبة كأنه منحوت من أصلين من بعج اذا شق وعز أي غلب انتهى
(فرس المقداد) بن عمرو الشهير بابن الاسود كانها سميت بذلك لشدّة جريها ويقال اسمها
سبحة بفتح السين واسكان الموحدة وبالحاء المهملتين وتاء تأنيث وبه صدّر الشامي لكن
صدّر اليعمري بالاول وجزم به في الروض فلذا اقتصر المصنف عليه (واليعسوب)
بفتح التحتية فمين فسين مضمومة مهملتين فواو وساكنة فموحدة (فرس الزبير) بن
العوام وقيل اسمها السيل وبه صدّر الشامي وعلى الاول اقتصر اليعمري (وفرس
لمرثد) بفتح الميم وسكون الراء وفتح المثلثة ودال مهملة ابن أبي مرثد كناز بن الحصين
(الغنوي) بفتح المعجمة والنون نسبة الى غني بن يعصر صحابي ابن صحابي بدري ابن
بدري (لم يكن لهم يومئذ خيل غيرهذه) الثلاثة وثبت ذكر فرس مرثد عند ابن سعد في
رواية وجزم المصنف في المقصد الثامن بأنه لم يكن معهم غير فرسين للمقداد والزبير وقال ابن
عقبة ويقال كان معه عليه السلام فرسان واستشكل هذا بما رواه أحمد باسناد صحيح عن
علي قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد وأجيب بحمل النفي على بعض الاحوال
دون الباقي لكن في التقريب للحافظ لم يثبت أنه شهدها فارس غير المقداد (وكان معهم
كما قال ابن اسحق (سبعون بعيرا) فاعتقبوها فكان صلى الله عليه وسلم وعلي وزيد بن
حارثة ويقال مرثد يعتقبون بعيرا وهكذا وقد روى الحرث بن أبي اسامة وابن سعد عن ابن
مسعود كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير وكان أبو لبابة وعلي زميلي رسول الله صلى الله

عليه وسلم فكان اذا كانت عقبة النبي صلى الله عليه وسلم قالا اركب حتى نمشي عنك فيقول ما انتما بأقوى مني على المشي وما أنا بأغنى عن الاجر منكما وعليه فجملة الذين يعتقبون مائتان وعشرة فيحمل على أن الباقين لم يركبوا أو ان الثلاثة تركب مدة ثم يدفعونه الى غيرهم ليركبه مدة أخرى والعقبة النوبة كما في المصباح فالمراد أن كل واحد يركب مدة وركوب أبي لبابة معهم كان قبل رده من الروحاء وبعده أعقب مرثدا كما عند ابن اسحق أو زيدا كما عند غيره وذكر ابن اسحق أنه صلى الله عليه وسلم دفع اللواء وكان أبيض الى مصعب ابن عمير قال وكان أمامه عليه السلام رايتان سودا وان احداهما مع علي والاخرى مع بعض الانصار وذكر ابن سعد أن لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب ابن المنذر ولواء الاوس مع سعد بن معاذ قال اليعمري والمعروف أن سعد بن معاذ كان على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش وأن لواء المهاجرين كان بيد علي ثم روى بسنده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى عليا الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة وأجيب عن الاول بأن هذا كان عند خروجهم وفي الطريق فيحتمل أن سعدا دفعه لغيره باذنه صلى الله عليه وسلم ليحرسه في العريش اذ هو ببدر (وكان المشركون ألفا) كما رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن ابن عباس عن عمر ورواه ابن سعد عن ابن مسعود (ويقال) هم (تسعمائة وخمسون رجلا) مقاتلا (معهم مائة فرس وسبعمائة بعير) قاله ابن عقبة وابن عائذ والتقييد بمقاتلا لفظهما فيمكن الجمع بأن باقي الالف الخمسين غير مقاتلين وعند ابن اسحق أنه صلى الله عليه وسلم بعث عليا والزبير وسعد بن مالك في نفر الى ماء بدر يلتمسون له الخبر فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وغريض أبو يسار غلام بني العاصي فأتوا بهما والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي فلما سلم قال أخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب الذي تراه بالعدوة القصوى قال كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا ما ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا قال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة والالف ثم قال فمن فيهم من أشراف قريش فسمياله خمسة عشر فأقبل صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها أي قطع كبدها شبه أشرافهم بفلذة الكبد بفاء ومعجمة المستور في الجوف وهو أفضل ما يشوى من البعير عند العرب وأمرؤه قال ابن عقبة وزعموا أن أول من نحر لهم عشر جزائر حين خرجوا من مكة أبو جهل ثم صفوان تسعا بعسفان ثم سهيل عشرا بقديد ومالوا منه الى نحو البحر فضلوا فأقاموا يوما فنحر شيبة تسعا ثم أصبحوا بالابواء فنحر مقيس الجمحي تسعا ونحر العباس عشرا والحرث تسعا وأبو البختري على ماء بدر عشرا ومقيس عليه تسعا ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم (وكان قتالهم يوم الجمعة) عند الاكثرين قال ابن عساكر وهو المحفوظ (لسبع عشرة خلت من رمضان) قاله ابن اسحق وتبعه في الاستيعاب والعيون والاشارة ولا يوافق ما مر أن خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان الا أن يكون وقع خلاف في هلاله فالقائل بخروجهم ثاني عشره بناء على أن أوله الثلاثاء والقائل بان القتال في سابع عشره بناء على أن أوله الاربعاء (وقيل يوم الاثنين) رواه ابن عساكر

فى تاريخه باسناد ضعيف قال أبو عمر لا حجة فيه عند الجميع (وقيل غير ذلك) فقيل لسبع عشرة بقيت من رمضان وقيل لثنتى عشرة خلت منه ويقال لثلاث خلون منه حكاها كلها مغلطاى وعلى الاخير فخروجهم قبل رمضان (وكانت من غير قصد من المسلمين اليها ولا ميعاد كما قال تعالى ولو تواعدتم) انتم وهم للقتال ثم علمتم حالهم وحالكم (لاختلفتم) انتم وهم (فى الميعاد) هيبة منه ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا (ولكن) جمعكم بغير ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) حقيقا بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه (وانما قصد صلى الله عليه وسلم والمسلمون التعرض لعير قريش) التى خرج عليه السلام فى طلبها وهى ذاهبة من مكة الى الشام حتى بلغ العشيرة فوجدها سبقته بأيام فلم يزل مترقبا لرجوعها من الشام (وذلك) كما أخرجه ابن اسحق حدثنى يزيد بن رومان عن عروة (أن أبا سفيان) صخر بن حرب المسلم فى الفتح رضى الله عنه (كان بالشام فى ثلاثين راكبا) كذا نقله الفتح عن ابن اسحق والذى فى ابن هشام عن البكائى عنه فى ثلاثين أو أربعين وتبعه اليعمرى وغيره فاما أنه اقتصار على المحقق أو رواية أخرى عنه (منهم) مخرمة بن نوفل و (عمرو بن العاصى) أسلما بعد ذلك وصحبا رضى الله عنهما وقال ابن عقبة وابن عائذ فى سبعين رجلا وكانت عيرهم ألف بعير ولم يكن لحويطب بن عبد العزى شئ فلم يخرج معهم (فأقبلوا فى قافلة عظيمة فيها أموال قريش) يقال كان فيها خمسون ألف دينار وكان لم يبق قرشى ولا قرشية له مثقال الا بعث به فى العير (حتى اذا كانوا قريبا من بدر فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك) حذف الفاء أولى لان ما بعدها جواب اذا وهو ماض متصرف فلا تقترن به الفاء (فندب أصحابه) أى دعاهم (اليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو) اذ غاية ما قيل انهم سبعون (وقال هذه عير قريش فيها أموال) كثيرة (فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها) مثله فى العيون وفى نسخة يغنمكموها ومثله فى السبل وكل عزى لابن اسحق والخطب سهل قال فى الرواية فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم لانهم ظنوا انهم لم يلقوا حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الاخبار ويسأل من لقى من الركبان (فلما سمع أبو سفيان بسيره عليه السلام) من بعض الركبان ان محمدا قد استنفر لك ولعيرك (استأجر ضمضم) بفتح المعجمتين بدل ميم اولاهما ساكنة (ابن عمرو الغفارى) بكسر المعجمة وتخفيف الفاء قال فى النور الظاهر هلاكه على كفره (ان يأتى قريشا بمكة) بعشرين مثقالا وأمره أن يجدع بعيره أى يقطع أنفه ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره اذا دخل مكة (فيستنفرهم) يحثهم على الخروج بسرعة (ويخبرهم أن محمدا قد عرض أى ظهر (لعيرهم فى) مع (أصحابه) فلما بلغ مكة فعل ما أمر به وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث فقالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى كلا والله ليعلمن غير ذلك (فنهضوا فى قريب من ألف مقنع) وكانوا ما بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا (ولم يتخلف أحد من أشراف قريش الا أبو لهب) وفى نسخة الا أبا لهب وكلاهما صحيح

(وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة) اخا أبى جهل كان له عليه أربعة آلاف درهم افلس له بها فاستأجره بها على أن يجزئ عنه بعثه واشتد حذر أبى سفيان فأخذ طريق الساحل وجد فى السير حتى فات المسلمين فلما أمن أرسل الى قريش يأمرهم بالرجوع فامتنع أبو جهل (وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال ابن اسحق وضرب عسكره ببئر أبى عنبة كواحدة العنب المأكول على ميل من المدينة فعرض أصحابه ورد من استصغر وسار (حتى بلغ الروحاء) بفتح الراء وسكون الواو وحاء مهملة ممدودة قرية على نحو أربعين ميلا من المدينة وفى مسلم على ستة وثلاثين وفى كتاب ابن أبى شيبة على ثلاثين ونزل صلى الله عليه وسلم سجسجا بفتح السين المهملة وسكون الجيم بعدهما مثلهما وهى بئر الروحاء سميت بذلك قال السهيلى لانها بين جبلين وكل شئ بين شيئين سجسج انتهى وهو تفسير مراد ففى القاموس السجسج الارض ليست بصلبة ولا سهلة وما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس (فأتاه الخبر) بعد أن سار من الروحاء وقرب من الصفراء كما عند ابن اسحق (عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن عيرهم) من رسوليه اللذين بعثهما يتجسسان الاخبار عن أبى سفيان احدهما بسبس بموحدتين مفتوحتين ومهملتين اولاهما ساكنة ووقع لجميع رواة مسلم وبعض رواة أبى داود بسيسة بضم الموحدة وفتح المهملة واسكان التحتية وفتح السين وتاء تأنيث والمعروف قال الذهبى وغيره وهو الاصح الاول وكذلك ذكره ابن اسحق والدارقطنى وابن عبد البر وابن ماكولا والسهيلى قال فى الاصابة وهو الصواب فقد قال ابن الكلبى انه الذى أراده الشاعر بقوله

أقم لها صدورها يابسبس ٭ ان مطايا القوم لا تحبس

وهو ابن عمرو الجهنى كما نسبه ابن اسحق قال السهيلى ونسبه غيره الى ذبيان الانصارى حليف الخزرج والثانى عدى بن أبى الزغباء سنان الجهنى حليف بنى النجار الزغباء بفتح الزاى وسكون المعجمة وموحدة ممدودة فمضيا حتى نزلا بدرا فاناخا الى تل قريب من الماء وأخذا يستقيان من الماء فسمعا جاريتين تقول احداهما لصاحبتها ان أتانى العير غدا أو بعد غد أعمل لهم ثم اقضيك الذى لك فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا (فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم الناس) أصحابه رضى الله عنهم (فى طلب العير و) فى (حرب النفير) القوم النافرين للعرب يعنى خيرهم بين أن يذهبوا للعير أو الى محاربة النافرين لقتالهم وأخبرهم عن قريش بمسيرهم (وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش) كما قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم (وكانت العير أحب اليهم) كما قال تعالى وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم والمراد بذات الشوكة الطائفة التى فيها السلاح قال أبو عبيدة فى المجاز يقال ما أشد شوكة بنى فلان أى حدهم وكانها استعارة من واحدة الشوك وروى الطبرى وأبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس اقبلت عير لاهل مكة من الشام فخرج النبى صلى الله عليه وسلم يريدها فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا اليها فسبقت العير المسلمين وكان الله وعدهم احدى الطائفتين وكانوا أن يلقوا العير أحب اليهم وايسر شوكة واخصر مغنما من أن يلقوا النفير (فقام أبو بكر)

وفي الشامية استشار الناس فتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم فقام أبو بكر (فقال فأحسن) أي جاء بكلام حسن ولم أر من ذكره (ثم قام عمر فقال فأحسن) ذكر ابن عقبة وابن عائذ أنه قال يارسول الله انها قريش وعزها والله ماذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك اهبته وأعدلك عدته وعزها بالنصب مفعول معه أو مبتدأ حذف خبره أي ثابت لم يتغير (ثم قام المقداد بن عمرو) وعند النساى جاء المقداد يوم بدر على فرس (فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لانقول) بنون الجمع أي معاشر المسلمين (لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى) وفي رواية البخاري كما قال قوم موسى (اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) قالوه استهانة وعدم مبالاة بالله ورسوله وقيل تقديره اذهب أنت وربك يعينك فانا لانستطيع قتال الجبابرة وقال السمرقندي أنت وسيدك هرون لانه أكبر من موسى بسنتين أو ثلاثة (ولكن) نقول (اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون) هذه رواية ابن اسحق ورواية البخاري ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك زاد ابن اسحق (فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا برك) بفتح الموحدة عند الاكثر وفي رواية بكسرها وصوبه بعض اللغويين لكن المشهور المعروف في الرواية الفتح والراء ساكنة وحكى عياض عن الاصيلي فتحها قال النووي وهو غريب ضعيف آخره كاف (الغماد) بكسر المعجمة وتخفيف الميم قال الحازمي موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن وقال البكري هي اقاصي هجر وقال الهمداني هو في أقصى اليمن قال الحافظ والاول أولى وحكى ابن فارس ضم الغين والقزاز فتحها وأفاد النووي أن المشهور في الرواية الكسر وفي اللغة الضم وفي فتح الباري قال ابن خالويه حضرت مجلس المحاملي وفيه زهاء ألف فأملى عليهم حديثا فيه لو دعوتنا الى برك الغماد قالها بالكسر فقلت للمستملي هي بالضم فذكر له ذلك فقال لي وما هو فقلت سألت ابن دريد عنه فقال هو بقعة في جهنم فقال المحاملي وكذا في كتاب أبي علي الغين ضمت قال ابن خالويه وأنشد ابن دريد

واذا تنكرت البلاد فأولها كنف البعاد

واجعل مقامك أو مقرك جانبي برك الغماد

لست ابن أم القاطنين ولا ابن عم للبلاد

وبعض المتأخرين قال القول بانه موضع باليمن لايثبت لانه صلى الله عليه وسلم لايدعوهم الى جهنم وخفي عليه أن ذلك بطريق المبالغة فلا يراد به الحقيقة على أنه لاتنافي بين القولين فيحمل قوله جهنم على مجاز المجاورة بناء على القول ان برهوت مأوى أرواح الكفار وهم أهل النار انتهى ملخصا وقد دلت رواية ابن عائذ في قصة سعد بن معاذ بلفظ لو سرت بنا حتى تبلغ البرك من غمد ذي يمن على أنها من جهة اليمن وذكر السهيلي أنه رأى في بعض كتب التفسير أنه (يعني مدينة الحبشة) قال الحافظ وكأنه أخذه من قصة الصديق مع ابن الدغنة فان فيها انه لقيه ذاهبا الى الحبشة ببرك الغماد كما مر ويجمع بأنها من جهة اليمن مقابل الحبشة وبينهما عرض البحر انتهى ونقل عياض عن ابراهيم الحربي برك الغماد

قوله لايثبت لانه الخ هكذا في النسخ ولا يخفى ما فيه اذ التعليل المذكور انما يصلح لتفسيره ببقعة في جهنم وليحرر ذلك وليراجع اه مصححه

وشعفات هجر يقال فيما تباعد ولذا قال شيخنا الاولى تفسيره هنا بأقصى معمور الارض كما هو أحد معانيه فى القاموس لانه أتمّ فى امتثال أمره واتباعه (لجالدنا) أى لضاربنا (معك من دونه) أى برك الغماد يعنى لو طلبتناه وعارضك قبله أحد جالدناه ومنعناه (حتى تبلغه فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعاله بخير) هذا اللفظ رواية ابن اسحق وروى البخارى عن ابن مسعود شهدت من المقداد مشهدا لان أكون صاحبه أحب الى مما عدل به الحديث وفى آخره فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسره يعنى قوله وروى ابن مردويه وابن أبى حاتم عن أبى أيوب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة انى اخبرت عن عير أبى سفيان فهل لكم أن تخرجوا اليها لعل الله يغنمناها ويسلمنا قلنا نعم فخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال قد أخبروا خبرنا فاستعدوا للقتال فقلنا لا والله مالنا طاقة بقتال القوم فأعاد فقال المقداد لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى ولكن نقول انا معكما مقاتلون قال فتمنينا معشر الانصار لو أنا قلنا كما قال المقداد قال فانزل الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون (ثم قال عليه الصلاة والسلام) ثالث مرة (أيها الناس اشيروا على وانما يريد الانصار) كأنه كره سعد جوابا له والمصنف تابع للفظ الرواية عند ابن اسحق فلذا لم يذكر جواب سعد ثم يعلله بذلك وان كان أولى على أنه قد يقال الاولى ما فى الرواية للاهتمام بحكمة تكرير الاستشارة من سيد الحكماء مع حصول الجواب الكافى من المقداد بحضورهم وسكوتهم عليه وتمنيهم لو كانوا قالوا مثله (لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك) بكسر الذال فسره البرهان بالحرمة ويطلق على الضمان أيضا قال شيخنا ولعله المراد أى من ضمان مناصرتك (حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا وكان صلى الله عليه وسلم يتخوف) يخشى (أن لا تكون الانصار ترى) تعتقد (عليها نصرته الا ممن دهمه) بفتح الدال وكسر الهاء وفتحها كما فى المصباح أى نزل به وفجأه (بالمدينة من عدوه) وذكر ابن القوطية أن اللغتين فى دهمتهم الخيل وأن دهمه الامر بالكسر فقط (وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك عليه الصلاة والسلام قال له سعد بن معاذ) السيد الذى هو فى الانصار بمنزلة الصديق فى المهاجرين صرح به البرهان فى غير هذا الموضع (والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل) أى نعم (قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودا ومواثيقا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت) وفى رواية لما أمرت به وعند ابن عائذ من مرسل عروة وابن أبى شيبة من مرسل علقمة بن وقاص عن سعد ولعلك تخشى أن تكون الانصار ترى عليها أن لا ينصروك الا فى ديارهم وانى أقول عن الانصار وأجيب عنهم ولعلك يا رسول الله خرجت لامر فأحدث الله غيره فامض لما شئت وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب الينا مما تركت وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لامرك لئن سرت حتى تأتى برك الغماد من ذى يمن لفظ علقمة ولفظ عروة

قوله ومواثيقا هكذا فى نسخ الشارح ولا يخفى ما فيه فلعله محرف عن مواثيقنا كما هو فى بعض نسخ المتن وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا اه

لو

لو سرت بنا حتى تبلغ البرك من غمد ذى يمن وغمد بضم المعجمة وسكون الميم ودال مهملة لنسيرن معك وفى رواية ابن اسحق (فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت) أى طلبت أن تقطع (بنا) عرض (هذا البحر) أى الملح (فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا انا لصبر) بضم الصاد والموحدة (عند الحرب صدق) بضم الصاد والدال (عند اللقاء) هكذا ضبطه البرهان وتبعه الشامى وهو جمع صبور وصديق بزنة فعيل وفعول بالفتح يجمعان على فعل بضمتين قياسا مطردا (ولعل الله أن يريك) منا (ما تقر به عينك) وقد فعل فأراه ذلك منهم فى هذا اليوم وفى غيره رضى الله عنهم (فسر على بركة الله تعالى فسر عليه السلام بقول سعد ونشطه) أى صيره (ذلك) مسرعا فى طلب العدو ووقع عند ابن مردويه عن علقمة أن سعدا قال فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ولا نكونن كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما متبعون قال الحافظ والمحفوظ أن هذا الكلام للمقداد وأن سعدا انما قال ما ذكر عنه (ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا) بفتح الهمزة وكسر الشين امر (فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين) اما العير واما النفير وقد فاتت العير فلا بد من الطائفة الاخرى لان وعد الله لا يتخلف والى هذا ارشد أيضا بقوله (والله لكأنى أنظر الآن الى مصارع القوم) الذين سيقتلون ببدر واقسامه على ذلك وهو الصادق المصدوق زيادة فى تبشيرهم وطمأنينتهم (قال ثابت) البنانى فيما رواه مسلم من طريقه (عن انس) بن مالك عن عمر كما فى مسلم ففيه من لطائف الاسناد صحابى عن صحابى (قال) عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم ليرينا مصارع أهل بدر يقول (عليه الصلاة والسلام هذا مصرع فلان) غدا ان شاء الله وهذا مصرع فلان (ويضع يده على الارض ههنا وههنا) يشير الى مواضع قتلهم اشارة محسوسة (قال فما ماط أحدهم أى ما تنحى) وفى شرح النووى أى تباعد (عن موضع يده عليه السلام) فهو معجزة ظاهرة قال الحافظ وهذا وقع وهم ببدر فى الليلة التى التقوا فى صبيحتها انتهى فقد بين الحديث أنه سمى وعين جماعة وفى رواية أنه أخبر بمصارعهم قبل الواقعة بيوم أو أكثر وفى أخرى أخبر بذلك يوم الواقعة وجمع ابن كثير بأنه لا مانع من أنه يخبره فى الوقتين (* تنبيه * قال ابن سيد الناس) الحافظ أبو الفتح اليعمرى (فى عيون الاثر) فى فنون المغازى والشمائل والسير (روينا من طريق مسلم أن الذى قال ذلك) المذكور عن سعد بن معاذ (سعد بن عبادة سيد الخزرج) ولفظه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه اقبال أبى سفيان فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال ايانا تريد يا رسول الله والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادنا الى برك الغماد لفعلنا الحديث (وانما يعرف ذلك) القول (عن سعد بن معاذ كذا رواه ابن اسحق وغيره) كابن أبى شيبة وابن عائذ وابن مردويه قال الحافظ ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين الاولى بالمدينة أول ما بلغه خبر العير وذلك بين من لفظ مسلم أنه شاور حين بلغه اقبال أبى سفيان والثانية كانت بعد أن خرج كما فى حديث الجماعة ووقع

قوله أكبادنا هكذا فى النسخ ولعله محرف عن أكبادها وليحرر لفظ الحديث اه مصححه

عند الطبراني أن سعد بن عبادة قال ذلك بالمدينة وهذا أولى بالصواب انتهى (واختلف في شهود سعد بن عبادة بدرا ولم يذكره) موسى (بن عقبة ولا ابن اسحق في البدريين وذكره الواقدي) محمد بن عمر بن واقد المدني أبو عبد الله الاسلمي الحافظ المتروك مع سعة علمه (والمدائني) أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الاخباري صاحب تصانيف وثقه ابن معين وقال ابن عدي ليس بالقوي مات سنة أربع وخمسين ومائتين عن ثلاث وتسعين سنة (وابن الكلبي فيهم اه) كلام العيون وفي فتح الباري اشارة الى أنه ليس بخلاف حقيقي لانه قال لم يشهد سعد بن عبادة بدرا وان عدّ منهم لكونه ممن ضرب له بسهمه وأجره وفي العيون بعد ما نقله المصنف عنه وروينا عن ابن سعد أنه كان يتهيأ للخروج الى بدر ويأتي دور الانصار يحضهم على الخروج فنهش قبل أن يخرج فأقام فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصا قال وروى بعضهم أنه عليه السلام ضرب له بسهمه وأجره انتهى وهو أيضا ايماء الى أن الخلاف بالاعتبار لا حقيقي (ثم ارتحل) من المكان الذي كان فيه وهو ذفران بفتح المعجمة وكسر الفاء فراء فألف فنون واد قرب الصفراء وسار حتى نزل (قريبا من بدر ونزل قريش بالعدوة) بضم العين وكسرها وبهما قرئ في السبع وقرئ شاذا بفتحها جانب الوادي وحافته وقال أبو عمرو المكان المرتفع (القصوى) البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاسم كالقعود وهو أكثر استعمالا من القصيا كما في الانوار (من الوادي ونزل المسلمون على كثيب) بمثلثة رمل مجتمع (أعفر) أحمر أو أبيض ليس بالشديد ولعله المراد (تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر فأحرزوه وحفروا القلب) جمع قليب البئر قبل أن تبنى بالحجارة ونحوها (لانفسهم) ليجعلوا فيها الماء من الآبار المعينة فيشربوا منها ويسقوا دوابهم ومع ذلك ألقى الله عليهم الخوف حتى ضربوا وجوه خيلهم اذا صهلوا من شدة الخوف وألقى الله الامنة والنوم على المسلمين بحيث لم يقدروا على منعه (وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم الظمأ) العطش (وهم لا يصلون الى الماء) لسبق المشركين له ثم نهض المسلمون الى أعدائهم فغلبوهم على الماء وغاروا القلب التي كانت تلي العدو وتعطش الكفار وجاء النصر قاله السهيلي ويأتي قريبا في حديث الحباب (ووسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون محدثين) الحدث الاصغر (مجنبين) محدثين الحدث الاكبر لانهم لما ناموا احتلم أكثرهم كما في الانوار ولم تكن آية التيمم نزلت فرأى ابليس لعنه الله تلك الغرة (وما ينتظر أعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم) قطعا مجازيا فلذا عطف عليه عطف تفسير (ويذهب قواكم) اذ لو كان حقيقة ما استقام قوله (فيتحكموا فيكم كيف شاؤا) من قتل من أرادوا وسبي من أرادوا (فأرسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشرب المسلمون واتخذوا الحياض على عدوة الوادي (واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب) الابل التي يسار عليها الواحدة راحلة لا واحد لها من لفظها كما في المختار (وملؤا الاسقية وأطفأ)

قوله كالقعود هكذا في النسخ ولعله كالقصوى فليتأمل اه مصححه

المطر (الغبار ولبد الارض) أيبسها (حتى تثبت عليها الاقدام) والحوافر (وزالت عنهم وسوسة الشيطان) ورد كيده فى نحره (وطابت أنفسهم) وضر ذلك بالمشركين لكون أرضهم كانت سهلة لينة وأصابهم مالم يقدروا معه على الارتحال (فذلك قوله تعالى اذ يغشاكم النعاس أمنة منه (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به أى من الاحداث والجنابة) وهو طهارة الظاهر (ويذهب عنكم رجز الشيطان أى وسوسته) وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وهو تطهير الباطن (وليربط على قلوبكم بالصبر) والاقدام على مجالدة العدو وهو شجاعة الباطن وفى الانوار بالوثوق على لطف الله بهم (ويثبت به الاقدام) أى بالمطر (حتى لا تسوخ فى الرمل بتلبيد الارض) وهو شجاعة الظاهر وفى الاساس تلبد التراب والرمل ولبده المطر ثم قال ومن المجاز كذا فأفاد أنه هنا حقيقة وقيل ضميره للربط على القلوب حتى تثبت فى المعركة قال ابن اسحق فخرج صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به فقال الحباب بن المنذر بن الجموح يارسول الله هذا منزل انزلكه الله لا نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة فقال بل هو الرأى والحرب والمكيدة قال فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فننزل ثم نغور ماوراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون فقال صلى الله عليه وسلم اشرت بالرأى وعند ابن سعد فنزل جبريل فقال الرأى ما أشار به الحباب فنهض صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فنزل حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فلئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية وقوله نغور بالغين المعجمة وشد الواو أى ندفنها ونذهبها وبالعين المهملة بمعناه عند ابن الاثير وقال أبو ذر معنى المهملة نفسدها انتهى والسهيلى ضبطه بضم المهملة وسكون الواو على لغة من يقول قول القول وبوع المتاع انتهى (وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم) باشارة سعد كما رواه ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث أن سعد بن معاذ قال يارسول الله ألا نبنى لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يانبى الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فأثنى عليه صلى الله عليه وسلم خيرا ودعاله بخير (عريش) شبه الخيمة يستظل به قاله أبو ذر فى حواشيه وقال السهيلى هو كل ما أظلك وعلاك من فوقك فان علوته أنت فهو عرش لا عريش وتعقبه مغلطاى بأن تفرقته بينهما لم يرها عن لغوى والذى فى العين انهما ما يستظل به (فكان فيه) قال السمهودى مكانه الآن عند مسجد بدر وهو معروف عند النخل والعين قريبة منه قال وبقربه فى جهة القبلة مسجد آخر يسميه أهل بدر مسجد النصر ولم أقف فيه على شئ (ثم) لما عدل صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه واقبلت قريش ورآها عليه السلام وقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى اللهم احنهم الغداة كما رواه ابن اسحق (خرج عتبة بن ربيعة) بن عبد شمس بن عبد

قوله ضبطه أى ضبط نغورت لا نغور كما لا يخفى اه مصححه

مناف وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم في القوم على جمل أحمر فقال ان يكن في أحد من
القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا وذكر ابن اسحق أنه قام
خطيبا فقال يا معشر قريش والله ماتصنعوا بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيأ والله لئن أصبتموه
لايزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه وابن خاله ورجلا من عشيرته
فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فان أصابه غيركم فذاك الذى أردتم وان كان غير ذلك
الفاكم ولم تعدموا منه ماتريدون وأرسل بذلك حكيم بن حزام الى أبي جهل فأخبره فقال
والله ما بعتبة ما قال ولكنه رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه فتخوفكم عليه ثم
أفسد على الناس رأى عتبة وبعث الى عامر بن الحضرمي فقال هذا حليفك يريد الرجوع
بالناس وقد رأيت ثارك بعينك فقم فانشد مقتل أخيك فقام عامر فصرخ واعمراه واعمراه
فحميت الحرب وتعبوا للقتال والشيطان معهم لا يفارقهم فخرج الاسود المخزومي وكان شرسا
سيء الخلق فقال أعاهد الله لاشربن من حوضهم أو لاهدمنه أو لاموتن دونه فتبعه حمزة
رضى الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم اقتحم الحوض زاعما
أن تبر يمينه فقتله حمزة في الحوض ثم خرج بعده عتبة (بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد
ابن عتبة) حتى فصل من الصف (ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار وهم
عوف) بالفاء قال ابن عبد البر وسماه بعضهم عوذا أى بالذال وعوف أصح (ومعاذ)
كذا في النسخ والذى في الرواية معوذ (ابنا الحرث) الانصاريان النجاريان (وأمهما
عفراء) جملة استئنافية لشهرتهما بها الا أنها خرجت معهم وهى بنت عبيد بن ثعلبة الانصارية
النجارية الصحابية قال في الاصابة لها خصوصية لا توجد لغيرها وهى أنها تزوجت بعد
الحرث البكير بن ياليل الليثي فولدت له اياسا وعاقلا وخالدا وعامرا واربعتهم شهدوا بدرا
وكذلك اخوتهم لامهم بنو الحرث يعني عوفا ومعوذا ومعاذا فانتظم من هذا أنها
صحابية لها سبعة أولاد شهدوا بدرا معه صلى الله عليه وسلم (وعبد الله بن رواحة) النقيب
البدري الامير المستشهد بمؤتة (فقالوا من أنتم قالوا رهط من الانصار قالوا مالنا بكم حاجة)
وفي رواية لابن اسحق فقال عتبة اكفاء كرام انما نريد قومنا (ثم نادى مناديهم) قال في
النور لا أعرف اسمه والظاهر انه أحد الثلاثة (يا محمد أخرج) بقطع الهمزة (الينا أكفاءنا
من قومنا) وعند ابن عقبة وابن عائذ أنه صلى الله عليه وسلم استحيا من خروج الانصار
لانه أول قتال التقى فيه المسلمون والمشركون وهو عليه السلام شاهد معهم فأحب أن تكون
الشوكة ببني عمه فناداهم أن ارجعوا الى مصافكم وليقم اليهم بنو عمهم (فقال صلى
الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة قم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم)
لانهم كانوا متلثمين لما خرجوا فلا يرد أنهم يعرفونهم لولادتهم بمكة ونشأتهم بينهم (فتسموا
لهم) اختصار لقول ابن اسحق فقال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال علي علي (قالوا
نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم) المسلمين (عتبة بن ربيعة) وكان أسن
الثلاثة المشركين (وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز علي الوليد بن عتبة فقتل علي الوليد)
وقتل حمزة شيبة واختلف عبيدة وعتبة بضربتين كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلي

قوله ماتصنعوا هكذا بحذف النون في النسخ اه

بأسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه الى أصحابه (هكذا ذكره ابن اسحق) محمد في السيرة (وعند موسى بن عقبة كما في فتح الباري برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلى للوليد ثم اتفقا) معا على قولهما (فقتل على الوليد وقتل حمزة الذى بارزه) وهو شيبة عند ابن اسحق وعتبة عند ابن عقبة (واختلف عبيدة ومن بارزه) وهو عتبة أو شيبة على الروايتين (بضربتين) بأن ضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة أثخنه بها (فوقعت الضربة فى ركبة عبيدة) فمات منها لما رجعوا بالصفراء كما فى الفتح قبل قوله (ومال حمزة وعلى على الذى بارز عبيدة فأعاناه على قتله) فهو قاتله باعانتهما وعلى رواية ابن اسحق هما اللذان قتلاه أى عجلا موته والا فعبيدة كان أثخنه (وعند الحاكم من طريق عبد خير) بن يزيد الهمدانى أبى عمارة الكوفى قال فى التقريب مخضرم ثقة لم يصح له صحبة (عن على مثل قول موسى بن عقبة وعند أبى الاسود) محمد يتيم عروة (عن عروة) بن الزبير (مثله) فتقويت رواية ابن عقبة على ابن اسحق (وأورد ابن سعد من طريق عبيدة) بفتح العين وكسر الموحدة ابن عمرو وقيل ابن قيس بن عمرو (السلمانى) الكوفى التابعى الكبير احد الاعلام أسلم قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بسنتين ولم يلقه ومات سنة سبعين وقيل ثلاث وقيل أربع وسبعين (أن شيبة لحمزة وعبيدة لعتبة) مثل ما عند ابن اسحق (وعليا للوليد ثم قال) ابن سعد القول (الثبت) أى القوى (ان عتبة لحمزة وشيبة لعبيدة) لوروده عن على الذى هو أحد الثلاثة من طرق عدة ومن وجوه الترجيح حضور الراوى للقصة ثم قد اعتضد بمرسل عروة وهو من كبار التابعين لاسيما ان كان حمله عن أبيه وهو من البدريين وجزم به موسى بن عقبة فى مغازيه التى قال مالك والشافعى انها أصح المغازى قال فى فتح البارى قال بعض من لقيناه اتفقت الروايات على أن عليا للوليد وانما اختلف فى عتبة وشيبة أيهما لعبيدة وحمزة والاكثر أن شيبة لعبيدة قلت (و) فى دعوى الاتفاق نظر فقد (أخرج أبو داود) من طريق حارثة بن مضرب (عن على قال تقدم عتبة وتبعه ابنه وأخوه فنادى من يبارز فانتدب له) أى أجابه (شبان من الانصار فقال من أنتم فأخبروه فقال لا حاجة لنا فيكم انما أردنا بنى عمنا فقال صلى الله عليه وسلم قم يا حمزة قم يا على قم يا عبيدة فأقبل حمزة الى عتبة) فهذا طريق ثان عن على انه له لا لشيبة (وأقبلت الى شيبة واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فأثخن كل واحد منهما صاحبه) فصرح بأن الوليد لعبيدة وشيبة لعلى بخلاف ما ادعى عليه ذلك البعض الاتفاق مع صحته (ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخ ساقه يسيل فقال أشهيد أنا يا رسول الله قال نعم قال وددت والله أن أبا طالب كان حيا ليعلم أننا أحق منه بقوله

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم أنشأ يقول

فان يقطعوا رجلى فانى مسلم * ارجى به عيشا من الله عاليا

والبسنى الرحمن من فضل منه * لباسا من الاسلام غطى المساويا

هذا بقية رواية أبي داود (قال الحافظ ابن حجر وهذا أصح الروايات) من جهة الاسناد لان اسناد أبي داود صحيح (لكن الذى فى السير من أن الذى بارزه على هو الوليد هو المشهور وهو اللائق بالمقام لان عبيدة وشيبة) مبارزه عند الاكثرين (كانا شيخين) فان سن عبيدة يومئذ ثلاث وستون سنة (كعتبة وحمزة) مبارزه على الارجح فان سن حمزة حينئذ كان ثمانيا وخمسين سنة (بخلاف على والوليد فكانا شابين) اذ سن على يومئذ عشرون سنة (وقد روى الطبرانى باسناد حسن عن على قال أعنت أنا وحمزة عبيدة ابن الحرث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبى صلى الله عليه وسلم علينا ذلك) ففيه جواز الاعانة لمن فرغ من قرنه (وهذا موافق لرواية أبي داود) فى أن الوليد لعبيدة فكيف يقول ذلك البعض اتفقت الروايات على أن عليا للوليد (والله أعلم) بما كان من ذلك (انتهى كلام الحافظ وفيه جواز المبارزة خلافا لمن انكرها كالحسن البصرى وشرط الاوزاعى والثورى وأحمد واسحق للجواز اذن أمير الجيش وفضيلة ظاهرة لعبيدة وحمزة وعلى رضى الله عنهم وقد أقسم أبو ذر أن هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر فذكر هؤلاء الستة وقال على أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة فينا نزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم رواهما البخارى وأخرج ابن جرير عن ابن عباس انها نزلت فى أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله منكم وأقدم كتابا ونبينا قبل نبيكم فقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد وبنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وعن مجاهد أنها مثل المؤمن والكافر اختصما فى البعث وهذا يشمل جميع الاقوال وينتظم فيه قصة بدر وغيرها فالمؤمنون يريدون نصرة دين الله والكافرون اطفاء نور الايمان وخذلان الحق وظهور الباطل واختار ابن جرير هذا واستحسن ولذا قال فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار (قال ابن اسحق و) لما قتل المبارزون وخرج صلى الله عليه وسلم من العريش لتعديل الصفوف ثم عاد اليه (تزاحف الناس) أى مشى كل فريق جهة الآخر (ودنا) قرب (بعضهم من بعض) وعند ابن اسحق أيضا اقبل نفر من قريش حتى وردوا حوضه صلى الله عليه وسلم فقال دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل الا حكيم بن حزام ثم أسلم وحسن اسلامه فكان اذا اجتهد فى يمينه قال لا والذى نجانى من يوم بدر وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا على المشركين حتى يأمرهم وان اكثبوكم فانضحوهم عنكم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم واستبقوا نبلكم فقال أبو بكر يارسول الله قد دنا القوم ونالوا منا فاستيقظ وقد أراه الله اياهم فى منامه قليلا فأخبر أصحابه فكان تثبيتا لهم وفى الصحيح عن أبي أسيد قال لنا صلى الله عليه وسلم يوم بدر اذا اكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم قال ابن السكيت اكثب الصيد اذا أمكن من نفسه فالمعنى اذا قربوا منكم فامكنوكم فارموهم واستبقوا نبلكم فى الحالة التى اذا رميتم لا تصيب غالبا (ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره) وسعد بن معاذ متوشحا سيفه فى نفر من الانصار على باب العريش يحرسونه (وهو عليه الصلاة والسلام يناشد) أى يسأل (ربه انجاز ما وعده من النصر) قال تعالى واذ يعدكم الله احدى

الطائفتين وكان حقا علينا نصر المؤمنين ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون (ويقول) مع سؤال ذلك (اللهم ان تهلك هذه العصابة) قال النووي ضبطوه بفتح التاء وضمها فعلى الفتح العصابة بالرفع فاعل وعلى الضم بالنصب مفعول والعصابة الجماعة انتهى وجوز نصبها مع فتح التاء على انه متعد والثلاثة مع كسر اللام وفي لغة لبني تميم بفتح اللام مع فتح التاء ورفع ما بعده فهي أربعة لكن الرواية بالاولين فقط كما أفاده النووي بقوله ضبطوه بل اقتصر الحافظ على فتح التاء وكسر اللام ورفع العصابة ففيه اشارة الى انه أشهر الروايتين (من أهل الايمان اليوم فلا تعبد في الارض أبدا) لفظ ابن اسحق الذي هو ناقل عنه اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد وفي حديث ابن عباس عند البخاري اللهم اني انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد وفي حديث عمر عند مسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الارض والاعتذار للمصنف بأنه نقله بالمعنى اشارة الى أن المراد من الايمان والاسلام واحد انما يصح لو عزاه المصنف لمسلم وهو انما نقله عن ابن اسحق ولم يقع ذلك عنده وفيه اشعار بان من أسباب سؤاله ربه انجاز وعده بقاء عبادته في الارض (وأبو بكر يقول) شفقة عليه ومحبة (يارسول الله خل) اترك (بعض مناشدتك) مصدر مضاف لفاعله و(ربك) مفعوله وعلله بقوله (فان الله منجز) قاض أو معجل (لك ما وعدك) من النصر والظفر عليهم وغير ذلك (وعند سعيد بن منصور) بن شعبة أبي عثمان الخراساني الحافظ الثقة أحد الاعلام صاحب السنن عن مالك والليث وخلق وعنه أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم مات بمكة سنة سبع وعشرين ومائتين وهو في عشر التسعين (من طريق عبيد الله) بضم العين (ابن عبد الله) بفتحها (ابن عتبة) بضم العين واسكان الفوقية ابن مسعود الهذلي أبي عبد الله المدني التابعي الوسط الثقة الثبت الفقيه كثير العلم والحديث أحد الفقهاء السبعة المتوفى سنة أربع أو ثمان أو خمس أو تسع وتسعين (قال لما كان) تامة أي حضر (يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين و) الى (تكاثرهم) وفي نسخة فتكاثرهم بفتح المثلثة والراء من التفاعل وهي أنسب بقوله (والى المسلمين فاستقلهم) من القلة (فركع ركعتين) أي أحرم بهما لا فرغ منهما لما بعده (وقام أبو بكر عن يمينه) يحرسه لا يصلي معه ويؤيده قول علي قام أبو بكر شاهرا السيف على رأسه صلى الله عليه وسلم لا يهوي اليه أحد الا اهوى اليه (فقال عليه السلام وهو في صلاته) لعله في سجودها اذ هو الاليق بمقام الدعاء لخبر أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (اللهم) أسقط من رواية من عزاه لا تودع مني اللهم (لا تخذلني) بفتح التاء وضم المعجمة أي لا تترك عوني ونصري (اللهم اني أنشدك) بفتح الهمزة وسكون النون وضم المعجمة والدال أي أطلب منك (ما وعدتني) وعند الطبراني باسناد حسن عن ابن مسعود ما سمعنا مناشدا ينشد ضالة أشد من مناشدة محمد لربه يوم بدر اللهم أنشدك ما وعدتني (وروى النسائي والحاكم عن علي قال قاتلت يوم بدر شيأ من قتال ثم جئت) لاستكشاف حاله صلى الله عليه وسلم (فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده ياحي ياقيوم أي

لا يزيد على ذلك كذا قاله الشامي ولا يعارضه الحديث قبله المحتمل أنه قال ما فيه في سجوده لانه قاله قبل اتيان علي " (فرجعت فقاتلت ثم جئته فوجدته كذلك) فعل ذلك أربع مرات وقال في الرابعة ففتح عليه (وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم) فتور يتقدم النوم يحتمل بعد فراغه من صلاته ويحتمل فيها وعند ابن اسحق أنه عليه السلام خفق في العريش خفقة قال في النور بفتح المعجمة والقاف أي حرك رأسه وهو ناعس انتهى ففيه أنه لم يستغرق على انه لو استغرق ما ضر " لان نومه ليس بناقض (ثم استيقظ متبسما فقال أبشر) بقطع الهمزة (يا أبا بكر) زاد ابن اسحق أتاك نصر الله (هذا جبريل على ثناياه النقع) بفتح النون وسكون القاف وعين مهملة " الغبار اشارة للاهتمام بمناصرته صلى الله عليه وسلم لبدخل عليه وعلى أصحابه السرور وفي البخاري " عن ابن عباس أن النبي " صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب قال الحافظ وأخرج سعيد بن منصور تتمة لهذا الحديث مفيدة من مرسل عطية بن قيس أن جبريل أتى النبي " صلى الله عليه وسلم بعد ما فرغ من بدر على فرس حمراء معقودة الناصية قد عصب الغبار ثنيته عليه درعه وقال يا محمد ان الله بعثني اليك وأمرني أن لا افارقك حتى ترضى افرضيت قال نعم وروى البيهقي " عن علي " قال هبت ريح شديدة لم أر مثلها ثم هبت ريح شديدة وأظنه ذكر ثالثة فكانت الاولى جبرائيل والثانية ميكائيل والثالثة اسرافيل فكان ميكائيل عن يمين النبي " صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر واسرافيل عن يساره وأنا فيها انتهى ورواه ابن سعد وذكر الثلاثة جزما وقال فكانت الاولى جبريل في ألف من الملائكة مع النبي " صلى الله عليه وسلم والثانية ميكائيل في ألف عن يمينه والثالثة اسرافيل في ألف عن يساره وأخرج أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه والبيهقي " عن علي " قال قيل لي ولابي بكر يوم بدر ومع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل واسرافيل ملك عظيم يحضر الصف ويشهد القتال قال الحافظ والجمع بينه وبين هبت ريح الخ ممكن (ثم خرج من باب العريش وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال الزجاج يعني الادبار لان اسم الواحد يقع على الجمع أي سيفرق شملهم ويغلبون وقيل افرد لان كل واحد يولي دبره وقيل اشارة الى انهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة ولا يثبت أحد فيهم دبر احد وقيل لاجل رؤس الآي وفي هذا علم من اعلام النبوة لان هذه الآية نزلت بمكة وأخبرهم بانهم سيهزمون في الحرب فكان كما قال وأخرج الطبري " وابن مردويه عن ابن عباس لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ولابن مردويه عن أبي هريرة عن عمر لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله أي جمع فذكره ولابن أبي حاتم فعرفت تأويلها يوم بدر (فان قلت كيف جعل) أي شرع (أبو بكر يأمره عليه السلام) يسأله أو يلتمس منه على التسوية بين الامر والدعاء والالتماس (بالكف عن الاجتهاد في الدعاء ويقوي رجاءه ويثبته ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم هو المقام الاحمد) الذي لا يصل اليه أحد ومقام الصديق رضي الله عنه

دونه

دونه بمراحل فانه بعد النبيين ومقام النبي عليه السلام فوق الجميع (ويقينه فوق يقين كل أحد أجاب السهيلي نقلا عن شيخه) القاضي أبي بكر بن العربي الحافظ (بأن الصديق في تلك الساعة كان في مقام الرجاء) ثقة بوعد الله نبيه (والنبي صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف) قال القاضي أبو بكر وكلا المقامين سواء في الفضل قال السهيلي لا يريد يعني شيخه أن النبي صلى الله عليه وسلم والصديق سواء ولكن الخوف والرجاء مقامان لابد للايمان منهما فكان الصديق في مقام الرجاء والنبي صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف من الله (لان لله تعالى أن يفعل ماشاء فخاف أن لا يعبد الله في الارض) بعدها (فخوفه ذلك عبادة انتهى) ولا ريب أن خوفه أعلى من رجاء أبي بكر (وقال الخطابي لا يتوهم) لفظه لا يجوز أن يتوهم (أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة بل الحامل للنبي صلى الله عليه وسلم على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم فبالغ في التوجه) بأن أقبل بجملته على الله باطنا (والدعاء) الطلب باللسان (والابتهال) التضرع والاخلاص في الدعاء (لتسكن نفوسهم عند ذلك لانهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة فلما قال له أبو بكر ما قال كف عن ذلك) الاجتهاد في الدعاء (وعلم أنه استجيب له لما) حين (وجد أبا بكر في ثقة من القوة والطمأنينة) اللتين هما علامة بحسب العادة الربانية مع المصطفى وصحبه على عدم ضررهم وحصول مطلوبهم (فلهذا أعقبه بقوله سيهزم الجمع الذين قالوا نحن جميع منتصر (ويولون الدبر) قال في الفتح وزل من لا علم عنده ممن ينسب الى الصوفية في هذا الموضع زللا شديدا فلا يلتفت اليه ولعل الخطابي أشار اليه (وقال غيره وكان النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة في مقام الخوف وهو أكمل حالات الصلاة) الدعاء أو الشرعية فان وقوعها في الخوف أعلى الاحوال والدرجات (وجاز عنده) عليه السلام (أن لا يقع النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا لتلك الواقعة وانما كان مجملا) فيفرض تأخره مدة لا ينافي أنه أعطاه ما وعده به (هذا هو الذي يظهر من بادئ الرأي) وهذا غير جواب السهيلي لان ملحظه تجويز أن النصر لا يقع يومئذ وتأخره مدة وملحظ جواب السهيلي أنه خاف أن لا يعبد الله في الارض ويأتي ما نقله النووي عن العلماء وذهب قاسم بن ثابت في معنى الحديث الى غير هذا فقال انما قال ذلك الصديق رقة عليه صلى الله عليه وسلم لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال له بعض هذا يا رسول الله أي لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر وكان رقيق القلب شديد الاشفاق عليه صلى الله عليه وسلم (وانما قال عليه الصلاة والسلام اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام) ساقه هنا بلفظ مسلم وفيما مر بمعناه (فلا تعبد بعد اليوم لانه علم أنه خاتم النبيين فلو هلك هو ومن معه) افاد أن العصابة هو وأصحابه لا هم فقط لجواز أنه يدعو غيرهم فيؤمنون ويعبدون (لا يبعث أحد ممن يدعو الى الايمان) وذلك مستلزم عادة لعدم الايمان وان كان الله قادرا على ان الناس يعبدونه بغير واسطة رسول تتعلق ارادته بعبادتهم كما قال انما قولنا لشئ الآية (وأما شدة اجتهاده عليه الصلاة والسلام ونصبه) بفتحتين تعبه (في الدعاء فانه) كما قال السهيلي (رأى

الملائكة تنصب) بفتح الصاد (في القتال وجبريل على ثناياه الغبار وأنصار الله يخوضون) يقتحمون (غمرات الموت) شدائده (والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد بالدعاء ومن سنة الامام) عادته وطريقته (أن يكون وراء الجند) خلف الجيش (لا يقاتل معه فكان الكل في جد) بكسر الجيم (واجتهاد) عطف تفسير (ولم يكن) مريدا (ليريح نفسه من أحد الجدين وأنصار الله وملائكته يجتهدون) جملة حالية (ولا ليؤثر الدعة) الراحة (وحزب الله) المؤمنون (مع أعدائه يجتلدون انتهى) كلام السهيلي (وفي صحيح مسلم) وسنن أبي داود والترمذي (عن ابن عباس قال) حدثني (عمر بن الخطاب) قال (لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف) هذا أولى بالصواب لصحته وكونه عن عمر ووافقه عليه ابن مسعود وهما بدريان ومر قول ابن عقبة وابن عائذ أنهم تسعمائة وخمسون مقاتلا وأنه يمكن الجمع بأن الخمسين باقي الالف غير مقاتلين وهذا خير من تأويل الحديث بأنه في نظر الرائي لان فيه ردا الحديث الصحيح المسند عمن حضر الوقعة الى كلام أهل السير بلا اسناد على ان الرائي انما كان يراهم قليلا كما في القرآن وإذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا (وأصحابه ثلثمائة وتسعة عشر رجلا) بفوقية فسين مهملة ونسخة وبضعة عشر بموحدة فضاد تحريف من النساخ للعزو لمسلم فان بضعة رواية البخاري عن البراء أما رواية مسلم عن عمر فتسعة بفوقية وسين وكذا نقله عنه اليعمري والحافظ جامعا بأنه ضم الى الثلثمائة والثلاثة عشر من لم يؤذن له في القتال (دخل العريش فاستقبل القبلة ومد يديه وجعل يهتف) بفتح أوله وكسر الفوقية قال النووي أي يصيح ويستغيث بالدعاء وفيه استحباب استقبال القبلة ورفع اليدين في الدعاء وأنه لا بأس برفع الصوت فيه (بربه) يقول رافعا صوته (اللهم أنجز) بفتح الهمزة (لي ما وعدتني) أسقط من رواية مسلم اللهم آتني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الارض (فما زال يهتف بربه مادا يديه) أسقط من الرواية مستقبل القبلة (حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كذاك) بالذال المعجمة بمعنى كفاك قال قاسم بن ثابت كذاك يراد بها الاغراء والامر بالكف عن الفعل وهو المراد هنا ومنه قول جرير

تقول وقد تراحت المطايا * كذاك القول ان عليك عينا

أي حسبك من القول فاتركه قال الحافظ وأخطأ من زعم أنه تصحيف وأن الاصل كفاك اه وقال النووي قوله كذاك بالذال ولبعضهم أي الرواة كفاك بالفاء وفي البخاري حسبك وكله بمعنى (مناشدتك) بالنصب على الاشهر بما فيه من معنى الفعل من الكف وبالرفع فاعل به قاله عياض ثم النووي (ربك) بالنصب قال السهيلي أتى بالمفاعلة والرب لا ينشد عبده لانها مناجاة للرب ومحاولة لامر يريده وفي البخاري فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك قد ألحت على ربك (فانه سينجز لك ما وعدك) من النصر قال النووي قال العلماء انما فعل صلى الله عليه وسلم هذه المناشدة ليراه أصحابه بتلك الحال فتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه مع ان الدعاء عبادة وقد كان الله وعده احدى الطائفتين اما العير واما الجيش

والعير

والعير قد ذهبت فكان على ثقة من حصول الاخرى ولكن سأل تعجيل ذلك من غير أذى يلحق المسلمين (فأنزل الله تعالى اذ تستغيثون ربكم) تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم بدل من اذ يعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق أو على اضمار اذكر وجمع وان كان الدعاء من المصطفى وحده للتعظيم أو لانه يعم الجميع فكانهم مشاركون له أو لان الصحابة كانوا يستغيثون أيضا كما روى انهم لما علموا أن لا محيص من القتال قالوا أى رب انصرنا على عدوك أغثنا باغياث المستغيثين (فاستجاب لكم انى) قال البيضاوى أى بأنى فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ أبو عمرو بالكسر على ارادة القول أو اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول (ممدكم) أى (مرسل اليكم مددا لكم بألف من الملائكة مردفين) بكسر الدال اسم فاعل حال من الملائكة (أى متتابعين بعضهم فى اثر) حكى تثليث الهمزة كما فى النور (بعض) من اردفته اذا جئت بعده أو متبعين أنفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه (وعلى قراءة فتح الدال) وهى قراءة نافع ويعقوب اسم مفعول (معناه أردف الله عز وجل المسلمين) بألف من الملائكة (وجاءهم بهم مددا) وهو حال من مفعول ممدكم أو من الملائكة والمعنى انهم مردفون بملائكة تعقبهم وتنضم اليهم قال النحاس ومكى وغيرهما وقراءة كسر الدال أولى لان أهل التأويل عليها ولان عليه أكثر القراء ولان فيها معنى الفتح قاله القرطبى (وفى الآية الاخرى) فى آل عمران ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) قرأ جعفر بن محمد وعاصم الجحدرى بألف بضم اللام جمع ألف كافلس جمع فلس فلا خلاف بين الآيتين وعلى القراءة المشهورة بالافراد (فقيل فى معناه) جمعا بينهما (ان الالف أردفهم بثلاثة آلاف فكان الاكثر مددا للاقل وكان الالف مردفين) بفتح الدال (بمن وراءهم) والمعنى أن الثلاثة آلاف قوت الالف وزادتهم (والالف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين) والباقون كانوا عددا ومددا فاتفقت الآيتان وقيل فى الجمع أيضا ان الالف كانوا على المقدمة أو الساقة أو هم وجوههم وأعيانهم (وهم الذين قال لهم فثبتوا الذين آمنوا) بالبشارة وتكثير سوادهم أو بمحاربة أعدائهم فيكون قوله سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله انى معكم وفيه دليل على انهم قاتلوا (وكانوا فى صور الرجال) فكان الملك يمشى أمام الصف فى صورة رجل ويقول أبشروا فان الله ناصركم عليهم ويظن المسلمون أنه منهم ذكره القرطبى (ويقولون للذين آمنوا اثبتوا) وعلموا ذلك بقولهم (فان عدوكم قليل) باعتبار ما انضم اليهم من الملائكة أو بخذلان الله لهم حتى قلوا فى المعنى وان كثروا فى العدد أو قليل فى نظركم كما قال واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا حتى قال ابن مسعود لمن بجنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة (وان الله معكم) بالنصر والمعونة وقد رأى المشركون الملائكة لتضعف قلوبهم وتنكسر كما فى عدة أخبار (وقال الربيع بن أنس البكرى أو الحنفى البصرى نزيل خراسان صدوق له أوهام ورمى بالتشيع مات سنة أربعين ومائة وقيل قبل الاربعين (امد الله المسلمين بألف) أولا وهو الذى فى الانفال (ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم) لما صبروا واتقوا (صاروا خمسة آلاف) كما قال تعالى ان تصبروا

وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف الآية قال في فتح الباري كان الربيع جمع بذلك بين آيتي آل عمران والانفال (وقال سعيد بن أبي عروبة) مهران اليشكري مولاهم البصري مما رواه ابن أبي حاتم عنه (عن قتادة) بن دعامة الاكمه المفسر المشهور (أمد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف) من الملائكة وهذا موافق للربيع (و) روى ابن أبي حاتم بسند صحيح (عن عامر الشعبي) التابعي (أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز) بضم الكاف وسكون الراء وزاي (ابن جابر) الفهري صحب بعد واستشهد في الفتح كما مر (يمد) بضم الياء وكسر الميم من الامداد أي يعين (المشركين فشق عليهم فأنزل الله تعالى ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) انكار أن لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم كذا في الانوار قال شيخنا وكان وجه الاشعار أنه لما ادخل همزة الاستفهام الانكاري على النفي للكفاية في المستقبل أفاد انهم كانوا لا يرجونه ولا يأملونه (الى قوله مسومين) معلمين من التسويم وهو اظهار سيما الشيء وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو (قال) الشعبي (فبلغت كرزا الهزيمة) للمشركين (فلم يمد المشركين ولم يمد المسلمون بالخمسة) وانما امدوا بالالف ثم بالثلاثة وما ذكره من ان هذه الآية في قصة بدر قال الحافظ هو قول الاكثر فهي متعلقة بقوله ولقد نصركم الله ببدر وبه جزم الداودي وعليه عمل البخاري وأنكره ابن التين فذهل وقيل متعلقة بقوله واذ غدوت من أهلك فهي في غزوة أحد وهو قول عكرمة وطائفة وقد لمح البخاري للاختلاف في النزول فذكر قوله تعالى واذ غدوت من أهلك وكذا ليس لك من الامر شيء في أحد وذكر ما عدا ذلك في بدر وهو المعتمد انتهى (و) روى البيهقي وغيره (عن ابن عباس) قال (جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين في صورة سراقة بن مالك بن جعشم) بضم الجيم وسكون المهملة وضم المعجمة على المشهور وحكي فتحها تقدم في الهجرة وكان جنده في صورة رجال من بني مدلج وذلك كما عند ابن اسحق أن قريشا لما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا انا نخشى أن نؤتى من خلفنا فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني المدلجي وكان من أشراف بني كنانة (فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار) مجير (لكم) وفي رواية ابن اسحق وأنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا (فلما أقبل جبريل عليه السلام والملائكة) الى ابليس كما في رواية البيهقي ورآه ابليس (كانت يده في يد رجل من المشركين) هو عمير بن وهب أو الحرث بن هشام ذكرهما ابن اسحق وأسلم كل منهما بعد ذلك وصحب (فانتزع يده ثم نكص على عقبيه) أي رجع بلغة سليم قال

ليس النكوص على الادبار مكرمة * ان المكارم ادبار على الاسل

وقال

وما نفع المستأخرين نكوصهم * ولا ضر أهل السابقات التقدم

وليس هنا قهقرى بل هو فرار كما قال اذا سمع الاذان ادبر وله ضراط قاله القرطبى قال فى رواية البيهقى ثم ولى هاربا هو وشيعته (فقال الرجل يا سراقة أتزعم أنك لنا جار) وقد خذلتنا وانهزمت لتكون سببا فى هزيمتنا (فقال انى أرى مالاترون) من مجىء الملائكة لنصر المسلمين ولا ينافيه أن المشركين رأوا الملائكة لانهم رأوهم فى صورة الرجال فظنوهم رجالا وابليس عرف انهم ملائكة أو رأى جملتهم والمشركون بعضهم أوغير ذلك (انى أخاف الله) قال الحسن خاف أن يكون يوم بدر اليوم الذى أنظر اليه اذ رأى فيه مالم يرقبله وقال قتادة كذب مابه من خوف ولكن علم انه لا قوة له فأوردهم وأسلمهم وهذه عادته لطاعمه وقيل غير ذلك (والله شديد العقاب) قال البيضاوى يجوز أنه من كلامه وأنه مستأنف وفى ذلك يقول حسان

سرنا وساروا الى بدر لحينهم * لو يعلمون يقين العلم ماساروا
دلاهمو بغرور ثم أسلمهم * ان الخبيث لمن والاه غرار

وحمل الآية لى تصوره بصفة سراقة هو مذهب الجمهور وقيل المراد الوسوسة وقوله انى جار لكم مقالة نفسانية وقال صلى الله عليه وسلم مارأى الشيطان يوما هو أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة وماذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عزوجل عن الذنوب العظام الا مارأى يوم بدر قيل ومارأى يوم بدر يارسول الله قال أما انه رأى جبريل والملائكة رواه مالك فى الموطا (وروى أن جبريل نزل فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صورة الرجال) لا ينافى هذا أن كلا نزل فى ألف كما رواه ابن سعد وغيره كما مر لجواز أنه أردف كل بخمسمائة أو الخمسمائة بقيد كونهم (على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمائم بيض) من نور كما فى الرواية (قد أرخوا أطرافها بين اكتافهم) ففى كونها من نور اشارة الى ان ذلك بالنظر لما تصوروا به اذلم يكن عليهم شئ من العمائم المعروفة عليهم الصلاة والسلام (وقال ابن عباس رضى الله عنهما كانت سيما) خبر مقدم أى علامات (الملائكة يوم بدر عمائم) اسم كان (بيض) صفته (ويوم حنين عمائم خضر) رواه ابن اسحق والطبرانى وفى اسناده عمار بن أبى مالك ضعفه الازدى (وعن على كانت سيما الملائكة يوم بدر الصوف الابيض) أى النور المرئى للناظر مثل الصوف الابيض اذ الملائكة أجسام نورانية لا يليق بها الملابس الجسمانية (وكانت سيماهم أيضا فى نواصى خيلهم) وأذنابها كما هو بقية الرواية عند من عزاله بقوله (رواه ابن أبى حاتم) عبد الرحمن ابن محمد بن ادريس بن المنذر التميمى الحنظلى الرازى الحافظ ابن الحافظ (وروى ابن مردوية) بسند فيه عبد القدوس بن حبيب وهو متروك (عن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه) لفظة استعملها المحدثون بدل قال صلى الله عليه وسلم (فى) تفسير (قوله تعالى مسومين قال معلمين) بضم الميم وسكون العين اسم مفعول من أعلم الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان أو بفتح العين وشد اللام من علم أو اللام مخففة من علم كنصر وضرب وسم (وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود) أى بعضهم فلا يخالف ما قبله ولا ما بعده اشارة للمسلمين بالسودد والنصر وأنهم يسودون عدوهم بالقتل والاسر كما لبس صلى الله عليه وسلم

العمامة السوداء يوم فتح مكة (ويوم حنين عمائم خضر) موافق لما قبله (وروى ابن أبي
حاتم عن الزبير) بن العوام البدري الحواري (أن الملائكة نزلت) يوم بدر (وعليهم
عمائم صفر) ورواه ابن جرير باسناد حسن عن أبي اسيد الساعدي وهو بدري ولفظه
خرجت الملائكة يوم بدر في عمائم صفر قد طرحوها بين اكتافهم وذلك اظهار لامارات
السرور للمسلمين وأن هذا الحرب الذي هم فيه انما هو فرح بنا لهم لاترح وفي الاصفر من
التفريح والسرور ما يشهد به قوله تعالى تسر الناظرين ولذا قيل من لبس نعلا صفراء
لم يزل في سرور مادام لابسها ورفعه كذب كما قال أبو حاتم فعلم من هذه الروايات أن
عمائمهم اختلفت ألوانها لكن قال السيوطي الذي صح من الروايات في العمائم أنها صفر
مرخاة بين الاكتاف ورواية البيض والسود ضعيفة ثم هذا كله مع ما يأتي يرد قول عكرمة
ومن وافقه ان نزول الملائكة في غزوة أحد ويؤيد قول الاكثرين وهو المعتمد كما مر عن
الحافظ أنه في بدر وقد قال البخاري في صحيحه باب شهود الملائكة بدرا وقال مسلم في الصحيح
باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر وفي مسند اسحق بن راهوية عن جبير بن مطعم رأيت
قبل هزيمة القوم ببدر مثل البجاد الاسود أقبل من السماء كالنمل فلم اشك أنها الملائكة فلم
يكن الا هزيمة القوم والاخبار طافحة بقتالهم في بدر وهو ظاهر القرآن حتى (قيل ولم تقاتل
الملائكة غير يوم بدر وكانوا يكونون فيما سواه عددا) بضم العين جمع عدة كغرف وغرفة
(ومددا) لا يضربون (وبذلك) بل وبترجيحه (صرح العماد بن كثير في تفسيره فقال
المعروف من قتال الملائكة) على العموم (انما كان يوم بدر ثم روى) باسناده (عن ابن
عباس قال لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر) وهذا حجة على من زعم انهم لم يقاتلوا فيها (وقال
ابن مرزوق ولم تكن تقاتل في غيرها بل يحضرون خاصة على المختار من الاقوال) الثلاثة
(عند بعضهم) التي هي قاتلت فيها دون غيرها قاتلت فيها وفي غيرها لم تقاتل فيها ولا في غيرها
وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فالملك واحد يكفي في اهلاك أهل الدنيا
وهذه شبهة يدفعها ما يأتي عن السبكي (وفي نهاية البيان في تفسير التبيان عند تفسير قوله
تعالى ويوم حنين وهل قاتلت الملائكة) يوم حنين (أم لا فيه قولان احدهما وهو قول
الجمهور أنها لم تقاتل) لان الله انما قال وأنزل جنودا لم تروها ولا دلالة فيه على قتال (انتهى
وهذا) أي القول بأنها لم تقاتل الا يوم بدر (يرده حديث مسلم في صحيحه) في المناقب لا المغازي
(عن سعد بن أبي وقاص أنه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد
رجلين) ملكين في صفة رجلين (عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد) وفي رواية
الطيالسي لم أرهما قبل ذلك اليوم ولا بعده (يعني جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام
يقاتلان كأشد القتال) الكاف زائدة أو للتشبيه أي كأشد قتال بني آدم وانما عزاه
لمسلم فقط مع أن البخاري أخرجه أيضا لزيادة مسلم يعني جبريل وميكائيل (قال النووي
فيه) من الفوائد (بيان اكرامه صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة تقاتل معه وبيان أن
قتالهم لم يختص بيوم بدر قال) النووي (وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه
أي يوم بدر بقتال الملائكة (فهذا) الحديث (صريح في الرد عليه) ولا صراحة فيه

وقد

وقد اجاب عنه البيهقى وغيره بما حاصله ان قتال الملائكة ببدر كان عاما عن جميع القوم وأما فى أحد فانهما ملكان وقتالهما عن النبى صلى الله عليه وسلم دون غيره على انه لا يلزم من ذلك قتالهما بل يجوز أنهما كانا يدفعان عنه ما يرمى به من نحو السهام وعبر عن ذلك بالقتال مجازا (قال) النووى (وفيه) أيضا (أن رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بل يراهم الصحابة والاولياء) ولكن على غير صورهم الاصلية (انتهى) وقد يعلمون بأنهم ملائكة وقد لا يعلمون كما فى حديث ولا يعرفه منا أحد وقال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم (قال ابن الانبارى) بفتح الهمزة وسكون النون نسبة الى الانبار بالعراق (وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل) بالبناء للمفعول (الآدميون فعلمهم الله تعالى بقوله فاضربوا فوق الاعناق أى الرؤس) فالتعبير بالاعناق مجاز فانها الوصلة بين الرأس والجسد والضرب على الرأس أبلغ لان أدنى شئ يؤثر فى الدماغ وهذا قول عكرمة ويوافقه قول ابن عباس كل هام وجمجمة وقال الضحاك وعطية والاخفش فوق زائدة وخطأهم محمد بن يزيد لان فوق تفيد معنى فلا تجوز زيادتها ولكن المعنى أنه ابيح لهم ضرب الوجوه وما قرب منها (واضربوا منهم كل بنان قال ابن عطية) أى (كل مفصل) وهو قول الضحاك قال الزجاج واحده بنانة وهى هنا الاصابع وغيرها من الاعضاء قال ابن فارس البنان الاصابع ويقال الاطراف وقيل المراد بالبنان فى الآية اطراف الاصابع من اليدين والرجلين لان ضربهما يعطل المضروب عن القتال بخلاف سائر الاعضاء ويؤيد الاول قوله (قال السهيلى جاء فى التفسير أنه ما وقعت ضربة يوم بدر الا فى رأس أو مفصل وكانوا) كما رواه يونس بن بكير فى زيادات المغازى والبيهقى عن الربيع بن أنس قال كان الناس (يعرفون قتلى) جمع قتيل (الملائكة) ممن قتلوه (باثار سود فى الاعناق والبنان) مثل سمة النار قد احترق كما هو بقية الرواية ولعله الغالب أو أريد بالسواد ما خالف اللون المعتاد فيهم والا ففى مسلم فى بقية الحديث الذى قدمه عنه المصنف قال أبو زميل فحدثنى ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم فنظر الى المشرك أمامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع فجاء الانصارى فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة (وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال حدثنى رجل من بنى غفار) قال البرهان لا أعرف اسمه وهو مذكور فى الصحابة (قال اقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا) أى علونا يقال صعد وأصعد بمعنى كما فى المطالع (على جبل يشرف على بدر ونحن مشركان) أى كافران قال البرهان ورأيت فى نسخة من سيرة ابن هشام مشتركان بزيادة تاء وصحح عليها انتهى فان صحت فتردلما هنا أى مشتركان فى الكفر وفى كوننا (ننظر الوقعة على من تكون الدبرة) بفتح الدال المهملة الهزيمة (فننهب مع من ينهب فبينا نحن فى الجبل اذ دنت سحابة فيها حمحمة) بحائين مهملتين بعد كل ميم صوت (الخيل) دون الصهيل (فسمعت قائلا يقول اقدم) بهمزة قطع مفتوحة وكسر الدال

من الاقدام كما رجحه ابن الاثير وصوبه الجوهرى وقال النووى انه الصحيح المشهور أو بهمزة وصل مضمومة وضم الدال المهملة من التقدم وقدمه ابن قرقول أو بكسر الهمزة وفتح الدال واقتصر عليه فى البارع قال أبو ذر كلمة يزجر بها الخيل (حيزوم) بحذف حرف النداء أى يا حيزوم بحاء مهملة مفتوحة فتحتية ساكنة فزاى مضمومة فميم فيعول من الحزم وتطلق أيضا على الصدر قال الشامى فيجوز أنه سمى به لانه صدر خيل الملائكة ومتقدم عليها انتهى ورواه العذرى بالنون بدل الميم قال عياض والصواب الاول وهو المعروف لسائر الرواة والمحفوظ (فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه) بكسر القاف وتخفيف النون وعين مهملة غشاؤه تشبيها بقناع المرأة (فمات) مكانه (وأما أنا فسكدت أهلك ثم تماسكت) مثله فى العيون وفى السبل ثم انتعشت بعد ذلك (رواه البيهقى وأبو نعيم) وابن اسحق (والدبرة بفتح الموحدة) وفى نسخة بسكون الموحدة وفى النور باسكان الموحدة ويجوز فتحها وفى السبل بفتحتين وتسكن (الهزيمة فى القتال) وفى تذكرة القرطبى الدبرة ويروى الدابرة والمعنى متقارب قال الازهرى الدابرة الدولة تدول على الاعداء والدبرة النصر والظفر يقال لمن الدبرة أى الدولة وعلى من الدبرة أى الهزيمة انتهى (وحيزوم اسم فرس جبريل قاله فى القاموس) تبعا للجمع ورده الشامى بما رواه البيهقى عن خارجة بن ابراهيم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من القائل يوم بدر من الملائكة اقدم حيزوم فقال جبريل ما كل أهل السماء اعرف وجوابه أن قائله غير جبريل خاطب به فرس جبريل فلا ينافيه قوله ما كل الخ على ان ذا الحديث دال لمن قال انها فرس جبريل اقوله من القائل ولم يقل وما حيزوم قال البرهان ولجبريل فرس أخرى ويحتمل أن أحدهما اسم والآخر لقب الحياة وهى التى قبض من أثرها السامرى فألقاها فى العجل الذى صاغه فكان له خوار (وروى أبو أمامة) أسعد وقيل سعد (بن سهل بن حنيف) الانصارى المعروف بكنيته المعدود فى الصحابة لان له رؤية ولم يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم فانه ولد قبل وفاته بعامين وأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فحنكه وسماه باسم جده لامه أبى امامة أسعد بن زرارة وكناه وبارك عليه مات سنة مائة وله اثنتان وتسعون سنة روى له الجميع (عن أبيه) سهل بن حنيف بضم المهملة وفتح النون وسكون التحتية وبالفاء ابن واهب الانصارى الاوسى شهد المشاهد كلها وثبت يوم أحد وبايع يومئذ على الموت استخلفه على على البصرة بعد الجمل ثم شهد معه صفين ومات فى خلافته سنة ثمان وثلاثين وصلى عليه وصح أنه كبر عليه خمسا وفى رواية ستا وقال انه شهد بدرا (قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف) وما ذاك الا من الملائكة ففيه حجة على من أنكره (رواه الحاكم وصححه و) تلميذه (البيهقى وأبو نعيم) أحمد بن عبد الله وروى ابن اسحق عن أبى واقد المازنى قال انى لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه اذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفى فعرفت أنه قتله غيرى لكن قال ابن عساكر فى سنده من لا يعرف وهذه القصة انما كانت لابى واقد يوم اليرموك والصحيح قول الزهرى عن سنان الديلى أن أبا واقد انما أسلم عام الفتح وقال

قوله ويحتمل أن احدهما الخ انظر ما مرجع ضمير التثنية وحاصل ما ذكره على ما يظهر أن البرهان يقول ان لجبريل فرسين احدهما حيزوم والآخر الحياة ويحتمل انه فرس واحد يسمى بحيزوم ويلقب بالحياة هكذا ظهر وان كانت عبارة الشارح لا تفى بذلك فتأمل اه مصححه

أبو عمر لا يثبت أنه شهد بدرا وكذا قال أبو نعيم (قال الشيخ تقى الدين) على بن عبد الكافى (السبكى سئلت عن الحكمة فى قتال الملائكة مع النبى صلى الله عليه وسلم مع أن جبريل عليه السلام قادر على أن يدفع الكفار) بأجمعهم (بريشة من جناحه) كما روى أنه رفع مدائن قوم لوط وهى أربع مدائن فى كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل من الارض السفلى على قوادم جناحه حتى سمع أهل السماء نباح كلابها وأصوات بنيها ودجاجها وقلبها (فقلت) فى الجواب فعل (ذلك لارادة أن يكون الفعل للنبى صلى الله عليه وسلم ولاصحابه وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الاسباب وسنتها التى اجراها الله فى عباده والله فاعل الجميع انتهى) وذكر ابن هشام أن شعار الملائكة كان يوم بدر أحد أحد (ولما التقى الجمعان) بعد ما مر من الصلاة والابتهال النبوى وقتال على وربوعه بجد المصاق ساجدا وتزاحف الناس ونزول الملائكة وقول أبى جهل كما عند ابن اسحق اللهم اينا كان اقطع للرحم واتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة فكان هو المستفتح على نفسه (تناول صلى الله عليه وسلم كفا) أى مل كف بأمر جبريل كما جاء عن ابن عباس (من الحصباء) بالمد صغار الحصى وفى رواية ثلاث حصيات كما يأتى وروى ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى عن حكيم بن حزام سمعنا صوتا من السماء يوم بدر وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت فى طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحصاة فانهزمنا فذلك قوله تعالى وما رميت الآية وعن جابر سمعت صوت حصيات وقعت من السماء يوم بدر كأنهن وقعن فى طست وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى ناولنى قبضة من الحصباء وعنه أيضا أن جبريل قال له خذ قبضة من تراب والجمع بينها سهل بأن تكون الحصيات نزلت من السماء وبعض عبر عنها بحصاة وبعض بحصيات بحسب ما تخيله ثم تفتتت فقال له جبريل خذها فقال لعلى ناولنى قبضة من الحصباء فناوله (فرمى به) أى بما تناوله فلذا ذكر الضمير لانه لو أراد الكف لانثه لانها مؤنثة (فى وجوههم وقال شاهت الوجوه) أى قبحت خبر بمعنى الدعاء أى اللهم قبح وجوههم ويحتمل أنه خبر لان جبريل لما أمره برميهم بالحصباء تحقق ذلك (فلم يبق مشرك الا دخل فى عينيه ومنخريه) ونيه كما فى رواية والمنخر بفتح الميم والخاء وكسرهما وضمهما وكمجلس وعصفور الانف كما فى القاموس وغيره (منها شئ فانهزموا) قال ابن عقبة وغيره فكانت تلك الحصباء عظيما شأنها اصابت المشرك لا يدرى أين يتوجه يعالج التراب بنزعه من عينيه فصاروا يقتلونهم ويأسرونهم (فقتل الله من قتل) اسند اليه تعالى لكونه الخالق له والمميت حقيقة وان نسب الضرب للعبد (من صناديد قريش) اشرافهم وشجعانهم فمنهم أمية بن خلف اسره عبد الرحمن بن عوف وأراد استبقاءه لصداقة كانت بينهما فنظره بلال فنادى يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا فهبروه بأسيافهم وذكر الواقدى أن الذى تولى قتله خبيب بمعجمة وموحدة مصغر ابن اساف بكسر الهمزة وخفة المهملة وفاء الانصارى وقال ابن اسحق رجل من بنى مازن من الانصار وفى المستدرك أن رفاعة بن رافع طعنه بالسيف وقال ابن هشام اشترك فى قتله معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وخبيب بن اساف

ويقال قتله بلال والجمع أن الكل اشتركوا فيه وكان أمية قد عذب بلالا بمكة في المستضعفين
فجعل الله قتله على يده وفجعه قبل قتله يومئذ بقتل ابنه على بن أمية قتله عمار بن ياسر حتى
صاح أمية صيحة لم يسمع مثلها قبل وهنأ الصديق بلالا بقوله

هنيأ زادك الرحمن فضلا * فقد أدركت ثارك يا بلال

ومنهم عدو الله أبو جهل قال ابن اسحق أقبل يرتجز ويقول

ماتنقم الحرب العوان منى * بازل عامين حديث سنى
لمثل هذا ولدتنى أمى

فأذاقه الله الهوان بأن قتله حفزا في زعمه وجعل ذلك حسرة عليه حتى قال لو غير أكار
قتلنى بشد الكاف أى زراع يعنى أن الانصار أصحاب زرع فأشار الى تنقيص من قتله منهم
والمعنى لو كان الذى قتلنى غير أكار لكان أحب الى وأعظم لشأنى ولم يكن على نقص
فى ذلك وروى البخارى وغيره عن عبد الرحمن بن عوف قال انى لفى الصف يوم بدر
اذ التفت فاذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن اذ قال لى احدهما سرا من
صاحبه يا عم ارنى أبا جهل فقلت يا ابن أخى وما تصنع به قال عاهدت الله ان رأيته أقتله
أو أموت دونه فقال لى الآخر سرا مثل صاحبه فما سرنى انى بين رجلين مكانهما فأشرت
لهما اليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء معاذ ومعوذ وفى الصحيحين
عن انس قال صلى الله عليه وسلم من ينظر ما فعل أبو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد
ضربه ابنا عفراء حتى برك فأخذ بلحيته فقال أنت أبا جهل فقال فهل فوق رجل قتله قومه
أو قال قتلتموه والرواية أنت أبا جهل بالنصب ولها توجيهات معلومة من غريبها أنه خاطبه
باللحن قصد الاهانة وعند ابن اسحق والحاكم قال ابن مسعود فوجدته بآخر رمق
فوضعت رجلى على عنقه فقلت اخزاك الله يا عدو الله قال ولم اخزانى هل اعمد رجل قتلتموه
اى اشرف أى انه ليس بعار أخبرنى لمن الدبرة اليوم أى النصر والظفر قلت لله ورسوله قال
وزعم رجال من بنى مخزوم أنه قال لابن مسعود لقد ارتقيت يا رويعى الغنم مرتقى صعبا
ثم احتززت رأسه وعند ابن عقبة وأبى الاسود عن عروة أنه أى بعد هذه المكالمة وجده
لا يتحرك منه عضو فأتاه من ورائه فتناول قائم سيف أبى جهل فاستله ورفع بيضته عن قفاه
فوقع رأسه بين يديه وعند ابن اسحق والحاكم فى حديث ابن مسعود فجئت برأسه الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقلت هذا رأس عدو الله أبى جهل فقال الله الذى لا اله الا هو فحلفت له ثم
ألقيت رأسه بين يديه فحمد الله وفى زيادات المغازى ليونس بن بكير فأخذ صلى الله عليه وسلم
بيد ابن مسعود ثم انطلق حتى أتاه فقام عنده ثم قال الحمد لله الذى أعز الاسلام وأهله ثلاث
مرات وروى ابن عائذ من مرسل قتادة رفعه ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو
جهل قتله الله شر قتلة قتله ابنا عفراء وقتلته الملائكة وتذافه ابن مسعود بفتح الفوقية والذال
معجمة ومهملة وشد الفاء أى أجهز عليه والحاصل أن معاذا ومعوذا ابنى عفراء وهى أمهما
كما مر وأبوهما الحرث بالغا به بضربهما اياه بسيفيهما منزلة المقتول حتى لم يبق به الا مثل حركة
المذبوح وفى تلك الحالة لقيه ابن مسعود فكالمه ثم ضرب عنقه بسيف نفسه لكن فى الصحيحين

من حديث عبد الرحمن بن عوف أنه قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء وأن النبي صلى الله عليه وسلم نظر في سيفيهما وقال كلا كما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح قال ابن عبد البر وعياض وأصح منه حديث الصحيحين عن انس أي وعبد الرحمن أيضا كما مر أن قاتله ابنا عفراء وجمع الحافظ باحتمال أن معاذ بن عفراء شد عليه مع معاذ بن عمرو وضربه بعد ذلك معوذ بن عفراء حتى اثبته ثم حز رأسه ابن مسعود فتجتمع الاقوال كلها انتهى وسبقه اليه النووي فقال اشترك الثلاثة في قتله لكن ابن الجموح اثخنه أولا فاستحق السلب وانما قال كلا كما قتله تطييبا لقلب الآخر من حيث ان له مشاركا في قتله وان كان القتل الشرعي الذي يستحق السلب وهو الاثخان واخراجه عن كونه ممتنعا انما وجد من ابن الجموح انتهى قال في النور وهو صحيح لكن اعطاء ابن الجموح السلب يدل على انه الذي ازال امتناعه قلت هذا حاصل الجمع وبه صرح النووي كما ترى فلا معنى لاستدراكه وجاء انه قال لابن مسعود احتز من أصل العنق ليرى عظيما مهابا في عين محمد وقل له مازلت عدوا لي سائر الدهر واليوم أشد عداوة فلما أتاه برأسه وأخبره قال كما أني أكرم النبيين على الله وأمتي أكرم الامم على الله كذلك فرعون هذه الامة أشد وأغلظ من فراعنة سائر الامم اذ فرعون موسى حين ادركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وفرعون هذه الامة ازداد عداوة وكفرا وذكر عياض أن ابن مسعود انما وضع رجله على عنقه ليصدق رؤياه قال ابن قتيبة ذكر أن أبا جهل قال لابن مسعود لاقتلنك فقال والله لقد رأيت في النوم انى أخذت حدجة حنظل فوضعتها بين كتفيك ورأيتني أضرب كتفيك ولئن صدقت رؤياى لاطأن على رقبتك ولاذبحنك ذبح الشاة الحدجة بفتح المهملتين والجيم وتاء تأنيث الحنظلة الشديدة ومنهم ومنهم وقد اطلت لتشوف النفس لقتل هذا الفرعون مع انه ماخلا من فائدة (وأسر من أسر) وهم سبعون (من أشرافهم) جمع شريف ويجمع أيضا على شرفاء ولعله خصهم بهذا والقتلى بالاسناد يد تنبيها على أن القتلى هم المعروفون بالشجاعة بينهم وان كانوا اشرفاء وعند ابن اسحق انهم لما جعلوا يأسرون والنبي صلى الله عليه وسلم في العريش وسعد بن معاذ على بابه متوشح السيف في نفر من الانصار يحرسونه يخافون كرة العدو فرأى عليه السلام في وجه سعد الكراهة فقال له والله لكأنك ياسعد تكره مايصنع القوم قال اجل والله يارسول الله كانت أول وقعة اوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان في القتل أحب الي من استبقاء الرجال (وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم) العدوي مولاهم المدني (في) تفسير (قوله تعالى ومارميت اذ رميت) أتيت بصورة الرمي (ولكن الله رمى) بايصال ذلك اليهم لان كفا من الحصباء لايملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر وقيل مارميت الفزع والرعب في قلوبهم اذ رميت بالحصباء فانهزموا ولكن اعانك الله وظفرك وصنع ذلك حكاه أبو عبيدة في المجاز عن ثعلب (قال) عبد الرحمن وأعاده للفصل بين كلام الله وتفسيره (هذا يوم بدر أخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات) نزلت من السماء وأمره جبريل بأخذها فنا ولها له علي كما مر (فرمى بحصاة في ميمنة القوم) جهة يمينهم (وبحصاة في ميسرة القوم) جهة

شماالهم (وبحصاة بين اظهرهم) أى بينهم فاظهر زائدة (وقال شاهت) قبحت (الوجوه) زاد فى الرواية اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم (فانهزموا) لا يلوون على شئ أى لا يلتفتون وألقوا دروعهم (وقد روى عن غير واحد) كعمر عند الطبرانى وحكيم بن حزام عنده وعند ابن جرير وابن أبى حاتم وجابر وابن عباس كلاهما عند أبى الشيخ وقاله الجمهور قال القرطبى وهو الصحيح والسيوطى هو المشهور (أن هذه الآية نزلت فى رميه صلى الله عليه وسلم يوم بدر وان كان قد فعل ذلك) أى الرمى بالحصباء (يوم حنين أيضا) ويوم أحد أيضا كما عند الحاكم على شرط مسلم (كما سيأتى ان شاء الله تعالى) فى غزوتيهما وقيل نزلت فى طعنة طعنها عليه السلام لابى بن خلف يوم أحد بحربته فوقع عن فرسه ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات رواه الحاكم بسند صحيح قال السيوطى لكنه غريب وقيل فى سهم رماه يوم خيبر فسار فى الهواء حتى أصاب ابن أبى الحقيق وهو على فراشه رواه ابن جرير باسناد مرسل جيد لكنه غريب وقيل فى حصبه يوم خيبر قال القرطبى ما حاصله وهذا كله ضعيف لان الآية نزلت عقب بدر وأما قوله فلم تقتلوهم فروى أن الصحابة لما صدروا عن بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل فعلت كذا فعلت كذا فجاء من ذلك تفاخر ونحو ذلك فنزلت الآية اعلاما بأن الله هو المحيى المميت والمقدر لجميع الاشياء وأن العبد انما يشارك بكسبه وقصده انتهى (وقد اعتقد جماعة) كما قال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد فى هدى خير العباد (أن المراد بالآية سلب فعل الرسول) صلى الله عليه وسلم (عنه واضافته الى الرب تعالى) لغرضهم الفاسد المشار له بقوله (وجعلوا ذلك أصلا فى الجبر) بجيم وموحدة ساكنة أى مذهب الجبريين الزاعمين جبر العبد على الفعل لا ينسب له منه شئ كما فسره بقوله (وابطال نسبة الافعال الى العباد وتحقيق نسبتها الى الرب وحده) تعالى عن ذلك علوا كبيرا (وهذا) كما قال ابن القيم (غلط منهم فى فهم القرآن ولو صح ذلك لوجب طرده فيقال ما صليت اذ صليت ولا صمت اذ صمت ولا فعلت كذا اذ فعلت) بفتح التاء فى الجميع خطابا على المتبادر أو بضمها للمتكلم (ولكن الله فعل ذلك فان طردوا ذلك لزمهم فى أفعال العباد) ومنها بقوله (طاعتهم ومعاصيهم اذ لا فرق) فلا ينسب لهم منها شئ فلا يكونون ممتثلين لفعل مأمور به ولا ترك منهى عنه فلا يثابون على طاعة ولا يعاقبون على معصية وهذا هدم للشريعة وابطال للآيات والاحاديث الكثيرة (وان خصوه بالرسول وحده وأفعاله) أى بأفعال الرسول (جميعها أو) خصوه (برميه وحده) دون باقى افعاله (ناقضوا) أنفسهم حيث نفوا جملة الافعال عن العباد ونسبوا بعضها الى بعضهم (فهؤلاء لم يوفقوا لفهم ما أريد بالآية و) انما تأويلها مع الجواب انه (معلوم أن تلك الرمية من البشر) وخصوصا من واحد (لا يبلغ هذا المبلغ فكان منه صلى الله عليه وسلم مبدأ الرمى وهو الحذف) بمهملة ومعجمة الرمى بالحصباء (ومن الرب تعالى نهايته وهو الايصال فأضاف اليه رمى الحذف الذى هو مبدؤه) من اضافة الاعم الى الاخص أى الرمى الذى هو الحذف وكذا يقال فى (ونفى عنه رمى الايصال الذى هو نهايته) وذهب ثعلب فى معنى الآية الى ان المنفى الرعب الذى ألقاه الله فى قلوبهم حتى انهزموا كما مر ولكنه يقتضى انهزامهم بمجرد الرعب وهو

خلاف الواقع من تسليط الملائكة والمسلمين بالقتل والاسر فأثر ذلك انهزامهم لا بمجرد الرعب فما عليه ابن القيم في فهم الآية كغيره أولى (ونظير هذا في الآية نفسها) باعتبار المآل اذ ليس فيها نفي قتل عنهم واثباته لهم (قوله تعالى فلم تقتلوهم) لم تزهقوا أرواحهم بقوتكم وضربكم (ولكن الله قتلهم) اذ هو الذي اهلكهم وأماتهم وقيل قتلهم بتمكينكم منهم وقيل بالملائكة الذين امدكم بهم حكاهما القرطبي ولم يقل اذ قتلتموهم كما قال اذ رميت لمشاركة الملائكة اهم في قتلهم بخلاف الرمي فلم يشاركه صلى الله عليه وسلم فيه أحد (ثم قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فأخبر أنه تعالى وحده هو الذي تفرد بايصال الحصباء الى اعينهم ولم يكن برسوله صلى الله عليه وسلم ولكن وجه الاشارة بالآية انه سبحانه أقام اسبابا تظهر للناس فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافا اليه) صلوات الله عليه وحاصلا بفعله ولا يرجع الضمير للاسباب لتذكيره (وبه وهو خير الناصرين) كما قال في الكتاب المبين (قال) محمد (بن اسحق) بن يسار امام المغازي (وقاتل عكاشة) بضم العين وشد الكاف وتخفف (ابن محصن) بكسر الميم وفتح الصاد ابن حرثان بضم المهملة وسكون الراء ومثلثة (الاسدي) ممن يدخل الجنة بغير حساب كما في الصحيحين (يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلا) بكسر الجيم وفتحها وسكون الذال المعجمة واحد الاجذال وهي أصل الحطب قال الشامي والمراد هنا العرجون بضم المهملة أصل العذق بكسر العين الذي يعوج وينعطف ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخلة يابسا (فقال له قاتل به) يا عكاشة فأخذه منه (فهزه فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد المتن) أي الظهر من اضافة الوصف الى فاعله أي شديد امتنه أو المراد بالمتن هنا الذات تسمية للكل باسم جزئه (أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون) بفتح المهملة واسكان الواو وبالنون قاله البرهان وتبعه الشامي (ثم لم يزل) السيف (عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده) في قتال أهل الردة زمن الصديق قتله طليحة بن خويلد الاسدي وروى الواقدي حدثني اسامة بن زيد الليثي عن داود بن الحصين عن رجال من بني عبد الاشهل عدة قالوا انكسر سيف سلمة بن أسلم بن الحريس يوم بدر فبقي اعزل لا سلاح معه فأعطاه صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده من عراجين ابن طاب فقال اضرب به فاذا سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد ورواه البيهقي أيضا الحريس بفتح المهملة وكسر الراء وسين مهملة قاله البرهان محتجا بقول الزبير ليس في نسب الانصار حريش بمعجمة غير الحريش ابن جحجبي وما سواه بالمهملة وضبطه الشامي بالمعجمة وأعزل بفتح الهمزة وسكون المهملة فزاي وابن طاب بمهملة فألف فموحدة نوع من تمر المدينة نسب الى ابن طاب رجل من أهلها وجسر أبي عبيد كان سنة أربع عشرة (وجاءه عليه الصلاة والسلام يومئذ) أي يوم بدر (فيما ذكره القاضي عياض عن) عبد الله (بن وهب) بن مسلم القهري مولاهم المصري الحافظ الامام الزاهد من أجلة الناس وثقاتهم ورجال الجميع مات في شعبان سنة سبع وتسعين ومائة (معاذ بن عمرو) قلد في ذلك اليعمري وانتقده محشيه البرهان بأن الذي في الشفاء

معوذ بن عفراء (يحتمل يده ضربه عليها عكرمة) بن أبي جهل أسلم بعد الفتح وقاله فى ذلك اليعمرى أيضا ورده محشيه بأن الذى فى الشفاء ان القاطع لها أبو جهل (فبصق عليه الصلاة والسلام) بالصاد والزاى أى أخرج ريقه ورمى به (عليها فلصقت) بكسر الصاد وفيه علم من أعلام النبوة باهر نعم روى ابن اسحق ومن طريقه الحاكم عن ابن عباس قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بنى سلمة سمعتهم يقولون وأبو جهل فى مثل الحرجة أبو جهل لا يخاص اليه فجعلته من شانى فصمدت نحوه فلما امكننى حملت عليه فضربته ضربة اطنت قدمه بنصف ساقه قال فوالله ماشبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخه حين يضرب بها قال وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى وأجهضنى القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت عليها حتى طرحتها (قال ابن اسحق) فى بقية ذا الحديث الذى ذكرته (ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان) رضى الله عنه ولم يذكر فى حديثه هذا انه أتى بها المصطفى فتوهم اليعمرى وتبعه المصنف أن كلام القاضى فيه فوهما لانها قصة أخرى كما علم والحرجة بفتح المهملة والراء والجيم وتاء تأنيث شجر ملتف كالغيضة قاله فى النهاية وفى حواشى أبى ذر الشجرة الكبيرة الاغصان وفى العين الحرجة الغيضة اطنت قدمه اسرعت قطعها مرضخه بضاد وخاء معجمتين كما فى النهاية وفى الصحاح انه بحاء مهملة أيضا وأجهضنى بجيم وهاء ومعجمة شغلنى واشتد على (و) روى ابن اسحق حدثنى يزيد بن رومان (عن عروة ابن الزبير عن عائشة رضى الله عنها) قالت (لما أمر صلى الله عليه وسلم بالقتلى) أى بعظمائهم (أن يطرحوا فى القليب) ففى الصحيح عن انس عن أبى طلحة أن نبى الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فى طوى من اطواء بدر خبيث مخبث وعند ابن عائذ بضعة وعشرين قال الحافظ ولا تنافى فالبضع يطلق على الاربع أيضا قال ولم أقف على تسمية الاربع والعشرين جميعهم بل تسمية بعضهم ويمكن اكمالهم ممن سرده ابن اسحق من قتلى الكفار ببدر بأن يقتصر على من كان يذكر بالرياسة ولو تبعا الا بيه وفى حديث البراء فى الصحيح أن قتلى بدر من الكفار سبعون فكان المطروحين فى القليب الرؤساء منهم ثم من قريش وخصوا بالمخاطبة الآتية لما تقدم منهم من المعاندة وطرح باقى القتلى فى امكنة اخرى وأفاد الواقدى أن هذا القليب كان حفره رجل من بنى النار فناسب أن يلقى فيه هؤلاء الكفار (فطرحوا فيه) بالفاء فى جواب لما على رأى ابن مالك أوزائدة على رأى الجمال بن هشام لكن الثابت عند ابن اسحق بدون فاء فهى زائدة من قلم المصنف أو نساخه (الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأها) أى الدرع لانها مؤنثة عند الاكثر (فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة) قال السهيلى رحمه الله فى الروض (وانما ألقوا فى القليب) لانه كان من سنته عليه السلام فى مغازيه اذا مر بجيفة انسان أمر بدفنه لا يسأل عنه مؤمنا كان أو كافرا كذا وقع فى السنن للدارقطنى فالقاؤهم فى القليب من هذا الباب (ولم يدفنوا الا انه عليه الصلاة والسلام كره أن يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب أيسر عليهم)

قال

قال ووافق أن القليب حفره رجل من بني النار اسمه بدر فكان فألا مقدما لهم وهذا على أحد القولين في بدر انتهى كلام السهيلي برمته ولا يرد على قوله لانه كان من سنته أن بدرا أول مغازيه التي وقع فيها القتل لجواز أن المراد أنها طريقته التي كان يحبها في نفسه ويعزها على غيرها ففعل ما سهل عليه في بدر ثم داوم على ما يحبه في بقية مغازيه (وفي الطبراني عن انس بن مالك) روى أحمد بسند صحيح عنه أنه سئل هل شهدت بدرا فقال وأين أغيب عن بدر قال الحافظ في الفتح وكأنه كان في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم لما ثبت عنه أنه خدمه عشر سنين وذلك يقتضي أن ابتداء خدمته له حين قدومه المدينة فكأنه خرج معه الى بدر أو مع عمه زوج أمه أبي طلحة وقال في الاصابة انما لم يذكروه في البدريين لانه لم يكن في سن من يقاتل (قال أنشأ) بفتح أوله وهمزة آخره أي ابتدأ (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه (يحدثنا عن أهل بدر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالامس من بدر) وهذا ظاهر في انه كان ليلا وبه صرح الحافظ فقال وقع هذا في الليلة التي التقوا في صبيحتها كما مر وان في رواية أخبر بذلك قبل الواقعة بيوم أو أكثر وفي أخرى يوم الواقعة وجمع ابن كثير بأنه لا مانع أن يخبر بذلك في الوقتين وعلى انه أراهم ليلا فيمكن أنه مراد رواية يوم الواقعة باطلاق اليوم على ما يقرب منه من الليل ولا ينافيه قوله (يقول هذا مصرع فلان) لجواز أن قوله ذلك ليلا وحينئذ فقوله (غدا) مستعمل في حقيقته (ان شاء الله) ويقع في أكثر النسخ وفي الطبراني عن أنس بن مالك قال أنشأ فظاهره أن الحديث من مسند أنس وأنه شهد تحديث المصطفى بذلك والذي في الطبراني انما هو عن انس عن عمر كما قدمناه وكذا أخرجه مسلم بنحوه عنه عن عمر وتلك النسخ فيها سقط ويدل عليه قوله (قال عمر فو الذي بعثه بالحق ما أخطؤا الحدود التي حدها صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم) غاية لمحذوف صرح به في حديث أبي طلحة عند البخاري عقب قوله الذي قدمته قريبا عنه خبيث مخبث وكان اذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى وتبعه أصحابه فقالوا ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم (فقال يا فلان بن فلان) بجوز في النور ضم فلان وفتح ابن وفتحهما وضمهما قال وذكر الثالث في التسهيل انتهى فضم الاول على الاصل وفتحه على الاتباع لفتحة ابن واختاره البصريون والمبرد لخفته وضمهما قال الدماميني على التسهيل رواه الاخفش عن بعض العرب قال وكان قائله راعى أن التابع ينبغي أن يتأخر عن المتبوع ولم يراع أن الاصل الحامل على الاتباع قصد التخفيف وفي التصريح حكى الاخفش أن بعض العرب يضم الابن اتباعا لضم المنادى نظير الحمد لله بضم اللام في تبديل حركة بأثقل منها للاتباع وفي كون ذلك من كلمتين وفي تبعية الثاني للاول لكنه مخالف في كونه اتباع معرب لمبني والحمد لله بالعكس (ويا فلان بن فلان) كناية عن علم مذكر لعاقل وانثاه فلانة بزيادة تاء وزادوا أل في علم ما لا يعقل فرقا بينه وبين العاقل لكن في الهمع أنه وقع في الحديث بغير لام فيما لا يعقل أخرج ابن حبان والبيهقي وأبو يعلى عن ابن عباس قال ماتت شاة لسودة فقالت يا رسول الله ماتت فلانة تعني الشاة (هل

وجدتم ما وعدكم الله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا) وفي رواية عن انس ان وقوفه على
شفة الركي ومناداته لهم بذلك كان ليلا وشفة الركي طرف البئر وللكشميهني شفا بفتح المعجمة
والفاء مقصور حرفه والركي بفتح الراء وكسر الكاف وشد الياء البئر قبل أن تطوى والاطواء
جمع طوي وهي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار قال الحافظ ويجمع بأنها
كانت مطوية فاستهدمت فعادت كالركي (وفي رواية) اخرجها ابن اسحق وأحمد ومسلم
وغيرهم عن انس (فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا
جهل بن هشام) فسمى أربعة من الاربعة والعشرين الذين ألقوا في القليب قال الحافظ
ومن رؤساء قريش ممن يصح الحاقه بمن سمي عبيدة والعاصي والدا أبي أحيحة سعيد بن
العاصي بن أمية وحنظلة بن أبي سفيان والوليد بن عتبة والحرث بن عامر وطعيمة
ابن عدي وهؤلاء من بني عبد مناف ومن سائر قريش نوفل بن عبد وزمعة وعقيل
ابنا الاسود والعاصي بن هشام أخو أبي جهل وأبو قيس بن الوليد أخو خالد ونبيه
ومنبه ابنا الحجاج السهمي وعلي بن أمية بن خلف وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة
ومسعود بن أبي أمية أخو أم سلمة وقيس بن الفاكه بن المغيرة والاسود بن عبد الاسد
أخو أبي سلمة وأبو العاصي بن قيس بن عدي السهمي وأمية بن رفاعة فهؤلاء عشرون
تنضم الى الاربعة فتكمل العدة انتهى (وفي بعضه نظر لان أمية بن خلف لم يكن في القليب
لانه كان كما تقدم ضخما وانتفخ فألقوا عليه من الحجارة والتراب ما غيبه) وقد أخرج ذلك
ابن اسحق من حديث عائشة كما مر (ولكن) قال الحافظ في الفتح (يجمع بينهما بأنه كان
قريبا من القليب فنودي فيمن نودي لكونه كان من جملة رؤسائهم) وخصت الرؤساء
بالمخاطبة لما تقدم منهم من المعاندة كما مر عن الحافظ فتخصيصهم زيادة في اذلالهم (قال ابن
اسحق حدثني بعض أهل العلم أنه عليه الصلاة والسلام قال يا أهل القليب بئس العشيرة)
أنتم فالمخصوص بالذم محذوف (كنتم) ولفظ ابن اسحق بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم
(كذبتموني وصدقني الناس) وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس
فجزاكم الله عني من عصابة شرا اخونتموني أمينا وكذبتموني صادقا الى هنا رواية ابن اسحق
وهو مرسل أو معضل وذكر ابن القيم في الهدى أنه قال ذلك قبل أن يأمر بطرحهم
في القليب فان كان مراده خصوص رواية ابن اسحق هذه فيحتمل ولا يرد قوله يا أهل القليب
لانه سماهم اهله باعتبار الاول والا فحديث أبي طلحة في الصحيح يرد عليه فانه صرح بانه أمر
بطرحهم فلما كان اليوم الثالث قام على شفا الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم
يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم انكم اطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قال أي أبو طلحة فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من
أجساد لا ارواح لها وفي بقية رواية الطبراني التي قدمها المصنف عن انس (فقال عمر بن
الخطاب) مستفهما (كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها) وفي رواية مسلم فسمع عمر
صوته فقال يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون ويقول الله تعالى انك لا تسمع
الموتى (فقال) صلى الله عليه وسلم زاد في رواية الصحيحين والذي نفسي بيده (ما أنتم بأسمع

لما أقول منهم) بل هم أسمع منكم قال الحافظ بآذان رؤسهم على قول الاكثر أو بآذان قلوبهم انتهى وان صدق النفى بالمساواة لغة لكن خصه الاستعمال بأن المنفى عنه الحكم أقوى فى ثبوت مدلوله ممن فضل عليه ويؤيده رواية ما أنتم بأفهم لقولى منهم أولهم أفهم لقولى منكم ويؤيد المساواة قوله عند الطبرانى باسناد صحيح من حديث ابن مسعود يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون (غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيأ) هذه رواية الطبرانى ولفظ رواية مسلم لكن لا يستطيعون أن يجيبوا أى لعدم الاذن لهم فى اجابة أهل الدنيا كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون هذا هو الاصل فلا يقدح فيه ما اتفق من كلام بعض الموتى لبعض الاحياء لاحتمال الاذن لذلك البعض (وتأولت عائشة رضى الله عنها ذلك فقالت انما أراد النبى صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليعلمون أن الذى أقول لهم) من استعمال المضارع بمعنى الماضى أى ليعلمون ان ما قلت لهم فيما مضى من التوحيد والايمان وغيرهما هو (الحق ثم قرأت) مستدلة لما ذهبت اليه (انك لا تسمع الموتى الآية) وهذه عبارة اليعمرى والذى فى الصحيح عن عروة عن ابن عمر قال وقف النبى صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم قال انهم الآن ليسمعون ما أقول فذكر لعائشة فقالت انما قال النبى صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق ثم قرأت انك لا تسمع الموتى حتى قرأت الآية (فقولها يدل على انها كانت تنكر ذلك مطلقا) أى فى حالة استقرارهم فى النار وغيرها خلاف قول عروة فى البخارى تقول أى عائشة حين تبوؤا مقاعدهم من النار قال الحافظ مراده ان يبين مراد عائشة فأشار الى أن الاطلاق فى انك لا تسمع الموتى مقيد باستقرارهم فى النار وعلى هذا فلا معارضة بين انكار عائشة واثبات ابن عمر لكن قولها يدل على انها كانت تنكر ذلك مطلقا (لقولها) ان الحديث انما هو بلفظ (انهم الآن ليعلمون) وان ابن عمر وهم فى قوله ليسمعون اه فالمصنف أسقط من كلام الحافظ ما بين الاطلاق فحير شيخنا فيه فقال لعله فى أهل القليب وغيرهم أو لا بحالهم ولا باحيائهم فى قبورهم وانما يحيون بعد البعث انتهى قال البيهقى والعلم لا يمنع السماع والجواب عن الآية أنهم لا يسمعون وهم موتى (و) لكن أحياهم حتى سمعوا كما (قال قتادة) بن دعامة فيما رواه البخارى عنه عقب حديث أبى طلحة السابق (أحياهم الله تعالى) زاد الاسماعيلى بأعيانهم وأسقط المصنف من قول قتادة حتى أسمعهم قوله صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى قبل قوله (توبيخا وتصغيرا) قال الحافظ الصغار الذلة والهوان (ونقمة) بكسر النون وسكون القاف كما فى الناصرية وفى حاشية اليونينية بفتح النون وكسر القاف قاله المصنف (وحسرة) وندما كما هو بقية قول قتادة فى البخارى أى لاجل التوبيخ فالمنصوبات للتعليل (وفيه) أى قول قتادة هذا (رد على من أنكر أنهم يسمعون) لانه أثبت سماعهم غايته انه بعد الاحياء (كما روى عن عائشة رضى الله عنها) انكار ذلك وفى التعبير بروى شئ لانه فى الضعيف وهذا ثابت عنها فى الصحيح ولذا عبر الحافظ بلفظ كما جاء عن عائشة (ومن الغريب) أى خلاف المشهور عنها (ان فى المغازى لابن اسحق رواية يونس بن بكير باسناد جيد) أى مقبول كما قال السيوطى والمقبول يطلقون جيدا

(عن عائشة رضى الله عنها حديثا) مثل حديث أبي طلحة السابق كما فى الفتح (وفيه ما أنتم باسمع لما أقول منهم وأخرجه الامام أحمد) عنها (باسناد حسن فان كان) ذلك (محفوظا) عن عائشة (فكانها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة) الذين رووا القصة وهم فصحاء عارفون بمواقع الكلام كيف وهم عمر وابن مسعود وعبد الله بن سيلان بكسر المهملة وسكون التحتية أخرج أحاديثهم الطبرانى وأبو طلحة وابن عمر أخرجهما البخارى وغيره (لكونها لم تشهد القصة) وهؤلاء شهدوها الا ابن عمر وابن سيلان فأما ابن عمر فاستصغر يوم بدر كما فى الصحيح وأما ابن سيلان فلم يذكر فيمن شهدها فارسلا ذلك عن غيرهما ومرسل الصحابى حكمه الوصل وهو حجة كما تقرر وهذا كما هو ظاهر انما هو على رواية الصحيح عن عائشة أن المصطفى انما قال انهم الآن ليعلمون أما على ماقدمه المصنف أنها تأولت وقالت انما أراد النبى الخ فلا يأتى هذا فان نفى الارادة لا ينافى انه قاله بل التأويل فرع الثبوت اللهم الا ان يكون المراد انها رجعت عن انكارها بقاء اللفظ على ظاهره وان تأويله واجب وأبقته على ظاهره والمحوج لهذا التعسف عدول المصنف عن رواية الصحيح عنها الى عبارة اليعمرى كما مر ثم أتى بكلام الحافظ فى شرح الصحيح (وقال الاسماعيلى كان عند عائشة رضى الله عنها من الفهم والذكاء) سرعة الفطنة كما فى القاموس (وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه) أتى بذلك تأدبا وتمهيدا للاستدراك التلايتوهم غبى منه أنه لم يعرف مقامها (لكن لا سبيل) طريق (الى رد رواية الثقة الا بنص مثله) فى كونه رواية عن الثقة أيضا (يدل على نسخه أو تخصيصه) ويصار لهما بالرواية (أو استحالته) عطف على بنص أو على نسخه والاول أقرب وتدرك بالعقل والثلاثة منتفية هنا (فكيف) يصار الى انكارها مع انتفاء الثلاثة (والجمع بين الذى انكرته واثبته غيرها ممكن) وذلك (لان قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لا ينافى قوله صلى الله عليه وسلم انهم الآن يسمعون لان الاسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع فى أذن السامع فالله تعالى هو الذى أسمعهم بان أبلغهم صوت النبى صلى الله عليه وسلم بذلك) ولم يسمعهم المصطفى فحصل التوفيق بين الآية والحديث (وأما جوابها بانه انما قال انهم ليعلمون فان كانت) بنته على فهمها الآية فقد علمت انه لا تنافى وان كانت (سمعت ذلك) من النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أو من غيره لانها لم تشهد القصة (فلا تنافى رواية يسمعون) اذ العلم لا يمنع السماع (بل تؤيدها) لان علم المخاطب فى العادة انما يكون بما يسمعه (وقال السهيلى ما محصله ان فى نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك) من الله (لنبيه صلى الله عليه وسلم لقول الصحابة له) كما رواه مسلم فى حديث انس عن عمر (أتخاطب أقواما قد جيفوا) بفتح الجيم وشد الياء أى صاروا جيفا منتنين كما تفيده النهاية وغيرها وضبطه شيخنا فى النسخ الصحيحة خلاف ما فى بعضها من ضبطه بالبناء للمجهول فانه أمر بالضرب عليه وأثبت فتح الجيم كما قلنا (فأجابهم بما أجابهم) اجمله ليأتى على كل الروايات فيما أجابهم به والى هنا ما تصرف فيه على السهيلى ولذا احتاج أن يقول ما محصله ولفظه فى الروض عائشة لم تحضر وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه صلى الله عليه وسلم وقد قالوا له يا رسول الله أتخاطب اقواما

قد جيفوا فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم و (قال) السهيلى تلوهذا ما لفظه (واذا جاز أن يكونوا فى تلك الحالة عالمين) كما أثبتته عائشة (جاز أن يكونوا سامعين) كما أثبته عمر وابنه وأبو طلحة وغيرهم اذ لا فرق وأيضا فالعلم لا يمنع السماع كما قال البيهقى (وذلك اما باذان رؤسهم) على قول الاكثر واما باذان قلوبهم هذا ما نقله الحافظ عن محصل كلام السهيلى وتبعه المصنف فى الشرح والشامى ولم ينقلوا ما زاده هنا عنه بقوله (اذا قلنا ان الروح تعاد الى الجسد) كله (أو الى بعضه عند المسئلة وهو قول أكثر أهل السنة واما باذان القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال على الروح من غير رجوع الى الجسد أو بعضه) ولعلهم حذفوه من كلامه لاشكاله لانه اذا قيل لا تعاد الروح لشئ من الجسد لزم أن لا يكون السماع بأذن القلب فالمناسب أن يقول اما باذان رؤسهم أو قلوبهم اذا قلنا الخ اللهم الا ان يكون لم يرد بالقلوب الشكل الصنوبرى بل الاحوال القائمة به فيحصل بها الادراك كما قال غير واحد فى معنى القلب وفى الفتح قال السهيلى وقد تمسك بهذا الحديث من قال السؤال يتوجه على الروح والبدن ورده من قال انما يتوجه على الروح فقط بأن الاسماع لاذن الرأس لا لاذن القلب فلم يبق فيه حجة قلت اذا كان الذى وقع حينئذ من خوارق العادة للنبى صلى الله عليه وسلم لم يحسن التمسك به فى مسئلة السؤال أصلا انتهى (قال) السهيلى (وقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها احتجت بقوله تعالى وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير) وفى الصحيح انها احتجت أيضا بقوله انك لا تسمع الموتى (و) لا حجة فيه لان (هذه الاية كقوله تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى أى ان الله هو الذى يهدى ويوفق ويوصل الموعظة الى آذان القلوب لا أنت) وان أوصلتها الى آذان الرؤس (وجعل الكفار أمواتا) فى انك لا تسمع الموتى صريحا وفى وما أنت بمسمع من فى القبور واستلزاما (وصما) فى أفأنت تسمع الصم (على جهة التشبيه بالاموات وهم احياء وبالصم فالله هو الذى يسمعهم على الحقيقة اذا شاء لا نبيه ولا أحد فاذا لا تعلق بالاية من وجهين أحدهما انها انما نزلت) أى وردت (فى دعاء الكفار الى الايمان) فهو مجاز (والثانى) لو حملت على الحقيقة لم يكن فيها معارضة وذلك (أنه انما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم وصدق الله فانه لا يسمعهم اذا شاء الا هو يفعل ما يشاء وهو على كل شئ قدير) الى هنا انتهى كلام السهيلى كما يعلم من رؤية روضه لا كما زعمه من قال الفصل بأى فى قوله أى ان الله الخ مشعر بأنه ليس من كلامه بل هو كله كلامه وأتى بأى لتفسير المراد بالاية وهذا ظاهر جدا يعنى فحمل الحديث على انه اسمعهم كلام نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينافى الاية وفى فتح البارى اختلف أهل التأويل فى المراد بالموتى وبمن فى القبور فحملته عائشة على الحقيقة وجعلته أصلا احتاجت معه الى تأويل الحديث وهذا قول الاكثر وقيل هو مجاز والمراد بالموتى وبمن فى القبور الكفار شبهوا بالموتى وهم أحياء والمعنى من هم فى حال الموتى أو فى حال من سكنوا القبور وعلى هذا لا يبقى فى الاية دليل على ما نفته عائشة والله أعلم (ولقد أحسن العلامة) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على (بن جابر) فنسبه لجد أبيه لاشتهاره به الاندلسى الاعمى صاحب شرح الالفية الشهير بالاعمى والبصير

(حيث قال بدا) ظهر صلى الله عليه وسلم (يوم بدر وهو كالبدر) الواو للحال (حوله * كواكب) رجال كالكواكب في الظهور والاشراق تشبيه بليغ بحذف الاداة أو استعارة (في افق) بسكون الفاء على احدى اللغتين للوزن أى في ناحية (الكواكب) أو فيما يظهر من نواحي الفلك التي هي مطلع الكواكب ومظهرها أو في مهب الرياح ففي القاموس الافق بضمة وبضمتين الناحية جمعه آفاق أو ماظهر من نواحي الفلك أو هي مهب الجنوب والشمال والدبور والصبا انتهى وفي نسخ المواكب بميم وكذا أنشده الشامي وقال جمع موكب أى بكسر الكاف وهو جماعة ركاب يسيرون برفق وهم أيضا القوم الركاب للزينة والتنزه (تنجلي) تظهر وتتميز عن غيرها (وجبريل في جند) أعوان وأنصار (الملائك) من اضافة الاعم الى الاخص أى جندهم الملائك جمع ملك ويجمع أيضا على ملائكة (دونه *) أى امامه صلى الله عليه وسلم وفرع على ما اثبته له ولصحبه من كثرة الملائك المناصرين له قوله (فلم تغن) بالفوقية (أعداد) بفتح الهمزة جمع عدد أى كثرة (العدو) أى الاعداء ففي القاموس العدو ضد الصديق للواحد والجمع ويحتمل قراءة يغن بتحتية وكسر همزة اعداد مصدر أعد الشئ هيأه أى لم تغن تهيئة العدو السلاح وغيره شيأ (المجذل) اسم مفعول من خذله تخذيلا اذا حمله على الفشل وترك القتال كما في المصباح يعني أن شدة المسلمين وقوتهم في اعينهم حملتهم على ذلك حتى انهزموا وتمكن المسلمون من قتلهم وأسرهم (رمى بالحصى في اوجه القوم رمية * فشرّدهم) طردهم وبدد جمعهم وفي حديث عند الطبراني لما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتا بالسيف يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ورماهم فوسعتهم الرمية وملأت أعينهم حتى ان الرجل ليقتل وهو يقذي عينيه وفاه (مثل النعام) حال كونه (بمجهل) بفتح الميم والهاء بينهما جيم ساكنة قال القاموس أرض مجهل كمقعد لا يهتدي فيها ولا يثنى ولا يجمع انتهى وأما قوله انا لنصفح عن مجاهل قومنا فمعناه زلاتهم الحاملة لنا على الجهل وهو جمع مجهل ما يحمل على الجهل وزعم ابن سيده انه اسم للارض ورد بأنه لا يصح اذ لا يتأتى الصفح عن الاراضي الا بتعسف وفي نسخة المجفل بشد الفاء أى المبالغ في طرده وله ما يهتدى اليه وفي أخرى بمجفل بفاء ساكنة دون أل أى بمحل يطرد منه والاولى أبلغ في المقام (وجادلهم) من المجادلة خاصمهم وضاربهم أو من الجود تهكما أى سمح لهم (بالمشرفي) بفتح الميم والراء السيف نسبة لمشارف بالفاء وهي كما في الصحاح وغيره قرية من أرض العرب تدنو من الريف (فسلوا * جلاد) سمح (له بالنفس) وسلم فيها اقهر اعليه (كل مجندل) مصروع مطروح على الارض ولم يقل متجدل للوزن وفي نسخ كل مجدّل بشد الدال وهي أولى ففي المصباح جدلته تجديلا ألقيته الى الجدالة وطعنه فجدله (عبيدة) بضم أوله ابن الحرث المطلبي (سل عنهم و) سل (حمزة) الهاشمي (واستمع * حديثهم في ذلك اليوم من علي) بن أبي طالب وخصهم لانهم الذين برزوا لعتبة وشيبة والوليد الذين طلبوا المبارزة وأظهروا من أنفسهم الشدة وخص عليا بالاستماع منه لانه عاش وروى الحديث بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف عبيدة فاستشهد

قوله بفاء ساكنة كذا في النسخ ولعله بجيم ساكنة اه

يومئذ

يوم بدر وحمزة ثاني عام وزعم أنه علي القد روهو المصطفى خلاف الظاهر المتبادر بل يأباه قوله (هم عتبوا) بفوقية مخففا ومشدد للمبالغة أي ضربوا (بالسيف عتبة) بن ربيعة وهو مجاز عن اللوم أو مضمن معنى القطع (اذ غدا *) أتى مبادر الطلب البراز (فذاق) هو وابنه (الوليد الموت ليس له ولي) ناصر (وشيبة لما شاب) رأسه ولحيته (خوفا) من الخوف كناية عن الحزن الذي أصابه بحيث حصل منه الشيب في غير أوان (تبادرت * اليه العوالي) جمع عالية وهي السنان من القنا (بالخضاب المعجل) المنساق سريعا والمعنى أنهم أسالوا دمه بالرماح فشبهه بخضاب الحنا واستعاره اسمه تهكما (وجال) دار في مكان الحرب يظهر شدته (أبو جهل) فكان يقول في جولانه

ما تنقم الحرب العوان مني * بازل عامين حديث سني

كما مر (لحقق جهله *) فعمل بمقتضاه فقتله الله شر قتلة (غداة) حين (تردى بالردى) الهلاك شبهه بالرداء فأثبت له ما هو من لوازمه فقال تردى أي تسربل (عن تذال) هوان وحقارة (وأضحى قليبا) أي صار ملقى (في القليب) حين جر وطرح فيه (وقومه * يؤمونه) يقصدونه (فيه) ويسيرون به (الى شر منهل) مورد وهو عين ما ترده الابل في المراعي عبر به عن البئر التي وردوها تهكما واستهزاء (وجاءهم خير الانام) صلى الله عليه وسلم (موبخا *) لاعمالهم حيث وقف وناداهم باسمائهم وأسماء آبائهم وقال يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم الى آخر ما مر (ففتح من أسماعهم كل مقفل) مغلق من قولهم اقفلته اقفالا فهو مقفل يعني انهم كانوا في غفلة واعراض لما عليها من الختم المانع من حلول الحق فيها وازيل بعد الموت فعلموا الحق عيانا كما ارشد لذلك صلى الله عليه وسلم بقوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فوصل خطابه الى اسماعهم على أكمل حالات السماع (وأخبر) عليه السلام من سأله مستفهما كيف تكلم اجساد الا أرواح فيها بقوله (ما أنتم باسمع لما أقول (منهم *) بل هم أسمع أو مساوون على ما مر (ولكنهم لا يهتدون لمقول) كثير أي لقول الجواب اذ هو اشارة لقوله عليه السلام غير انهم لا يستطيعون أن يردوا شيأ (سلاعهم) فعل أمر لا ثنين على عادة الشعراء من فرض اثنين يخاطبونهما (يوم) وضع (السلا) بفتح المهملة مقصور وعاء جنين البهيمة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد في صلاته عند الكعبة باشارة عدو الله أبي جهل (اذ تضاحكوا *) حتى مال بعضهم على بعض من الضحك وثبت عليه السلام ساجدا حتى ألقته عنه فاطمة الزهراء (فعاد) ضحكهم (بكاء عاجلا لم يؤجل) ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم عليك بقريش ثلاث مرات وغير ذلك وقد مر شرح القصة مبسوطا في أوائل المبعث (ألم يعلموا) استفهام تقريري أي قد علموا الآن (علم اليقين) ما يتيقن (بصدقه * ولكنهم لا يرجعون) لا يتمكنون من الرجوع (لمعقل) ملجأ يخلصهم مما أصابهم أو المعنى قد علموا صدقه فيما مضى علم اليقين بما شاهدوه من الآيات البينات الشاهدات بصدقه كما في شعر أبي طالب

لقد علموا أن ابننا لا مكذب * يقينا ولا يعزى لقول الاباطل

ولكنهم لم يرجعوا ولم يفعلوا ما فعلوا لعدم رجوعهم لملجأ يهتدون به وانما تبعوا الفخر والكبر

(فيا خير خلق الله جاهك ملجئي * وحبك ذخرى) بضم الذال اعتمادى (فى) يوم (الحساب وموئلى *) مرجعى (عليك صلاة يشمل الآل عرفها *) رائحتها الزكية (و) يشمل (أصحابك الاخيار أهل التفضل *) بالنفس والمال (وحكى العلامة) محمد بن محمد (بن مرزوق) التلمسانى المتوفى فى ربيع الاول سنة احدى وثمانين وسبعمائة بمصر ودفن بين ابن القاسم واشهب مرّ بعض ترجمته أوائل الكتاب (أن ابن عمر) عبد الله (رضى الله عنهما مرّ مرّة ببدر فاذا رجل يعذب ويئنّ) من وجع العذاب (فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر فلا أدرى أعرف اسمى أم كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله) على عادة العرب نظرا الى المعنى الحقيقى لان الجميع عبيد الله (فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت أن أفعل) أى أسقيه (فقال الاسود) ولم يقل الملك (الموكل بتعذيبه) لاحتمال انه لم يعلم بأنه ملك لانه انما رأى شخصا فيجوز انه عبد سلط عليه أو حيوان على صورته أو علم أنه ملك ولكن عبر بالاسود تفظيعا له (لا تفعل) لا تسقه (فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر) هو أبو جهل فان هذا الذى حكاه ابن مرزوق قد رواه الطبرانى وابن أبى الدنيا وابن منده وغيرهم عن ابن عمر قال بينما أنا سائر بجنبات بدر اذ خرج رجل من حفرة فى عنقه سلسلة فنادانى يا عبد الله اسقنى فلا أدرى أعرف اسمى أو دعانى بدعاية العرب وخرج رجل من تلك الحفرة فى يده سوط فنادانى يا عبد الله لا تسقه فانه كافر ثم ضربه بالسوط فعاد الى حفرته فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم مسرعا فأخبرته بذلك فقال لى قد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه الى يوم القيامة وروى ابن أبى الدنيا عن الشعبى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب فى الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك ففعل ذلك مرارا فقال صلى الله عليه وسلم ذاك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة كذلك والرجل الذى ابهمه الشعبى الظاهر أنه ابن عمر ويحتمل أنه غيره فيكون الرائى لابى جهل تعدد (قال) أى ابن مرزوق فى شرح البردة (ومن آيات بدر) أضافها اليها لترتبها على غزوتها فهى لادنى ملابسة (الباقية) على مدى الازمان وبه صرّح الامام المرجانى فقال وضربت طبل خانة النصر ببدر فهى تضرب الى يوم القيامة ونقله الشريف فى تاريخه واقره والشامى واقره (ما كنت اسمعه من غير واحد من الحجاج أنهم اذا اجتازوا بذلك الموضع) أى بدر (يسمعون هيئة الطبل طبل ملوك الوقت ويرون) يعتقدون (أن ذلك لنصر أهل الايمان قال وربما انكرت ذلك وربما تأولته بأن الموضع صلب) بضم فسكون أى شديد لا سهولة فيه (فتجيب) تجيب (فيه حوافر الدواب) أى تقابل بصوت يشبه تصويتها فى الارض وهو الصدى الذى يجيب بمثل الصوت فى الجبال وغيرها (وكان يقال لى انه دهس) بمهملتين سهل ليس برمل ولا تراب ولا طين كما فى الصحاح والقاموس زاد فى نسخة (رمل) أى انه للينه يشبه المكان الذى به الرمل أو استعمل دهس فى مجرد كون الارض لينة لا تقتضى سماع الصوت فقال رمل (غير صلب) صفة كاشفة (وغالب ما يسير هناك الابل واخفافها

قوله هيئة الطبل طبل فى نسخة المتن كهيئة طبل الخ اه

لا تصوت في الارض الصلبة فكيف بالرمال) فانتفى تأويلك (قال ثم لما من الله على بالوصول الى ذلك الموضع المشرق) المضيء (نزلت عن الراحلة أمشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان) بفتح المهملة قال في القاموس نبت من أفضل مراعي الابل ومنه مرعى ولا كالسعدان وله شوك يشبه حلمة الثدي (المسمى بأم غيلان) بكسر المعجمة ولعله عند العوام فلا ينافي ما رأيت عن القاموس وفيه أيضا وأم غيلان من شجر السمر (وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت أسمع فبارابي وأنا سائر في الهاجرة) شدة الحر (الا واحد) فاعل راعني لان الاستثناء مفرغ (من عبيد الاعراب الجمالين) وفي نسخة الا وواحد بواوين لكن الفاعل لا يقترن بالواو فان صحت ففيه حذف أي الا أمر عرض لي وواحد فالعطف تفسيري أو خبر مبتدا محذوف أي وهو واحد أو مبتدأ خبره (يقول اتسمعون الطبل فأخذتني لما) حين (سمعت) أو اللام للتعليل أي لسماعي (كلامه قشعريرة) بضم القاف وفتح الشين (بينة) قوية لا تلبس بغيرها (وتذكرت ما كنت أخبرت به وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وأنا دهش) متحير (مما أصابني من الفرح أو الهيبة أو ما الله أعلم به) يعني حصل له حالة لم يتحقق ما هي حتى يعبر عنها (فشككت وقلت لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي او وجدت مثل هذا الصوت وأنا حريص على طلب التحقيق لهذه الآية العظيمة فألقيت العود من يدي وجلست على الارض أو وثبت قائما أو فعلت جميع ذلك) شك فيما حصل له حين أخبر (فسمعت صوت الطبل سماعا محققا أو صوتا لا شك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمين ونحن سائرون الى مكة المشرفة ثم نزلنا ببدر فظللت) بكسر اللام الاولى واسكان الثانية (اسمع ذلك الصوت يومي اجمع) بالنصب تأكيد ليومي (المرة بعد المرة) بالنصب على الحال أي متتابعا جميع يومه من ابتداء سماعه من الهاجرة فاستعمل اليوم في بقيته مجازا (قال ولقد أخبرت ان ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس انتهى) كلام ابن مرزوق قال صاحب الخميس ولما نزلت بدرا سنة ست وثلاثين وتسعمائة وصليت الفجر يوم الاربعاء أوائل شعبان وأخذنا يوما ابتكرت نحو ذلك الصوت يجيء من كثيب ضخم طويل مرتفع كالجبل شمالي بدر فطلعت اعلاه وتابع الناس لسماعه وكانوا زهاء مائة من رجال ونساء فما سمعت شيأ فنزلت اسفله فسمعت من سفح الكثيب صوتا كهيئة الطبل الكبير سماعا محققا بلا شك مرارا متعددة وسمعه الناس كلهم كما سمعت وكان الصوت يجيء تارة من تحتنا ثم ينقطع وتارة من خلفنا ثم ينقطع وتارة من قدامنا وتارة من شمالنا فسمعناه سماعا محققا وكان الوقت صحرا رائقا لا ريح فيه انتهى ولما ذكر ما أراد من الغزوة شرع في ذكر الاسارى فقال (وروى الطبراني) والبزار (من حديث أبي اليسر) بفتح التحتية والسين المهملة وبالراء كعب بن عمرو الانصاري السلمي بفتحتين مشهور باسمه وكنيته شهد العقبة وبدرا والمشاهد ومات سنة خمس وخمسين بالمدينة وقول ابن اسحق كان آخر من مات من الصحابة كأنه يعني أهل بدر كما في الاصابة (انه اسر العباس) ابن عبد المطلب رضي الله عنه اخرج ابن اسحق عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال اني عرفت ان رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم

أحدا من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي أبا البختري فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فانما خرج مستكرها فقال أبو حذيفة بن عتبة أنقتل آباءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس والله لئن لقيته لالجمنه السيف فبلغه صلى الله عليه وسلم فقال لعمر يا أبا حفص قال عمر والله انه لاول يوم كناني فيه بأبي حفص أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف فقال عمر يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق فكان أبو حذيفة يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتها يومئذ ولا ازال منها خائفا الا أن تكفرها عني الشهادة فاستشهد يوم اليمامة رضي الله عنه (وقيل للعباس وكان جسيما) جميلا وسيما أبيض له ضفيرتان معتدلا وقيل طويلا والقائل ابنه ففي رواية الطبراني وأبي نعيم عن ابن عباس قال قلت لابي (كيف اسرك أبو اليسر وهو دميم) بدال مهملة قبيح المنظر صغير الجسم (ولو شئت) ان تجعله في كفك (لجعلته في كفك) فالمفعول محذوف دل عليه الجواب وفي رواية البزار ولو أخذته بكفك لوسعته (فقال) زاد البزار يا بني لا تقل ذلك (ما هو الا ان لقيته فظهر في عيني) بالتثنية أو الافراد مرادا به الجنس (كالخندمة) وفي رواية أبي نعيم لقيني وهو في عيني أعظم من الخندمة وهذا قاله جوابا لسائله كيف اسرك مع صغره وضعفه عنك جدا وفي السياق اشعار بأنه بعد معرفة أبي اليسر لان السائل له ابنه ولم يشهد بدرا فلا تعارض بينه وبين ما في مسند أحمد في حديث طويل عن علي فجاء رجل من الانصار بالعباس اسيرا فقال العباس ان هذا والله ما اسرني لقد أسرني رجل اجلح من أحسن الناس وجها على فرس ابلق ما أراه في القوم فقال الانصاري أنا اسرته يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اسكت فقد ايدك الله بملك كريم لان هذا قاله أول ما رأى أبا اليسر بصورة خلقته فنفى أن يكون اسره لانه انما رأى وقت الاسر الصورة التي وصفها في الملك وفي أبي اليسر كالخندمة ولذا قال له المصطفى اسكت الى آخره اشارة الى انه لم يستقل بأسره وقوله انا اسرته رد لانكار أسره من أصله فلا يعارض ما جاء انه صلى الله عليه وسلم سأله كيف اسرته فقال لقد أعانني الله عليه بملك كريم (وهي) أي الخندمة (بالخاء المعجمة) المفتوحة والنون الساكنة والدال المهملة المفتوحة فميم فتاء تأنيث (جبل من جبال مكة) شرفها الله تعالى (قاله في القاموس) والعيون وغيرهما ويقع في نسخ من جبال تهامة بدل مكة وهو وان صح في نفسه لان مكة بعض تهامة غير صحيح للعزو فالذي في القاموس مكة لا تهامة (ولما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه) كما روى ابن عائذ في المغازي من طريق مرسل أن عمر لما ولي (وثاق) بالفتح والكسر ما يوثق ويشد به (الاسرى شد وثاق العباس) رجاء اسلامه والا فقد علم تعظيم المصطفى عمن قال لالجمنه السيف (فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يئن فلم يأخذه النوم فبلغ الانصار) يحتمل من عمر (فأطلقوا العباس) كما جاء عن ابن عمر لما كان يوم بدر جيء بالاسرى وفيهم العباس وعدته الانصار أن يقتلوه فبلغ رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لم أنم الليلة من أجل عمي العباس وقد زعمت الانصار أنهم قاتلوه قال عمر أفآتيهم قال نعم فأتاهم فقال أرسلوا العباس فقالوا والله لا نرسله فقال عمر فان كان لرسول الله رضا قالوا فان كان لرسول الله رضا فخذه فأخذه عمر فلما صار في يده قال له يا عباس اسلم فوالله لئن تسلم احب الي من

ان

أن يسلم الخطاب وماذاك الا لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه اسلامك (فكان الانصار فهموا) بقرائن أو من تصريح عمر (رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفك وثاقه) ففكوه (وسألوا) أى سأل بعض الانصار المصطفى والمذكور فى الفتح عقب رواية ابن عائذ لفظه فكان الانصار لما فهموا رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفك وثاقه سألوه (أن يترك له الفداء طلبا لتمام رضاه فلم يجبهم) كما أخرجه البخارى من حديث ابن شهاب حدثنا أنس بن مالك أن رجالا من الانصار استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ائذن لنا فلنترك لابن اختنا عباس فداءه قال والله لا تذرون منه درهما قال الحافظ وأم العباس ليست من الانصار بل جدته أم عبد المطلب هى الانصارية فسموها اختا لكونها منهم وعلى العباس ابنها لانها جدته وهى سلمى بنت عمرو الخزرجية قال وانما لم يجبهم لانه خشى أن يكون فيه محاباة لكونه عمه لا لكونه قريبهم من النساء وفيه أيضا اشارة الى ان القريب لا ينبغى له أن يتظاهر بما يؤذى قريبه وان كان فى الباطن يكره ما يؤذيه ففى ترك قبول ما تبرع له الانصار به من الفداء تأديب لمن يقع منه مثل ذلك انتهى أو للتسوية بينهم حتى لا يبقى فى نفوس أصحابه الذين لهم اقارب اسرى شئ بسبب مسامحته وأخذ الفداء منهم (وفى حديث انس عند الامام أحمد استشار عليه الصلاة والسلام الناس فى الاسرى يوم بدر) أى زمنه (فقال ان الله قد امكنكم) وفى نسخة مكنكم وهما بمعنى (منهم) أسقط من رواية أحمد عن انس وانما هم اخوانكم بالامس (فقام عمر) ظاهره انه تكلم قبل أبى بكر وفى حديث عمر عند مسلم ان أبا بكر تكلم قبل عمر ولفظه استشار النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليا فقال أبو بكر يا نبى الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان وانى أرى ان تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله ان يهديهم فيكونوا لنا عضدا فقال ما ترى يا عمر قال والله ما أرى ما رأى أبو بكر الحديث مطولا وأخرجه بنحوه أحمد والترمذى وغيرهما عن ابن مسعود وابن مردويه عن ابن عباس ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم استشار الناس عموما وخصوصا فلما خص تكلم أبو بكر قبل عمر ولما عم بادر عمر فى الجواب على عادته فى الشدة فى دين الله تعالى (فقال يا رسول الله اضرب اعناقهم) امر أو مضارع ويؤيد الاول رواية مسلم والجماعة بلفظ ما أرى ما رأى أبو بكر ولكن أرى ان تمكننى من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليس فى قلوبنا مودة للمشركين هؤلاء أئمة الكفر وصناديد قريش وأئمتهم وقادتهم فاضرب اعناقهم ما أرى أن يكون لك اسرى فانما نحن راعون مؤلفون (فاعرض عنه عليه الصلاة والسلام) لما جبل عليه من الرأفة والرحمة فى حالة ايذائهم له فكيف فى حال قدرته عليهم (ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهم) فيه ترقيقهم عليهم واستعطافهم لان العفو بعد القدرة من شيم الكرام (فقال عمر يا رسول الله اضرب اعناقهم فأعرض عنه عليه الصلاة والسلام ففعل ذلك ثلاثا) وما تغير عمر عن رأيه (فقام أبو بكر الصديق) رضى الله عنه (فقال يا رسول الله أرى أن تعفو عنهم) بفتح الهمزة والواو أى فلا تقتلهم هكذا

فى نسخ صحيحة (وأن تقبل منهم الفداء) بالفتح أيضا أى أرى عدم القتل استبقاء للقرابة ورجاء لاسلامهم مع أخذ الفداء مراعاة للجيش ليقووا على الكفار وفى نسخة ان تعف بحذف الواو فالهمزة فيهما مكسورة والجواب محذوف أى ان تعف مجانا فلا بأس اذهم بنو العم والعشيرة وان تقبل منهم الفداء فلا بأس لانا نستعين به ودعوى انها اليق بادب الصديق مع المصطفى فلا ينسب لنفسه أمرا مردودة بأنه لكل مقام مقال والمقام هنا بيان الرأى الذى طلبه المصطفى خصوصا مع مخالفة عمر واعراضه عنه وأيضا فالكسر يقتضى انه خيره فى العفو مجانا والاحاديث تأباه كيف وقد صرح الصديق فى رواية مسلم بقوله أرى ان تأخذ منهم الفدية وفى رواية الترمذى وغيره استبقهم وانى أرى ان تأخذ الفداء منهم (فذهب من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان) ظهر (فيه من) التغير الدال على (الغم) من قول عمر وهوى ما قال أبو بكر (فعفا عنهم) فلم يقتلهم (وقبل منهم الفداء) فلم يسترقهم ولم يضرب عليهم جزية هذا ولم يذكر عن على جواب مع انه أحد الثلاثة المستشارين كما فى مسلم لانه لما رأى تغير المصطفى حين اختلف الشيخان عليه لم يجب أو لم تظهر له مصلحة حتى يذكرها وابهذا الماطهر لعبد الله بن رواحة الجواب وان النبى صلى الله عليه وسلم لم يرد تخصيص الثلاثة قال كما رواه الترمذى والجماعة يارسول الله انظر واديا كثير الحطب فأضرمه عليهم نارا فقال العباس وهو يسمع ما يقول قطعت رحمك وفى رواية ثكلتك أمك فدخل صلى الله عليه وسلم بيته فقال اناس يأخذ بقول عمر وأناس بقول أبى بكر وأناس بقول ابن رواحة ثم خرج فقال ان الله تعالى ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب اقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثلك يا أبا بكر فى الملائكة كمثل ميكائيل ينزل بالرحمة ومثلك فى الانبياء مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ابن مريم قال ان تعذبهم فانهم عبادك ومثلك يا عمر فى الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله ومثلك فى الانبياء مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك فى الانبياء مثل موسى اذ قال ربنا اطمس على أموالهم الآية لو اتفقتما ما خالفتكما انتم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق فقال عبد الله بن مسعود يارسول الله الا سهيل بن بيضاء فانى سمعته يذكر الاسلام فسكت صلى الله عليه وسلم فما رأيتنى فى يوم أخاف أن تقع على الحجارة من السماء منى فى ذلك اليوم حتى قال صلى الله عليه وسلم الا سهيل ابن بيضاء (قال وأنزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق) باحلال الغنائم والاسرى لكم (لمسكم فيما أخذتم) من الفداء (عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الآية) يريد واتقوا الله ان الله غفور رحيم وهذه رواية أحمد عن انس وفى روايته هو والترمذى والحاكم عن ابن مسعود فنزل القرآن بقول عمر ما كان لنبى ان تكون له اسرى الى آخر الآيات وفى رواية مسلم عن عمر فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هوى أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقلت يارسول الله اخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت

لبكائكما

لبكائكما فقال صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على أصحابك من الفداء لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض الى قوله عظيم وفي رواية ان كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما افلت منه الا ابن الخطاب زاد في رواية وسعد بن معاذ أي لانه كره يوم الوقعة الاسر وأحب الاثخان كما مرّ ولم يقل وابن رواحة لانه أشار باضرام النار وليس بشرع وهذه من جملة موافقات عمر المنتهية الى نحو الثلاثين وتحدث عمر ببعضها من باب وأما بنعمة ربك فحدث فقال كما في الصحيح وافقت ربي في ثلاث في الحجاب ومقام ابراهيم وفي اسارى بدر واستشكل هذا كله بأنه وافق رأى المصطفى ولا أجل منه ولا أسد من رأيه (ويأتي الكلام عليها في ازالة الشبهات عن الآيات المشكلات من المقصد السادس ان شاء الله تعالى) في نحو ورقة بما يشفي ويكفي وفي فتح الباري هنا اختلف السلف في أي الرأيين كان أصوب فقال بعضهم كان رأى أبي بكر لانه وافق ما قدر الله في نفس الامر ولما استقر عليه الامر ولدخول كثير منهم في الاسلام اما بنفسه واما بذريته التي ولدت له بعد الواقعة ولانه وافق غلبة الرحمة على الغضب كما ثبت ذلك عن الله تعالى في حق من كتب له الرحمة وأما من رجح الرأى الآخر فتمسك بما وقع من العتاب على أخذ الفداء وهو ظاهر لكن الجواب عنه انه لا يدفع حجة الرجحان عن الاول بل ورد للاشارة الى ذم من آثر شيأ من الدنيا على الآخرة ولو قل قال وروى الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم باسناد صحيح عن علي قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الاسرى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على أن يقتل منهم عاما مقبلا مثلهم قالوا الفداء ويقتل منا انتهى ورواه ابن سعد من مرسل عبيدة وفيه فقالوا بل نفاديهم فنتقوى به عليهم ويدخل قابلا منا الجنة سبعون ففادوهم (وأخرج ابن اسحق من حديث ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال) هذا من مراسيل الصحابة لان ابن عباس لم يشهد ذلك بل كان صغيرا مع امه بمكة فكأنه حمله عن أبيه أو غيره (يا عباس افد) بفتح الهمزة وكسرها (نفسك وابني أخيك عقيل) بفتح العين وكسر القاف (ابن أبي طالب ونوفل بن الحرث) اكبر ولد عبد المطلب (وحليفك عتبة بن عمرو قال اني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني) بسين للتأكيد أو زائدة (قال الله أعلم بما تقول ان يكن ما تقول حقا فان الله يجزيك) الثواب الاخروي والدنيوي (ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا) وشريعتنا العمل بالظاهر لا بما في نفس الامر وفيه ردّ على من قال لو كان مسلما ما أسروه ولا أخذوا منه الفداء (وذكر موسى بن عقبة ان فداءهم) أي الاسرى لا العباس ومن ذكر معه فلا ينافي ما بعده أي كل واحد منهم (كان أربعين اوقية ذهبا) وقال قتادة كان فداء كل اسير أربعة آلاف وفي العيون كان الفداء من أربعة آلاف الى ثلاثة آلاف الى ألفين الى ألف درهم وعارضه في النور بما في أبي داود والنسائي عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم جعل فداءهم يوم بدر أربعمائة قال فبينهما تفاوت كثير انتهى وروى ابن سعد من مرسل الشعبي قال كان صلى الله عليه وسلم يفاديهم على قدر اموالهم وكان أهل مكة

يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون فمن لم يكن عنده فداء دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم فاذا حذقوا فهو فداؤه وهذا يمكن أن يجمع به بين الاقوال ومن ثم قال في الشامية ومنهم من منّ عليه لانه لا مال له (وعند أبي نعيم في الدلائل باسناد حسن من حديث ابن عباس انه) قال كان فداء الرجل أربعين اوقية هذا اسقطه المصنف من الدلائل والاوقية اربعون درهما فمجموع ذلك ألف وستمائة درهم قال و(جعل على العباس مائة اوقية وعلى عقيل ثمانين اوقية) وعبا اسقطه من الدلائل وكانه اكتفى بما قبله عن موسى وان كان لا يليق لانه دليله أو أعم يتضح قوله (فقال له) صلى الله عليه وسلم (العباس ألقرابة صنعت هذا) بعاتبه اذ مقتضى القرابة التخفيف وقد شددت وأخذت منا أزيد مما أخذت من غيرنا وانما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لثروة العباس حتى لا يكون في الدين محاباة وقد كان يفاديهم على قدر أموالهم وقيل جعل عليه اربعمائة أوقية وقيل أربعين اوقية من ذهب (فأنزل الله تعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى الآية) هذا يفيد أن سبب النزول خاص واللفظ عام لكن في الشامية قال جماعة له صلى الله عليه وسلم منهم العباس انا كنا مسلمين وانما خرجنا كرها فعلام يؤخذ منا الفداء فأنزل الله يا أيها النبي الآية (فقال العباس وددت لو كنت أخذت مني اضعافها لقوله تعالى) ان يعلم الله في قلوبكم خيرا أي ايمانا واخلاصا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة زاد في رواية فقد آتاني الله خيرا منها مائة عبد وفي لفظ أربعين عبدا كل عبد في يده مال يضرب به أي يتجر فيه واني لأرجو من الله المغفرة أي لقوله تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم وروى الطبراني في الاوسط عن ابن عباس قال قال العباس فيّ والله نزلت حين اخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين اوقية التي وجدت معي فأعطاني الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر بمالي في يده مع ما أرجو من مغفرة الله وفي الصحيح عن أنس أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال انثروه في المسجد وكان اكثر مال أتي به فخرج الى الصلاة ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جلس اليه فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاءه العباس فقال أعطني فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه أنت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق وهو يقول انما أخذت ما وعد الله فقد أنجز فما زال صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه فما قام صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم وعند ابن أبي شيبة أن المال كان مائة ألف وهذا كله صريح في انه لم يفد الا نفسه وعقيلا قيل وفدى نوفلا لقوله صلى الله عليه وسلم فاد نفسك وابني أخيك نوفلا وعقيلا ولما أسلم نوفل آخى بينه وبين العباس ذكره ابن اسحق وقيل بل فدى نوفل نفسه فقد روى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم قال لنوفل افد نفسك قال ليس لي مال افتدي به فقال افد نفسك بأرماحك التي بجدة قال والله ما علم أحد أن لي بجدة رماحا غير الله أشهد أنك رسول الله وفدى نفسه بها وكانت ألف رمح ويمكن الجمع بأنه أمر العباس قبل أن يعلم

ان لنوفل مالا فلما أعلمه الله بذلك أمر نوفلا بفداء نفسه ويؤيد ذلك قول العباس فى الصحيح
فاديت نفسي وعقيلا ولم يذكر نوفلا وصدر السهيلي بأن نوفلا أسلم عام الخندق وهاجر
ومات بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر (وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين
أربعة عشر رجلا) قيل وأسهم لهم صلى الله عليه وسلم (ستة من المهاجرين) عبيدة بن
الحرث المطلبي قطعت رجله فى المبارزة فمات بالصفراء فدفنه صلى الله عليه وسلم بها وقيل مات
بالروحاء ومهجع بكسر الميم واسكان الهاء وفتح الجيم وعين مهملة مولى عمر قال ابن اسحق وابن
سعد كان أول قتيل من المسلمين وأول من جرح قتله عامر بن الحضرمى بسهم أرسله اليه وقال
صلى الله عليه وسلم يومئذ مهجع سيد الشهداء وروى الحاكم عن واثلة رفعه خير السودان
لقمان وبلال ومهجع قال البرهان ونقل بعض مشايخي انه أول من يدعى من شهداء هذه
الامة وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص الزهري ذكر الواقدى انه صلى الله عليه
وسلم رده لانه استصغره فبكي عمير فلما رأى بكاءه أذن له فى الخروج فقتل وهو ابن ستة عشر
سنة قتله العاصي بن سعيد قاله السهيلي وفي الاصابة يقال قتله عمرو بن عبد ود العامري
وعاقل بعين وقاف ابن البكير بالتصغير الليثي وصفوان بن بيضاء الفهرى قتله طعيمة بن عدى
ذكره ابن اسحق وابن عقبة وابن سعد وأبو حاتم وجزم ابن حبان بأنه مات سنة ثلاثين
والواقدى وتبعه أبو أحمد الحاكم بأنه مات سنة ثمان وثلاثين وقيل مات فى طاعون
عمواس ذكره فى الاصابة وذو الشمالين عمير وقيل الحرث ويقال عمرو بن عبد عمرو بن نضلة
الخزاعي وكان أعسر وقيل اسمه خلف بن أمية وهو غير ذى اليدين فان اسمه الخرباق كما فى
مسلم ابن عمرو السلمى قال العلماء ووهم الامام ابن شهاب على جلالته وتبعه ابن السمعانى
فقال انهما واحد وخالفه غيره وجعلوهما اثنين فان ذا اليدين عاش بعد النبى صلى الله
عليه وسلم وقد روى أبو هريرة انه الذى نبه على السهو وأبو هريرة انما أسلم عام خيبر
وذو الشمالين استشهد ببدر نعم ذكر البرهان عن بعض الحفاظ ان ذا اليدين كان يقال له
أيضا ذو الشمالين وانه ليس هذا المستشهد ببدر (وثمانية من الانصار ستة من الخزرج)
عوف بن عفراء ذكر ابن اسحق انه قال يارسول الله ما يضحك الرب من عبده قال غمسه يده
فى القوم حاسرا فنزع درعا عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل وشقيقه معوذ
قال فى الفتح بشد الواو وبفتحها على الاشهر وجزم الوقشى بالكسر انتهى قال ابن الاثير
وزعم ابن الكلبي ان شقيقهما معاذا استشهد ببدر أيضا ولم يوافق عليه وحارثة بن سراقة
بحاء مهملة ومثلثة وكان فى النظارة أى الذين لم يخرجوا للقتال فجاءه سهم غرب فوقع
فى نحره فقتله فجاءت امه الربيع بضم الراء وفتح الموحدة وشد التحتية فقالت يارسول الله
قد علمت مكان حارثة منى فان يكن فى الجنة أصبر وأحتسب والا فسترى ما اصنع فقال انها
ليست بجنة واحدة ولكنها جنان كثيرة وانه فى جنة الفردوس كما فى الصحيح وقتله كما
فى العيون حبان بكسر المهملة وشد الموحدة ابن العرقة بفتح المهملة وكسر الراء ونقل
الواقدى فتحها وفتح القاف فتاء تأنيث وهى امه وأبوه قيس قال ابن اسحق وهو أول قتيل
بعد مهجع والروايات الصحيحة فى البخاري وأحمد والترمذى والنسائى وغيرهم ان حارثة هذا

قتل فى بدر ولم يختلف فى ذلك أهل المغازى ومافى بعض الروايات انه قتل فى أحد وان اعتمده ابن منده انكره أبونعيم كما أوضح ذلك فى الاصابة ويزيد بن الحرث بن قيس بن مالك ورافع ابن المعلى قتله عكرمة بن أبى جهل وعمير بن الحمام بضم المهملة وخفة الميم ابن الجموح ذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم خرج على الناس فحرضهم فقال والذى نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام وفى يده تمرات يأكلهن بخ بخ أفما بينى وبين أن ادخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول

ركضا الى الله بغير زاد * الا التقى وعمل المعاد

والصبر فى الله على الجهاد * وكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

وقتله خالد بن الاعلم العقيلى وروى مسلم عن أنس انه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة عرضها السموات والارض فقال عمير بن الحمام يارسول الله جنة عرضها السموات والارض قال نعم قال بخ بخ فقال صلى الله عليه وسلم مايحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يارسول الله الا رجاء أن أكون من أهلها قال فانك من أهلها فأخرج تمرات فجعل يأكل منهن ثم قال لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى انها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل قال ابن عقبة وهو أول قتيل قتل يومئذ ومر قول ابن اسحق وابن سعد أولهم مهجع وجمع فى النور بأنه اول قتيل بسهم وعمير بغيره أو من المهاجرين وعمير من الانصار ولايعارضه ماحكاه ابن سعد أول قتيل من الانصار حارثة بن سراقة لانه اول قتيل من الفتيان انتهى وهو ظاهر لكن لايعلم منه اول قتيل على الاطلاق (واثنان من الاوس) سعد بن خيثمة أحد النقباء بالعقبة الصحابى ابن الصحابى الشهيد ابن الشهيد قيل قتله طعيمة بن عدى وقيل عمرو بن عبدود واستشهد أبوه يوم أحد ومبشر بن عبد المنذر وقيل انما قتل بأحد قال السمهودى فى الوفاء يظهر من كلام أهل السير انهم دفنوا ببدر ماعدا عبيدة لتأخر وفاته فدفن بالصفراء أو الروحاء انتهى وروى الطبرانى برجال ثقات عن ابن مسعود قال ان الذين قتلوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله تعالى أرواحهم فى الجنة فى طير خضر تسرح فى الجنة فبينماهم كذلك اذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال ياعبادى ماذا تشتهون فقالوا يا ربنا هل فوق هذا من شئ قال فيقول ماذا تشتهون فيقولون فى الرابعة ترد أرواحنا فى أجسادنا فنقتل كما قتلنا موقوف لفظا مرفوع حكما لانه لامدخل للرأى فيه والله أعلم (* تنبيه * لايقدح فى وعد الله تعالى) للمسلمين بالظفر بقوله سبحانه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين (ان استشهد هؤلاء الصحابة رضى الله عنهم) لانه وعدهم بالظفر بقريش وقد فعل ولم يعدهم انه لايقتل أحد منهم فلا ينافى قتل هؤلاء (وانما هذا الوعد كقوله تعالى قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد) حال أى منقادين أو بأيديهم لايوكلون بها (وهم صاغرون) أذلاء منقادون

لحكم الاسلام ووجه التشبيه أن هذه الآية دلت على أمرهم بالقتال حتى يتمكنوا من عدوهم باذلالهم وأخذ الجزية ان لم يؤمنوا وآية واذ يعدكم الله تدل على الظفر بالاعداء من غير دلالة على عدم قتل أحد منهم (فقد نجز الموعود) به (وغلبوا) بالبناء للفاعل (كما وعدوا) بالبناء للمفعول (فكان وعد الله مفعولا) أى موعوده (ونصره للمؤمنين ناجزا والحمد لله وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون) كما فى حديث البراء عند البخارى وابن عباس وعمر عند مسلم ووافقهم آخرون وبه جزم ابن هشام ونقله عن أبى عمر وقال ابن كثير وهو المشهور قال الحافظ وهو الحق وان اطبق أهل السير على أن القتلى خمسون قتيلا يزيدون قليلا أو ينقصون وأطلق كثير من أهل المغازى انهم بضعة وأربعون وسرد ابن اسحق أسماءهم فبلغوا الخمسين وزاد الواقدى ثلاثة أو أربعة وسردهم ابن هشام فزادوا على الستين لكن لا يلزم من معرفة أسماء من قتل على التعيين أن يكونوا جميع من قتل وقد قال الله تعالى أولما اصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها اتفق علماء التفسير على أن المخاطب بذلك أهل أحد وأن المراد باصابتهم مثليها يوم بدر وبذلك جزم ابن هشام واستدل له بقول كعب بن مالك من قصيدة

فأقام بالعطن المعطن منهم * سبعون عتبة منهم والاسود

يعنى عتبة بن ربيعة ومر من قتله والاسود بن عبد الاسد المخزومى قتله حمزة انتهى وفى البخارى عن جبير بن مطعم أنه صلى الله عليه وسلم قال فى اسارى بدر لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم له والنتنى بنون وفوقية كزمنى جمع نتن سماهم بذلك لكفرهم كما فى النهاية وغيرها وبه جزم الحافظ وقول المصنف المراد قتلى بدر الذين صاروا جيفا ترده قول الحديث فى أسارى بدر قال الحافظ أى لتركتهم له بغير فداء وبين ابن شاهين من وجه آخر أن سبب ذلك اليد التى كانت له عند النبى صلى الله عليه وسلم حين رجع من الطائف ودخل فى جواره وقيل اليد أنه كان من أشد القائمين فى نقض الصحيفة التى كتبتها قريش على بنى هاشم والمسلمين لما حصروهم فى الشعب وروى الطبرانى عن جبير بن مطعم قال قال المطعم بن عدى لقريش انكم قد فعلتم بمحمد ما فعلتم فكونوا أكف الناس عنه وذلك بعد الهجرة ثم مات المطعم قبل وقعة بدر وله بضع وتسعون سنة وذكر الفاكهى باسناد مرسل أن حسان بن ثابت رثاه لما مات مجازاة له على ما صنع مع النبى صلى الله عليه وسلم انتهى ونقل ابن اسحق رثاء حسان وهو

أعينى الا ابكى سيد الناس واسفحى * بدمع وان انزفته فاسكبى الدما
وبكى عظيم المشعرين كليهما * على الناس معروفا له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا * من الناس ابقى مجده اليوم مطعما
اجرت رسول الله منهم فأصبحوا * عبيدك مالبى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها * وقحطان أو باقى بقية جرهما
لقالوا هو الموفى بخفرة جاره * وذمته يوما اذا ما تذمما
فما اطلع الشمس المنيرة فوقهم * على مثله فيهم أعز وأعظما

قوله عينى الخ فيه انخرم كما لا يخفى اه مصححه

وأنأى اذا يأبى وألين شيمة * وأنوم عن جار اذا الليل اظلما

ورثاء حسان رضي الله عنه له وهو كافر لانه تعداد المحاسن بعد الموت ولا ريب فى أن فعله مع المصطفى من أقوى المحاسن فلا ضير فى ذكره به وبنحوه مما ذكره وقد كفن المصطفى عبد الله ابن أبي المنافق بثوبه مجازاة له على الباس العباس قيصه يوم بدر لما كان فى الاسارى (وكان من أفضلهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب) أسره عبيد بن اوس الذى يقال له مقرن لانه قرن أربعة اسرى يوم بدر قاله ابن هشام وأسلم قبل الحديبية ويقال عام الحديبية (ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب) اسلم عام الخندق وهاجر ويقال بل اسلم حين اسر قاله السهيلى (وكل أسلم) رضى الله عنهم وهؤلاء من بنى هاشم وممن أسلم من الاسرى من سائر قريش أبو العاصى بن الربيع زوج السيدة زينب ابنة النبى صلى الله عليه وسلم أسلم قبيل الفتح وأثنى عليه المصطفى فى مصاهرته وردّ عليه زينب وأبو عزيز بفتح العين وكسر الزاى الاولى واسكان التحتية واسمه زرارة بن عمير أخو مصعب أسلم يوم بدر وله صحبة وسماع من النبى صلى الله عليه وسلم وقول الزبير بن بكار قتل كافرا يوم أحد ردّه ابن عبد البر بان ابن اسحق عدّ من قتل من الكفار من بنى عبد الدار أحد عشر رجلا ليس فيهم أبو عزيز وانما فيهم يزيد بن عمير وقال السهيلى غلط الزبير فلا يصح هذا عند أحد من أهل الاخبار وقد روى عنه نبيه بن وهب وغيره ولعل المقتول بأحد كافرا أخ لهم غيره انتهى وقد علم من كلام أبى عمر أنه يزيد بن عمير فتوهم الزبير أنه اسم ابى عزيز فغلط وانما اسمه زرارة وقد روى الطبرانى فى الكبير عنه قال كنت فى الاسارى يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالاسارى خيرا قال الحافظ الهيثمى اسناده حسن والسائب بن عبيد أسلم يوم بدر بعد أن اسر وفدى نفسه نقله الذهبى عن ابى الطيب الطبرى وعدى بن الخيار والسائب بن ابى حبيش وأبو وداعة السهمى وسهيل ابن عمرو العامرى اسلموا فى فتح مكة وخالد بن هشام المخزومى وعبد الله بن السائب والمطلب بن حنطب وعبد الله بن ابى بن خلف اسلم يوم الفتح وقتل يوم الجمل قاله ابو عمر وعبد بن زمعة اخو سودة ووهب بن عمير الجمحى وقيس بن السائب المخزومى ونسطاس مولى امية بن خلف ذكره السهيلى وقال اسلم بعد أحد والوليد بن الوليد أسره عبد الله ابن جحش فافتكوه وذهبوا به مكة فاسلم فحبسوه بها فكان صلى الله عليه وسلم يدعو له فى القنوت فنجا وهاجر الى المدينة فمات بها فى الحياة النبوية (وكان العباس فيما قاله أهل العلم بالتاريخ قد اسلم قديما وكان يكتم اسلامه) قال ابن عبد البر وذلك بين فى حديث الحجاج ابن علاط أن العباس كان مسلما يسره ما يفتح الله على المسلمين ثم اظهر اسلامه يوم الفتح (وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبى صلى الله عليه وسلم من لقى العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها) ولا ينافيه قوله عليه السلام له ظاهر أمرك انك كنت علينا لان كونه عليهم فى الظاهر لا ينافى انه مكره فى الباطن (ففادى نفسه ورجع الى مكة) فأقام بها على سقايته والمصطفى عنه راض (وقيل انه اسلم يوم بدر) ولكنه كتمه حتى تمكن من اظهاره (فاستقبل النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بالابواء) وأظهر اسلامه (وكان

معه حين فتح مكة) فشهدها وحنينا والطائف وثبت يوم حنين (وبه ختمت الهجرة) كما قال عليه السلام (وقيل أسلم يوم خيبر) قبل فتحها كما حكاه أبو عمر (وقيل كان يكتم اسلامه وأظهره يوم فتح مكة وكان اسلامه قبل بدر) وهذا حاصل القول الاول (وكان يكتب بأخبار المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم) يوده لاسلامه باطنا وعدم تمكنه من اظهاره قال مولاه أبو رافع لانه كان يهاب قومه ويكره خلافهم وكان ذا مال رواه ابن اسحق (فكتب اليه عليه الصلاة والسلام ان مقامك بمكة خير لك) لما علمه من ضياع عياله وأمواله لو تركهم وهاجر ولانه كان عونا للمسلمين المستضعفين بمكة (وقيل ان سبب اسلامه انه خرج لبدر بعشرين اوقية من ذهب ليطعم بها المشركين) لانه كان من الاغنياء المشهورين بالكرم وكانوا اذ يجون لهم الجزائر فلو لم يفعل لعيب عليه ونسب للبخل ولذا خرلهم كما مر فلا ينافى هذا خروجه مكرها ولا يصح هنا أن يقال لا ينافى ذلك اسلامه باطنا لان صاحب هذا القول لا يقول به اذ هو قائل بأنه انما أسلم يوم بدر وان ذلك سبب اسلامه (فأخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله عليه وسلم أن يحسب) بضم السين بعد (العشرين اوقية من فدائه فأبى وقال أما شئ خرجت تستعين به علينا) ظاهرا وان كرهته باطنا (فلا نتركه لك فقال العباس تتركنى اتكفف قريشا) أمد كفى اليهم بالمسئلة أو آخذ الشئ منهم بكفى كما فى المصباح وفى رواية تتركنى فقير قريش مابقيت (فقال له عليه السلام فأين الذهب) استفهام انكارى (الذى دفعته الى أم الفضل) لبابة الكبرى زوجه رضى الله عنهما (وقت خروجك من مكة فقال العباس وما يدريك قال أخبرنى ربى فقال أشهد أنك صادق فان هذا لم يطلع عليه الا الله وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله) وهذا القول كالشرح للقول الثانى فى كلامه وفى رواية فنزل فى العباس يا أيها النبى قل لمن فى ايديكم قال العباس فابدلنى الله عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين اوقية وأعطانى زمزم وما أحب أن لى بها أى بدلها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى (ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من) جميع أمر (بدر فى آخر) يوم من (رمضان وأول يوم من شوال) قاله ابن اسحق وقد كان القتال يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على ارجح الاقوال المتقدمة وقول المقريزى فى امتاع الاسماع أنه صلى الله عليه وسلم دخل المدينة يوم الاربعاء الثانى والعشرين من رمضان مبنى على أن الخروج منها كان لثلاث مضين من رمضان (بعث زيد بن حارثة) حبه ومولاه (بشيرا) بما فتح الله عليه الى أهل السافلة وبعث عبد الله بن رواحة بشيرا الى أهل العالية قاله ابن اسحق وغيره (فوصل المدينة) يوم الاحد (ضحى وقد نفضوا أيديهم من تراب رقية) بضم الراء وفتح القاف وشد التحتية (بنت النبى صلى الله عليه وسلم) بعد دفنها بالبقيع وهى ابنة عشرين سنة وروى ابن المبارك عن يونس عن الزهرى انها كانت قد أصابها الحصبة قال ابن اسحق ويقال ان ابنها عبد الله بن عثمان مات بعدها سنة أربع من الهجرة وله ست سنين (وهذا هو الصحيح فى وفاة رقية) كما قاله السهيلى وغيره (وقد روى) عند البخارى فى التاريخ

الاوسط والحاكم في المستدرك من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن انس (أنه صلى الله عليه وسلم شهد دفن بنته رقية فقعد على قبرها ودمعت عيناه وقال أيكم لم يقارف) بقاف وفاء لم يجامع (الليلة) أهله كما صرح به في رواية وقول فليح بن سليمان يعني الذنب خطأ لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اولى بهذا قاله السهيلي (فقال أبو طلحة) زيد بن سهل الانصاري (أنا فأمره أن ينزل في قبرها) زاد في رواية فقبرها ففيه ايثار بعيد العهد بالملاذ بمواراة الميت ولو امرأة على الزوج وعلل بأنه حينئذ يامن أن يذكره الشيطان ما كان منه تلك الليلة (وأنكر البخاري هذه الرواية) في تاريخه فقال ما أدري ما هذا فان رقية ماتت والنبي صلى الله عليه وسلم ببدر لم يشهدها وهو وهم قال الحافظ ابن حماد في تسميتها فقط (وخرج الحديث في الصحيح فقال فيه عن انس شهدنا دفن بنت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث) وهو وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبر وعيناه تدمعان وقال هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة فقال أبو طلحة انا فقال انزل قبرها فنزل (ولم يسم رقية ولا غيرها وذكر) أي روى محمد بن جرير (الطبري) والطحاوي والواقدي وابن سعد والدولابي (انها) أي البنت التي شهد صلى الله عليه وسلم دفنها (أم كلثوم فحصل في حديث الطبري) والجماعة (التبيين و) ان (من قال كانت رقية فقد وهم) بكسر الهاء غلط بلا شك ووقع في مقدمة الفتح أن ابن بشكوال صحح انها زينب انتهى لكنه لا يعادل رواية الجماعة وفي التاريخ والمستدرك أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل القبر أحد قارف أهله البارحة فتنحى عثمان وحكى ابن حبيب انه جامع بعض جواريه تلك الليلة قال ابن بطال احرم صلى الله عليه وسلم عثمان انزالها في قبرها وكان أحق الناس لانه بعلها لانه لم يشغله الحزن بالمصيبة التي فقدفيها مالاعوض له منه وانقطاع صهره من النبي صلى الله عليه وسلم عن المقارفة ولم يقل له شيأ لانه فعل حلالا غير أن المصيبة مع عظمها لم تبلغ عنده مبلغا يشغله فحرم ما حرم بتعريض دون تصريح ولعله عليه السلام كان قد علم ذلك بالوحي انتهى وقال الحافظ لعل مرض المرأة طال واحتاج عثمان الى الوقاع ولم يظن موتها تلك الليلة وليس في الحديث ما يقتضي انه واقع بعد موتها ولا حين احتضارها انتهى (وكان عثمان رضي الله عنه قد تخلف) عن بدر (لاجل) مرض (رقية زوجته) بامره صلى الله عليه وسلم ففي المستدرك خلف النبي صلى الله عليه وسلم عثمان وأسامة بن زيد على رقية في مرضها لما خرج الى بدر فماتت حين وصل زيد بالبشارة (فضرب له) لعثمان (رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره) مع احد عشر رجلا كما مر وجزم الخطابي وتبعه السيوطي بأن ذلك خاص بعثمان لما رواه أبو داود باسناد صالح عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم ضرب لعثمان يوم بدر بسهم ولم يضرب لغائب غيره. والجواب أن المراد غائب تخلف لامر لا تعلق له بمصالح المسلمين ولم يمنعه العذر فلا يرد أولئك الذين ضرب لهم لان منهم من تخلف للعذر ومنهم للمصالح كما مر بسطه (وأمر صلى الله عليه وسلم عند انصرافه) من بدر (عاصم بن ثابت) بن أبي الاقلح بفتح الهمزة واللام بينهما قاف ساكنة وحاء مهملة آخره واسمه قيس بن عصمة بن النعمان من السابقين الاولين من الانصار وأصحاب العقبة وبدر والعلماء بالحرب كما أنزلت بالنص

النبوي

النبوى (وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب) لا مه قال فى الفتح هذا وهم من بعض رواته
لان عاصم بن ثابت خال عاصم بن عمر لا جده لان أم عاصم جميلة بنت ثابت أخت عاصم كان
اسمها عاصية فغيرها النبى صلى الله عليه وسلم جميلة انتهى وعاصم بن عمر هذا قال
ابن عبد البر مات النبى صلى الله عليه وسلم وله سنتان وكان طوالا جسيما جميلا شاعرا قال
أخوه عبد الله أنا وأخى عاصم لا نغتاب الناس زوجه أبوه فى حياته وأنفق عليه شهرا ثم قال
حسبك ومات سنة سبعين أو ثلاث وسبعين ثم هذا قول ابن اسحق وقال ابن هشام
أمر على بن أبى طالب (بقتل عقبة بن أبى معيط) اسم عبد الله بن سلمة بكسر اللام العجلانى
قال ابن اسحق فقال عقبة يا محمد من للصبية قال النار (فقتله) بعرق الظبية بكسر العين
وسكون الراء المهملتين وقاف وبضم الظاء المعجمة وسكون الموحدة وفتح التحتية فتاء تأنيث
مكان على ثلاثة أميال من الروحاء مما يلى المدينة وثم مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم ذكره
الصغانى وقال السهيلى الظبية شجرة يستظل بها (صبرا) هو كل ذى روح يوثق حتى يقتل
كما فى المصباح ويروى أنه قال يا معشر قريش مالى أقتل من بينكم صبرا فقال عليه السلام
بكفرك وافترائك على الله وانه قال له لست من قريش هل انت الا يهودى من أهل صفورية
وذلك لان أمية جد أبيه خرج الى الشام فوقع على يهودية لها زوج من صفورية فولدت
ذكوان المكنى أبا عمرو وهو والد أبى معيط على فراش اليهودى فاستلحقه بحكم الجاهلية
قال الاسماعيلى وهذا الطعن خاص بنسب عقبة من بنى أمية وفى نسب أمية نفسه مقالة
أخرى وهى ان أم أمية يقال لها الزرقاء واسمها ارنب كانت فى الجاهلية من ذوات الرايات
لكن قد عفا الله عن أمر الجاهلية ونهى عن الطعن فى الانساب ولو لم يجب الكف عن
نسب أمية الا لموضع عثمان لكفى انتهى وفى معجم البكرى صفورية بفتح أوله وضم ثانيه
المشدد وكسر الراء المهملة وتخفيف الياء موضع من ثغور الشام وفى الميزان روى أبو الهيثم
عن ابراهيم التيمى مرسلا أنه عليه السلام صلب عقبة الى شجرة وأبو الهيثم لا يدرى من هو
(ثم أقبل عليه الصلاة والسلام قافلا) بقاف وفاء راجعا (الى المدينة ومعه الاسارى من
المشركين واحتمل النفل) بفتح النون والفاء الغنيمة والجمع الانفال (وجعل عليه عبد الله
ابن كعب) بن زيد بن عاصم (من بنى مازن) بن النجار كما قال ابن اسحق قال الواقدى مات
زمن عثمان سنة ثلاث وثلاثين وكنيته أبو الحرث وتبع الواقدى المدائنى وابن أبى خيثمة
والعسكرى وغيرهم وأسقط ابن الكلبى وابن سعد زيدا من نسبه وتبعهما البغوى وغيره
فجعلوا الكنية والوظيفة أى كونه على النفل والوفاة لعبد الله بن كعب بن عمرو بن
عوف من بنى مازن بن النجار أيضا كما فى الاصابة والمصنف محتمل لهما لانه لم يسم جده
فيحتمل انه زيد وأنه عمرو (فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل بين المسلمين) وقد كانوا
اختلفوا فيه كما رواه ابن اسحق وغيره عن عبادة بن الصامت فقال من جمعه هو لنا وقال
الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه لولا نحن ما أصبتموه فنحن شغلنا عنكم العدو فهو لنا
وقال الذين كانوا يحرسونه صلى الله عليه وسلم لقد رأينا أن نقتل العدو حين منحنا الله اكتافهم
ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن له من يمنعه ولكن خفنا على رسول الله صلى الله

عليه وسلم كثرة العدو فأنتم بأخوف به منا فنزعه الله تعالى من أيديهم فجعله الى رسوله وأنزل عليه يسألونك عن الانفال الآية فقسمه بينهم (على السواء) لفظ الرواية عن بواء بفتح الموحدة وخفة الواو وبالمد أى على السواء فأتى المصنف بمعناها لانه لم يتقيد بها ورواه أبو عبيد عن فواق وقال معناه جعل بعضهم فوق بعض فى القسم ممن رأى تفضيله أو يعنى سرعة القسم من فواق الناقة قال السهيلى ورواية ابن اسحق اشهر وأثبت عند أهل الحديث انتهى ويرد على تفسيره الاول للفواق ما جاء ان سعد بن معاذ قال يا رسول الله اتعطى فارس القوم الذى يحميهم مثل ما تعطى الضعيف فقال صلى الله عليه وسلم ثكلتك أمك وهل تنصرون الا بضعفائكم (وأمر) صلى الله عليه وسلم (عليا رضى الله عنه بالصفراء) كما ذكره ابن اسحق ومن لا يحصى وغلط من قال بعرق الظبية لان ذاك انما هو عقبة (بقتل النضر) بضاد معجمة (ابن الحرث) بن علقمة بن كلدة بفتحتين ابن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى هذا هو الصواب فى نسبه كما ذكره ابن الكلبى والزبير بن بكار وخلق لا يحصون وغلط ابن منده وأبو نعيم فيه غلطين فاحشين فقالا كلدة بن علقمة وان النضر شهد حنينا وأعطاه صلى الله عليه وسلم مائة من الابل وكان مسلما من المؤلفة قلوبهم وعزيا ذلك لابن اسحق وهو غلط فالذى قاله ابن اسحق واجمع عليه أهل المغازى والسير أنه قتل كافرا بعد بدر صبرا وقد أطنب الحافظ العز بن الاثير وغيره من الحفاظ فى تغليطهما والرد عليهما لكن تعقب كما فى الاصابة باحتمال أن يكون له أخ سمى باسمه فهو الذى ذكراه لا هذا المقتول كافرا انتهى لكن انما ينهض هذا الاحتمال لو وجد ما نسباه لابن اسحق فيه أما حيث لم يوجد فالمتبادر انه غلط كما قال الجماعة نعم قال ابن عبد البر فى كتاب المغازى قد ذكر فى المؤلفة النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة أخو النضر بن الحرث المقتول ببدر صبرا وذكر آخرون النضر بن الحرث فيمن هاجر الى الحبشة فان كان منهم فمحال أن يكون من المؤلفة لانه ممن رسخ الايمان فى قلبه وقاتل دونه لا ممن يؤلف عليه وفى قتله تقول قتيلة بضم القاف وفتح الفوقية وسكون التحتية وهى أخته فى قول ابن هشام وتبعه جمع منهم النووى والمعمرى وبنته فى قول الزبير بن بكار وتبعه ابن عبد البر والجوهرى والذهبى وغيرهم قال السهيلى وهو الصحيح وهو كذلك فى الدلائل وذكر أبو عمر أنها اسلمت يوم الفتح وكانت شاعرة محسنة

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
ابلغ بها ميتا بأن تحية * ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى اليك وعبرة مسفوحة * جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعنى النضر ان ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد يا خير ضنء كريمة * فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن * بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من اسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه * لله ارحام هنالك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

فيقال انه صلى الله عليه وسلم بكى حتى اخضلت لحيته وقال لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه. وفى رواية الزبير بن بكار فرق صلى الله عليه وسلم حتى دمعت عيناه وقال يا أبا بكر لو سمعت شعرها ما قتلت أباها قال الزبير سمعت بعض أهل العلم يغمز هذه الابيات ويقول انها مصنوعة قال ابن المنير وليس معنى كلامه صلى الله عليه وسلم الندم لانه لا يقول ولا يفعل الا حقا والحق لا يندم على فعله ولكن معناه لو شفعت عندى بهذا القول لقبلت شفاعتها ففيه تنبيه على حق الشفاعة والضراعة ولا سيما الاستعطاف بالشعر فان مكارم الاخلاق تقتضى اجازة الشاعر وتبليغه قصده انتهى والاثيل بمثلثة مصغر أثل موضع مظنة بفتح الميم وكسر المعجمة وفتح النون المشددة تخفق تسرع الواكف السائل تحنق بضم النون والضنء الولد معرق بفتح الراء وكسرها العريق المغيظ بفتح الميم وكسر المعجمة واسكان التحتية وظاء معجمة وأقرب من اسرت أى من اقرب والا فالعباس وغيره اقرب منه (ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى دخل المدينة قبل الاسارى بيوم) فدخلها من ثنية الوداع مؤيدا منصورا قد خافه كل عدو له بها وحولها فأسلم بشر كثير من أهل المدينة ودخل عبد الله بن أبى فى الاسلام ظاهرا وقالت اليهود تيقنا انه النبى الذى نجد نعته فى التوراة ولكن من يضلل الله فلا هادى له (فلما قدموا فرقهم بين أصحابه وقال استوصوا بهم خيرا) ذكره ابن اسحق وزاد فكان أبو عزيز بن عمير شقيق مصعب بن عمير فى الاسارى فقال مر بى أخى ورجل من الانصار يأسرنى فقال له شد يدك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك قال فكنت فى رهط من الانصار حين أقبلوا بى من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا (وقد استقر الحكم فى الاسارى عند الجمهور أن الامام مخير فيهم ان شاء قتل كما فعل صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة وان شاء فادى بمال كما فعل باسارى بدر) أى بأكثرهم (وان شاء استرق من اسر) وان شاء من بلا شئ كما فعل ببعض اسرى بدر كأبى العاصى بن الربيع زوج بنته زينب بعثت بقلادة لها كانت خديجة ادخلتها بها عليه حين بنى بها فلما رآها صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال ان رأيتم أن تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها فافعلوا قالوا نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذى لها رواه أبو داود وغيره من حديث عائشة وكذا من على المطلب بن حنطب وقد أسلم كأبى العاصى رضى الله عنهما وصيفى بن أبى رفاعة وأبى عزة الجمحى وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا أبدا فلم يفعل فقتله صلى الله عليه وسلم يوم أحد صبرا (هذا مذهب الشافعى وطائفة من العلماء وفى المسئلة خلاف مقرر فى كتب الفقه والله أعلم) بالحق وذكر أبو عبيد أنه صلى الله عليه وسلم لم يفد بعد بدر بمال انما كان يمن أو يفادى اسيرا باسير قال السهيلى وذلك والله أعلم لقوله تعالى تريدون عرض الدنيا يعنى الفداء بالمال وان كان قد أحل ذلك وطيبه ولكن ما فعله الرسول بعد ذلك أفضل من المن أو المفاداة بالرجال ألا ترى الى قوله تعالى فاما منا بعد واما فداء كيف قدم المن على

الفداء فلذلك اختاره رسول الله وقدمه انتهى وعما يتصل بغزوة بدر هلاك أبي لهب فذكره المصنف كغيره فقال (و) روى ابن اسحق من حديث عكرمة عن أبي رافع قال (لما قدم أبو سفيان بن الحرث) بن عبد المطلب أخو المصطفى من رضاع حليمة لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو سائر الى غزوة الفتح بالابواء أو غيرها فأسلم وشهدها معه وحنينا وثبت يوم حنين اسمه كنيته وذكر ابراهيم بن المنذر والزبير بن بكار وجماعة أن اسمه المغيرة لكن جزم ابن قتيبة وابن عبد البر والسهيلي بأن المغيرة أخوه مات سنة عشرين (سأله أبو لهب) عبد العزى (عن خبر قريش) فقال هلم الي فعندك الخبر (قال والله ما هو) شئ فهو مبتدأ وشئ خبره وما بعد الا بدل منه لكن لما حذف الخبر أعطى ما بعد الا حكمه فصار هو الخبر لفظا وان كان بدلا في الاصل وكذا كل ما حذف فيه المستثنى منه وسبق بما يخرجه عن الايجاب من نفي نحو وما محمد الا رسول أو نهي نحو لا تقولوا على الله الا الحق أو استفهام انكاري نحو فهل يهلك الا القوم الفاسقون ولا فرق بين الجملة الاسمية كهذه الامثلة والفعلية نحو ما قام الا زيد أصله ما قام أحد حذف الفاعل واعرب ما بعد الا باعرابه (الا ان لقينا) باسكان الياء (القوم) نصب مفعول ويجوز فتح الياء ورفع القوم قال البرهان والاول أحسن لقوله (فمنحناهم أكتافنا) لينتسق الكلام (يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا) بكسر السين (كيف شاؤا وايم الله) بهمزة وصل أو قطع أي قسمي (مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا) هكذا رواية ابن اسحق كما في العيون وأوردها الشامي رجالا بيضا (على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يقوم لها شئ) والمصنف تصرف في الرواية وحذف منها كثيرا لانه لم يتقيد بها ولفظها هنا والله لا تليق شيأ ولا يقوم لها شئ بضم الفوقية وكسر اللام وسكون التحتية وقاف أي ما تبقي كما قال أبو ذر في الاملاء (قال أبو رافع) أسلم أو ابراهيم أو صالح أو هرمز أو ثابت أو سنان أو يسار أو عبد الرحمن أو قزمان أو يزيد فتلك عشرة كاملة أشهرها الاول كما قال أبو عمر (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) اسلم قبل بدر وشهد أحدا وما بعدها وفتح مصر وزوجه المصطفى مولاته سلمى فولدت له ومات بالمدينة في أول خلافة علي كما قال ابن حبان قال في التقريب وهو الصحيح وقال الواقدي مات قبل عثمان أو بعده بيسير (وكان غلاما) مملوكا (للعباس ابن عبد المطلب) فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه لما بشره باسلام العباس ومن الموالي النبوية آخر يقال له أبو رافع والد البهي قيل اسمه رافع كان عبد النعيد بن العاصي فلما مات أعتق كل من بنيه العشرة نصيبه منه الا خالد بن سعيد فوهب حصته للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه فزعم جماعة انه هو الاول قال في الاصابة وهو غلط بين فالاول كان للعباس فالصواب انهما اثنان (قال وكان الاسلام قد دخلنا) أهل البيت فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت أنا وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم فكان يكتم اسلامه وكان ذا مال هذا كله قول أبي رافع عند ابن اسحق (فقلت له) وقد سرنا ما جاءنا من الخبر (والله تلك الملائكة فرفع أبو لهب يده فضربني في وجهي ضربة) شديدة قال وثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك علي يضربني (فقامت أم الفضل) لبابة

الكبرى

الكبرى بنت الحرث بن حزن الهلالية أخت ميمونة أم المؤمنين قديمة الاسلام حتى قال
ابن سعد انها أول امرأة أسلمت بعد خديجة لكن ردّه في الفتح بأنها وان كانت قديمة الاسلام
لكنها لا تذكر في السابقين فقد سبقتها سمية أم عمار وأم أيمن انتهى وجزم غيره بأن أول
من أسلم بعد خديجة فاطمة بنت الخطاب أخت عمر كما مرّ انجبت للعباس بنيه الستة
النجباء الفضل وعبيد الله وعبد الله وعبد الرحمن وقثم ومعبدا وأختهم أم حبيب ويقال
أم حبيبة بالهاء ذكر ابن اسحق في رواية يونس أنه صلى الله عليه وسلم رآها وهي طفلة تدب
بين يديه فقال ان بلغت وأنا حي تزوجتها فقبض قبل أن تبلغ فتزوجها سفيان بن الاسود
المخزومي" (الى عمود) من عمد الخيمة وكانت جالسة عند أبي رافع بحجرة زمزم (فضربت به
في رأس أبي لهب) لفظ الرواية فضربته به ضربة فلغت في رأسه شجة منكرة وفلغت بفتح
الفاء واللام والغين المعجمة شدخت (وقالت استضعفته أن) بفتح الهمزة أي لأن
(غاب عنه سيده) وفي نسخة اذ وهي للتعليل بلا تقدير (قال) أبو رافع فقام موليا ذليلا
(فوالله ما عاش) صحيحا سليما (الا سبع ليال) واستمر على ما هو عليه (حتى) الى
أن (رماه الله) ابتلاه (بالعدسة) بمهملات مفتوحات آخره تاء تأنيث (وهي قرحة
كانت العرب تتشاءم بها وقيل انها) كذا جعله قولا والذي في تاريخ ابن جرير كانت
العرب تتشاءم بها ويرون انها (تعدى) بضم أوله (أشد العدوى) أي تجاوز صاحبها
الى من قاربه وفي النور العدسة بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد من جنس
الطاعون تقتل صاحبها غالبا وفي حواشي أبي ذر قرحة قاتلة كالطاعون (فتباعد عنه
بنوه) عتبة ومعتب أسلما يوم الفتح وثبتا يوم حنين وأختهم درة لها صحبة وهي من
المهاجرات وأما عتيبة المصغر فقتله الاسد بالزرقا من أرض الشام بدعوة النبي صلى الله
عليه وسلم رواه الحاكم وصححه وكان ذلك في حياة أبي لهب كما رواه أبو نعيم فتردد البرهان
في أنه هلك زمن أبيه أو بعده تقصير (حتى قتله الله وبقي بعد موته ثلاثا لا تقرب) بالبناء
للمفعول ونائبه (جنازته) بكسر الجيم أفصح من فتحها وهو من اضافة الاعم الى الاخص
كشجر أراك أي لا يقرب هو فاطلاق الجنازة تجوز من تسمية المطلق باسم المقيد اذ هي
الميت في النعش أو النعش وعليه الميت وكلاهما لا يراد هنا لانه لم يكن على نعش (ولا يحاول
دفنه) لا يفكر فيه ولا يشرع في اسبابه من الحيلة (فلما خافوا السبة) بضم المهملة
وشد الموحدة فتاء تأنيث أي العار الذي يلحقهم فيسبون به (في تركه) أي بسببه (حفروا له
ثم دفعوه بعود في حفرته) وقيل لم يحفروا له بل دفعوه الى ان ألصقوه بالحائط (وقذفوه
بالحجارة من بعيد حتى واروه) قال العمري ويروى أن عائشة كانت اذا مرت بموضعه ذلك
غطت وجهها قال البرهان الظاهر أن ذلك لنتنه اه فكأنه كان يظهر من قبره اهانة له أبدا
ويحتمل أن فعلها ذلك لكونه محل عذاب كما فعل صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر فغطى وجهه
بثوبه واستحث راحلته اشارة الى التباعد عنه هذا والقبر الذي يرجم خارج باب شبيكة ليس
بقبر أبي لهب كما أفاده البرهان وانما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذرة في الدولة العباسية
فلما أصبح الناس ورأوها كشفوا لهما فأخذا ثم صلبا في هذا الموضع ودفنا واستمر الرجم

الى الآن كما قاله المحب الطبرى وانه لا أصل لما اشتهر عند المكيين أنه قبر أبى لهب وقيل انه قبر أبى الطاهر القرمطى بكسر القاف والميم عدو الله الذى قتل الحجيج فى المسجد الحرام وطرح القتلى فى زمزم واقتلع الحجر الاسود فابتلى بالجدرى فتقطع جسده (قال ابن عقبة) موسى الامام الحافظ (أقام النوح) أى دام من النائحات (على قتلى قريش شهرا) واستعمال القيام بهذا المعنى مأخوذ من قامت السوق اذا نفقت على حد ماذكر البيضاوى فى يقيمون الصلاة وروى ابن اسحق من مرسل عباد بن عبد الله بن الزبير قال ناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم وقد اقتصر المصنف فى هذه الغزوة العظيمة على ماذكر فلنتبعه قصد الاختصار وان كان بسطها يحتمل أضعاف ذلك والله يهدينا الى الصواب بجاه النبى صلى الله عليه وسلم

قتل عمير عصماء

(ثم سرية) اطلاقها على الواحد تجوز لان فيه خلافا مامر أقله خمسة (عمير بن عدى) ابن خرشة الانصارى ثم (الخطمى) بفتح المعجمة وسكون الطاء المهملة وميم نسبة الى جده خطمة بن جشم بن مالك بن الاوس الاعمى امام بنى خطمة وقيل انه أول من أسلم منهم وكان يدعى القارئ صحابى شهير كان صلى الله عليه وسلم يزوره روى عنه ابنه عدى وسماه ابن دريد غشميرا بمجمتين قبل الميم وقال انه فعليل من الغشمرة وهى أخذ الشئ بالغلبة قال الذهبى وقيل غشمين بنون آخره قال فى الاصابة صحفه ابن دريد ثم تكلف توجيهه وانما هو عمير لاشك فيه ولاريب انتهى (وكانت لخمس ليال بقين من) شهر (رمضان على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة) كذا قاله ابن سعد وهو منابذ لما مر أن فراغه من بدر كان آخر يوم من رمضان وأول يوم من شوال نعم هو يأتى على مامر عن الامتاع انه دخل المدينة ثانى عشر رمضان وقد ذكرها ابن اسحق بعد قتل أبى عفك وتبعه أبو الربيع وبعضهم ذكرها بعد قرقرة الكدر (الى عصماء) بفتح العين وسكون الصاد المهملتين والمد (بنت مروان اليهودية (زوج) بلاهاء افصح من زوجة أى امرأة (يزيد بن زيد) بن حصن الانصارى الخطمى) الصحابى شهد أحدا وهو والد عبد الله الصحابى وجد عدى بن ثابت لامه وقول الاستيعاب فى ترجمة عمير بن عدى قتل أخته لشتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الاصابة وهم وخلط قصة بقصة فان قاتل أخته عمير بن أمية كما رواه الطبرانى وغيره ولم يقف البرهان على هذا فتوقف فى كلام أبى عمر بأنها يهودية وعمير أنصارى انتهى ولا يعارض كونها يهودية نسبة من نسبها الى بنى أمية بن زيد وهو فى الانصار لجواز أنها منهم بالحلف أو لكون زوجها منهم أو نحو ذلك (و) سبب ذلك انها (كانت تعيب الاسلام) بفتح فكسر من عاب يستعمل لازما ومتعديا أو بضم ففتح وشد التحتية من عيبه اذا نسبه الى العيب أو أحدث فيه عيبا (وتؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم) عطف لازم على ملزوم لان سب الاسلام يلزمه ايذاؤه أو أعم على أخص لان عيب الاسلام يكون بذكر خلل فى الدين وايذاء المصطفى يكون به وبغيره وكانت تحرض عليه وتقول الشعر ونافقت لما قتل

أبو عفك وذكر ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم لما كان في بدر قالت في الاسلام وأهله
أبياتا فسمعها عمير بن عدي فنذر اذا رد الله رسوله من بدر سالما ليقتلنها (فجاءها) لما قدم
صلى الله عليه وسلم وسل سيفه ودخل عليها (ليلا وكان أعمى) وسماه المصطفى البصير
(فدخل عليها بيتها وحولها نفر) بفتحتين والمراد هنا جماعة (من ولدها نيام) لا بقيد
كونهم رجالا ولا ذكورا لقوله (منهم من ترضعه) اذ الرضيع لا يتبادر من الرجل وان
اطلق عليه على أحد قولين في القاموس (فجسها بيده) تأكيد فالجس المس باليد
كما في القاموس أو استعمله بمعنى اللمس لا بقيد كونه باليد فيكون تأسيسا (ونحى)
أبعد (الصبي) الذي ترضعه (عنها) مخافة أن يصيبه شيء فيهلك (ووضع سيفه على
صدرها حتى انفذه) أي أخرجه (من ظهرها ثم) رجع فأتى المسجد و (صلى الصبح معه
صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأخبره بذلك) لما قال له كما رواه ابن سعد أقتلت ابنة مروان
قال نعم فهل علي في ذلك من شيء (فقال لا ينتطح فيها عنزان) فكانت هذه الكلمة أول
ما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم (أي لا يعارض فيها معارض) ليأخذ بثارها
(ولا يسأل عنها) يطلب بدمها (فانها هدر) وفي النور رأى أن قتلها هين لا يكون فيه طلب
ثار ولا اختلاف انتهى وقد تحقق ذلك فذكر ابن اسحق وغيره أن عميرا رجع الى قومه
بعد قتلها فوجد بنيها وهم خمسة رجال في جماعة يدفنونها فقال انا قتلتها فكيدوني جميعا
ثم لا تنظرون فوالذي نفسي بيده لو قلتم باجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى اموت
أو أقتلكم فيومئذ ظهر الاسلام في بني خطمة وكان يستخفي باسلامه فيهم من أسلم وأسلم
يومئذ رجال لما رأوا من عز الاسلام لكن يعارضه ما وقع في مصنف حماد بن سلمة انها كانت
يهودية وكانت تطرح المحايض في مسجد بني خطمة فأهدر صلى الله عليه وسلم دمها ولم ينتطح
فيها عنزان فان المسجد صريح في ظهور الاسلام قبل ذلك الا أن يقال ظهر كل الظهور وان
المعنى كان الضعيف الذي لم يقدر على الاسلام يستخفي باسلامه وأثنى صلى الله عليه وسلم
على عمير بعد قتله عصماء وأقبل على الناس وقال من أحب أن ينظر الى رجل كان في نصرة
الله ورسوله فلينظر الى عمير بن عدي فقال عمر بن الخطاب انظروا الى هذا الاعمى الذي يري
وفي رواية بات في طاعة الله فقال صلى الله عليه وسلم مه يا عمر فانه بصير وسماه البصير لما رأى من
كمال ايمانه وقوة قلبه في الله حتى قتلها وهدد بنيها وقومها مواجها لهم مع عجزه الظاهر وكونه
قاتلها هو المشهور وفي الروض أن زوجها قتلها وفي رواية أنه عليه السلام قال ألا رجل
يكفينا هذه فقال رجل من قومها انا فأتاها وكانت تبيع التمر فقال اعندك اجود من هذا التمر
قالت نعم فدخلت البيت وانكبت لتاخذ شيأ فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فضرب رأسها
حتى قتلها (قالوا) ليس للتبري بل للاشارة الى شهرته حتى كأنه اجماع (وهذا من الكلام المفرد
الموجز البليغ الذي لم يسبق اليه عليه الصلاة والسلام وسيأتي لذلك نظائر ان شاء الله
تعالى) في المقصد الثالث وذكر صاحب النور هنا جملة منها (وفي أول شوال صلى صلاة
الفطر) وهذا مع ما مر يعطي انه صلاها ببدر وذكر ابن سعد بأسانيد الواقدي انه
صلى الله عليه وسلم خرج الى المصلى وحملت العنزة بين يديه وغرزت في المصلى وصلى اليها

صلاة الفطر والله أعلم

* غزوة بني سليم وهي قرقرة الكدر *

(وفي أول شوال أيضا وقيل بعد بدر بسبعة أيام) وبه جزم ابن اسحق ومن تبعه وتقدم قوله فرغ من بدر في آخر رمضان وأول شوال ويمكن أن لا تنافي بين القولين (وقيل في نصف المحرم سنة ثلاث) وبه جزم ابن سعد وابن هشام (خرج عليه الصلاة والسلام) في مائتي رجل (يريد بني سليم) بضم المهملة وفتح اللام (فبلغ ماء يقال له الكدر) بضم الكاف وسكون المهملة لانه كاذكر ابن اسحق وابن سعد وابن عبد البر وابن حزم بلغه صلى الله عليه وسلم أن بهذا الموضع جمعا من بني سليم وغطفان (وتعرف) غزوة بني سليم بالكدر (بغزوة ذي قرقرة) بفتح القافين وحكى البكري ضمهما قال الدميري وغيره والمعروف فتحهما بعد كل قاف راء أولاهما ساكنة ثم تاء تأنيث قال ابن سعد ويقال قرارة الكدر وفي الصحاح قراقر على فعالل بضم القاف اسم ماء ومنه غزاة قراقر ففيها ثلاثة اوجه قرقرة قرارة قراقر وان عرف ماحكاه البكري يكون أربعة (وهي أرض ملساء والكدر) كما قال السهيلي وابن الاثير وغيرهما (طير في ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع) الذي هو قرقرة لاستقرار هذه الطيور به فهما غزوة واحدة وتبع المصنف على ذلك تلميذه الشامي فقال غزوة بني سليم بالكدر ويقال لها قرقرة الكدر وجعلهما اليعمري غزوتين وجعل شيخه الدمياطي غزوة بني سليم هي غزوة نجران الآتية ويجيء قول المصنف فيها وتسمى غزوة بني سليم (فأقام بها عليه الصلاة والسلام ثلاثا) قاله ابن اسحق والجماعة (وقيل عشرا فلم يلق أحدا) من سليم وغطفان الذين خرج يريدهم في المحال وذكر ابن اسحق والجماعة انه ارسل نفرا من أصحابه في اعلى الوادي واستقبلهم صلى الله عليه وسلم في بطن الوادي فوجد رعاء بالكسر جمع راع فيهم غلام يقال له يسار بتحتية ومهملة فسأله عن الناس فقال لا علم لي بهم انما اورد لخمس وهذا يوم ربعي والناس قد ارتفعوا في المياه ونحن عزاب في النعم فانصرف صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بالنعم فانحدر بها الى المدينة واقتسموا غنائمهم بصرار على ثلاثة أميال من المدينة وكانت خمسمائة بعير فأخرج خمسه وقسم أربعة اخماسه على المسلمين فأصاب كل رجل منهم بكران وكانوا مائتي رجل وصار يسار في سهمه صلى الله عليه وسلم فأعتقه لانه رآه يصلي أي لانه أسلم بعد الاسر وتعلم الصلاة من المسلمين واستشكل بأنه لما أسلم لم يقم به رق فلا يكون غنيمة فكيف وقع في سهمه وأجيب بأن اسلامه انما يعصم دمه ويخير الامام فيه بين الرق والفداء والمن بلاشيء فيجوز أنه صلى الله عليه وسلم اختار رقه بعد علمه باسلامه أو قبله ثم صار في سهمه حين القسمة فأعتقه لرؤيته يصلي * وخمس بكسر المعجمة من أظماء الابل أن ترعى ثلاثة أيام وترد اليوم الرابع وقد اخمس الرجل أي وردت ابله خمسا ومياه بالهاء وغلط فيه بعض المدرسين فقاله بالتاء وصرار بكسر المهملة وراء مهملة مخففة وألف فراء ثانية كما قيده الدارقطني وغيره ووقع للحموي والمستملي بضاد معجمة وهو وهم كما في المطالع موضع قريب من المدينة وقيل بئر قديمة على ثلاثة أميال منها من طريق العراق (وكانت غيبته عليه السلام) كما قال ابن اسحق والجماعة (خمس عشرة ليلة) قال ابن اسحق

قوله المحال هكذا في النسخ ولعله المياه وليحرر اه مصححه

وغيره وأقام بالمدينة شوالا وذا القعدة وأفدى في اقامته تلك جل الاسارى من قريش (واستخلف على المدينة سباع) بمهملة مكسورة فموحدة فألف فمهملة (ابن عرفطة) بمهملة مضمومة فراء ساكنة ففاء مضمومة فطاء مهملة الغفارى ويقال له الكنانى الصحابى الشهير واستعمله عليها أيضا عام خيبر فجاء أبو هريرة وصلى خلفه الصبح (وقيل) وبه جزم ابن سعد وابن هشام استخلف عليها (ابن أم مكتوم) عمرو على الاكثر وقيل عبد الله بن قيس بن زائدة القرشى العامرى والصحيح الاول ففى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم سماه عمرا فى حديث فاطمة بنت قيس وأم مكتوم لم تسلم واسمها عاتكة بنت عبد الله وجمع بينهما بأنه استخلف سباعا على الحكم وابن أم مكتوم للصلاة على عادته فى استخلافه للصلاة (وحمل اللواء) وكان أبيض كما عند الجماعة (على بن أبى طالب رضى الله عنه وذكرها ابن سعد بعد غزوة السويق) ضرورة جزمه بأنها فى المحرم سنة ثلاث وأن غزوة السويق فى ذى الحجة وكأنه وجه جعل اليعمرى لهما غزوتين لان الكدر بعد بدر وقرقرة بعد السويق فترجم هنا غزوة بنى سليم وذكر فيها ما حاصله انه بلغه ماء يقال له الكدر فأقام عليه ثلاثا ثم رجع ولم يلق كيدا ثم بعد السويق ترجم غزوة قرقرة الكدر وساق فيها القصة بتمامها من طريق ابن سعد فعليه يكون غزا بنى سليم مرتين مرة وصل فيها الى ذلك الماء فلم يجد شيأ من النعم ومرة وصل فيها تلك الارض ووجد فيها النعم والله أعلم

* قتل أبى عفك اليهودى *

(ثم) فى شوال أيضا (سرية سالم بن عمير) ويقال ابن عمرو وقال ابن عقبة سالم بن عبد الله ابن ثابت الانصارى الاوسى أحد بنى عمرو بن عوف العقبى شهد بدرا والمشاهد أحد البكائين مات فى آخر خلافة معاوية رضى الله عنهما (الى أبى عفك) بفتح المهملة والفاء الخفيفة وكاف يقال رجل اعفك بين العفك أى أحمق (اليهودى) من بنى عمرو بن عوف (وكان شيخا كبيرا قد بلغ) من السن (عشرين ومائة سنة وكان يحرض) يحث ويحمل الناس (على) قتال (النبى صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر) يهجوه به فقال صلى الله عليه وسلم كما عند ابن سعد وغيره من لى بهذا الخبيث فقال سالم على نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه فأمهل يطلب له غرة بكسر المعجمة وشد الراء المفتوحة غفلة حتى كانت ليلة صائفة أى حارة نام أبو عفك بفناء منزله وعلم سالم به (فأقبل اليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش) دخل (فى الفراش فصاح عدو الله أبو عفك فثار) بمثلثة وراء كذا فى النسخ والذى فى العيون والسبل عن ابن سعد فثاب بمثلثة وموحدة أى اجتمع وهو أولى لان ثاب لغة اجتمع ورجع فاطلق على أحد استعماليه بخلاف ثار فانه لازم لمعنى ثاب لا مدلوله (اليه ناس ممن هم على قوله) فى موافقته على الكفر والتحريض (فأدخلوه منزله فقتل) أى مات ولفظ ابن سعد فأدخلوه منزله وقبروه وعند غير ابن سعد فقالت امامة المريدية فى ذلك

تكذب دين الله والمرء أحمدا * لعمرو الذى امناك ان بئس ما يمنى
حباك حنيف آخر الليل طعنة * أبا عفك خذها على كبر السن

امامة بضم أوله ويقال اسامة المريدية بضم الميم وكسر الراء كما في التبصير كأصله الذهبي وقال في الالقاب بفتحها فتحتية ساكنة فدال مهملة فتحتية مشددة نسبة الى مريد بطن من بلى صحابية رضي الله عنها والمرو الذي امنالك أي وحياة الذي أنشالك وحبالك بموحدة أعطالك وحنيف مسلم (وكانت هذه السرية) فيه تجوز كما مر (في شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة) قاله ابن سعد قال اليعمري وكان أبو عفك من بني عمرو بن عوف أي ظهر نفاقه حين قتل صلى الله عليه وسلم الحرث بن سويد بن الصامت وتوقف فيه البرهان بأنه قتل بعد أحد كما قال ابن اسحق قال الا أن هذا ليس عن ابن اسحق انتهى والله أعلم

* (ثم غزوة بني قينقاع) * بفتح القافين وسكون التحتية و (بتثليث النون) كما حكاه ابن قرقول وغيره (والضم أشهر) كما أفاده الحافظ وغيره (بطن من يهود المدينة) قال في الوفا منازلهم عند جسر بطحان مما يلي العالية وفي الصحيح عن ابن عمر وهم رهط عبد الله ابن سلام (لهم شجاعة وصبر) هو لازم للشجاعة قيل كانوا أشجع اليهود وأكثرهم مالا وأشدهم بغيا (وكانت) كما قال ابن سعد (يوم السبت نصف شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة) النبوية (وقد كانت الكفار) كما أفاده الحافظ في غزوة بني النضير (بعد الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام قسم وادعهم) صالحهم (عليه الصلاة والسلام على أن لا يحاربوه ولا يؤلبوا) يحرضوا (عليه) على قتاله (عدوه) وقيل على أن لا يكونوا معه ولا عليه وقيل على أن ينصروه ممن دهمه من عدوه (وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة) بالظاء المعجمة المشالة (والنضير وبنو قينقاع) فنقض الثلاثة العهد فمكن الله رسوله منهم فقتل قريظة وأجلى الاخيرين (وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش) فنصره الله عليهم فقتل سبعين وأسر سبعين ببدر وقتل في أحد اثنين وعشرين منهم أهل اللواء بنو عبد الدار وأبي بن خلف وفي الخندق عمرو بن عبد ود وغيره حتى فتح مكة فصار أعظمهم عليه احوجهم اليه ثم في حجة الوداع لم يبق قرشي الا أسلم وصاروا كلهم أتباعه ولله الحمد (وقسم تركوه وانتظروا ما يؤول اليه أمره) فان آل الى النصر والظفر بقريش تبعوه والا تبعوهم (كطوائف من العرب) الا أن هذا القسم ليسوا سواء بل (منهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة) ولذا دخلوا في عقده وعهده عام الهدنة ولما استنصروه صلى الله عليه وسلم حين غارت عليهم بنو بكر قال لا نصرت ان لم انصركم (وبالعكس كبني بكر) ولذا دخلوا في عهد قريش وعقدهم سنة الحديبية (ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا وهم المنافقون) فكانوا يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر (وكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع) ثم النضير ثم قريظة (فحاربهم عليه الصلاة والسلام في شوال) أي نصفه على ما مر (بعد وقعة بدر) وهذا كله لفظ الحافظ في الفتح في أول غزوة بني النضير ثم قال فيه بعد قليل (قال الواقدي) أجلاهم في شوال سنة اثنتين يعني بعد بدر (بشهر) ويؤيده ما روى ابن اسحق باسناد حسن عن ابن عباس قال لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر رجع يهود في سوق قينقاع فقال يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشا فقالوا انهم كانوا لا يعرفون القتال

ولو

ولو قاتلنالت لعرفت انا الرجال فأنزل الله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون
الى قوله أولى الابصار انتهى لفظ الفتح فافاد أن المحاربة بعد بدر بنصف شهر والاجلاء
بعد بدر بشهر وهو ظاهر لانه حاصرهم نصف شهر وأما عبارة المصنف ففيها قلاقة لجزمه
بأنها نصف شوال وأن الفراغ من بدر أوله فينافى نقله هنا عن الواقدى أن الحرب بعد بدر
بشهر وأيضا فالواقدى لم يقل ذلك انما قال أجلاهم فى شوال سنة اثنتين فقال الحافظ
يعنى بعد بدر بشهر فاختلط على المصنف رحمه الله الحرب بالاجلاء (وأغرب الحاكم)
جاء بقول غريب لا يعرف (فزعم أن اجلاء بنى قينقاع واجلاء بنى النضير كان فى زمن
واحد) حيث قال هذه وغزوة بنى النضير واحدة وربما اشتبها على من لا يتأمل (ولم يوافق
على ذلك لان اجلاء بنى النضير كان بعد بدر بستة أشهر على قول عروة) بن الزبير وعول عليه
البخارى (أو بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن اسحق) انها بعد أحد ونصره ابن كثير
بأن الخمر حرمت ليالى حصار بنى النضير وفى الصحيح انه اصطبح الخمر جماعة ممن قتل يوم أحد
شهيدا فدل على انها كانت حلالا حينئذ وانما حرمت بعد ذلك ويأتى مزيد لذلك فى غزوتها
ان شاء الله (وكان) كما رواه ابن هشام (من أمر بنى قينقاع أن امرأة) قال البرهان
لا أعرف اسمها (من العرب) وفى الامتاع انها كانت زوجة لبعض الانصار أى من العرب
فلا ينافى أن الانصار بالمدينة وفى الرواية انها قدمت بجلب لها فباعته بسوق بنى قينقاع
و(جلست الى صائغ يهودى) لا اعرف اسمه والظاهر انه من قينقاع قاله البرهان (فراودها
على كشف وجهها) أراد منها ذلك ولفظ الرواية عند ابن هشام فجعلوا يريدونها على كشف
وجهها (فأبت فعمد) بفتح الميم وتكسر الصائغ (الى طرف) بفتح الراء (ثوبها) من
ورائها (فعقده) ضمه (الى ظهرها) وخله بشوكة (فلما قامت انكشفت سوأتها) هو
لفظ رواية ابن هشام أى عورتها (فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على
الصائغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه) فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود
فغضب المسلمون (ووقع الشر بين المسلمين وبين بنى قينقاع) وذكر ابن سعد انهم لما كانت
وقعة بدر أظهروا البغى والحسد ونبذوا العهد والمدة فأنزل الله تعالى وإما تخافن من قوم
خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فقال صلى الله عليه وسلم انما أخاف من
بنى قينقاع (فسار اليهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن استخلف) على المدينة (أبا لبابة)
بشير بفتح الموحدة وكسر المعجمة أو رفاعة أو مبشر وهم من سماه مروان (بن عبد المنذر)
الانصارى الاوسى المدنى أحد النقباء عاش الى خلافة على فحاربوا وتحصنوا
فى حصنهم (فحاصرهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة الى هلال ذى القعدة) بفتح القاف
وكسرها (وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض) قال ابن سعد ولم تكن الرايات
يومئذ (فقذف الله فى قلوبهم الرعب) الخوف (فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على أن له أموالهم وأن لهم النساء والذرية فأمر عليه الصلاة والسلام المنذر بن
قدامة) السلمى الاوسى البدرى (بتكتيفهم) مصدر كتفه بالتشديد للمبالغة والاصل
التخفيف أى بشد أيديهم خلفا كأنهم موثقا بحبل ونحوه قال ابن هشام فكتفوا وهو يريد

قتلهم فرّ بهم ابن أبيّ فأراد أن يطلقهم فقال له المنذر أتطلق اقوا ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بربطهم والله لا يفعله أحد الا ضربت عنقه (وكلم عبد الله بن أبي ابن سلول) رأس المنافقين (رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم) لما أراد قتلهم وهذا مشكل اذ مقتضى نزولهم على أن لهم النساء والذرية انهم نزلوا بأمان ولا يتصور من المصطفى غدر الا أن يقال نزولهم على حكمه لا يقتضى موافقته لهم كما نزل بنو قريظة على حكم سعد فحكم فيهم بحكم الله (وألح عليه من أجلهم) فقال كما ذكر ابن هشام وابن سعد وغيرهما يا محمد أحسن في موالي وكانوا احلفاء الخزرج فأبطأ عليه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه وكان يقال لها ذات الفضول فقال صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلني وغضب عليه السلام حتى رأوا وجهه ظللا جمع ظلة وهي السحابة استعيرت لتغير وجهه الكريم لما اشتد غضبه ويروى ظللا لا جمع ظلة أيضا كبرمة وبرام وهما بمعنى كما في الروض ثم قال ويحك أرسلني قال والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر بمهملتين أي لادرع معه وثلثمائة دارع وقد منعوني من الاحمر والاسود تحصدهم في غداة واحدة اني والله امرؤ أخشى الدوائر فقال صلى الله عليه وسلم هم لك (فأمر عليه الصلاة والسلام أن يحلوا) من كتافهم فقال حلوهم لعنهم الله ولعنه معهم (وتركهم من القتل وأمر أن يجلوا) بالجيم مبنى للمفعول أي يخرجوا (من المدينة) قال ابن سعد وولى اخراجهم عبادة بن الصامت وقيل محمد بن مسلمة ولا مانع انهما اشتركا في اخراجهم (فلحقوا بأذرعات) بفتح الهمزة وسكون المعجمة وكسر الراء فمهملة وبالصرف بلدة بالشام (فما كان) زائدة (أقل بقاءهم فيها) قيل لم يدر عليهم الحول (وأخذ من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة) وكان الذي ولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة قاله ابن سعد فأخذ صلى الله عليه وسلم خمسه وقسم أربعة أخماسه على أصحابه فكان أول ما خمس بعد بدر ووقع عند ابن سعد أخذ صفيه الخمس وتوقف فيه اليعمري بأن المعروف أن الصفي غير الخمس فعند أبي داود عن الشعبي كان له صلى الله عليه وسلم سهم يدعى الصفي قبل الخمس وعن عائشة كانت صفية من الصفي قال فلا أدري اسقطت الواو أو كان هذا قبل حكم الصفي انتهى (و) أخرج ابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي عن عبادة بن الصامت قال (كانت بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن أبي وعبادة بن الصامت فتبرأ عبادة رضي الله عنه من حلفهم) بكسر المهملة واسكان اللام حين قال صلى الله عليه وسلم لما رأى من فعلهم القبيح ما على هذا أقررناهم (وقال يا رسول الله اتبرأ الى الله والى رسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف) جميع (الكفار وولايتهم) أو هو تأكيد لما قبله من اقامة الظاهر مقام المضمر وفائدته التشنيع عليهم بالكفر (ففيه وفي عبد الله) بن أبي (انزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب (بعضهم أولياء بعض) ايماء الى علة النهي أي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم تشديد في وجوب مجانبتهم (الى قوله فان حزب الله هم الغالبون)

اى فانهم هم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهو حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالى غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم قاله البيضاوى*

* (ثم غزوة السويق) * هو قمح أو شعير يقلى ثم يطحن فيتزود به ملتوتا بماء أو سمن أو عسل أو وحده بالسين قال ابن دريد وبنو العنبر يقولونه بالصاد وفى الجمهرة بنو تميم ولا خلاف فالعنبر هو عمرو بن تميم وكانت (فى ذى الحجة) بفتح الحاء وكسرها (يوم الاحد لخمس) من الليالى (خلون منها على رأس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة) قاله ابن سعد (وقال ابن اسحق فى صفر) بمنع الصرف لانه أريد من سنة بعينها ففيه العلمية والعدل عن الصفر وانتقد صاحب الخميس المصنف بأن الذى فى ابن هشام عن البكائى عن ابن اسحق أن خروجه انما كان فى ذى الحجة وهو كما قال وكذا نقله عنه اليعمرى وغيره ويحتمل أنها رواية غير البكائى لان رواة سيرة ابن اسحق جماعة وفيها اختلاف بالزيادة والنقص وقد ذكر بعض أهل السير أن هذه الغزوة فى سنة ثلاث فيصح كونها فى صفر (وسميت غزوة السويق لانه كان أكثر زاد المشركين) فكانوا يلقونه للتخفيف (وغنمه) بفتح الغين وكسر النون (المسلمون) أى استفادوه وأخذوه بلا عوض لكن فيه مجاز اذ الغنيمة كما قال أبو عبيد ما نيل من أهل الشرك والحرب قائمة والفىء ما نيل منهم بعد أن تضع الحرب أوزارها (واستخلف أبا لبابة) بشير أو رفاعة أو مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بفتح الزاى والموحدة بينهما نون ساكنة آخره راء (على المدينة وكان سبب هذه الغزوة) كما عند ابن اسحق وغيره (أن أبا سفيان) صخر بن حرب (حين رجع بالعير من بدر الى مكة) ورجع فل قريش من بدر بفتح الفاء وشد اللام أى منهزموهم (نذر) أن لا يمس رأسه ماء من جنابة هكذا الرواية عند ابن اسحق قال مغلطاى كنى بحلفه عن ان لا يمس النساء والطيب فاقتصر المصنف على تفسير الرواية فقال (أن لا يمس النساء والدهن) لانه لم يتقيد بها أوهى رواية أخرى وردت باللفظ أو بالمعنى (حتى يغزو محمدا عليه الصلاة والسلام) ليأخذ بثار المشركين الذين قتلوا ببدر واستدل به السهيلى على أن غسل الجنابة كان فى الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسمعيل كالحج والنكاح ولذا سموها جنابة لمجانبتهم البيت الحرام وموضع حرماتهم وأطلق فى وان كنتم جنبا فاطهروا بخلاف الوضوء فلم يعرف قبل الاسلام فبين بقوله اغسلوا وجوهكم الخ (فخرج فى مائتى راكب) وقيل أربعين (من قريش ليبر) بضم التحتية وكسر الموحدة (يمينه) نصب على المفعولية أى يمضيها على الصدق قال ابن اسحق فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة الى جبل يقال له نيب على بريد من المدينة أو نحوه ثم خرج حتى أتى بنى النضير تحت الليل فأتى حيى بن اخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه فانصرف الى سلام بن مشكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له وقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا من قريش فساروا (حتى أتوا العريض) بضم المهملة وفتح الراء واسكان

التحتية وضاد معجمة (ناحية من المدينة على ثلاثة أميال) وفى النور انه واد بالمدينة به أموال لاهلها انتهى ففى سياق ابن اسحق هذا الذى ذكرته أن أبا سفيان لم يأت العريض معهم خلاف ما يفيده المصنف وقناة بفتح القاف وخفة النون واد بالمدينة ونيب بنون فتحتية فوحدة قال البرهان كذا فى نسختى أى من العيون وأصولها ولم أره فلعله تصحيف يتيب بفتح التحتية وكسر الفوقية وسكون التحتية فوحدة بوزن يغيب جبل بالمدينة ذكره القاموس أوهو تيت بفوقيتين أولاهما مفتوحة بينهما تحتية ساكنة أو مشددة كميت وميت جبل قرب المدينة ذكره فى الذيل والقاموس انتهى ملخصا والذى يظهر أن ذا الاخير هو المراد لقوله على بريد أو نحوه من المدينة ولان الرسم لا يخالفه بتيب الذى بزنة يغيب وحيى بمهملة مصغر واخطب بخاء معجمة وسلام بالتشديد ويخفف ومشكم بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الكاف وقراه أضافه وسقاه أى الخمر كما قال أبو سفيان

سقانى فروانى كميتا مدامة * على ظما منى سلام بن مشكم

(فحرقوا) بخفة الراء وشدها مبالغة (نخلا) صغارا كما دل عليه قوله فى الرواية فحرقوا فى أصوار من نخل بها بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وراء نخل مجتمع صغار كما فى الصحاح (وقتلوا رجلا من الانصار) زاد فى الرواية وحليفا لهم قال البرهان ولا أعرفهما وفيه تقصير فقد ذكر الواقدى أن الانصارى معبد بن عمرو (فرأى أبو سفيان أن قد انحلت يمينه) بقتل الرجلين وحرق الاصوار (فانصرف بقومه راجعين) الى مكة ونذر الناس بفتح النون وكسر الذال المعجمة علموا بهم (وخرج عليه الصلاة والسلام فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والانصار) وعند مغلطاى فى ثمانين راكبا وجمع البرهان بأن الركبان ثمانون وكل الجيش مائتان (وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب السويق) بضمتين جمع جراب ككتاب وكتب ولا يفتح مفرده أو هو لغة فيما حكاه عياض وغيره كما فى القاموس ويجمع أيضا على اجربة (وهى عامة أزوادهم) أى أكثرها أوجميعها من عمه بالعطاء اذا شمله (يتخففون للهرب) خوفا من نصر بالرعب (فيأخذها المسلمون) ولذا سميت غزوة السويق كما مر (ولم يلحقهم عليه الصلاة والسلام فرجع الى المدينة وكانت غيبته خمسة أيام) بيومى الخروج والرجوع فدخوله يوم التاسع بدليل صلاة العيد وأن خروجه لخمس خلون من الحجة أودخل ليلا أو أول يوم العيد وادركه قبل الزوال وعند ابن اسحق وقال المسلمون حين رجعوا يارسول الله انطمع أن تكون لنا غزوة قال نعم وأورد ابن هشام وتبعه أبو الربيع فى الاكتفاء هذه الغزوة قبل بنى قينقاع وعند بعض أهل السير أنها فى سنة ثلاث

* ذكر بعض وقائع ثانية الهجرة *

(وفى ذى الحجة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد) بالمصلى وضحى بكبشين (وأمر الناس) (بالاضحية) وهو أول عيد اضحى رآه المسلمون (وفيه مات عثمان بن مظعون) بالظاء المعجمة بن حبيب القرشى الجمحى البدرى وقبله النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته

وعيناه